سلسلة نصوص تراثية للباحثين

(١٠١٤)

الستر في القرآن

(تفسير موضوعي)

من مصنفات التفسير

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"ج ١١ (ص: ٦٥٩)

﴿قال اجعلني على خزائن الأرض﴾

٣٧٦٠٧ - عن عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «رحم الله أخي يوسف، لو لم يقل: اجعلني على خزائن الأرض. لاستعمله من ساعته، ولكنه أخره لذلك سنة، فأقام في بيته سنة مع الملك» (١). (ز)

٣٧٦٠٨ - قال مقاتل: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «لو قال: إني حفيظ عليم -إن شاء الله-. لملك من يومه ذلك» (٢). (ز)

٣٧٦٠٩ - قال عبد الله بن عباس: لبث بعد ذلك سنة ونصفا، ثم ملك أرض مصر (٣). (ز)

٣٧٦١٠ - عن عبد الله بن عباس، قال: لما انصرمت السنة من اليوم الذي سأل الإمارة دعاه الملك، فتوجه، [وقلده بسيفه]، ووضع له سريرا من ذهب مكلل بالدر والياقوت، وضرب عليه حلة من إستبرق، وطول السرير ثلاثون ذراعا، وعرضه عشرة أذرع، عليه ثلاثون فراشا، وستون مقرمة (٤)، ثم أمره أن يخرج، فخرج متوجا، ولونه كالثلج، ووجهه كالقمر، يرى الناظر وجهه في صفاء لون وجهه، فانطلق حتى جلس على السرير، ودانت له الملوك، ودخل الملك بيته، وفوض إليه أمر مصر، وعزل قطفير عما كان عليه، وجعل يوسف مكانه. قاله ابن إسحاق (٥). (ز)

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره ٥/ ٢٣١، والواحدي في التفسير الوسيط ٢/ ٦١٨ (٤٧٦)، والبغوي في تفسيره ٤/ ٢٥١. وأورده الديلمي في الفردوس ٢/ ٢٦٣ (٣٢٢٣).

قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص ٩٠ (٢١٣): «أخرجه الثعلبي عن ابن عباس من رواية إسحاق بن بشر، عن جويبر، عن الضحاك عنه. وهذا إسناد ساقط». وقال الألباني في الضعيفة ١/ ٤٩٩ (٣٢٩): «موضوع».

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ٢/ ٣٤٠.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان ٢/ ٣٤٠.

(٤) القرام: ثوب من صوف ملون فيه ألوان من العهن، وهو صفيق يتخذ سترا. وقيل: **هو الستر الرقيق**،

والجمع قرم، وهو المقرمة. وقيل: المقرمة محبس الفراش. لسان العرب (قرم).
(٥) تفسير الثعلبي ٥/ ٢٣٢، وتفسير البغوي ٤/ ٢٥٢.." (١)
"ج ١٣ (ص: ٦٧٢)
٤٥٧٢٧ - عن عبد الملك ابن جريج -من طريق حجاج- في قوله: ﴿وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا﴾، قال: لم يبنوا فيها بناء قط، ولم يبن عليهم فيها بناء قط. وكانوا إذا طلعت الشمس دخلوا أسرابا لهم حتى تزول الشمس، أو دخلوا البحر، وذلك أن أرضهم ليس فيها جبل، وجاءهم جيش مرة، فقال لهم أهلها: لا تطلعن عليكم الشمس وأنتم بها. فقالوا: لا نبرح حتى تطلع الشمس، ما هذه العظام؟ قالوا: هذه جيف جيش طلعت عليهم الشمس هاهنا، فماتوا. قال: فذهبوا هاربين في الأرض (١) [٤٠٩٥]. (ز)

٤٥٧٢٨ - قال مقاتل بن سليمان: ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا﴾، يعني: من دون الشمس سترا، كانوا يستقرون في الأرض في أسراب من شدة الحر، وكانوا في مكان لا يستقر عليهم البناء، فإذا زالت الشمس خرجوا إلى معايشهم (٢) [٤٠٩٦]. (ز)

﴿كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا (٩١)﴾
٤٥٧٢٩ - عن مجاهد بن جبر -من طريق ابن أبي نجيح- في قوله: ﴿بما لديه خبرا﴾، قال: علما (٣). (٩/ ٦٧٠)
[٤٠٩٥] ذكر ابن عطية (٥/ ٦٥٧ - ٦٥٨) قول ابن جريج، ثم أردف معلقا: «وكثر النقاش وغيره في هذا المعنى، والظاهر من اللفظ أنها عبارة بليغة عن قرب الشمس منهم وفعلها؛ لقدرة الله تعالى فيهم، ونيلها منهم، ولو كان لهم أسراب تغني لكان سترا كثيفا، وإنما هم في قبضة القدرة، سواء كان لهم أسراب أو دور أو لم يكن، ألا ترى **أن الستر** -عندنا نحن- إنما هو من السحاب والغمام وبرد الهوى، ولو سلط الله علينا الشمس لأحرقتنا!».
[٤٠٩٦] قال ابن جرير (١٥/ ٣٨١ - ٣٨٣) في تفسير الآية: «ووجد ذو القرنين الشمس تطلع على قوم لم يجعل الله لهم دون الشمس سترا، وذلك أن أرضهم لا جبل فيها ولا شجر، ولا تحتمل بناء، فيسكنوا

(١) موسوعة التفسير المأثور، ٦٥١/١١

البيوت، وإنما يغورون في المياه، ويسربون في الأسراب». واستشهد عليه بقول الحسن، وقتادة من طريق سعيد، وابن جريج. وذكر قولا آخر، ولم يعلق عليه.

---

(١) أخرجه ابن جرير ١٥/ ٣٨٢.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ٢/ ٦٠٠.

(٣) أخرجه ابن جرير ١٥/ ٣٨٤. وعزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.." (١)

"ج ١٤ (ص: ٢٦٨)

٤٧٥٤٣ - عن مجاهد بن جبر -من طرق- في قوله: ﴿أكاد أخفيها﴾، قال: من نفسي (١). (١٠/ ١٧٨)

٤٧٥٤٤ - عن أبي صالح باذام -من طريق إسماعيل بن أبي خالد- في قوله: ﴿أكاد أخفيها﴾، قال: يخفيها من نفسه (٢).
(١٠/ ١٧٩)

٤٧٥٤٥ - عن الحسن البصري -من طريق عمرو بن عبيد- في قوله - عز وجل -: ﴿أكاد أخفيها﴾، قال: أخفيها من نفسي (٣). (ز)

٤٧٥٤٦ - عن قتادة بن دعامة -من طريق سعيد- قال: في بعض القراءة: (أكاد أخفيها من نفسي)، قال: لعمري، لقد أخفاها الله من الملائكة المقربين، ومن الأنبياء والمرسلين (٤) [٤٢٤٨]. (١٠/ ١٧٩)

٤٧٥٤٧ - عن قتادة بن دعامة -من طريق سعيد- قال: قضى الله -تبارك وتعالى- ألا تأتيكم الساعة إلا بغتة (٥). (ز)

٤٧٥٤٨ - قال مقاتل بن سليمان: ثم استأنف ﴿إن الساعة آتية﴾ يقول: إن الساعة جائية لا بد، (أكاد أخفيها من نفسي) في قراءة ابن مسعود، فكيف يعلمها أحد، وقد كدت أن أخفيها من نفسي؛ لئلا يعلمها

---

(١) موسوعة التفسير المأثور، ٦٧١/١٣

مخلوق (٦). (ز)

٤٧٥٤٩ - قال سفيان الثوري، في قوله: ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها﴾، أي: من نفسي (٧) [٤٢٤٩]. (ز)

[٤٢٤٨] علق ابن كثير (٩/ ٣١٩) على قول قتادة بقوله: «وهذا كقوله تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله﴾ [النمل: ٦٥]، وقال: ﴿ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة﴾ [الأعراف: ١٨٧]، أي: ثقل علمها على أهل السموات والأرض».

[٤٢٤٩] اختلف السلف في تفسير قوله: ﴿أكاد أخفيها﴾ على قولين: الأول: أكاد أخفيها من نفسي، فلا أظهر عليها أحدا من خلقي. الثاني: أكاد أظهرها.

وقد رجح ابن جرير (١٦/ ٣٧ - ٣٨ بتصرف) مستندا إلى أقوال السلف وإلى اللغة القول الأول، فقال: «والذي هو أولى بتأويل الآية من القول قول من قال: معناه: أكاد أخفيها من نفسي. لأن تأويل أهل التأويل بذلك جاء، ولأن المعروف من معنى الإخفاء في كلام العرب: الستر. يقال: قد أخفيت الشيء: إذا سترته، فلما كان معروفا في كلامهم أن يقول أحدهم إذا أراد المبالغة في الخبر عن إخفائه شيئا هو له مسر: قد كدت أن أخفي هذا الأمر عن نفسي من شدة استسراري به، ولو قدرت أخفيه عن نفسي أخفيته. خاطبهم على حسب ما قد جرى به استعمالهم في ذلك من الكلام بينهم، وما قد عرفوه في منطقهم».

وأما ابن عطية (٦/ ٨٦) فقد ذكر قولا عن بعض المفسرين لم يسمه، ورجحه مستندا إلى الدلالة العقلية، فقال: «وقالت فرقة: ﴿أكاد﴾ على بابها، بمعنى أنها مقاربة ما لم يقع، لكن الكلام جار على استعارة العرب ومجازها، فلما كانت الآية عبارة عن شدة خفاء أمر القيامة ووقتها، وكان القطع بإتيانها مع جهل الوقت أهيب على النفوس؛ بالغ قوله تعالى في إعتام وقتها، فقال: ﴿أكاد أخفيها﴾ حتى لا تظهر البتة، ولكن ذلك لا يقع، ولا بد من ظهورها، هذا تلخيص هذا المعنى الذي أشار إليه بعض المفسرين، وهو الأقوى عندي. ورأى بعض القائلين بأن المعنى: أكاد أخفيها من نفسي. ما في القول من القلق، فقالوا: معنى من نفسي: من تلقائي، ومن عندي، وهذا رفض للمعنى الأول، ورجوع إلى هذا القول الذي اخترناه أخيرا. فتأمله».

وذكر ابن جرير (١٦/ ٣٨ - ٤١) عدة أقوال أخر لم ينسبها إلى أحد، وكذا فعل ابن عطية، وانتقد هو وابن جرير بعض تلك الأقوال لمخالفتها لغة العرب، وقول الحجة من أهل التأويل، ودلالة العقل.

(١) أخرجه ابن جرير ١٦/ ٣٤ - ٣٦. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن الأنباري في المصاحف.
(٢) أخرجه ابن جرير ١٦/ ٣٥. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان ٣/ ٢٣، مما رواه الهذيل بن حبيب عن غير مقاتل؛ فقد رواه الهذيل، عن صيفي بن سالم، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن.
(٤) أخرجه ابن جرير ١٦/ ٣٥، وعبد الرزاق ٢/ ١٦ مختصرا من طريق معمر. وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن أبي حاتم.
(٥) أخرجه يحيى بن سلام ١/ ٢٥٦.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان ٣/ ٢٤.
(٧) أخرجه الثوري في تفسيره ص ١٩٣.." (١)

"ج ١٥ (ص: ٥٥٢)

كله، إنما قال الله: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ (١). (ز)

﴿ويحفظوا فروجهم﴾

٥٢٩٢٩ - عن أبي العالية الرياحي -من طريق الربيع بن أنس- قال: كل آية في القرآن يذكر فيها حفظ الفرج فهو من الزنا، إلا هذه الآية في النور: ﴿ويحفظوا فروجهم﴾، ﴿ويحفظن فروجهن﴾ فهو ألا يراها أحد (٢) [٤٦٤٠]. (١١/ ١٧)

٥٢٩٣٠ - عن سعيد بن جبير -من طريق عطاء بن دينار- في قول الله: ﴿ويحفظوا فروجهم﴾: يعني: عن الفواحش (٣). (١١/ ١٧)

٥٢٩٣١ - عن قتادة بن دعامة -من طريق سعيد- ﴿ويحفظوا فروجهم﴾: أي: عما لا يحل لهم (٤). (١١/ ١٧)

٥٢٩٣٢ - قال مقاتل بن سليمان: ﴿ويحفظوا فروجهم﴾ عن الفواحش (٥). (ز)

---

(١) موسوعة التفسير المأثور، ٢٦٨/١٤

٥٢٩٣٣ - عن مقاتل بن حيان-من طريق بكير بن معروف- ﴿ويحفظوا فروجهم﴾، يقول: من الزنا (٦). (ز)

٥٢٩٣٤ - قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: كل ما في القرآن من حفظ الفروج فهو عن الزنا؛ إلا في هذا الموضع، فإنه أراد: الاستتار (٧) [٤٦٤١]. (ز)

[٤٦٤٠] ذكر ابن عطية (٦/ ٣٧٣) أن حفظ الفروج يحتمل أن يريد به: في الزنا، ويحتمل أن يريد: بستر العورة، ثم رجح العموم فقال: «والأظهر أن الجميع مراد، واللفظ عام». وساق (٦/ ٣٧٤) قول أبي العالية، وانتقده مستندا لدلالة العموم، فقال: «ولا وجه لهذا التخصيص عندي».

[٤٦٤١] ذكر ابن عطية (٦/ ٣٧٣) أن قوله: ﴿قل للمؤمنين﴾ بمنزلة قوله: انههم، فقول: ﴿يغضوا﴾ جواب الأمر، وذكر أن المازني قال بأن المعنى: قل لهم: غضوا يغضوا. وانتقد ذلك مستندا إلى دلالة العقل، فقال: «ويلحق هذين من الاعتراض أن الجواب خبر من الله، وقد يوجد من لا يغض، وينفصل بأن المراد: يكونون في حكم من يغض».

---

(١) أخرجه ابن جرير ١٧/ ٢٥٥ من طريق ابن وهب، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٥٧١ - ٢٥٧٢ من طريق أصبغ، وزاد: (يصنعون)، قال: يصنعون ويعملون واحد.

(٢) أخرجه ابن جرير ١٧/ ٢٥٥ بلفظ: فإنه يعني: الستر، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٥٧١، ٢٥٧٣. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٥٧١.

(٤) أخرجه يحيى بن سلام ١/ ٤٤٠، وعقب عليه بقوله: وهذه في الأحرار والمملوكين. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان ٣/ ١٩٥.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٥٧٢.

(٧) تفسير الثعلبي ٧/ ٨٦، وجاء عقبه: يعني: ويحفظوا فروجهم حتى لا ينظر إليها.." [1]

---

(١) موسوعة التفسير المأثور، ٥٥٠/١٥

"ج ١٥ (ص: ٥٨٧)

هذه الآية، ﴿لعلكم﴾ يعني: لكي ﴿تفلحون﴾ (١). (ز)

٥٣١٦٥ - قال يحيى بن سلام: قوله: ﴿وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون﴾ من ذنوبكم، ﴿لعلكم تفلحون﴾ لكي تفلحوا فتدخلوا الجنة (٢). (ز)

آثار متعلقة بالآية:

٥٣١٦٦ - عن الأغر، قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «يا أيها الناس، توبوا إلى الله، فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة» (٣). (١١/ ٣٩)

٥٣١٦٧ - عن حذيفة، قال: كان في لساني ذرب على أهلي، فلم أعده إلى غيره، فذكرت ذلك للنبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال: «أين أنت من الاستغفار، يا حذيفة؟ إني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة، وأتوب إليه» (٤). (١١/ ٣٩)

٥٣١٦٨ - عن أبي رافع: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سئل: كم للمؤمنين من ستر؟ قال: «هي أكثر من أن يحصى، ولكن المؤمن إذا عمل خطيئة هتك منها سترا، فإذا تاب رجع إليه **ذلك الستر وتسعة** معه، وإذا لم يتب هتك عنه منها ستر واحد، حتى إذا لم يبق عليه منها شيء قال الله تعالى لمن يشاء من ملائكته: إن بني آدم يعيرون، ولا يغفرون؛ فحفوه بأجنحتكم. فيفعلون به ذلك، فإن تاب رجعت إليه الأستار كلها، وإذا لم يتب عجبت منه الملائكة، فيقول الله لهم: أسلموه. فيسلموه حتى لا يستر منه عورة» (٥). (١١/ ٣٩)

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٣/ ١٩٥.

(٢) تفسير يحيى بن سلام ١/ ٤٤٤.

(٣) أخرجه مسلم ٤/ ٢٠٧٥ (٢٧٠٢)، وأحمد ٢٩/ ٣٩٠ (١٧٨٤٧).

(٤) أخرجه أحمد ٣٨/ ٣٦٥ (٢٣٣٤٠)، ٣٨/ ٣٨٤ (٢٣٣٦٢)، ٣٨/ ٣٨٩ - ٣٩٠ (٢٣٣٧١)، ٣٨/ ٤١٩ (٢٣٤٢١)، وابن ماجه ٤/ ٧٢٠ (٣٨١٧)، وابن حبان ٣/ ٢٠٥ (٩٢٦)، والحاكم ١/ ٦٩١ (١٨٨١، ١٨٨٢)، ٢/ ٤٩٦ (٣٧٠٦)، وعبد الرزاق ٣/ ٢٠٧ (٢٨٨٣).

قال الحاكم: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه هكذا». وقال ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ ٣/ ١٦٩٣ - ١٦٩٤ (٣٨١١): «رواه محمد بن كثير الكوفي القرشي، عن عمرو بن قيس الملائي، عن أبي إسحاق، عن عبيد بن المغيرة، عن حذيفة، وهذا عن عمرو لا أعرفه إلا من حديث ابن كثير عنه، وقد تركه أحمد بن حنبل». وقال البوصيري في مصباح الزجاجة ٤/ ١٣٤ (٩٣٣١): «هذا إسناد فيه أبو المغيرة البجلي، مضطرب الحديث عن حذيفة، قاله الذهبي في الكاشف».

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب التوبة ص ٨٠ (٧٧)، والروياني في مسنده ١/ ٤٧٦ - ٤٧٧ (٧٢٤) كلاهما بلفظ: «كم للمؤمن من ستر»، من طريق ابن أبي مريم، حدثنا نافع بن يزيد، حدثني خالد بن يزيد، أن أبا رافع حدثه ... فذكره.

إسناده ضعيف لانقطاعه؛ خالد بن يزيد هو السكسكي، لم يدرك الصحابة؛ فإن كان أبو رافع هو مولى النبي - صلى الله عليه وسلم - فإسناده منقطع، وإن كان أبو رافع تابعيا فالحديث مرسل.." (١)

"ج ١٥ (ص: ٧٢٠)

أن تستأذن علي (١). (١١/ ١٠٣)

٥٣٩٤٩ - عن عبد الله بن عباس -من طريق عطاء- قال: ترك الناس ثلاث آيات فلم يعملوا بهن: ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾، والآية التي في سورة النساء [٨]: ﴿واذا حضر القسمة﴾، والآية التي في الحجرات [١٣]: ﴿ان أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (٢) [٤٦٩٤]. (١١/ ١٠٣)

٥٣٩٥٠ - عن عبد الله بن عباس -من طريق عكرمة-: أن رجلين سألاه عن الاستئذان في الثلاث عورات التي أمر الله بها في القرآن، فقال: إن الله ستير يحب الستر، وكان الناس ليس لهم ستور على أبوابهم، ولا حجال (٣) في بيوتهم، فربما فاجأ الرجل خادمه، أو ولده، أو يتيمه في حجره وهو على أهله، فأمرهم الله أن يستأذنوا في تلك العورات التي سمى الله، ثم جاء الله بعد بالستور، وبسط عليهم في الرزق، فاتخذوا الستور، واتخذوا الحجال، فرأى الناس أن ذلك قد كفاهم من الاستئذان الذي أمروا به (٤) [٤٦٩٥]. (١١/ ١٠٤)

[٤٦٩٤] علق ابن عطية (٦/ ٤٠٧) على قول ابن عباس بقوله: «وهذه العبارة ب» ترك الناس «إغلاظ

---

(١) موسوعة التفسير المأثور، ٥٨٤/١٥

وزجر، إذ لم تلتزم حق الالتزام، وإلا فما قال الله تعالى هو المعتقد في ذلك عند العلماء، المكتوب في تواليفهم، أعني: أن الكرم التقوى، وأما أمر الاستئذان فإن تغيير المباني والحجب أغنت عن كثير من الاستئذان، وصيرته على حد آخر، وأين أبواب المنازل اليوم من مواضع النوم؟».

[٤٦٩٥] علق ابن عطية (٦/ ٤٠٧) على قول ابن عباس بقوله: «فهي الآن واجبة في كثير من مساكن المسلمين في البوادي والصحاري ونحوها».

وذكر ابن كثير (١٠/ ٢٧١) هذا الأثر من رواية ابن أبي حاتم بسنده عن الربيع بن سليمان، عن ابن وهب، عن سليمان بن بلال، عن عمرو بن أبي عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس موقوفا، ثم علق عليه بقوله: «وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس».

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٤/ ٤٠٠، وأبو داود (٥١٩١)، وإسحاق البستي في تفسيره ص ٤٨١، والبيهقي في سننه ٧/ ٩٧، وأخرج يحيى بن سلام ١/ ٤٦٠ نحوه. وعزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وابن مردويه.

(٢) أخرجه ابن جرير ١٧/ ٢٤٣ - ٢٤٤، ٣٥٤، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٣٢.

(٣) الحجال: جمع حجلة -بالتحريك-: بيت كالقبة، يستر بالثياب، وتكون له أزرار كبار. النهاية (حجل).

(٤) أخرجه أبو داود (٥١٩٢)، وابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٣٢، والبيهقي في السنن ٧/ ٩٧. وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر، وابن مردويه.." (١)

"ج ١٧ (ص: ٧٥٩)

﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (٣٣)﴾

نزول الآية:

٦٢١٧٧ - عن أم سلمة، قالت: نزلت هذه الآية في بيتي: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾، وفي البيت سبعة: جبريل، وميكائيل، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين، وأنا على باب البيت. قلت: يا رسول الله، ألست من أهل البيت؟ قال: «إنك إلى خير، إنك من أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم -» (١). (١٢/ ٣٨)

---

(١) موسوعة التفسير المأثور، ٧١٧/١٥

٦٢١٧٨ - عن أم سلمة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم -: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان في بيتها على منامة له، عليه كساء خيبري، فجاءت فاطمة ببرمة فيها خزيرة (٢)، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ادعي زوجك، وابنيك حسنا وحسينا». فدعتهم، فبينما هم يأكلون إذ نزلت على النبي - صلى الله عليه وسلم -: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾. فأخذ النبي - صلى الله عليه وسلم - بفضلة كسائه، فغشاهم إياها، ثم أخرج يده من الكساء، وألوى بها إلى السماء، ثم قال: «اللهم، هؤلاء أهل بيتي وحامتي (٣)، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرا». قالها ثلاث مرات. قالت أم سلمة: فأدخلت رأسي في الستر، فقلت: يا رسول الله، وأنا معكم؟ فقال: «إنك إلى خير» مرتين (٤). (١٢/ ٣٦)

٦٢١٧٩ - عن أم سلمة، قالت: في بيتي نزلت: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم

---

(١) أخرجه ابن الأعرابي في معجمه ٢/ ٧٤٢ - ٧٤٣ (١٤٦٢)، وابن عدي في الكامل ٤/ ٢٤٠ في ترجمة سليمان بن قرم (٧٣٥)، وفي ٧/ ١٧ ترجمة عبد الجبار بن العباس الشبامي (١٤٧٨)، وابن عساكر في تاريخه ١٤/ ١٤٤ - ١٤٥. وعزاه السيوطي إلى ابن مردويه.

قال ابن عدي: «يدل صورة سليمان هذا على أنه مفرط في التشيع». وقال في الموضع الثاني: «سمعت ابن حماد يقول: قال السعدي: عبد الجبار بن العباس كان غاليا في سوء مذهبه. وهذا الذي قاله السعدي؛ أي: كان غاليا في التشيع كوفي».

(٢) البرمة: القدر. والخزيرة: لحم يقطع صغارا، ويصب عليه ماء كثير فإذا نضج يذر عليه الدقيق. النهاية (برم) و (خزر).

(٣) حامتي: خاصتي. اللسان (حوم).

(٤) أخرجه أحمد ٤/ ١١٨ - ١١٩ (٢٦٥٠٨)، ٤٤/ ٢١٧ (٢٦٥٩٧)، والثعلبي ٨/ ٤٢ بنحوه، من طريق عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء بن أبي رباح، قال: حدثني من سمع أم سلمة به.

إسناده ضعيف؛ قال ابن كثير في تفسيره ٦/ ٤١٢: «في إسناده من لم يسم، وهو شيخ عطاء، وبقية رجاله ثقات».." (١)

---

(١) موسوعة التفسير المأثور، ١٧/٧٦٠

"ج ١٨ (ص: ١٩)

زيد أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد هويها، فقال: يا رسول الله، ائذن لي في طلاقها، فإن فيها كبرا، وإنها تؤذيني بلسانها. فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «اتق الله، وأمسك عليك زوجك». فأمسكها زيد ما شاء الله، ثم طلقها، فلما انقضت عدتها أنزل الله نكاحها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من السماء، فقال: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه﴾ إلى قوله: ﴿فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها﴾، فدعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عند ذلك زيدا، فقال: ائت زينب، فأخبرها أن الله قد زوجنيها. فانطلق زيد، فاستفتح الباب، فقيل: من هذا؟ قال: زيد. قالت: وما حاجة زيد إلي وقد طلقني؟! فقال: إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أرسلني. فقالت: مرحبا برسول رسول الله – صلى الله عليه وسلم –ز. ففتح له الباب، فدخل عليها وهي تبكي، فقال زيد: لا يبك الله عينك، قد كنت نعمت المرأة –أو قال: الزوجة–، إن كنت لتبرين قسمي، وتطيعين أمري، وتتبعين مسرتي، فقد أبدلك الله خيرا مني. قالت: من، لا أبا لك؟ فقال: رسول الله – صلى الله عليه وسلم –. فخرت ساجدة (١). (ز)

٦٢٢٧٣ – قال مقاتل بن سليمان: ثم إن النبي – صلى الله عليه وسلم – أتى زيدا، فأبصر زينب قائمة، وكانت حسناء بيضاء من أتم نساء قريش، فهويها النبي – صلى الله عليه وسلم –، فقال: «سبحان الله مقلب القلوب». ففطن زيد، فقال: يا رسول الله، ائذن لي في طلاقها؛ فإن فيها كبرا، تعظم (٢) علي، وتؤذيني بلسانها. فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ﴿أمسك عليك زوجك، واتق الله﴾. ثم إن زيدا طلقها بعد ذلك؛ فأنزل الله – عز وجل –: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه﴾ (٣). (ز)

٦٢٢٧٤ – قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم –من طريق ابن وهب–: كان النبي – صلى الله عليه وسلم – قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ابنة عمته، فخرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوما يريده، وعلى الباب ستر من شعر، فرفعت الريح الستر، فانكشف، وهي في حجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبي – صلى الله عليه وسلم –؛ فلما وقع ذلك كرهت إلى الآخر، فجاء، فقال: يا رسول الله، إني أريد أن أفارق صاحبتي. قال: «مالك، أرابك منها شيء؟». قال: لا، والله، ما رابني منها شيء، يا رسول الله، ولا رأيت إلا خيرا. فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ﴿أمسك عليك زوجك واتق الله﴾. فذلك قول الله تعالى: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله

وتخفي في نفسك ما

---

(١) علقه يحيى بن سلام ٢/ ٧٢١ - ٧٢٢.

(٢) تعظم: تكبر. القاموس (عظم).

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان ٣/ ٤٩٣ - ٤٩٤.." (١)

"ج ١٨ (ص: ٢٥)

إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ودخل عليها بغير إذن، ولقد رأيتنا حين دخلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أطعمنا عليها الخبز واللحم، فخرج الناس، وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واتبعته، فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن، ويقلن: يا رسول الله، كيف وجدت أهلك؟ فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبر، فانطلق حتى دخل البيت، فذهبت أدخل معه، **فألقى الستر بيني** وبينه، ونزل الحجاب، ووعظ القوم بما وعظوا به: ﴿لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾ الآية (١). (١٢/ ٥٢)

٦٢٣٠٥ - عن عكرمة مولى ابن عباس: كان الناس يقولون من شدة ما يرون من حب النبي - صلى الله عليه وسلم - لزيد: إنه ابنه. فأراد الله أمرا، قال الله: ﴿فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها﴾ يا محمد؛ ﴿لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم﴾. وأنزل الله: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾. فلما طلقها زيد تزوجها النبي - صلى الله عليه وسلم -، فعندها قالوا: لو كان زيد ابن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما تزوج امرأة ابنه (٢). (١٢/ ٦٠)

٦٢٣٠٦ - عن عامر الشعبي -من طريق داود بن أبي هند- قال: كانت زينب تقول للنبي - صلى الله عليه وسلم -: أنا أعظم نسائك عليك حقا؛ أنا خيرهن منكحا، وأكرمهن سترا، وأقربهن رحما، وزوجنيك الرحمن من فوق عرشه، وكان جبريل هو السفير بذلك، وأنا بنت عمتك ليس لك من نسائك قريبة غيري (٣). (١٢/ ٥٥)

---

(١) موسوعة التفسير المأثور، ١٩/١٨

٦٢٣٠٧ - عن عامر الشعبي -من طريق مغيرة- قال: كانت زينب تقول للنبي - صلى الله عليه وسلم - : إني لأدل (٤) عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن: أن جدي وجدك واحد، وأني أنكحنيك الله من السماء، وإن السفير لجبرائيل (٥). (١٢/ ٥٥)

٦٢٣٠٨ - عن قتادة بن دعامة -من طريق سعيد- في قوله: ﴿فلما قضى زيد منها وطرا﴾ قال: طلقها زيد ﴿زوجناكها﴾ فكانت تفخر على نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - تقول: أما أنتن فزوجكن آباؤكن، وأما أنا فزوجني ذو العرش. ﴿لكي لا يكون على المؤمنين حرج في

---

(١) أخرجه مسلم ٢/ ١٠٤٨ (١٤٢٨) بنحوه.

(٢) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣) أخرجه الحاكم ٤/ ٢٥.

(٤) أدل عليه وتدلل: انبسط، وهو من الدلال والدالة على من لك عنده منزلة. اللسان (دلل).

(٥) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١١٨.." (١)

"ج ١٨ (ص: ١٣١)

قال: تدني الجلباب حتى لا ترى ثغرة نحرها (١) (٢). (١٢/ ١٤٤)

٦٢٨٣٣ - عن محمد بن سيرين -من طريق ابن عون- في قوله: ﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ هكذا قال: تغطي إحدى عينيها وجبهتها والشق الآخر، إلا العين (٣). (ز)

٦٢٨٣٤ - عن محمد بن كعب القرظي -من طريق أبي صخر- قال: كان رجل من المنافقين يتعرض لنساء المؤمنين يؤذيهن، فإذا قيل له قال: كنت أحسبها أمة. فأمرهن الله تعالى أن يخالفن زي الإماء، ويدنين عليهن من جلابيبهن؛ تخمر وجهها إلا إحدى عينيها (٤). (١٢/ ١٤١)

٦٢٨٣٥ - عن قتادة بن دعامة -من طريق سعيد- في قوله: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾، قال: أخذ الله عليهن إذا خرجن أن يقذفنها على الحواجب (٥).

---

(١) موسوعة التفسير المأثور، ٢٥/١٨

(١٢/ ١٤٣)

٦٢٨٣٦ - عن محمد بن شهاب الزهري، أنه قيل له: الأمة تزوج فتختمر؟ قال: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾، فنهى الله الإماء أن يتشبهن بالحرائر (٦). (١٢/ ١٤٢)

٦٢٨٣٧ - عن عطاء الخراساني -من طريق يونس بن يزيد- في قول الله - عز وجل -: ﴿جلابيبهن﴾، قال: أرديتهن (٧). (ز)

٦٢٨٣٨ - قال مقاتل بن سليمان: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾، يعني: القناع الذي يكون فوق الخمار (٨). (ز)

٦٢٨٣٩ - قال يحيى بن سلام: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾، والجلباب: الرداء تقنع به، وتغطي به شق وجهها الأيمن، تغطي عينها اليمنى وأنفها (٩) [٥٢٧٨]. (ز)

[٥٢٧٨] قال ابن عطية (٧/ ١٤٧): «الجلباب: ثوب أكبر من الخمار. وروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما -، وابن مسعود - رضي الله عنهما -: أنه الرداء. واختلف الناس في صورة إدنائه؛ فقال ابن عباس، وعبيدة السلماني: ذلك أن تلويه المرأة حتى لا يظهر منه إلا عين واحدة تبصر بها. وقال ابن عباس أيضا، وقتادة: وذلك أن تلويه فوق الجبين، وتشده، ثم تعطفه على الأنف، وإن ظهرت عيناها، لكنه يستر الصدر، ومعظم الوجه».

وقال ابن تيمية (٥/ ٢٧٠ - ٢٧١): «كانوا قبل أن تنزل آية الحجاب كان النساء يخرجن بلا جلباب، يرى الرجل وجهها ويديها، وكان إذ ذاك يجوز لها أن تظهر الوجه والكفين، وكان حينئذ يجوز النظر إليها؛ لأنه يجوز لها إظهاره، ثم لما أنزل الله - عز وجل - آية الحجاب قوله: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ حجب النساء عن الرجال، وكان ذلك لما تزوج النبي - صلى الله عليه وسلم - زينب بنت جحش، فأرخى الستر، ومنع النساء أن ينظرن».

---

(١) الثغرة: نقرة النحر، وهي الثلمة التي تكون في أعلاه. اللسان (ثغر).
(٢) عزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.
(٣) أخرجه الفراء في معاني القرآن ٢/ ٣٤٩.
(٤) أخرجه ابن سعد ٨/ ١٧٦ - ١٧٧.
(٥) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١٨٢. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٦) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٧) أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه ص ١٠٤ (تفسير عطاء الخراساني).
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان ٣/ ٥٠٧ - ٥٠٨.
(٩) تفسير يحيى بن سلام ٢/ ٧٣٨.." (١)
"ج ١٨ (ص: ١٤٣)
كثيرا (١). (ز)

٦٢٩٠٧ - قال مقاتل بن سليمان: ثم قال الأتباع: ﴿ربنا آتهم ضعفين من العذاب﴾ يعنون: القادة والرؤوس من كفار قريش، ﴿والعنهم لعنا كبيرا﴾ يعني: عظيما، يعني: اللعن على إثر اللعن (٢). (ز)

٦٢٩٠٨ - قال يحيى بن سلام: ﴿والعنهم لعنا كبيرا﴾ وقد تقرأ: «كثيرا»، وكل شيء في القرآن يذكر فيه شيء من كلام أهل النار فهو قبل أن يقول الله لهم: ﴿اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾ [المؤمنون: ١٠٨] (٣). (ز)

﴿ياأيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى﴾
٦٢٩٠٩ - عن عبد الله بن عباس، قال: أنزل الله: ﴿لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا﴾، قال: لا تؤذوا محمدا كما آذى قوم موسى موسى (٤). (١٢/ ١٥٢)
٦٢٩١٠ - قال مقاتل بن سليمان: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا﴾، وذلك أن الله - عز وجل - وعظ المؤمنين ألا يؤذوا محمدا فيقولون: زيد بن محمد، فإن ذلك للنبي -

(١) موسوعة التفسير المأثور، ١٣١/١٨

صلى الله عليه وسلم - أذى، كما آذت بنو إسرائيل موسى (٥). (ز)

﴿كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا﴾
٦٢٩١١ - عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن موسى كان رجلا حييا ستيرا، لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، وقالوا: ما يستتر **هذا الستر إلا** من عيب بجلده؛ إما برص، وإما أدرة (٦)، وإما آفة. وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا، وإن موسى - عليه السلام - خلا يوما وحده، فوضع ثيابه على حجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه، وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر. حتى انتهى إلى ملأ من بني

---

(١) تفسير البغوي ٦/ ٣٧٨.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ٣/ ٥٠٩.
(٣) تفسير يحيى بن سلام ٢/ ٧٤٠ - ٧٤١.
(٤) عزاه السيوطي إلى ابن مردويه.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان ٣/ ٥١٠.
(٦) الأدرة: عظم الخصيتين. غريب الحديث لابن الجوزي ١/ ١٥.." (١)
"ج ١٩ (ص: ٨١)
٦٦٦٦١ - قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم -من طريق ابن وهب- في قوله: ﴿الصافنات الجياد﴾، قال: الخيل، أخرجها الشيطان لسليمان من مرج من مروج البحر. قال: الخيل والبغال والحمير تصفن، والصفن: أن تقوم على ثلاث، وترفع رجلا واحدة، حتى يكون طرف الحافر على الأرض ﴿الصافنات﴾ الخيل، وكانت لها أجنحة، وأما ﴿الجياد﴾ فإنها السراع، واحدها: جواد (١). (ز)

٦٦٦٦٢ - عن سفيان بن عيينة -من طريق ابن أبي عمر- في قوله: ﴿الصافنات الجياد﴾: هي الخيل. والصافن: الفرس إذا قام على ثلاث قوائم، ورفع واحدة، فهو صفونه (٢). (ز)

---

(١) موسوعة التفسير المأثور، ١٤٣/١٨

آثار متعلقة بالآية:

٦٦٦٦٣ - عن عائشة، قالت: قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من غزوة تبوك أو خيبر، وفي سهوتها (٣) ستر، فهبت الريح، فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب، فقال: «ما هذا، يا عائشة؟». قالت: بناتي. ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع (٤)، فقال: «ما هذا الذي أرى وسطهن؟». قالت: فرس. قال: «وما هذا الذي عليه؟». قالت: جناحان. قال: «فرس له جناحان!». قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة؟! فضحك حتى رأيت نواجذه (٥). (١٢/ ٥٦٩)

٦٦٦٦٤ - عن عوف، قال: بلغني: أن الخيل التي عقر سليمان كانت خيلا ذوات أجنحة، أخرجت له من البحر، لم تكن لأحد قبله ولا بعده (٦). (١٢/ ٥٦٨)

(١) أخرجه ابن جرير ٢٠/ ٨٢ - ٨٣.

(٢) أخرجه إسحاق البستي ص ٢٤٤.

(٣) السهوة: بيت صغير منحدر في الأرض قليلا، شبيه بالمخدع والخزانة، وقيل: هو كالصفة تكون بين يدي البيت. وقيل: شبيه بالرف أو الطاق يوضع فيه الشيء. النهاية (سها).

(٤) الرقاع: جمع رقعة، وهي القطعة من الورق أو الجلد. اللسان (رقع).

(٥) أخرجه أبو داود ٧/ ٢٩٢ (٤٩٣٢) واللفظ له، وابن حبان ١٣/ ١٧٤ - ١٧٥ (٥٨٦٤)، من طريق يحيى بن أيوب، قال: حدثنى عمارة بن غزية، أن محمد بن إبراهيم حدثه، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن عائشة به.

إسناده صحيح.

(٦) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.." (١)

"ج ٢ (ص: ٤٧٠)

٢٤٤٧ - عن عثمان بن عفان -من طريق إسماعيل بن أبي خالد- قال: من عمل عملا كساه الله رداءه، وإن خيرا فخير، وإن شرا فشر (١). (١/ ٤١٦)

(١) موسوعة التفسير المأثور، ٨١/١٩

٢٤٤٨ - عن سعيد بن المسيب -من طريق عبد الله بن عبد الرحمن المعمري- قال: الناس يعملون أعمالهم من تحت كنف (٢) الله، فإذا أراد الله بعبد فضيحة أخرجه من تحت كنفه فبدت عورته (٣). (١/ ٤١٨)

٢٤٤٩ - عن إبراهيم [النخعي] -من طريق حماد- قال: لو أن عبدا اكتتم بالعبادة كما يكتتم بالفجور لأظهر الله ذلك منه (٤). (١/ ٤١٨)

٢٤٥٠ - عن المسيب بن رافع -من طريق صدقة بن رستم- قال: ما عمل رجل حسنة في سبعة أبيات إلا أظهرها الله، وما عمل رجل سيئة في سبعة أبيات إلا أظهرها الله، وتصديق ذلك كتاب الله: ﴿والله مخرج ما كنتم تكتمون﴾ (٥). (١/ ٤١٥)

٢٤٥١ - عن ثابت [البناني]، قال: كان يقال: لو أن ابن آدم عمل بالخير في سبعين بيتا لكساه الله تعالى رداء عمله حتى يعرف به (٦). (١/ ٤١٧)

﴿فقلنا اضربوه ببعضها﴾

٢٤٥٢ - عن عبد الله بن عباس -من طريق عكرمة- في قوله: ﴿فقلنا اضربوه ببعضها﴾، قال: ضرب بالعظم الذي يلي الغضروف (٧). (١/ ٤١٨)

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٧/ ٢١١ (٣٥٤١٩، ٣٥٤٢٠)، وابن المبارك في كتاب الزهد ١/ ٤٧٩ (٧٧٧)، وابن جرير ١٥/ ٦٤٤.
قال البيهقي في الشعب ٩/ ٢٠٨ (٦٥٤٢): «هذا هو الصحيح موقوفا على عثمان، وقد رفعه بعض الضعفاء». وقال البوصيري في إتحاف الخيرة ٧/ ٣٨٥ (٧١٣٩): «رواه مسدد، ورواته ثقات».
(٢) الكنف: الستر، ومنه سمي الكنيف؛ كأنه ستر في أستر النواحي. العين (كنف).
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب التوبة ص ٨١ (٧٨)، والبيهقي في الشعب ٩/ ٣٨٢ (٦٣٢٣).
(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٧/ ٢٠٧ (٣٥٣٨٧)، وأبو نعيم في الحلية ٤/ ٢٢٨.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ١/ ١٤٤، والبيهقي في شعب الإيمان (٦٩٤٥).

(٦) أخرجه البيهقي في الشعب ٩/ ٢١٠ ، ٦٥٤٥).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم ١/ ١٤٥. وعزاه السيوطي إلى وكيع، والفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر.." (١)

"ج ٢٠ (ص: ١٢٥)

فأشهد أنك رسول الله؛ لعلهم يسلمون. فأرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى النفر، فدعاهم، وخبأه في بيته، فقال لهم: «ما عبد الله بن سلام فيكم؟ وما كان والده؟». قالوا: سيدنا وابن سيدنا، وعالمنا وابن عالمنا. قال: «أرأيتم إن أسلم أتسلمون؟». قالوا: إنه لا يسلم. فخرج عليهم، فقال: أشهد أنك رسول الله، وإنهم ليعلمون منك مثل ما أعلم. فخرجوا من عنده؛ فأنزل الله في ذلك: ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله﴾ الآية (١). (١٣/ ٣٢٠)

٧٠٤٦٣ - قال الحسن البصري: يعني بالشاهد: عبد الله بن سلام، ﴿فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ (٢). (ز)

٧٠٤٦٤ - عن محمد بن سيرين، قال: كانوا يرون أن هذه الآية نزلت في عبد الله بن سلام: ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله﴾. قال: والسورة مكية، والآية مدنية. قال: وكانت الآية تنزل فيؤمر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يضعها بـين آيتي كذا وكذا في سورة كذا، وإن هذه منهن (٣). (١٣/ ٣١٩)

٧٠٤٦٥ - عن قتادة بن دعامة -من طريق سعيد- ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله﴾ الآية: كنا نحدث أنه عبد الله بن سلام؛ آمن بكتاب الله وبرسوله وبالإسلام، وكان من أحبار اليهود (٤). (ز)

٧٠٤٦٦ - قال مقاتل بن سليمان: ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به﴾، وذلك أن خمسين رجلا من اليهود أتوا النبي - صلى الله عليه وسلم -، وعنده عبد الله بن سلام من **وراء الستر لا** يرونه، قد آمن بالنبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لليهود: «ألستم تعلمون أن عبد الله بن سلام سيدكم وأعلمكم؟». قالوا: بلى، ومنه نقتبس، وإنا لا نؤمن بك حتى يتبعك عبد الله بن سلام. وعبد الله بن سلام يسمع، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «أرأيتم إن اتبعني عبد الله بن سلام وآمن

---

(١) موسوعة التفسير المأثور، ٤٦٩/٢

بي أفتؤمنون بي؟». فقال بعضهم: نعم. قال النبي - صلى اللہ عليه وسلم -: «فمن أعلمكم بعد عبد الله بن سلام؟». فقالوا: سلام بن صوريا الأعور. فأرسل إليه

---

(١) أخرجه ابن جرير ٢١/ ١٢٩ - ١٣٠ بنحوه، وابن عساكر ٢٩/ ١١٤. وعزاه السيوطي إلى ابن سعد، وعبد بن حميد.

(٢) ذكره يحيى بن سلام -

كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٢٢٣ - .

(٣) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر. وأخرج إسحاق البستي ص ٣٤٢ نحوه من طريق ابن عون، إجابة على قول الشعبي السابق.

(٤) أخرجه ابن جرير ٢١/ ١٢٨.." (١)

"ج ٢٠ (ص: ١٢٦)

النبي - صلى الله عليه وسلم -، فأتاه، فقال: «أنت أعلم اليهود؟». فقال: عبد الله أعلم مني. قال: «فمن أعلم اليهود بعد عبد الله؟». فسكت، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «أنت أعلم اليهود بعد عبد الله». قال: كذلك يزعمون. قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «فإني أدعوكم إلى الله، وإلى عبادته ودينه». قالوا: لن نتبعك وندع دين موسى. فخرج عبد الله بن سلام من الستر، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «هذا عبد الله قد آمن بي». فجادلهم عبد الله بن سلام مليا، فجعل يخبرهم ببعث النبي - صلى الله عليه وسلم - وصفته في التوراة، فقال ابن صوريا: إن عبد الله بن سلام شيخ كبير قد ذهب عقله، ما يتكلم إلا بما يجيء على لسانه. فذلك قوله: ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل﴾ يعني: عبد الله بن سلام ﴿على مثله﴾ يعني: على مثل ما شهد عليه يامين بن يامين، كان أسلم قبل عبد الله بن سلام، وكان يامين من بني إسرائيل من أهل التوراة، ﴿فآمن﴾ بالنبي - صلى الله عليه وسلم -، يقول: ﴿فآمن واستكبرتم﴾ يقول: صدق ابن سلام بالنبي - صلى الله عليه وسلم -، واستكبرتم أنتم عن الهدى وعن الإيمان، يعني: اليهود، ﴿إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ يعني: اليهود إلى الحجة (١). (ز)

---

(١) موسوعة التفسير المأثور، ١٢٥/٢٠

٧٠٤٦٧ – عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم -من طريق ابن وهب- في قوله: ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم﴾، قال: هذا عبد الله بن سلام، شهد أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكتابه حق، وهو في التوراة حق، فآمن واستكبرتم (٢). (ز)

٧٠٤٦٨ – عن مالك بن أنس =

٧٠٤٦٩ – وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: أن الذين قال الله: ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله﴾، قال: هو عبد الله بن سلام (٣) [٥٩٦٨]. (ز)

[٥٩٦٨] اختلف في المراد بالشاهد، وبحسب هذا اختلف في مكية السورة ومدنيتها على أقوال: الأول: أن الآية مدنية، والشاهد عبد الله بن سلام. وقوله: ﴿على مثله﴾ الضمير فيه عائد على قول محمد – صلى الله عليه وسلم – في القرآن: إنه من عند الله. الثاني: أنه رجل من بني إسرائيل غير عبد الله بن سلام كان بمكة، والآية مكية. الثالث: الآية مكية، والشاهد عبد الله بن سلام. الرابع: أن الشاهد موسى بن عمران، والآية مكية.

وعلق ابن عطية (٧/ ٧١٥) على القول الأخير الذي قاله مسروق، والشعبي، بقوله: «قوله تعالى: ﴿على مثله﴾ يريد بالمثل: التوراة، والضمير عائد -على هذا التأويل- على القرآن، أي: جاء شاهد من بني إسرائيل بمثله، وشهد أنه من عند الله تعالى».

ورجح ابن جرير (٢١/ ١٣١) أن الشاهد عبد الله بن سلام مستندا إلى أقوال السلف، وأحوال النزول، كما قوى القول الأخير من جهة السياق، فقال: «لأن قوله: ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله﴾ في سياق توبيخ الله -تعالى ذكره- مشركي قريش، واحتجاجا عليهم لنبيه – صلى الله عليه وسلم –، وهذه الآية نظيرة سائر الآيات قبلها، ولم يجر لأهل الكتاب ولا لليهود قبل ذلك ذكر فتوجه هذه الآية إلى أنها فيهم نزلت، ولا دل على انصراف الكلام عن قصص الذين تقدم الخبر عنهم معنى». ثم قال: «غير أن الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بأن ذلك عني به عبد الله بن سلام وعليه أكثر أهل التأويل، وهم كانوا أعلم بمعاني القرآن، والسبب الذي فيه نزل، وما أريد به».

ورجح ابن كثير (١٣/ ١١) -مستندا إلى أحوال النزول والنظائر- أن الشاهد اسم جنس يعم عبد الله بن سلام وغيره، ثم قال: «فإن هذه الآية مكية نزلت قبل إسلام عبد الله بن سلام، وهذه كقوله: ﴿وإذا يتلى

عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين﴾ [القصص: ٥٣]، وقال: ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا﴾ [الإسراء: ١٠٧ - ١٠٨]».

وساق ابن عطية (٥/ ٩٥ ط: دار الكتب العلمية) الأقوال، ثم علق بقوله: «قوله: ﴿فآمن﴾ -على هذا التأويل [يعني: قول مسروق]- يعني به: تصديق موسى بأمر محمد، وتبشيره به. فذلك إيمان به، وأما من قال: الشاهد عبد الله بن سلام، فإيمان بين، وكذلك إيمان الإسرائيلي الذي كان بمكة في قول من قاله».

ثم ذكر (٧/ ٦١٥) قولا بأن الفاعل بـ «آمن» هو محمد - صلى الله عليه وسلم -، وعلق عليه بقوله: «وهذا من القائلين بأن الشاهد هو موسى بن عمران - عليه السلام -».

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ١٧ - ١٨. وقوله: «على مثل ما شهد عليه يامين بن يامين ... » أخرجه إسحاق البستي ص ٣٤٤ من طريق نوح بن أبي مريم مختصرا بمسمى «أمين بن يامين». وعزاه الحافظ في الفتح ٧/ ١٣٠ إلى تفسير مقاتل كما ورد فيه.

(٢) أخرجه ابن جرير ٢١/ ١٣٠.

(٣) أخرجه عبد الله بن وهب في الجامع -تفسير القرآن ١/ ٥٤ (١١٩).." (١)

"ج ٢٠ (ص: ١٤٨)

عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا» (١). (ز)

٧٠٥٥٨ - عن ثوبان، قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا سافر كان آخر عهده بإنسان من أهله فاطمة، وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة، فقدم من غزاة له، فأتاها، فإذا بمسح على بابها، ورأى على الحسن والحسين قلبين (٢) من فضة، فرجع، ولم يدخل عليها، فلما رأت ذلك فاطمة ظنت أنه لم يدخل عليهما من أجل ما رأى، فهتكت الستر، ونزعت القلبين من الصبيين، فقطعتهما، فبكى الصبيان، فقسمته بينهما، فانطلقا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهما يبكيان، فأخذه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منهما، فقال: «يا ثوبان، اذهب بهذا إلى بني فلان -أهل بيت بالمدينة-، واشتر لفاطمة قلادة من عصب (٣) وسوارين من عاج؛ فإن هؤلاء أهل بيتي، ولا أحب أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم

---

(١) موسوعة التفسير المأثور، ١٢٦/٢٠

الدنيا» (٤). (١٣/ ٣٣٤)

٧٠٥٥٩ - عن ابن عمر: أن عمر رأى في يد جابر بن عبد الله درهما، فقال: ما هذا الدرهم؟ قال: أريد أن أشتري به لحما لأهلي، قرموا إليه (٥). فقال: أكلما اشتهيتم شيئا اشتريتموه؟! أين تذهب عنكم هذه الآية: ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾ (٦). (١٣/ ٣٣٠)

٧٠٥٦٠ - عن جابر بن عبد الله، قال: رآني عمر وأنا معلق لحما، فقال: يا جابر،

---

(١) أخرجه البخاري ٣/ ١٣٣ (٢٤٦٨)، ومسلم ٢/ ١١٠٥ - ١١٠٧ (١٤٧٩) كلاهما مطولا، والثعلبي ٩/ ١٤ - ١٥.

(٢) القلب: السوار. النهاية (قلب).

(٣) العصب -بفتح الصاد-: وهي أطناب مفاصل الحيوانات، وهو شيء مدور، فيحتمل أنهم كانوا يأخذون عصب بعض الحيوانات الطاهرة، فيقطعونه، ويجعلونه شبه الخرز، فإذا يبس يتخذون منه القلائد، وإذا جاز وأمكن أن يتخذ من عظام السلحفاة وغيرها الأسورة جاز، وأمكن أن يتخذ من عصب أشباهها خرر تنظم منه القلائد. النهاية (عصب).

(٤) أخرجه أحمد ٣٧/ ٤٦ (٢٢٣٦٣)، وأبو داود ٦/ ٢٧٣ - ٢٧٤ (٤٢١٣)، والثعلبي ٩/ ١٣ - ١٤، من طريق عبد الوارث بن سعيد، عن محمد بن جحادة، عن حميد الشامي، عن سليمان المنبهي، عن ثوبان به.

قال ابن القيسراني في ذخيرة الحفاظ ٣/ ١٧٤٨ (٣٩٥٦): «رواه حميد الشامي، عن سليمان المنبهي، عن ثوبان. وحميد هذا إنما أنكر عليه هذا الحديث، وهو حديثه، ولا أعلم له غيره. وسئل عنه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين فلم يعرفاه». وقال ابن الجوزي في العلل المتناهية ٢/ ٣١٥ (١٣٣٦): «هذا حديث لا يصح».

(٥) القرم -بالتحريك-: شدة الشهوة إلى اللحم. لسان العرب (قرم).

(٦) أخرجه الحاكم ٢/ ٤٥٥، والبيهقي في شعب الإيمان (٥٦٧٢). وعزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر.." (١)

"ج ٢٠ (ص: ٥٠٩)

٧٢٢١٢ - قال الحسن البصري: إذا أرخى الستر وأغلق الباب (١). (ز)

٧٢٢١٣ - قال مقاتل بن سليمان: ﴿من خشي الرحمن بالغيب﴾ فأطاعه ولم يره (٢). (ز)

٧٢٢١٤ - عن عبد الملك ابن جريج، في قوله: ﴿من خشي الرحمن بالغيب﴾، قال: يخشى، ولا يرى (٣). (١٣/ ٦٤٤)

﴿وجاء بقلب منيب (٣٣)﴾

٧٢٢١٥ - عن قتادة بن دعامة -من طريق سعيد- في قوله: ﴿وجاء بقلب منيب﴾، قال: منيب إلى الله، مقبل إليه (٤). (١٣/ ٦٤٤)

٧٢٢١٦ - قال مقاتل بن سليمان: ﴿وجاء﴾ في الآخرة ﴿بقلب منيب﴾ يعني: بقلب مخلص (٥). (ز)

٧٢٢١٧ - عن فيض بن إسحاق، قال: سألت الفضيل [بن عياض] عن قول الله - عز وجل -: ﴿من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب﴾، قال: المنيب: الذي يذكر ذنبه في الخلوة، فيستغفر منه (٦). (ز)

﴿ادخلوها بسلام﴾

٧٢٢١٨ - عن قتادة بن دعامة -من طريق سعيد- في قوله: ﴿ادخلوها بسلام﴾، قال: سلموا من عذاب الله، وسلم الله عليهم (٧). (١٣/ ٦٤٤)

٧٢٢١٩ - قال إسماعيل السدي: ﴿ادخلوها بسلام﴾ تقوله لهم الملائكة (٨). (ز)

---

(١) موسوعة التفسير المأثور، ١٤٨/٢٠

٧٢٢٢٠ - قال مقاتل بن سليمان: ﴿ادخلوها﴾ يعني: الجنة ﴿بسلام﴾ يقول: فسلم الله

---

(١) تفسير الثعلبي ٩/ ١٠٥، وتفسير البغوي ٤/ ٢٧٦.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ١١٤.

(٣) عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٤) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٤٥٣. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ١١٤.

(٦) أخرجه الخرائطي في اعتلال القلوب ص ٣٦ (٥٩).

(٧) أخرجه ابن جرير ٢١/ ٤٥٣. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر. وأخرجه عبد الرزاق ٢/ ٢٣٩ من طريق معمر في تفسير قوله تعالى: ﴿ادخلوها بسلام آمنين﴾ [الحجر: ٤٦].

(٨) ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٤/ ٢٧٥ - .." (١)

"ج ٢٠ (ص: ٦٩٥)

٧٣٢٢٤ - عن قتادة بن دعامة، قال: ذكر لنا: أن القاب فضيل طرف القوس على الوتر (١). (١٤/ ١٧)

٧٣٢٢٥ - عن أبي إسحاق الهمداني -من طريق عمرو بن ثابت- قال: هو ظفر القوس (٢) (٣). (ز)

٧٣٢٢٦ - قال مقاتل بن سليمان: ﴿فكان﴾ منه ﴿قاب قوسين﴾ يعني: قدر ما بين طرفي القوس من قسي العرب، ﴿أو أدنى﴾ يعني: بل أدنى أو أقرب من ذلك (٤) [٦٢٦٩]. (ز)

٧٣٢٢٧ - عن سفيان بن عيينة -من طريق ابن أبي عمر- في قوله: ﴿فكان قاب قوسين﴾، قال: ما بين وتر القوس إلى كبدها (٥). (ز)

﴿فأوحى إلى عبده ما أوحى (١٠)﴾

٧٣٢٢٨ - عن أنس، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «رأيت النور الأعظم، ولط (٦) دوني بحجاب رفرفه الدر والياقوت، فأوحى الله إلي ما شاء أن يوحي» (٧). (١٤/ ١٧)

---

(١) موسوعة التفسير المأثور، ٥٠٨/٢٠

[٦٢٦٩] ذكر ابن القيم (٣/ ٦٩) أن معنى: ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ أي: «بأنه قدر قوسين أو أدنى من ذلك، وليس هذا على وجه الشك، بل تحقيق لقدر المسافة، وأنها لا تزيد عن قوسين ألبتة، كما قال تعالى: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ [الصافات: ١٤٧]، تحقيق لهذا العدد، وأنهم لا ينقصون عن مائة ألف رجل واحدا، ونظيره قوله: ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾ [البقرة: ٧٤]، أي: لا تنقص قسوتها عن قسوة الحجارة، بل إن لم تزد على قسوة الحجارة لم تكن دونها». ثم ذهب إليه بقوله: «وهذا المعنى أحسن وألطف وأدق من قول من جعل ﴿أو﴾ في هذه المواضع بمعنى: بل، ومن قول من جعلها للشك بالنسبة إلى الرأي، وقول من جعلها بمعنى: الواو. فتأمله».

---

(١) عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٢) ظفر القوس: هو ما وراء معقد الوتر إلى طرف القوس. لسان العرب (ظفر).

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه -التفسير ٧/ ٤٤١ (٢٠٧٣).

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ١٦٠.

(٥) أخرجه إسحاق البستي ص ٤٦٠.

(٦) اللط: الستر. لسان العرب (لطط).

(٧) أخرجه البزار في مسنده ١٤/ ١٠ (٧٣٨٩)، والطبراني في الأوسط ٦/ ٢١١ (٦٢١٤) كلاهما مطولا، من طريق الحارث بن عبيد، عن أبي عمران الجوني، عن أنس بن مالك به.

قال البزار: «وهذا الحديث لا نعلم رواه إلا أنس، ولا نعلم رواه عن أبي عمران إلا الحارث بن عبيد، وكان رجلا مشهورا من أهل البصرة». وقال أبو نعيم في الحلية ٢/ ٣١٦: «غريب، لم نكتبه إلا من حديث أبي عمران، عن أنس، تفرد به عنه الحارث بن عبيد أبو قدامة». وقال ابن كثير في تفسيره ٧/ ٤٤٥ معلقا على كلام البزار: «قلت: الحارث بن عبيد هذا هو أبو قدامة الإيادي، أخرج له مسلم في صحيحه، إلا أن ابن معين ضعفه، وقال: ليس هو بشيء. وقال الإمام أحمد: مضطرب الحديث. وقال أبو حاتم الرازي: كتب حديثه، ولا يحتج به. وقال ابن حبان: كثر وهمه؛ فلا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد. فهذا الحديث من غرائب رواياته، فإن فيه نكارة وغرابة ألفاظ وسياقا عجيبا، ولعله منام». وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء ١/ ٢٧٣: «إسناده جيد حسن، والحارث من رجال مسلم». وقال الهيثمي في المجمع ١/ ٧٥ (٢٣٨): «رجاله رجال الصحيح». وقال ابن حجر في الفتح ٧/ ١٩٨ عن إسناد البزار: «ورجاله لا بأس بهم، إلا

أن الدارقطني ذكر له علة تقتضي إرساله». وقال أيضا في الفتح ٨/ ٦٠٩ معلقا على كلام البزار: «قلت: وهو -الحارث بن عبيد- من رجال البخاري». وقال الألباني في الضعيفة ١١/ ٧٥٣ (٥٤٤٤): «ضعيف».." (١)

"ج ٢٢ (ص: ٤٧٨)

الكرسي، والكرسي جزء من سبعين جزءا من نور العرش، والعرش جزء من سبعين جزءا من نور الستر. قال عكرمة: انظروا ماذا أعطى الله عبده من النور في عينيه؛ أن نظر إلى وجه ربه الكريم عيانا (١). (١٥/ ١١٠)

٨٠١٩٦ - عن الحسن البصري -من طريق المبارك- ﴿إلى ربها ناظرة﴾، قال: تنظر إلى الخالق (٢). (١٥/ ١١٠)

٨٠١٩٧ - عن أبي صالح باذام -من طريق إسماعيل بن أبي خالد- في قوله: ﴿إلى ربها ناظرة﴾، قال: تنتظر الثواب من ربها (٣). (١٥/ ١٣٣)

٨٠١٩٨ - عن عطية بن سعد العوفي -من طريق أبي عرفجة- في قوله: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾، قال: هم ينظرون إلى الله، لا تحيط أبصارهم به من عظمته، وبصره محيط بهم، فذلك قوله: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾ [الأنعام: ١٠٣] (٤). (ز)

٨٠١٩٩ - قال مقاتل بن سليمان: ﴿إلى ربها ناظرة﴾ يعني: ينظرون إلى الله تعالى معاينة (٥). (ز)

٨٠٢٠٠ - عن معمر بن راشد -من طريق عبد الرزاق- في قول الله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾، قال: تنظر في وجه الرحمن - عز وجل - (٦). (ز)

٨٠٢٠١ - عن أبي حفص، يقول: سمعت مالك بن أنس يقول: ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾: قوم يقولون: إلى ثوابه. قال مالك: كذبوا، فأين هم عن قول الله تعالى: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ

---

(١) موسوعة التفسير المأثور، ٢٠/٦٩١

لمحجوبون﴾ [المطففين: ١٥] (٧) [٦٩١٥]. (ز)

[٦٩١٥] اختلف في المراد بقوله: ﴿إلى ربها ناظرة﴾ على قولين: الأول: أنها تنظر إلى ربها. الثاني: أنها تنتظر الثواب من ربها.

ورجح ابن جرير (٢٣/ ٥٠٩ - ٥١٠) -مستندا إلى السنة- القول الأول الذي قاله ابن عباس، والضحاك، وعكرمة، والحسن، وعطية العوفي، ومقاتل، ومعمر، ومالك بن أنس، فقال: «وأولى القولين في ذلك عندنا بالصواب القول الذي ذكرناه عن الحسن، وعكرمة، من أن معنى ذلك: تنظر إلى خالقها، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -». وساق الحديث الوارد عن ابن عمر في تفسير الآية.

وذكر ابن عطية (٨/ ٤٧٨) أن القول الأول قول جميع أهل السنة.

وبنحوه قال ابن القيم (٣/ ٢٣١).

وعلق ابن كثير (١٤/ ١٩٩) على هذا القول بقوله: «وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام وهداة الأنام».

ووجه ابن عطية (٨/ ٤٧٩) القول الثاني الذي قاله مجاهد، وأبو صالح، بقوله: «وهذا وجه سائغ في العربية كما تقول: فلان ناظر إليك في كذا، أي: إلى صنعك في كذا». ثم قال: «والرؤية إنما يثبتها بأدلة قطعية غير هذه الآية، فإذا ثبتت حسن تأويل أهل السنة في هذه الآية وقوي».

وانتقده ابن كثير مستندا للقرآن والسنة، فقال: «ومن تأول ذلك بأن المراد مفرد الآلاء، وهي النعم فقد أبعد هذا القائل النجعة، وأبطل فيما ذهب إليه. وأين هو من قوله تعالى: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ [المطففين: ١٥]، قال الشافعي؟: ما حجب الفجار إلا وقد علم أن الأبرار يرونه - عز وجل -. ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما دل عليه سياق الآية الكريمة، وهي قوله: ﴿إلى ربها ناظرة﴾». وذكر أن بعض المعتزلة ذهبوا في هذه الآية إلى أن قوله: ﴿إلى﴾ ليست بحرف الجر، وإنما هي «إلى» واحدة الآلاء، وعلق عليه بقوله: «فكأنه قال: نعمة ربها منتظرة أو ناظرة، من النظر بالعين، ويقال: نظرتك، بمعنى: انتظرتك».

وانتقده ابن القيم (٣/ ٢٣٢) مستندا للغة، فقال: «يستحيل فيها تأويل النظر بانتظار الثواب؛ فإنه أضاف النظر إلى الوجوه التي هي محله، وعداه بحرف إلى التي إذا اتصل بها فعل النظر كان من نظر العين ليس إلا».

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٨٠٣). وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٢) أخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٦٨٧ - ، وابن جرير ٢٣/ ٥٠٧.
(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ٥٤٤، وابن جرير ٢٣/ ٥٠٩ بنحوه.
(٤) أخرجه ابن جرير ٢٣/ ٥٠٧.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٥١٣.
(٦) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٨/ ٥٧٧.
(٧) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٦/ ٣٢٦.." (١)
"ج ٤ (ص: ٢٠٦)

٨٧٤٢ - عن ابن عمر، قال: سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الرجل يطلق امرأته ثلاثا، فيتزوجها آخر، فيغلق الباب، ويرخي الستر، ثم يطلقها قبل أن يدخل بها، فهل تحل للأول؟ قال: «لا، حتى تذوق العسيلة». وفي لفظ: «حتى يجامعها الآخر» (١). (٢/ ٦٩٢)

٨٧٤٣ - عن أنس: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سئل عن رجل كانت تحته امرأة، فطلقها ثلاثا، فتزوجت بعده رجلا، فطلقها قبل أن يدخل بها، أتحل لزوجها الأول؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لا، حتى يكون الآخر قد ذاق من عسيلتها، وذاقت من عسيلته» (٢). (٢/ ٦٩٣)

٨٧٤٤ - عن ابن عباس، قال: سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: «لا، إلا نكاح رغبة، لا نكاح دلسة، ولا استهزاء بكتاب الله، ثم يذوق عسيلتها» (٣). (٢/ ٦٩٤)

٨٧٤٥ - عن عمرو بن دينار، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، نحوه (٤). (٢/ ٦٩٥)

٨٧٤٦ - عن عائشة، قالت: جاءت امرأة رفاعة القرظي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقالت: إني كنت عند رفاعة، فطلقني، فبت طلاقي، فتزوجني عبد الرحمن بن الزبير، وما معه إلا مثل هدبة الثوب. فتبسم النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال: «أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة؟ لا، حتى تذوقي عسيلته، ويذوق عسيلتك» (٥). (٢/ ٦٩٠)

---

(١) موسوعة التفسير المأثور، ٤٧٨/٢٢

٨٧٤٧ - عن عبد الرحمن بن الزبير -من طريق ابنه الزبير بن عبد الرحمن-: أن

---

(١) أخرجه أحمد ٩/ ٤٠٦ (٥٥٧١)، والنسائي ٦/ ١٤٨ - ١٤٩ (٣٤١٤، ٣٤١٥)، وابن ماجه ٣/ ١١٦ (١٩٣٣)، وابن جرير ٤/ ١٧٣ - ١٧٤.

(٢) أخرجه أحمد ٢١/ ٤٢٢ (١٤٠٢٤)، وابن جرير ٤/ ١٧٣.

قال البوصيري في إتحاف الخيرة ٤/ ١٥١ - ١٥٢ (٣٣٢٠): «إسناد ضعيف؛ لضعف محمد بن دينار».

وقال الألباني في الإرواء ٦/ ٣٠٠: «وهو صدوق سيء الحفظ، وبقية رجال الإسناد ثقات، رجال مسلم؛ فهو سند لا بأس به في الشواهد».

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير ١١/ ٢٢٦ (١١٥٦٧)، وأبو إسحاق الجوزجاني -كما في تفسير ابن كثير ١/ ٦٢٧ - واللفظ له.

قال ابن حزم في المحلى ٩/ ٤٣٤: «حديث موضوع». وقال ابن كثير في تفسيره ١/ ٦٢٨: «يتقوى بمرسل عمرو بن دينار».

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٤/ ٢٩٥.

(٥) أخرجه البخاري ٣/ ١٦٨ (٢٦٣٩)، ٧/ ٤٢ - ٤٣ (٥٢٦٠)، ٧/ ١٤٢ (٥٧٩٢)، ٨/ ٢٢ - ٢٣ (٦٠٨٤)، ومسلم ٢/ ١٠٥٥ - ١٠٥٦ (١٤٣٣)، وابن جرير ٤/ ١٧٠، ١٧١.." [١]

"وقال ابن عباس: ولو ألقى ثيابه، [فأخرى] ستوره.

أي: ولو خلا بنفسه، **والمعذار: الستر بلغة** اليمن.

(إن علينا جمعه)

أي: في صدرك، (و) إعادة (قرآنه) عليك أي: قراءته، حتى تحفظ وتضبط، ثم إنا نبين لك معانيه إذا حفظته.

(ناضرة)

حسنة مستبشرة.

---

(١) موسوعة التفسير المأثور، ٤/٢٠٦

(فاقرة)

داهية تكسر الفقار.

(من راق)

أي: تقول الملائكة من يرقى بروحه أملائكة الرحمة أم العذاب.." (١)

"مسألة: إن قال قائل كيف قرأ حمزة: عليهم وإليهم ولديهم، ولم يقرأ من ربهم ولا فيهم ولا جنتيهم؟ فالجواب أن عليهم وإليهم ولديهم الياء فيه منقلبة من ألف، والأصل علاهم ولداهم وإلاهم فأقرت الهاء على ضمتها، وليس ذلك في فيهم ولا من ربهم ولا جنتيهم، ووافقه الكسائي في" عليهم الذلة" و" إليهم اثنين" على ما هو معروف من القراءة عنهما.

[سورة البقرة (٢): آية ٦]

إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (٦)

بيان حال الكافرين ومآلهم ومعنى الكفر

لما ذكر المؤمنين وأحوالهم ذكر الكافرين ومآلهم. والكفر ضد الإيمان وهو المراد في الآية. وقد يكون بمعنى جحود النعمة والإحسان، ومنه قوله عليه السلام في النساء في حديث الكسوف: (ورأيت النار فلم أر منظرا كاليوم قط أفظع ورأيت أكثر أهلها النساء) قيل: بم يا رسول الله؟ قال: (بكفرهن)، قيل أيكفرن بالله؟ قال: (يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط) أخرجه البخاري وغيره. وأصل الكفر في كلام **العرب: الستر والتغطية**، ومنه قول الشاعر:

في ليلة كفر النجوم غمامها

أي سترها. ومنه سمي الليل كافرا، لأنه يغطي كل شي بسواده، قال الشاعر: «١»

فتذكرا ثقلا رثيدا بعد ما ... ألقت ذكاء يمينها في كافر

ذكاء (بضم الذال والمد): اسم للشمس، ومنه قول الآخر:

---

(١) باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، النيسابوري، بيان الحق ١٥٩٢/٣

فوردت قبل انبلاج الفجر ... وابن ذكاء كامن في كفر

أي في ليل. والكافر أيضا: البحر والنهر العظيم. والكافر: الزارع، والجمع كفار، قال الله تعالى:"كمثل غيث أعجب الكفار نباته «٢» " [الحديد: ٢٠]. يعني الزراع لأنهم يغطون الحب. ورماد

---

(١). هو ثعلبة بن صعير المازني، يصف الظليم والنعامة ورواحهما إلى بيضهما عند غروب الشمس. والثقل (بالتحريك) هنا: بيض النعام المصون. والرشيد: المنضد بعضه فوق بعض أو إلى جنب بعض. وألقت يمينها في كافر: أي بدأت في المغيب. اللسان مادة (كفر).

(٢). راجع ج ١٧ ص ٢٥٥." (١)

"الرابعة- إن قيل: لم قال" عليه" لم يقل عليهما وحواء مشاركة له في الذنب بإجماع وقد قال:" ولا تقربا هذه الشجرة" [البقرة: ٣٥] و" قالا ربنا ظلمنا أنفسنا" [الأعراف: ٢٣] فالجواب: أن آدم عليه السلام لما خوطب في أول القصة بقوله:" اسكن" خصه بالذكر في التلقي فلذلك كملت القصة بذكره وحده. وأيضا فلأن المرأة حرمة ومستورة فأراد الله الستر لها ولذلك لم يذكرها في المعصية في قوله:" وعصى آدم ربه فغوى " [طه: ١٢١]. وأيضا لما كانت المرأة تابعة للرجل في غالب الأمر لم تذكر كما لم يذكر فتى موسى مع موسى في قوله:" ألم أقل لك" [الكهف: ٧٥]. وقيل: إنه دل بذكر التوبة عليه أنه تاب عليها إذ أمرهما سواء قاله الحسن. وقيل: إنه مثل قوله تعالى:" وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا «١» إليها" [الجمعة: ١١] أي التجارة لأنها كانت مقصود القوم فأعاد الضمير عليها ولم يقل إليهما والمعنى متقارب. وقال الشاعر: «٢»

رماني بأمر كنت منه ووالدي ... بريئا ومن فوق «٣» الطوي رماني

وفي التنزيل" والله ورسوله أحق أن يرضوه" «٤» [التوبة: ٦٢] فحذف إيجازا واختصارا الخامسة- قوله تعالى: (إنه هو التواب الرحيم) وصف نفسه سبحانه وتعالى بأنه التواب وتكرر في القرآن معرفا ومنكرا واسما وفعلا. وقد يطلق على العبد أيضا تواب قال الله تعالى:" إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين «٥» " [البقرة: ٢٢٢]. قال ابن العربي: ولعلمائنا في وصف الرب بأنه تواب ثلاثة أقوال أحدها: أنه يجوز في حق الرب سبحانه وتعالى فيدعى به كما في الكتاب والسنة ولا يتأول. وقال آخرون: هو وصف حقيقي لله

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١/١٨٣

سبحانه وتعالى وتوبة الله على العبد رجوعه من حال المعصية إلى حال الطاعة. وقال آخرون توبة الله على العبد قبول توبته وذلك يحتمل أن يرجع إلى قوله سبحانه وتعالى: قبلت توبتك وأن يرجع إلى خلقه الإنابة والرجوع في قلب المسيء وإجراء الطاعات على جوارحه الظاهرة

---

(١). راجع ج ١٨ ص ٩٠١.

(٢). هو عمرو بن أحمر الباهلي. [.....]

(٣). الذي في شرح شواهد سيبويه: (ومن أجل الطوي). والطوي: البئر المطوية بالحجارة. قال الشنتمري: (وصف في البيت رجلا كانت بينه وبينه مشاجرة في بئر فذكر أنه رماه بأمر يكرهه ورمى أباه بمثله على براءتهما منه من أجل المشاجرة التي كانت بينهما).

(٤). راجع ج ٨ ص ١٩٣.

(٥). راجع ج ٣ ص ٩١.." (١)

"" دعوها فإنها ملعونة" فأزال ملكها عنها تأديبا لصاحبتها، وعقوبة لها فيما دعت عليه بما دعت به. وقد أراق عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبنا شيب بماء على صاحبه. الثالثة- ما ذكرنا من تفسير الآية ينظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم:" والله لينزلن عيسى بن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص «١» فلا يسعى عليها" الحديث. خرجه الصحيحان. ومن هذا الباب هتك النبي صلى الله عليه وسلم الستر الذي فيه الصور، وذلك أيضا دليل على إفساد الصور وآلات الملاهي كما ذكرنا. وهذا كله يحظر المنع من اتخاذها ويوجب التغيير على صاحبها. إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم، وحسبك! وسيأتي هذا المعنى في" النمل، «٢» " إن شاء الله تعالى. قوله تعالى: وقل جاء الحق أي الإسلام. وقيل: القرآن، قال مجاهد. وقيل: الجهاد. (وزهق الباطل) قيل الشرك. وقيل الشيطان، قاله مجاهد. والصواب تعميم اللفظ بالغاية الممكنة، فيكون التفسير جاء الشرع بجميع ما انطوى فيه." وزهق الباطل": بطل الباطل. ومن هذا زهوق النفس وهو بطلانها. يقال زهقت نفسه تزهق زهوقا، وأزهقتها. (إن الباطل كان زهوقا) أي لا بقاء له والحق الذي يثبت.

[سورة الإسراء (١٧): آية ٨٢]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١/٣٢٥

ونتزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا (٨٢)
فيه سبع مسائل: الاولى- قوله تعالى: (وننزل) قرأ الجمهور بالنون. وقرأ مجاهد" وينزل" بالياء خفيفة «٣»، ورواها المروزي عن حفص. و" من" لابتداء الغاية، ويصح أن تكون لبيان الجنس، كأنه قال: وننزل ما فيه شفاء من القرآن. وفي الخبر" من لم يستشف بالقرآن

---

(١). القلاص (بكسر القاف وجمع القلوص بفتحها) وهى الناقة الشابة.
(٢). راجع ج ١٣ ص ٢٢١.
(٣). كذا في الأصول. ولعل: وننون خفيفة.." (١)

"أن يكون الأمر به استحبابا ليحرز فضيلة الوقت في القضاء. والصحيح ترك العمل لقوله عليه السلام: (أينهاكم الله عن الربا ويقبله منكم) ولأن الطرق الصحاح من حديث عمران بن حصين ليس فيها من تلك الزيادة شي، إلا ما ذكر من حديث أبي قتادة وهو محتمل كما بيناه. قلت: ذكر الكيا الطبري في [أحكام القرآن] له أن من السلف من خالف قوله عليه الصلاة والسلام: (من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك) فقال: يصبر إلى مثل وقته فليصل، فإذا فات الصبح فليصل من الغد. وهذا قول بعيد شاذ. قوله تعالى: (إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى) ٢٠: ١٥ آية مشكلة، فروي عن سعيد بن جبير أنه قرأ" أكاد أخفيها ٢٠: ١٥" بفتح الهمزة، قال: أظهرها." لتجزى " أي الإظهار للجزاء، رواه أبو عبيد عن الكسائي عن محمد بن سهل عن وقاء بن إياس عن سعيد ابن جبير. وقال النحاس: وليس لهذه الرواية طريق غير هذا. قلت: وكذا رواه أبو بكر الأنباري في كتاب الرد، حدثني أبي حدثنا محمد بن الجهم حدثنا الفراء حدثنا الكسائي، ح- وحدثنا عبد الله بن ناجية، حدثنا يوسف حدثنا يحيى الحماني حدثنا محمد بن سهل. قال النحاس، وأجود من هذا الإسناد ما رواه يحيى القطان عن الثوري عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير أنه قرأ:" أكاد أخفيها ٢٠: ١٥" بضم الهمزة. قلت: وأما قراءة ابن جبير" أخفيها" بفتح الهمزة بالإسناد المذكور فقال أبو بكر الأنباري قال الفراء: معناه أظهرها من خفيت الشيء أخفيه إذ أظهرته. وأنشد الفراء لامرئ القيس:
فإن تدفنوا الداء لا نخفه ... وإن تبعثوا الحرب لا نقعد
أراد لا نظهره، وقد قال بعض اللغويين: يجوز أن يكون" أخفيها ٢٠: ١٥" بضم الهمزة معناه أظهرها لأنه

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣١٥/١٠

يقال: خفيت الشيء وأخفيته إذا أظهرته، فأخفيته من حروف الأضداد يقع **على الستر والإظهار**. وقال أبو عبيدة: خفيت وأخفيت بمعنى واحد، النحاس: وهذا حسن، وقد." (١)

"الترمذي وزاد: قالوا ومن هي يا رسول الله؟ قال: (ما أنا عليه وأصحابي) خرجه من حديث عبد الله بن عمرو. وهذا يبين أن الافتراق المحذر منه في الآية والحديث إنما هو في أصول الدين وقواعده، لأنه قد أطلق عليها مللا، وأخبر أن التمسك بشيء من تلك الملل موجب لدخول النار. ومثل هذا لا يقال في الفروع، فإنه لا يوجب تعديد الملل ولا عذاب النار، قال الله تعالى:" لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا «١» " [المائدة: ٤٨]. قوله تعالى: (زبرا) يعني كتبا وضعوها وضلالات ألفوها، قاله ابن زيد. وقيل: إنهم فرقوا الكتب فاتبعت فرقة الصحف وفرقة التوراة وفرقة الزبور وفرقة الإنجيل، ثم حرف الكل وبدل، قاله قتادة. وقيل: أخذ كل فريق منهم كتابا آمن به وكفر بما سواه. و" زبرا" بضم الباء قراءة نافع، جمع زبور. والأعمش وأبو عمرو بخلاف عنه" زبرا" بفتح الباء، أي قطعا كقطع الحديد، كقوله تعالى:" آتوني زبر الحديد «٢» " [الكهف: ٩٦]. (كل حزب) أي فريق وملة. (بما لديهم) أي عندهم من الدين. (فرحون) أي معجبون به. وهذه الآية مثال لقريش خاطب محمدا صلى الله عليه وسلم في شأنهم متصلا بقوله:" فذرهم في غمرتهم" أي فذر هؤلاء الذين هم بمنزلة من تقدم، ولا يضيق صدرك بتأخير العذاب عنهم، فلكل شي وقت. والغمرة في اللغة ما يغمرك ويعلوك، وأصله الستر، ومنه الغمر الحقد لأنه يغطي القلب. والغمر الماء الكثير لأنه يغطي الأرض. وغمر الرداء الذي يشمل الناس بالعطاء، قال:

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا ... غلقت لضحكته رقاب المال

المراد هنا الحيرة والغفلة والضلالة. ودخل فلان في غمار الناس، أي في زحمتهم. وقوله تعالى: (حتى حين) قال مجاهد: حتى الموت، فهو تهديد لا توقيت، كما يقال: سيأتي لك يوم.

[سورة المؤمنون (٢٣): الآيات ٥٥ الى ٥٦]

أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين (٥٥) نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون (٥٦)

____

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٨٢/١١

(١). راجع ج ٦ ص ٢١٠.

(٢). راجع ج ١١ ص ٦٠.." (١)

"و" مبرؤن" يعني منزهين «١» مما رموا به. قال بعض أهل التحقيق: إن يوسف عليه السلام لما رمي بالفاحشة برأه الله على لسان صبي في المهد، وإن مريم لما رميت بالفاحشة برأها الله على لسان ابنها عيسى صلوات الله عليه، وإن عائشة لما رميت بالفاحشة برأها الله تعالى بالقرآن، فما رضي لها ببراءة صبي ولا نبي حتى برأها الله بكلامه من القذف والبهتان. وروي عن علي بن زيد بن جدعان عن جدته عن عائشة رضي الله عنها [أنها «٢»] قالت: لقد أعطيت تسعا ما أعطيتهن امرأة: لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتي في راحته حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوجني، ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري، ولقد توفي صلى الله عليه وسلم وإن رأسه لفي حجري، ولقد قبر في بيتي، ولقد حفت الملائكة بيتي، وإن كان الوحي لينزل عليه وهو في أهله فينصرفون «٣» عنه، وإن كان لينزل عليه وأنا معه في لحافه فما يبينني عن جسده، وإني لابنة خليفته وصديقه، ولقد نزل عذري من السماء، ولقد خلقت طيبة وعند طيب «٤»، ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما، تعني قوله تعالى:" لهم مغفرة ورزق كريم" وهو الجنة.

[سورة النور (٢٤): آية ٢٧]

يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون (٢٧)

فيه سبع عشرة مسألة: الأولى- قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا) لما خصص الله سبحانه ابن آدم الذي كرمه وفضله بالمنازل وسترهم فيها عن الأبصار، وملكهم الاستمتاع بها على الانفراد، وحجر على الخلق أن يطلعوا على ما فيها من خارج أو يلجوها من غير إذن أربابها، أدبهم بما يرجع **إلى الستر عليهم** لئلا يطلع أحد منهم على عورة. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من اطلع في بيت قوم من غير إذنهم حل لهم أن يفقئوا عينه). وقد اختلف في تأويله، فقال بعض العلماء: ليس هذا على ظاهره،

---

(١). في ك: يعنى منزهون.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٣٠/١٢

(٢). من ط وك.

(٣). فيتفرقون عليه.

(٤). في ك: لقد خلقت من طيبة عند طيب.." [1]

"وهي الفناتق، أي الفنادق، والزبون يدخل الدكان للابتياع، والحاقن يدخل الخلاء للحاجة، وكل يؤتى على وجهه من بابه. وأما قول ابن زيد والشعبي فقول «١»! وذلك أن بيوت القيساريات محظورة بأموال الناس، غير مباحة لكل من أراد دخولها بإجماع، ولا يدخلها إلا من أذن له ربها، بل أربابها موكلون بدفع الناس.

[سورة النور (٢٤): آية ٣٠]

قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون (٣٠)

فيه سبع مسائل: الأولى- قوله تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) ٣٠ وصل تعالى **بذكر الستر ما** يتعلق به من أمر النظر، يقال: غض بصره يغضه غضا، قال الشاعر:

فغض الطرف إنك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وقال عنترة.

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي ... حتى يواري جارتي مأواها

ولم يذكر الله تعالى ما يغض البصر عنه ويحفظ الفرج، غير أن ذلك معلوم بالعادة، وأن المراد منه المحرم دون المحلل. وفي البخاري:" وقال سعيد بن أبي الحسن للحسن إن نساء العجم يكشفن صدورهن ورءوسهن؟ قال: اصرف بصرك، يقول الله تعالى:" قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ٣٠" وقال قتادة: عما لا يحل لهم،" وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن" [النور: ٣١] خائنة الأعين [من «٢»] النظر إلى ما نهي عنه. الثانية- قوله تعالى: (من أبصارهم) ٣٠" من" زائدة، كقوله:" فما منكم من أحد عنه حاجزين «٣» " [الحاقة: ٤٧]. وقيل:" من" للتبعيض، لأن من النظر ما يباح. وقيل: الغض النقصان، يقال: غض فلان من فلان أي وضع منه، فالبصر إذا لم يمكن من عمله فهو موضوع منه ومنقوص. ف"- من" [من «٤»] صلة الغض، وليست للتبعيض ولا للزيادة.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢١٢/١٢

(١). في ط: فتقول.

(٢). زيادة عن صحيح البخاري.

(٣). راجع ج ١٨ ص ٢٧٦.

(٤). من ب وك.." (١)

"على كذا أي قهرته. والجمهور على سكون الواو من" عورات" لاستثقال الحركة على الواو. وروي عن ابن عباس «١» فتح الواو، مثل جفنة وجفنات. وحكى الفراء أنها لغة قيس" عورات" [بفتح «٢» [الواو. النحاس: وهذا هو القياس، لأنه ليس بنعت، كما تقول: جفنة وجفنات، إلا أن التسكين أجود في" عورات" وأشباهه، لأن الواو إذا تحركت وتحرك ما قبلها قلبت ألفا، فلو قيل هذا لذهب المعنى. الثامنة عشرة- اختلف العلماء في وجوب ستر ما سوى الوجه والكفين منه على قولين: أحدهما- لا يلزم، لأنه لا تكليف عليه، وهو الصحيح. والآخر- يلزمه، لأنه قد يشتهي وقد تشتهي أيضا هي، فإن راهق فحكمه حكم البالغ وجوب الستر. ومثله الشيخ الذي سقطت شهوته اختلف فيه أيضا على قولين كما في الصبي، والصحيح بقاء الحرمة، قاله ابن العربي. التاسعة عشرة- أجمع المسلمون على أن السوأتين عورة من الرجل والمرأة، وأن المرأة كلها عورة، إلا وجهه، ويديها فإنهم اختلفوا فيهما. وقال أكثر العلماء في الرجل: من سرته إلى ركبته عورة، لا يجوز أن ترى. وقد مضى في] الأعراف [القول في هذا مستوفى «٣». الموفية عشرين- قال أصحاب الرأي: عورة المرأة مع عبدها من السرة إلى الركبة. ابن العربي: وكأنهم ظنوها رجلا أو ظنوه امرأة، والله تعالى قد حرم المرأة على الإطلاق لنظر أو لذة، ثم استثنى اللذة للأزواج وملك اليمين، ثم استثنى الزينة لاثني عشر شخصا العبد منهم، فما لنا ولذلك! هذا نظر فاسد واجتهاد عن السداد متباعد. وقد تأول بعض الناس قوله:" أو ما ملكت أيمانهن" على الإماء دون العبيد، منهم سعيد بن المسيب، فكيف يحملون على العبيد ثم يلحقون بالنساء هذا بعيد جدا! [قال ابن العربي «٤»] وقد قيل: إن التقدير أو ما ملكت أيمانهن من غير أولي الإربة أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال، حكاه المهدوي. الحادية والعشرون- قوله تعالى: (ولا يضربن ب أرجلهن) الآية، أي لا تضرب المرأة برجلها إذا مشت لتسمع صوت خلخالها، فإسماع صوت الزينة كإبداء الزينة وأشد،

---

(١). في ب وك: ابن عامر.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٢٢/١٢

(٢). من ب.

(٣). راجع ج ٧ ص ١٧٢.

(٤). من ك.." (١)

"اللعس: لون الشفة إذا كانت تضرب إلى السواد قليلا، وذلك يستملح، يقال: شفة لعساء وفتية ونسوة لعس. وبعضهم يقف" أيه". وبعضهم يقف" أيها" بالألف لأن علة حذفها في الوصل إنما هو سكونها وسكون اللام، فإذا كان الوقف ذهبت العلة فرجعت الألف كما ترجع الياء إذا وقفت على" محلي" من قوله تعالى:" غير محلي الصيد

" «١» [المائدة: ١]. وهذا الاختلاف الذي ذكرناه كذلك هو في" يا أيها الساحر «٢» ". و" أيه الثقلان «٣» ".

[سورة النور (٢٤): آية ٣٢]

وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم (٣٢)

فيه سبع مسائل: الأولى- هذه المخاطبة تدخل في **باب الستر والصلاح**، أي زوجوا من لا زوج له منكم فإنه طريق التعفف، والخطاب للأولياء. وقيل: للأزواج. والصحيح الأول، إذ لو أراد الأزواج لقال" وانكحوا" بغير همز، وكانت الألف للوصل. وفي هذا دليل على أن المرأة ليس لها أن تنكح نفسها بغير ولي، وهو قول أكثر العلماء. وقال أبو حنيفة: إذا زوجت الثيب أو البكر نفسها بغير ولى كفيا لها جاز. وقد مضى هذا في" البقرة" «٤» مستوفى. الثانية- اختلف العلماء في هذا الأمر على ثلاثة أقوال، فقال علماؤنا: يختلف الحكم في ذلك باختلاف حال المؤمن من خوف العنت، ومن عدم صبره، ومن قوته على الصبر وزوال خشية العنت عنه. وإذا خاف الهلاك في الدين أو الدنيا أو فيهما فالنكاح حتم. وإن لم يخش شيئا وكانت الحال مطلقة فقال الشافعي: النكاح مباح. وقال مالك وأبو حنيفة: هو مستحب. تعلق الشافعي بأنه قضاء لذة فكان مباحا كالأكل والشرب. وتعلق علماؤنا بالحديث الصحيح: (من رغب عن سنتي فليس مني). الثالثة- قوله تعالى: (الأيامى منكم) أي الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء، واحدهم أيم. قال أبو عمرو: أيامى مقلوب أيايم. واتفق أهل اللغة على أن الأيم في الأصل

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٢/٢٣٧

(١). راجع ج ٦ ص ٣١.

(٢). راجع ١٦ ص ٩٦.

(٣). راجع ج ١٧ ص ١٦٨.

(٤). راجع ج ٣ ص ٧٢.." (١)

"السادس- أنها محكمة واجبة ثابتة على الرجال والنساء، وهو قول أكثر أهل العلم، منهم القاسم وجابر بن زيد والشعبي. وأضعفها قول السلمي لأن" الذين" لا يكون للنساء في كلام العرب، إنما يكون للنساء اللاتي واللواتي. وقول ابن عمر يستحسنه أهل النظر، لأن" الذين" للرجال في كلام العرب، وإن كان يجوز أن يدخل معهم النساء فإنما يقع ذلك بدليل، والكلام على ظاهره، غير أن في إسناده ليث بن أبي سليم «١». وأما قول ابن عباس فروى أبو داود عن عبيد الله بن أبي يزيد سمع ابن عباس يقول: آية لم يؤمر بها أكثر الناس آية الاستئذان وإني لآمر جاريتي هذه تستأذن علي. قال أبو داود: وكذلك رواه عطاء عن ابن عباس" يأمر به". وروى عكرمة أن نفرا من أهل العراق قالوا: يا ابن عباس، كيف ترى في هذه الآية التي أمرنا فيها بما أمرنا ولا يعمل بها [أحد «٢»]، قول الله عز وجل:" يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم". قال أبو داود: قرأ القعنبي إلى" عليم حكيم" قال ابن عباس: إن الله حليم رحيم بالمؤمنين يحب الستر، وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجال «٣»، فربما دخل الخادم أو الولد أو يتيمة الرجل والرجل على أهله، فأمرهم الله بالاستئذان في تلك العورات، فجاءهم الله بالستور والخير، فلم أر أحدا يعمل بذلك [بعد «٤»]. قلت: هذا متن حسن، وهو يرد قول سعيد وابن جبير، فإنه ليس فيه دليل على نسخ الآية، ولكن على أنها كانت على حال ثم زالت، فإن كان مثل ذلك الحال فحكمها قائم كما كان، بل حكمها لليوم ثابت في كثير من مساكن المسلمين في البوادي والصحارى ونحوها. وروى

(١). في تهذيب التهذيب:" قال ابن حبان اختلط في آخر ءمره، فكان يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل، ويأتي عن الثقات بما ليس من حديثهم. وقال البزار: كأن أحد العباد، إلا أنه أصابة اختلاط فاضطرب

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٣٩/١٢

حديثه ... إلخ".

(٢). زيادة عن سنن أبى داود. في ك: ولا نعمل بها. [.....]

(٣). الحجال: جمع الحجلة (بالتحريك) وهو بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار كبار.

(٤). زيادة عن سنن أبى داود. في ك: ولا نعمل بها.." (١)

"وقال مقاتل: زوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش من زيد فمكثت عنده حينا، ثم إنه عليه السلام أتى زيدا يوما يطلبه، فأبصر زينب قائمة، كانت بيضاء جميلة جسيمة من أتم نساء قريش، فهويها وقال: (سبحان الله مقلب القلوب)! فسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد، ففطن زيد فقال: يا رسول الله، ائذن لي في طلاقها، فإن فيها كبرا، تعظم علي وتؤذيني بلسانها، فقال عليه السلام: (أمسك عليك زوجك واتق الله). وقيل: إن الله بعث ريحا فرفعت الستر وزينب متفضلة «١» في منزلها، فرأى زينب فوقعت في نفسه، ووقع في نفس زينب أنها وقعت في نفس النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لما جاء يطلب زيدا، فأخبرته بذلك، فوقع في نفس زيد أن يطلقها. وقال ابن عباس:" وتخفي في نفسك" الحب لها." وتخشى الناس" أي تستحييهم وقيل: تخاف وتكره لائمة المسلمين لو قلت طلقها، ويقولون أمر رجلا بطلاق امرأته ثم نكحها حين طلقها." والله أحق أن تخشاه" في كل الأحوال. وقيل: والله أحق أن تستحي منه، ولا تأمر زيدا بإمساك زوجته بعد أن أعلمك الله أنها ستكون زوجتك، فعاتبه الله على جميع هذا. وروي عن علي بن الحسين: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قد أوحى الله تعالى إليه أن زيدا يطلق زينب، وأنه يتزوجها بتزويج الله إياها، فلما تشكى زيد للنبي صلى الله عليه وسلم خلق زينب، وأنها لا تطيعه، وأعلمه أنه يريد طلاقها، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على جهة الأدب والوصية: (اتق الله في قولك وأمسك عليك زوجك) وهو يعلم أنه سيفارقها ويتزوجها، وهذا هو الذي أخفى في نفسه، ولم يرد أن يأمره بالطلاق لما علم أنه سيتزوجها، وخشي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلحقه قول من الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد، وهو مولاه، وقد أمره بطلاقها، فعاتبه الله تعالى على هذا القدر من أن خشي الناس في شي قد أباحه الله له، بأن قال:" أمسك" مع علمه بأنه يطلق. وأعلمه أن الله أحق بالخشية، أي في كل حال. قال علماؤنا رحمة الله عليهم: وهذا القول أحسن ما قيل في تأويل هذه الآية، وهو الذي

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٢/٣٠٣

(١). تفضلت المرأة: لبست ثياب مهنتها. أو كانت في ثوب واحد.." (١)

"من المفسرين على أن: سببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش امرأة زيد «١» أولم عليها، فدعا الناس، فلما طعموا جلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته مولية وجهها إلى الحائط، فثقلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال أنس: فما أدري أأنا أخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أن القوم قد خرجوا أو أخبرني. قال: فانطلق حتى دخل البيت، فذهبت أدخل معه **فألقى الستر بيني** وبينه ونزل الحجاب. قال: ووعظ القوم بما وعظوا به، وأنزل الله عز وجل" يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي"- إلى قوله-" إن ذلكم كان عند الله عظيما" أخرجه الصحيح. وقال قتادة ومقاتل في كتاب الثعلبي: إن هذا السبب جرى في بيت أم سلمة. والأول الصحيح، كما رواه الصحيح. وقال ابن عباس: نزلت في ناس من المؤمنين كانوا يتحينون طعام النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون قبل أن يدرك الطعام، فيقعدون إلى أن يدرك، ثم يأكلون ولا يخرجون. وقال إسماعيل بن أبي حكيم: وهذا أدب أدب الله به الثقلاء. وقال ابن أبي عائشة في كتاب الثعلبي: حسبك من الثقلاء أن الشرع لم يحتملهم. وأما قصة الحجاب فقال أنس بن مالك وجماعة: سببها أمر القعود في بيت زينب، القصة المذكورة آنفا. وقالت عائشة رضي الله عنها وجماعة: سببها أن عمر قال قلت: يا رسول الله، إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن، فنزلت الآية. وروى الصحيح عن ابن عمر قال: قال عمر وافقت ربي في ثلاث: في مقام إبراهيم، وفي الحجاب، وفي أسارى بدر. هذا أصح ما قيل في أمر الحجاب، وما عدا هذين القولين من الأقوال والروايات فواهية، لا يقوم شي منها على ساق، وأضعفها ما روي عن ابن مسعود: أن عمر أمر نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالحجاب، فقالت زينب بنت جحش: يا ابن الخطاب، إنك تغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا! فأنزل الله تعالى:" وإذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب" وهذا باطل، لأن الحجاب نزل يوم البناء بزينب، كما بيناه. أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وغيرهم. وقيل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض

(١). أي التي كانت امرأة زيد ثم طلقها وانقضت عدتها منه.." (٢)

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٤/١٩٠

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٤/٢٢٤

"ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ ليلة فقال: (سبحان الله ماذا أنزل الليلة من الفتن وماذا فتح من الخزائن من يوقظ صواحب الحجر رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة (. وروي أن دحية الكلبي لما رجع من عند هرقل فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم قبطية، فقال: (اجعل صديعا لك قميصا وأعط صاحبتك صديعا تختمر به). والصديع النصف. ثم قال له: (مرها تجعل تحتها شيئا لئلا يصف). وذكر أبو هريرة رقة الثياب للنساء فقال: الكاسيات العاريات الناعمات «١» الشقيات. ودخل نسوة من بني تميم على عائشة رضي الله عنها عليهن ثياب رقاق، فقالت عائشة: إن كنتن مؤمنات فليس هذا بلباس المؤمنات، وإن كنتن غير مؤمنات فتمتعينه «٢». وأدخلت امرأة عروس على عائشة رضي الله عنها وعليها خمار قبطي معصفر، فلما رأتها قالت: لم تؤمن بسورة" النور" امرأة تلبس هذا. وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رءوسهن مثل أسنمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها (. وقال عمر رضي الله عنه: ما يمنع المرأة المسلمة إذا كانت لها حاجة أن تخرج في أطمارها «٣» أو أطمار جارتها مستخفية، لا يعلم بها أحد حتى ترجع إلى بيتها. السادسة- قوله تعالى: (ذلك أدنى أن يعرفن) أي الحرائر، حتى لا يختلطن بالإماء، فإذا عرفن لم يقابلن بأدنى من المعارضة مراقبة لرتبة الحرية، فتنقطع الأطماع عنهن. وليس المعنى أن تعرف المرأة حتى تعلم من هي. وكان عمر رضي الله عنه إذا رأى أمة قد تقنعت ضربها بالدرة، محافظة على زي الحرائر. وقد قيل: إنه **يجب الستر والتقنع** الآن في حق الجميع من الحرائر والإماء. وهذا كما أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا النساء المساجد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوله: (لا تمنعوا إماء الله مساجد الله) حتى قالت عائشة رضي الله عنها: لو عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا هذا لمنعهن من الخروج إلى المساجد كما منعت نساء بني إسرائيل. (وكان الله غفورا رحيما) تأنيس للنساء في ترك الجلابيب قبل هذا الامر المشروع.

---

(١). في ح: (المتنعمات).

(٢). وردت هذه الكلمة محرفة في نسخ الأصل ولعلها (فتمتعن به).

(٣). الأطمار: جمع الطمر (بكسر الطاء وسكون الميم) وهو الثوب الخلق.." [١]

"الرابعة- التمثال على قسمين: حيوان وموات. والموات على قسمين: جماد ونام، وقد كانت الجن تصنع لسليمان جميعه، لعموم قوله:" وتماثيل". وفي الإسرائيليات: أن التماثيل من الطير كانت على كرسي

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٤/٢٤٤

سليمان. فإن قيل: لا عموم لقوله:" وتماثيل" فإنه إثبات في نكرة، والإثبات في النكرة لا عموم له، إنما العموم في النفي في النكرة. قلنا: كذلك هو، بيد أنه قد اقترن بهذا الإثبات في النكرة ما يقتضي حمله على العموم، وهو قوله:" ما يشاء" فاقتران المشيئة به يقتضي العموم له. فإن قيل: كيف استجاز الصور المنهي عنها؟ قلنا: كان ذلك جائزا في شرعه ونسخ ذلك بشرعنا كما بينا، والله أعلم. وعن أبي العالية: لم يكن اتخاذ الصور إذ ذاك محرما. الخامسة- ومقتضى الأحاديث يدل على أن الصور ممنوعة، ثم جاء (إلا ما كان رقما «١» في ثوب) فخص من جملة الصور، ثم ثبتت الكراهية فيه بقوله عليه السلام لعائشة في الثوب: (أخريه عني فإني كلما رأيته ذكرت الدنيا). ثم بهتكه «٢» الثوب المصور على عائشة منع منه، ثم بقطعها له وسادتين تغيرت الصورة وخرجت عن هيئتها، فإن جواز ذلك إذا لم تكن الصورة فيه متصلة الهيئة، ولو كانت متصلة الهيئة لم يجز، لقولها في النمرقة المصورة: «٣» اشتريتها لك لتقعد عليها وتوسدها، فمنع منه وتوعد عليه. وتبين بحديث الصلاة إلى الصور أن ذلك جائز في الرقم في الثوب ثم نسخه المنع منه. فهكذا استقر الأمر فيه والله أعلم، قاله ابن العربي. السادسة- روى مسلم عن عائشة قالت: كان لنا ستر فيه تمثال طائر وكان الداخل إذا دخل استقبله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (حولي هذا فإني كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا). قالت: وكانت لنا قطيفة كنا نقول علمها حرير، فكنا نلبسها. وعنها قالت: دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مستترة بقرام «٤» فيه صورة، فتلون وجهه،

---

(١). الرقم: النقش والوشي. [.....]

(٢). الهتك: الخرق والشق.

(٣). النمرقة (بضم النون والراء وبكسرهما وبغير هاء): الوسادة.

(٤). **القرام: الستر الرقيق**.." (١)

"ثم **تناول الستر فهتكه**، ثم قال: (إن من أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يشبهون بخلق الله عز وجل). وعنها: أنه كان لها ثوب فيه تصاوير ممدود إلى سهوة «١»، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي إليه فقال: (أخريه عني) قالت: فأخرته فجعلته وسادتين. قال بعض العلماء: ويمكن أن يكون تهتيكه عليه السلام الثوب وأمره بتأخيره ورعا، لأن محل النبوة والرسالة الكمال. فتأمله. السابعة- قال المزني عن الشافعي: إن دعي رجل إلى عرس فرأى صورة ذات روح أو صورا ذات أرواح، لم يدخل إن كانت منصوبة.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٤/٢٧٣

وإن كانت توطأ فلا بأس، وإن كانت صور الشجر. ولم يختلفوا أن التصاوير في الستور المعلقة مكروهة غير محرمة. وكذلك عندهم ما كان خرطا أو نقشا في البناء. واستثنى بعضهم (ما كان رقما في ثوب)، لحديث سهل بن حنيف. قلت: لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المصورين ولم يستثن. وقوله: (إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم أحيوا ما خلقتم) ولم يستثن. وفي الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم: (يخرج عنق «٢» من النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول: إني وكلت بثلاث: بكل جبار عنيد، وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالمصورين) قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح. وفي البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون). يدل على المنع من تصوير شي، أي شي كان. وقد قال عز وجل:" ما كان لكم أن تنبتوا شجرها" «٣» [النمل: ٦٠] على ما تقدم بيانه فاعلمه. الثامنة- وقد استثني من هذا الباب لعب البنات، لما ثبت، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها وهي بنت سبع سنين، وزفت إليه وهي بنت تسع

---

(١). السهوة: بيت صغير منحدر في الأرض قليلا شبيه بالمخدع والخزانة. وقيل: هو كالصفة تكون بين يدي البيت. وقيل: شبيه بالرف أو الطاق يوضع فيه الشيء.

(٢). العنق: القطعة.

(٣). راجع ج ١٣ ص ٢١٩." (١)

"وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد **منه الستر والصلاح**، وأونست منه الأمانة في الظاهر، فظن الفساد به والخيانة محرم، بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث. وعن النبي صلى الله عليه وسلم] إن الله حرم من المسلم دمه وعرضه وأن يظن به ظن السوء [. وعن الحسن: كنا في زمن الظن بالناس فيه حرام، وأنت اليوم في زمن اعمل واسكت وظن في الناس ما شئت. الثالثة- للظن حالتان: حالة تعرف وتقوى بوجه من وجوه الأدلة فيجوز الحكم بها، وأكثر أحكام الشريعة مبنية على غلبة الظن، كالقياس وخبر الواحد وغير ذلك من قيم المتلفات وأروش الجنايات. والحالة الثانية- أن يقع في النفس شيء من غير دلالة فلا يكون ذلك أولى من ضده، فهذا هو الشك، فلا يجوز الحكم به، وهو المنهي عنه على ما قررناه آنفا. وقد أنكرت جماعة من المبتدعة تعبد الله بالظن وجواز العمل به، تحكما في الدين

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٧٤/١٤

ودعوى في المعقول. وليس في ذلك أصل يعول عليه، فإن البارئ تعالى لم يذم جميعه، وإنما أورد الذم في بعضه. وربما تعلقوا بحديث أبي هريرة] إياكم والظن [فإن هذا لا حجة فيه، لأن الظن في الشريعة قسمان: محمود ومذموم، فالمحمود منه ما سلم معه دين الظان والمظنون به عند بلوغه. والمذموم ضده، بدلالة قوله تعالى:" إن بعض الظن إثم"، وقوله:" لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا" «١» [النور: ١٢]، وقوله:" وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا" «٢» [الفتح: ١٢] وقال النبي صلى الله عليه وسلم:] إذا كان أحدكم مادحا أخاه فليقل أحسب كذا ولا أزكي على الله أحدا [. وقال:] إذا ظننت فلا تحقق وإذا حسدت فلا تبغ وإذا تطيرت فامض [خرجه أبو داود. وأكثر العلماء على أن الظن القبيح بمن ظاهره الخير لا يجوز، وأنه لا حرج في الظن القبيح بمن ظاهره القبح، قاله المهدوي. الرابعة- قوله تعالى:" ولا تجسسوا قرأ أبو رجاء والحسن باختلاف وغيرهما" ولا تحسسوا" بالحاء. واختلف هل هما بمعنى واحد أو بمعنيين، فقال الأخفش: ليس

(١). آية ١٢ سورة النور.

(٢). آية ١٢ سورة الفتح.." (١)

"(ادخلوها) على تقدير حذف جواب الشرط والتقدير فيقال لهم: (ادخلوها). والخشية بالغيب أن تخافه ولم تره. وقال الضحاك والسدي: يعني في الخلوة حين لا يراه أحد. وقال الحسن: إذا أرخى الستر وأغلق الباب. (وجاء بقلب منيب) مقبل على الطاعة. وقيل: مخلص. وقال أبو بكر الوراق: علامة المنيب أن يكون عارفا لحرمته ومواليا له، متواضعا لجلاله تاركا لهوى نفسه. قلت: ويحتمل أن يكون القلب المنيب القلب السليم، كما قال تعالى: (إلا من أتى الله بقلب سليم) على ما تقدم «١»، والله أعلم. (ادخلوها) أي يقال لأهل هذه الصفات: (ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود) أي بسلامة من العذاب. وقيل: بسلام من الله وملائكته عليهم. وقيل: بسلامة من زوال النعم. وقال: (ادخلوها) وفي أول الكلام (من خشي)، لأن (من) تكون بمعنى الجمع. قوله تعالى: (لهم ما يشاؤن فيها) يعني ما تشتهيه أنفسهم وتلذ أعينهم. (ولدينا مزيد) من النعم مما لم يخطر على بالهم. وقال أنس وجابر: المزيد النظر إلى وجه الله تعالى بلا كيف. وقد ورد ذلك في أخبار مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: (للذين أحسنوا الحسنى) «٢» (وزيادة) قال: الزيادة النظر إلى وجه الله الكريم. وذكر ابن المبارك ويحيى بن سلام، قالا: أخبرنا المسعودي

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٣٢/١٦

عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة بن عبد الله ابن عتبة عن ابن مسعود قال: تسارعوا إلى الجمعة فإن الله تبارك وتعالى يبرز لأهل الجنة كل يوم جمعة في كثيب من كافور أبيض فيكونون منه في القرب. قال ابن المبارك: على قدر تسارعهم إلى الجمعة في الدنيا. وقال يحيى بن سلام: لمسارعتهم إلى الجمع في الدنيا، وزاد (فيحدث الله لهم من الكرامة شيئا لم يكونوا رأوه قبل ذلك). قال يحيى: وسمعت غير المسعودي يزيد فيه قوله تعالى: (ولدينا مزيد).

---

(١). راجع ج ١٣ ص ١١٤.

(٢). راجع ج ٨ ص ٣٣٠.." (١)

"يوم القيامة بين يديه، فقال لك: ما غرك بربك الكريم؟ [الانفطار: ٦] ماذا كنت تقول؟ قال: كنت أقول غرني ستورك المرخاة، لأن الكريم هو الستار. نظمه ابن السماك فقال:

يا كاتم الذنب أما تستحي ... والله في الخلوة ثانيكا

غرك من ربك إمهاله ... وستره طول مساويكا

وقال ذو النون المصري: كم من مغرور **تحت الستر وهو** لا يشعر. وأنشد أبو بكر بن طاهر الأبهري:

يأمن غلا في العجب والتيه ... وغره طول تماديه

أملى لك الله فبارزته ... ولم تخف غب معاصيه

وروي عن علي رضي الله عنه أنه صاح بغلام له مرات فلم يلبه فنظر فإذا هو بالباب، فقال: مالك لم تجبني؟ فقال. لثقتي بحلمك، وأمني من عقوبتك. فاستحسن جوابه فأعتقه. وناس يقولون: ما غرك: ما خدعك وسول لك، حتى أضعت ما وجب عليك؟ وقال ابن مسعود: ما منكم من أحد إلا وسيخلو الله به يوم القيامة، فيقول له: يا ابن آدم ماذا غرك بي؟ يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟ (الذي خلقك) أي قدر خلقك من نطفة (فسواك) في بطن أمك، وجعل لك يدين ورجلين وعينين وسائر أعضائك (فعدلك) أي جعلك معتدلا سوي الخلق، كما يقال: هذا شي معدل. وهذه قراءة العامة وهي اختيار أبي عبيد وأبي حاتم، قال الفراء: وأبو عبيد: يدل عليه قوله تعالى: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم [التين: ٤]. وقرأ الكوفيون: عاصم وحمزة والكسائي: فعدلك مخففا أي: أمالك وصرفك إلى أي صورة شاء، إما حسنا وإما قبيحا، وإما طويلا وإما قصيرا. وقال [موسى بن علي ابن أبي رباح

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢١/١٧

اللخمي عن أبيه عن جده «١»] قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم" إن النطفة

---

(١). الزيادة من تفسير الثعلبي والطبري والدر المنثور. والحديث كما رواه الثعلبي بعد السند: قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجده (ما ولد لك)؟ قال: يا رسول الله وما عسى أن يولد لي إما غلاما أو جارية. قال ﴿فمن يشبه) قال: فمن يشبه أمه أو أباه فقال النبي صلى الله عليه وسلم. (لا تقل هكذا إن النطفة ... الحديث).." (١)

"[سورة البقرة (٢): آية ٢١٩]

يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون (٢١٩)

قوله تعالى: (يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما). فيه تسع مسائل: الاولى- قوله تعالى: (يسئلونك) «١» السائلون هم المؤمنون، كما تقدم. والخمر مأخوذة من خمر إذا ستر، ومنه خمار المرأة. وكل شي غطى شيئا فقد خمره، ومنه" خمروا آنيتكم" فالخمر تخمر العقل، أي تغطيه وتستره، ومن ذلك الشجر الملتف يقال له: الخمر (بفتح الميم) لأنه يغطي ما تحته ويستره، يقال منه: أخمرت الأرض كثر خمرها، قال الشاعر:

ألا يا زيد والضحاك سيرا ... فقد جاوزتما خمر الطريق

أي سيرا مدلين فقد جاوزتما الوهدة التي يستتر بها الذئب وغيره. وقال العجاج يصف جيشا يمشي برايات وجيوش غير مستخف:

في لامع العقبان «٢» لا يمشي الخمر ... يوجه الأرض ويستاق الشجر

ومنه قولهم: دخل في غمار الناس وخمارهم، أي هو في مكان خاف. فلما كانت الخمر تستر العقل وتغطيه سميت بذلك. وقيل: إنما سميت الخمر خمرا لأنها تركت حتى أدركت، كما يقال: قد اختمر العجين، أي بلغ إدراكه. وخمر الرأي، أي ترك حتى يتبين فيه الوجه. وقيل: إنما سميت الخمر خمرا لأنها تخالط العقل، من المخامرة وهي المخالطة، ومنه قولهم: دخلت في خمار الناس، أي اختلطت بهم. فالمعاني الثلاثة متقاربة، فالخمر تركت وخمرت حتى أدركت، ثم خالطت العقل، ثم خمرته، والأصل الستر.

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٩/٢٤٦

(١). راجع ص ٣٧ من هذا الجزء.

(٢). العقبان (جمع عقاب): الرايات. وقوله:" بوجه الأرض" أي لا يمر بشيء إلا جعله جهة واحدة، فيكون وجهه مع وجهه حيث يذهب. وقوله:" يستاق الشجر" أي يمر بالرمث (مرعى من مراعى الإبل) والعرفج وسائر الشجر فيستاقه معه، يذهب به من كثرته. وفى ب" العقيان" بالياء، وقال:" العقيان الخالص من الذهب ويقال هو ما ينبت نباتا وليس مما يحصل من الحجارة" وكذا في ج.." (١)

"غفر الله لك يا أبا جعفر! إنك رجل يؤخذ عنك تخطبني في عدتي! قال: إنما أخبرتك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن علي. وقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة وهي متأيمة من أبي سلمة فقال:" لقد علمت أني رسول الله وخيرته وموضعي في قومي" كانت تلك خطبة، أخرجه الدارقطني. والهدية إلى المعتدة جائزة، وهي من التعريض، قاله سحنون وكثير من العلماء وقاله إبراهيم. وكره مجاهد أن يقول لها: لا تسبقيني بنفسك ورآه من المواعدة سرا. قال القاضي أبو محمد بن عطية: وهذا عندي على أن يتأول قول النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة أنه على جهة الرأي لها فيمن يتزوجها لا أنه أرادها لنفسه وإلا فهو خلاف لقول النبي صلى الله عليه وسلم. الثالثة- قوله تعالى: (من خطبة النساء) الخطبة (بكسر الخاء): فعل الخاطب من كلام وقصد واستلطاف بفعل أو قول. يقال: خطبها يخطبها خطبا وخطبة. ورجل خطاب كثير التصرف في الخطبة، ومنه قول الشاعر:

برح بالعينين خطاب الكثب ... يقول إني خاطب وقد كذب

وإنما يخطب عسا من حلب «١»

والخطيب: الخاطب. والخطيبى: الخطبة، قال عدي بن زيد يذكر قصد جذيمة الأبرش لخطبة الزباء:

لخطيبى التي غدرت وخانت ... وهن ذوات غائلة لحينا

والخطب، الرجل الذي يخطب المرأة، ويقال أيضا: هي خطبه وخطبته التي يخطبها. والخطبة فعلة كجلسة وقعدة: والخطبة (بضم الخاء) هي الكلام الذي يقال في النكاح وغيره. قال النحاس: والخطبة ما كان لها أول وآخر، وكذا ما كان على فعلة نحو الأكلة والضغطة. الرابعة- قوله تعالى: (أو أكننتم في أنفسكم) معناه سترتم وأضمرتم من التزوج بها بعد انقضاء عدتها. **والإكنان: الستر** «٢» والإخفاء، يقال: كننته وأكننته

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٥١/٣

بمعنى واحد. وقيل:

---

(١). الكثب بضم ففتح: جمع كثبة، وهي كل قليل جمعته من طعام أو لبن أو غير ذلك. والعس (بضم العين): القدح الضخم. يريد أن الرجل بجي بعلة الخطبة وهو يريد القرى. قال ابن الاعرابي: يقال للرجل إذا جاء يطلب القرى بعلة الخطبة: إنه ليخطب كثبة. (عن اللسان).

(٢). في ج: السر.." (١)

"الثالثة- قوله تعالى: (كمثل حبة) الحبة اسم جنس لكل ما يزدرعه ابن آدم ويقتاته، وأشهر ذلك البر فكثيرا ما يراد بالحب، ومنه قول المتلمس:

آليت حب العراق الدهر أطعمه ... والحب يأكله في القرية السوس

وحبة القلب: سويداؤه، ويقال ثمرته وهو ذاك. والحبة بكسر الحاء: بذور البقول مما ليس بقوت، وفي حديث الشفاعة: (فينبتون كما تنبت الحبة في حميل «١» السيل) والجمع حبب. والحبة (بضم الحاء «٢») الحب، يقال: نعم وحبة وكرامة. والحب المحبة، وكذلك الحب (بالكسر). والحب أيضا الحبيب، مثل خدن وخدين وسنبلة فنعلة من أسبل الزرع إذا صار فيه السنبل، أي استرسل بالسنبل كما يسترسل الستر بالإسبال. وقيل: معناه صار فيه حب مستور كما يستر الشيء بإسبال الستر عليه. والجمع سنابل. ثم قيل: المراد سنبل الدخن فهو الذي يكون في السنبلة منه هذا العدد. قلت: هذا ليس بشيء فإن سنبل الدخن يجئ في السنبلة منه أكثر من ہ ذا العدد بضعفين وأكثر، على ما شاهدناه. قال ابن عطية: وقد يوجد في سنبل القمح ما فيه مائة حبة، فأما في سائر الحبوب فأكثر ولكن المثال وقع بهذا القدر. وقال الطبري في هذه الآية: إن قوله (في كل سنبلة مائة حبة) معناه إن وجد ذلك، وإلا فعلى أن يفرضه، ثم نقل عن الضحاك أنه قال:" في كل سنبلة مائة حبة" معناه كل سنبلة أنبتت مائة حبة. قال ابن عطية: فجعل الطبري قول الضحاك نحو ما قال، وذلك غير لازم من قول الضحاك. وقال أبو عمرو الداني: وقرأ بعضهم" مائة" بالنصب على تقدير أنبتت مائة حبة. قلت: وقال يعقوب الحضرمي: وقرأ بعضهم" في كل سنبلة مائة حبة" على: أنبتت مائة حبة، وكذلك قرأ بعضهم" وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم" على" وأعتدنا لهم عذاب السعير «٣» " وأعتدنا للذين كفروا عذاب جهنم. وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي" أنبتت سبع سنابل" بإدغام التاء في السين، لأنهما مهموستان، ألا ترى أنهما ي‍تعاقبان. وأنشد أبو عمرو:

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٨٩/٣

(١). حميل السيل: ما يحمل من الغثاء والطين.

(٢). قي هـ.

(٣). راجع ج ١٨ ص ٢١١." (١)

"وروي من حديث عمر رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم:" إذا سأل السائل فلا تقطعوا عليه مسألته حتى يفرغ منها ثم ردوا عليه بوقار ولين أو ببذل يسير أو رد جميل فقد يأتيكم من ليس بإنس ولا جان ينظرون صنيعكم فيما خولكم الله تعالى". قلت: دليله حديث أبرص وأقرع وأعمى، خرجه مسلم وغيره. وذلك أن ملكا تصور في صورة أبرص مرة وأقرع أخرى وأعمى أخرى امتحانا للمسئول. وقال بشر بن الحارث: رأيت عليا في المنام فقلت: يا أمير المؤمنين! قل لي شيئا ينفعني الله به، قال: ما أحسن عطف الأنبياء على الفقراء رغبة في ثواب الله تعالى، وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء ثقة بموعود الله. فقلت: يا أمير المؤمنين زدني، فولى وهو يقول:

قد كنت ميتا فصرت حيا ... وعن قليل تصير ميتا

فاخرب بدار الفناء بيتا ... وابن بدار البقاء بيتا

الثانية- قوله تعالى: (مغفرة) المغفرة **هنا: الستر للخلة** وسوء حالة ا لمحتاج، ومن هذا قول الأعرابي- وقد سأل قوما بكلام فصيح- فقال له قائل: ممن الرجل؟ فقال له: اللهم غفرا «١»! سوء الاكتساب يمنع من الانتساب. وقيل: المعنى تجاوز عن السائل إذا ألح وأغلظ وجفى خير من التصدق «٢» عليه مع المن والأذى، قال معناه النقاش. وقال النحاس: هذا مشكل يبينه الإعراب." مغفرة" رفع بالابتداء والخبر (خير من صدقة). والمعنى والله أعلم وفعل يؤدي إلى المغفرة خير من صدقة يتبعها أذى، وتقديره في العربية وفعل مغفرة. ويجوز أن يكون مثل قولك: تفضل الله عليك أكبر «٣» من الصدقة التي تمن بها، أي غفران الله خير من صدقتكم هذه التي تمنون بها. الثالثة- قواه تعالى: (والله غني حليم) أخبر تعالى عن غناه المطلق أنه غني عن صدقة العباد، وإنما أمر بها ليثيبهم، وعن حلمه بأنه لا يعاجل بالعقوبة من من وآذى بصدقته.

(١). في هـ: عفوا.

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣/٣٠٤

(٢). في ج: الصدقة.

(٣). في ب:" أفضل"..." [١]

"عليه وسلم:" إن للشيطان لمة «١» بابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان- ثم قرأ- الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء". قال: هذا حديث حسن صحيح «٢». ويجوز في غير القرآن" ويأمركم الفحشاء" بحذف الباء، وأنشد سيبويه:

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به ... فقد تركتك ذا مال وذا نشب

والمغفرة هي الستر على عباده في الدنيا والآخرة. والفضل هو الرزق في الدنيا والتوسعة والنعيم في الآخرة، وبكل قد وعد الله تعالى. الثالثة- ذكر النقاش أن بعض الناس تأنس بهذه الآية في أن الفقر أفضل من الغنى، لأن الشيطان إنما يبعد العبد من الخير، وهو بتخويفه الفقر يبعد منه. قال ابن عطية: وليس في الآية حجة قاطعة بل المعارضة بها قوية. وروي أن في التوراة" عبدي أنفق من رزقي أبسط عليك فضلي فإن يدي مبسوطة على كل يد مبسوطة". وفي القرآن مصداقه وهو قوله:" وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين «٣» ". ذكره ابن عباس. (والله واسع عليم) تقدم معناه «٤». والمراد هنا أنه سبحانه وتعالى يعطي من سعة ويعلم حيث يضع ذلك، ويعلم الغيب والشهادة. وهما اسمان من أسمائه ذكرناهما في جملة الأسماء في" الكتاب الأسنى" والحمد لله.

[سورة البقرة (٢): آية ٢٦٩]

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب (٢٦٩)

---

(١). اللمة (بفتح اللام): الهمة والخطرة تقع في القلب. أراد إلمام الملك أو الشيطان به والقرب منه، فما كان من خطوات الخير فهو من الملك، وما كان من خطرات الشر فهو من الشيطان. (عن نهاية ابن الأثير). [.....]

(٢). كذا في الأصول. والذي في سنن الترمذي:" ... حسن غريب".

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣/٣١٠

(٣). راجع ج ١٤ ص ٣٠٧.

(٤). راجع المسألة الخامسة ج ٢ ص ٨٤." [1]

"الحادية عشر- قوله تعالى: (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) قال قتادة: معناه لا تشدد علينا كما سددت على الذين من قبلنا. الضحاك: لا تحملنا من الأعمال مالا نطيق، وقال نحوه ابن زيد. ابن جريج: لا تمسخنا قردة ولا خنازير. وقال سلام بن سابور: الذي لا طاقة لنا به: الغلمة «١»، وحكاه النقاش عن مجاهد وعطاء. وروى أن أبا الدرداء كان يقول في دعائه: وأعوذ بك من غلمة ليس لها عدة. وقال السدي: هو التغليظ والأغلال التي كانت على بني إسرائيل. قوله تعالى: (واعف عنا) أي عن ذنوبنا. عفوت عن ذنبه إذا تركته ولم تعاقبه. (واغفر لنا) أي استر على ذنوبنا. والغفر: الستر. (وارحمنا) أي تفضل برحمة مبتدئا روي عن معاذ بن جبل أنه كان إذا فرغ من قراءة هذه السورة قال: آمين. قال اين عطية: هذا يظن به أنه رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم، فإن كان ذلك فكمال، وإن كان بقياس على سورة الحمد من حيث هنالك دعاء فحسن. وقال على ابن أبى طالب: ما أظن أن أحد عقل وأدرك الإسلام ينام حتى يقرأهما. قلت: قد مسلم في هذا المعنى عن أبي مسعود الأنصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من قرأ هاتين الآيتين من آخر سورة" البقرة" في ليلة كفتاء". قيل: من قيام الليل، كما روي عن اين عمر قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:" أنزل الله علي آيتين من كنوز الجنة ختم بهما سورة البقرة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألف عام من قرأهما بعد العشاء مرتين أجزأتاه من قيام الليل" آمن الرسول" إلى آخر البقرة". وقيل: كفتاه من شر الشيطان فلا يكون له سلطان. وأسند أبو عمرو الداني عن حذيفة بت اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن الله جل وعز كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والأرض بألفي عام فأنزل منه هذه الثلاث آيات

---

(١). الغلمة: (بضم الغين المعجمة): هياجان شهوة النكاح وغلم يعلم من باب تعب أشتد شيقه.." [2]

"الحادية عشرة- قوله تعالى: (ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان) أي محمدا صلى الله عليه وسلم، قاله ابن مسعود وابن عباس وأكثر المفسرين. وقال قتادة ومحمد بن كعب القرظي: هو القرآن، وليس كلهم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم. دليل هذا القول ما أخبر الله تعالى عن مؤمني الجن إذ قالوا:" إنا

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣/٣٢٩

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣/٤٣٣

سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد" [الجن: ٢ - ١] «١». وأجاب الأولون فقالوا: من سمع القرآن فكأنما لقي النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا صحيح معنى. وللإيمان «٢» من (أن آمنوا) في موضع نصب على حذف حرف الخفض، أي بأن آمنوا. وفي الكلام تقديم وتأخير، أي سمعنا مناديا للإيمان ينادي، عن أبي عبيدة. وقيل: اللام بمعنى إلى، أي إلى الإيمان، كقوله:" ثم يعودون لما نهوا عنه" [المجادلة: ٨] «٣». وقوله:" بأن ربك أوحى لها" [الزلزلة: ٥] «٤» وقوله:" الحمد لله الذي هدانا لهذا" [الأعراف: ٤٣] «٥» أي إلى هذا، ومثله كثير. وقيل: هي لام أجل، أي لأجل الإيمان. الثانية عشرة- قوله تعالى: (ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا) تأكيد ومبالغة في الدعاء. ومعنى اللفظين واحد، فإن الغفر والكفر: الستر. (وتوفنا مع الأبرار) أي أبرارا مع الأنبياء، أي في جملتهم. واحدهم وبر وبار وأصله من الاتساع، فكأن البر متسع في طاعة الله ومتسعة له رحمة الله. الثالثة عشرة- قوله تعالى: (ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك) أي على ألسنة رسلك، مثل" وسئل القرية" «٦». وقرأ الأعمش والزهري" رسلك" بالتخفيف، وهو ما ذكر من استغفار الأنبياء والملائكة للمؤمنين، والملائكة يستغفرون لمن في الأرض. وما ذكر من دعاء نوح للمؤمنين ودعاء إبراهيم واستغفار النبي صلى الله عليه وسلم لأمته. (ولا تخزنا) أي لا تعذبنا ولا تهلكنا ولا تفضحنا، ولا تهنا ولا تبعدنا ولا تمقتنا يوم القيامة (إنك لا تخلف الميعاد). إن قيل: ما وجه قولهم" ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك" [آل عمران: ١٩٤] وقد علموا أنه لا يخلف الميعاد، فالجواب من ثلاثة أوجه: الأول- أن الله سبحانه وعد من آمن بالجنة، فسألوا أن يكونوا ممن وعد بذلك دون الخزي: والعقاب.

---

(١). راجع ج ١٩ ص ٦.

(٢). من هـ وج وط.

(٣). راجع ج ١٧ ص ٢٩٠.

(٤). راجع ج ٢٠ ص ١٤٠.

(٥). راجع ج ٧ ص ٨٠٢. [.....]

(٦). راجع ج ٩ ص ٢٤٥.." (١)

"[سورة الأنعام (٦): آية ٧٦]

فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين (٧٦)

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣١٧/٤

قوله تعالى: (فلما جن عليه الليل) أي ستره بظلمته، ومنه الجنة والجنة والجنة والجنين والمجن والجن كله بمعنى الستر. وجنان الليل ادلهمامه وستره. قال الشاعر «١»:

ولولا جنان الليل أدرك ركضنا ... بذي الرمث والأرطى «٢» عياض بن ناشب

ويقال: جنون الليل أيضا. ويقال: جنه الليل وأجنه الليل لغتان. (رأى كوكبا) هذه قصة أخرى، غير قصة عرض الملكوت عليه. فقيل: رأى ذلك من شق الصخرة الموضوعة على رأس السرب. وقيل: لما أخرجه أبوه من السرب وكان وقت غيبوبة الشمس فرأى الإبل والخيل والغنم فقال: لا بد لها من رب. ورأى المشتري أو الزهرة ثم القمر ثم الشمس، وكان هذا في آخر الشهر. قال محمد بن إسحاق: وكان ابن خمس عشرة سنة. وقيل: ابن سبع سنين. وقيل: لما حاج نمروذا كان ابن سبع عشرة سنة. قوله تعالى: (قال هذا ربي) اختلف في معناه على أقوال، فقيل: كان هذا منه في مهلة النظر وحال الطفولية وقبل قيام الحجة، وفي تلك الحال لا يكون كفر ولا إيمان. فاستدل قائلو هذه المقالة بما روي عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال:" فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي" فعبده حتى غاب عنه، وكذلك الشمس والقمر، فلما تم نظره قال:" إني بريء مما تشركون" واستدل بالأفول، لأنه أظهر الآيات على الحدوث. وقال قوم: هذا لا يصح، وقالوا: غير جائز أن يكون لله تعالى رسول يأتي عليه وقت من الأوقات إلا وهو لله تعالى موحد وبه عارف، ومن كل معبود سواه برئ. قالوا: وكيف يصح أن يتوهم هذا على من عصمه الله وآتاه رشده من قبل، وأراه ملكوته ليكون من الموقنين، ولا يجوز

---

(١). هو دريد بن الصمة، وقيل: هو لخفاف بن ندبة (عن اللسان).

(٢). الرمث (بالكسر): مرعى من مراعى الإبل، واسم واد لبنى أسد. والأرطى (جمع أرطاة): شجر ينبت بالرمل.." (١)

"وشد الصاد. والأصل يخصفان فأدغم وكسر الخاء لالتقاء الساكنين. وقرأ ابن بريدة ويعقوب بفتح الخاء، ألقيا حركة التاء عليها. ويجوز" يخصفان" بضم الياء، من خصف يخصف. وقرأ الزهري" يخصفان" من أخصف. وكلاهما منقول بالهمزة أو التضعيف والمعنى: يقطعان الورق ويلزقانه ليستترا به، ومنه خصف النعل. والخصاف الذي يرقعها. والمخصف المثقب. قال ابن عباس: هو ورق التين. ويروى أن آدم عليه السلام لما بدت سوأته وظهرت عورته طاف على أشجار الجنة يسل «١» منها ورقة يغطي بها عورته،

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٢٥/٧

فزجرته أشجار الجنة حتى رحمته شجرة التين فأعطته ورقة." وطفقا" يعني آدم وحواء" يخصفان عليهما من ورق الجنة" فكافأ الله التين بأن سوى ظاهره وباطنه في الحلاوة والمنفعة وأعطاه ثمرتين في عام واحد مرتين. الثانية- وفي الآية دليل على قبح كشف العورة، وأن الله أوجب عليهما الستر، ولذلك ابتدرا إلى سترها، ولا يمتنع أن يؤمرا بذلك في الجنة، كما قيل لهما:" ولا تقربا هذه الشجرة". وقد حكى صاحب البيان عن الشافعي أن من لم يجد ما يستر به عورته إلا ورق الشجر لزمه أن يستتر بذلك، لأنه سترة ظاهرة يمكنه التستر بها، كما فعل آدم في الجنة. والله أعلم. قوله «٢» تعالى: (وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين. قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) أي قال لهما: ألم أنهكما. قالا ربنا نداء مضاف. والأصل يا ربنا. وقيل. إن في حذف" يا" معنى التعظيم. فاعترفا بالخطيئة وتابا (صلى الله عليهما وسلم «٣»). وقد مضى في (البقرة «٤») ومعنى قوله: (قال اهبطوا) تقدم أيضا إلى آخر الآية.

[سورة الأعراف (٧): آية ٢٥]

قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون (٢٥)

الضمائر كلها للأرض. ولم يذكر الواو في" قال"، ولو ذكرها لجاز «٥» أيضا. وهو كقولك: قال زيد لعمرو كذا قال له كذا.

---

(١). في ك: يسأل.

(٢). في ع وز وك: الثالثة قوله تعالى:" وناداهما" الآية. [.....]

(٣). من ع.

(٤). راجع ج ١ ص ٣٢٤. وص ٣١٩.

(٥). أي في مثل هذا التركيب في غير القرآن.." (١)

"سليمان ابن عبد الملك، فرأى سليمان في لقمة الأعرابي شعرة فقال له: أزل الشعرة عن لقمتك، فقال له: أتنظر إلي نظر من يرى الشعرة في لقمتي؟! والله لا أكلت معك. قلت وقد ذكر أن هذه الحكاية إنما كانت مع هشام بن عبد الملك لا مع سليمان، وأن الأعرابي خرج من عنده وهو يقول:

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٨١/٧

وللموت خير من [زيارة] «١» باخل ... يلاحظ أطراف الأكيل على عمد

السابعة- قوله تعالى: (فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم) يقول: أنكرهم، تقول: نكرتك [وأنكرتك] «٢» واستنكرتك إذا وجدته على غير ما عهدته، قال الشاعر «٣»:

وأنكرتني وما كان الذي نكرت ... من الحوادث إلا الشيب والصلعا

فجمع بين اللغتين. ويقال: نكرت لما تراه بعينك. وأنكرت لما تراه بقلبك. الثامنة- قوله تعالى: (وامرأته قائمة) ابتداء وخبر، أي قائمة بحيث ترى الملائكة. قيل: كانت من وراء الستر. وقيل كانت تخدم الملائكة وهو جالس. وقال محمد ابن اسحق: قائمة تصلي. وفي قراءة عبد الله بن مسعود" وامرأته قائمة وهو قاعد". التاسعة قوله تعالى: (فضحكت) قال مجاهد وعكرمة: حاضت، وكانت آيسة، تحقيقا للبشارة، وأنشد على ذلك اللغويون:

وإني لآتي العرس عند طهورها ... وأهجرها يوما إذا تك ضاحكا

وقال آخر:

وضحك الأرانب فوق الصفا ... كمثل دم الجوف يوم اللقا

والعرب تقول: ضحكت الأرنب إذا حاضت، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وعكرمة، أخذ من قولهم: ضحكت الكافورة- وهي قشرة الطلعة- إذا انشقت. وقد أنكر بعض اللغويين أن يكون في كلام العرب ضحكت بمعنى حاضت. وقال الجمهور: هو الضحك المعروف، واختلفوا فيه، فقيل: هو ضحك التعجب، قال أبو ذؤيب:

---

(١). كذا في ع وى وفى الفريد، وفى ك: ضيافة.

(٢). من اوع وك وو.

(٣). البيت للأعشى.." (١)

"الوجه الثالث أن قولك: سمعت المنادي يحتمل، إما سماعك نداءه، أو سماعك منه قولا آخر غير النداء، فلما قال: ينادي للإيمان فهم أن المراد سماع ما نودي به.

قوله تعالى: (فآمنا).

فيه حجة لما اختار عياض، وهو القول الثالث في مسألة القائل: أنا مؤمن فلابد من زيادة إن شاء الله تعالى

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٦٦/٩

أولا، فقال عياض: إن أراد في المستقبل في التقبل وما يقع به فلا بد من زيادتها وإن أراد صحة معتقده في الوقت الحالي فيجب حذفها، فهذا حجة لعياض نقلها في المدارك لما عرف بمحمد بن سحنون فإن لا يستثنى، وابن عبدوس يستثنى وانظر ما سبق في البقرة في قوله تعالى: (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا).

قوله تعالى: (فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا).

الزمخشري: الذنوب الكبائر، والسيئات الصغائر.

ابن عرفة: الصواب العكس لا حل الترتيب لئلا يكون تكرارا لغير فائدة؛ لأن مغفرة الكبائر يستلزم مغفرة الصغائر من باب أحرى أل ا ترى أن الصغائر مغفورة باجتناب الكبائر، ولا يرد هذا بعد قوله هذا: (لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار) فالمراد بالسيئات الكبائر والمغفرة الستر، فلا يلزم منها للتخوف بذلك، قال تعالى: (وكفر عنا سيئاتنا) ليفيد محو الذنب من أصل، وكذلك هو في الدنيا والآخرة، فقال: هذا إن [أفرد الدعاء بها، وأما إن أقرناها*] بالتكفير، فهو دليل على إرادة ما قلناه أن الستر في الدنيا، والمحق في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة ... (١٩٤)﴾

قيل: أي على تصديق رسلك، وقيل: على ألسنة رسلك، والعطف في الآية ترق؛ لأن الأول جلب ملائم، (ولا تخزنا) دفع مؤلم وهو آكد من دفع الملائم.

قوله تعالى: (إنك لا تخلف الميعاد).

ابن عرفة: الصواب أن يراد إنك لا تخلف ما وعدتنا به، وليس المراد لا تخلف الميعاد بالإطلاق عليه سؤال، الزمخشري: في طلب الوفاء بالعهد مع أنه حق لا حلف فيه.

قوله تعالى: ﴿فاستجاب لهم ربهم ... (١٩٥)﴾

قال ابن عطية: ليس هو لطلب الفعل بل بمعنى أجاب، ك:

وداع دعا يا من يجيب إلى الندى ... فلم يستجبه عند ذاك مجيب." (١)

"نقص يمنع منه، والفاحشة لحساستها بالزنا هو الذي يطلب الشهادة عليه، وأما من لم يرم به فالستر في حقه أولى، ويستكشف الشهود في الزنا؛ لأن المقصود منها الستر يسألون على أي حال، وفي أي

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ١/٤٥٧

موضع وفي أي زمان، وكذلك القطع في السرقة؛ لأن أكثر الناس لا يفرقون بين السرقة والاختلاس والخديعة والتعدي والغصب والنهب والخيانة والغيلة والحرابة؛ لأن أحكامهما مختلفة، وقال أبو عمران: في النظائر شهود السرقة لا يستكشفون ابن عرفة وهو غلط، وكذلك اشتراط إيجادهم في زمن الأداء كشهود الزنا وهو غلط أيضا، ابن عرفة وقوله تعالى: (فإن شهدوا) إنما عبر بدون إذا؛ لأن المقصود عدم شهادتهم، وقوله تعالى: (حتى يتوفاهن الموت) عقبه لأن المتوفى أعم قال الله تعالى: (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها).

قوله تعالى: (أو يجعل الله لهن سبيلا).

أو بمعنى إلا أن ولا يصلح أن يكون بمعنى إلى إلا إذا قررنا: أن ما بعد إلى داخل فيما قبلها، وقد قالوا في:

[وكنت إذا غمزت قناة قوم ... كسرت كعوبها أو تستقيما*]

قال ابن عطية: أما [البكر فلا خلاف أنه يجلد*] واختلفوا في نفيه وتغريبه، فقال الخلفاء الأربعة، ومالك والشافعي رحمهم الله: أنه لا ينفى، وقال جماعة: ينفى، وقيل: نفيه حجة، ولا تنفى المرأة ولا العبد هذا مذهب مالك وجماعة.

ابن عرفة: وهذا غلط؛ لأن في كتاب الرجم من التهذيب ما نصه ولا نفي على النساء ولا العبيد ولا تغريب ولا ينفي الرجل الحد إلا في الزنا، وفي حرابة فينفيان جميعا في الموضع الذي لا ينفيان إليه بسجن الزاني فيه والمحارب حتى تعرف توبته، فإن قلت: لم قال (من نسائكم)، قلنا: المراد بإخراج الذمية لقول مالك في كتاب الرجم في المدونة وإن زنا مسلم بذمية حد، وردت هي إلى الأصل في دينها فإن شاءوا رجمها فلم أمنعهم، فإن قلت لم قال: (فاستشهدوا) فأمر بطلب الشهادة مع أنه موضع يقصد **فيه الستر شرعا**، قلنا: المراد به الحاكم فهو إذا أخبر بأنهما زنيا؛ بحيث هل يشهدهما أحد أم لا؛ لأنه يأمر الشهود بالبحث عنهم ابتداء فإن لم يجد من يشهد عليهما كان من أخبره بذلك قادحا فنحده.

قوله تعالى: ﴿وأصلحا ... (١٦)﴾." (١)

"ابن عرفة: بل هو واجب أو سنة، ولو كان تعداديا، لقلنا: أراد المستحب السنة.

قال ابن عرفة: والظاهر عندنا أن الأمر هنا للندب؛ لأن خارج من ذلك لأنه أمر بالزينة لا بستر العورة؛ لكنه

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٢/١٥

يستلزم الستر من باب أحرى، قال: وقول القائل: خذ زينتك أبلغ من قوله: تزين، وإضافة الزينة إشارة إلى أن كل واحد منا يأخذ زينته اللائقة بحاله.

قوله تعالى: (ولا تسرفوا).

قال ابن عرفة: تقدم لنا أن الاستثناء لإخراج الصالح، أو يكون لإخراج الدخول، ومنه ابن التلمساني باستثناء ما زاد على العشرة على وجه البدل من جموع القلة واستشكله الشيوخ؛ والصواب تمثيله بما قاله هو في مواضع أخر، وهو أن الاستثناء من النكرة المطلقة، كقولك: أكرم رجلا من بني تميم إلا زيدا.

قال ابن عرفة: وكذلك التقييدات تكون داخلة، وتكون صالحة للدخول، كقولك: أكرم الناس ولا تسرف، وأكرم بنيك ولا تسرف، فالأول: صالح، والثاني: داخل؛ لأن ال أمر بإكرام [البنين*] مظنة الإسراف؛ لما في النفس من الشفقة عليهم، وأما هنا فالأكل محبوب للنفس بالطبع فإذا أمر به تأكد وكأنه مظنة للإسراف في الزائد على الشبع إذ لم يتوق النفس الشهوة فإنه محرم، وإن شبع الإنسان ولم تزل شهوته في الطعام فالظاهر أن أكله مكروه وليس بحرام بدليل أن الواحد يأكل الطعام ويشتهي الفواكه ويأكل منها.

قوله تعالى: (ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) النهي للتحريم، كقولهم: لا حبذا زيد فإنه للذم والذم على فعل الشيء دليل على تحريمه.

قوله تعالى: ﴿قل من حرم زينة الله ... (٣٢)﴾

قال ابن عرفة: الخطابات في القرآن على ثلاثة أنواع: فمنها ما هو صريح العموم، مثل (قل هو الله أحد)، ومنها ما هو صريح الخصوص بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، مثل (قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن)، ومنها ما هو محتمل كهذه الآية.

قوله تعالى: (التي أخرج لعباده).

إن أريد التي خلق الله لعباده فلا يكون فيه دليل لمن يقول: إن الأشياء على الحصر، وإن أريد التي شرع لعباده فيكون دليلا على أن الأشياء على الحصر.." (١)

"لأن المال زينة الحياة الدنيا التي هي زائلة منفصلة والآخرة فيها الثواب الباقي.

قوله تعالى: ﴿إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ... (٢٩)﴾

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٢/٢٢١

دليل على أن التقوى أخص من الإيمان خلافا لقول الإمام مالك رحمه الله في المتعة، ويجيب الآخرون بأن المراد: تدوموا على إيمانكم.

قوله تعالى: (ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم).

راجع إلى [الستر*]؛ ولذلك سمي الحراث كافرا، والمغفرة راجعة إلى عدم المؤاخذة [بالذنب فقط*]، فإن جعلنا العاصي متقيا لاجتنابه الكبائر كان داخلا في هذه الآية، وإن قلنا: إن التقوى إنما على التوبة من الذنوب لم يدخل فيها العاصي.

قوله تعالى: ﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ... (٣٢)﴾

قال ابن عرفة: يدعى الباطل تارة يدعيه من غير تسمية، وتارة يدعيه على صفة، فهؤلاء اعتقدوا أنه باطل ودعوا على أنفسهم إن كان حقا.

قوله تعالى: ﴿وما كان اللہ ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم ... (٣٣)﴾

قال ابن عرفة: نفى الأول بالاسم، والثاني بالفعل، قال: فعادتهم يجيبون بأنه لما كان الاسم أبلغ من الفعل كان أخص منه، ونفي الأخص أعم من نفي الأعم، ونفي الأعم أخص من نفي الأعم، مثل: ليس في الدار إنسان وليس فيها حيوان؛ فنفى الأول بلفظ الفعل فكان نفيا أخص؛ لأن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهم بوجوده فهم موجب لدفع العذاب عنهم مجرد فعلهم وكسبهم وهو الاستغفار فكان أضعف فعبر فيه بالنفي الأعم فهو دون النفي الأول، فإن قلت: أول الآية اقتضى نفي العذاب عنهم، وآخرها اقتضى صحة وقوع العذاب بهم، فالجواب: أن الأول اقتضى نفي عذاب الاستئصال عنهم، والثاني: ثبوت مطلق العذاب المهلك.

قوله تعالى: ﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (٣٥)﴾

إن قلت: هو من باب تعليل الحكم لعلتين: أحدهما: وصف الكفر، والآخر: صلاتهم عند البيت مكاء وتصدية، فالأولى منصوصة، والثانية موحى إليها لأن ذكر الحلم عقب الوصف المناسب يشعر بأنه علة له، وأيضا فإن الفاء للسبب.

قوله تعالى: ﴿ليميز الله الخبيث من الطيب ... (٣٧)﴾." [1]

"وإذا أخر بعده أجزأه.

والذي في أصل " المدونة ": فإن اغتسل قبل وضوئه أجزأه.

فكان بعض الشيوخ تتعقبه بأن مقتضى ما في " المدونة، أنه إذا اغتسل أجزأه، وإن لم يتوضأ. فالاغتسال قبل الوضوء لا يقتضي وقوع الوضوء كما أن الطلاق قبل المسيس لا يقتضي وقوع المسيس بعده، وكما أن نفاد البحر متقدم على نفاد كلمات اللَّه، وليس بعد نفاد الكلمة بوجه.

- (وقد فرضتم. .). يدل على جواز نكاح التفويض. **وإرخاء الستر لما** كان مظنة للمسيس جُعِلَ بمنزلة المسيس.

- (أقرب للتقوى. .). قيل: المناسب أن يقول: أقرب للتفضل؛ لأن من لم يعف ليس ببعيد عن التقوى؛ لأنه ما طلب إلا ما وجب له.

أجيب: بأن المراد أن يكون عفوه لمجرد وجه الله تعالى لا لقصد المحمدة، والشكر.." [2]

"١٩٣ - (فآمنا. .). دليل لما اختاره عياض، وهو القول الثالث في مسألة القائل: " أنا مؤمن "، هل لا بدّ من زيادة إن شاء الله أو لا؟. فقال عياض: إن أراد في المستقبل، وما تقع به الخاتمة فلا بدّ من زيادتها، وإن أراد صحة معتقده في الوقت الحالي وجب حذفها. وهذا إنشائي. وتكلم على ذلك كما عُرِفَ محمد بن سحنون، وانظر ما تقدم في سورة البقرة في قوله تعالى: (قَولوا آمنا. .).

قال الزمخشري: والذنوب الكبائر، والسيئات الصغائر. والصواب العكس لأجل الترتيب لئلا يكون تكرار لغير فائدة؛ لأن مغفرة الكبائر يستلزم مغفرة الصغائر من باب أحرى ألَا ترى أن الصغائر مغفورة باجتناب الكبائر، ويؤيد هذا قوله بعد: (لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ).

فالمراد: بالسيئات الكبائر، والمغفرة: الستر. فلا يلزم منها المحو، فلذلك قال: (وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا)؛ ليفيد محو الذنوب من أصل، وكذلك." [3]

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٢/٢٨٤

(٢) التقييد الكبير للبسيلي، البسيلي ص/٣٢١

(٣) التقييد الكبير للبسيلي، البسيلي ص/٦١٤

"هو في الدنيا يستر الله على العبد معصيته ثم يعاقبه عليها في الآخرة.

والداعي بالمغفرة فقط يقصد بها الستر في الدنيا، والآخرة وإن قرنها بالتكفير فيزيد الستر في الدنيا، والمحو في الآخرة.

- (فقنا عذاب النار. .). ترقٍ؛ لأنه دفع مؤلم، وهو آكد من جلب الملائم.

١٩٤ - (ربنا وآتنا ما وعدتنا. .) أي ما وعدتنا به لا الميعاد بالإطلاق.." (١)

"(إن الذين) التعريف للعهد أو للجنس، والثاني أولى (كفروا) أي جحدوا وأنكروا، وأصل الكفر في اللغة الستر والتغطية ومنه سمي الكافر كافرا لأنه يغطي بكفره ما يجب أن يكون عليه من الإيمان (سواء عليهم) أي متساو لديهم، وسواء اسم مصدر بمعنى الاستواء وارتفاعه على أنه خبر لأن (أأنذرتهم) أي خوفتهم وحذرتهم، والإنذار الإبلاغ والإعلام مع التخويف فكل منذر معلم، وليس كل معلم منذرا، قرئ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا، قال البيضاوي وهذا الإبدال لحن، ورد عليه على القارى بأن ما قاله تقليدا للكشاف خطأ لأن القراءة به متواترة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فإنكارها كفر، وتمام هذا البحث في الجمل (أم لم تنذرهم لا يؤمنون) أي لا يصدقون.

قال القرطبي واختلف العلماء في تأويل هذه الآية فقيل هي عامة ومعناها الخصوص فيمن حقت عليه كلمة العذاب وسبق في علم الله أنه يموت على كفره أراد الله تعالى أن يعلم الناس أن فيهم من هذا حاله دون أن يعين أحدا، وقال ابن عباس والكلبي نزلت في رؤساء اليهود حيي بن أخطب وكعب ابن الأشرف ونظرائهما وقال الربيع بن أنس نزلت فيمن قتل يوم بدر من قادة الأحزاب، والأول أصح فإن من عين أحدا فإنما مثل عن كشف الغيب بموته على الكفر انتهى.." (٢)

"قال في الكشاف: إنهم أمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكرا لله وتواضعا واعترضه أبو حيان في النهر الماد فقال لم يؤمروا بالسجود بل هو قيد في وقوع المأمور به وهو الدخول، والأحوال نسب تقييدية والأوامر نسب اسنادية انتهى، ويجاب عنه بأن الأمر بالمقيد أمر بالقيد، فمن قال أخرج مسرعا فهو أمر بالخروج على هذه الهيئة، فلو خرج غير مسرع كان عند أهل اللسان مخالفا للأمر، ولا ينافي هذا كون الأحوال نسبا تقييدية فإن اتصافها بكونها قيودا مأمورا بها هو شيء زائد على مجرد التقييد.

---

(١) التقييد الكبير للبسيلي، البسيلي ص/٦١٥

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٨٨/١

(وقولوا حطة) قيل الحطة في الاصل اسم للهيئة من الحط كالجلسة والقعدة وقيل هي التوبة معناه الاستغفار، وقال ابن فارس في المجمل: حطة كلمة أمروا بها لو قالوها لحطت أوزارهم أي لا يدري معناها، قال الرازي في تفسيره أمرهم بأن يقولوا ما يدل على التوبة، وذلك لأن التوبة صفة القلب فلا يطلع الغير عليها.

وإذا اشتهر واحد بالذنب ثم تاب بعده لزمه أن يحكي توبته لمن شاهد منه الذنب، لأن التوبة لا تتم إلا به انتهى، وكون التوبة لا تتم إلا بذلك، لا دليل عليه بل مجرد عقد القلب عليها يكفي سواء اطلع الناس على ذنبه أم لا، وربما كان التكتم بالتوبة على وجه لا يطلع عليها إلا الله عز وجل أحب إلى الله وأقرب إلى مغفرته وأما رفع ما عند الناس من اعتقادهم بقاءه على المعصية فذلك باب آخر.

(نغفر لكم خطاياكم) أي نسترها عليكم من الغفر وهو الستر، لأن المغفرة تستر الذنوب، وخطايا جمع خطية (وسنزيد المحسنين) أي نزيدهم ثوابا أو إحسانا إلى إحسانهم المتقدم وهو اسم فاعل من أحسن.

وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سئل عن الإحسان فقال: " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ".." (١)

"التوراة (ويكفرون) الواو للحال (بما وراءه) أي بما سواه من الكتب، قاله الفراء وبما بعده يعني الإنجيل والقرآن قاله أبو عبيده، قال الجوهري وراء بمعنى خلف وقد يكون بمعنى قدام وأمام فهي من الاضداد ومنه قوله تعالى (وكان وراءهم ملك) أي قدامهم، وفي الموازنة للآمدي وراء ليست من الأضداد إنما هو من المواراة والاستتار فما استتر عنك فهو وراء، خلفا كان أو قداما إذا لم تره ولم تشاهده، فأما إذا رأيته فلا يكون وراءك ومنه قوله تعالى (وكان وراءهم ملك) أي أنه كان أمامهم وصح ذلك لأنهم لم يعاينوه ولم يشاهدوه انتهى.

قال الخفاجي وهذا لا ينافي قوله البيضاوي ولذلك عد من الأضداد لأن معناه أنه لما أطلق على خلف وقدام وهما ضدان عد ضدا تسمحا على عادة أهل اللغة، وإن كان موضوعا لمعنى شامل لهما لأنه مصدر بمعنى الستر فيهما لكنه قد يستعمل بمعنى الساتر وقد يستعمل بمعنى المستور، ولذا قال في القاموس هو من الأضداد أولا، وقيل أنه مضاف إلى الفاعل مطلقا لأن الرجل يواري ما خلفه على من هو قدامه وما قدامه على من هو خلفه انتهى.

(وهو الحق) يعني القرآن (مصدقا لما معهم) يعني التوراة (قل) يا محمد (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين) بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتل الأنبياء، وهذا تكذيب لهم لأن الإيمان بالتوراة مناف لقتل

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١/١٧٧

أشرف خلقه، وهذا الخطاب وإن كان مع الحاضرين من اليهود فالمراد به أسلافهم، ولكنهم لما كانوا يرضون بأفعال سلفهم كانوا مثلهم، وفي الآية دليل على أن من رضي بالمعصية فكأنه فاعل لها (١).

---

(١) وتقتلون هنا بمعنى قتلتم، فوضع المستقبل في موضع الماضي، لأن الوهم لا يذهب إلى غيره وأنشدوا في ذلك:

شهد الخطيئة حين يلقي ربه ... أن الوليد أحق بالعذر." (١)

"والمراد **بالمغفرة الستر للخلة** وسوء حالة المحتاج والعفو عن السائل إذا صدر منه من الإلحاح ما يكدر صدر المسؤول، وقيل إن المراد أن العفو من جهة السائل لأنه إذا رده ردا جميلا عذره، وقيل المراد فعل يؤدي إلى المغفرة خير من صدقة أي غفران الله خير من صدقتكم.

وهذه الجملة مستأنفة مقررة لترك اتباع المن والأذى للصدقة (١)، قال الضحاك: قول معروف رد جميل تقول يرحمك الله ويرزقك الله ولا تنهره ولا تغلظ له القول، وعن عمرو بن دينار قال: بلغنا أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " ما من صدقة أحب إلى الله من قول الحق " ألم تسمع قول الله (قول معروف) الآية أخرجه ابن أبي حاتم.

(والله غني) عن صدقة العباد لا يحوج الفقراء إلى تحمل مؤنة المن والأذى ويرزقهم من جهة أخرى (حليم) بتأخير العقوبة عن المان والموذي لا يعاجلهم بها لا أنهم لا يستحقونها بسببهما، والجملة تذييل لما قبله مشتملة على الوعد والوعيد مقررة لاعتبار الخيرية بالنسبة إلى السائل قطعا.

---

(١) زاد المسير ١٥١.

وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب ". المسبل هو الذي يسبل إزاره أو ثيابه أو قميصه أو سراويله حتى تكون إلى القدمين، لأنه صلى الله عليه وسلم قال. " ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو في النار " وفي الحديث أيضا: " ثلاثة لا يدخلون الجنة، العاق لوالديه، والمدمن الخمر، والمنان " رواه النسائي وفيه أيضا: " لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان " والخب هو المكر والخديعة، والمنان هو الذي يعطي شيئا أو يتصدق به ثم يمن به. وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٢٣/١

قال: إياكم والمن بالمعروف فإنه يبطل الشكر ويمحق الأجر، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قول الله عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى).." (١)

"(الشيطان يعدكم الفقر) قد تقدم معنى الشيطان واشتقاقه، ويعدكم معناه يخوفكم بالفقر لئلا تنفقوا، فهذه الآية متصلة بما قبلها وقرىء الفقر بضم الفاء وهي غلة، قال الجوهري: والفقر لغة في الفقر مثل الضعف والضعف (ويأمركم بالفحشاء) أي الخصلة الفحشاء وهي المعاصي والإنفاق فيها، والبخل عن الإنفاق في الطاعات، قال في الكشاف: والفاحش عند العرب البخيل انتهى.

ولكن العرب وإن أطلقته على البخيل فذلك لا ينافي إطلاقهم على غيره من المعاصي، وقد وقع كثيرا في كلامهم، والمعنى يحسن لكم البخل ومنع الزكاة والصدقة، قال الكلبي: كل فحشاء في القرآن فالمراد به الزنا إلا هذا الموضع.

(والله يعدكم مغفرة منه وفضلا) بسبب الإنفاق كقوله (إن الحسنات يذهبن السيئآت) وقوله (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) والوعد في كلام العرب إذا أطلق فهو في الخير، وإذا قيد فقد يقيد تارة بالخير وتارة بالشر، ومنه قوله تعالى ﴿النار وعدها الله الذين كفروا) ومنه أيضا ما في هذه الآية من تقييد وعد الشيطان بالفقر وتقييد وعد الله سبحانه بالمغفرة والفضل.

والمغفرة الستر على عباده في الدنيا والآخرة لذنوبهم وكفارتها، والفضل أن يخلف عليهم أفضل مما أنفقوا فيوسع لهم في أرزاقهم وينعم عليهم في الآخرة بما هو أفضل وأكثر وأجل وأجمل.

(والله واسع) أي غني قادر على إغنائكم وإخلاف ما تنفقونه (عليم) بإنفاقكم لا تخفى عليه خافية.." (٢)

"هذا، والمعنى لا تحملنا من الأعمال ما لا نطيق وقيل: هو عبارة عن إنزال العقوبات كأنه قال لا تنزل علينا العقوبات بتفريطنا في المحافظة على تلك التكاليف الشاقة التي كلفت بها من قبلنا، وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف، والطاقة القدرة على الشيء.

(واعف عنا) أي عن ذنوبنا يقال عفوت عن ذنبه إذا تركته ولم تعاقبه عليه (واغفر لنا) أى استر على ذنوبنا ولا تفضحنا بالمؤاخذة، **والغفر الستر** (وارحمنا) أي تفضل برحمة منك علمنا وتعطف بنا (أنت مولانا) أي ولينا وناصرنا، وخرج هذا مخرج التعليم كيف يدعون، وقيل معناه أنت سيدنا ونحن عبيدك (فانصرنا على القوم الكافرين) فإن من حق المولى أن ينصر عبيده والمراد عامة الكفرة وفيه إشارة إلى إعلاء كلمة الله

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١١٩/٢

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٢٩/٢

بالجهاد في سبيله.

وقد قدمنا في شرح الآية التي قبل هذا أنه ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أن الله تعالى قال عقب كل دعوة من هذه الدعوات " قد فعلت " فكان ذلك دليلا على أنه سبحانه لم يؤاخذهم بشيء من الخطأ والنسيان، ولا حمل عليهم شيئا من الإصر الذي حمله على من قبلهم، ولا حملهم ما لا طاقة لهم به، وعفا عنهم وغفر لهم ورحمهم ونصرهم على القوم الكافرين، والحمد لله رب العالمين.

وقد أخرج ابن ماجة وابن المنذر وابن حبان في صحيحه والطبراني والدارقطني والحاكم والبيهقي في سننه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: " إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه (١) " وروي من طرق كثيرة وفي أسانيدها مقال ولكنها يقوي بعضها بعضا فلا يقصر عن رتبه الحسن لغيره، وقد تقدم حديث " قد فعلت " وهو يشهد لهذا الحديث.

وقد ورد عن جماعة من الصحابة وغيرهم أن جبريل لقن النبي - صلى الله عليه وسلم -

---

(١) صحيح الجامع الصغير ١٧٢٧. والمشكاة ٦٢٨٤.." (١)

"(ربنا إننا سمعنا مناديا) هو عند أكثر المفسرين النبي - صلى الله عليه وسلم -، وقيل هو القرآن، وأوقع السماع على المنادي مع كون المسموع هو النداء لأنه قد وصف المنادي بما يسمع وهو قوله (ينادي) قال أبو علي الفارسي. ذكره مع أنه قد فهم من قوله مناديا لقصد التأكيد والتفخيم لشأن هذا المنادى به (للإيمان) اللام بمعنى إلى وقيل للعلة أى لأجله (أن آمنوا بربكم فآمنا) أي امتثلنا ما يأمر به هذا المنادي من الإيمان.

وتكرير النداء في قوله (ربنا) لإظهار التضرع والخضوع (فاغفر لنا) الفاء لترتيب المغفرة والدعاء بها على الإيمان به تعالى والإقرار بربوبيته، فإن ذلك من دواعي المغفرة والدعاء بها (ذنوبنا وكفر) حط (عنا سيآتنا) قيل المراد بالذنوب هنا الكبائر وبالسيآت الصغائر، والظاهر عدم اختصاص أحد اللفظين بأحد الأمرين والآخر بالآخر بل يكون المعنى في الذنوب والسيآت واحدا، والتكرير للمبالغة والتأكيد كما أن معنى الغفر والكفر الستر.

(وتوفنا مع الأبرار) جمع بار أو بر، وأصله من الاتساع وكأن البار متسع في طاعة الله ومتسعة له رحمته،

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٦٦/٢

قيل هم الأنبياء ومعنى اللفظ أوسع من ذلك أي معدودين ومحسوبين في جملتهم، أو المراد في سلكهم على سبيل الكناية أو أن مع بمعنى (على) أي على أعمال الأبرار أو محشورين معهم.." (١)

"والباء في دخلتم بهن للتعدية أي دخلتم الخلوة بهن، والمراد لازمه العادي وهو الوطء أي جامعتموهن، فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم في نكاح الربائب إذا فارقتموهن أو متن، وهو تصريح بما دل عليه مفهوم ما قبله.

وقد اختلف أهل العلم في معنى الدخول الموجب لتحريم الربائب، فروى عن ابن عباس أنه قال: الدخول الجماع وهو قول طاوس وعمرو بن دينار وغيرهما، وقال مالك والثوري وأبو حنيفة والأوزاعي والليث: إن الزوج إذا لمس الأم بشهوة حرمت عليه ابنتها، وهو أحد قولي الشافعي، وقال أبو السعود معنى الدخول بهن **إدخالهن الستر والباء** للتعدية وهي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب، وفي حكمه اللمس ونظائره انتهى ورجحه الخفاجي.

ورد على البيضاوي في قوله ردا على أبي حنيفة تصريح بعد إشعار دفعا للقياس بأن صريح الآية غير مراد قطعا بل ما اشتهر من معناها الكنائي.

وقال ابن جرير الطبري: وفي إجماع الجميع على أن خلوة الرجل بامرأته لا تحرم ابنتها عليه إذا طلقها قبل مسيسها ومباشرتها وقبل النظر إلى فرجها بشهوة ما يدل على أن معنى ذلك هو الوصول إليها بالجماع انتهى.

وهكذا حكى الإجماع القرطبي فقال: وأجمع العلماء على أن الرجل إذا تزوج المرأة ثم طلقها أو ماتت قبل أن يدخل بها حل له نكاح ابنتها، واختلفوا في النظر فقال الكوفيون إذا نظر إلى فرجها للشهوة كان بمنزلة اللمس للشهوة وكذا قال الثوري ولم يذكر الشهوة، وقال ابن أبي ليلى: لا تحرم بالنظر حتى يلمس وهو قول الشافعي.

والذي ينبغي التعويل عليه في مثل هذا الخلاف هو النظر في معنى." (٢)

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤٠٢/٢

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٧٢/٣

"(إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) أي الذنوب التي نهاكم الله عنها، وفي الكلام حذف أي وتفعلوا الطاعات (نكفر عنكم) أصل **التكفير الستر والتغطية**، وفي الشرع إماطة المستحق من العقاب بثواب أزيد أو بتوبة أي نغفر." (١)

"ربكم وهو تكرير للشهادة وتقرير لحقية المشهود به، وتمهيد لما بعده من الأمر بالإيمان.
(فآمنوا) قال سيبويه والخليل أي اقصدوا أو آتوا (خيرا لكم) وقال الفراء: فآمنوا إيمانا خيرا لكم، وقال أبو عبيدة والكسائي: فآمنوا يكن الإيمان خيرا لكم، وأقوى هذه الأقوال الثالث ثم الأول ثم الثاني على ضعف فيه.
(وإن تكفروا) أي وإن تستمروا على كفركم وتجحدوا رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - وتكذبوا بما جاءكم به من الحق (فإن لله ما في السموات والأرض) من مخلوقاته وأنتم من جملتهم، ومن كان خالقا لكم ولها فهو قادر على مجازاتكم بقبيح أفعالكم.
ففي هذه الجملة وعيد لهم مع إيضاح وجه البرهان **وإماطة الستر عن** الدليل بما يوجب عليهم القبول والإذعان، لأنهم يعترفون بأن الله خالقهم (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله) وهو يعم ما اشتملتا عليه وما تركبتا منه (وكان الله عليما) بمن يؤمن ومن يكفر (حكيما) ل ا يسوي بينهما في الجزاء.." (٢)

"والعهد، فاليمين المعقدة من عند القلب ليفعلن أو لا يفعلن في المستقبل أي ولكن يؤاخذكم بأيمانكم المعقدة الموثقة بالقصد والنية إذا حنثتم فيها، وأما اليمين الغموس فهي يمين مكر وخديعة وكذب قد باء الحالف بإثمها، وليست بمعقودة ولا كفارة فيها كما ذهب إليه الجمهور.
وقال الشافعي: هي يمين معقودة لأنها مكتسبة بالقلب معقودة بخير مقرونة باسم الله، والراجح الأول، وجميع الأحاديث الواردة في تكفير اليمين متوجهة إلى المعقودة، ولا يدل شيء منها على الغموس بل ما ورد في الغموس إلا الوعيد والترهيب، وأنها من الكبائر بل من أكبر الكبائر، وفيها نزل قوله تعالى: (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا) الآية.
(فكفارته) هي مأخوذة من التكفير وهو التستير وكذلك الكفر هو الستر، والكافر هو الساتر سميت بها لأنها تستر الذنب وتغطيه، والضمير في كفارته راجع إلى الحنث الدال عليه سياق الكلام، وقيل إلى العقد لتقدم الفعل الدال عليه، وقيل إلى اليمين وإن كانت مؤنثة لأنها بمعنى الحلف، قالهما أبو البقاء وليسا

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٩٦/٣

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٠٧/٣

بظاهرين، وقيل إن (ما) إن جعلناها موصولة اسمية، فالعبارة على حذف مضاف أي فكفارة نكثه كذا قدره الزمخشري.

(إطعام عشرة مساكين) هو أن يغديهم ويعشيهم أو يعطيهم بطريق التمليك وقيل لكل مسكين مد، ولا يتعين كونه من فقراء بلد الحالف (من أوسط ما تطعمون) المراد الوسط هنا المتوسط بين طرفي الإسراف والتقتير، وليس المراد به الأعلى كما في غير هذا الموضع أي أطعموهم من المتوسط مما تعتادون إطعام (أهليكم) ولا يجب عليكم أن تطعموهم من أعلاه ولا يجوز لكم أن تطعموهم من أدناه بل من غالب قوت بلد الحالف أي: محل الحنث، قال ابن عباس يعني من عسركم ويسركم، وظاهره أنه يجزى إطعام عشرة حتى يشبعوا.." (١)

"(فلما جن عليه) أي ستره (الليل) بظلمته ومنه الجنة والمجن والجن كله من الستر أي واذكر إذ جن الليل، يقال جن الليل وأجن إذا أظلم وغطى كل شيء وهذه قصة أخرى غير قصة عرض الملكوت عليه (رأى كوكبا) قيل رأى من شق الصخرة الموضوعة على رأس السرب الذي كان فيه، وقيل رآه لما أخرجه أبوه من السرب وكان وقت غيبوبة الشمس، وقيل رأى المشتري وقيل الزهرة.

(قال هذا ربي) جملة مستأنفة كأنه قيل فماذا قال عند رؤية الكوكب قيل وكان هذا منه عند قصور النظر لأنه في زمن الطفولية وقيل كان بعد بلوغ إبراهيم، وعليه جمهور المحققين.

ثم اختلف في تأويل هذه الآية فقيل أراد قيام الحجة على قومه كالحاكي لما هو عندهم وما يعتقدونه لأجل إلزامهم، وقيل معناه أهذا ربي؟ أنكر أن يكون مثل هذا ربا، ومثله قوله تعالى: (أفإن مت فهم الخالدون) أي أفهم الخالدون؟ وقيل المعنى وأنتم تقولون هذا ربي فأضمر القول وقيل المعنى عىى حذف مضاف أي هذا دليل ربي.

(فلما أفل) أي غرب وغاب، والأفول غيبة النيرات (قال) إبراهيم (لا أحب الآفلين) يعني لا أحب ربا يغيب ويطلع فإن الغروب تغير من حال إلى حال، وهو دليل الحدوث فلم ينجع فيهم ذلك.." (٢)

"(وما قدروا الله حق قدره) قدرت الشيء وقدرته عرفت مقداره وأصله الستر ثم استعمل في معرفة الشيء أي لم يعرفوه حق معرفته حيث أنكروا إرساله للرسل وإنزاله للكتب قاله الأخفش، وقيل المعنى وما قدروا نعم الله حق تقديرها، قال ابن عباس: هم الكفار لم يؤمنوا بقدرة الله، فمن آمن أن الله على كل شيء

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤٢/٤

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٧٧/٤

قدير قد قدر الله حق قدره، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره، وقال مجاهد: قالها مشركو العرب، وعنه قال ما عظموا الله حق عظمته، وقال أبو العالية: ما وصفوا الله حق صفته، ويصح جميع ذلك في معناه (١).

(إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) قال ابن عباس: قالت اليهود

---

(١) وروي أن مالك بن الصيف رأس اليهود، أتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ذات يوم، فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى، أتجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين؟ " قال: نعم، قال: " فأنت الحبر السمين ". فغضب، ثم قال: (ما أنزل الله على بشر من شي) فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس؛ وكذلك قال سعيد بن جبير، وعكرمة: نزلت في مالك بن الصيف.

رجح هذا القول ابن كثير، وقال: إنه الأصح، لأن الآية مكية، واليهود ينكرون إنزال الكتب من السماء، وقريش والعرب قاطبة كانوا يبعدون إرسال رسول من البشر كما قال:. (أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس) [يونس: ٢]. وقال تعالى:. (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) [الإسراء: ٩٤، ٩٥].." (١)

"فهذا هو الأصل في الإجماع ثم صار بمعنى العزم والتصميم، يقال أجمع في المعاني وجمع في الأعيان وقد يستعمل كل واحد مكان الآخر، وفي التنزيل (فجمع كيده) قال ابن الأنباري: المراد من الأمر هنا وجوه كيدهم ومكرهم فالتقدير لا تدعو من أمركم شيئا إلا أحضرتموه.

(وشركاءكم) أي ادعوهم لنصرتكم، قاله الكسائي والفراء، وقال الزجاج والفارسي: والمعنى مع شركائكم، ولم يذكر الزمخشري غير هذا، وقيل أجمعوا شركاءكم، وفي مصحف أبي: وادعوا شركاءكم، قال النحاس وغيره: وقراءة الرفع بعيدة، وقال المهدوي: يجوز رفع الشركاء بالابتداء والخبر محذوف أي وشركاؤكم ليجمعوا أمرهم، ونسبة ذلك إلى الشركاء مع كون الأصنام لا تعقل لقصد التوبيخ والتقريع لمن عبدها.

(ثم لا يكن أمركم عليكم غمة) أي خفيا، والغمة التغطية من قولهم غم الهلال إذا استتر أي ليكن أمركم ظاهرا منكشفا قاله الزجاج، وقال الهيثم: معناه لا يكن أمركم مبهما، وقيل أن الغمة ضيق الأمر، كذا روي

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤/١٩٠

عن أبي عبيدة.

والمعنى لا يكن أمركم عليكم بمصاحبتي والمجاملة لي ضيقا شديدا بل ادفعوا هذا الضيق والشدة بما شئتم وقدرتم عليه، وعلى الوجهين الأولين يكون المراد بالأمر الثاني هو الأمر الأول، وعلى الثالث يكون المراد غيره، وإنما نسب عدم الستر الذي هو عدم الغمة إلى الأمر مبالغة.

(ثم اقضوا إلي) ذلك الأمر الذي تريدونه بي؛ وأصل اقضوا من القضاء وهو الأحكام، والمعنى احكموا ذلك الأمر.

قال الأخفش والكسائي: هو مثل " وقضينا إليه ذلك الأمر " أي أنهيناه إليه وأبلغناه إياه. وقيل معناه ثم امضوا إلي، قال النحاس: هذا قول صحيح في اللغة ومنه قضى الميت مضى. وعن بعض القراء ثم افضوا بالفاء أي توجهوا (ولا تنظرون) أي ثم لا تمهلوني ولا تؤخروني، بل عجلوا أمركم ونفذوا واصنعوا ما بدا لكم.." (١)

"وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب (٧١)

(وامرأته) أي سارة زوجة إبراهيم وهي ابنة هارون بن ناحورا وهي ابنة عم إبراهيم (قائمة) قيل كانت قائمة عند تحاورهم وراء الستر تسمع كلامهم وقيل كانت واقفة قائمة تخدم الملائكة وهو جالس؛ والجملة مستأنفة أو حالية (فضحكت) الضحك هنا هو الضحك المعروف الذي يكون للتعجب أو للسرور كما قاله الجمهور، وأصل الضحك انبساط الوجه من سرور يحصل للنفس ولظهور الأسنان عنده سميت مقدمات الأسنان الضواحك ويستعمل في السرور المجرد وفي التعجب المجرد أيضا وعليه أكثر المفسرين. وقال مجاهد وعكرمة أنه الحيض، والعرب تقول ضحكت الأرنب إذا حاضت وقد أنكر بعض اللغويين أن يكون في كلام العرب ضحكت بمعنى حاضت، قال الراغب: وقول من قال حاضت ليس تفسيرا لقوله فضحكت كما تصوره بعض المفسرين وإنما ذكر ذلك تنصيصا لحالها فإن ذلك أمارة لما بشرت به فحيضها في الوقت ليعلم أن حملها ليس بمنكر لأن المرأة ما دامت تحيض فإنها تحمل.

قال الفراء: ضحكت بمعنى حاضت لم نسمعه من ثقة، وقال الزجاج: ليس بشيء ضحكت بمعنى حاضت، وقال ابن الأنباري: قد أنكر الفراء وأبو عبيده أن يكون ضحكت بمعنى حاضت، وقال في المحكم: ضحكت المرأة حاضت والأول أولى ولا مصير إلى المجاز إلا عند تعذر الحقيقة، وظاهر النص أنها ضحكت.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٦/١٠٠

قال قتادة: ضحكت تعجبا مما فيه قوم لوط من الغفلة ومما أتاهم من العذاب، وقال السدي: ضحكت تعجبا من عدم أكلهم، وقال مقاتل والكلبي: ضحكت من خوف إبراهيم من ثلاثة وهو فيما بين خدمه وحشمه." (١)

"المديون ومداواة الطبيب ونظائرها مما يكون من أحد الجانبين الفعل، ومن الآخر سببه.

وهذا باب لطيف المسلك مبني على اعتبار دقيق تحقيقه أن سبب الشيء يقام مقامه ويطلق عليه اسمه كما في قولهم كما تدين تدان أي كما تجزي تجزى، فإن فعل البادئ وإن لم يكن جزاء أطلق عليه اسمه لكونه سببا للجزاء، وهذه قاعدة مطردة مستمرة فكأن يوسف عليه السلام لما كان ما أعطيه من كمال الخلق والزيادة في الحسن والجمال سببا لراودة امرأة العزيز له مراودا والمراد بالمفاعلة مجرد المبالغة وقيل الصيغة على بابها بمعنى أنها طلبت منه الفعل وهو طلب منها الترك.

وإنما قال (التي هو في بيتها عن نفسه) ولم يقل امرأة العزيز أو زليخا قصدا إلى زيادة التقرير، فإن كونه في بيتها مما يدعو إلى ذلك، قيل لواحدة ما حملك على ما أنت عليه مما لا خير فيه: قالت قرب الوساد وطول السواد، ولإظهار كمال نزاهته عليه الصلاة والسلام فإن عدم ميله إليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها واستعصائه عليها مع كونه تحت ملكها ينادى بكونه في أعلى معارج العفة والنزاهة، والعدول عن اسمها للمحافظة على الستر أو للاستهجان بذكرها قال قتادة: هي امرأة العزيز.

(وغلقت الأبواب) أي أطبقتها قيل في هذه الصيغة ما يدل على التكثير لتعدد الحال وهي الأبواب فيقال غلق الأبواب ولا يقال غلق الباب بل يقال أغلق الباب وقد يقال أغلق الأبواب قيل وكانت الأبواب سبعة كما في البيضاوي وغيره وأنها أغلقتها لشدة خوفها.

(وقالت هيت لك) قرأ أبو عمر وعاصم والأعمش والكسائي بفتح الهاء وسكون الياء وفتح التاء وبها قرأ ابن عباس وابن جبير والحسن ومجاهد وعكرمة." (٢)

"(وإذ قلنا للملائكة) أي واذكر وقت قولنا لهم (اسجدوا لآدم) سجود تحية وتكريم بالخرور كما مر تحقيقه (فسجدوا) طاعة لأمر الله وامتثالا لطلبه السجود.

(إلا إبليس) فإنه أبى واستكبر ولم يسجد (كان من الجن) مستأنفة لبيان سبب عصيانه وأنه لم يكن من الملائكة فلهذا عمى، والاستثناء منقطع وإبليس هو أبو الجن وأصلهم كما أن آدم أصل الإنس وله ذرية

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢١٢/٦

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣١٠/٦

ذكرت معه بعد، والملائكة لا ذرية لهم، وقيل كان من حي من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم.

وعلى هذا القول فقد نقل عن ابن عباس أن هذا النوع يتوالد وليس

معصوما والاستثناء متصل وكونه، من الملائكة لا ينافي كونه من الجن بدليل قوله

سبحانه (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) وذلك أن قريشا قالت: إن الملائكة بنات الله فهذا يدل على أن الملك يسمى جنا وتعضده اللغة لأن الجن من الاجتنان **وهو الستر فتدخل** الملائكة فيه، فكل ملائكة جن لاستتارهم وليس كل جن ملائكة.." (١)

"(كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا) أي كذلك أمر ذي القرنين، اتبع هذه الأسباب حتى بلغ، وقد علمنا حين ملكناه ما عنده من الصلاحية لذلك الملك والاستقلال به أو من الآلات والجند وغيرهما.

وقيل المعنى لم نجعل لهم سترا مثل **ذلك الستر الذي** جعلنا لكم من الأبنية والثياب، وقيل المعنى وكذلك بلغ مطلع الشمس مثل ما بلغ من مغربها وقيل المعنى كذلك يطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم، فقضى في هؤلاء مثل ما قضى في أولئك من تعذيب الظالمين والإحسان إلى المؤمنين وهو الأصح ويكون تأويل الإحاطة بما لديه في هذه على ما يناسب ذلك كما قلنا في الوجه الأول، ثم حكى سبحانه سفر ذي القرنين إلى ناحية أخرى وهي ناحية القطر الشمالي بعد تهيئة أسبابه فقال:." (٢)

"(فاتخذت) أي ضربت (من دونهم) أي من دون أهلها (حجابا) أي حاجزا وسترا يسترها عنهم لئلا يروها حال العبادة أو حال التطهر من الحيض. **والحجاب الستر والحاجز** (فأرسلنا إليها روحنا) هو جبريل عليه السلام ليبشرها بالغلام ولينفخ فيها فتحمل به.

وقد اختلف الناس في نبوة مريم، فقيل إنها نبية لمجرد هذا الإرسال إليها ومخاطبتها للملك، وقيل لم تكن نبية لأنه إنما كلمها الملك وهو على مثال البشر، والمتفق عليه أن المنفي وحي الرسالة لا مطلق الوحي، والوحي هنا إنما هو بشارة الولد لا بالرسالة، وقد تقدم الكلام على هذا في آل عمران،." (٣)

"(إن الساعة) أي التي هي وقت الحساب والعقاب (آتية) أي كائنة وحاصلة لا محالة فاعمل الخير من عبادة الله والصلاة، وهذا تعليل لما قبله من الأمر (أكاد) أي أريد، قاله الأخفش. وقيل صلة (أخفيها)

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٨/٦٥

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٨/١١١

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٨/١٤٦

قال الواحدي: قال أكثر المفسرين: أخفيها من نفسي، وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وقتادة. وقال المبرد وقطرب: هذا على عادة مخاطبة العرب، يقولون إذا بالغوا في كتمان الشيء: كتمته حتى من نفسي، أي لم أطلع عليه أحدا.

ومعنى الآية أن الله تعالى بالغ في اخفاء الساعة فذكره بأبلغ ما تعرفه العرب والمعنى في إخفائها التهويل والتخويف؛ وكذلك المعنى في إخفاء وقت الموت على الإنسان ليكون على حذر، تقديم الوجل في كل وقت.

وقد روي عن سعيد بن جبير أنه قرأ أخفيها بفتح الهمزة، ومعناه أظهرها، قال النحاس: وأجود من هذا ما روي عنه أنه قرأها بضم الهمزة، قال الفراء: معناه على الفتح أكاد أظهرها من خفيت الشيء إذا أظهرته، أخفيه.

قال القرطبي: قال بعض اللغويين يجوز أن يكون أخفيها بضم الألف معناه أظهرها، لأنه يقال خفيت الشيء وأخفيته من حروف الأضداد يقع **على الستر والإظهار**، قال أبو عبيدة: خفيت وأخفيت بمعنى واحد، قال النحاس وهذا أحسن، وليس المعنى على أظهرها ولا سيما وأخفيها قراءة شاذة، فكيف ترد القراءة الصحيحة الشائعة، وقال ابن الأنباري: في الآية تفسير آخر، وهو أن الكلام ينقطع على (أكاد) وبعده مضمر، أي أكاد آتي بها، ووقع الابتداء بأخفيها إلى آخره، واختار هذا النحاس.

وقال أبو علي الفارسي: هو من باب السلب وليس من الأضداد، ومعنى أخفيها أزيل عنها خفاءها وهو سترها، ومن هذا قولهم اشكيته أي أزلت شكواه وعن الأخفش أن كاد زائدة للتأكيد، قال: ومثله إذا أخرج يده لم يكد يراها، قال والمعنى أقارب ذلك لأنك إذا قلت كاد زيد يقوم جاز أن." (١)

"يضيق صدرك بتأخير العذاب عنهم، فلكل شيء وقت شبه سبحانه ما هم فيه من الجهل بالماء الذي يغمر من دخل فيه، والغمرة في الأصل ما يغمرك ويعلوك، وأصلها الستر، والغمر الماء الكثير لأنه يغطي الأرض، وغمر الرداء هو الذي يشمل الناس بالعطاء، ويقال للحقد الغمر، والمراد هنا الحيرة والغفلة والضلالة، والآية خارجة مخرج التهديد لهم، والتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا مخرج الأمر له صلى الله عليه وسلم بالكف عنهم، بل نهى له عن الاستعجال بعذابهم، والجزع من تأخيره.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٨/٢٢١

ومعنى (حتى حين) حتى يحضر وقت عذابهم بالقتل، أو حتى يموتوا على الكفر فيعذبون بالنار." (١)

"ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة وربما يبيت عريانا أو على حالة لا يجب أن يراه غيره فيها (وحين تضعون ثيابكم) التي تلبسونها في النهار (من) شدة حر (الظهيرة) وذلك عند انتصاف النهار فإنهم قد يتجردون عن الثياب لأجل القيلولة (من) للبيان أو بمعنى في أو بمعنى اللام ثم ذكر سبحانه الوقت الثالث فقال:

(ومن بعد صلاة العشاء) وذلك لأنه وقت التجرد عن ثياب اليقظة والخلوة بالأهل والالتحاف بثياب النوم، ثم أجمل سبحانه هذه الأوقات بعد التفصيل بقوله (ثلاث عورات لكم) أي أوقات ثلاث عورات وقيل جعل نفس ثلاث مرات نفس ثلاث عورات مبالغة وقيل هو ثلاث.

وقال أبو حاتم: النصب ضعيف مردود، وقال الفراء: الرفع أحب إلي، قال الكسائي: العورات الساعات التي تكون فيها العورة، قال الزجاج: المعنى ليستأذنكم أوقات ثلاث عورات، وعورات جمع عورة وهي في الأصل الخلل.

ثم غلب في الخلل الواقع فيما يهم حفظه ويتعين ستره أي هي ثلاث أوقات، يختل فيها الستر، وقرئ عورات بفتح الواو وهي لغة هذيل وتميم. فإنهم يفتحون عين فعلات سواء كان واوا أو ياء. والجملة مستأنفة، مسوقة لبيان علة وجوب الاستئذان.

عن عبد الله بن سويد قال: سألت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن العورات الثلاث فقال: " إذا أنا وضعت ثيابي بعد الظهيرة لم يلج علي أحد من الخدم من الذين لم يبلغوا الحلم، ولا أحد لم يبلغ الحلم من الأحرار إلا بإذن، وإذا وضعت ثيابي بعد صلاة العشاء ومن قبل صلاة الصبح " أخرجه ابن مردويه.

وعن ابن عباس قال: إنه لم يؤمن بها أكثر الناس يعني آية الإذن. وإني لآمر جاريتي هذه، الجارية قصيرة قائمة على رأسه أن تستأذن علي، وعنه." (٢)

"(وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم).

وعنه أن رجلا سأله عن الاستئذان في الثلاث العورات، التي أمر الله بها في القرآن فقال: إن الله ستير يحب الستر، وكان الناس ليس لهم ستور على أبوابهم ولا حجاب في بيوتهم، فربما فجأ الرجل خادمه، أو

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٢٨/٩

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٦٠/٩

ولده أو يتيم في حجره، وهو على أهله، فأمرهم الله أن يستأذنوا في تلك العورات التي سمي الله، ثم جاء الله بعد بالستور، فبسط عليهم في الرزق، فاتخذوا الستور واتخذوا الحجال، فرأى الناس أن ذلك قد كفاهم من الاستئذان الذي أمروا به.

وعن ابن عمر في الآية قال: هي على المذكور دون الإناث. ولا وجه هذا التخصيص، فالاطلاع على العورات في هذه الأوقات كما يكرهه الإنسان من الذكور يكرهه من الإناث. وعن السلمي قال: هي في النساء خاصة، والرجال يستأذنون على كل حال بالليل والنهار.

وعن ابن مسعود قال: عليكم إذن على أمهاتكم، وعنه قال: يستأذن الرجل على أبيه وأمه وأخته، أخرجه البخاري في الأدب وعن جابر نحوه." (١)

"من شاء باهلته أنها نزلت في أزواج النبي (- صلى الله عليه وسلم -) وروي هذا عنه بطرق، وأما ما تمسك به الآخرون فأخرج الترمذي وصححه، وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه، وابن مردويه والبيهقي في سننه، من طرق عن أم سلمة قالت: في بيتي نزلت إنما يريد الله الآية، وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين فجللهم رسول الله (- صلى الله عليه وسلم -) بكساء كان عليه، ثم قال: هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه عن أم سلمة أيضا أن النبي (- صلى الله عليه وسلم -) كان في بيتها على منامة له عليه كساء خيبري فجاءت فاطمة ببرمة فيها خزيرة فقال رسول الله (- صلى الله عليه وسلم -) ادعي زوجك وابنيك حسنا وحسينا فدعتهم، فبينما هم يأكلون إذ نزلت على النبي - صلى الله عليه وسلم - إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فأخذ النبي (- صلى الله عليه وسلم -) بفضلة كسائه فغشاهم إياها ثم أخرج يده من الكساء وألوى بها إلى السماء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالها ثلاث مرات، قالت أم سلمة فأدخلت رأسي **في الستر فقلت** يا رسول الله وأنا معكم؟ فقال: إنك إلي خير مرتين وأخرجه أحمد أيضا من حديثها وفي إسناده مجهول وهو شيخ عطاء وبقية رجاله ثقات، وقد أخرجه الطبراني عنها من طريقين بنحوه.

وقد ذكر ابن كثير في تفسيره لحديث أم سلمة طرقا كثيرة في مسند أحمد وغيره، وأخرج ابن مردويه والخطيب من حديث أبي سعيد الخدري نحوه وأخرج الترمذي وابن جرير والطبراني وابن مردويه عن عمر

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٩/٢٦١

ابن أبي سلمة ربيب النبي (- صلى الله عليه وسلم -) قال لما نزلت هذه الآية على النبي (- صلى الله عليه وسلم -) وذكر نحو حديث أم سلمة.

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد ومسلم وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم." (١)

"صلى الله عليه وسلم؛ أطعمنا الخبز واللحم، فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام؛ فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن، ويقلن يا رسول الله كيف وجدت أهلك؛ فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبر، فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه **فألقى الستر بيني** وبينه، ونزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظوا: (لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) الآية، ثم بين سبحانه أنه لم يكن على رسول الله صلى الله عليه وسلم حرج في هذا النكاح فقال:." (٢)

"البخاري ومسلم وغيرهما، وقيل: نزلت في زيد بن ثابت، وزينب بنت جحش وما سمع فيها من قالة الناس.

(فبرأه) أي طهره (الله مما قالوا) وأظهر براءته لهم وما مصدرية أو موصولة وأيهما كان، فالمراد البراءة عن مضمون القول ومؤداه، وهو الأمر المعيب وأذى موسى هو حديث المومسة التي أرادها قارون على قذفه بنفسها.

وقد أخرج البخاري وغيره من حديث أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [إن موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر **هذا الستر إلا** من عيب بجلده إما برص وإما أدرة، وإما آفة وإن الله عز وجل أراد أن يبرىء موسى مما قالوا فخلا يوما وحده، فخلع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه فطلب الحجر فجعل يقول: ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا].

وأخرج نحوه البزار وابن الأنباري وابن مردويه من حديث أنس وقال ابن عباس: قال له قومه إنه آدر فخرج ذات يوم يغتسل فوضع ثيابه على حجر فخرجت الصخرة تشتد بثيابه فخرج موسى يتبعها عريانا حتى انتهت

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٨٦/١١

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٩٩/١١

به إلى مجالس بني إسرائيل فرأوه وليس بآدر فذلك قوله: (فبرأه الله مما قالوا) الآية.

وأخرج الحاكم وصححه، عن ابن مسعود وناس من الصحابة أن الله أوحى إلى موسى أني متوف هارون فأت به جبل كذا وكذا فانطلقا نحو الجبل فإذا هم بشجرة وبيت فيه سرير عليه فرش وريح طيب، فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل والبيت وما فيه أعجبه، قال موسى: إني أحب أن أنام على هذا السرير، قال: نم عليه، قال نم معي فلما ناما أخذ هارون الموت فلما قبض." (١)

"انزعاج القلب عند ذكر الخطيئة، والخشية بالغيب أن يخاف الله، ولم يكن رآه، وقال الضحاك والسدي: يعني في الخلوة حيث لا يراه أحد، قال الحسن: إذا **أرخى الستر وأغلق** الأبواب (وجاء بقلب منيب) أي راجع إلى الله مخلص لطاعته، وقيل: بسريرة مرضية، وعقيدة صحيحة، وقيل: المنيب المقبل على الطاعة، وقيل السليم.." (٢)

"الخاتمة

يقول العبد الضعيف الخامل المتواري، مؤلف هذا التفسير صديق ابن حسن بن علي الحسيني القنوجي البخاري، ختم الله له بالحسنى، وأذاقه حلاوة رضوانه الأسنى.

وإلى هنا انتهى هذا التفسير الجامع بين فني الرواية والدراية، الرافع من ألوية التحقيق والتنقيح أعظم راية، وكان الفراغ منه في ضحوة يوم الجمعة لعله التاسع والعشرون من شهر ذي الحجة أحد شهور سنة تسع وثمانين بعد مائتين وألف من الهجرة النبوية، على صاحبها الصلاة والسلام والتحية، وقد تم بتمامه، وانتهى بانتهائه الأسبوع والشهر والسنة اللهم كما مننت علي بإكمال هذا التفسير وأعنتني على تحصيله وتفضلت علي بالفراغ منه على ما أردت فامنن علي بقبوله واجعله لي ذخيرة خير عندك وأجزل لي المثوبة بما صرفت الوقت في تحريره كما قلت في كتابك (أني لا أضيع عمل عامل منكم) وكما قلت في هذا الباب.

كل يجيء بكسبه وكتابه ... يوم القيامة آخر الأزمان

في حضرة الرحمن جل جلاله ... عم الورى بالعفو والغفران

ويجيء هذا العبد وهو مقصر ... بكتابه التفسير فتح بيان

ثم اللهم انفع به من أخلفه من بعدي من ولدي ومن شئت من عبادك المؤمنين ليدوم لي الانتفاع به بعد موتي، فإن هذا هو المقصد الجليل، والمطلب الجميل، من هذا الجمع والتأليف واجعله خالصا لوجهك

---

(١) فتح البيان في مق ا صد القرآن، صديق حسن خان ١٥١/١١

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٧٩/١٣

الكريم وتجاوز عني إذا خطر لي من خواطر السوء ما فيه شائبة تخالف الإخلاص والتوحيد، واغفر لي ما لا يطابق مرادك، فإني لم أقصد في جميع أبحاثي فيه إلا إصابة الحق وموافقة ما ترضاه، فإن أخطأت فأنت غافر الخطيآت ومسبل ذيل الستر على الهفوات، وإن أصبت فأنت قابل الطاعات، ومانح العطيات يا باريء." (١)

"إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ٢ ، ص : ٧٩٦

ظليل لا شمس تنسخه ، ولا حرور ينغصه ، ولا برد يفسده.

ولفظ ابن الأنباري «١» : ظل الجنة الكينونة في ذراها. تقول : لا أزال الله عنا ظلك ، أي : الكينونة في ناحيتك والاستذراء بك.

٣١ وماء مسكوب : جار في غير أخدود يجري في منازلهم «٢».

٣٤ وفرش : العرب تكني عن المرأة بالفراش «٣».

مرفوعة : أي : على السرر. أو مرتفعات الأقدار أدبا وحسنا.

٣٥ أنشأناهن : أي : نساء أهل الدنيا أعددناهن صبايا «٤».

٣٦ أبكارا : أو الحور أنشأناهن من غير ولادة.

٣٧ عربا العروب : الحسنة التبعل ، الفطنة بمراد الزوج كفطنة العرب «٥» وفي الحديث «٦» : «جهاد المرأة حسن التبعل».

---

(١) ابن الأنباري : (٢٧١ - ٣٢٨ هـ -).

هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري البغدادي ، أبو بكر الإمام المقرئ النحوي.

صنف كتاب الزاهر ، والوقف والابتداء ... وغير ذلك.

أخباره في طبقات النحويين للزبيدي : ١٥٣ ، ووفيات الأعيان : ٤/ ٣٤١ ، وبغية الوعاة : ١/ ٢١٢.

ونص قول ابن الأنباري في الزاهر : ٢/ ٧٤ : «و الظل معناه في اللغة : الستر ، يقال : لا أزال الله عنا ظل فلان ، أي : ستره لنا. ويقال : هذا ظل الشجرة ، أي : سترها وتغطيتها» اه.

(٢) تفسير الطبري : ٢٧/ ١٨٤ ، وتفسير الماوردي : ٤/ ١٧٠ ، وتفسير البغوي : ٤/ ٢٨٢ ، وتفسير الفخر الرازي : ٢٩/ ١٦٥ ، وتفسير القرطبي : ١٧/ ٢٠٩.

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤٧١/١٥

قال القرطبي : «و كانت العرب أصحاب بادية وبلاد حارة ، وكانت الأنهار في بلادهم عزيزة لا يصلون إلى الماء إلا بالدلو والرشاء فوعدوا في الجنة خلاف ذلك ، ووصف لهم أسباب النزهة المعروفة في الدنيا ، وهي الأشجار وظلالها ، والمياه والأنهار واطرادها» اه.

(٣) ينظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة : ٤٤٩ ، وتفسير البغوي : ٤/ ٢٨٣ ، والكشاف : ٤/ ٥٤ ، وزاد المسير : ٨/ ١٤١.

(٤) ذكره البغوي في تفسيره : ٤/ ٢٨٣ ، والقرطبي في تفسيره : ١٧/ ٢١٠.

(٥) المفردات : ٣٢٨ ، واللسان : ١/ ٥٩١ (عرب).

(٦) ذكره ابن الجوزي في غريب الحديث : ١/ ٧٩ بلفظ : «جهادكن حسن التبعل»..» [1]

"إيجاز البيان عن معاني القرآن ، ج ٢ ، ص : ٨٥٢

بنفسه ، والمعذار : الستر «١».

١٧ إن علينا جمعه

: أي : في صدرك «٢» ، وإعادة قرآنه عليك ، أي :

قراءته حتى تحفظ ثم إنا نبين لك معانيه إذا حفظته.

٢٢ ناضرة : حسنة مستبشرة «٣» ، وجه نضر وناضر ، ونضر الله وجهه فهو منضور.

٢٣ إلى ربها ناظرة : تنظر ما يأتيها من ثواب ربها. عن مجاهد «٤» وأبي صالح «٥» وعكرمة «٦».

وقيل «٧» : إلى ربها ناظرة : لا تنظر إلى غيره ولا ترجو الحق إلا

---

(١) بلغة اليمن.

ينظر تفسير الماوردي : ٤/ ٣٦٠ ، وتفسير البغوي : ٤/ ٤٢٣.

(٢) ينظر صحيح البخاري : ٦/ ٧٦ ، كتاب التفسير ، تفسير سورة القيامة.

وتفسير الطبري : (٢٩/ ١٨٨ ، ١٨٩) ، وتفسير الماوردي : ٤/ ٤٦١ ، وتفسير البغوي : ٤/ ٤٢٣.

(٣) تفسير الطبري : ٢٩/ ١٩١ ، وتفسير البغوي : ٤/ ٤٢٤ ، والمفردات للراغب : ٤٩٦ ، واللسان : ٥/ ٢١٣ (نضر).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره : ٢٩/ ١٩٢.

---

(١) إيجازالبيان عن معاني القرآن، ٢/٧٩٦

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور : ٨/ ٣٦٠ ، وعزا إخراجه إلى ابن جرير ، وابن أبي شيبة عن أبي صالح.

(٦) لم أقف على هذا القول منسوبا إلى عكرمة ، وأخرج الطبري في تفسيره : ٢٩/ ١٩٢ عن عكرمة قال : «تنظر إلى ربها نظرا».

وعقب القرطبي على نسبة هذا القول إلى عكرمة بقوله : «و ليس معروفا إلا عن مجاهد وحده» (تفسير القرطبي : ١٩/ ١٠٨).

وهذا القول الذي ذكره المؤلف رحمه الله عن مجاهد وأبي صالح ، وعكرمة ، هو أحد تأويلات المعتزلة في نفي رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة.

وقد خطأ النحاس هذا القول في إعراب القرآن : ٥/ ٨٤ ، وقال : «لأنه لا يجوز عندهم (عند النحويين) ولا عند أحد علمته : نظرت زيدا ، أي : نظرت ثوابه».

ورد الأزهري هذا القول - أيضا - في تهذيب اللغة : ١٤/ ٣٧١ ، والفخر الرازي في تفسيره : ٣٠/ ٢٢٧.

(٧) هذا نص قول الزمخشري في الكشاف : ٤/ ١٩٢ ، وهو أحد تأويلات المعتزلة كما في البحر المحيط : ٨/ ٣٨٩.." (١)

"فأخبر . سبحانه . أن المنافقين يفقدون النور الذى كان المؤمنون يمشون به، ويطلبون الاقتباس من نورهم فيحجبون عن ذلك بحجاب يضرب بينهم وبين المؤمنين، كما أن المنافقين لما فقدوا النور فى الدنيا كان مثلهم كمثل الذى استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات، فقوله تعالى : ﴿ الزانية والزاني ﴾ الآية [النور : ٢] ، فأمر بعقوبتهما وعذابهما بحضور طائفة من المؤمنين، وذلك بشهادته على نفسه، أو بشهادة المؤمنين عليه؛ لأن المعصية إذا كانت ظاهرة كانت عقوبتها / ظاهرة، كما جاء فى الأثر : من أذنب سرا فليتب سرا، ومن أذنب علانية فليتب علانية . وليس من الستر الذى يحبه الله . تعالى . كما فى الحديث : [من ستر مسلما ستره الله] . بل ذلك إذا ستر كان ذلك إقرارا لمنكر ظاهر، وفى الحديث : [إن الخطيئة إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها، وإذا أعلنت فلم تنكر ضرت العامة] ، فإذا أعلنت أعلنت عقوبتها بحسب العدل الممكن .

ولهذا لم يكن للمعلن بالبدع والفجور غيبة، كما روى ذلك عن الحسن البصرى وغيره؛ لأنه لما أعلن ذلك استحق عقوبة المسلمين له، وأدنى ذلك أن يذم عليه لينزجر ويكف الناس عنه وعن مخالطته، ولو لم يذم

(١) إيجازالبيان عن معاني القرآن، ٢/٨٥٢

ويذكر بما فيه من الفجور والمعصية أو البدعة لاغتر به الناس، وربما حمل بعضهم على أن يرتكب ما هو عليه، ويزداد ـ أيضا ـ هو جرأة وفجورا ومعاصى، فإذا ذكر بما فيه انكف وانكف غيره عن ذلك وعن صحبته ومخالطته، قال الحسن البصرى : أترغبون عن ذكر الفاجر ؟ اذكروه بما فيه كى يحذره الناس، وقد روى مرفوعا، و [الفجور] : اسم جامع لكل متجاهر بمعصية، أو كلام قبيح يدل السامع له على فجور قلب قائله .

(١) ".

"وقد تبين أن "الذين كفروا" المذكورين هنا هم فريق من المشركين الذين هم مأيوس من إيمانهم، فالإتيان في ذكرهم بالتعريف بالموصول: إما أن يكون لتعريف العهد مرادا منه قوم معهودون كأبي جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم من رؤوس الشرك وزعماء العناد دون من كان مشركا في أيام نزول هذه الآية ثم من آمن بعد مثل أبي سفيان بن حرب وغيره من مسلمة الفتح، وإما أن يكون الموصول لتعريف الجنس المفيد للاستغراق على أن المراد من الكفر أبلغ أنواعه بقرينة قوله: ﴿لا يؤمنون﴾ فيكون عاما مخصوصا بالحس لمشاهدة من آمن منهم أو يكون عاما مرادا به الخصوص بالقرينة وهذان الوجهان هما اللذان اقتصر عليهما المحققون من المفسرين وهما ناظران إلى أن الله أخبر عن هؤلاء بأنهم لا يؤمنون فتعين أن يكونوا ممن تبين بعد أنه مات على الكفر.

ومن المفسرين من تأول قوله تعالى: ﴿الذين كفروا﴾ على معنى الذين قضي عليهم بالكفر والشقاء ونظره بقوله تعالى: ﴿إن الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون﴾ [يونس:٩٦] وهو تأويل بعيد من اللفظ وشتان بينه وبين تنظيره. ومن المفسرين من حمل ﴿الذين كفروا﴾ على رؤساء اليهود مثل حيى بن أخطب وأبي رافع يعني بناء على أن السورة نزلت في المدينة وليس فيها من الكافرين سوى اليهود والمنافقين وهذا بعيد من عادة القرآن وإعراض عن السياق المقصود منه ذكر من حرم من هدى القرآن في مقابلة من حصل لهم الاهتداء به، وأيا ما كان فالمعنى عند الجميع أن فريقا خاصا من الكفار لا يرجى إيمانهم وهم الذين ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وروى ذلك عن ابن عباس والمقصود من ذلك أن عدم اهتدائهم بالقرآن كان لعدم قابليتهم لا لنقص في دلالة القرآن على الخير وهديه إليه.

والكفر بالضم إخفاء النعمة، **وبالفتح: الستر مطلقا** وهو مشتق من كفر إذا ستر. ولما كان إنكار الخالق أو إنكار كماله أو إنكار ما جاءت به رسله ضربا من كفران نعمته على جاحدها، أطلق عليه اسم الكفر

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (التفسير)، ٣/٤٤٤

وغلب استعماله في هذا المعنى وهو في الشرع إنكار ما دلت عليه الأدلة القاطعة وتناقلته جميع الشرائع الصحيحة الماضية حتى علمه البشر وتوجهت عقولهم إلى البحث عنه ونصبت عليه الأدلة كوحدانية الله تعالى ووجوده ولذلك عد أهل الشرك فيما بين الفترة كفارا. وإنكار ما علم بالضرورة مجيء النبي محمد صلى الله عليه وسلم به ودعوته إليه وعده في أصول الإسلام أو المكابرة في الاعتراف بذلك ولو مع اعتقاد صدقه ولذلك عبر بالإنكار دون التكذيب. ويلحق بالكفر في إجراء أحكام الكفر عليه كل قول أو." (١)

"ومنه ﴿قل إن الله لا يأمر بالفحشاء﴾ [الأعراف: ٢٨].

ولا شك أن التعريف هنا تعريف الجنس، أي فعلوا الفواحش، وظلم النفس هو الذنوب الكبائر، وعطفها هنا على الفواحش كعطف الفواحش عليها في قوله: ﴿الذين يجتنبون كبائر الأثم والفواحش﴾ [التحريم: ٣٢]. فقيل: الفاحشة المعصية الكبيرة، وظلم النفس الكبيرة مطلقا، وقيل: الفاحشة هي الكبيرة المتعدية إلى الغير، وظلم النفس الكبيرة القاصرة على النفس، وقيل: الفاحشة الزنا، وهذا تفسير على معنى المثال.

والذكر في قوله: ﴿ذكروا الله﴾ ذكر القلب وهو ذكر ما يجب لله على عبده، وما أصابه، وهو الذي يتفرع عنه طلب المغفرة، وأما ذكر اللسان فلا يترتب عليه ذلك. ومعنى ذكر الله هنا ذكر أمره ونهيه ووعده ووعيده.

والاستغفار: طلب المغفرة **أي الستر للذنوب**، وهو مجاز في عدم المؤاخذة على الذنب، ولذلك صار يعدي إلى الذنب باللام الدالة على التعليل كما هنا، وقوله تعالى: ﴿واستغفر لذنبك﴾ [غافر: ٥٥]. ولما كان طلب الصفح عن المؤاخذة بالذنب لا يصدر إلا عن ندامة، ونية إقلاع عن الذنب، وعدم العودة إليه، كان الاستغفار في لسان الشارع بمعنى التوبة، إذ كيف يطلب العفو عن الذنب من هو مستمر عليه، أو عازم على معاودته، ولو طلب ذلك في تلك الحالة لكان أكثر إساءة من الذنب، فلذلك عد الاستغفار هنا رتبة من مراتب التقوى. وليس الاستغفار مجرد قول أستغفر الله باللسان والقائل ملتبس بالذنوب. وعن رابعة العدوية أنها قالت: استغفارنا يحتاج إلى الاستغفار وفي كلامها مبالغة فإن الاستغفار بالقول مأمور به في الدين لأنه وسيلة لتذكير الذنب والحيلة للإقلاع عنه.

وجملة ﴿ومن يغفر الذنوب إلا الله﴾ معترضة بين جملة ﴿فاستغفروا﴾ وجملة ﴿ولم يصروا على ما فعلوا﴾ .

والاستفهام مستعمل في معنى النفي، بقرينة الاستثناء منه، والمقصود تسديد مبادرتهم إلى استغفار الله عقب

(١) التحرير والتنوير، ١/٢٤٥

الذنب، والتعريض بالمشركين الذين اتخذوا أصنامهم شفعاء لهم عند الله، وبالنصارى في زعمهم أن عيسى رفع الخطايا عن بني آدم ببلية صلبة.

وقوله: ﴿ولم يصروا﴾ إتمام لركني التوبة لأن قوله: ﴿فاستغفروا لذنوبهم﴾ يشير إلى الندم، وقوله: ﴿ولم يصروا﴾ تصريح بنفي الإصرار، وهذان ركنتا التوبة. وفي الحديث:." (١)

"وعوضه بثمن قليل، وذلك يتضمن أنهم أهملوا ما واثقوا عليه من تبيين الكتاب وعدكتمانه، ويجوز عودهما إلى الكتاب أي أهملوا الكتاب ولم يعتنوا به، والمراد إهمال أحكامه وتعويض إقامتها بنفع قليل، وذلك يدل على نوعي الإهمال، وهما إهمال آياته وإهمال معانيه.

والاشتراء هنا مجاز في المبادلة والثمن القليل، وهو نا يأخذونه من الرشى والجوائز من أهل الأهواء والظلم من الرؤساء والعامة على تأييد المظالم والمفاسد بالتأويلات الباطلة، وتأويل كل حكم فيه ضرب على أيدي الجبابرة والظلمة بما يطلق أيديهم في ظلم الرعية من ضروب التأويلات الباطلة، وتحذيرات الذين يصدعون المنكر. وهذه الآية وإن كانت في أهل الكتاب إلا أن حكمها يشمل من يرتكب مثل صنيعهم من المسلمين لاتحاد جنس الحكم والعلة فيه.

﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم﴾ [١٨٨].

تكملة لأحوال أهل الكتاب المتحدث عنهم ببيان حالة خلقهم بعد أن بين اختلال أمانتهم في تبليغ الدين، وهذا ضرب آخر جاء به فريق آخر من أهل الكتاب فلذلك عبر عنهم بالموصول للتوصل إلى ذكر صلته العجيبة من حال من يفعل الشر والخسة ثم لا يقف عند حد الانكسار لما فعل أو **تطلب الستر على** شنعته، بل يرتقي فيترتب ثناء الناس على سوء صنعه، ويتطلب المحدة عليه. وقيل: نزلت في المنافقين، والخطاب لكل من يصلح له الخطاب، والموصول هنا بمعنى المعرف بلام العهد لأنه أريد به قوم معينون من اليهود أو المنافقين، فمعنى ﴿يفرحون بما أتوا﴾ أنهم يفرحون بما فعلوا مما تقدم ذكره، وهو نبذ الكتاب والاشتراء به ثمنا قليلا وإنما فرحوا بما نالوا بفعلهم من نفع في الدنيا.

ومعنى: ﴿يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا﴾ أنهم يحبون الثناء عليهم بأنهم حفظة الشريعة وحراسها والعالمون بتأويلها، وذلك خلاف الواقع. هذا ظاهر معنى الآية. وهو قول مجاهد. وعن ابن عباس أنهم أتوا إضلال أتباعهم عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وأحبوا الحمد بأنهم علماء بكتب الدين.

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٢٣/٣

وفي البخاري ، عن أبي سعيد الخدري: أنها نزلت في المنافقين، كانوا يتخلفون عن الغزو بالمعاذير، فيقبل منهم النبي صلى الله عليه وسلم ويحبون أن يحمدوا بأن لهم نية." (١)

"همزته لاعتبار تركيبه من "أن" المفتوحة الهمزة الساكنة النون مصدرية أو تفسيرية، وتشديد نونه لاعتبار تركيبه من "إن" المكسورة الهمزة المشددة النون، وأصله و "أن إن" فلما ركبا تداخلت حروفهما، كما قال بعض النحويين:إن أصل "لن" "لا أن" .

وهذا بيان أن قتل النفس بغير حق جرم فظيع، كفظاعة قتل الناس كلهم.والمقصود التوطئة لمشروعية القصاص المصرح به في الآية الآتية ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس﴾ [المائدة:٤٥] الآية.

والمقصود من الإخبار بما كتب على بني إسرائيل بيان للمسلمين أن حكم القصاص شرع سالف ومراد لله قديم، لأن لمعرفة تاريخ الشرائع تبصرة للمتفقهين وتطمينا لنفوس المخاطبين وإزالة لما عسى أن يعترض من الشبه في أحكام خفيت مصالحها، كمشروعية القصاص، فإنه قد يبدو للأنظار القاصرة أنه مداواة بمثل الداء المتداوى منه حتى دعا ذلك الاشتباه بعض الأمم إلى إبطال حكم القصاص بعلة أنهم لا يعاقبون المذنب بذنب آخر، وهي غفلة دق مسلكها عن انحصار الارتداع عن القتل في تحقق المجازاة بالقتل؛ لأن النفوس جبلت على حب البقاء وعلى حب إرضاء القوة الغضبية، فإذا علم عند الغضب أنه إذا قتل فجزاؤه القتل ارتدع، وإذا طمع في أن يكون الجزاء دون القتل أقدم على إرضاء قوته الغضبية، ثم علل نفسه بأن ما دون القصاص يمكن الصبر عليه والتفادي منه.وقد كثر ذلك عند العرب وشاع في أقوالهم وأعمالهم، قال قائلهم، وهو قيس بن زهير العبسي:

شفيت النفس من حمل بن بدر ... وسيفي من حذيفة قد شفاني

ولذلك قال الله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾ [البقرة:١٧٩].

ومعنى التشبيه في قوله: ﴿فكأنما قتل الناس جميعا﴾ حث جميع الأمة على تعقب قاتل النفس وأخذه أينما ثقف والامتناع من إيوائه **أو الستر عليه**، كل مخاطب على حسب مقدرته وبقدر بسطة يده في الأرض، من ولاة الأمور إلى عامة الناس.فالمقصود من ذلك التشبيه تهويل القتل وليس المقصود أنه قد قتل الناس جميعا، ألا ترى أنه قابل للعفو من خصوص أولياء الدم دون بقية الناس.على أن فيه معنى نفسانيا جليلا، وهو أن الداعي الذي يقدم بالقاتل على القتل يرجع إلى ترجيح إرضاء الداعي النفساني الناشئ عن الغضب وحب الانتقام على دواعي احترام الحق وزجر النفس والنظر في عواقب الفعل من نظم العالم، فالذي كان

---

(١) التحرير والتنوير، ٣/٣٠٥

من حيلته ترجيح ذلك ا لداعي الطفيف على جملة هذه المعاني الشريفة فذلك ذو نفس يوشك أن تدعوه دوما إلى هضم الحقوق، فكلما سنحت له الفرصة." (١)

"فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون﴾.

استئناف ابتدائي نشأ بمناسبة قوله: ﴿لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾ [المائدة:٨٧]لأن التحريم يقع في غالب الأحوال بأيمان معزومة، أو بأيمان تجري على اللسان لقصد تأكيد الكلام، كأن يقول:والله لا آكل كذا، أو تجري بسبب غضب.وقيل:إنها نزلت مع الآية السابقة فلا حاجة لإبداء المناسبة لذكر هذا بعد ما قبله.روى الطبري والواحدي عن ابن عباس أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾ [المائدة:٨٧]ونهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عما عزموا عليه من ذلك، كما تقدم آنفا، قالوا: "يا رسول الله، كيف نصنع بأيماننا التي حلفناها عليها" ، فأنزل الله تعالى: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ الآية.فشرع الله الكفارة.وتقدم القول في نظير صدر هذه الآية في سورة البقرة.وتقدم الاختلاف في معنى لغو اليمين.وليس في شيء من ذلك ما في سبب نزول آية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾ [المائدة:٨٧]، ولا في جعل مثل ما عزم عليه الذين نزلت تلك الآية في شأنهم من لغو اليمين.فتأويل ما رواه الطبري والواحدي في سبب نزول هذه الآية أن حادثة أولئك الذين حرموا على أنفسهم بعض الطيبات ألحقت بحكم لغو اليمين في الرخصة لهم في التحلل من أيمانهم.

وقوله :﴿بما عقدتم الأيمان﴾، أي ما قصدتم به الحلف.وهو يبين مجمل قوله في سورة البقرة[٢٢٥] ﴿بما كسبت قلوبكم﴾.

وقرأ الجمهور ﴿عقدتم﴾ بتشديد القاف.وقرأه حمزة، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم، وخلف بتخفيف القاف.وقرأه ابن ذكوان عن ابن عامر عاقدتم بألف بعد العين من باب المفاعلة.فأما ﴿عقدتم﴾ بالتشديد فيفيد المبالغة في فعل عقد، وكذلك قراءة ﴿عاقدتم﴾ لأن المفاعلة فيه ليست على بابها، فالمقصود منها المبالغة، مثل عافاه الله.وأما قراءة التخفيف فلأن مادة العقد كافية في إفادة التثبيت.والمقصود أن المؤاخذة تكون على نية التوثق باليمين فالتعبير عن التوثق بثلاثة أفعال في كلام العرب:عقد المخفف، وعقد المشدد، وعاقد.

وقوله: ﴿ذلك كفارة أيمانكم﴾ إشارة إلى المذكور، زيادة في الإيضاح.والكفارة مبالغة في كفر بمعنى ستر

---

(١) التحرير والتنوير، ٨٩/٥

وأزال.وأصل الكفر بفتح الكاف الستر.وقد جاءت فيها دلالتان على المبالغة هما التضعيف والتاء الزائدة، كتاء نسابة وعلامة.والعرب يجمعون." (١)

"أصناما.وتلك ديانة الكلدانيين قوم إبراهيم.

يقال: جنه الليل، أي أخفاه، وجنان الليل ـ بفتح الجيم ـ، وجنه: ستره الأشياء المرئية بظلامه الشديد.يقال: جنه الليل، وهو الأصل.ويقال: جن عليه الليل، وهذا يقصد به المبالغة **في الستر بالظلمة** حتى صارت كأنها غطاء، ومع ذلك لم يسمع في كلامهم جن الليل قاصرا بمعنى أظلم.

وظاهر قوله: ﴿رأى كوكبا﴾ أنه حصلت له رؤية الكواكب عرضا من غير قصد للتأمل وإلا فإن الأفق في الليل مملوء كواكب، وأن الكواكب كان حين رآه واضحا في السماء مشرقا بنوره، وذلك أنور ما يكون في وسط السماء.فالظاهر أنه رأى كوكبا من بينها شديد الضوء.فعن زيد بن علي أن الكوكب هو الزهرة.وعن السدي أنه المشتري.ويجوز أن يكون نظر الكواكب فرأى كوكبا فيكون في الكلام إيجاز حذف مثل ﴿أن اضرب بعصاك البحر فانفلق﴾ [الشعراء: ٦٣]، أي فضرب فانفلق.وجملة ﴿رأى كوكبا﴾ جواب ﴿لما﴾ .والكوكب: النجم.

وجملة ﴿قال هذا ربي﴾ مستأنفة استئنافا بيانيا جوابا لسؤال ينشأ عن مضمون جملة ﴿رأى كوكبا﴾ وهو أن يسأل سائل: فماذا كان عندما رآه، فيكون قوله: ﴿قال هذا ربي﴾ جوابا لذلك.

واسم الإشارة هنا لقصد تمييز الكوكب من بين الكواكب ولكن إجراؤه على نظيريه في قوله حين رأى القمر وحين رأى الشمس ﴿هذا ربي ـ هذا ربي﴾ يعين أن يكون القصد الأصلي منه هو الكناية بالإشارة عن كون المشار إليه أمرا مطلوبا مبحوثا عنه فإذا عثر عليه أشير إليه، وذلك كالإشارة في قوله تعالى: ﴿لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث﴾ [الروم: ٥٦]،وقوله: ﴿قالت فذلكن الذي لمتنني فيه﴾ [يوسف: ٣٢]ولم يقل فهو الذي لمتنني.ولعل منه قوله: ﴿بضاعتنا ردت إلينا﴾ [يوسف: ٦٥]إذ لم يقتصروا على"بضاعتنا ردت إلينا".وفي"صحيح البخاري"قال الأحنف بن قيس: "ذهبت لأنصر هذا الرجل"يعني علي بن أبي طالب"ولم يتقدم له ذكر، لأن عليا وشأنه هو الجاري في خواطر الناس أيام صفين، وسيأتي قوله تعالى: ﴿فإن يكفر بها هؤلاء﴾ [الأنعام: ٨٩]يعني كفار قريش، وفي حديث سؤال القبر: "فيقال له ما علمك بهذا الرجل""يعني

---

(١) التحرير والتنوير، ١٩٣/٥

الرسول صلى الله عليه وسلم"، وهذا من الأغراض الداعية للتعريف باسم الإشارة التي أهملها علماء البلاغة فيصح هنا أن يجعل مستعملا في معنييه الصريح والكناية.." (١)

"مفتاح باب الإصلاح في العاجل، والفلاح في الآجل.

وقوله: ﴿وبالوالدين إحسانا﴾ عطف على جملة: ﴿ألا تشركوا﴾. و ﴿إحسانا﴾ مصدر ناب مناب فعله، أي وأحسنوا بالوالدين إحسانا، وهو أمر بالإحسان إليهما فيفيد النهي عن ضده: وهو الإساءة إلى الوالدين، وبذلك الاعتبار وقع هنا في عداد ما حرم الله لأن المحرم هو الإساءة للوالدين، وإنما عدل عن النهي عن الإساءة إلى الأمر بالإحسان اعتناء بالوالدين، لأن الله أراد برهما، والبر إحسان، والأمر به يتضمن النهي عن الإساءة إليهما بطريق فحوى الخطاب، وقد كان كثير من العرب في جاهليتهم أهل جلافة، فكان الأولاد لا يوقرون آباءهم إذا أضعفهم الكبر. فلذلك كثرت وصاية القرآن بالإحسان بالوالدين.

وقوله: ﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق﴾ جملة عطفت على الجملة قبلها أريد به النهي عن الوأد، وقد تقدم بيانه عند قوله تعالى في هذه السورة [١٣٧] ﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم﴾.

و"من" تعليلية، وأصلها الابتدائية فجعل المعلول كأنه مبتدئ من علته.

والإملاق: الفقر، وكونه علة لقتل الأولاد يقع على وجهين: أن يكون حاصلا بالفعل، وهو المراد هنا، وهو الذي تقتضيه "من" التعليلية، وأن يكون متوقع الحصول كما قال تعالى، في آية سورة الإسراء: ﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق﴾ لأنهم كانوا يئدون بناتهم إما للعجز عن القيام بهن وإما لتوقع ذلك. قال إسحاق بن خلف: وهو إسلامي قديم:

إذا تذكرت بنتي حين تندبني ... فاضت لعبرة بنتي عبرتي بدم

أحاذر الفقر يوما أن يلم بها ... فيكشف الستر عن لحم على وضم

وقد تقدم عند قوله تعالى ﴿وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم﴾ في هذه السورة [١٣٧].

وجملة: ﴿نحن نرزقكم وإياهم﴾ معترضة، مستأنفة، علة للنهي عن قتلهم، إبطالا لمعذرتهم: لأن الفقر قد جعلوه عذرا لقتل الأولاد، ومع كون الفقر لا يصلح أن يكون داعيا لقتل النفس، فقد بين الله أنه لما خلق الأولاد فقد قدر رزقهم، فمن الحماقة أن يظن الأب أن عجزه عن رزقهم يخوله قتلهم، وكان الأجدر به أن يكتسب لهم.." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، ١٧٦/٦

(٢) التحرير والتنوير، ١١٨/٧

"متشابهين، وقد أطلق بالخصوص على أنواع من التفرقة فأطلق على النصر، لأنه يفرق بين حالين كانا محتملين قبل ظهور النصر، ولقب القرآن بالفرقان لأنه فرق بين الحق والباطل، قال تعالى: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده﴾ [الفرقان: ١] ولعل اختياره هنا لقصد شموله ما يصلح للمقام من معانيه، فقد فسر بالنصر، وعن السدى، والضحاك، ومجاهد، الفرقان المخرج، وفي "أحكام ابن العربي"، عن ابن وهب وابن القاسم وأشهب أنهم سألوا مالكا عن قوله تعالى: ﴿يجعل لكم فرقانا﴾ قال مخرجا ثم قرأ ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ [الطلاق: ٣]، وفسر بالتمييز بينهم وبين الكفار في الأحوال التي يستحب فيها التمايز في أحوال الدنيا، فيشمل ذلك أحوال النفس: من الهداية، والمعرفة، والرضى، وانشراح القلب، وإزالة الحقد والغل والحسد، بينهم، والمكر والخداع وذميم الخلائق.

وقد أشعر قوله: ﴿لكم﴾ أن الفرقان شيء نافع لهم فالظاهر أن المراد منه كل ما فيه مخرج لهم ونجاة من التباس الأحوال وارتباك الأمور وانبهام المقاصد، فيؤول إلى استقامة أحوال الحياة، حتى يكونوا مطمئني البال منشرحي الخاطر وذلك يستدعي أن يكونوا: منصورين، غالبين، بصراء بالأمور، كملة الأخلاق سائرين في طريق الحق والرشد، وذلك هو ملاك استقامة الأمم، فاختيار الفرقان هنا لأنه اللفظ الذي لا يؤدي غيره مؤداه في هذا الغرض وذلك من تمام الفصاحة.

والتقوى تشمل التوبة، فتكفير السيئات يصح أن يكون المراد به تكفير السيئات الفارطة التي تعقبها التقوى. ومفعول ﴿يغفر لكم﴾ ، محذوف وهو ما يستحق الغفران وذلك هو الذنب، ويتعين أن يحمل على نوع من الذنوب، وهو الصغائر التي عبر عنها باللمم، ويجوز العكس بأن يراد بالسيئات الصغائر وبالمغفرة مغفرة الكبائر بالتوبة المعقبة لها. وقيل التكفير الستر في الدنيا. وارغفران عدم المؤاخذة بها في الآخرة، والحاصل أن الإجمال مقصود للحث على التقوى وتحقق فائدتها والتعريض بالتحذير من التفريط فيها، فلا يحصل التكفير ولا المغفرة بأي احتمال.

وقوله: ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ تذييل وتكميل وهو كناية عن حصول منافع أخرى لهم من جراء التقوى.

[٣٠] ﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر." (١)

"بحيث هو يغريهم بأخذ الأهبة التامة لمقاومته. وزاد ذكر شركائهم للدلالة على أنه لا يخشاها لأنها في اعتقادهم أشد بطشا من القوم، وذلك تهكم بهم، كما في قوله تعالى: ﴿قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون

---

(١) التحرير والتنوير، ٨٠/٩

فلا تنظرون﴾ [الأعراف: ١٩٥].
وعطف جملة: ﴿ثم لا يكن أمركم عليكم غمة﴾ ب ﴿ثم﴾ الدالة على التراخي في الرتبة لما تتضمنه الجملة الثانية من الترقي في قلة مبالاته بما يهيئونه له من الضر بحيث يتصدى لهم تصدي المشير بما يسهل لهم البلوغ إلى الإضرار به الذي ينوونه وإزالة العوائق الحائلة دون مقصدهم. وجاء بما ظاهره نهي أمرهم عن أن يكون غمة عليهم مبالغة في نهيهم عن التردد في تبين الوصول إلى قصدهم حتى كأن شأنهم هو المنهي عن أن يكون التباسا عليهم، أي اجتهدوا في أن لا يكون ذلك.
والغمة: اسم مصدر للغم. وهو الستر. والمراد بها في مثل هذا **التركيب الستر المجازي**، وهو انبهام الحال، وعدم تبين السداد فيه. ولعل هذا التركيب جرى مجرى المثل فقد قال طرفة من قبل:
لعمرك ما أمري علي بغمة ... نهاري ولا ليلي علي بسرمد
وإظهار لفظ الأمر في قوله: ﴿ثم لا يكن أمركم عليكم غمة﴾ مع أنه عين الذي في قوله: ﴿فأجمعوا أمركم﴾ لكون هذا التركيب مما جرى مجرى المثل فيقتضي أن لا تغير ألفاظه.
و"ثم" في قوله: ﴿ثم اقضوا إلي﴾ للتراخي في الرتبة، فإن رتبة إنفاذ الرأي بما يزمعون عليه من أذاه أقوى من تدبير ذلك، ومن رتبة إجماع الرأي عليه فهو ارتقاء من الشيء إلى أعلى منه، فعطف ب"ثم" التي تفيد التراخي في الرتبة في عطفها الجمل.
و ﴿اقضوا﴾ أمر من القضاء، فيجوز أن يكون من القضاء بمعنى الإتمام والفصل، أي انفذوا ما ترونه من الإضرار بي. ويجوز أن يكون من القضاء بمعنى الحكم، وهو قريب من الوجه الأول، أي أنفذوا حكمكم. وعدي ب"إلى" دون "على" لأنه ضمن معنى الإبلاغ والإيصال تنصيصا على معنى التنفيذ بالفعل، لأن القضاء يكون بالقول فيعقبه التنفيذ أو الإرجاء أو العفو، ويكون بالفعل، فهو قضاء بتنفيذ، ويسمى عند الفقهاء بالقضاء الفعلي.
وقوله: ﴿ولا تنظرون﴾ تأكيد لمدلول التضمين المشار إليه بحرف "إلى". والإنظار." (١)
"فما ظنكم برجوعكم إلى القادر على كل شيء وقد عصيتم أمره أليس يعذبكم عذابا كبيرا.
[٥] ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور﴾
حول أسلوب الكلام عن مخاطبة النبيء - عليه الصلاة والسلام - بما أمر بتبليغه إلى إعلامه بحال من

---
(١) التحرير والتنوير، ١٤١/١١

أحوال الذين أمر بالتبليغ إليهم في جهلهم بإحاطة علم الله تعالى بكل حال من الكائنات من الذوات والأعمال ظاهرها وخفيها، فقدم لذلك إبطال وهم من أوهام أهل الشرك أنهم في مكنة من إخفاء بعض أحوالهم عن الله تعالى، فكان قوله: ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم﴾ إلخ تمهيدا لقوله: ﴿يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور﴾ ، جمعا بين إخبارهم بإحاطة علم الله بالأشياء وبين إبطال توهماتهم وجهلهم بصفات الله. وقد نشأ هذا الكلام عن قوله تعالى: ﴿إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير﴾ لمناسبة أن المرجوع إليه لما كان موصوفا بتمام القدرة على كل شيء هو أيضا موصوف بإحاطة علمه بكل شيء للتلازم بين تمام القدرة وتمام العلم.

وافتتاح الكلام بحرف التنبيه ﴿ألا﴾ للاهتمام بمضمونه لغرابة أمرهم المحكي وللعناية بتعليم إحاطة علم الله تعالى.

وضمائر الجماعة الغائبين عائدة إلى المشركين الذين أمر النبيء صلى الله عليه وسلم بالإبلاغ إليهم في قوله: ﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾ [هود: ٢] وليس بالتفات. وضمائر الغيبة للمفرد عائدة إلى اسم الجلالة في قوله: ﴿إلى الله مرجعكم﴾ [هود: ٤].

والثني: الطي، وأصل اشتقاقه من اسم الاثنين. يقال: ثناه بالتخفيف، إذا جعله ثانيا، يقال: هذا واحد فاثنه، أي كن ثانيا له، فالذي يطوي الشيء يجعل أحد طاقيه ثانيا للذي قبله؛ فثني الصدور: إمالتها وحنيها تشبيها بالطي. ومعنى ذلك الطأطأة.

وهذا الكلام يحتمل الإجراء على حقيقة ألفاظه من الثني والصدور. ويحتمل أن يكون تمثيلا لهيئة نفسية بهيئة حسية.

فعلى الاحتمال الأول يكون ذلك تعجيبا من جهالة أهل الشرك إذ كانوا يقيسون صفات الله تعالى على صفات الناس فيحسبون أن الله لا يطلع على ما يحجبونه عنه. وقد روي أن الآية أشارت إلى ما يفعله المشركون أن أحدهم يدخل بيته ويرخي الستر عليه." (١)

"﴿ويقدر﴾ ضد ﴿يبسط﴾ وقد تقدم عند قوله تعالى: ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ في سورة الرعد[٢٦].

وجملة ﴿إنه كان بعباده خبيرا بصيرا﴾ تعليل لجملة ﴿إن ربك يبسط الرزق﴾ إلى آخرها، أي هو يفعل ذا لك لأنه عليم بأحوال عباده وما يليق بكل منهم بحسب ما جلبت عليه نفوسهم، وما يحف بهم من أحوال

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٠٤/١١

النظم العالمية التي اقتضتها الحكمة الإلهية المودعة في هذا العالم.

والخبير: العالم بالأخبار. والبصير: العالم بالمبصرات. وهذان الاسمان الجليلان يرجعان إلى معنى بعض تعلق العلم الإلهي.

﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا ﴾ عطف جملة حكم على جملة حكم للنهي عن فعل ينشأ عن اليأس من رزق الله. وهذه الوصية السابعة من الأحكام المذكورة في آية ﴿وقضى ربك﴾ (الإسراء: من الآية٢٣). وغير أسلوب الإضمار من الإفراد إلى الجمع لأن المنهي عنه هنا من أحوال الجاهلية زجرا لهم عن هذه الخطيئة الذميمة. وتقدم الكلام على نظير هذه الآية في سورة الأنعام، ولكن بين الآيتين فرقا في النظم من وجهين: الأول: أنه قيل هنا ﴿خشية إملاق﴾ وقيل في آية الأنعام ﴿من إملاق ﴾(الأنعام: من الآية١٥١) (. ويقتضي ذلك أن الذين كانوا يئدون بناتهم يئدونهن لغرضين: إما لأنهم فقراء لا يستطيعون إنفاق البنت ولا يرجون منها إن كبرت إعانة على الكسب فهم يئدونها لذلك، فذلك مورد قوله في الأنعام ﴿من إملاق﴾ (الأنعام: من الآية١٥١) فإن (من) التعليلية تقتضي أن الإملاق سبب قتلهن فيقتضي أن الإملاق موجود حين القتل.

وإما أن يكون الحامل على ذلك ليس فقر الأب ولكن خشية عروض الفقر له أو عروض الفقر للبنت بموت أبيها، إذ كانوا في جاهليتهم لا يورثون البنات، فيكون الدافع للوأد هو توقع الإملاق، كما قال إسحاق بن خلف، شاعر إسلامي قديم:

إذا تذكرت بنتي حين تندبني فاضت لعبرة بنتي عبرتي بدم

أحاذر الفقر يوما أن يلم بها فيهتك الستر عن لحم على وضم." (١)

"وجملة ﴿إن الساعة آتية﴾ مستأنفة لابتداء إعلام بأصل ثان من أصول الدين بعد أصل التوحيد، وهو إثبات الجزاء.

والساعة: علم بالغلبة على ساعة القيامة أو ساعة الحساب.

وجملة ﴿أكاد أخفيها﴾ في موضع الحال من ﴿الساعة﴾ أو معترضة بين جملة وعلتها.

والإخفاء: الستر وعدم الإظهار، وأريد به هنا المجاز عن عدم الإعلام.

والمشهور في الاستعمال أن "كاد" تدل على مقاربة وقوع الفعل المخبر به عنها، فالفعل بعدها في حيز الانتفاء، فقوله تعالى: ﴿كادوا يكونون عليه لبدا﴾ [الجن: من الآية١٩] يدل على أن كونهم لبدا غير واقع

---

(١) التحرير والتنوير، ٧٠/١٤

ولكنه اقترب من الوقوع.

ولما كانت الساعة مخفية الوقوع، أي مخفية الوقت، كان قوله: ﴿أكاد أخفيها﴾ غير واضح المقصود، فاختلفوا في تفسيره على وجوه كثيرة أمثلها ثلاثة.

فقيل: المراد إخفاء الحديث عنها، أي من شدة إرادة إخفاء وقتها، أي يراد ترك ذكرها ولعل توجيه ذلك أن المكذبين بالساعة لم يزدهم تكرر ذكرها في القرآن إلا عنادا على إنكارها.

وقيل: وقعت ﴿أكاد﴾ زائدة هنا بمنزلة زيادة كان في بعض المواضع تأكيدا للإخفاء. والمقصود: أنا أخفيها فلا تأتي إلا بغتة.

وتأول أبو علي الفارسي معنى ﴿أخفيها﴾ بمعنى أظهرها، وقال: همزة ﴿أخفيها﴾ للإزالة مثل همزة أعجم الكتاب، وأشكى زيدا، أي أزيل خفاءها. والخفاء: ثوب تلف فيه القربة مستعار للستر.

فالمعنى: أكاد أظهرها، أي أظهر وقوعها، أي وقوعها قريب. وهذه الآية من غرائب استعمال "كاد" فيضم إلى استعمال نفيها في قوله: ﴿وما كادوا يفعلون﴾ [البقرة: من الآية٧١] في سورة البقرة.

وقوله: ﴿لتجزى﴾ يتعلق ب ﴿آتية﴾ وما بينهما اعتراض. وهذا تعليم بحكمة جعل يوم للجزاء.

واللام في ﴿لتجزى كل نفس﴾ متعلق ب ﴿آتية﴾." (١)

"وفسر جمع من المفسرين الزينة بالجسد كله وفسر ما ظهر بالوجه والكفين قيل والقدمين والشعر. وعلى هذا التفسير فالزينة الظاهرة هي التي جعلها الله بحكم الفطرة بادية يكون سترها معطلا الانتفاع بها أو مدخلا حرجا على صاحبتها وذلك الوجه والكفان، وأما القدمان فحالهما في الستر لا يعطل الانتفاع ولكنه يعسره لأن الحفاء غالب حال نساء البادية، فمن أجل ذلك اختلف في سترهما الفقهاء، ففي مذهب مالك قولان: أشهرهما أنها يجب ستر قدميها، وقيل: لا يجب، وقال أبو حنيفة: لا يجب ستر قدميها، أما ما كان محاسن المرأة ولم يكن عليها مشقة في ستره فليس مما ظهر من الزينة مثل النحر والثدي والعضد والمعصم وأعلى الساقين، وكذلك ما له صورة حسنة في المرأة وإن كان غير معرى كالعجيزة والأعكان والفخذين ولم يكن مما في إرخاء الثوب عليه حرج عليها. وروى مالك في الموطإ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات لا يدخلن الجنة" . قال ابن عبد البر: أراد اللواتي يلبسن من الثياب الخفيف الذي يصف ولا يستر، أي هن كاسيات بالاسم عاريات بالحقيقةاه. وفي نسخة ابن بشكوال من الموطإ عن القنازعي قال فسر مالك: إنهن يلبسن الثياب الرقاق التي لا تسترهن اه. وفي سماع

---

(١) التحرير والتنوير، ١٦/١٠٧

ابن القاسم من جامع العتبية قال مالك: بلغني أن عمر بن الخطاب نهى النساء عن لبس القباطي. قال ابن رشد في شرحه: هي ثياب ضيقة تلتصق بالجسم لضيقها فتبدو ثخانة لابستها من نحافتها، وتبدي ما يستحسن منها، امتثالا لقوله تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ اه. وفي روايات ابن وهب من جامع العتبية قال مالك في الإماء يلبسن الأقبية: ما يعجبني فإذا شدته عليها كان إخراجا لعجزتها.

وجمهور الأئمة على أن استثناء إبداء الوجه والكفين من عموم منع إبداء زينتهن يقتضي إباحة إبداء الوجه والكفين في جميع الأحوال لأن الشأن أن يكون للمستثنى جميع أحوال المستثنى منه. وتأوله الشافعي بأنه استثناء في حالة الصلاة خاصة دون غيرها وهو تخصيص لا دليل عليه.

ونهين عن التساهل في الخمرة. والخمار: ثوب تضعه المرأة على رأسها لستر شعرها وجيدها وأذنيها وكان النساء ربما يسدلن الخمار إلى ظهورهن كما تفعل نساء الأنباط فيبقى العنق والنحر والأذنان غير مستورة فلذلك أمرن في قوله تعالى: ﴿إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا﴾ في سورة البقرة.

والمعنى: ليشددن وضع الخمر على الجيوب، أي بحيث لا يظهر شيء من بشرة الجيد.." (١)

"﴿اللاتي لا يرجون نكاحا﴾ ، وذلك من الكبر.

وقوله: ﴿اللاتي لا يرجون نكاحا﴾ وصف كاشف لالقواعدوليس قيدا.

واقتران الخبر بالفاء في قوله: ﴿فليس عليهن جناح﴾ لأن الكلام بمعنى التسبب والشرطية، لأن هذا المبتدأ يشعر بترقب ما يرد بعده فشابه الشرط كما تقدم في قوله تعالى: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾ .

ولا حاجة إلى ادعاء أن ال فيه موصولة إذ لا يظهر معنى الموصول لحرف التعريف وإن كثر ذلك في كلام النحويين. ووان يضعن متعلق بجناح بتقدير في.

والمراد بالثياب بعضها وهو المأمور بإدنائه على المرأة بقرينة مقام التخصيص.

والوضع: إناطة شيء على شيء، وأصله أن يعدى بحرف على وقد يعدي بحرف عن إذا أريد أنه أزيل عن مكان ووضع على غيره وهو المراد هنا كفعل ترغبون في قوله تعالى: ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾ في سورة النساء، أي أن يزلن عنهن ثيابهن فيضعنها على الأرض أو على المشجب. وعلة هذه الرخصة هي أن الغالب أن تنتفي أو تقل رغبة الرجال في أمثال هذه القواعد لكبر السن. فلما كان في الأمر بضرب الخمر على الجيوب أو إدناء الجلابيب كلفة النساء المؤمورات اقتضاها سد الذريعة، فلما انتفت الذريعة رفع ذلك الحكم رحمة من الله، فإن الشريعة ما جعلت في حكم مشقة لضرورة إلا رفعت تلك المشقة بزوال الضرورة

(١) التحرير والتنوير، ١٦٦/١٨

وهذا معنى الرخصة.

ولذلك عقب هذا الترخيص بقوله: ﴿وأن يستعففن خير لهن﴾ .

والاستعفاف: التعفف، فالسين والتاء فيه للمبالغة مثل استجاب، أي تعففهن عن وضع الثياب عنهن أفضل لهن ولذلك قيد هذا الإذن بالحال وهو ﴿غير متبرجات بزينة﴾ أي وضعا لا يقارنه تبرج بزينة.

والتبرج: التكشف. والباء في ﴿بزينة﴾ للملابسة فيؤول إلى أن لا يكون وضع الثياب إظهارا لزينة كانت مستورة. والمراد: إظهار ما عادة المؤمنات ستره. قال تعالى: ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ فإن المرأة إذا تجلت بزينة من شأنها إخفاؤها إلا عن الزوج فكأنها تعرض باستجلاب استحسان الرجال إياها وإثارة رغبتهم فيها، وهي وإن كانت من القواعد فإن تعريضها بذلك يخالف الآداب ويزيل وقار سنها، وقد يرغب فيها بعض أهل الشهوات لما في التبرج بالزينة من الستر على عيوبها أو الإشغال عن." (١)

"مناسبة الانتقال من الاستدلال باعتبار أحوال الظل والضحاء إلى الاعتبار بأحوال الليل والنهار ظاهرة فالليل يشبه الظل في أنه ظلمة تعقب نور الشمس.

ومورد الاستدلال المقصد المستفاد من تعريف جزأي الجملة وهو قصر إفراد، أي لا يشركه غيره في جعل الليل والنهار. أما كون الجعل المذكور بخلق الله فهم يقرون به؛ ولكنهم لما جعلوا له شركاء على الإجمال أبطلت شركتهم بقصر التصرف في الأزمان على الله تعالى لأنه إذا بطل تصرفهم في بعض الموجودات اختلت حقيقة الإلهية عنهم إذ الإلهية لا تقبل التجزئة.

و ﴿لكم﴾ متعلق بـ ﴿جعل﴾ أي من جملة ما خلق له الليل أنه يكون لباسا لكم. وهذا لا يقتضي أن الليل عود الظلمة إلى جانب من الكرة الأرضية المحتجب عن شعاع الشمس باستداراته فتحصل من ذلك فوائد جمة منها ما في قوله تعالى بعد هذا ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار...﴾ الخ.

وقد رجع أسلوب الكلام من المتكلم إلى الغيبة على طريقة الالتفات.

و ﴿لباسا﴾ مشبه به على طريقة التشبيه البليغ، أي ساترا لكم يستر بعضكم عن بعض، وفي هذا الستر منن كثيرة لقضاء الحوائج التي يجب إخفاؤها.

وتقديم الاعتبار بحالة ستر الليل على الاعتبار بحالة النوم لرعي مناسبة الليل بالظل كما تقدم، بخلاف قوله ﴿وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا الليل لباسا﴾ في سورة [النبأ: ٨ - ١٠]، فإن نعمة النوم أهم من نعمة الستر، ولأن المناسبة بين نعمة خلق الأزواج وبين النوم أشد.

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٣٨/١٨

وقد جمعت الآية استدلالا وامتنانا فهي دليل على عظم قدرة الخالق، وهي أيضا تذكير بنعمه، فإن في اختلاف الليل والنهار آيات جمة لما يدل عليه حصول الظلمة من دقة نظام دوران الأرض حول الشمس ومن دقة نظام خلق الشمس، ولما يتوقف عليه وجود النهار من تغير دوران الأرض ومن فوائد نور الشمس، ثم ما في خلال ذلك من نظام النوم المناسب للظلمة حين ترتخي أعصاب الناس فيحصل لهم بالنوم تجدد نشاطهم، ومن الاستعانة على التستر بظلمة الليل ومن نظام النهار من تجدد النشاط وانبعاث الناس للعمل وسآمتهم من الدعة، مع ما هو ملائم لذلك من النور الذي به إبصار ما يقصده العاملون.

والسبات له معان متعددة في اللغة ناشئة عن التوسع في مادة السبت وهو القطع.." (١)

"وإسباغ النعم: إكثارها. وأصل الإسباغ: جعل ما يلبس سابغا، أي وافيا في الستر. ومنه قولهم: درع سابغة. ثم استعير للإكثار لأن الشيء السابغ كثير فيه ما يتخذ منه من سرد أو شقق أثواب، ثم شاع ذلك حتى ساوى الحقيقي فقيل: سوابغ النعم.

والنعمة: المنفعة التي يقصد بها فاعلها الإحسان إلى غيره.

وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص عن عاصم وأبو جعفر ﴿نعمه﴾ بصيغة جمع نعمة مضاف إلى ضمير الجلالة، وفي الإضافة إلى ضمير الله تنويه بهذه النعم. وقرأ الباقون ﴿نعمه﴾ بصيغة المفرد، ولما كان المراد الجنس استوى فيه الواحد والجمع.

والتنكير فيها للتعظيم فاستوى القراءتان في إفادة التنويه بما أسبغ الله عليهم. وانتصب ﴿ظاهرة وباطنة﴾ على الحال على قراءة نافع ومن معه، وعلى الصفة على قراءة البقية.

والظاهرة: الواضحة. والباطنة: الخفية وما لا يعلم إلا بدليل أو لا يعلم أصلا.

وأصل الباطنة المستقرة في باطن الشيء أي داخله، قال تعالى ﴿باطنه فيه الرحمة﴾ [الحديد: ١٣] فكم في بدن الإنسان وأحواله من نعم يعلمها الناس أو لا يعلمها بعضهم، أو لا يعلمها إلا العلماء، أو لا يعلمها أهل عصر ثم تنكشف لمن بعدهم، وكلا النوعين أصناف دينية ودنيوية.

﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير﴾

الواو في قوله: ﴿ومن الناس من يجادل﴾ واو الحال. والمعنى: قد رأيتم أن الله سخر لكم ما في السماوات وأنعم عليكم نعما ضافية في حال أن بعضكم يجادل في وحدانية الله ويتعامى عن دلائل وجدانيته. وجملة

(١) التحرير والتنوير، ٦٧/١٩

الحال هنا خبر مستعمل في التعجيب من حال هذا الفريق. ولك أن تجعل الواو اعتراضية والجملة معترضة بين جملة ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم﴾ وبين جملة ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض﴾ [لقمان: ٢٥].

وقوله: ﴿ومن الناس﴾ من الإظهار في مقام الإضمار كأنه قيل: ومنكم، و ﴿من﴾ تبعيضية. والمراد بهذا الفريق: هم المتصدون لمحاجة النبيء صلى الله عليه وسلم والتمويه على قومهم مثل النضر بن الحارث، وأمية بن خلف، وعبد الله بن الزبعري.." (١)

"علمت أنه وقعت منه موقع الاستحسان وأن زيدا علم ذلك وانه أحب أن يطلقها ليؤثر بها مولاه النبيء صلى الله عليه وسلم، وأنه لما اخبر النبيء صلى الله عليه وسلم بذلك قال له: ﴿أمسك عليك زوجك﴾ "وهو يود طلاقها في قلبه ويعلم أنها صائرة زوجا له".

وعلى تفاوت أسانيده في الوهن ألقي إلى الناس في القصة فانتقل غثه وسمينه، وتحمل خفه ورزينه، فأخذ منه كل ما وسعه فهمه ودينه. ولو كان كله واقعا لما كان فيه مغمز في مقام النبوة.

فأما رؤية زينب في بيت زيد إن كانت عن عمد فذلك أنه استأذن في بيت زيد فإن الاستئذان واجب فلا شك أنه رأى وجهها وأعجبته ولا أحسب ذلك لأن النساء لم يكن يسترن وجوههن قال تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾ [النور: ٣١] "أي الوجه والكفين" وزيد كان من أشد الناس اتصالا بالنبيء، وزينب كانت ابنة عمته وزوج مولاه ومتبناه، فكانت مختلطة بأهله، وهو الذي زوجها زيدا، فلا يصح أن يكون ما رآها إلا حين جاء بيت زيد، وأن كانت الريح **رفعت الستر فرأى** من محاسنها وزينتها ما لم يكن يراه من قبل، فكذلك لا عجب فيه لأن رؤية الفجأة لا مؤاخذة عليها، وحصول الاستحسان عقب النظر الذي ليس بحرام أمر قهري لا يملك الإنسان صرفه عن نفسه، وهل استحسان ذات المرأة إلا كاستحسان الرياض والجنات والزهور والخيل ونحو ذلك مما سماه الله زينة إذا لم يتبعه النظار نظرة.

وأما ما خطر في نفس النبيء صلى الله عليه وسلم من مودة تزوجها فإن وقع فما هو بخطب جليل لأنه خاطر لا يملك المرء صرفه عن نفسه وقد علمت أن قوله: ﴿وتخشى الناس﴾ ليس بلوم، وأن قوله: ﴿والله أحق أن تخشاه﴾ ليس فيه لوم ولا توبيخ على عدم خشية الله ولكنه تأكيد لعدم الاكتراث بخشية الناس.

وإنما تظهر مجالات النفوس في ميادين الفتوة بمقدار مصابرتها على الكمال في مقاومة ما ينشأ عن تلك المرائي من ضعف في النفوس وخور العزائم وكفاك دليلا على تمكن رسول الله صلى الله عليه وسلم من

---

(١) التحرير والتنوير، ٢١/١١٧

هذا المقام هو أفضل من ترسيخ قدمه في أمثاله أنه لم يزل يراجع زيدا في إمساك زوجه مشيرا عليه بما فيه خير له وزيد يرى ذلك إشارة ونصحا لا أمرا وشرعا.

ولو صح أن زيدا علم مودة النبيء صلى الله عليه وسلم تزوج زينب فطلقها زيدا لذلك دون أمر من النبيء عليه الصلاة والسلام ولا التماس لما كان عجبا فإنهم كانوا يؤثرون النبيء صلى الله عليه وسلم على." (١)

"النبيء﴾ فإن للبيوت رباتهن وزوج الرج هي ربة البيت، قال مرة بن محكان التميمي:

يا ربة البيت قومي غير صاغرة ... ضمي إليك رجال الحي واغربا

وقد كانوا لا يبني الرجل بيتا إلا إذا أراد التزوج. وفي حديث ابن عمر: كنت عزبا أبيت في المسجد. ومن أجل ذلك سمو الزفاف بناء. فلا جرم كانت المرأة والبيت متلازمين فدلت البيوت على الأزواج بالالتزام.

ونظير هذا قولة تعالى: ﴿وفرش مرفوعة إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين﴾ [الواقعة: ٣٤- ٣٨] فإن ذكر الفرش يستلزم أن للفراش امرأة، فلما ذكر البيوت هنا تبادر أن للبيوت ربات.

والمتاع: ما يحتاج إلى الانتفاع به مثل عارية الأواني ونحوها، ومثل سؤال العفاة ويلحق بذلك ما هو أولى بالحكم من سؤال عن الدين أو عن القرآن، وقد كانوا يسألون عائشة عن مسائل الدين.

والحجاب: الستر المرخى على باب البيت.

وكانت الستور مرخاة على أبواب بيوت النبيء صلى الله عليه وسلم الشارعة إلى المسجد. وقد ورد ما يبين ذلك في حديث الوفاة حين خرج النبيء صلى الله عليه وسلم على الناس وهم في الصلاة **فكشف الستر ثم** أرخى الستر.

و ﴿من وراء حجاب﴾ متعلق بـ ﴿فاسألوهن﴾ فهو قيد في السائل والمسؤول المتعلق ضميراهما بالفعل الذي تعلق به المجرور. و ﴿من﴾ ابتدائية. والوراء: مكان الخلف وهو مكان نسبي باعتبار المتجه إلى جهة،فوراء الحجاب بالنسبة للمتجهين إليه فالمسؤولية مستقبلة حجابها والسائل من وراء حجابها والعكس.

والإشارة بـ ﴿ذلكم﴾ إلى المذكور، أي السؤال المقيد بكونه من وراء حجاب.

واسم التفضيل في قوله: ﴿أطهر﴾ مستعمل للزيادة دون التفضيل.

والمعنى: ذلك أقوى طهارة لقلوبكم وقلوبهن فإن قلوب الفريقين طاهرة بالتقوى وتعظيم حرمات الله وحرمة النبيء صلى الله عليه وسلم ولكن لما كانت التقوى لا تصل بهم إلى درجة العصمة أراد الله أن يزيدهم منها بما يكسب المؤمنين مراتب من الحفظ الإلهي من الخواطر الشيطانية بقطع أضعف أسبابها وما يقرب

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٦٥/٢١

أمهات المؤمنين من مرتبة العصمة الثابتة لزوجهن صلى الله عليه وسلم فإن الطيبات للطيبين بقطع الخواطر الشيطانية بقطع دابرها ولو بالفرض.." (١)

"الإجمال ثم التفصيل كما قوله تعالى: ﴿وفجرنا الأرض عيونا﴾ [القمر:١٢]وقول كعب بن زهير:
أكرم بها خلة ... وقولهم:لله دره فارسا

وضمن ﴿أحببت﴾ معنى عوضت،فعدي ب ﴿عن﴾ في قوله: ﴿عن ذكر ربي﴾ فصار المعنى:أحببت الخير حبا فجاوزت ذكر ربي.والمراد بذكر الرب الصلاة،فلعلها صلاة كان رتبها لنفسه لأن وقت العشي ليست فيه صلاة مفروضة في شريعة موسى إلا المغرب.

و ﴿الخير﴾ :المال النفيس كما في قوله تعالى: ﴿إن ترك خيرا﴾ [البقرة:١٨٠].والخيل من المال النفيس. وقال الفراء:"الخير بالراء من أسماء الخيل.والعرب تعاقبت بين اللام والراء كما يقولون:انهملت العين وانهمرت.وختل وختر إذا خدع".

وقلت:إن العرب من عادتهم التفاؤل ولهم بالخيل عناية عظيمة حتى وصفوا شياتها وزعموا دلالتها على بخت أو نحس فلعلهم سموها الخير تفاؤلا لتتمحض للسعد والبخت.وضمير ﴿توارت﴾ للشمس بقرينة ذكر العشي وحرف الغاية ولفظ الحجاب، عىى أن الإضمار للشمس في ذكر الأوقات كثير في كلامهم.كما قال لبيد:

حتى إذا ألقت يدا في كافر ... وأجن عورات الثغور ظلامها

أي ألقت الشمس يدها في الظلمة،أي ألقت نفسها فهو من التعبير عن الذات ببعض أعضائها.

والتواري:الاختفاء،والحجاب:الستر في البيت الذي تحتجب وراءه المرأة وغيرها ومنه قول أنس بن مالك:"فأنزل الله آية الحجاب".

والكلام تمثيل لحالة غروب الشمس بتواري المرأة وراء الحجاب وكل من أجزاء هذه التمثيلية مستعار؛فللشمس استعيرت المرأة على طريقة المكنية،ولاختفائها عن الأنظار استعير التواري،ولأفق غروب الشمس استعير الحجاب.

والمعنى:عرضت عليه خيله الصافنات الجياد فاشتغل بأحوالها حبا فيها حتى غربت الشمس ففاتته صلاة كان يصليها في المساء قبل الغروب،فقال عقب عرض الخيل وقد." (٢)

---

(١) التحرير والتنوير، ٣١٤/٢١

(٢) التحرير والتنوير، ١٥٢/٢٣

"وجملة ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعا﴾ تعليل للنهي عن اليأس من رحمة الله.
ومادة الغفر ترجع إلى الستر،وهو يقتضي وجود المستور واحتياجه للستر فدل ﴿يغفر الذنوب﴾ على أن الذنوب ثابتة،أي المؤاخذة بها ثابتة والله يغفرها،أي يزيل المؤاخذة بها،وهذه المغفرة تقتضي أسبابا أجملت هنا وفصلت في دلائل أخرى من الكتاب والسنة منها قوله تعالى: ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى﴾ [طه:٨٢]،وتلك الدلائل يجمعها أن للغفران أسبابا تطرأ على المذنب ولولا ذلك لكانت المؤاخذة بالذنوب عبثا ينزه عنه الحكيم تعالى،كيف وقد سماها ذنوبا وتوعد عليها فكان قوله: ﴿إن الله يغفر الذنوب﴾ دعوة إلى تطلب أسباب هذه المغفرة فإذا طلبها المذنب عرف تفصيلها.
و ﴿جميعا﴾ حال من ﴿الذنوب﴾ ،أي حال جميعها،أي عمومها،فيغفر كل ذنب منها إن حصلت من المذنب أسباب ذلك.وسيأتي الكلام على كلمة "جميع" عند قوله تعالى: ﴿والأرض جميعا قبضته﴾ في هذه السورة[٦٧].
وجملة ﴿إنه هو الغفور الرحيم﴾ تعليل لجملة ﴿يغفر الذنوب جميعا﴾ أي لا يعجزه أن يغفر جميع الذنوب ما بلغ جميعها من الكثرة لأنه شديد الغفران شديد الرحمة.فبطل بهذه الآية قول المرجئة إنه لا يضر مع الإيمان شيء.
[٥٤] ﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون﴾
لما فتح لهم باب الرجاء أعقبه بالإرشاد إلى وسيلة المغفرة معطوفا بالواو وللدلالة على الجمع بين النهي عن القنوط من الرحمة وبين الإنابة جمعا يقتضي المبادرة،وهي أيضا مقتضى صيغة الأمر.
والإنابة:التوبة ولما فيها وفي التوبة من معنى الرجوع عدي الفعلان بحرف ﴿إلى﴾ .
والمعنى:توبوا إلى الله مما كنتم فيه من الشرك بأن توحدوه.وعطف عليه الأمر بالإسلام،أي التصديق بالنبي صلى الله عليه وسلم والقرآن واتباع شرائع الإسلام.
وفي قوله: ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب﴾ إيذان بوعيد قريب إن لم ينيبوا ويسلموا كما يلمح إليه فعل ﴿يأتيكم﴾ .
والتعريف في ﴿العذاب﴾ تعريف الجنس،وهو يقتضي أنهم إن لم ينيبوا ويسلموا يأتهم العذاب.والعذاب منه ما يحصل في الدنيا إن شاءه الله وهذا." (١)

(١) التحرير والتنوير، ١١٤/٢٤

"ومماثلته لهم: المماثلة في البشرية فتفيد تأكيد كونه بشرا.

والاستقامة: كون الشيء قويما، أي غير ذي عوج وتطلق مجازا على كون الشيء حقا خالصا ليست فيه شائبة تمويه ولا باطل.

وعلى كون الشخص صادقا في معاملته أو عهده غير خالط به شيئا من الحيلة أو الخيانة، فيقال: فلان رجل مستقيم، أي صادق الخلق، وإن أريد صدقة مع غيره يقال: استقام له، أي استقام لأجله، أي لأجل معاملته منه. ومنه قوله تعالى ﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم﴾ [التوبة:٧] والاستقامة هنا بهذا المعنى، وغنما عدي بحرف "إلى" لأنها كثيرا ما تعاقب اللام، يقال: ذهبت له وذهبت إليه، والأحسن أن إيثار "إلى" هنا لتضمين "استقيموا" معنى: توجهوا، لأن التوحيد توجه، أي صرف الوجه إلى الله دون غيره، كما حكى عن إبراهيم ﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين﴾ [الأنعام:٧٩]

أو ضمن "استقيموا" معنى: أنيبوا، أي توبوا من الشرك كما دل عليه عطف ﴿واستغفروه﴾ .

والاستغفار: طلب العفو عما فرط من ذنب أو عصيان وهو مشتق من الغفر وهو الستر.

والمعنى: فاخلصوا إلى الله في عبادته ولا تشركوا به غيره واسألوا منه الصفح عما فرط منكم من الشرك والعناد.

﴿وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون﴾

وعيد للمشركين بسوء الحال والشقاء في الآخرة يجوز أن يكون من جملة القول الذي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقوله فهو معطوف على جملة ﴿إنما أنا بشر﴾

ويجوز أن يكون كلاما معترضا من جانب الله تعالى فتكون الواو اعتراضية بين جملة ﴿قل إنما أنا بشر﴾ وجملة ﴿قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض﴾ [فصلت:٩] أي أجبهم بقولك: أنا بشر مثلكم يوحي إلي ونحن أعتدنا لهم الويل والشقاء إن لم يقبلوا ما تدعوهم إليه، فيكون هذا إخبارا من الله تعالى.

وذكر المشركين إظهار في مقام الإضمار ويستفاد تعليق الوعيد على استمرارهم على الكفر من الإخبار عن الويل بكونه ثابتا للمشركين والموصوفين بالذين لا يؤتون الزكاة وبأنهم كافرون بالبعث لأن تعليق الحكم بالمشتق يؤذن بعلية ما منه الاشتقاق، ولأن الموصول يؤذن بالإيماء إلى وجه بناء الخبر.

فأما كون الشرك وإنكار البعث موجبين للويل." (١)

---

(١) التحرير والتنوير، ١٤/٢٥

"جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم﴾.والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير﴾.

معطوفة على جملة ﴿فآمنوا بالله ورسوله﴾ [التغابن: ٨] وهو تفصيل لما أجمل في قوله: ﴿والله بما تعملون خبير﴾ الذي هو تذييل.

و ﴿من﴾ شرطية والفعل بعدها مستقبل، أي من يؤمن من المشركين بعد هذه الموعظة نكفر عنه ما فرط من سيئاته.

والمراد بالسيئات: الكفر وما سبقه من الأعمال الفاسدة.

وتكفير السيئات: العفو عن المؤاخذة بها وهو مصدر كفر مبالغة في كفر. وغلب استعماله في العفو عما سلف من السيئات وأصله: **استعارة الستر للإزالة** مثل الغفران أيضا.

وانتصب ﴿صالحا﴾ على الصفة لمصدر وهو مفعول مطلق محذوف تقديره: عملا صالحا.

وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر ﴿نكفر﴾ و ﴿ندخله﴾ بنون العظمة على الالتفات من الغيبة إلى التكلم لأن مقام إقبال فناسبه ضمير المتكلم.

وقرأهما الباقون بياء الغيبة على مقتضى الظاهر لأن ضمير الجلالة يؤذن بعناية الله بهذا الفريق.

وجملة ﴿ذلك الفوز العظيم﴾ تذييل.

وقوله: ﴿والذين كفروا وكذبوا﴾ ، أي كفروا وكذبوا من قبل واستمروا على كفرهم وتكذيبهم فلم يستجيبوا لهذه الدعوة ثبت لهم أنهم أصحاب النار. ولذلك جيء في جانب الخبر عنهم بالجملة الاسمية الدالة على الثبات لعراقتهم في الكفر والتكذيب.

وجيء لهم باسم الإشارة لتميزهم تمييزا لا يلتبس معه غيرهم بهم مثل قوله: ﴿أولئك على هدى من ربهم﴾ [البقرة:٥] مع ما يفيده اسم الإشارة من أن استحقاقهم لملازمة النار ناشئ عن الكفر والتكذيب بآيات الله وهذا وعيد.

وجملة ﴿وبئس المصير﴾ اعتراض تذييلي لزيادة تهويل الوعيد.." (١)

"إلا أن الله تفضل على المسلمين فغفر الصغائر لمن أجتنب الكبائر، أخذ ذلك من قوله تعالى: ﴿الذين يجتنبون كبائر الأثم والفواحش إلا اللمم﴾ وقد مضى القول فيه في تفسير سورة النجم[٣٢].

ولو عاد التائب إلى بعض الذنوب أو جميعها ما عدا الكفر اختلف فيه علماء الأمة فالذي ذهب إليه أهل

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٤٩/٢٨

السنة أن التوبة تنتقض بالعودة إلى بعض الذنوب في خصوص الذنب المعود إليه ولا تنتقض فيما سو اهـ. وأن العود معصية تجب التوبة منها. وقال المعتزلة، تنتقض بالعودة إلى بعض الذنوب فتعود إليه ذنوبه ووافقهم الباقلاني.

وليس في أدلة الكتاب والسنة ما يشهد لأحد الفريقين.

والرجاء المستفاد من فعل ﴿عسى﴾ مستعمل في الوعد الصادر عن المتفضل على طريقة الاستعارة وذلك النائب لا حق له في أن يعفى عنه ما اقترفه لأن العصيان قد حصل وإنما التوبة عزم على عدم العودة إلى الذنب ولكن ما لصاحبها من الندم والخوف الذي بعث على العزم دل على زكاء النفس فجعل الله جزاءه أن يمحو عنه ما سلف من الذنوب تفضلا من الله فلذلك معنى الرجاء المستفاد من ﴿عسى﴾ .

وقد أجمع علماء الإسلام على أن التوبة من الكفر بالإيمان مقبولة قطعا لكثرة أدلة الكتاب والسنة، واختلفوا في تعين قبول توبة العاصي من المؤمنين، فقال جمهور أهل السنة قبولها مرحو غير مقطوع وممن قال به الباقلاني وإمام الحرمين. وعن الأشعري أنه مقطوع به سمعا والمعتزلة مقطوع به عقلا.

وتكفير السيئات: غفرانها، وهو مبالغة في كفر المخفف المتعدي الذي هو مشتق من الكفر بفتح الكاف، أي الستر.

﴿يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير﴾ .

﴿يوم﴾ ظرف متعلق ب ﴿يدخلكم جنات﴾ وهو تعليق تخلص إلى الثناء على الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه. وهو يوم القيامة وهذا الثناء عليهم بانتفاء خزي الله عنهم تعريض بأن الذين لم يؤمنوا معه يخزيهم الله يوم القيامة وذكر النبي صلى الله عليه وسلم مع الذين آمنوا لتشريف المؤمنين ولا علاقة له بالتعريض.

والخزي: هو عذاب النار، وحكى الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام قوله: ﴿ولا تخزني يوم يبعثون﴾ [الشعراء:٨٧] على أن انتفاء الخزي يومئذ يستلزم الكرامة إذ لا واسطة بينهما كما." (١)

"وجملة ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ في موضع الحال من المبتدأ وهو الإنسان، وهي حالة أجدر بثبوت معنى عاملها عند حصولها.

و ﴿لو﴾ هذه وصلية كما تقدم عند قوله تعالى: ﴿فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به﴾

---

(١) التحرير والتنوير، ٣٣١/٢٨

في آل عمران [٩١]. والمعنى: هو بصيرة على نفسه حتى في حال إلقائه معاذيره.

والإلقاء: مراد به الإخبار الصريح على وجه الاستعارة، وقد تقدم عند قوله تعالى: ﴿فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون﴾ في سورة النحل [٨٦].

والمعاذير: اسم جمع معذرة، وليس جمعا لأن معذرة حقه أن يجمع على معاذر، ومثل المعاذير قولهم: المناكير، اسم جمع منكر. وعن الضحاك أن معاذير هنا جمع معذار بكسر الميم وهو الستر بلغة اليمن يكون الإلقاء مستعملا في المعنى الحقيقي، أي الإرخاء. وتكون الاستعارة في المعاذير بتشبيه جحد الذنوب كذبا بإلقاء الستر على الأمر المراد حجبه.

والمعنى: أن الكافر يعلم يومئذ أعماله التي استحق العذاب عليها ويحاول أن يتعذر وهو يعلم أن لا عذر له ولو أفصح عن جميع معاذيره.

و ﴿معاذيره﴾ : جمع معرف بالإضافة يدل على العموم. فمن هذه المعاذير قولهم: ﴿رب ارجعون، لعلي أعمل صالحا فيما تركت﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠] ومنها قولهم ﴿ما جاءنا من بشير﴾ [المائدة: ١٩] وقولهم: ﴿هؤلاء أضلونا﴾ [لأعراف: ٣٨] ونحو ذلك من المعاذير الكاذبة.

[١٦-١٩] ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به، إن علينا جمعه وقرآنه، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه، ثم إن علينا بيانه﴾ .

هذه الآية وقعت هنا معترضة. وسبب نزولها ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس أنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه القرآن يحرك به لسانه يريد أن يحفظه مخافة أن يتفلت منه، أو من شدة رغبته في حفظه فكان يلاقي من ذلك شدة فأنزل الله تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه﴾ . قال: جمعه في صدرك ثم نقرأه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه قال فاستمع له وأنصت، ثم إن علينا لنبينه بلسانك، أي تقرأه اهـ.." (١)

"وفي ذكر فعل ﴿كانوا﴾ دون أن يقال: ما يكسبون، إشارة إلى أن المراد: ما يكسبوه في أعمارهم من الإشراك قبل مجيء الإسلام فإنهم وإن لم يكونوا مناط تكليف أيامئذ. فهم مخالفون لما جاءت به الشرائع السالفة وتواتر وشاع في الأمم من الدعوة إلى توحيد الله بالإلهية على قول الأشعري وأهل السنة في توجيه مؤاخذة أهل الفترة بذنب الإشراك بالله حسبما اقتضته الأدلة من الكتاب والسنة أو مخالفون لمقتضى دلالة العقل الواضحة على قول الماتريدي والمعتزلة ولحق بذلك ما اكتسبوه من وقت مجيء الإسلام إلى

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٩/٣٢٣

أن نزلت هذه السورة فهي مدة ليست بالقصيرة.
و ﴿كلا﴾ الثانية تأكيد ل ﴿كلا﴾ الأولى زيادة في الردع ليصير توبيخا.
﴿إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون، ثم إنهم لصالوا الجحيم، ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون﴾ .
جملة ﴿إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ وما عطف عليها ابتدائية وقد اشتملت الجملة ومعطوفاها على أنواع ثلاثة من الويل وهي الإهانة، والعذاب، والتقريع مع التأييس من الخلاص من العذاب.
فأما الإهانة فحجبهم عن ربهم، والحجب هو الستر، ويستعمل في المنع من الحضور لدى الملك ولدى سيد القوم قال الشاعر الذي لم يسم وهو من شواهد الكشاف:
إذا اعتروا باب ذي عبيه رجبوا ... والناس من بين مرجوب ومحجوب
وكلا المعنيين مراد هنا لأن المكذبين بيوم الدين لا يرون الله يوم القيامة حين يراه أهل الإيمان.
ويوضح هذا المعنى قوله في حكاية أحوال الأبرار ﴿على الأرائك ينظرون﴾ [المطففين:٢٣] وكذلك أيضا لا يدخلون حضرة القدس قال تعالى: ﴿إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء﴾ [الأعراف:٤٠]، وليكون الكلام مفيدا للمعنيين قيل "عن ربهم لمحجوبون" دون أن يقال: عن رؤية ربهم، أو عن وجه ربهم كما قال في آية آل عمران [٧٧] ﴿ولا ينظر إليهم يوم القيامة﴾ .
وأما العذاب فهو ما في قوله: ﴿ثم إنهم لصالوا الجحيم﴾ .
وقد عطفت جملة بحرف ﴿ثم﴾ الدالة في عطفها الجمل على التراخي الرتبي وهو." (١)

"٩٩ في الحسنات لأنها مما ينتفع العبد به وجاءت بعليها في السيئات لأنها مما يضر بالعبد وإنما قال في الحسنات كسبت وفي الشر اكتسبت لأن في الاكتساب ضرب من الاعتمال والمعالجة حسبما تقتضيه صيغة افتعل فالسيئات فاعلها يتكلف مخالفة أمر الله ويتعداه بخلاف الحسنات فإنه فيها على الجادة من غير تكلف أو لأن السيئات يجد في فعلها لميل النفس إليها فجعلت لذلك مكتسبة ولما لم يكن الإنسان في الحسنات كذلك وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا أي قولوا ذلك في دعائكم ويحتمل أن يكون ذلك من بقية حكاية قولهم كما حكى عنهم قولهم سمعنا وأطعنا والنسيان هنا هو ذهول القلب على الإنسان والخطأ غير العمد فذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وقد كان يجوز أن يأخذ به لولا أن الله رفعه ولا تحمل علينا إصرا التكاليف الصعبة وقد كانت لمن تقدم من ال أمم كقتل أنفسهم وقرض أبدانهم ورفعت عن هذه الأمة قال

---

(١) التحرير والتنوير، ١٧٨/٣٠

تعالى ويضع عنهم إصرهم وقيل الإصر المسخ قردة وخنازير ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هذا الدعاء دليل على جواز تكليف ما لا يطاق لأنه لا يدعى برفع ما لا يجوز أن يقع ثم إن الشرع دفع وقوعه وتحقيق ذلك أن ما لا يطاق أربعة أنواع الأول عقلي محض كتكليف الإيمان لمن علم الله أنه لا يؤمن فهذا جائز وواقع بالاتفاق والثاني عادي كالطيران في الهواء والثاني عقلي وعادي كالجمع بين الضدين فهذان وقع الخلاف في جواز التكليف بهما والاتفاق على عدم وقوعه والرابع تكليف ما يشق ويصعب فهذا جائز اتفاقا فقد كلفه الله من تقدر من الأمم ورفعه عن هذه الأمه واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ألفاظ متقاربة المعنى وبينها من الفرق أن العفو ترك المؤاخذة بالذنب والمغفرة تقتضي مع **ذلك الستر والرحمة** تجمع ذلك مع التفضل بالإنعام مولانا ولينا وسيدنا

وثمانين آية لما." (١)

" ٣١ وجه الاستطراد عقيب ما ذكر من ظهور السوآت وخصف الورق عليها ليبين إنعامه على ما خلق من اللباس ينزع عنهما لباسهما أي كان سببا في نزع لباسهما عنهما من حيث لا ترونهم يعني في غالب الأمر وقد استدل به من قال إن الجن لا يرون وقد جاءت في رؤيتهم أحاديث صحيحة فتحمل الآية على الأكثر جمعا بينها وبين الأحاديث وإذا فعلوا فاحشة قيل هي ما كانت العرب تفعله من الطواف بالبيت عراة الرجال والنساء ويحتمل العموم في الفواحش قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها اعتذروا بعذرين باطلين أحدهما تقليد آبائهم والآخر افتراؤهم على الله وأقيموا وجوهكم قيل المراد إحضار النية والإخلاص لله وقيل فعل الصلاة والتوجه فيها عند كل مسجد أي في كل مكان سجود أو في وقت كل سجود والأول أظهر والمعنى إباحة الصلاة في كل موضع كقوله صلى الله عليه وسلم جعلت لي الأرض مسجدا كما بدأكم تعودون احتجاج على البعث الأخروي بالبدأة الأولى فريقا الأول منصوب بهدى والثاني منصوب بفعل مضمر يفسره ما بعده خذوا زينتكم قيل المراد به الثياب الساترة واحتج به من أوجب ستر العورة في الصلاة وقيل المراد به الزينة زيادة **على الستر كالتجمل** للجمعة بأحسن الثياب وبالسواك والطيب وكلوا واشربوا الأمر فيهما للإباحة لأن بعض العرب كانوا يحرمون أشياء من المآكل ولا تسرفوا أي لا تكثروا من الأكل فوق الحاجة وقال الأطباء إن الطب كله مجموع في هذه الآية وقيل لا تسرفوا بأكل الحرام قل من حرم زينة الله إنكار لتحريمها وهو ما شرعه الله لعباده من الملابس والمآكل وكان بعض العرب إذا حجوا يجردون الثياب ويطوفون عراة ويحرمون الشحم واللبن فنزل ذلك ردا عليهم خالصة يوم

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ١٨٣/١

القيامة أي الزينة والطيب في الدنيا للذين آمنوا ولغيرهم وفي الآخرة خالصة لهم دون غيرهم وقرئ خالصة بالنصب على الحال والرفع على أنه خبر بعد خبر أو خبر ابتداء مضمر ." (١)

"نجيناهم من خزي يومئذ جاثمين ذكر في الأعراف كأن لم يغنوا فيها أي كأن لم يقيموا فيها والضمير للدار وكذلك في قصة شعيب ولقد جاءت رسلنا الرسل هنا الملائكة إبراهيم بالبشرى ... ٣٠٤

١٠٩ بشروه بالولد قالوا سلاما نصب على المصدر والعامل فيه فعل مضمر تقديره سلمنا عليكم سلاما قال سلام تقديره عليكم سلام وسلام عليكم وهذا على أن يكون بمعنى التحية وإنما رفع جوابه ليدل على إثبات السلام فيكون قد حياهم بأحسن مما حيوه ويحتمل أن يكون السلام بمعنى السلامة ونصب الأول لأنه بمعنى الطلب ورفع الثاني لأنه في معنى الخبر فما لبث أن جاء أي ما لبث مجيئه بل عجل وما نافية وأن جاء فاعل لبث بعجل حنيذ أي مشوي وفعيل هنا بمعنى مفعول نكرهم أي أنكرهم ولم يعرفهم يقال نكر وأنكر بمعنى واحد وأوجس منهم خيفة قيل إنه لم يعرفهم فخاف منهم لما لم يأكلوا طعامه وقيل عرف أنهم ملائكة ولكن خاف أن يكونوا أرسلوا بما يخاف فأمنوه بقولهم لا تخف وامرأته قائمة قيل قائمة خلف الستر وقيل قائمة في الصلاة وقيل قائمة تخدم القوم واسمها سارة فضحكت قيل معناه حاضت وهو ضعيف وقال الجمهور هو الضحك المعروف واختلفوا من أي شيء ضحكت فقيل سرورا بالولد الذي بشرت به ففي الكلام على هذا تقديم وتأخير وقيل سرورا بالأمن بعد الخوف وقيل سرورا بهلاك قوم لوط فبشرناها بإسحاق أسند البشارة إلى ضمير الله تعالى لأنها كانت بأمره ومن وراء إسحاق يعقوب أي من بعده وهو ولده وقيل الوراء ولد الولد ويعقوب بالرفع مبتدأ وبالفتح معطوف على إسحاق قالت يا ويلتا الألف فيه مبدلة من ياء المتكلم وكذلك في يا لهفي ويا أسفي ويا عجبا ومعناه التعجب من الولادة وروى أنها كانت حينئذ بنت تسع وتسعين سنة وإبراهيم ابن مائة سنة رحمة الله وبركاته عليكم يحتمل الدعاء والخبر أهل البيت أي أهل بيت إبراهيم وهو منصوب بفعل مضمر على." (٢)

"الأرض وقال ابن عطية الظاهر أنها عبارة عن قرب الشمس منهم وقيل الستر اللباس فكانوا على هذا لا يلبسون الثياب كذلك أي أمر ذي القرنين كذلك أي كما وصفناه تعظيما لأمره وقيل إن كذلك راجع لما قبله أي لم نجعل لهم سترا كما جعلنا لكم من المباني والثياب وقيل المعنى وجد عندها قوما

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٣٩٣/١

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٣/٢

كذلك أي مثل القوم الذين وجدوا عند مغرب الشمس وفعل معهم مثل فعله بين السدين أي الجبلين وهما جبلان في طرف الأرض وقرئ بالفتح والضم وهما بمعنى واحد وقيل ما كان من خلقة الله فهو مضموم وما كان من فعل الناس فهو مفتوح وجد من دونهما قوما قيل هم الترك لا يكادون يفقهون قولا عبارة عن بعد لسانهم عن ألسنة الناس فهم لا يفقهون القول ... ٣٩٢." (١)

"عورة من الانكشاف كقوله بيوتنا عورة ومن رفع ثلاث فهو خبر ابتداء مضمر تقديره هذه الأوقات ثلاث عورات لكم أي تنكشفون فيها ومن نصبه فهو بدل من ثلاث مرات ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن هذا الضمير المؤنث يعود على الأوقات المتقدمة أي ليس عليكم ... ٤٦٥

٧٢ ولا على المماليك والأطفال جناح في ترك الاستئذان في غير المواطن الثلاثة طوافون عليكم تقديره المماليك والأطفال طوافون عليكم فلذلك يؤمر بالاستئذان في كل وقت بعضكم على بعض بدل من طوافون أي بعضكم يطوف على بعض وقال الزمخشري هو مبتدأ أي بعضكم يطوف على بعض أو فاعل بفعل مضمر وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا لما أمر الأطفال في الآية المتقدمة بالاستئذان في ثلاثة أوقات وأباح لهم الدخول بغير إذن في غيرها أمرهم هنا بالاستئذان في جميع الأوقات إذا بلغوا ولحقوا بالرجال والقواعد من النساء جمع قاعد وهي العجوز فقيل ه ي التي قعدت عن الولد وقيل التي قعدت عن التصرف وقيل التي إذا رأيتها استقذرتها فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن أباح الله لهذا الصنف من العجائز ما لم يبح لغيرهن من وضع الثياب قال ابن مسعود إنما أبيح لهن وضع الجلباب الذي فوق الخمار والرداء وقال بعضهم إنما ذلك في منزلها الذي يراها فيه ذوو محارمها غير متبرجات بزينة إنما أباح الله لهن وضع الثياب بشرط ألا يقصدن إظهار زينة والتبرج هو الظهور وأن يستعففن خير لهن المعنى أن الاستعفاف عن وضع الثياب المذكورة خير لهن من وضعها والأولى لهن أن يلتزمن ما يلتزم شباب النساء **من الستر** ليس على الأعمى حرج الآية اختلف في المعنى الذي رفع الله فيه الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض في هذه الآية فقيل هو في الغزو أي لا حرج عليهم في تأخيرهم عنه وقوله ولا على أنفسكم مقطوع من الذي قبله على هذا القول كأنه قال ليس على هؤلاء الثلاثة حرج في ترك الغزو ولا عليكم حرج في الأكل وقيل الآية." (٢)

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ١٥٠/٢

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٢٧٠/٢

"والثاني : أن يكون ما بعدها مفرداً أو مؤولاً بمفرد كهذه الآية ، فإن الجملة فيها بتأويل مفرد كما تقدم ، وجوابها أحد الشّيئين أو الأشياء ، ولا تجاب بـ " نعم " ولا بـ " لا " ، فإن فقد الشرط سميت منقطعة ومنفصلة ، وتقدر بـ " بل والهمزة " ، وجوابها " نعم " أو " لا " ولها أحكام أخر.

و " لم " حرف جزم معناه نفي الماضي مطلقاً خلافاً لمن خصَّها بالماضي المنقطع ، ويدلّ على ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّاً﴾ [مريم : ٤] ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص : ٣].

وهذا لا يتصور فيه الانقطاع ، وهي من خواصّ صيغ المضارع إلاّ أنها تجعله ماضياً في المعنى كما تقدم.

وهل قلبت اللفظ دون المعنى أو المعنى دون اللفظ ؟

٣١٠

قولان : أظهرهما الثاني : وقد يحذف مجزومها كقوله : [الكامل] ١٤٥ - إِحْفَظْ وَدِيعَتَك الَّتِي اسْتُودِعْتَهَا

يَوْمَ الأَعَازِبِ ، إنْ وَصَلْتَ ، وإنْ لَمِ

جزء : ١ رقم الصفحة : ٣٠٧

و " الكفر " أصله : **الستر**؛ ومنه : " الليل الكَافِرُ " ؛ قال : [الرجز] ١٤٦ - فَوَرَدَتْ قَبْلَ انْبِلاَجِ الفَجْرِ

وَابْنُ ذُكَاءٍ كَامِنٌ فِي كَفْرِ

وقال [الكامل] ١٤٧ - فَتَذَكَّرَا ثَقَلاً رَثِيداً بَعْدَمَا

أَلْقَتْ ذُكَاءُ يَمِينَهَا فِي كَافِرِ

والكفر - هنا - الجحود.

وقال آخر : [الكامل] ١٤٨ - ....

فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ غَمَامُهَا

قال أبو العباس المقرىء : ورد لفظ " الكفر " في القرآن على أربعة أَضْرُبٍ : الأول : الكُفْر بمعنى ستر التوحيد وتغطيته قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ﴾ ؟ الثاني : بمعنى الجُحُود قال تعالى : ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ﴾ [البقرة : ٨٩].

الثالث : بمعنى كفر النّعمة ، قال تعالى : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ [إبراهيم : ٧] أي : بالنعمة ، ومثله : ﴿وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة : ١٥٢] وقال تعالى : ﴿أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل : ٤٠].

الرابع : البراءة ، قال تعالى : ﴿إِنَّا بُرَءآؤاْ مِّنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ [الممتحنة : ٤] أي : تبرأنا منكم ، وقوله : ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ [العنكبوت : ٢٥].

و " سواء " اسم معنى الاستواء ، فهو اسم مصدر ، ويوصف على أنه بمعنى مستوٍ ، فيحتمل حينئذٍ ضميراً ، ويرفع الظاهر ، ومنه قولهم : " مررت برجل سواء والعدم " برفع

٣١١

" العدم " على أنه معطوفٌ على الضمير المستكنّ في " سواء " ، وشذ عدم بمعنى : " مثل " ، تقول : " هما سِيّان " بمعنى : مِثْلان ، قال : [البسيط] ١٤٩ - مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللهُ يَشْكُرُهَا

وَالشَّرُّ بِالشَّرِّ عِنْدَ اللهِ سِيَّانِ

على أنه قد حكي سواءان.

وقال الشاعر : [الطويل] ١٥٠ - وَلَيْلٌ تَقُولُ النَّاسُ فِي ظُلُماتِهِ

سَوَاءٌ صَحِيحَاتُ العُيُونِ وَعُورُهَا

ف " سواء " خبر عن جمع هو " صحيحات " ، وأصله : العدل ؛ قال زهير : [الوافر] ١٥١ - أَرُونَا سُبَّةً لا عَيْبَ فِيهَا

يُسَوِّي بِيْنَنَا فِيهَا السَّوَاءُ

جزء : ١ رقم الصفحة : ٣٠٧

أي : يعدل بيننا العدل.

وليس هو الظرف الذي يستثنى به في قولك : " قاموا سواء زيد " وإن شاركه لفظاً.

ونقل ابن عطية عن الفارسي فيه اللغات الأربع المشهورة في " سوى " المستثنى به ، وهذا عجيب فإن هذه اللغات في الظرف لا في " سواء " الذي بمعنى الاستواء.

وأكثر ما تجيئ بعده الجملة المصدرية بالهمزة المُعَادلة بـ " أم " كهذه الآية ، وقد تحذف للدلالة كقوله تعالى : ﴿فَاصْبِرُوا اْ أَوْ لاَ تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ [الطور : ١٦] أي : أصبرتم أم لم تصبروا ، وقد يليه اسم الاستفهام معمولاً لما بعده كقول علقمة : [الطويل] ١٥٢ - سَوَاءٌ عَلَيْهِ أَيَّ حِينٍ أَتَيْتَهُ

أَسَاعَةَ نَحْسٍ تُتَّقَى أَمْ بِأَسْعَدِ

ف " أي حين " منصوب بـ " أتيته " ، وقد يعرى عن الاستفهام ، وهو الأصل ؛ نحو : [الطويل]

٣١٢

١٥٣ - ....

سَواءٌ صَحِيْحاتُ العُيُونِ وَعُورُهَا

(١) ".

"أي : تمرون بالدِّيَار ، ولكنه غير مقيس.

والثالث : أن يكون " غشاوة " اسماً وضع موضع المصدر الملاقي لـ " خَتَمَ " في المعنى ؛ لأن الخَتْمَ والتغشية يشتركان في معنى السّتر ، فكأنه قيل : " وختم التغشية " على سبيل التأكيد ، فهو من باب " قعدت جلوساً " ، وتكون " قلوبهم وسمعهم وأبصارهم مختوماً عليها مغشاة ".

وقال الفَارِسِيّ : قراءة الرفع الأولى ، لأن النَّصب إما أن تحمله على فعل يدلّ عليه " ختم " ، تقديره : وجعل على أبصارهم غشاوة ، فهذا الكلام من باب : [الكامل] ١٦٠ – يَا لَيْتَ زَوْجَكِ قَدْ غَدَا

مُتَقَلِّداً سَيْفاً وَرُمْحاً

وقوله : [الرجز] ١٦١ – عَلَفْتُهَا تِبْناً وَمَاءً بَارِداً

حتَّى شَتَتْ هَمَّالَةٌ عَيْنَاهَا

ولا تكاد تجد هذا الاستعمال في حالة سَعَةٍ ، ولا اختيار.

واستشكل بعضهم هذه العبارة ، وقال : لا أدري ما معنى قوله ؛ لأن النصب إما أن تحمله على " خَتَم " الزاهر ، وكيف تحمل " غشاوة " المنصوب على " ختم " الذي هو فعل هذا ما لا حمل فيه ؟ قال : اللّهم إلا أن يكون أراد أن قوله تعالى : " ختم الله على قلوبهم " دعاء عليهم لا خَبَر ، ويكون " غشاوة " في معنى المصدرية المَدْعو به عليهم القائم مقام الفعل ، فكأنه قيل :

٣٢٢

وغَشَّى الله على أبصارهم ، فيكون إذ ذاك معطوفاً على " ختم " عطف المصدر النائب مناب فعله في الدّعاء ، نحو : " رحم الله زيداً وسُقياً له " فتكون إذ ذاك قد حُلْت بين " غشاوة " المعطوف وبين " خَتَمَ " المعطوف عليه بالجار والمجرور.

وهو تأويل حسن ، إلاّ أن فيه مناقشة لفظيةً ؛ لأن الفارسي ما ادّعى الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه إنما ادعى الفصل بين حرف العطف والمعطوف عليه أي بالحرف ، فتحرير التأويل أن يقال : فيكون قد حُلْت بين غشاوة وبين حرف العطف بالجار والمجرور.

والقراءة المشهورة بالكسر ؛ لأن الأشياء التي تدلّ على الاشتمال تجيء أبداً على هذه الزِّنَة كالعِصَابة

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤١

والعِمَامَة.

والغِشَاوة فِعَالة : الغطاء من غشاه إذا غطاه ، وهذا البناء لِمَا يشتمل على الشيء ، ومنه غشي عليه ، وَالغِشْيَان كناية عن الجِمَاع.

و " القلب " أصله المصدر ، فسمي به هذا العضو الصَّنَوْبَرِي ؛ لسرعة الخواطر إليه وتردُّدها عليه ، ولهذا قال : [البسيط] ١٦٢ - مَا سُمِّيَ الْقَلْبُ إلاَّ مِنْ تَقَلُّبِهِ

فَاحْذَرْ عَلَى القَلْبِ مِنْ قَلْبٍ وَتَحْوِيلِ

جزء : ١ رقم الصفحة : ٣٢٠

ولما سمي به هذا العضو التزموا تفخيمه فرقاً بينه وبين أصله ، وكثيراً ما يراد به العقل ويطلق أيضاً على لُبِّ كل شيء وخالصه.

و " السمع " و " السماع " مصدران لـ " سمع " ، وقد يستعمل بمعنى الاستماع ؛ قال : [البسيط] ١٦٣ - وَقَدْ تَوَجَّسَ رِكْزَاً مُقْفِرٌ نَدُسٌ

بِنَبْأَةِ الصَّوْتِ مَا فِي سَمْعَهَ كَذِبُ

أي : ما في استماعه.

و " السِّمْع " - بالكسر - الذِّكْر بالجميل ، وهو - أيضاً - ولد الذئب من الضَّبُع ، ووحد وإن كان المراد به الجمع كالذي قبله وبعده ؛ لأنه مصدر حقيقة ، يقال : رَجُلان صَوْم ، ورجال صوم ، ولأنه على حذف مضاف ، أي : مواضع سمعهم ، أو حواس سمعهم ، أو يكون كني به عن الأُذُن ، وإنما لفهم المعنى ؛ كقوله [الوافر] ١٦٤ - كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمُ تَعِفُّوا

فَإِنَّ زَمَانَكُمْ زَمَنٌ خَمِيصُ

أي : بطونكم.

٣٢٣

ومثله قال سيبويه : " إنه وإن وُحِّد لفظ السمع إلاَّ أن ذكر ما قبله وما بعجه بلفظ الجمع دليل على إرادة الجمع ".

ومنه أيضاً قال تَعَالى : ﴿يُخْرِجُهُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة : ٢٥٧] ، ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ [ق : ١٧] ؛ قال الراعي.

١٦٥ - بِهَا جِيَفُ الحَسْرى فأمّا عِظَامُهَا

فَبِيضٌ وأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبُ
." (١)

"ووزنه عند هؤلاء : " إِفْعِيل " ؛ واعترض عليهم بأنه كان ينبغي أن يكون منصرفاً ، وأجابوا بأنه أِبه الأسماء الأعجميّة لعدم نظيره في الأسماء العربية ؛ ورد عليهم بأنه مثله في العربية كثير ؛ نحو : " إِزْمِيل " و " إِكْلِيل " و " إغريض " و " إِخْرِيط ".

وقيل : لما لم يقسم به أحدٌ من العرب ، صار كأنه دَخِيلٌ في لسانهم ، فأشبه الأعجمية ، وفيه بُعْدٌ.

فصل في جنس إبليس اختلفوا في " إبليس " فقال أكثر المتكلمين والمعتزلة : إنه لم يكن من المَلاَئكة ، وهو مرويّ عن ابن عَبَاس ، وابن زيد ، والحسن ، وقتادة – رضي الله عنهم – قالوا : " إبليس أبو الجِن كما أن آدم أبو البَشَرِ ، ولم يكن ملكاً فأشبه الحرف ".

وقال شهر بن حَوْشَبٍ ، وبعض الأصوليين : "كان من الجن الذين كانوا في الأرض ، وقاتلهم الملائكة فَسَبُوهُ وتعبّد مع الملائكة وخوطب ".

وحكاه الطبري ، وابن مسعود ، وابن جريح ، وابن المسيب ، وقتادة وغيرهم ، وهو اختبار الشيخ أبي الحَسَنِ ، ورجّحه الطبري ، وهو ظاهر الآية أنه من الملائكة.

قال ابن عباس : " وكان اسمه عزَازِيل ، وكان من أشراف الملائكة ، وكان من أُولي الأَجْنِحَةِ الأَرْبَعَةِ ثم إبليس بعد ".

وروى سليمان بن حَرْب عن عكرمة عن ابن عَبَّاس قال : كان إِبْلِيسُ من الملائكة ، فلما عَصَى الله غضب عليه فَلَعَنَهُ ، فصار شيطاناً.

وحكى المَاوَرْدِيّ عن قتادة : أنه كان من أَفْضَلِ صنف من الملائكة يقال لهم الجنّة.

وقال سعيد بن جبير : إن الجنّ سِبْطٌ من الملائكة خُلقوا من نار ، وإبليس منهم ، وخلق معاشر الملائكة من نور.

حجّة القول الأول ، وهو أنه لم يكن من الملائكة وجوه : أحدها : قوله تعالى : ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنّ﴾ [الكهف : ٥٠] وإذا كان من الجنّ وجب أن ألاّ يكون من الملائكة لقوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلاَئِكَةِ أَهَاؤُلاَءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ قَالُواْ سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ [سبأ : ٤٠ ، ٤١] ، وهذا صريح في الفرق بين الجنّ والمَلَكِ.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ، ص/٤٥

فإن قيل : لا نسلّم أنه كان من الجنّ ، لأن قوله : ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الكهف : ٥٠] يجوز أن يكون المراد كان من الجنّة على ما روي عن ابن مسعود – رضي الله عنه – أنه كان من الجنّ كان خازن الجنة.
سلمنا ذلك ، لكن لِمَ لاَ يجوز أن يكون قوله : " من الجن " أي : صار من الجن كقوله : ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.
سلّمنا ما ذكرتم ، فَلِمَ قلتم : إن كونه من الجنّ ينافي كونه من الملائكة ؛ لأن الجن مأخوذ من الاجتنان ، **وهو الستر** ، ولهذا سمي الجَنين جنيناً لاجتِنَانِهِ ، ومنه الجُنّة لكونها سائرة ، والجِنّة لكونها مستترة بالأَغْصَان ، ومنه الجُنُون لاستتار العَقْل به ، والملائكة مستترون عن الأعين ، فوجب جواز إطلاق لفظ الجِنّ عليهم بحسب اللُّغة ، يؤيد هذا التأويل قوله تعالى في الآية الأخرى : ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً﴾ [الصافات : ١٥٨] ، وذلك لأن قريشاً قالت : الملائكة بنات الله ، فهذه الآية تدلّ على أن الملائكة تسمى جنًّا.
والجواب : لا يجوز أن يكون المُرَاد من قوله : "كان من الجن " أنه كان خازن الجنّة ؛ لأن قوله : ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ [الكهف : ٥٠] يشعر بتعليل تركه السُّجود بكونه جنياً ، ولا يمكن تعليل ترك السجود بكونه خازن الجنّة ، فبطل ذلك.
﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً﴾ [الصافات : ١٥٨] قلنا : يحتمل أن بعض الكُفّار أثبت ذلك النسب في الجنّ ، كما أثبته في الملائكة ، وأيضاً أن الملك يسمى جنّاً بحسب أصل اللّغة ، لكن لفظ الجنّ بحسب العرف اختص بالغير ، كما أن لفظ الدَّابة يتناول كل ما دَبّ بحسب اللُّغة الأصلية ، كلغة بحسب العرف اختص ببعض ما يدبّ ، فيحتمل أن تكون هذه الآية على اللغة الأصلية والآية التي ذكرناها على العرف الحادث.
وثانيها : أن " إبليس " له ذريّة لقوله تعالى : ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَآءَ﴾ [الكهف : ٥٠] والملائكة لا ذريّة لها ؛ لأن الذريّة إنما تحصل من الذَّكَرِ والأُنْثَى ، والملائكة لا أنثى فيها لقوله : ﴿وَجَعَلُواْ الْمَلاَئِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَانِ إِنَاثاً أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾ [الزخرف : ١٩] أنكر على من حكم عليهم بالأنوثة.
وثالثها : أنّ الملائكة معصومون ، و " إبليس " لم يكن كذلك فوجب ألا يكون من الملائكة.
ورابعها : أن " إبليس " مخلوق من نار لقوله تعالى حكاية عن " إبليس " : ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾ [الأعراف : ١٢].

قال : ﴿وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر : ٢٧] والملائكة مخلوقون من النّور ، لما روت عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " خلقت المَلاَئِكَةُ من نُورٍ وخُلِقَ اجَانّ من مَارِجٍ من نَارٍ ".

حجّة القول الثاني ، وهو أن " إبليس "كان من الملائكة أمران : الأول : أن الله – تعالى – ." (١)

"أَصْدَقُ كلمةٍ قالها شَاعِرٌ كلمة لَبِيد " وهو قوله : [الطويل] ٤١٠ – أَلاَ كُلَّ شَيءٍ مَا خَلاَ اللهَ بَاطِلُ

وَكُلَ ُ نَعِيمٍ لاَ مَحَالَةَ زَائِلُ

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٦٣

فسمى هذا البيت كلمةً ، والتوبة : الرجوع ، ومعنى وصف الله – تعالى – بذلك أنه عبارةٌ عن العَطْفِ على عباده ، وإنقاذهم من العذاب.

وقيل : قبول توبته.

وقيل : خلقه الإنابة والرجوع في قلب المسمى ، وآخر الطَّاعات على جَوَارحه ، ووصف عن العَطْفِ على عباده ، وإنقاذهم من العذاب.

وقيل : قبول توبته.

وقيل : خلقه الإنابة والرجوع في قلب المسمى ، وآخر الطَّاعات على جَوَارِحِه ، ووصف العَبْدِ بها ظاهر ؛ لأنه يرجع عن المعصية إلى الطاعة.

و " التواب الرحيم " صفتا مُبَالغة ، ولا يختصَّان بالباري تعالى.

قال تعالى : ﴿يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ [البقرة : ٢٢٢] ، ولا يطلق عليه " تائب " ، وإن صرح بفعله مسند إليه تعالى.

وقدم " التواب " على " الرحيم " لمناسبة " فتاب عليه " ، ولأنه مناسب لختم الفواصل بالرحيم.

وقوله : ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ نظير قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة : ٣٢].

وأدغم أبو عمرو هاء " إنَّه " في هاء " هُوَ " ، واعترض على هذا بأنّ بين المثلين ما يمنع من الإدغام وهو " الواو " ؛ واجيب : بأن " الواو " وُصْلَةٌ زائدةٌ لا يعتدّ بها ؛ بدليل سقوطها في قوله : [الوافر] ٤١١ – لَهُ زَجلٌ كأَنَّهُ صَوْتُ حَادٍ

إذَا طَلَبَ الوَسِيقَةَ أَوْ زِميرُ

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٤١

وقوله : [البسيط] ٤١٢ – أوْ مُعْبَرُ الظَّهْرِ يُنْبِي عَنْ وَلِيَّتِهِ
مَا حَجَّ رَبَّهُ في الدُّنْيَا وَلاَ اعْتَمَرَا

والمشهور قراءة " إنه " بكسر " إن " ، وقرئ بفتحها على تقدير لام العلّة ، وقرأ الأعمش : " آدَم مِّنْ رَبِّهِ " مدغماً.

فصل في نظم الآية قوله : " فتاب عليه " أي : قبل توبته ، أو وفقه للتوبة ، وكان ذلك في يوم عاشوراء في يوم الجُمُعَة.

فإن قيل : لم قال " عليه " ولم يقل : " عليهما " ، وحواء مُشَارِكة له في الذنب.

فالجواب : انها كانت تبعاً له كما طوى حكم النِّسَاء في القرآن والسُّنة.

وقيل : لأنه خصّه بالذكر في أوّل القصّة بقوله : ﴿اسْكُنْ﴾ [البقرة : ٣٥] ، فكذلك خصّه بالذكر في التلقّي.

وقيل : لأن المرأة حرمة ومستورةٌ ، فأراد الله السّتر بها ، ولذلك لم يذكرها في القصّة في قوله : ﴿وَعَصَى ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ [طه : ١٢١].

جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٦٣

". (١)

"بين الهمزتين ، فنقلوا الهمزة الأولى إلى موضع الثانية ، فصار وزنه " فَعَلى " ، وإنما فَعَلوا ذلك ، لتصير المكسورة ظرفاً ، فتنقلب ياء ، فتصير " فعالىْ " ، ثم أبدلوا من كسرة الهمزة الأولى فتحة ، فانقلبت الياء بعدا ألفاً كما قالوا في : يا لَهْفى " " ويا أَسَفى " ، فصارت الهمزة بين ألفين ، فأبْدِل منها يا ، لأن الهمزة قريبة من الألف ، فاستنكروا اجتماع ثلاث ألفات.

فعلى هذا فيها خمسة تغييرات : تقديم اللام ، وإبدال الكسرة فتحة ، وإبدال الهمزة الأخيرة ياء ، ثم إبدالها ألفاً ، ثم إبدال الهمزة التي هي لام ياء.

والقول الأول أَوْلَى ، لقلّة العمل ، فيكون للخليل في المسألة قولان.

الثالث : قول سيبويه أن أصلها عنده : " خَطَايِىء "كما تقدم ، فأبدل الياء الزائدة همزة ، فاجتمع همزتان ، فأبدل الثانية منهما " ياء " لزوماً ، ثم عمل العمل المتقدّمن ووزنها عند " فَعَائل " مثل : " صَحَائف " ، وفيها على قوله خمسة تغييرات : إبدال الياء المزيدة همزة وإبدال الهمزة الأصلية ياء ، وقلب الكسرة فتحة

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٥٨

، وقلب الياء الاصلية ألفاً ، وقلب الهمزة المزيدة ياء.

الرابع : قول " الفَرَّاء " ، هو أن " خَطَايا " عنده ليس جمعاً لـ " خطيئة " بالهمز ، إنما هو جمع لـ " خَطِيّة "كـ " هَدِيَة وهَدَايا " و " رَكِيّة ورَكَايَا ".

قال الفراء : ولو جمعت " خَطيئة " مهمزة لقلت : " خَطَاءا " يعني : فلم تقلب الهمزة ياء ، بل تبقيها على حالها ، ولم يعتد باجتماع ثلاث ألفات.

ولكنه لم يقله العرب ، فدلّ ذلك عنده أنه ليس جمعاً للمهموز.

وقال " الكسائي " : ولو جمعت مهموزة أدغمت الهمزة في الهمزة مثل : " دواب ".

وقرىء : " يَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيْئَاتِكُمْ " و " خَطِيْئَتَكُمْ " بالجمع والتوحيد ، وبالياء والتاء على مالم يُسَمَّ فاعله ، و " خَطَايَاكُمْ " بهمز الألف الأولى دون الثانية ، وبالعكس.

والمعنى في هذه القراءات واحد ؛ لأن الخطيئة إذا غفرها الله ـ تعالى ـ فقد غفرت ، وإذا غفرت فإنما يغفرها الله.

والفعل إذا تقدّم الاسم المؤنث ، وحال بينه وبين الفاعل حَائِلٌ جاز التذكير والتّأنيث كقوله تعالى : ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ﴾ [هود : ٦٧].

و ﴿وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [هود : ٩٤].

وقرأ الجحدري : " خَطِيئتكم " بمدة وهمزة وتاء مرفوعة بعد الهمزة.

وقرأ ابن كثير : " خَطَايأكم " بهمزة قبل اكاف.

وقرأ الكسائي : بكسر الطاء والتاء ، والباقون بإمالة الياء.

و " الغَفْر " : **السّتر** ، ومنه المِغْفَر : لِسُتْرة الرأسن وغفران الذُّنوبح لأنها تغطيها ، وتقد تقدّم الفرق بينه وبين العَفُوا.

و " الغِفارَة " : خِرْقَةٌ تستر الْخِمَار أن يَمَسَّه دهن الرأس.

و " الخَطِيئة " من الخَطَأ ، وأصله : العدول عن الجهة ، وهو أنواع : أحده١ : إرادة غير ما تحسن إرادته ، فيفعله ، وهذا هو الأصل [التام] يقال منه : " خَطِيءَ يَخْطَأ خِطْأً وخِطْأَةً ".

والثاني : أن يريد ما يحسن فعله ، ولكن يقع بخلافه ، يقال منه : أَخْطَأَ إِخْطَاء ، فهو مخطيء ، وجملة الأمر أنَّ من أراد شيئاً ، فاتفق منه غيره يقال : " أخطأ " ، وإن وقع كما أراد ، يقال : " أصَاب " ، وقد يقال لمن فعل فعلاً لا يحسن أو أراد إرادة لا تجمل : إنه أخطأ ولهذا يقال : أَصَابَ الخَطَأ ، وأَخْطَأَ

الصَّوابَ ، وأصاب الصواب ، وأخطأ الخطأ.
قوله : " وَسَنَزِيدُ المُحْسِنينَ " أي نزيدهم إحساناً على الإحْسَان المتقدم عندهم ، وهو اسم فاعل من " أحسن " ، والمُحْسِنُ من صحّح عقد توحيده ، وأحسن سياسَةَ نفسهن وأقبل على أداء فرائضه ، وكفى المسلمين شره.
وقال بعض المفسرين : معناه : من كان محسناً جازيناه بالإحسان إحساناً ، أو زيادة كما جعل للحسنة عشراً وأكثر.
وقيل : من كان محسناً بهذه الطاعة والتوبة ، فإنا نغفر خَطَاياه ، ونزيده على غُفْران الذنوب إعطاءَ الثواب الجزيل ، وفيه وجه آخر أن المعنى من كان خاطئاً غفرنا له ذنبه بهذا الفعل ، ومن لم يكن خاطئاً ، بل كان محسناً زدنا في إحسانه.
قوله : ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾.
لا بُدّ في هذا الكلام من تأويل ؛ إذ الذّم إنما يتوجه عليهم إذا بدّلوا القول الذي قيل لهم ، لا إذا بدَّلوا قولاً غيره.
فقيل : تقديره : فبدل الذين ظلموا بالذي قيل لهم قولاً غير الذي قيل لهم فـ " بدّل " يتعدّى لمفعول واحد بنفسه ، وإلى آخر بالباء ، والمجرور بها هو المتروك ، والمنصوب هو الموجود ، كقول أبي النجم : [الرجز]
٥١٧. وَبُدِّلَتْ والدَّهْرُ ذُو تَبَدُّلِ
هَيْفاً دَبُوراً بِالصَّبَا وَالشَّمْأَلِ
جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٦٣
." (١)

"و " الحِبَّة " بالكسر : بذور البقل ممَّا لا يقتات به ، و " الحُبَّة " بالضَّمِّ : الحُبُّ.
والحُبُّ : المحبة ، وكذلك " الحِبّ " بالكسر ، والحِبُّ أيضاً : الحبيب ، وحبة القلب سويداؤه ، ويقال ثمرته ، وهو ذاك.
قوله : ﴿أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾ أي : أخرجت وهذه الجملة في محلِّ جرٍّ ؛ لأنها صفةٌ لحبة ، كأن قيل : كمثل حبَّةٍ منبتةٍ.
وأدغم تاء التأنيث في سين " سَبْع " أبو عمرو ، وحمزة ، والكسائي ، وهشامٌ.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٠٦

وأظهر الباقون ، والتاء تقارب السين ، ولذلك أُبدلت منها ؛ قالوا : ناسٌ ، وناتُ ، وأكياسٌ ، وأكياتٌ ؛

قال : [الرجز] ١٢١٦ - عَمْرو بْنَ يَرْبُوعٍ شِرَارَ النَّاتِ

لَيْسُوا بَأَجْيَادٍ وَلاَ أَكْيَاتِ

أي : شرار الناس ، ولا أكياسٍ.

وجاء التَّمييز هنا على مثال مفاعل ، وفي سورة يوسف مجموعاً بالألف والتَّاء ، فقال الزمخشريُّ : " فإنْ قلتَ : هلاَّ قيل : " سَبْعَ سُنْبُلاَتٍ " على حقِّه من التمييز بجمع القلَّة ، كما قال : ﴿وَسَبْعَ سُنْبُلاَتٍ خُضْرٍ﴾ [يوسف : ٤٣ و ٤٦].

قلت : هذا لما قدَّمت عند قوله : ﴿ثَلاَثَةَ قُرُواءٍ﴾ [البقرة : ٢٢٨] من وقوع أمثلة الجمع [متعاورةً] مواقعها ".

يعني : أنه من باب الاتساع ، ووقوع أحد الجمعين موقع الآخر ، وهذا الذي قاله ليس بمخلِّص ، [ولا محَصِّلٍ] ، فلا بدَّ من ذكر قاعدةٍ مفيدة في ذلك : قال شهاب الدين - رحمه الله - : اعلم أن جمعي السَّلامة لا يميَّز بهما عددٌ إلا في موضعين : أحدهما : ألا يكون لذلك المفرد جمعٌ سواه ، نحو : سبع سموات ، وسبع بقرات ، وسبع سنبلات ، وتسع آيات ، وخمس صلوات ، لأنَّ هذه الأشياء لم تجمع إلا جمع السلامة ، فأمَّا قوله : [الطويل]

٣٧٨

١٢١٧ - ....

....

فَوْقَ سَبْعِ سَمَائِيَا

فشاذٌ ، منصوصٌ على قلَّته ، فلا يلتفت إليه.

والثاني : أن يعدل إليه لمجاوزة غيره ، كقوله : ﴿وَسَبْعَ سُنْبُلاَتٍ خُضْرٍ﴾ [يوسف : ٤٣ و ٤٦] عدل من " سَنَابِلَ " إلى " سُنْبُلاَتٍ " ؛ لأجل مجاورته " سَبْعَ بَقَرات " ، ولذلك إذا لم توجد المجاورة ، ميِّز بجمع التكسير دون جمع السلامة ، وإن كان موجوداً نحو : " سَبْعَ طَرَائِق ، وسَبْعِ لَيَالٍ " مع جواز : طريقات ، وليلات.

والحاصل أنَّ الاسم إذا كان له جمعان : جمع تصحيح ، وجمع تكسيرٍ ، فالتكسير إمَّا للقلة ، أو للكثرة ، فإن كان للكثرة : فإمَّا من باب مفاعل ، أو من غيره ، فإن كان من باب مفاعل ، أُوثر على التصحيح ،

تقول : ثلاثة أحَامِدَ ، وثَلاَثُ زَيَانِبَ ، ويجوز قليلاً : أَحْمَدِينَ وَزَيْنَبَات.
وإن كان من غير باب مفاعل : فإمَّا أن يكثر فيه من غير التصحيح ، وغير جمع الكثرة ، أو يقلّ.
فإن كان الأول : فلا يجوز التصحيح ، ولا جمع الكثرة إلا قليلاً ؛ نحو : ثَلاَثَةُ زُيُودٍ ، وثَلاثُ هُنُودٍ ، وثَلاَثَةُ أَفْلُسٍ ، ولا يجوز : ثلاثةُ زيْدِينَ ، ولا ثَلاَثُ هِنْدَات ، ولا ثَلاَثةُ فُلُوسٍ ، إلاَّ قليلاً.
وإن كان الثاني : أُوثِر التصحيح وجمع الكثرة ، نحو : ثلاثُ سُعَادَات ، وثلاثة شُسُوع ، وعلى قلّة يجوز : ثَلاثُ سَعَائد ، وثلاثةُ أشْسُع.
فإذا تقرَّر هذا ، فقوله : " سَبْعَ سَنَابِلَ " جاء على المختار ، وأمَّا قوله " سَبْعِ سُنْبُلاَتٍ " ؛ فلأجل المجاورة كما تقدَّم.
وقيل : لمَّا كان الكلام – ها هنا – في تضعيف الأجر ، ناسبها جمع الكثرة ، وفي سورة يوسف ذكرت في سياق الكلام في سني الجدب ؛ فناسبها التقليل ؛ فجمعت جمع القلة.
والسُّنْبُلَةُ فيها قولان : أحدهما : أنَّ نونها أصليةٌ ؛ لقولهم : " سَنْبَلَ الزرعُ " أي : أخرج سنبله.
والثاني : أنها زائدةٌ ، وهذا هو المشهور ؛ لقولهم : " أَسْبَلَ الزرعُ " ، فوزنها على الأول : فُعلُلَةٌ ، وعلى الثاني : فُنْعُلَة ، فعلى ما ثبت من حكاية اللُّغتين : سَنْبَلَ الزرعُ ، وأسْبَلَ تكون من باب سَبِط وسِبَطْر.
قال القرطبي : من أسْبَلَ الزرعُ : إذا صار فيه السُّنبل ، كما يسترسل الستر بالإسبال وقيل : معناه : صار فيه حبٌّ مستورٌ ، كما يستر الشيء بإسبال السَّتر عليه.
٣٧٩
(١) ".

"في كيفية النَّظم وجوهٌ : الأول : لما بيَّن في الآيةِ المتقدِّمة كمال المُلْكِ والعلم والقُدرةِ له – تعالى – ، وأنَّ ذلك يوجب كمال صفة الرُّبُوبيَّة ، أَتْبَع ذلك ببيان كون المؤمن في نهاية الانقياد والطَّاعة والخُضُوع لله – تعالى – ، وذلك هو كمالُ العُبُوديَّة.
الثاني : أنه – تعالى – لَمَّا قال : ﴿إِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة : ٢٨٤] وبيَّن أنه لا يخفى عليه من سِرِّنا وجهرنا شيءٌ أَلبتَّة ، ذكر عقيب ذلك ما يَجْرِي مُجْرَى المَدْحِ لنا ؛ فقال : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ كأنَّهُ بفضله يقول : عبدي ، أنا وإن كُنْتُ أعلم جميع أحوالِك ، فلا أَذْكُرُ مِنها إلاَّ ما يكون مدحاً لك ، حتى تَعْلَمَ أَنِّي الكامِلُ في العِلم والقُدْرَة ، فأنا كامِلٌ في

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٨٨٢

الجُودِ والرَّحْمَةِ ، وفي إظهارِ الحسناتِ ، وفي السَّتْرِ على السَّيِّئَاتِ.

الثالث : أنه بَدَأَ السُّورة بمدح المُتَّقين ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وممَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة : ٣] بيّن في آخر السُّورة أنَّ الَّذِين مدحهُم في أوَّل السُّورة هم أُمَّةُ محمَّدٍ – صلى الله عليه وسلم – فقال : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلا ائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ وهذا هو المراد بقوله في أوَّل السُّورة : ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة : ٣] ، ثم قال هَهُنا ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ وهو المراد بقوله أوَّل السُّورة : ﴿وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة : ٤] ثم

٥٢٢

حكى عنهم هَهُنَا كيفيَّة تضرُّعِهِم في قولهم : ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ...﴾ [البقرة : ٢٨٦] إلى آخر السُّورَة ، وهو المراد بقوله أوَّل السورة : ﴿أُوْلَـائِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـائِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة : ٥].

فصلٌ في بيان سبب النُّزُول قال القرطبيُّ : سبب نزول هذه الآية : الآيةُ الَّتِي قبلها ، وهو قوله : ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة : ٢٨٤] فإنه لمَّا نزل هذا على النَّبيّ صلى الله عليه سولم اشتدَّ ذلك على أصحابِ رسُولِ الله – صلى الله عليه وسلم – فَأَتَوا رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – ثم بَرَكُوا على الرُّكب ، فقالوا : أي رسولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – إذْ كُلِّفْنَا من الأَعمالِ ما نُطيق ؛ الصَّلاة والصِّيام والجِهَادُ ، وقد أُنزِل عليكَ هذه الآيُ ولا نُطِيقُهَا ، فقال رسُول الله – صلى الله عليه وسلم – : " أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الكِتَابَيْنِ من قَبْلِكُمْ : سَمِعنَا وعَصَيْنَا ، بل قولُوا : سَمِعْنَا وأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ " فلما قَرَأَها القومُ وذَلَّت بها أنفُسُهم ، أَنزَل اللهُ في إثرِها ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ﴾ إلى قوله : ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ فلما فعلُوا ذلك ، نسخَها اللهُ ، فأنزل اللهُ ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة : ٢٨٦] قال : نعم ، ﴿رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ قال : نعم ﴿رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قال : نعم ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قال : نعم أخرجهُ مسلمٌ ، عن أبي هُرَيرة – رضي الله عنه – فصلٌ معنى قوله : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ﴾ : أنه عَرَفَ بالدَّلائل القاهرة ؛ أن هذا القُرْآن وجُملة ما فيه من الشَّرائع والأَحكامِ مُنزَّلٌ من عِندِ الله – تعالى – ، وليس من إلقاء الشَّيَاطين ولا السِّحر والكهانة ، بل بما ظَهر من المُعجزات على يد جبريل – عليه الصَّلاة والسَّلام

- .
وقوله : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ فيه احتمالان : أحدهما : أَنَّهُ يَتِمُّ الكلامُ عند قوله - تعالى - ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ ، فيكُونُ المعنى : آمَن الرَّسُولُ والمُؤْمِنُونَ بما أُنزِل إلَيهم من ربِّهم ، ثم ابتدأ [بعد] ذلك بقوله : ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ والمعنى : كُلُّ أحَدٍ من المذكُورين وهم الرَّسُول والمُؤْمِنُون آمَنَ بالله.
والاحتمال الثَّاني : أن يتمَّ الكلامُ عند قوله : ﴿بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ﴾ ثم يَبْتَدِىءُ
٥٢٣
." (١)

"فأراد الصباغ أن يغيب يوماً لبعض مُهمَّاتِه ، فقال له : هاهنا ثياب مختلفة ، وقد جعلت على كل واحد علامةً معينةً ، فاصبغها بتلك الألوان حتى يتم المقصود عند رجوعي ، ثم غاب ، فطبخ عيسى صلى الله عليه وسلم جُبًّا واحداً ، وجعل الجميع فيه ، وقال : كوني بإذن الله كما أريد ، فرجع الصباغ ، وسأله ، فأخبره بما فعل ، فقال : أفسدت عليَّ الثيابَ ، قال : قم فانظر ، فكان يخرج ثوباً أخضر ، وثوباً أصفر ، وثوباً أحمر ، -كما كان يريد - إلى أن أخرج الجميع على الألوان التي أرادها ، فتعجب الحاضرون منه وآمنوا به ، وهم الحواريُّونَ.
قال القفَّال : ويجوز أن يكون بعضُ هؤلاء الحواريين الاثني عشر من الملوك ، وبعضهم من صيادي السَّمكِ ، وبعضهم من القصَّارين ، وبعضهم من الصبَّاغين ، والكل سموا بالحواريين ؛ لأنهم كانوا أنصار عيسى - عليه السلام - وأعوانه ، والمخلصين في محبته وطاعته.
قوله : ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ أي : أنصار أنبيائه ؛ لأن نُصْرَةَ اللهِ - في الحقيقة - محالٌ.
﴿آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ هذا يجري مجرى ذكر العلة ، والمعنى : أنه يجب علينا أن نكون من أنصار الله ؛ لأجل أن آمنا به ؛ فإن الإيمان بالله يوجب نُصْرَةَ دينِ الله ، والذَّبَّ عن أوليائه ، والمحاربة لأعدائه ، ثم قالوا : ﴿وَاشْهَدْ﴾ يا عيسى ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أي : منقادون لما تريد منا من نُصْرَتِك.
ويحتمل أن يكون ذلك إقراراً منهم بأن دينَهم الإسلام ، وأنه دين كلّ الأنبياء - عليهم السلام - ولما أشهدوا عيسى على إيمانهم تضرَّعوا غلى الله ، وقالوا : ﴿رَبَّنَآ آمَنَّا بِمَآ أَنزَلَتْ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ عيسى ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ الذين شهدوا لأنبيائك بالصدق.
وقال عطاء : مع النبيين ؛ لأن كل نبي شاهد أمته ، وقد أجاب الله دعاءهم ، وجعلهم مثل الأنبياء

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٩٥٢

والرسل وأحيوا الموتى كما صنع عيسى – عليه السلام – .

قال ابن عباس : مع محمد وأمته ، قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [البقرة : ١٤٣].

وقيل : اجعلنا من تلك الفرقة الذين قرنتَ ذكرَهم بذكرِك في قولك : ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَاهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ﴾ [آل عمران : ١٨].

قوله : ﴿مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ حال من مفعول ﴿فَاكْتُبْنَا﴾ وفي الكلام حذف ، أي : مع الشاهدين لك بالوحدانية.

قوله : ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ من باب المقابلة ، أي : لا يجوز أن يوصف – تعالى – بالمكر إلاَّ لأجْل ما ذُكِرَ معه من لفظ آخر مسند لمن يليق به.

هكذا قيل ، وقد جاز ذلك من غير مقابلة في قوله : ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللَّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ﴾ [الأعراف : ٩٩] والمكر في اللغة **أصله الستر** ، يقال : مكر اللَّيْلُ ، أي أظلم وستر بظلمته ما فيه.

٢٦٣

". (١)

"الثاني : أن الصلاح ضِدُّ الفساد ، فكل ما لا ينبغي أن يكون فهو فساد ، سواء كان ذلك في العقائد ، أو في الأعمال – وإذا كان كذلك كان كل ما ينبغي أن يكون صلاحاً ، فكان الصَّلاحُ دالاًّ على أكمل الدرجات.

قوله : ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ يجوز في " من " أن تكون للتبعيض – وهو الظاهر – .

وجعلها ابن عطية لبيان الجنس ، وفيه نظر ؛ إذْ لم يتقدم مُبْهَمٌ ، فتبينه هذه.

قوله : ﴿وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَروهُ﴾.

قرأ الأخوان وحَفْص : " يَفْعَلُوا " و " يُكْفَروهُ " – بالغيبة – .

والباقون بالخطاب.

الغيب مراعاة لقوله : ﴿مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ ، فجرى على لفظ الغيبة ، أخبرنا – تعالى – أن ما يفعلونه من خير يبقى لهم غير مكفور ؛ وقراءة الباقين بالتاء الرجوع إلى الخطاب لأمة محمد صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٠٩٠

ويجوز أن يكون التفاتاً من الغيبة في قوله : ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ إلى آخره ؛ إلى خطابهم ، وذلك أنه آنسهم بهذا الخطاب ، ويؤيد ذلك أنه اقتصر على ذكر الخير دون الشر ؛ ليزيد في التأنيس.

ويدل على ذلك قراءة الأخوين ؛ فإنها كالنص في أن المراد قوله : ﴿أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾.

فصل اعلم أن اليهودَ لما قالوا لعبد الله بن سلام وأصحابه : إنكم خسرتم بسبب إيمانكم ، قال الله تعالى : بل فازوا بالدرجات العُظْمَى ، فالمقصود تعظيمهم ؛ ليزول عن قلبهم أثر كلام أولئك الجهال ، وهذا وإن كان لفظه - على قراءة الغيبة - لمؤمني أهل الكتاب ، فسائر الخلق يدخلون فيه نظراً إلى العلّة.

أما على قراءة المخاطبة فهذا ابتداء خطاب لجميع المؤمنين - ونظيره قوله : ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [البقرة : ١٩٧] ، وقوله : ﴿وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ [البقرة : ٢٧٢] ، وقوله : ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾ [المزمل : ٢٠] ، ونقل عن أبي عمرو : أنه كان يقرأها بالقراءتين.

وسُمِّيَ منع الجزاء كفراً لوجهين : الأول : أنه - تعالى - سَمَّى إيصال الجزاء شُكْراً ، فقال : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة : ١٥٨] ، وسمى منعه كفراً.

٤٨١

الثاني : أن الكفر - في اللغة - : الستر.

فسمي منع الجزاء كُفْراً ؛ لأنه بمنزلة الجَحْدِ والستر.

فإن قيل : " شكر " و "كفر " لا يتعديان إلا إلى واحد ، يقال : شكر النعمة ، وكفرها - فكيف تعدّى - هنا - لاثنين أولهما قام مقام الفاعل ، والثاني : الهاء في " يكفروه " ؟ .

فقيل : إنه ضُمِّن معنى فعل يتعدى لاثنين - كحرم ومنع ، فكأنه قيل : فلن يُحْرَموه ، ولن يُمْنَعُوا جزاءه.

ثم قال : ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ واسم " الله " يدل على عدم العجز ، والبخل ، والحاجة ؛ لأنه إله جميع المحدثات ، وقوله : " عَلِيمٌ " يدل على عدم الجَهْل ، وإذا انتفت هذه الصفاتُ ، امتنع المنع من الجزاء ؛ لأن منعَ الحق لا بد وأن يكون لأحد هذه الأمور.

وقوله : ﴿بِالمُتَّقِينَ﴾ - مع أنه عالم بالكلِّ - بشارة للمتقين بجزيل الثواب.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٤١٥

لمَّا وصف المؤمنين بالصفاتِ الحَسَنة ، أتبعه بوعيد الكُفَّار ، ليجمع بين الوعدُ والْوَعيد ، والترغيب والترهيب.

قال ابْنُ عَبَّاسٍ : يريد قريظة والنضير ؛ لأن معاندتهم كانت لأجل المال ، لقوله تعالى : في سورة البقرة ﴿تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَناً قَلِيلاً﴾ [البقرة : ٤١].

وقيل : نزلت في مشركي قريش ؛ فإن أبا جهل كان كثير الافتخار بماله.

وقيل : نزلت في أبي سفيان ؛ فإنه أنفق مالاً كثيراً على المشركين يوم بَدر وأحد.

وقيل : إنها عامة في جميع الكفار ؛ لأنهم كانوا يتعززون بكثرة الأموال ، ويعيرُون الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه بالفقر ، ويقولون : لو كان محمد على الحق ، لما تركه ربه في الفقر والشدة.

فالأولون قالوا : إن الآية مخصوصة ، وهؤلاء قالوا : إن اللفظ عام ، ولا دليلَ يوجب التخصيص ، وخص الأولاد ، لأنهم أقرب أنساباً إليهم.

واحتجَّ أهلُ السنة بقوله : ﴿وَأُوْلَـائِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ عَلَى أن فُسَّاق أهل الصلاة لا يَبقون في النار أبداً ؛ لأن هذه الكلمة تفيد الحصر ، فيقال : أولئك أصحاب زيد ، لا غيرهم ، ولما أفادت معنى : " الحصر " ثبت أن الخلودَ في النار ليس إلاَّ لـ " الكفار ".

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٤٨١

." (١)

"وأجاب أبو البقاء بثلاثة أجوبةٍ : أحدها : التوكيد ، نحو : قُم قَائِماً.

الثاني : أنه وصل به ما حسَّن التكرير ، وهو الإيمان.

الثالث : أنه لو اقتصر على الاسم لجاز أن يكون " سَمِعَ " مقروناً بالنداء بذكر ما ليس بنداءٍ ، فلمَّا قال : " يُنَادي " محذوفٌ ، أي : ينادي في الناس ، وبجوز ألا يُرادَ مفعول ، نحو : أمات وأحيا.

ونادى ودعا يتعديان باللام تارةٌ ، وبـ " إلى " أخرى ، وكذلك نَدَبَ.

قال الزمخشريُّ : وذلك أن معنى انتهاءِ الغايةِ ومعنى الاختصاص واقعان جميعاً ، فاللام في موضعها ولا حاجةَ إلى أن يقالَ : إنها بمعنى " إلى " ولا أنها بمعنى الباء ، ولا أنها لام العلة – أي : لأجل الإيمان – كما ذهب إليه بعضهم ووجه المجاز فيه أنه لما كان مشتملاً على الرشد وكان كل مَنْ تأمَّلَه وَصَلَ به إلى الهدى – إذا وفَّقه الله لذلك – صار كأن يدعو إلى الهُدَى ، وينادي يما فيه من أنواعِ الدلائلِ ، كما قيل – في جهنم – : ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴾ [المعارج : ١٧] إذْ كان مصيرهم إليها.

فصل اختلفوا في المراد بالمنادِي : فقال ابنُ مسعود ، وابنُ عباسٍ ، وأكثرُ المفسّرين : يعني محمداً صلى

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٢١٢

الله عليه وسلم وقال القرطبيُّ : يعني القرآن ؛ إذ ليس كلهم سَمِعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ودليلُ هذا القولِ ما أخبر اللهُ – تعالى – عن مؤمني الجِنّ إذْ قالوا : ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ [الجن : ١ – ٢].

قوله : " أَنْ آمَنُوا " في " أن " قولان : أحدهما : أنها تفسيرية ؛ لأنها وقعت بعد فعل بمعنى القول لا حروفه ، وعلى هذا فلا موضع لها من الإعرابِ.

ثانيهما : أنها مصدرية ، وصلت بفعل الأمرِ ، وفي وَصْلِها به نظرٌ ، من حيثُ إنها إذا انسبك منها وما بعدها مصدر تفوت الدلالة على الأمرية ، واستدلوا على وَصْلِها بالأمر بقولهم.

كتبت إليه بأن قُمْ فهي – هنا – مصدرية [ليس إلا ، وإلا يلزم عدم تعلُّق حرف الجر ، وإذا قيل بأنها مصدرية] فالأصل التعدي إليها بالباء ، أي : بأن آمنوا ، فيكون فيها المذهبانِ المشهورانِ – الجرُّ والنصبُ.

قوله : " فآمَنَّا " عطف على ما " سَمِعْنَا " والعطف بالفاء مؤذن بتعجيل القبولِ وتسبب الإيمانِ على السَّماع من غير مُهْلَة ، والمعنى : فآمنا بربنا.

١٢٠

قوله : ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾ اعلم أنهم قد طلبوا من الله في هذا الدعاءِ ثلاثةَ أشياءٍ : أحدهَا : غفران الذنوب ، والغفران : هو الستر والتغطية.

ثانيها : التكفير ، وهو التغطية – أيضاً – يقال : رجل مُكَفَّرٌ بالسِّلاح – أي : مُغَطًّى – ومنه الكُفْر – أيضاً – قال الشاعرُ : [الكامل] ١٧١٥ – ....

فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ ظَلاَمُهَا

جزء : ٦ رقم الصفحة : ١١٩

فالمغفرة والتكفير – بحسب اللغة – معناهما شيء واحد ، وأما المفسرون فقال بعضهم : المرادُ بهما شيءٌ واحدٌ ، وإنما أعيد ذلك للتأكيد ؛ لأن الإلحاحَ والمبالغة في الدعاء أمرٌ مطلوبٌ.

وقيل : المرادُ بالأول ما تقدم من الذنوب ، وبالثاني المستأنفُ.

وقيل : المرادُ بالغُفْران ما يزول بالتوبة ، وبالتكفير ما تكفِّره الطاعةُ العظيمةُ.

وقيل : المرادُ بالأولِ : ما أتى به الإنسانُ مع العلمِ بكونهِ معصية ، وبالثاني ما أتى به مع الجَهْل.

ثالثها : قوله : ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ﴾ أي : توفَّنا معدودين في صُحْبَتِهم ، فيكون الظرفُ متعلّقاً بما قَبْلَهُ ، وقيل : تُجَوِّزَ به عن الزمان ويجوز أن يكون حالاً من المفعول ، فيتعلق بمحذوف.

وأجازَ مَكّيٍ ، وأبو البقاءِ : أن يكون صفة لموصوف محذوف ، أي : أبراراً مع الأبرارِ ، كقوله : [الوافر]
١٧١٦ - كأنَّكَ مِنْ جِمَالِ بَنِي أقَيْشٍ
يُقَعْقَعُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ بِشَنّ
أي : كأنك جمل من جمال.
قال أبو البقاء : " [تقديره] أبراراً مع الأبرار ، وأبراراً - على هذا - حالٌ ".
والأبرار يجوز أن يكونَ جمع بارّ - كصاحب وأصحاب ، ويجوز أن يكون جمع بَرٍّ ، بزنة : كَتِف وأكتاف ، ورَبّ وأرْبَاب.
قال القفّالُ : في تفسير هذه المعية وجهانِ : أحدهما : أن وفاتهم معهم : هي أن يموتوا على مثل أعمالهم ، حتى يكونوا في درجاتهم يومَ القيامةِ ، كما تقول : أنّا مع الشافعي في هذه المسألة ، أي : مساوٍ له في ذلك الاعتقادِ.
١٢١." (١)

"أحدهما : أنها استفهامية ، فتكون في محل نصب بـ " يَفْعَل " وإنما قُدِّم ؛ لكونه له صدر الكلام ، والباءُ على هذا سببيةٌ متعلقةٌ بـ " يَفْعَلُ " ، والاستفهام هنا معناه النفيُ ، والمعنى : أن الله لا يفعلُ بعذابِكُمْ شيئاً ؛ لأنه لا يجلبُ لنفسِه بعذابكم نفعاً ، ولا يدْفَعُ عنها به ضُرًّا ، فأيُّ حاجة له في عذابكُمْ ؟ [والمقصودُ منه حمل المكلَّفين على فعل الحَسَن والاحتراز عن القبيح].
والثاني : أن " مَا " نافية ؛ كأنه قيل : لا يُعذِّبُكُمُ الله ، وعلى هذا : فالباء زائدة ، ولا تتعلَّق بشيءٍ.
[قال شهاب الدين :] وعندي أن هذين الوجهين في المعنى شيءٌ واحدٌ ، فينبغي أن تكون سببيةٌ في الموضعين أو زائدة فيهما ؛ لأن الاستفهام بمعنى النفْيِ ، فلا فرق.
وقال البَغَوِي : هذا اسْتِفْهَام بمعْنَى التَّقْرير معناه : إنه لا يُعَذِّبُ المؤمِنَ الشَّاكِر ، فإن تَعْذِيبَهُ عِبَادهُ لا يَزِيدُ في مُلْكِهِ ، وتَرْكَهُ عُقُوبَتَهُم على فعلهم لا يُنْقصُ من سُلطانِه [والشُّكْرُ ضد الكُفر ، والكُفْر سَتْر النِّعْمَة والشُّكْرُ إظهَارُهَا] ، والمصدر هُنا مُضَاف لمفْعُولِهِ.
وقوله " إِن شَكَرْتُمْ " جوابُهُ مَحْذُوفٌ ؛ لدلالةِ ما قبله عليه ، أي : إن شَكَرْتُم وآمَنْتُم فما يَفْعَلُ بعَذابكُم.
فصل لِمَ قدَّم الشُّكر على الإيمان في الآية ؟ وفي تَقْدِيم الشُّكْرِ على الإيمانِ وُجُوه : الأول : على التَّقْدِيم والتَّأخير ، أي : آمَنْتُم وشكرْتُم ؛ لأن الإيمان مقدَّمٌ على سَائِر الطَّاعَاتِ ، ولا يَنْفَعُ الشكْرُ مع عَدَمِ الإيمَانِ.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٣٤٦

الثاني : أن الوَاوَ لا تُوجِبُ التَّرْتِيبَ.

الثالث : أن الإنْسَانَ إذا نَظَر إلى نَفْسِهِ ، رَأى النِّعْمَة العَظِيمَة في تَخْلِيقهَا وتَرْتِيبها ، فيْشكُر شُكْراً مُجْمَلاً بِهَا ، ثُمَّ إذا تَمَّمَ النَّظَر في مَعْرِفَة المُنْعِم ، آمَنَ به ثُمَّ شكَر شُكْراً مُفَصَّلاً ، فكان ذلك الشكْرُ المُجْمَل مُقَدَّماً على الإيمانِ ؛ فَلِهذَا قُدِّمَ عليه في الذِّكْرِ.

فصل اسْتَدَلُّوا بهذه الآيةِ على أنَّهُ لا يُعَذِّبُ أصْحَاب الكَبَائِرِ ؛ لأنا نفرض الكلام فيمن شَكَر وآمن ، ثم أقْدَم على الشُّرْبِ أو الزّنَا ، فهذا يَجِبُ ألاَّ يُعَاقَب ؛ لقوله – تعالى – : ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ

٩٤

بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾ وقد تقدَّم الاسْتِدْلاَل على أنَّ صَاحِب الكَبِيرَةِ مُؤمِنٌ.

فصل قالت المُعْتَزِلَة : دَلَّت هذه الآيةُ على أنَّه – سبحانه [وتعالى] – ما خَلَق خَلْقاً ابْتِدَاءً لأجْلِ التَّعْذِيب والعِقَابِ ؛ لأن قوله : ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُم وَآمَنْتُمْ﴾ صريحٌ في أنَّه – تعالى – لَمْ يَخْلُق أحْداً لِغَرَضِ التَّعْذِيبِ.

ودلَّت أيضاً على أنَّ فاعل الشُّكْرِ والإيمانِ هو العَبْد ، وليس ذلك فِعْلاً للَّه تعالى وإلا لَصَار التَّقْدِير : ما يَفْعَلُ اللَّه بعذَابِكُم بعد أن خَلَقَ الشُّكْرَ والإيمَانَ فِيكُم ، وذلك غير مُنْتَظِم.

وتقدَّم الجوابُ عن مِثْلِ ذلك.

ثم قال ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً﴾ أمرَهُمْ بالشُّكْرِ ، وسَمَّى الجَزَاءَ شُكْراً ، على سَبيلِ الاسْتِعَارةِ ، فالشُّكْرُ من اللَّهِ هو الرِّضَا بالقَلِيلِ من عِبَادِهِ ، وإضْعَافِ الثَّوَابِ عَلَيْه ، والشُّكْر من العَبْدِ الطَّاعَة ، والمُراد من كونه عَلِيماً : أنَّهُ عَالِمٌ بِجَميع الجُزْئيَّات ، فلا يَقَعُ لَهُ الغَلَطُ ألْبَتَّة ، فلا جَرَمَ يُوصلُ الثَّوَابَ إلى الشَّاكِرِ ، والعِقَابَ إلى المُعرِضِ.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٩٣

في كيفيَّة النَّظْمِ وجهانِ : أحدهما : أنه – تعالى – لمَّا فَضَح المُنَافِقِين وهَتَك سِتْرهُم ، وكان **هَتْكُ السِّتْر غَيْرَ** لائقٍ بالرَّحِيم الكريم ، ذكر – تعالى – ما يَجْري مَجْرَى العُذْرِ من ذَلِك ؛ فقال : ﴿لاَّ يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾ يعني : لا يُحبُّ إظهارَ الفَضَائحِ ، إلاَّ في حقّ من عَظُمَ ضَرَرُه وكَثُر كَيْدُه ومَكْرُه ، فعِنْد ذلك يَجُوز إظْهَار فَضَائِحه ؛ ولهذا قال – عليه الصلاة والسلام – : " اذْكُرُوا الفَاسِقَ بِمَا فِيهِ كَيْ يَحْذَرَهُ النَّاسُ " والمُنافِقُون قد كَثُرَ كَيْدهُم

." (١)

"فقولُه تعالى : ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ جمع كَلِمَةٍ ، وذكر الكِناية رَدّاً على لَفظها الكلم ﴿مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ أيْ : وضعُوا الجلدَ مكان الرجمِ.

وقيل : سببُ نزول هذه الآيةِ : أنَّ بَنِي النضير كان لهم فضلٌ على بَنِي قريظةَ ، فقال بَنُوا قريظةَ : يا محمدُ إخْوَانُنا بنو النضير وأبُونا واحدٌ وديننا واحدٌ ونبينا واحدٌ ، وإذا قتلُوا مِنَّا قتيلاً لم يقيدونَا ، وأعطونا ديتَهُ سَبْعينَ وَسْقاً من تَمْرٍ.

وإذا قتلنا منهم قتلُوا القاتلَ ، وأخذوا مِنّا الضِّعْفَ مائةً وأربعين وسْقاً مِنْ تَمْرٍ.

وإنْ كان القتيلُ امرأةً قتلُوا بها الرجُلَ مِنَّا ، وبالرجل منهم الرجليْن مِنّا ، وبالعبد حُراً مِنَّا ، وجراحاتُهم على الضَّعْفِ مِنْ جراحاتِنَا فاقْضِ بَيْننا وبينهم ، فأنزل الله هذه الآية ، والأولُ أصحُ لأنَّ الآية في الرَّجْمِ.

فصل قال القرطبي : الجمهورُ على ردِّ شهادةِ الذِّمِّيّ ؛ لأنَّهُ ليس مِنْ أهلِهَا فلا تقبلُ على مسلم ، ولا على كافرٍ وقبِلَ شهادتهُم جماعة مِنَ الناسِ إذا لم يُوجدْ مسلمٌ ، على ما يأتي في آخر السورة.

فإنْ قِيل : قد حَكَمَ بشهادَتِهمْ ورجمَ الزَّانِيَيْنِ.

فالجوابُ : أنَّهُ إنَّما تقدم عليهم بما علم أنَّهُ حكمُ التَّوْراةِ ، وألزمهُم العملَ بِهِ على نحو ما عملت به بَنُو إسرائيلَ ؛ إلْزَاماً للحجةِ عليهم ، وإظْهَاراً لتحريفهم وتغييرهم ، فكان منفذاً لا حَاكِماً.

قوله تعالى : ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ﴾ أيْ : إنْ أمرَكُم بحدِّ الجلدِ فاقبلوا ، وإنْ أمركُم بالرجم فلا تقبلُوا.

قوله تعالى : ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ " مَنْ " مفعولٌ مقدمٌ ، وهي شرطيةٌ.

وقوله : " فَلَنْ تَمْلِكَ " جوابُه ، و " الفاء " أيضاً واجبةٌ لما تقدم.

و " شيئاً " مفعولٌ به ، أو مصدرٌ ، و " مِنَ اللَّهِ " متعلقٌ بـ " تَمْلكَ ".

وقيل : هو حالٌ من " شَيْئاً " ؛ لأنَّهُ صفتُه في الأصْلِ.

فصل قوله تعالى : ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ أي : كفْرَهُ وضلالَهُ ، وقال الضحاكُ : هلاكَهُ.

وقال قتادةُ : عذابَهُ.

ولمّا كان لفظُ الفتنةِ مُحتملٌ لجميعِ أنواعِ المفاسدِ ، وكان هذا اللفظُ مذكُوراً عُقَيْبَ أنْواع كفرِهم التي

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٦٤٦

شرحَها الله تعالى وجب أن يكُون المرادُ من هذه الفتنةِ تلك الكُفْرياتِ

٣٣٨

المذكُورة ، ويكونُ المعنى : ومَنْ يُرد الله كفره وضلالتهُ ، فلَنْ يقدِرَ أحدٌ على دفع ذلك عنه ، ثُمَّ أكَّدَ ذلك بقوله : ﴿أوْلَـائِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾.

قال أهلُ السُّنَّةِ : دلّت هذه الآيةُ على أن الله تعالى غيرَ مُريدِ إسلامِ الكافرِ ، وأنَّه لم يُطهرْ قلبَهُ مِنَ الشِّرْكِ ، ولوْ فعل ذلك لآمن.

وذكر المعتزلةُ في تعبير هذه الفِتْنَة وجوهاً : أحدها : أنَّ الفتنة هي العذابُ.

قال تعالى : ﴿عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ [الذاريات : ١٣] أيْ : يُعَذَّبُونَ ، فالمرادُ هنا : يُريد عذابَهُ لِكُفْره.

وثانيها : ومَنْ يُرِدِ الله فضيحتَهُ.

وثالثها : المرادُ الحكمُ بضلالهِ ، وتَسْمِيتِهِ ضَالاًّ.

ورابعها : الفتنَةُ : الاختبارُ ؛ والمعنى : مَنْ يُرِدِ الله اختبارهُ [فِيمَا يَبْتَليه] من التكاليف فيتركُهَا ولا يقومُ بأدائِها ، فلَنْ تملِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ ثواباً ولا نفعاً.

وأمَّا قوله تعالى : ﴿أُوْلَـائِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ فذكروا فيه وجوهاً : أحدها : لم يردِ الله أنْ يهدي قلوبَهُم بالألطافِ ؛ [لأنه تعالى عَلِم أنه لا فائدةَ في تلكَ الألطافِ لأنَّها لا تنجحُ في قُلُوبِهم].

ثانيها : لم يُرد الله أن يطهرَ قلوبَهُم مِنَ الحـَرَج والغَمِّ والوحشةِ الدَّالةِ على كُفْرِهم.

وثالثها : أنَّ هذه الاستعارةَ [عبارةٌ] عَنْ سُقوطِ وقْعَهِ عند الله ، وأنَّه غيرُ مُلتفتٍ إلَيْهِ بسببِ قُبْحِ أفعالِهِ ، وقد تقدم [الكلامُ] على هذه الوجوه.

قوله تعالى : " أولَئِكَ " : مبتدأ ، و ﴿لَمْ يُرِدِ اللَّهُ﴾ جملةٌ فعليةٌ خبرُهُ.

ثُم قال تعالى : ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ وخزيُ المُنافقينَ الفَضيحةُ ، **وهَتْكُ السَّتْرِ بإظْهَارِ** نفاقِهِمْ ، وخَوفِهم مِن القتْلِ ، وخزيُ اليهودِ : الجزْيَةُ ، وفَضِيحتُهم ، وظهورُ كذبِهِمْ ، في كِتْمانِ نَصِّ الله تعالى في إيجابِ الرَّجْمِ.

قوله تعالى ﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وهو الخلودُ في النَّارِ.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٣٣٤

قوله : ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ : يجوزُ أن يكُونَ مُكَرَّراً للتَّوْكيدِ إنْ كان مِنْ وصف المنافقينَ ، وغَيْرَ مُكرَّرٍ إنْ كانَ مِنْ وصف بَنِي إسْرائيلِ.

٣٣٩

." (١)

"وقال أبُوا مُسْلِمٍ الأصْفهانِيُّ : بَلْ كان آدمُ وإبليس في الجنَّةِ ؛ لأنَّ هذه الجنَّةَ كانت بعض جنات الأرض ، والذي يقوله بعض النَّاس من " أنَّ إبليس دخل الجنَّة في جَوْف الحيَّةِ ودخلت الحيَّة في الجنَّةِ " فتلك القصة ركيكةٌ ومشهورةٌ.

وقال آخَرُون : إنَّ آدم وحَوَّاءَ ربنا قَرُبَا من باب الجَنَّةِ ، وكان إبليس واقفاً من خارج الجَنَّةِ على بَابها فيقْرُبُ أحَدُهُمَا من الآخر فتحصل الوسْوسَةُ هناك.

فإن قيل : إنَّ آدم – عليه السلام – كان يَعْرِفُ ما بينه وبين إبليسَ من العداوة ، فَكَيْفَ قبل قوله ؟ فالجواب : [لا يَبْعُد أنْ يُقال إنَّ إبليسَ لَقِيَ آدَمَ مِراراً كثيرةً ، ورَغَّبَهُ في أكْلِ الشَّجَرَة بِطرُقٍ كثيرةٍ ؛ فلأجْل] المواظبة والمداومة على هذا التمويه أثَّر كلامه عند وأيضاً فقال تعالى : ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف : ٢١] أي : حَلَفَ لهما فاعْتَقَدُوا أنَّ أحَداً لا يَحْلِفُ كاذباً فلذلك قبل قوله.

قوله : " لِيُبْدِيَ لَهُمَا " في طلام " لِيُبْدِي " قولان : أظهرهما : أنها لامُ العِلَّةِ على أصلها ؛ لأنَّ قَصْدَ الشَّيْطانِ ذلك.

وقال بعضهم : " اللاَّمُ " لِلصَيْرُورةِ والعاقِبَةِ ، وذلك أنَّ الشِّيْطَانَ لم يكن يعلم أنَّهُمَا يعاقبان بهذه العُقُوبَةَ الخَاصَّاةِ ، فالمعنى : أن أمْرَهُمَا آل إلى ذلك.

الجوابُ : أنهُ يجوزُ أنْ يُعْلم ذلك بطريق من الطُّرُق المتقدِّمةِ في قوله ﴿وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف : ١٧].

ومعنى قوله : " لِيُبْدِيَ لَهَمَا " ليظهر لهما ما غُطِّي وسُتِرَ عنهما من عوراتهما.

قوله : " مَا وُوْري " " مَا " موصولة بمعنى الذي ، وهي مفعول لـ " لِيُبْدِي " أي : لِيُظْهِر الذي سُتِرَ.

وقرأ الجمهور : " وُوْري " بواوين صريحَتَيْنِ وهو ماضٍ مبني للمفعول ، أصله " وَارَى " كضارَبَ فلمَّا بُني للمفعول أبْدِلَت الألف واواً كضُورِبَ ، فالواو الأولى فاء ، والثَّانية زَائِدَةٌ.

وقرا عبد الله : " أُوْرِيَ " بإبدال الأولى همزة ، وهو بدلٌ جَائِزٌ لا واجب.

وهذه قَاعِدُةٌ كليَّةٌ وهي : أنَّه إذا اجتمع في أوَّلِ الكلمةِ واوان ، وتحرَّكتِ الثَّانيةُ ، أو كان لها نَظِيرٌ مُتَحَرّكٌ وجب إبدال الأولى همزة تخفيفاً ، فمثال النَّوْعِ الأوَّلِ " أوَيْصِلٌ " ، وَ " أوَاصِلُ " تصغير واصلٍ وتكسيره ،

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٧٧٢

فإنَّ الأصل : وُوَيْصِل ، وواصل ؛ فاجتمع واوان في المثالين ثانيتهما متحركة فوجب إبدالُ الأولى همزة.

ومثالُ النَّوْعِ الثَّانِي أوْلى فإنَّ أصلها

٥٤

وُوْلَى ، فالثَّانيَةُ ؛ لكنها قد تتحرَّكُ في الجَمْعِ في قولك : أُوَل ؛ كفُضْلَى وفُضَل ، فإن لم تتحرَّك ولم تحمل على متحرّك ، جَازَ الإبدَالُ كهذه الآيَةِ الكريمةِ.

ومثله وُوْطِيءَ وأوْطِيءَ.

وقرأ يحيى بن وثاب " وَرِيَ " بواو واحدة مضمومة وراء مكسورة ، وكَأنَّهُ من الثُّلاثيّ المتعدِّي ، وتحتاج إلى نَقْلِ أنَّ وَرَيْتُ كذا بمعنى وارَيْتُه.

والمُوَارَاةُ : **السَّتْرُ** ، ومنه قوله – عليه الصلاة والسلام – لمَّا بلغه موت أبي طالب لعليٍّ : " اذْهَبْ فوارِهِ ".

ومنه قول الآخر : [مخلع السبيط] ٢٤٣٠ – عَلَى صَدىً أسْوَدَ المُوَارِي

فِي التُّرْبِ أمْسَى وفِي الصَّفِيحِ

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٥٣

وقد تقدَّم تحقيق هذه المادَّةِ والجمهور على قراءة " سَوْءَاتِهما " بالجمع من غير نقل ، ولا إدغام.

وقرأ مُجاهدٌ والحسن " سَوَّتهما " بالإفراد وإبدال الهمز [واواً] وإدغام الواو فيها.

وقرأ الحسنُ أيضاً ، وأبو جعفر وشَيْبَةُ بن نصاح " سَوَّاتهما " بالجمع وتشديد الواو بالعمل المتقدم.

وقرأ أيضاً " سَواتِهما " بالجمع أيضاً ، إلا أنَّهُ نقل حركة الهمزة إلى الواو من غير عملٍ آخَرَ ، وكلُّ ذلك ظَاهِرٌ.

فمن قرأ بالجمع فيحتمل وجهين : أظهرهما : أنَّهُ من باب وَضْعِ الجمع موضع التَّثْنِيَةِ كراهية اجتماع تثنيتين ، والجمع أخُوا التَّثْنِيَةِ فلذلك ناب منابها كقوله : ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُماَ﴾ [التحريم : ٤] وقد تقدَّم تَحْقِيقُ هذه القاعدة.

ويحتمل أنْ يكون الجَمْعُ هنا على حقيقته ؛ لأنَّ لكل واحد منهما قُبُلاً ، ودُبُراً ، والسوءات كنايةٌ عن ذلك فهي أربع ؛ فلذلك جِيءَ بالجَمْعِ ، ويؤيِّدُ الأوَّل قراءةُ الإفراد فإنَّه لا تكون [كذلك] إلاَّ والموضع موضع تثنية نحو : " مَسَحَ أُذُنَيْهِ ظَاهِرهُمَا وبَاطِنَهُمَا ".

فصل في أن كشف العورة من المحرمات دلَّت هذه الآيةُ على أنَّ كَشْفَ العوْرَةِ من المُنْكَرَاتِ ، وأنَّهُ لم يزل

مُسْتَهْجَناً في الطِّبَاع مُسْتَقْبَحاً في العُقُولِ.

قوله : ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَاذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾.

٥٥

" (١).

"و " الخصفُ " : الخَرْزُ في النِّعالِ ، وهو وَع طريقة على أخرى وخرْزهما ، والمِخْصَفُ : ما يُخْصَفُ به ، وهو الإشفى.

قال رُؤبَةُ : [الكامل] ٢٤٤٠ - ....

أنْفِهَا كالمِخْصَفِ

والخَصْفَةُ أيضاً : الجُلَّةُ للتَّمْر ، والخَصَفُ : الثِّيابُ الغَلِيظَةُ ، وخَصَفْتُ الخَصْفَةَ : نَسَجْتُهَا ، والأخْصَف : الخَصِيفُ طعام يبرق ، وأصْلُهُ أن يُوضَعَ لَبَنٌ ونحوه في الخَصْفَةِ فيتلوَّنُ بلونها.

وقال العبَّاسُ يمدحُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم : [المنسرح] ٢٤٤١ - ...

طِبْتَ فِي الظِّلالِ وَفِي

مُسْتَودَعٍ حَيْثُ يُخْصَفُ الوَرَقُ

يشير إلى الجَنَّةِ أي حَيْثُ يخرز ، ويطابق بعضها فوق بعض.

فصل قال المُفَسِّرُون : جعلا يَخْصِفَانِ ويرقعان ويلْزِقَانِ ويصلانِ عليهما من ورق الجنَّةِ ، وهو ورق التِّين حتى صار كهيئة الثَّوْبِ.

قال الزَّجَّاجُ : يجعلان ورقةً على وقرةٍ لِيَسْتُر سَوْءَاتِهِمَا.

وروى أبَيُّ بنُ كعبٍ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : "كان آدَمُ طوالاً كأنَّهُ نَخْلَةٌ سحوق كثيرة شَعْرِ الرَّأسِ ، فلما وقع بالخطيئة بَدَتْ له سوأته ، وكان لا يراها فانْطَلَقَ هَارِباً في الجنَّةِ ،

٦٣

فعرضت له شجرةٌ من شجر الجنَّةِ فحبسته بشَعْرِهِ فقال لها أرسِلِيني ؛ قالت : لَسْتُ بِمُرْسِلَتكَ ، فَنَادَاهُ ربُّهُ : يا آدمُ أين تَفِرُّ قال : لا يَا رَب ، ولكني استحييتك " وفي الآية دليل على أنَّ كَشْفَ العَوْرَةِ قبيحٌ من لدن آدم ، ألا تَرَى أنَّهُما كيف بادرا إلى السَّتْرِ ، لما تقرَّر في عقلهما من قُبْحِ كَشْفِ العورة.

قوله : " عليهما " قال أبُو حيَّان : الأَوْلَى أن يعود الضَّمِيرُ في " عليهما " على عَوْرَتَيْهِمَا ، كَأنَّهُ قيل :

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٣٠٣

يَخْصِفَانِ على سَوءأتيهما ، وعاد بضمير الاثنين ؛ لأنَّ الجمع يُرَادُ بن ا ثنان.
ولا يَجُوزُ أن يعود الضَّميرُ على آدَمَ وحوَّاءَ ؛ لأنَّهُ تَقرَّرَ في علم العربيَّةِ أنَّهُ لا يتعدَّى من فعل الظَّاهِرِ والمُضْمَرِ المتَّصل إلى الضمير المتصل إلى الضمير المتصل المنصوب لفظاً أو مَحَلاً في غير باب " ظَنّ " ، و " قَعَدَ " و " عَدمَ " ، و " وَجَد " لا يجُوزُ زيد ضربه ، ولا ضَرَبَهُ زيد ، ولا زَيْدٌ مَرَّ به ، ولا مَرَّ به زيدٌ ، فلو جعلنا الضَّمِيرَس في " عَلَيْهِمَا " عائداً على آدم وحوَّاءَ لَلَزِمَ من ذلك تعدِّي يَخْصِفُ إلى الضَّميرِ المنصوب مَحَلاً ، وقد رفع الضَّمير المتَّصِل ، وهو الألف في " يَخْصِفَانِ " ، فإن أخِذَ ذلك على حَذْفِ مُضافٍ مراد ؛ جَازَ ذلك ، تقديره : يَخْصِفانِ على بَدَنَيْهِمَا.
قال شهابُ الدِّين : ومثل ذلك فيما ذكر ﴿وَهُزِّى إِلَيْكِ﴾ [مريم : ٢٥].
﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ [القصص : ٣٢].
وقول الشاعر :]المتقارب] ٢٤٤٢ - هَوِّنُ عليْكَ فإنَّ الأمُورَ
بِكَفِّ الإلهِ مَقَادِيرُهَا
جزء : ٩ رقم الصفحة : ٦٠
وقوله : [الطويل] ٢٤٤٣ - دَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ في حَجَرَاتِهِ
ولكِنَ حَدِيثاً ما حَدِيثُ الرَّوَاحِلِ
قوله : " مِنْ وَرَقِ " يحتملُ وَجْهَيْنِ : أن تكون " مِن " لابتداء الغايةِ وأن تكون للتَّبعيضِ.
؟ و " نَادَاهُمَا رَبُّهُمَا " لم يصرِّحْ هنا باسم المنادى للعلم به.
وقوله : " أَلَمْ أنْهَكُمَا " يجوزُ أن تكون هذه الجُمْلَةُ التقديريَّةُ مفسِّدة للنداء لا محلّ لها
٦٤
ويحتمل أن يكُونَ ثَمَّ قول مَحْذُوفٌ ، هي مَعْمُولَةٌ له أي : فقال : لم أنْهَكُمَا.
وقال بعضَهُم : هذه الجُمْلَةُ في مَحَلِّ نَصْبٍ بقولٍ مُقدَّرٍ ذلك القَوْلُ حال تقديره : وناداهما قَائِلاً ذلك.
و " لَكُمَا " متعلِّقٌ بـ " عَدُوّ " لما فيه من معنى الفِعْل ، ويجوز أن تكون متعلِّقة بمَحْذُوفٍ على أنها حالٌ من " عَدُوّ " ؛ لأنَّهَا تأخَّرَتْ لجاز أن تكون وصفاً.
فصل في قوله " ألم أنهكما " معنى قوله : ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾ يعني : عن الأَكْلِ منها وأقل لَكُمَا : إنَّ الشَّيْطانَ لكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ.
قال ابن عبَّاس : بيَّن العداوة حَيْثُ أبي السُّجُود وقال : ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف :

[١٦].

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٦٠

." (١)

"ولمَّا حكى عنهم هذا القول قال : " سُبْحَانهُ " والمراد : تنزيه ذاته عن نسبة الولد إليه.

وقيل : تعجيب الخلق من هذا الجهل الصَّريح ، وهو وصف الملائكة بالأنوثةِ ، ثم نسبتها بالولدية إلى الله – سبحانه وتعالى – والمعنى : معاذ الله.

قوله : ﴿وَلَهُمْ مَّا يَشْتَهُونَ﴾ يجوز فيه وجهان : أحدهما : أن هذا الجملة من مبتدأ ، وخبر ، أي : يجعلون لله البنات ، ثمَّ أخبر أنَّ لهم ما يشتهون.

وجوَّز الفرَّاء ، والحوفيُّ ، والزمخشري ، وأبو البقاء – رحمهة الله عليهم – أن تكون " مَا " منصوبة المحلّ ؛ عطفاً على " البَناتِ " و " لَهُمْ " عطف على الله ، أي : ويجعلون لهم ما يشتهون.

قال أبو حيَّان : وقد ذهلوا عن قاعدةٍ نحويَّة ، وهو أنه لا يتعدَّى فعل المضمر إلى ضميره المتَّصلِ ، إلاَّ في باب " ظنَّ " وفي " عَدمَ " و " فَقَد " ولا فرق بين أن يتعدى الفعل بنفسه ، أو بحرف الجرِّ ؛ فلا يجوز : زَيْدٌ ضربه ، أي : ضرب نفسهُ ، ولا " زَيْدٌ مَرَّ بِهِ " ، أي : مر بنفسه ، ويجوز : " زيد ظنه قائماً " ، و " زيد فقده وعدمه " أي : [ظن نفسه قائماً ، وفقد] نفسه ، وعدمها.

إذا تقرَّر هذا ، فجعل " مَا " منصوبة عطفاً على " البَناتِ " يؤدِّي إلى تعدِّي فعل الضمير المتَّصل ، وهو واو " يَجْعلُونَ " إلى ضميره المتَّصل ، وهو " هُمْ " في " لَهُمْ " انتهى.

وهذا يحتاجُ إلى إيضاح أكثر من هذا ، وهو أنَّه لا يجوز تعدي فعل الضمير المتصل ، ولا فعل الظاهر إلى ضميرها المتصل ، إلا في باب " ظنَّ " وأخواتها من أفعال القلوب ، وفي " فَقَد " و " عَدمَ " فلا يجوز زيدٌ ضربهُ زيدٌ ، أي : ضَربَ نفسه ، ويجوز : زَيْدٌ ظنَّه قَائماً ، وظنَّه زَيْدٌ قَائِماً ، وزيْدٌ فقَدهُ وعدمهُ ، وفقَدهُ وعَدمهُ زَيْدٌ ، ولا يجوز تعدي فعل المضمر المتصل إلى ظاهر ، في باب من الأبواب ، لا يجوز : زيدٌ ضربَ نَفسَهُ ، وفي قولنا " غلى ضميرها المتصل " قيدان : أحدهما : كونه ضميراً ، فلو كان ظاهراً كالنَّفس لم يمتنع ، نحو : زَيْدٌ ضرب نفسهُ وضَرَب نفسه زيد.

والثاني : كونه متَّصلاً ، فلو كان منفصلاً ؛ جاز ، نحو : زيدٌ ما ضرب إلاَّ إيَّاه ، وما ضَربَ زيْدٌ إلاَّ إياه ، وأدلَّة هذه المسألة مذكورة في كتب النَّحو.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٢٣٠٨

وقال مكي : " وهذا لا يجوز عند البصريين ، كما لا يجوز : جعلت لي طعاماً إنَّما يجوز جعلت لنفسي طعاماً ، فلو كان لفظ القرآنِ : ولأنفسهم ما يشتهون ، جاز ما قال الفرَّاء عند البصريين ، وهذا أصلٌ يحتاج إلى تعليل ، وبسطٍ كثيرٍ ".

٨٧

وقال أبو حيَّان – بعدما حكى أنَّ " مَا " في موضع نصبٍ عن الفرَّاء ، ومن تبعه – : وقال أبو البقاءِ ، وقد حكاهُ ؛ وفيه نظرٌ.

قال شهابُ الدِّين : " وأبو البقاء لم يجعل النَّظر في هذا الوجه ، إنَّما جعله في تضعيفه ، بكونه يؤدِّي غ‌دى تعدي فعل المضمر المتَّصل إلى ضميره المتصل في غير ما استثني ، فإنه قال : " وضعَّف قومٌ هذا الوجه ، وقالوا : لو كان كذلك لقال : ولأنفسهم ، وفيه نظرٌ " فجعل النظر في تضعيفه لا فيه ".

وقد يقال : وجه النَّظر أنَّ الممتنع تعدى ذلك الفعل ، أي : وقوعه على ما جر بالحرف ، نحو : " زيد مرَّ بِهِ " فإن المرور واقعٌ بـ " زيدٍ " ، وأمَّا ما نحن فيه ، فليس الجعل واقعاً بالجاعلين ، بل ما يشتهون.

وكان أبو حيَّان يعترض دائماً على القاعدة المتقدمة بقوله تعالى : ﴿وَهُزِّى إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ [مريم : ٢٥] ﴿وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ [القصص : ٣٢].

والجواب عنهما ما تقدَّم ، وهو أنَّ الهزَّ ، والضَّم ليسا واقعين بالكاف ، وقد تقدَّم لنا هذا البحث في مكانٍ آخر ، وإنَّما أعدته لصعوبته ، وخصوصيته ، هذا بزيادة فائدة ، وأراد بقوله : ﴿وَلَهُمْ مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل : ٥٧] أي : الشيء الذي يشتهونه ، وهو السَّترُ.

ثمَّ إنه – تعالى – ذكر أنَّ الواحد من هؤلاء المشركين لا يرضى بالبنت لنفسه فالذي لا يرتضيه لنفسه كيف ينسبه لله – تعالى – فقال تعالى : ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ﴾.

التَّبْشيرُ في عرف اللغة : مختصٌّ بالخبر الذي يفيد السرور ، إلا أنَّ أصله عبارة عن الخبر الذي يؤثر في تغيير بشرة الوجه ، ومعلومٌ أن السُّرورَ كما يوجب تغير البشرة ، فكذلك الحزن يوجبه ؛ فوجب أن يكون التَّبشيرُ حقيقة في القسمين ، ويؤكِّده قوله تعالى : ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران : ٢١].

وقيل : المراد بالتَّبشير ههنا الإخبار.

قوله : ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً﴾ يجوز أن تكون " ظلَّ " ليست على بابها من كونها تدلُّ على الإقامة نهاراً على الصِّفة المسندة إلى اسمها ، وأن تكون بمعنى : " صَارَ " وعلى التقديرين هي ناقصة ، و " مُسْودًّا " خبرها.

وأما " وجهه " ففيه وجهان : أشهرهما ، وهو المتبادر إلى الذّهن أنه اسمها.

والثاني : أنه بدلٌ من الضمير المستتر في " ظلّ " : بدل بعضٍ من كلٍّ ، أي : ظلَّ أحدهم وجهه ، أي : ظل وجه أحدهم.

قوله : "كَظِيمٌ " يجوز أن يكون بمعنى فاعل ، وأن يكون بمعنى مفعول كقوله : ﴿وَهُوَ

٨٨

." (١)

"قضائها جاز عند الشافعي – رحمه الله – ، ولو دخل عليه وقت فريضة وتذكر فائتة ، فإن كان في الوقت سعة استحب أن يبدأ بالفائتة ، ولو بدأ بصلاة الوقت جاز ، وأن ضاق الوقت بحيث لو بدأ بالفائتة فاتت صلاة الوقت فيجب البداءة بصلاة الوقت لئلا تفوت الأخرى.

ولو تذكر الفائتة بعد ما شرع في صلاة الوقت أتمّها ثم قضى الفائتة.

ويستحبّ أن يعيد صلاة الوقت بعدها ، ولا يجب.

وقال أبو حنيفة رحمه الله : يجب الترتيب في قضاء الفوائت ما لم تزد على صلاة يوم الجمعة حتى قال : ولو تذكر في صلاة الوقت فائتة تركها اليوم يبطل فرض الوقت ، فيقضي الفائتى ، ثم يعيد صلاة الوقت إلا أن يكون الوقت ضيّقاً فلا يبطل ، واستدل بالآية والخبر والقياس والأثر.

أما الآية فقوله تعالى : ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ [الإسراء : ٧٨] أي عند دلوك الشمس ، فالمعنى : أَقِمِ الصَّلاَةَ عِنْدَ تَذْكرها ، وذلك يقتضي وجوب الترتيب.

وأما الخبر فقوله عليه السلام : " مَنْ نَسِيَ صَلاَةً فَلْيُصَلِّهَا إذَا ذَكَرَها " والفاء للتعقيب.

وروي في الصحيحين " أنَّ عُمَرَ بن الخطاب جاء إلى النَّبيِّ – صلى الله عليه وسلم – يومَ الخندق فجعَلَ يَسُبُّ كفارَ قريش ويقول : والله يا رسول الله ما صلَّيْتُ العصرَ حتَّى كادت الشَّمْسُ تغربَ.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " وَأنَا والله ما صلَّيْتُهَا بعد " قال : فنزل إلى بُطْحَان فَصلى العصرَ (بَعْدَ ما غَرَبَت الشمسُ) ثم صلى بعدها المغرب " والاستدلال به من وجهين : أحدهما : أنه قال : " صَلُّوا كَمَا رَأيْتُمُونِي أُصَلِّي " وقد صلى الفوائت على الولاء فيجب علينا اتباعه.

١٩٧

والثاني : أن فعلَ النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا خرج مخرج البيان للمجمل كان حجة ، وهذا الفعل

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٢١٨

خرج بياناً لمجمل قوله : " أَقِيمُوا الصَّلاَةَ " ولهذا قالوا : إن الفوائت إذا كانت قليلة يجب مراعاة الترتيب فيها ، فإذا كثرت سقط الترتيب للمشقة.

وأما الأثر : فرُوِي عن ابن عمر أنه قال : " مَنْ فاتَهُ صلاةٌ فَلَمْ يَذْكُرْهَا إلا في صَلاةِ الإمام فليمض في صلاته ، فإِذَا قَضَى صلاتَه مع الإِمَام يُصَلِّي ما فاته ، ثم ليعُد التي صلاها مع الإمام " وروي ذلك مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما القياس : فإنهما صلاتا فرض جمعهما وقت واحد في اليوم والليلة ، فأشبهتا صلاتي عرفةٍ والمزدلفة ، فلما لم يجب إسقاط الترتيب فيهما ، وجي أن يكون حكم الفوائت فيما دون اليوم والليلة كذلك.

واحتج الشافعي رحمه الله بما روى أبو قتادة : " أَنَّهُمْ لَمَّا نَامُوا عَنْ صَلاَةِ الفَجْرِ ثُمَّ انْتَبَهُوا بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ أَمَرَهُمْ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنْ يقُودُوا رَوَاحِلَهُم ثُمَّ صَلاَّهَا " ولو كان وقت التذكير معيناً للصلاة لما جاز ذلك ، فعلمنا أن ذلك الوقت وقت لتقرر الوجوب عليه ، لكن لا على سبيل التضييق بل على سبيل التوسع ، وإذا ثبت هذا فنقول : إيجاب قضاء الفوائت ، وإيجاب أداء فرض الوقت الحاضر يجري مجرى التخيير بين الواجبين ، فوجب أن يكون المكلف مخيراً في تقديم أيهما شاء ، ولأنه لو كان الترتيب واجباً في الفوائت لما سقط بالنسيان ، ألا ترى أنه إذا صلى الظهر والعصر بعرفة في يوم غيْم ، ثم تبين أنه صلى الظهر قبل الزوال (والعصر بعد الزوال) فإنه يعيدهما جميعاً ، ولم يسقط الترتيب بالنسيان لما

١٩٨

كان شرطاً فيهما ، فها هنا أيضاً لو كلن الترتيب شرطاً فيهما لما كان يسقط بالنسيان.

جزء : ١٣ رقم الصفحة : ١٩٢

قوله تعالى : ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾.

(لمَّا خاطب موسى عليه السلام بقوله : " فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي " أتبعُه بقوله : " إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيَها " ، وما أليق هذا بتأويل من تأوّل قوله : " لِذِكْرِي " أي لأذكرك بالإثابة والكرامة فقال عقيب ذلك " إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ " لأنها وقت الإثابة ووقت المجازاة ، ثم قال : " أَكَادُ أُخْفِيَهَا ".

العامة على ضم الهمزة من " أَخْفِيَها ".

وفيها تأويلات : أحدها : أن الهمزة في " أُخْفِيهَا " للسلب والإزالة ، أي : أزيل خفاءها نحو : أَعْجَمْتُ الكتابَ أي : أزلت عجمتَه ، وأشكيتُه أي أزلت شكواه ، ثم في ذلك معينان : أحدهما : أن الخفاءَ بمعنى (الستر) ، ومتى أزال سترها فقد أظهرها ، والمعنى : أنها لتحقّق وقوعها وقربها أكاد أظهرها لولا ما تقتضيه

الحكمة من التأخير.

والثاني : أن الخفاءَ هو الظهور كما سيأتي ، والمعنى : أزيل ظهورها ، وإذا أزال ظهورها فقد استترت ، والمعنى : أن لشدّة إبهامها أكادُ أخفيهَا فلا أظهرها ألبتة وإن كان لا بد من إظهارها ، ولذلك يوجد في بعض المصاحف كمصحف أُبَيّ : " أَكَادُ أُخْفِيَهَا من نفسي فكيف أظهركم عليها " وهو على عادة العرب في المبالغة في الإخفاء ، قال الشاعر : ٣٦٤٤ - أَيَّامَ تَصْحَبُنِي هِنْدٌ وَأُخْبِرُهَا

مَا كِدْتُ أَكْتُمُهُ عَنِّي مِنَ الخَبَرِ

١٩٩

". (١)

"المدينة قال : فكانت ام هانيء تواظبُني على خدمةِ النبي - صلى الله عليه وسلم - فخدمته عَشْر سنينَ وتوفي وانا ابن عشرينَ فكنت أعلمَ الناس بشأن الحِجاب حين أنزل وكان أول ما أنزل في مُبْتَنَى رَسُولِ الله - صلى الله عليه وسلم - بزينبَ بنتِ جحشٍ أصبح النبي - صلى الله عليه وسلم - بها عروساً فدعا القوم وأَصابوا من الطّعام ثم خرجوا وبَقِيَ رَهْطٌ منهم عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فأطالوا المُكْثَ فقام النبي - صلى الله عليه وسلم - وخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى النبي - صلى الله عليه وسلم - فمشيت حتى جاء عتبة حُجْرَة عائشةَ ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجَع فرَجَعْتُ معهم حتى إذا دخل على زينب فإذا هم جلوس لم يخرجوا فرجَع النبي - صلى الله عليه وسلم - ورجعت معه حتى إذا بلغ عتبة حجرة عائشة فظن أنهم قد خرجوا فرَجَع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا فضرب النبي - صلى الله عليه وسلم - بيني وبينه بالسِّتر - فأنزل الله الحجاب ، (و) قال أبو عثمان واسمه الجَعد عن أنس (قال) فدخل - يعني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - البيت وأرخى الستر وإني لفي الحجرة وهو يقول : ﴿ يا أيها الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَدْخُلُواْ بُيُوتَ النَّبِيّ إِلاَّ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ إلى قوله : ﴿وَاللَّهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾ وروي عن ابن عباس أنها نزلت في ناسٍ من السلمين كانوا يتحيَّنون طعام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيدخلون عيله قبل الطعام إلى أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتأذَّى بهم فنزلت الآية ﴿ يا أيها الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَدْخُلُواْ بُيُوتَ النَّبِيّ﴾.

وروى ابنُ شِهابٍ عن عروة عن عائشة أن أزواج النبي - صلى الله عيه وسلم - كُنَّ يَخْرُجْنَ باللَّيْلِ إذَا تَبَرَّزْنَ إِلَى المَنَاصِعِ وهو صَعِيدٌ أَفْيَحُ فكان عمر يقول للنبي - صلى الله عليه وسلم - احجبْ نِسَاءَكَ فلم يكن

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٣٥٤٨

رسولُ الله يفعل فخرجت سُوْدةُ بنتُ زمعة زوج النبي – صلى الله عليه وسلم – ليلةً من الليالي عشاءً وكانت امرأة طويلة فناداها عمر : قد عرفناك يا سَوْدَةُ حرصاً على أن تنزل آيةُ الحجاب فأنزل الله الحجاب ، وعن أنس قال : قال عمر : وافَقَنِي ربي في ثلاثة ، قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله : ﴿وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة : ١٢٥] ، وقلت يا رسول الله : إنه يدخل عليك البرُّ الفاجر فلو أمرت أمهات

٥٧٩

المؤمنين بالحِجاب فأنزل الله آية الحجاب قال : بلغني ما آذين رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نساؤه قال : فدخلت عليهن فجعلت استقربهن واحدة واحدة قلت : والله لَتَنْتَبِهْنَ أَوْ لَيُبَدِّلَنَّه الله أزواجاً خَيْراً منْكُنَّ حت أتيت على زينب فقالت : يا عُمَرُ : ما كان في رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما يعظ نساءه حتى تَعِظَهُنَّ أنت قال : فخرجت فأنزل الله : ﴿عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ﴾ [التحريم : ٥] الآية قوله : ﴿إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ فيه أوجه : أحدها : أنها في موضع نصب على الحال تقديره إِلاَّ مَصْحُوبِينَ بالإِذن.

الثاني : أنها على إسقاط باء السبب تقديره : " إلا بِسبِب الإذن لكم "كقوله " فَأَخْرَجَ بِهِ " أي بسببه.

الثالث : أنه منصوب على الظرف قال الزمشخري : ﴿إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ﴾ في معنى الظرف تقديره : إلا وقت أن يؤذن لكم و " غَيْرَ نَاظِرِينَ " حال من " لاَ تَدْخُلُوا " وقع الاسثناء على الحال والوقت معاً كأنه قيل : لا تدخلوا بيوت النبي إلا وَقْتَ الإِذْنِ ولا تدخلوا إلاَّ غَيْرَ ناظرين إناه ، ورد أبو حيان الأول بأن النحاة نصوا على أن " أنْ " المصدرية لا تقع مَوْقِعَ الظرف ، لا يجوز : " آتِيكَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ " وإن جاز ذلك في المصدر الصريح نحو : " آتِيكَ صِيَاحَ الدِّيكَ " ، ورد الثاني بأنه لا يقع بعد " إلا " في الاستثناء إلا المستثنى أو المستثنى منه أو صفته ولا يجوز فيما عَدَا هذا عند الجمهور ، وأجاز ذلك الكسائي والأخفش أجازا " مَا قَامَ القوْمُ إِلاَّ يَوْمَ الجُمُعَةِ ضَاحِكِينَ " و " إِلَى طَعَام " متعلق بـ " يُؤْذَن " لأنه بمعنى إلاَّ أنْ يَدْعُوا إلى طعام ، وقرأ العامة غَيْرَ ناظرين – بالنصب على الحال – كا تقدم ، فعند الزمخشري ومن تابعه العامل فيه " يُؤْذَنَ " وعند غيرهم العامل فيه مقدر تقديره ادخلوا غير ناظرين ، وقرأ

٥٨٠

". (١)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤١٤٤

"حيث النَّحْو ، فلأن الحقائق لا يوصف بها ، فلا يقال : جِسْمُ رَجُلٍ جَاءَنِي ، كما يقال : جِسْمُ نَاطِقٍ جَاءَنِي ؛ لأنَّ الوصف يقوم بالموصوف والحقيقة تقوم بنفسها لا بغيرها.

فقولنا : عالم أي شيء له علم.

فصل والخَشْيَةُ والخَوْفُ معناهما واحد عند أهل اللغة ، لكن بينهما فَرْقٌ ، وهو أن الخشية خوفٌ من عَظَمَةِ المَخْشِيّ ، لأن تركيب حروف " شَ يَ خَ " في تقاليبها يلزمه معنى الهيبة ، يقال : شَيْخٌ لِلسَّيِّدِ وللرجل الكبير السِّنِّ ، وهما جميعاً مَهِيبَان والخوف خشيةٌ من ضعف الخاشي ، لأنَّ تركيب " خَ وَ ف " في تقاليبها يدل على الضعف ، ويدل على ذلك أنه حيث كان الخوف من عظمة المخشيّ قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر : ٢٨] ، وقال : ﴿هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون : ٥٧] مع أن الملائكة والجبل أقوياء وحيث كان الخوفُ من ضعف الخاشِي سماه خوفاً قال تعالى : ﴿أَلاَّ تَخَافُواْ وَلاَ تَحْزَنُواْ﴾ [فصلت : ٣٠] أي بسبب مكروه يلحقكم في الآخرة.

وقال تعالى : ﴿خَآئِفاً يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص : ١٨] وقال : " إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ " لوحدته وضعفه هذا في أكثر الاستعمال وربما يتخلف (المُدَّعَى عنه لكن الكثرة كافية).

فصل معنى الآية من خاف الرحمن فأطاعه بالغيب ، ولم يره.

وقال الضّحاك والسّدي : يعني في الخلوة حيث لا يراه أحد.

قال الحسن : إذا أرخى الستر وأغلق الباب.

﴿وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ هذه صفة مدح ، لأن شأن الخائف أن يَهْرب ، فأما المتقي فجاء ربه لعلمه أنه لا ينجي الفِرار منه.

وقوله : " مُنِيبٍ " أي مخلص مقبل على طاعة الله تعالى.

والباء في " بِقَلْبٍ " إما للتعدية ، وإما للمُصَاحَبَة ، وإما للسببية.

٤١

والقلب المنيب كالقلب السليم في قوله تعالى : ﴿إِذْ جَآءَ رَبــَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات : ٨٤] أي سليم من الشرك.

قوله : " ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ " الجار والمجرور حال من فاعل " ادْخُلُوهَا " أي سالمين من الآفات فهي حال مقارنة ، أو مسلّماً عليكم فهي حال مقدرة كقوله : ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر : ٧٣].

كذا قيل وفيه نظر ، إذ لا مانع من مقارنة وتسليم الملائكة عليهم حال الدخول بخلاف فَادْخُلُوهَا خالدينَ

فإنه لا يعقل الخلود إلا بعد الدخول ، والضمير في " ادْخُلُوهَا " عائد إلى الجنة ، أي ادخلوا الجنة بسلامةٍ من العذاب والهموم وقيل : بسلام من الله وملائكته عليهم.

قوله : ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ قال أبو البقاء : أي ومن ذلكَ يَوْمُ الخلود كأنّه جعل " ذَلِكَ " إشارة إلى ما تقدم من إنعام الله عليهم بما ذكره ، وقيل " ذَلِك " مشارٌ به لما بعده من الزَّمان ، كقولك : هَذَا زَيْدٌ.

قال الزمخشري : في قوله : ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ إضمار تقديره : ذَلِكَ يَوْم تَقْرِير الخُلُود.

ويحتمل أن يقال : اليوم يُذْكَرُ ويراد به الزمان المطلق سواء كان يوماً أو ليلاً ، تقول : يَوْمَ يُولَدُ لِفُلاَن يكون السرورُ العظيمُ ، ولو ولد له بالليل لكان السرور حاصلاً فالمراد به الزّمان فكأنه تعالى قال : ذَلك زَمَانُ الإقامة الدَّائِمَةِ.

فإن قيل : المؤمن قد علم أنه إذا دخل الجنة خلد فيها فما فائدة القول ؟ فالجواب من وجهين : الأول : أن قوله : ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾ قول قاله الله في الدنيا ، إعلاماً وإخباراً ، وليس ذلك قولاً يقولُه عند قوله : " ادخلوها " ، فكأنه تعالى أخبر في يومنا أنَّ ذلك اليوم يومُ الخلود.

٤٢

الثاني : أن اطمئنان القلب بالقول أكثر.

قوله : ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ يجوز أن يتعلق " فيهَا " بـ " يشاؤون " ويجوز أن يكون حالاً من الموصول ، أو من عائِدِهِ والأول أولى.

فصل ما الحكمة في أنه تعالى قال : ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ على المخاطبة ، ثم قال : " لَهُمْ " ولم يقل : لَكُم ؟ فالجواب من وجوه : الأول : أن قوله تعالى : " ادْخُلُوهَا " فيه مقدر ، أي فيُقَال لَهُمُ ادْخُلُوها.

فلا يكون التفاتاً.

الثاني : أنه التفات ، والحكمة الجمع بين الطرفين ، كأنه تعالى يقول : غير محلّ بهم في غيبتهم وحضورهم.

ففي حضورهم الحبور ، وفي غيبتهم الحورُ والقُصُور.

الثالث : أنه يجوز أن يكون قوله تعالى : " لَهُمْ " كلاماً مع الملائكة ، يقول للملائكة توكلوا بخدمتهم ، وَاعْلَمُوا أَنّ لهم ما يشاؤون فيها فأَحْضِروا بين أيديهم ما يشاؤون ، وأما أنا فعندي ما لا يخطر ببالهم ولا تَقْدِرُون أنتم عليه.

و " المزيد " يحتمل أن يكون معناه الزيادة ، كقوله تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس : ٢٦] ويحتمل أن يكون بمعنى المفعول ، أي عندنا ما نَزِيدهُ على ما يَرْجُون ويَأمَلُونَ.

قال أنس وجابر : هو النظر إلى وجه الله الكريم.

جزء : ١٨ رقم الصفحة : ٣٦

قوله تعالى : ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾ نصب بما بعده.

وقدم إما لأنه استفهام ، وإما

٤٣

." (١)

"الإسلام ، وأئمة العلماء الأعلام ، ووقف هؤلاء بالألف ظاهر ".

وأما لمن لم ينونه فظاهر ، لأنه على صيغة منتهى الجموع.

وقولهم : قد جمع نحو " صواحبات ، وأيامنين " لا يقدح ؛ لأن المحذور جمع التكسير ، وهذا جمع تصحيح ، وعدم وقوفهم بالألف واضح أيضاً.

وأما من لم ينون ووقف بالألف فاتباعاً للرسم الكريم كما تقدم.

وأيضاً : فإن الروم في المفتوح لا يجوزه القراء ، والقارئ قد يبين الحركة في وقفه فأتوا بالألف ليبين منها الفتحة.

وروي عن بعضهم أنه يقول : " رَأيْتُ عُمَراً " بالألف ، يعني عرم بن الخطاب – رضي الله عنه – والسلاسل : جمع سلسلة وهي القيودفي جهنم ، وقد تقدم الكلام عنها في سورة " الحاقة ".

فصل اعلم أنه بيّن – هاهنا – حال الفريقين ، وأنه تعبد العقلاء ، وكلّعفهم ومكّنهم ما أمرهم فمن كفر فله العقاب ، ومن وحد وشكر فله الثّواب ، والاعتداد هو اعتداد الشَّيء حتى يكون عتيداً حاضراً متى احتيج إليه ، كقوله تعالى : ﴿هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ [ق : ٢٣] ، والأغلال : جمع غل ، تغلّ بها أيديهم إلى أعناقهم.

وقد تقدم الكرم في السعير أيضاً.

قوله تعالى : ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ الاية.

لما ذكر ما اعد للكافرين ذكر ما أعد للشاكرين ، والأبرار أهل الصدق ، واحدهم : برّ ، وهو من امتثل أمر الله تعالى.

وقيل : البر : الموحد ، والأبرار : جمع " بار " مثل : " شاهد وأشهاد ".

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٦٤٣

وقيل : هو جمع " بر " مثل : " نهر وأنهار ".

وفي " الصحاح " : وجمع البر : الأبرار ، وجمع البار : البررة ، وفلان يبرُّ خالقه ويتبرره أي يطيعه ، والأم برة بولدها.

" وروى ابن عمر – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إنَّما سمَّاهُم اللهُ – تَعالَى – الأبْرَارَ ؛ لأنَّهُمْ بَرُّوا الآبَاءَ والأبناءَ ، كما أنَّ لِوالدِكَ عَلَيْكَ حقًّا ، كذَلِكَ لَولدكَ عَليْكَ حقَّاً ".

وقال الحسن : البر الذي لا يؤذي الذَّرَّ.

١٥

وقال قتادة : الأبرار الذي يؤدّون حق الله ، ويروفون بالنذر ، وفي الحديث : " الأبْرَارُ الَّذينَ لا يُؤذُوَن أحَداً ".

﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾.

أي : من إناء فيه الشراب.

قال ابن عباس : يريد الخمر.

والكأس في اللغة : الإناء فيه الشراب ، وإذا لم يسمَّ كأساً.

قوله تعالى : ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً﴾ المزاج : ما يمزج به أي : يخلط ، يقال : مزجه يكمزجه مزجاً أي : خلطه يخلطه خلطاً.

قال حسان : [الوافر] ٥٠٣٠ – كَأنَّ سَبيئَةً من بَيْتِ رَأسٍ

يَكونُ مَزَاجهَا عَسلٌ ومَاءُ

جزء : ٢٠ رقم الصفحة : ١٣

فالمزاج كالقِوام اسم لما يقاوم به الشيء ، ومنه مزاج البدن : وهو ما يمازجه من الصفراء والسوداء والحرارة والبرودة.

و " الكافور " : طيب معروف ، وكأنه اشتقاقه من الكفر ، **وهو الستر لأنه** يغطي الأشياء برائحته ، والكافور أيضاً : كمائم الشجر الذي يغطّي ثمرتها.

قال بعضهم : الكافُور : " فاعول " من الكفر كالنّاقور من النَّقر ، والغامُوس من الغمس ، تقول : غامسته في الماء أي : غمسته ، والكفر : القرية والجبل العظيم ؛ قال : [الطويل] ٥٠٣١ –

....

تُطَلِّعُ رِيّاهُ من الكفَرَاتِ

والكافور : البحر ، والكَافِر : الليل ، والكَافِر : الساتر لنعم الله تعالى ، والكَافِر : الزارع لتوريته الحب في الأرض ؛ قال اشلاعر : [السريع] ٥٠٣٢ – وكَافِرٍ مَاتَ على كُفْرِهِ

وجَنَّةُ الفِرْدَوسِ للكَافِرِ

والكفَّارة : تغطية الإثم في اليمين الفاجرة والنذور الكاذبة بالمغفرة ، والكافور : ماء جوف شجر مكنون ، فيغرزونه بالحديد ، فيخرج إلى ظاهر الشجر ، فيضربه الهواء فيجمد وينعقد كالصمغ الجامد على الأشجار.

١٦

". (١)

"وسلم:"ارفعه"، قال: فأخذت التور فما أدري أهو حين وضعت أكثر أم حين أخذت؟ قال: وتخلف رجال يتحدثون في بيت رسول الله، وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم التي دخل بها معهم مولية وجهها إلى الحائط، فأطالوا الحديث فشقوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أشد الناس حياء، ولو أعلموا كان ذلك عليهم عزيزا، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج، فسلم على حجره وعلى نسائه، فلما رأوه قد جاء ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه، ابتدروا بالباب فخرجوا، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أرخى الستر ودخل البيت وأنا في الحجرة، فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته يسيرا، وأنزل الله عليه القرآن، فخرج وهو يقرأ هذه الآية " يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا، فإذا طعمتم فانتشروا " إلى قوله: " بكل شيء عليما " ، قال أنس: فقرأهن علي قبل الناس، فأنا أحدث الناس بهن عهدا

عن سليمان بن أرقم، رضي الله عنه، في قوله:" " ولا مستأنسين لحديث " ، قال: نزلت في الثقلاء".

قوله تعالى: " وإذا سألتموهن متاعا " ." (٢)

"عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"أن موسى عليه السلام كان رجلا حييا ستيرا لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فآذاه من أذاه من بني إسرائيل، وقالوا: ما يستتر هذا الستر إلا من عيب بجلده، إما برص، وإما أدرة، وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا، وإن موسى عليه السلام خلا يوما وحده فوضع ثيابه على حجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٤١٥

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ٤٩٢/١١

الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عليه السلام عصاه، وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملا من بني إسرائيل، فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه، فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا، أو أربعا، أو خمسا فذلك قوله: " يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا " "." (١)

"جرير والبيهقي عن ابن عمر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يطلق امرأته ثلاثا فيتزوجها آخر فيغلق الباب **ويرخي الستر ثم** يطلقها قبل أن يدخل بها فهل تحل للأول قال : لا حتى تذوق عسيلته ، وفي لفظ : حتى يجامعها الآخر.

وأخرج أحمد وابن جرير والبيهقي عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن رجل كانت تحته امرأة فطلقها ثلاثا فتزوجت بعده رجلا فطلقها قبل أن يدخل بها أتحل لزوجها الأول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا حتى يكون الآخر قد ذاق من عسيلتها وذاقت من عسيلته.

وأخرج ابن أبي شيبة ، وابن جرير عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في المرأة يطلقها زوجها ثلاثا فتتزوج غيره فيطلقها قبل أن يدخل بها فيريد الأول أن يراجعها قال : لا حتى يذوق عسيلتها.

وأخرج أحمد والنسائي عن عبد الله بن عباس أن الغميصاء أو الرميصاء أتت النبي صلى الله عليه وسلم تشتكي زوجها أنه لا يصل إليها فلم يلبث أن جاء زوجها فقال : يا رسول الله هي كاذبة وهو يصل إليها ولكنها تريد أن." (٢)

"أن عمر بن الخطاب قضى في المرأة يتزوجها الرجل : أنه إذا أرخيت الستور فقد وجب الصداق.

وأخرج ابن أبي شيبة والبيهقي عن الأحنف بن قيس ، أن عمر وعليا رضي الله عنهما قالا : إذا أرخى سترا وأغلق بابا فلها الصداق كاملا وعليها العدة.

وأخرج سعيد بن منصور ، وابن أبي شيبة عن زرارة بن أوفى قال : قضاء الخلفاء الراشدين المهديين أنه من أغلق بابا أو أرخى سترا فقد وجب الصداق والعدة.

وأخرج مالك والبيهقي عن زيد بن ثابت قال : إذا دخل الرجل بإمرأته فأرخيت **عليهما الستر فقد** وجب الصداق.

وأخرج البيهقي عن محمد بن ثوبان ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من كشف امرأة فنظر إلى

---

(١) تفسير ابن أبي ح ا تم، ١٢/ ٧

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٦٩٣/٢

عورتها فقد وجب الصداق.

قوله تعالى : حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين.

أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله ﴿حافظوا على الصلوات﴾ يعني المكتوبات." (١)

"وأخرج أحمد والبخاري في الأدب ومسلم ، وابن مردويه والبيهقي في شعب الايمان عن الاغر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ياأيها الناس توبوا إلى الله جميعا فاني أتوب اليه كل يوم مائة مرة.

وأخرج أحمد عن حذيفة قال : كان في لساني ذوب إلى أهلي فلم أعده إلى غيره فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : أين أنت من الاستغفار يا حذيفة اني لاستغفر الله في كل يوم مائة مرة وأتوب إليه.

وأخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي في شعب الايمان عن أبي رافع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : كم للمؤمنين من ستر قال : هي أكثر من أن يحصى ولكن المؤمن اذا عمل خطيئة هتك منها سترا فاذا تاب رجع اليه **ذلك الستر وتسعة** معه واذا لم يتب هتك عنه منها ستر واحد حتى اذا لم يبق عليه منها شيء قال الله تعالى لمن يشاء من ملائكته : ان." (٢)

"وأخرج ابن المنذر ، وابن أبي حاتم والبيهقي في السنن عن ابن عباس في قوله ﴿ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾ قال : اذا خلا الرجل بأهله بعد العشاء فلا يدخل عليه خادم ولا صبي إلا بإذنه حتى يصلي الغداة واذا خلا

بأهله عند الظهر فمثل ذلك ورخص لهم في الدخول فيما بين ذلك بغير اذن ، وهو قوله ﴿ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن﴾ فاما من بلغ الحلم فانه لا يدخل على الرجل وأهله إلا باذن على كل حال ، وهو قوله ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم﴾.

وأخرج أبو داود ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه والبيهقي في السنن عن ابن عباس ان رجلين سألاه عن الاستئذان في الثلاث عورات التي أمر الله بها في القرآن فقال ابن عباس : ان الله ستير **يحب الستر وكان** الناس ليس لهم ستور على أبوابهم ولا حجال في بيوتهم فربما فاجأ الرجل خادمه أو ولده أو يتيمه في حجره وهو علی أهله ، فأمرهم الله أن يستأذنوا في تلك العورات التي سمى الله ثم جاء الله بعد بالستور وبسط الله عليهم في الرزق فاتخذوا الستور واتخذوا الحجال فرأى الناس أن ذلك قد كفاهم من

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٣٦/٣

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٣٩/١١

الاستذان الذي أمروا به.

". (١)

"عن أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ببيتها على منامة له عليه كساء خيبري فجاءت فاطمة رضي الله عنها ببرمة فيها خزيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعي زوجك وابنيك حسنا وحسينا فدعتهم فبينما هم يأكلون اذ نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بفضله ازاره فغشاهم إياها ثم أخرج يده من الكساء وأومأ بها إلى السماء ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالها ثلاث مرات ، قالت أم سلمة رضي الله عنها : فادخلت رأسي **في الستر فقلت** : يا رسول الله وأنا معكم فقال : انك إلى خير مرتين.

وأخرج الطبراني عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : جاءت فاطمة رضي الله عنها إلى أبيها بثريدة لها تحملها في طبق لها حتى وضعتها بين يديه ، فقال لها أين ابن عمك قالت : هو في البيت ، قال : اذهبي فادعيه وابنيك فجاءت تقود ابنيها كل واحد منهما في يد وعلي رضي الله عنه يمشي في أثرهما حتى دخلوا على رسول." (٢)

"دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمنا عليها الخبز واللحم فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل يتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن : يا رسول الله كيف وجدت أهلك فما أدري أنا أخبرته ان القوم قد خرجوا أو أخبر فانطلق حتى دخل البيت فذهبت ادخل معه **فألقى الستر بيني** وبينه فنزل الحجاب ووعظ القوم بما وعظو به ﴿لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾.

وأخرج ابن سعد والحاكم عن محمد بن يحيى بن حيان رضي الله عنه قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت زيد بن حارثة يطلبه وكان زيد إنما يقال له زيد بن محمد فربما فقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجيء لبيت زيد بن حارثة يطلبه فلم يجده وتقوم اليه زينب بنت جحش زوجته فاعرض رسول الله

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١٠٤/١١

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٣٧/١٢

صلى الله عليه وسلم عنها فقالت : ليس هو ههنا يا رسول الله فادخل فأبى أن يدخل فأعجبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فولى وهو يهمهم بشيء لا يكاد يفهم منه إلا ربما." (١)

"القرآن ﴿وما يدريك﴾ فلم يخبره به وما كان ﴿ما أدراك﴾ فقد أخبره.

- قوله تعالى : وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا * ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا.

أخرج عبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن قتادة رضي الله عنه في قوله ﴿ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا﴾ أي رؤوسنا في الشر والشرك ﴿ربنا آتهم ضعفين من العذاب﴾ يعني بذلك جهنم.

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج رضي الله عنه في قوله ﴿سادتنا وكبراءنا﴾ قال : منهم أبو جهل بن هشام.

- قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها.

أخرج عبد الرزاق ، وعبد بن حميد والبخاري والترمذي ، وابن جرير وابن

المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه من طرف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى عليه السلام كا ن رجلا حييا ستيرا لا يرى من جلده شيء استحياء منه فاذاه من أذاه من بني اسرائيل وقالوا ما يستتر هذا الستر إلا من عيب بجلده ، اما برص واما أدرة وأما آفة وان الله أراد أن يبرئه مما قالوا وان موسى عليه السلام خلا يوما وحده فوضع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ." (٢)

"سقطت من القصعة ، فعل ذلك ثلاث مرات كل ذلك تقهقه السمكة وتضرب حتى تسقط من الخوان ، فأتى عالم بني إسرائيل فأخبره فقال : إنطلق فاذكر ربك وكل طعامك واخس الشيطان عنك فقال له : اخف الناس انطلق إلى إبنه فإنه أعلم منه فانطلق فأخبره فقال : ائتني بكل من في دارك ممن لم تر عورتهفأتاه فنظر في وجوههم ثم قال : اكشف عن هذه الحبشيه فكشف عنها فإذا مثل ذراع البكر فقال : من هذا أتيت ، فمات أبو الفتى العالم وهتك بهتكه ذلك الستر واحتاج إليه الناس فأتاه بني إسرائيل فقالوا ويحك ، أنت كنت أعلمناوأميننا ، فلما أن أكثروا عليه هرب منهم إلى أن بلغ إلى أقصى موضع بني إسرائيل من أرض البلقاء فأتيح له امرأة جميلة تستفتيه فقال لها : هل لك أن تمكنيني من نفسك وأهب لك مائة دينار قالت : أوخير من ذلك تجيء إلى أهلي تتزوجني واكون لك حلالا أبدا ، قال : فأين منزلك فوصفت

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٥٤/١٢

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١٥٠/١٢

له فطابت عليه تلك الليله ، فمضى فإذا هو بكلبة تنبح في بطنها جراؤها قال : ما أعجب هذا قيل له : امض ، لا تكونن مكلفا فسوف يأتيك خبر هذا فمضى فإذا هو برجل يحمل حجارة كلما ثقلت عليه وسقطت منه زاد عليها فقال له : أنت لا تستطيع تحمل هذا تزيد عليه قال :." (١)

"في قوله ﴿حتى توارت بالحجاب﴾ قال : حجاب من ياقوت أخضر محيط بالخلائق فمنه أخضرت السماء التي يقال لها السماء الخضراء وأخضر البحر من السماء فمن ثم يقال : البحر الأخضر.

وأخرج أبو داود عن عائشة رضي الله عنهما قالت : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أو خيبر فجئت فكشفت ناحية الستر عن بنات لعب لعائشة فقال : ما هذا يا عائشة قالت : بناتي ، ورأى بينهن فرسا لها جناحان من رقاع فقال : ما هذا الذي أرى وسطهن قالت : فرس له جناحان قال : وما هذا الذي عليه فقلت : جناحان قال : فرس له جناحان قالت : أما سمعت أن لسليمان عليه السلام خيلا لها أجنحة فضحك حتى رؤيت نواجذه.

وأخرج الفريابي ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم عن إبراهيم التيمي رضي الله عنه في قوله ﴿إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد﴾ قال : كانت عشرين ألف فرس ذات أجنحة فعقرها. ". (٢)

"وأسنمة وعن صلى وصناب وسلائق ولكني وجدت الله عير قوما بأمر فعلوه فقال ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾.

وأخرج أحمد والبيهقي في شعب الإيمان عن ثوبان رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر كان آخر عهده بإنسان من أهله فاطمة وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة فقدم من غزاة فأتاها فإذا بمسح على بابها ورأى على الحسن والحسين قلبين من فضة فرجع ولم يدخل عليها فلما رأت ذلك فاطمة ظنت أنه لم يدخل من أجل ما رأى فهتكت الستر ونزعت القلبين من الصبيين فقطعتهما فبكى الصبيان فقسمته بينهما فانطلقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما يبكيان فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم منهما فقال : يا ثوبان اذهب بهذا إلى بني فلان أهل بيت بالمدينة واشتر لفاطمة قلادة من عصب وسوارين." (٣)

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٢٤٧/١٢

(٢) الدر المنثور في التفسيـر بالمأثور للسيوطي، ٥٦٩/١٢

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٣٣٣/١٣

"وأخرج الدارقطنى والآجري واللالكائي والبيهقي عن الحسن في الآية قال : النضرة الحسن نظرت إلى ربها فنضرت بنوره.

وأخرج ابن جرير عن الحسن ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ يقول : حسنة ﴿إلى ربها ناظرة﴾ قال : تنظر إلى الخالق.

وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة في قوله : ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ قال : مسرورة ﴿إلى ربها ناظرة﴾ قال : انظر ما أعطى الله عبده من النور في عينيه أن لو جعل نور أعين جميع خلق الله من الإنس والجن والدواب وكل شيء خلق الله فجعل نور أعينهم في عيني عبد من عباده ثم كشف عن الشمس سترا واحدا ودونها سبعون سترا ما قدر على أن ينظر إلى الشمس والشمس جزء من سبعين جزءا من نور الكرسي والكرسي جزء من سبعين جزءا من نور العرش والعرش جزء من سبعين جزءا من **نور الستر** ، قال عكرمة : انظروا ماذا أعطى الله عبده من النور في عينيه أن نظر إلى وجه الرب الكريم عيانا.

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله : ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ قال : تنظر إلى وجه ربها.

وأخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله : ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ قال : ينظرون إلى ربهم بلا كيفية ولا حد محدود ولا صفة معلومة.

(١) ".

" صفحة رقم ١٩

قال الحرالي : (المغضوب عليهم (الذين ظهر منهم المراغمة وتعمد الخالفة فيوجب ذلك الغضب من الأعلى والبغض من الأدنى .

) الضالين (الذين وجهوا وجهة هدى فزاغوا عنها من غير تعمد لذلك .

(أمين كلمة عزم من الأمن ، مدلولها أن المدعو مأمون منه أن يرد من دعاه لأنه لايعجز شيء ولا ينعمه وهي لا تصلح إلا لله لأن ما دونه لاينفك عن عجز أو منع انتهى وهو صوت سمي به الفعل الذي هو استجب وقد انعطف المنتهى على المبتدأبمراقبة القسم الأول اسم الله فحازوا ثمرة الرحمة وخالف هذان القسمان فكانوا من حزب الشيطان فأخذتهم النقمة ، وعلم أن نظم القرآن على ما هو عليه معجز ، ومن ثم اشتراط في الفاتحة في الصلاة لكونها واجبة في الترتيب ، فلو قدم فيها أو أخر لم تصح الصلاة وكذا لو أدرج فيها ما ليس منها للاخلال بالنظم .

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١١١/١٥

قال الأصبهاني : فإن القرآن معجز والركن الأبين الإعجاز يتعلق بالنظم والترتيب. انتهى. والحاصل أنه لما رفعت نلك الصفات العلية لمخاطبها الحجب وكشفت له بسمو مجهدها وعلو جدها وشرف حمدها **جلائل الستر وأشرقت** به رياض الكرم ونشرت له لطائف عواطفها بسط البر والنعم ثم اخترقت به مهامه العظمة والكبرياء وطوت في تيسيرها له مفاوز الجبروت والعز وأومضت له بوارق النقم من ذلك الجناب الشم وصل إلى مقام الفناء عنالفني وتمكن في رتبة شهود البقاء للباقي فبادر الخضوع له عن السوى حاكماعلى الأغيار بما لها منة ذواتها من العدم والتوى فقال : (إياك نعبد (وفي تلك الحال تحقق العجز عن توفية ذلك المقام ما له من الحق فقال : (وإياك نستعين (فكشف له الشهود في حضرات العبود عن طرق عديدة ومنازل سامية بعيدة ورأى أحولا جمة وأودية مدلهمة وبحارامغرقة وأنوالراهادية وأخرى محرقة ، ورأى لكل أهلاقد أسلكوا فجاء تارة وأخرى سهلاوعلم أن إلا بهدايته ولا ععمة بغير عنايته ولا سعادة إلا برحمته ولا سلامة لغيرأهل نعمته ؛ فلما أشرف وستنار وعرف مواقع الأسرار بالأقدار كأنه قيل له : ماذا تطلب وفي أي مذهب تذهب ؟ فقال : (اهدنا الصراط المستقيم (."(١)

" صفحة رقم ٨٦

والثالث الإعلام بماضي أمر الله جمعا للهمم للجد والانكماش في عبادة الله ، والرابع التبصير ببواطن كائن الوقت الذي في ظاهره إعلامه ؛ فكان أول التنزيل في هذه السورة أمر أول يوم من ذكر الله وهو كتب مقتضى العلم والقدرة في قسمه تعالى عباده بين مؤمن وكافر ومنافق ، ثم أنزل الخطاب إلى آية الدعوة من وراء **حجاب الستر بسابق** التقدير فعم به الناس ونبههم على آيات ربوبيته وحيا أوحاه الله منه إليه ، ثم عطف على ذلك إعلاما لابتداء المفاوضة في خلق آدم عطفا على ذلك الذي يعطيه إفهام هذا الإفصاح ، فلذلك قال تعالى) وإذ (فإن الواو حرف يجمع ما بعده مع شيء قبله إفصاحا في اللفظ أو إفهاما في المعنى ، وإنما يقع ذلك لمن يعلو خطابه ولا يرتاب في إبلاغه ، وإذ اسم مبهم لما مضى من الأمر والوقت ،) قال (من القول وهو إبداء صور الكلم نظما بمنزلة ائتلاف الصور المحسوسة جمعا ، فالقول مشهود القلب بواسطة الأذن ، كما أن المحسوس مشهود القلب بواسطة العين وغيره .

ثم قال : لما أنبأ الله عز وجل نبيه (صلى الله عليه وسلم) بما في الذكر من التقدير الذي هو خبء الشرعة ونظم به ما أنزل من دعوة الخلق غلى حكمه فانتظم ذلك رتبتي أمر نظم تعالى بذلك إنزال ذكر خلق معطوفا على ذكر خلق أعلى رتبة منه ، نسبته منه كنسبة الدعوة من خبئها ، فذكر خلق آدم ظاهر

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١٩/١

خبء ما عطف عليه وهو والله أعلم ذكر خلق محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي هو خبء خلق آدم ، فكأنه تعالى أعلم نبيه (صلى الله عليه وسلم) بأمر خلقه له بدء وحي سر ثم أعلن بما عطف عليه من ذكر خلق آدم وحي علن ليكون أمر خلق محمد (صلى الله عليه وسلم) عند الخاصة فهما كما كان أمر خلق آدم عند العامة إفصاحا ؛ وكان المفهوم : اذكر يا محمد إذ كان في خلقك كذا وإذ قال : (ربك) أي المحسن إليك برحمة العباد بك الذي خبأك في إظهار خلق آدم) للملائكة (ما أنزل ، وتأويل الملائكة عند أهل العربية أنه جمع ملاك مقلوب من مألك من الألك وهي الرسالة ، فتكون الميم زائدة ويكون وزنه معافلة ، ويكون الملك من الملك وهو إحكام ما منه التصوير ، من ملكت العجين ، وجمعه أملاك ، تكون فيه الميم أصلية ، فليكن اسم ملائكة جامعا للمعنيين منحوتا من الأصلين ، فكثيرا ما يوجد ذلك في أسماء الذوات الجامعة كلفظ إنسان بما ظهر فيه من أنه من الأنس والنسيان معا ، وهو وضع للكلم على مقصد أفصح وأعلى مما يخص به اللفظ معنى واحدا ، فللكلام رتبتان : رتبة عامة ورتبة خاصة أفصح وأعلى كلما وكلاما .

قال : وفيه أي هذا الخطاب مع ذلك استخلاص لبواطن أهل الفطانة من أن تعلق بواطنهم بأحد من دونه حين أبدى لهم انفراده بإظهارهم خلقا دون ملائكته الأكرمين ، حتى لا تعلق قلوبهم بغيره من أهل الاصطفاء فكيف بمن يكون في محل البعد." (١)

" صفحة رقم ١٦١

الحجارة كلام العهد وهو العشر الآيات ، فلما هبط موسى من جبل سيناء كان لوحا الشهادة في يده ولم يعلم موسى أن بشرة وجهه قد جللت بالبهاء إذ كلمه الله فنظر هارون وجميع بني إسرائيل إلى وجه موسى ففزعوا أن يقتربوا إليه ، فدعاهم فأتاه هارون وجميع عظماء الجماعة وكلمهم موسى ، فلما فرغ من كلامه لهم بسط على وجهه جلبابا وكان إذا دخل إلى الرب ليكلمه يسفر عن وجهه حتى يخرج ، وكان يخرج فيأمر بني إسرائيل بما يؤمر به ، وقال لهم : إن الرب أمر أن تعمل عملك ستة ايام واليوم السابع يكون مخصوصا مقدسا ، السبت يوم راحة قدس الرب ، ومن عمل فيه عملا فليقتل ، ولا تشعلوا النار في جميع مساكنكم يوم السبت ، ثم أمرهم تعالى بالزكاة من الذهب والفضة والنحاس والقز والجلود وغير ذلك وبأشياء يزيدونها في قبة الزمان في أكثر من عشر ورقات ، وقال في آخر ذلك : وقال الرب لموسى : أنصب قبة الزم ا ن في أول يوم من الشهر الأول ؛ وصير تابوت الشهادة هنالك ، وأسبل الجلال على التابوت – إلى

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٨٦/١

أن قال : وادن بهارون وبنيه إلى باب قبة الأمد واغسلهم بالماء ، والبس هارون لباس القدس وامسحه فليكهن لي ، وادن بنيه وألبسهم السراويل وامسحهم كما مسحت هارون أخاك فليكهنوا لي ، وليكن لهم مسحهم للكهنوت إلى الأبد لأحقابهم ، فصنع موسى كما أمره الله ، فلما كان أول يوم من الشهر الأول من السنة الثانية نصب القبة يوم الأحد وضرب أوتادها وركب ألواحها وزرفن عوابرها وركز أعمدتها وستر الستر على القبة وجللها من فوقها كما أمر الرب ، وتناول الشهادة فوضعها في التابوت ، وصير الدهوق في التابوت ، ووضع التطهير على التابوت من فوق ، وأدخل التابوت إلى القبة ، وأخذ حجاب وجه الباب فجلل تابوت الشهادة كما أمر الرب ، ونصب المنارة عند حافات القبة مما يلي مهب الشمال خارجا من الحجاب ، ونضد عليها صفوف الخبز بين يدي الرب كما أمر الرب موسى ، ونصب المنارة إزاء المائدة في حافات القبة مما يلي مهب الجنوب ، ودلوا مصابيحها قدام الرب كما أمر الرب موسى ، ونصب مذبح الذهب في قبة الزمان خارجا من الحجاب ، وبخر عليه بخور الطيب كما أمر الرب ، وأسبل الستر على باب القبة ، ونصب مذبح القرابين على الباب ، وقرب عليه القرابين كما أمر الرب ، ووضع السطل بين قبة الزمان والمذبح وسكب عليه ماء الغسل ، وكان هارون وبنوه يغسلون أيديهم وأقدامهم إذا أرادوا الدخول إلى قبة الزمان ، وكانوا إذا دنوا من المذبح يغسلون أيضا كما أمر البرب موسى ، ونصب دارا تحيط بالقبة والمذبح ، وأسبل الستر على باب الدار ، وكمل موسى عملها ؛ وتغشت السحابة قبة الزمان وامتلأت القبة مجد الرب وكرامته ، ولم يقدر موسى على الدخول إلى قبة الزمان ، لأن السحاب حلت عليها .." (١)

" صفحة رقم ٥٠٤

نفس الإحياء ربما خفيت أو طالت رأى أن يعجل إبهاته مع بيان حقارته بما هو أجلى من ذلك ، وفيه أنه دون ما ادعاه بمراتب لأن الإحياء إفاضة الروح على صورة بعد أيجادها من العدم بأن) قال إبراهيم (وقال الحرالي : ولما كان من حسن الاحتجاج ترك المراء بمتابعة الحجة الملبسة كما قال تعالى

٧٧ ( ) فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا ( ) ٧

[الكهف : ٥٣] نقل المحاج من الحجة الواقعة في الأنفس إلى الحجة الواقعة في الآفاق بأعظم كواكبها الشمس

٧٧ ( ) سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ( ) ٧

[فصلت : ٥٣] ففي ظاهر الاحتجاج انتقال وفي طيه تقرير الأول لأن الروح شمس البدن فكأنه ضرب

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١٦١/١

مثل من حيث إن الإحياء إنما هو أن يؤتى بشمس الروح من حيث غربت فكان في ظاهر واستقبال حجة قاطعة باطنه تتميم للحجة الأولى قال تعالى : (فإن (بالفاء الرابطة بين الكلامين إشعارا لتتمة الحجة الأولى بالحجة الثانية – انتهى .

أي تسبب عن دعواك هذه أو أقول لك : إن) الله (بما له من العظمة والجلال باستجماع صفات الكمال) يأتي بالشمس) أي وهو الذي أوجدها) من المشرق) أي في كل يوم من قبل أن توجد أنت بدهور) فأت بها (أنت) من المغرب (ولو يوما واحدا .

قال الحرالي : إظهارا لمرجع العالم بكليته إلى واحد ، وأن قيوم الإنسان في الإحياء والإماتة هو قيوم الآفاق في طلوع الشمس وغروبها ، وفي لحنه إشعار بأن الله سبحانه وتعالى لا بد وأن يأتي بالشمس من المغرب ليكون في ذلك إظهار تصريفه لها حيث شاء حتى يطلعها من حيث غربت كما يطلع الروح من حيث قبضت ليكون طلوع الشمس من مغربها آية مقاربة قيام الساعة وطلوع الأرواح من أبدانها – انتهى .

) فبهت (قال الحرالي : من البهت وهو بقاء الشيء على حاله وصورته لا يتغير عنها لأمر يبهره وقعه أي فتسبب عن ذلك أنه بهت) الذي كفر) أي حصل له الكفر لتلك الدعوى التي لزمه بها إنكاره لاختصاصه سبحانه وتعالى بالقدرة على ذلك وادعاؤه لنفسه الشركة ، فبين له الخليل عليه الصلاة والسلام بهذا المثال أنه عاجز عن تحويل صورة صورها الله سبحانه وتعالى ووضعها في دهة إلى غير تلك الجهة فكيف له بأن يوجد صورة من العدم فكيف ثم كيف بإفاضة الروح عليها فكيف بالروح الحساسة فكيف بالروح الناطقة وسيأتي لهذا الشأن في سورة الشعراء مزيد بيان ، فيالله ما أعلى مقامات الأنبياء وما أصفى بصائرهم وما أسمى درجاتهم وأزكى عناصرهم عليهم أجمعين مني أعظم الصلاة والسلام وأعلى التحية والإكرام .

وقال الحرالي : فعرفه أ في قوله : (كفر (بوصفه من حيث دخل عليه البهت منه – انتهى .

أي لأنه ستر ما سعلمه من عجز نفسه وقدرة خالقه ، فكشف سبحانه وتعالى بلسان خليله (صلى الله عليه وسلم) **الستر الذي** أرخاه كشفا واضحا وهتكه بعظيم البيان هتكا فاضحا .." (١)

" صفحة رقم ١١

ولما علم بذلك أمر القيوم سبحانه وتعالى بالحق وهو الإيمان علم أن لمخالفي أمره من أضداد المؤمنين الموصوفين وهم الكفرة المدعو بخذلانهم المنزل الفرقان لمحو أديانهم الويل والثبور ، فاتصل بذلك بقوله : (إن الذين كفروا) أي غطوا ما دلتهم عليه الفطرة الأولى التي فطرهم الله سبحانه وتعالى عليها ، ثم ما

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١/٥٠٤

بينت لهم الرسل عليهم الصلاة والسلام عنه سبحانه وتعالى من البيان الذي لا لبس معه) بآيت الله (المستجمع لصفات الكمال إقبالا منهم على ما ليس له أصلا صفة كمال ، وهذا الكفر كما قال الحرالي دون الكفر بأسماء الله الذي هو دون الكفر بالله ، قال : فكما بدأ خطاب التنزيل من أعلاه نظم به ابتداء الكفر من أدناه انتهى .

) لهم عذاب شديد (كما تقتضيه صفتا العزة والنقمة ، وفي وصفه بالشدة إيذان بأن من كفر دون هذا الكفر كان له مطلق العذاب .

قال الحرالي : ففي إشعاره أن لمن د ا خله كفر ما حط بحسب خفاء ذلك الكفر ، فأفصح الخطاب بالأشد وألاح بالأضعف انتهى .

والآية على تقدير سؤال ممن كأنه قال : ماذا يفعل بمن أعرض عن الكتب الموصوفة ؟ أو يقال : إنه لما قال :

٧٧ ( ) وأنزل الفرقان ( ) ٧

[آل عمران : ٤] أي الفارق بين الحق والباطل من الآيات والأحكام عليك وعلى غيرك من الأنبياء لم يبق لأحد شبهة فقال : وأحسن من ذلك كله أنه سبحانه وتعالى ولما أنزل سورة البقرة على طولها في بيان أن الكتاب هدى للمتقين ، وبين أن أول هذه وحدانيته وحياته وقيوميته الدالة على تمام العلم وشمول القدرة ، فأنتج ذلك صدق ما أخبر به سبحانه وتعالى ، أيد ذلك بالإعلام بأن ذلك الكتاب مع أنه هاد اليه حق ، ودل على ذلك لمصادقته لما قبله من الكتب .

ولما ختم أوصافه بأنه فرقان لا يدع لبسا ولا شبهة أنتج ذلك قطعا أن الذين قدم أول تلك أنهم أصروا على الكفر به خاسرون ، فأخبر سبحانه وتعالى ب‍ما أعد لهم من العذاب فقال : (إن الذين (مؤكدا مظهرا لما كان من حقه الإضمار ، لولا إرادة تعليق الحكم بالوصف وهو الكفر **أي الستر لما** تفضل عليهم به من الآيات ؛ ثم قرر قدرته على ما هدد به وعبر به فقال : عاطفاعلى ما أرشد السياق مع العطف على غير مذكور إلى أنه : فالله سبحانه وتعالى عالم بما له من القيومية بجميع أحوالهم : (والله) أي الملك العظيم مع كونه رقيبا) عزيز (لا يغلبه شيء وهو يغلب كل شيء) ذو انتقام) أي تسلط وبطش شديد بسطوة . قال الحرالي : فأظهر وصف العزة موصولا بما أدام من انتقامه بما يعرب عنه كلمة ذو المفصحة بمعنى

صحبة ودوام ، فكأن في إشعاره دواما لهذا الانتقام بدوام أمر الكتاب الجامع المقابل علوه لدنو هذا الكفر ، وكان في طي إشعار الانتقام أحد قسمي إقامة اليومية في طرفي النقمة والرحمة ، فتقابل هذان." (١)
" صفحة رقم ١٧١
استزلهم) أي طلب زللهم عن ذلك المقام العالي) الشيطان) أي عدوهم البعيد من الرحمة المحترق باللعنة) ببعض ما كسبوا) أي من الذنوب التي لا تليق بمن طلب الدنو إلى حضران القدس ومواطن الأنس من ترك المركز والإقبال على الغنيمة وغير ذلك ، فإن القتال في الجهاد إنما هو بالأعمال ، فمن كان أصبر في أعمال الطاعة كان أجلد على قتال الكفار ، ولم يكن توليهم عن ضعف في نفس الأمر .
ولما كان ذلك مفهما أن الذين تولوا صاروا من حزب الشيطان فاستحقوا ما استحق ألصق به قوله : (ولقد عفا الله) أي الذي له صفات الكمال) عنهم (لئلا تطير أفئدة المؤمنين منهم ، وختم ذلك ببيان علته مما هو أهله من الغفران والحلم فقال معيدا للاسم الأعظم تنبيها على أن الذنب عظيم والخطر بسببه جسيم ، فلولا الاشتمال على جميع صفات الكمال لعوجلوا بأعظم النكال : (إن الله غفور) أي محاء للذنوب عينا وأثرا .
ولما كان الغفر قد يكون مع تحمل نفاه بقوله : (حليم) أي حيث لم يعامل المتولين حذر الموت معاملة الذين خرجوا من ديارهم – كما تقدم – حذر الموت ، فقال لهم الله : موتوا .
ولما كان قولهم : إنا لو ثبتنا في المدينة الممثلة بالدرع الحصينة – (كما كان رأي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والأكابر من أصحابه) لسلمنا ، إلى غير ذلك مما أشار سبحانه وتعالى إليه قولا موجبا لغيظ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .
لما فيه من الاتهام وسوء العقيدة ، وكان مع ذلك مظنة لأن يخدع كثيرا من أهل الطاعة لشدة حبهم لمن قتل منهم وتعاظم أسفهم عليهم .
كان أنسب الأشياء المبادرة إلى الوعظ بما يزيل هذا الأثر ، ولما كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) مؤيدا بأعظم الثبات لما طبع عليه من الشيم الطاهرة والمحاسن الظاهرة كان الأنسب البداءة بغيره ، فنهى الذين آمنوا عن الانخداع بأقوالهم فقال تعالى : (يأيها الذين آمنوا) أي أظهروا الإقرار بالإيمان صدقوا قولكم بأن) لا تكونوا كالذين كفروا) أي بقلوبهم على **وجه الستر**) وقالوا) أي ما فضحهم) لإخوانهم) أي لأجل إخوانهم الأعزة عليهم نسبا أو مذهبا) إذا ضربوا) أي سافروا مطلق سفر) في الأرض) أي

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١١/٢

لمتجر غاز ، فماتوا أو قتلوا) لو كانوا عندنا (ي لم يفارقونا) ما ماتوا وما قتلوا (وهذا في غاية التهكم بهم ، لأن إطلاق هذا القول منهم – لا سيما على هذا التأكيد – يلزم منه ادعاء أنه لا يموت أحد في المدينة ، وهو لا يقوله عاقل .." (١)

" صفحة رقم ٤٠٩

لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سوآء السبيل) ٧٣

( ) ٧١

ولما أمر سبحانه ونهى ، بشر وحذر فقال : (وعد الله) أي الملك الذي له الكمال المطلق فله كل شيء) الذين آمنوا) أي أقروا بالإيمان بألسنتهم) وعملوا (تصديقا لهذا الإقرار) الصالحات (وترك المفعول الثاني أقعد في باب البشارة ، فإنه يحتمل كل خير ، وتذهب النفس في تحريزه كل مذهب .

ولما كان الموعود في صيغة دالة على الثبات والاختصاص : (لهم مغفرة) أي لما فرط منهم لما طبع الإنسان عليه من النقص نسيانا أو عمدا ، بعمل الواجبات إن كان صغيرة ، وبالتوبة إن كان كبيرة ، وفيه إشارة إلى أنه لا يقدر أحد أن يقدر الله حق قدره ؛ ولما أمنهم بالتجاوز أتبعه الجود بالعطاء فقال) وأجر) أي على قدر درجاتهم من حسن العمل) عظيم) أي لا يدخل تفاوت درجاته تحت الحصر .

ولما قدم الوعد لأنه في سورة الذين آمنوا أتبعه الوعيد لأضدادهم ، وهو أعظم وعد لأحبابه المؤمنين أيضا فقال : (والذين كفروا) أي غطوا ما اتضح لعقولهم من أدلة الوحدانية) وكذبوا) أي زيادة على الستر بالعناد : (بآياتنا (على ما لها من العظمة في أنفسها وبإضافتها إلينا) أولئك) أي البغضاء البعداء من الرحمة خاصة) أصحاب الجحيم) أي النار التي اشتد توقدها فاشتد احمرارها ، فلا يراها شيء إلا أحجم عنها ، فهم يلقون فيها بما أقدموا على ما هو أهل للإحجام عنه من التكذيب بما لا ينبغي لأحد التكذيب به ، ثم يلازمونها فلا ينفكون عنها كما هو شأن الصاحب .

ولما اكن من الأجر ما يحصل من أسباب السعادة في الدنيا ، قال تعالى ذاكرا لهم بعض ذلك مذكرا ببعض ما خاطبهم به ليقدموا على مباينة الكفرة يقفوا عند حدوده كائنة ما كانت : (ياأيها الذين آمنوا) أي صدقوا بالله ورسوله وكتابه) اذكروا نعمت الله) أي الذي أحاط بكل شيء قدرة وعلما) عليكم (عظمها بإبهامها ، ثم زادها تعظيما بالتذكير بوقتها فقال : (إذ) أي حين) هم قوم) أي لهم قوة ومنعه وقدرة على ما

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١٧١/٢

يقومون فيه) أن يبسطوا إليكم أيديهم) أي بالقتال والقتل ، وهو شامل .
مع ذكر من أسباب نزوله – لما اتفق صبيحة ليلة العقبة من أن قريشا تنطست الحبر عن البيعة ، فلما صح عندهم طلبوا أهل البيعة ففاتوهم إلا أنهم أدركوا سعد بن عبادة بأذاخر ، والمنذر بن." (١)

" صفحة رقم ٤٤٨

ولما كانت السوءة **واجبة الستر** ، وكان الميت يصير بعد موته كله سوءة ، قال منبها على ذلك وعلى أنها السبب في الدفن بالقصد الأول : (سوءة) أي فضيحة) أخيه) أي أخي قابيل وهو هابيل المقتول ، وصيغة المفاعلة تفيد أن الجثة تريد أن يكو القاتل وراءها ، والقاتل يريد كون الجثة وراءه ، فيكونان بحيث لا يرى واحد منهما الآخر ، ولعل بعث الغراب إشارة إلى غربة القاتل باستيحاش الناس منه وجعله ما ينفر عنه ويقتله كل من يقدر عليه ، ومن ثم سمى الغراب البين ، وتشاءم به من يراه .
ولما كان كأنه قيل : إن هذا لعجب ، فما قال ؟ قيل : (قال (الكلمة التي تستعمل عند الداهية العظيمة لما نبهه ذلك ، متعجبا متحيرا متلهفا عالما أن الغراب أعلم منه وأشفق ، منكرا على نفسه) ياويلتي) أي احضرني يا ويل هذا أوانك أن لا يكون لي نديم غيرك ؛ ولما تفجع غاية الفجيعة وتأسف كل الأسف ، أنكر على نفسه فقال : (أعجزت) أي مع ما جعل لي من القوة القاطعة) أن أكون (مع ما لي من الجوارح الصالحة لأعظم من ذلك) مثل هذا الغراب (وقوله مسببا عن ذلك : (فأواري سوءة) أي عورة وفضيحة) أخي (نصب عطفا على أكون لا على جواب الاستفهام ، لأنه إنكاري فمعناه النفي ، لأنه لم تكن وقعت منه مواراة لينكر على نفسه ويوبخها بسببها ، ولو كانت وقعت لم يصح إنكارها على تقدير عدم العجز الذي أفادته الهمزة) فأصبح (بسبب قتله) من النادمين) أي على ما فعل ، لأنه فقد أخاه وأغضب ربه وأباه ، ولم يفده ذلك ما كان سبب غيظه ، بل زاده بعدا ، وذكر أن آدم عليه السلام لما علم قتله رثاه بشعر ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما رد ذلك ، وأن الأنبياء عليهم السلام كلهم في النهي عن الشعر سواء ، وقال صاحب الكشاف : وقد صح أن الأنبياء معصومون من الشعر ، (ولا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم هذا كفل من دمها بمن سن) رواه مسلم وغيره عن عبد الله ، وكذا (كل من سن سنة سيئة) ولهذا قال عليه السلام (إن." (٢)

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٠٩/٢

(٢) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٤٨/٢

" صفحة رقم ٤٧٤

بكمال الفسق ، فإن كان تدينا كان كفرا ، وإن كان لاتباع الشهوات كان مجرد معصية ، لأن الحظوظ والشهوات تحمل على الخروج عن دائرة الشرع مرة بعد أخرى ، فمن ترك الحكم تكذيبا فقد جمع الدركات الثلاث : ستر الدلائل فتنقل من درجة النور إلى دركة الظلام ، فانكب في مهواة الخروج من المحاسن ، فانحط إلى أقبح المساوي ؛ والتعبير بالوصف المؤذن بالعرافة في مأخذ الاشتقاق معلم بأن المراد بكل واحد منها الكفر ، فحق أن المراد منه الشرعي لا **مطلق الستر غاية** التحقيق ، فبين بوصفه بالظلم أنه ستر لما ينبغي إظهاره ، وبالفسق أنه بلغ في كونه في غير موضعه النهاية حتى خرق جميع دائرة المأذون فيه فخرج منها ، وهذا إشارة إلى ذنوب أهل الإنجيل لينتج نقض دعواهم البنوة والمحبة ، لأن المعنى : ومن الواضح بكتابك الذي جعل مهيمنا على جميع الكتب أنهم خالفوا أحكامه فهم فاسقون ، أي خارجون عما من شأنه الاستقرار فيه لنفعه ، فواقعون في الظلمة الموجبة لوضع الشيء في غير موضعه المقتضية للتغطية والستر ، وقدم الوصف بالكفر لأن السياق لمن حرف الكلم عن موضعه ، وغير ما كتب من محكم أحكام التوراة من الحدود ، وذلك هو التغطية التي هي معنى الكفرن لأنه من الظلام ، كما أن الفسق سبب الظلم لأنه الخروج عما من شأنه النفع ، فكان الآخر أولا في المعنى والأول نهاية في الحقيقة ، والآية دالة على أن فيه أحكاما ، وكذا قوله تعالى في آل عمران :

٧٧ ( ) ولأحل الكم بعض الذي حرم عليكم ( ) ٧

[آل عمران : ٥] ، وهذا هو الحق ، وأعظم ما غير تحريم السبت الذي كان أعظم شعائرهم فأحله ، وغير أيضا غير ذلك من أحكامهم ؛ قال فيما رأيته من ترجمة إنجيل متى : سمعتم ما قيل للأولين : لا تقتل ، فإن من قتل وجبت عليه لائمة الجماعة ، ومن قال لأخيه : أحمق ، فقد وجبت عليه نار جهنم ، إن أنت قدمت قربناك على المذبح وذكرت هناك أن أخاك واجد عليك فدع قربانك هناك قدام المذبح ، وامض أولا وصالح أخاك ، وحينئذ فائت وقدم قربانك ، كن متفهما من خصمك سريعا ما دمت مع في الطريق ، لئلا يسلمك الخصم إلى الحاكم ، والحاكم إلى المستخرج وتلقى في السجن ؛ وفي إنجيل لوقا : إذا رأيتم سحابة تطلع من المغرب قلتم : إن المطر يأتي ؛ فيكون كذلك ، وإذا هبت ريح الجنوب قلتم : سيكون حر ، يا مراؤون تحسنون تمييز وجه السماء والأرض وهذا الزمان كيف لا تميزونه ، ولا تحكمون بالصدق من قبل نفوسكم لأنك إذا ذهبت مع خصمك إلى الرئيس فأعطه ما يجب عليك في الطريق تتخلص منه ، لئلا يذهب بك إلى الحاكم فيدفعك الحاكم إلى المستخرج ويلقيك المستخرج في السجن ؛ وقال متى

: الحق الحق أقول لك إنك لا تخرج من هناك حتى تؤدي آخر فلس عليك ، سمعتم ما قيل للأولين :." (١)

" صفحة رقم ٦٤٤

عنده وهم فيما نرى من الحقارة) من بيننا (فالآية ناظرة إلى ما يأتي في هذه السورة من قوله تعالى)) حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله ( ) [الأنعام : ١٢٤] .

ولما كان الإنكار لا يسوغ إلا مع نهاية العلم بمراتب المفضلين ، وأن المفضل لا يستحق التفضيل من الوجه المفضل به ، أنكر إنكارهم بقوله : (أليس الله) أي الذي له جميع الأمر ، فلا اعتراض عليه) بأعلم بالشاكرين) أي الذين يستحقون أن يفضلوا لشكرهم على غيرهم لكفرهم .

الأنعام : (٥٤ - ٥٦) وإذا جاءك الذين. .. . .

) وإذا جآءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهوآءكم قد ضللت إذا ومآ أنا من المهتدين (( )

ولما نهاه (صلى الله عليه وسلم) عن طردهم ، علمه كيف يلاطفهم فقال عاطفا على ما تقديره : وإذا جاءك الذين يحتقرون الضعفاء من عبادي فلا تحفل بهم : (وإذا جاءك (وأظهر موضع الإضمار دلالة على الوصف الموجب لإكرامهم وتعميما لغيرهم فقال : (الذين يؤمنون) أي هم أو غيرهم أغنياء كانوا أو فقراء ، وأشار بمظهر العظمة إلى أنهم آمنوا بما هو جدير بالإيمان به فقال : (بآياتنا (على ما لها من العظمة بالنسبة إلينا) فقل) أي لهم بادئا بالسلام إكراما لهم وتطييبا لخواطرهم) سلام عليكم) أي سلامة مني ومن الله ، ونكره لما يلحقهم في الدنيا من المصائب ؛ ثم علل ذلك بقوله : (كتب ربكم) أي المحسن إليكم) على نفسه الرحمة (ثم علل ذلك بقوله واستأنف بما حاصله أنه علم من الإنسان النقصان ، لأنه طبعه على طبائع الخسران إلا من جعله موضع الامتنان فقال : (أنه من عمل منكم سوءا) أي أي سوء كان ملتبسا) بجهالة) أي بسفه أو بخفة وحركة أخرجته عن الحق والعلم حتى كان كأنه لا يعلم شيئا) ثم تاب) أي رجع بالندم والإقلاع وإن طال الزمان ، ولذا أدخل الجار فقال : (من بعده) أي بعد ذلك العمل) وأصلح (بالاستمرار على الخير) فإنه) أي ربكم بسبب هذه التوبة يغفر له لأنه دائما) غفور) أي بالغ الستر والمحو لما كان من ذلك) رحيم (يكرم من تاب هذه التوبة بأن يجعله كمن أحسن بعد

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٢/٤٧٤

أن جعله بالغفر كمن لم يذنب ، ومن أصر وأفسد فإنه يعاقبه ، لأنه عزيز حكيم ، وربما كانت الآية ناظرة إلى ما قذفهم به المشركون من عدم الإخلاص ، ويكون حينئذ مرشحا لأن المراد بالحساب المحاسبة على الذنوب .." (١)

" صفحة رقم ٦٥٩

من الأرضية ، فإذا بطلت صلاحيتها للإلهية بطلت الأرضية من باب الأولى ؛ نصب لهم الحجاج في أمرها ، فقال مسببا عن الإراءة المذكورة : (فلما جن) أي ستر وأظلم ، وقصره - وإن كان متعديا - دلالة على شدة ظلام تلك الليلة ، ولذلك عداه بأداة الاستعلاء فقال : (عليه اليل) أي **وقع الستر عليه** ، فحجب ملكوت الأرض فشرع ينظر في ملكوت السماء) رأى كوكبا) أي قد بزغ ، فكأنه قيل : فماذا فعل ؟ فقيل : (قال هذا ربي (فكأنه من بصره أن أتى بهذا الكلام الصالح لأن يكون خبرا واستفهاما ، ليوهمهم أنه مخبر ، فيكون ذلك انفى للغرض وأنجى من الشعب ، فيكون أشد استجلابا لهم إلى إنعام النظر وتنبيها على موضع الغلط وقبول الحجة ، ولمثل ذلك ختم الآية بقوله : (فلما أفل) أي غاب بعد ذلك الظهور الذي كان آية سلطان) قال لا أحب الآفلين (لأن الأفول حركة ، والحركة تدل على حدوث المتحرك وإمك ا نه ، ولا نظن أن يظن به أنه قال ما قاله أولا عن اعتقاد ربوبية الكواكب ، لأن الله تعالى قد دل على بطلان هذا التوهم بالإخبار بأنه أراه ملكوت الخافقين وجعله موقنا ، فاسند الأمر إلى نفسه تنبيها لهم ، واستدل بالأفول لأن دلالته لزوال سلطانه وحقارة شأنه اتم ، ولم يستدل بالطلوع لأنه - وإن كان حركة دالة على الحدوث والنقصان - شرف في الجملة وسلطان ، فالخواص يفهمون من الأفول الإمكان ، والممكن لا بد له من موجد واجب الوجود ، يكون منتهى الآمال ومحط الرحال)) وأن إلى ربك المنتهى ( ) [النجم : ٤٢] والأوساط يفهمون منه الحدوث للحركة ، فلا بد من الأستناد إلى قديم ، والعوام يفهمون أن الغارب كالمعزول لزوال نوره وسلطانه ، وأن ما كان كذلك لا يصلح للإلهية ، وخص الأفول أيضا لأن قومه الفرس كانوا منجمين ، ومذهبهم أن الكوكب إذا كان صاعدا من المشرق إلى وسط السماء كان قويا عظيم التأثير ، فإذا كان نازلا إلى المغرب كان ضعيف الأثر ، والإله هو من لا يتغير ، وهذا الاستدلال برهان في أن أصل الدين مبني على الحجة دون التقليد .

الأنعام : (٧٧ - ٨٢) فلما رأى القمر. .. . . .

) فلمآ رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلمآ أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٦٤٤/٢

الشمس بازغة قال هذا ربي هذآ أكبر فلمآ أفلت قال يقوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا ومآ أنا من المشركين وحآجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هداني ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشآء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون وكيف أخاف مآ أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون (( )." (١)

" صفحة رقم ٧١٥

المؤنسين الظاهرين حتى صار أكثرهم أتباعكم ، فالآية من الاحتباك : عبر بما يدل على الستر أولا دلالة على ضده - وهو الظهور - ثانيا ، وبما معناه الاستئناس والسكون ثانيا دلالة على ضده وهو الإيحاش والنفرة - أولا .

) وقال (هو عطف على جواب الجن المستتر عن العامل في (يا معشر) الذي تقديره كما يهدي إليه الآيات التي تأتي في السورة الآتية في تفصيل هذه المحاورة : فقالوا : ربنا هم ضلوا ، لأنهم كانوا يستمعون بنا في نفوذهم وسماعهم الأخبار الغريبة منا ، فاستوجبوا العذاب بمفردهم ، وستر جواب الجن لأنه - مع كونه لا يخفى لدلالة المعطوف عليه - مناسب لحالهم في الاستتار مع شهرتهم ، وذكره بلفظ الماضي إشارة إلى تحقق وقوعه ، لأنه خبر من لا يخلف الميعاد ، والمراد بهذه المحاورة ضرب مما يأتي تفصيله بقوله

٧٧ ( ) قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا ( ) ٧

[الأعراف : ٣٨] - الآية ، وقوله) فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا (- الآية) أولياؤهم) أي الجن) من الإنس) أي الذين تولوهم بالاتباع والطاعة فيما دعوهم إليه من الضلال ، معترفين مستعطفين) ربنا (أيها المربي لنا المحسن إلينا) استمتع) أي طلب المتاع وأوجده) بعضنا ببعض (نحن بهم فيما قالوا ، وهم بنا في طاعتنا لهم وعياذنا بهم) وبلغنا) أي نحن وهم) أجلنا (وأحالوا الأمر على القدر فقالوا : (الذي أجلت لنا (وهو الموت الذي كتبته علينا وسويت بيننا في سوط قهره وتجرع كؤوس حره وقره ، ثم هذا اليوم الذي كنا مشتركين في التكذيب به ، فاستوجبنا العذاب كلنا .

ولما تم ذلك كان كأنه قيل : فما قال الله لهم بعد هذه المحاورة الغريبة التي هي ضرب من كلام أهل الباطن في الدنيا لجلج مضطرب لا حاصل له ؟ فقيل : (قال) أي المخاطب لهم عن الله) النار مثواكم

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٦٥٩/٢

) أي منزلكم جميعا من غير أن تنفعكم الإحالة على القدر) خالدين فيها) أي إلى ما لا آخر له ، لأن الأعمال بالنية وقد كنتم على عزم ثابت أنكم على هذا الكفر ما بقيتم ولو إلى ما لا آخر له ، فالجزاء من جنس العمل .

ولما كان من المقرر أنه لا تمام لملك من يجب عليه شيء ويلزمه بحيث لا يقدر على الانفكاك عنه ، بين سبحانه أن ملكه ليس كذلك ، بل هو على غاية الكمال ، لا يجب عليه شيء بل كل فعله جميل ، وجميع ما يبدو منه حسن ، فعلق دوام عذابهم على المشيئة فقال : (إلا ما شاء (ولما كان القصد في هذه السورة إلى إظهار العظمة للغيرة على مقام الإلهية ، عبر بالاسم الأعظم فقال : (الله) أي الذي له رداء الكبر فلا يستطيع أحد أن يعترض عليه ولا أن يهم بذلك ، هيهات هيهات انقطعت دون ذلك الآمال ، فطلت ناكسة أعناق الرجال ، وبيده إزار العز ، فمن اختلج في سره أن يرفع ناكس عنقه ضربه بمقامع الذل ، وأنزله في مهاوي الخزي ، وقد تقرر أنه سبحانه لا يشاء انقطاع." (١)

" صفحة رقم ١٦

ولما كان السياق هنا للتعرف بأنه مكن لبينا في الجنة أعظم من تمكينه لنا في الرض بأن حباه فيها رغد العيش مقارنا لوجوده ، ثم حسن في قوله : (فكلا (العطف بالفاء الدال على أن المأكول كان مع الإسكان لم يتاخر عنه ولا منافاة بينه وبين التعبير بالواو في البقرة لأن مفهوم الفاء نوع داخل تحت مفهوم الواو ولا منافاة بين التعبير بالواو في البقرة لأن مفهوم الفاء نوع داخل تحت مفهمو الواو ولا منافاة بين النوع والجنس وقوله : (من حيث شئتما (بمعنى رغدا أي واسعا فإنه يدل على إباحة الأكل من كل شيء فيها غير المنهي عنه واما آية البقرة فتدل على إباحة الكل منها في أي مكان كان وهذا السياق إلى آخره مشير إلى أن من خالف أمره تعالى ثل عرشه وهدم عزه وإن كان في غاية المكنة ونهاية القوة كما أخرج من أعظم له المكنة بإسجاد ملائكته وإسكان جنته وإباحة كل ما فيها غير شجرة واحده ؛ أكد تحريمها بالنهي عن قربانها دون الاكتفاء بالنهي عن غشيانها فقال : (ولا تقربا (اي فضلا عن أن تتناولا من حام حول الحمى أوشك أن يواقعه فقال : (فتكونا (أيسبب قربها) من الظالمين) أي بالأكل منها الذي هو مقصود النهي فتكونا بذلك فاعلين فعل من يمشي في الظلام ثم سبب عن ذلك بيان حال الحاسد مع المحسودين فيما سأل الإنظار بسببه وأنه وقع على كثير من مراده واستغوى منه امما تجاوزوا الحد وقصر عنهم مدى العد ؛ ثم بين أنه أقل من أن يكون فعل وأن الكل بيده سبحانه هو الذي جعله نلة لمراده منه ومنهم وأن من يهد

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٧١٥/٢

الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون فقال) فوسوس) أي القى في خفاء وتزيين وتكرير واشتهاء) لهما ما روي) أي ستر وغطى بان جعل كانه وراءهما لا يلتفتان إإيه) عنهما (والبناء للمفعول إشارة إلى **أن الستر بشيء** لا كلفة عليهما فيه كما ياتي في قوله

٧٧ ( ) ينزع عنهما لباسهما ( ) ٧

[الأعراف : ٢٧]) ومن سوأتهما) أي المواضع التي يسوءهما انكشافها وفي ذلك أن إظهار السوءة موجب للعبد من الجنة وأن بينهما منفية الجمع وكمال التباين .

ولما أخبر بالوسوسة وطوى مضمونها مفهما أنه أمر كبير وخداع طويل عطف عليه قوله : (وقال (اي في وسوسته أيضا أي زين لهما ما حدث بسببه في خواطرهاهما هذا القول : (ما نهاكما (وذكرهما بوصف الإحسان تذكيرا بإكرامه لهما تجزئة لهما على نا يريد منهما فقال : (ربكما) أي المحسن إليكما بما تعرفانه من انواع إحسانه) عن) أي ما جعل نهايتكما في الإباحة للجنة متجاوزة عن) هذه الشجرة (جمع بين الإشارة." (١)

" صفحة رقم ٢١٠

وقائدهم وهاديهم عليه الصلاة والسلام والتحية والإكرام بما يدعوهم إلى ملازمة أسبابه في سياق المخاطبة له (صلى الله عليه وسلم) تذكيرا بنعمته وإشارة إلى دوام نصيبه فقال تعالى عاطفا على) إذ أنتم ( ) وإذ يمكر بك (اي يدبر في أذاك على **وجه الستر**) الذين كفروا (اي أوجدوا هذا الوصف ، وفيهم من لم يكن راسخ القدم ؛ ثم بين غاية مكرهم فقال : (ليثبتوك (اي ليمنعوك من التصرف بالحبس في بينت يسدون عليك بابه - كما هو واضح من قصة مشاورتهم في دار الندوة في أمره (صلى الله عليه وسلم) في السير ، ومن قرأها بالموجدة ثم التحتانية من البيات الذي معناه إهلاك العدو ليلا ، فعطف) أو يقتلوك (عنده بمعنى القتل نهارا جهارا ، وكأنه عد البيات للاستخفاء به عدما بالنسبة غلى المجاهرة) أو يخرجوك) أي من مكة) ويمكرون) أي والحال أنهم يمكرون بإخفاء ما يريدون بك من فعل من يكر بإخفاء لأنه الملك الأعلى المحيط بالجلال والجمال ، فالنافذ إنما هو مكره ، والعالي إنما هو نصره ، فكأنه تعالى يقول : انظروا إلى مصداق ما وعدتكم به في أحوال نبي (صلى الله عليه وسلم) فإنه كان وحده وجميع الناس يخالفونه فثبت على أداء الرسالة إليهم وإبلاغ النصيحة لهم على ما يصله منهم من الأذى ولا يزيده أذاهم له إلا اجتهادا في أداء ما ينفهم إليهم .

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ١٦/٣

الأنفال : (٣١ – ٣٥) وإذا تتلى عليهم. .. . .

) وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشآء لقلنا مثل هذا إن هذآ إلا أساطير الأولين وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السمآء أو ائتنا بعذاب أليم وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أوليآءه إن أوليآؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكآء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون (( )

ولما ذكر مكرهم بالرسول ، ذكر مكرهم بما ارسل به ، فقال عاطفا على (إذ أنتم) : (وإذا تتلى) أي من أي تال فرض) عليهم آياتنا) أي التي هي الفرقان جلالة وعظما لم يدعوها تؤثر في تلك الحالة ، بل) قالوا (غظهار لعنادهم لها وتشيعا بما لم يعطوا وادعاء لما لمن ينالوا) قد سمعوا (ولما لم يتأثر عن سماعهم الإذعان ، تشوف السامع إلى علة إعراضهم فقال معللا أو مستأنفا : (لو نشاء (اي في أي وقت أردنا." (١)

" صفحة رقم ٢٣٢

والإصرار ، ولذا عبر في هذه الثانية باسم الرب فقال : (كذبوا) أي عنادا زيادة على تغطية ما دل عليه العقل بالتكذيب بالنقل) بآيات ربهم (فأشار بذلك إلى بطرهم بالنعم وتكذيبهم أنها بسبب دعاء الرسل ولما أشار بالتعبير به إلى أنه غرهم معاملته بالعطف والإحسان ، قال : (فأهلكناهم) أي جميعا) بذنوبهم واغرقنا (فاتى بنون العظمه إشارة إلى أنه أتاهم بما انساهم ذلك البر) آل فرعون وإشارة إلى أنهم نسوا أن الرب كما أنه يتصف بالرحمة فلا بد أن يتصف بالعظمة والنقمة وإلا لم تتم ربوبيته ، وهذا واضح مما تقدم في الأعراف عن التوراة في شرح

٧٧ ( ) فأرسلنا عليهم الطوفان ( ) ٧

[الأعراف : ١٣٣] – إلى آخرها ، من أن فرعون كان يسال موسى عليه السلام عند كل نازلة الدعاء برفعها معتلا بأن الرب ذو حلم وأناة ورحمة ، وقدم الأولى إشارة إلى أنهم بلغوا الغاية في الجرأة ، والتعبير فيها ، ب)كفروا (يؤيد لذلك ، اي أن **مجرد الستر للآيات** بالإعراض عنها كاف في إيجاب الانتقام ولو لم يصرح بتكذيب لعظم المقام ، ومادة كفر – بأي ترتيبة كان – تدور على الخلطة المميلة المحلية ، وبخصوص هذا الترتيب تدور **على الستر** ، أي غطوا التصديق بآيات ربهم ، ويجوز – وهوالأحسن

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢١٠/٣

– أن يكون دورانها – مطلقا لا بقيد ترتيب – على الفكر ، وهو إرسال عين البصيرة في طلب أمر ويلزمه الكشف والستر لأنه تارة يرفع اذيال الشبه عن ذلك الأمر فينجلي ويتحقق ، وتارة يسلط قواطع الأدلة عليه فينعدم ويمتحق ، وربما أرخى أذيال الشبه عليه فأخفى بعد أن كان جليا كما كان شمرها عنه فألقى وقد كان خفيا .

ولما أخبر سبحانه بهلاكهم ، أخبر بالوصف الجامع لهم بالهلاك فقال : (وكل (اي من هؤلاء ومن تقدمهم من آل فرعون ومن قبلهم) كانوا) أي جبلة وطبعا) ظالمين) أي لأنفسهم وغيرهم واضعين الآيات في غير مواضعها وهم يظنون بأنفسهم العدل ؛ ثم علل اتصافهم بالظلم أو استأنف بيانا له بقوله : (إن شر الدواب) أي ظلموا لأنهم كفروا بآيات ربهم الذي تفرد بالإحسان إليهم وشر الدواب) عند الله) أي في حكم الحكم العدل الذي له الأمر كله وفي علمه) الذين كفروا) أي منهم ومن غيرهم ، أي حكم عليهم بلزوم الكفر لما ركب فيهم من فساد الأمزجة لعدم الملاءمة للخير ، فكانوا بذلك قد نزلوا عن رتبة الإنسان إلى رتبة مطلق الحيوان ، ثم إلى دركه الحشرات والديدان بل العجلان ، لأن شر الناس الكفار ، وشر الكفار المصرون منهم ، وشر المصرين الناكثون للعهود) فهم) أي بسبب ذلك) لا يؤمنون (اي لا يتجدد منهم إيمان يستمرون عليه لما سبق من علم الله فيهم ، فلم ينتفعوا بما أتاهم من صفة الربوبية." (١)

" صفحة رقم ٣٧٩

على هذا الترتيب : ثم عطف عليه ما يثمره الإيمان فقال : (ويتخذ) أي يحث نفسه ويجاهدها أن عرضت له الوساوس الشيطانية على أن يعد) ما ينفق) أي فيما امر الله به) قربات (جمع قربة لما تقرب إليه سبحانه) عند الله (اي الذي وظيفته التبليغ فهو لا يقول لهم شيئا إلا عن الله ، واطلق القربة والصلاة على سببها .

ولما أخبر عن أفعالهم ، أخبر عن عاقبتهم ومآلهم ؛ قال مستأنفا محققا لرجائهم ترغيبا في الصدقة بأبلغ تأكيد لما لأعدائهم من التكذيب : (ألا إنها) أي نفقاتهم) قربة لهم) أي كما أرادوا ؛ ثم بين ثمرة كونها قربة بقوله : (سيدخلهم الله) أي الذي له صفات الكمال بوعد لا خلف فيه) في رحمته) أي إكرامه فتكون محيطة بهم ثم علل ذلك بقوله معبرا بالاسم الأعظم تنبيها على انه لا يسع الإنسان إلا العفو وإن أعظم الاجتهاد : (إن الله (اي الذي الذي لا يقدر أحد على أن يقدره حق قدره) غفور (اي بليغ الستر لقبائح من تاب) رحيم) أي بليغ الإكرام ، ذلك وصف له ثابت ، يجلله كل من يستأهله .

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣/٢٣٢

ولما ذكر القسم الصالح منهم وكانوا متفاوتين فمنهم السابق وأكثرهم التابع اللاحق ، أتبعه السابقين على وجه شامل حاصر لصنفي البادي والحاضر إشارة إلى أنه – وإن أجره – أصله فقد قدمه وصفه بحيث ساوى أهل الكمال في مطلق الانخراط في ملكهم والفوز بدرجتهم لإحسانه في اتباعه ترغيبا لأهل القدرة والرحمة في اتباع أهل الرضوان والنعمة فقال : (والسابقون (ولما دل على سبقهم بالعلو في مراتبه دل على قديم دخولهم فيه فقال : (الأولون) أي إلى هذا الدين القيم) من المهاجرين) أي الدار الكفر فضلا عن أهلها) والأنصار) أي الذين آووا نصروا) والذين اتبعوهم) أي الفريقين) بإحسان) أي في اتباعهم فلم يحولوا عن شيء من طريقهم) رضي الله (اي الذي له لاكمال كله) عنهم (اي بافعالهم هذه التي هي وفق ما أمر به) ورضوا عنه (اي بما أتاهم عنه من البشرى وقذف في قلوبهم من النور بلطيف الوعظ والذكرى) وأعد لهم (اي جزاء على فعلهم) جنات تجري (ونبه على عموم ريها وكثرة مائها بنزع الجار على قراءة الجماعة فقال : (تحتها الأنهار) أي هي كثيرة المياه .

فكل موضع أردته نبع منه ماء فجرى منه نهر ؛ ولما كان المقصود من الماء إنما هو السهولة في إنباطه بقربه ويسر جريه وانبساطه أثبته ابن كثير دلالة على ذلك كسائر المواضع ، ولعل تخصيص هذا." (١)

" صفحة رقم ٤٩٥

يونس : (١٠٦ – ١٠٩) ولا تدع من. .. . . .

) ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا رآد لفضله يصيب به من يشآء من عباده وهو الغفور الرحيم قل يأيها الناس قد جآءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ومآ أنا عليكم بوكيل واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين (( )

ولما نهاه عن الشرك ، أكده بما هو كالتعليل له بما يلزمه من العبث بالخضوع لما ل ضر فيه ولا نفع بقوله تعالى : (ولا تدع (اي في رتبة الكائنة) من دون الله) أي الذي بيده كل شيء) ما لا ينفعك) أي إن فعلت شيئا من ذلك فأتاك بأسنا) ولا يضرك (اي إن أقمت على طاعاتنا مع نصرنا) فإن فعلت) أي شيئا مما نهيناك عنه) فإنك إذا (غذا دعوت ذلك الغير بسبب ذلك) من الظالمين) أي العريقين في وضع الدعوة في غير محلها لأن ما هو كذلك في غاية البعد عن منصب الإلهية ؛ ثم قال تعالى عاطفا على قوله) فإن فعلت (: (وإن يمسسك الله) أي الذي لا راد لأمره) بضر) أي أي ضر كان على أي وجه

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٧٩/٣

كان وإن كان ظاهرا جدا بما أنبأ عنه الإظهار) فلا كاشف له) أي أصلا بوجه من الوجوه) إلا هو (لأنه أراده وما أراده لا يكون غيره فلا ترج سواه في أن يبذله بخير ، وعبر بالمس لأنه أخوف) وإن يردك (اي مطلق إرادة) بخير فلا (اي أصابك لا محالة فإنه لا) رآد (ونبه على أنه لا يجب عليه سبحانه شيء بأن وضع مكان الضمير قوله : (لفضله (اي عمن يريده به كما يفعل بعض العاتين من أتباع ملوك الدنيا في رد بعض ما يريدون ، بل هو بحيث لا ينطق أحد غلا بإذنه فلا تخش غيره ، فالآيه من الاحتباك : ذكر المس أولا دليلا على إرادته ثانيا ، والإرادة ثانيا دليلا على حذفها أولا ، ولم يستثن في الإرادة كما استثنى في الكشف لأن دفع المراد محال ، وعبر بالإرادة في الخير وبالمس في الضير تنبيها على أنه (صلى الله عليه وسلم) مراد باخير بالذات وبالضر بالعرض تطييبا لقلبه لما تكرر في هذه السورة من الإخبار بإحقاق العذاب على الفاسقين والإيئاس من الظالمين ، فلما تقرر ذلك حسن موقع قوله مكبينا لحال ذلك الفضل : (يصيب به) أي بذلك الفضل أو بالذي تقدم من الخير والضير) من يشاء (اي كائنا من كاتن من أدنى وأعلى ، وبين العلة في كونهم مقهورين بقوله : (من عباده (وهذا كله إشارة غلى أن ما أوجب الإعراض عن معبوداتهم بانسلاله عنها أوجب الإقبال عليه بثبوته له واختصاصه به ، وختم الآية بقوله : (وهو الغفور) أي البليغ الستر للذنوب) الرحيم (اي البالغ في الإكرام إشارة إلى أن إصابته بالخير لا يمكن أن يكون إلا فضلا منه بعد الستر للذنوب والرحمة للضعف ، فهو حقيق بأن يعبد ؛ وارمسك اجتماع." (١)

" صفحة رقم ٥٠٧

أعرض عن جوابهم وذكر لهم أنهم عاجزون عن دفاعه عند إيقاعه إعلاما بأنهم عكسوا في السؤال ، وتحقيقا لأن ما استهزؤوا به لا حق بهم لا محالة ، فقال مؤكدا لشديد إنكارهم : (ألا يوم (وهو منصوب بخبر) ليس (الدال على جواز تقدم الخبر) يأتيهم ليس (اي العذاب) مصروفا عنهم (اي بوجه من الوجوه ؛ وقدم الماضي موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة في التهديد فقال : (وحاق بهم (اي أدركهم إذ ذاك على سبيل الإحاطة) ما كانوا) أي بجبلاتهم وسيىء طبائعهم ، وقدم الظرف إشارة إلى شدة إقبالهم على الهزء به حتى كأنهم لا يهزؤون بغيره فقال : (به (ولما كان استعجالهم استهزاء ، وضع موضع يستعجلون قوله : (يستهزءون (اي يوجدون الهزء به غيجادا عظيما حتى كأنهم يطلبون ذلك .

هود : (٩ - ١٢) ولئن أذقنا الإنسان. .. . . .

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٩٥/٣

) ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور ولئن أذقناه نعمآء بعد ضرآء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضآئق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جآء معه ملك إنمآ أنت نذير والله على كل شيء وكيل (( )

ولما كان قولهم ذلك ناشئا عن طبع الإنسان على الوقوف مع الحالة الراهنة والعمى عن الاستضاءة بنور العقل فيما يزيلها في العاقبة ، بين ذلك ليعلم أن طبعه مناف لما تضمنه مقصود السورة من الإحكام الذي هو ثمرة العلم .

وبعلم ذلك يعلم مقدار نعمته على من حفظه على ما فطره عليه من أحسن تقويم بقوله مؤكدا لأن كل أحد ينكر ان يكون طبعه كذلك : (ولئن أذقنا (اي بما لنا من العظمة) الإنسان) أي هذا النوع المستأنس بنفسه ؛ ولما كان من أقبح الخلال استملاك المستعار .

وكانت النعم عواري من الله يمنحها من شاء من عباده ، قدم الصلة دليلا على العارية فقال : (منا رحمة) أي نعمة فضلا منا عليه لا بحوله ولا بقوته من جهة لا يرجوها بما دلت عليه أداة الشك ومكناه من التلذذ بها تمكين الذائق من المذوق) ثم نزعناها (اي بما لنا من العظمة وإن كره ذلك) منه (أخذا لحقنا) إنه ليؤس) أي شديد اليأس من ان يعود له مثلها) كفور (اي عظيم الستر لما سلفه له من الإكرام لأن شأنه ذلك وخلقه إلا من رحم ربك) ولئن أذقناه نعماء (من فضلنا .

ولما كان استملاكه العارية طبعا له ، لا ينفك عنه إلا بمعونة شديد من الله .

دل عليه بما أفهم أنه لو كان طول عمره في الضر ثم نال حالة يرضاها عقب زمن الضر سواء." (١)

" صفحة رقم ٥٣٢

) لغفور) أي بالغ الستر للزلات والهفوات) رحيم) أي بالغ الإكرام لم يريد ، فركبوها واستمروا سائرين فيها يقولون : بسم الله) وهي) أي والحال أنها) تجري بهم (.

ولما كان الماء مهيئا للإغراق ، فكان السير على ظهره من الخوارق ، وأشار إلى ذلك بالظرف فقال : (في موج (ونبه على علوه بقوله : (كالجبال (اي في عظمه وتراكمه وارتفاعه ، فالجملة حال من فركبوها ، المقدر لأنه لظهوره في قوة الملفوظ ، وكان هذه الحال مع أن استدامة الركوب ركوب إشارة إلى شرعة امتلاء الأرض من الماء وصيرورته فيها أمثال الجبال عقب ركوبهم السفينة من غير كبير تراخ ، قالوا : وكان

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٠٧/٣

أول ما ركب معه الذرة ، وآخر ما ركب معه الحمار ، وتعلق إبليس بذنبه فلم يستطيع الدخول حتى قال له نوح عليه السلام : ادخل ولو كان الشيطان معك - كذا قالوا ، وقيل : إنه منع الحية والعقرب وقال : إنكما شبب الضر ، فق١لا : احملنا ولك أن لا نضر أحدا ذكرك ، فمن قال

٧٧ ( ) سلام على نوح في العالمين إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين ( ) ٧

[الصافات : ٧٩ - ٨٠] لم تضراه .

ولما كان ابتداء الحال في تفجر الأرض كلها عيونا وانهمار السماء انهمارا - مرشدا إلى أن الحال سيصير إلى ما أخبر الله به من كون الموج كالجبال لا ينجي منه إلا السب الذي اقامه سبحانه ، تلا ذلك بأمر ابن نوح فقال عاطفا على قوله) وقال اركبوا ( ) ونادى نوح ابنه) أي كنعان وهو لصلبه - نقله الرماني عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك) وكان) أي الابن) في معزل) أي عن أبيه في مكانه وفي دينه لأنه كان كافرا ، وين أن ذلك المعزل كان على بعض البعد بقوله : (يا بني (صغره تحننا وتعطفا) اركب (كائنا) معنا) أي في السفينة لتكون من الناجين) ولا تكن) أي بوجه من الوجوه) مع الكافرين) أي في دين ولا مكان إشارة إلى أن حرص الرسل عليهم السلام وشفقتهم - وإن كانت مع رؤية الآيات العظام والأمور الهائلة - ليست سبا للين القلوب وخضوع النفوس ما لم يأذن الله ، انظر إلى استعطاف نوح عليه السلام بقوله) يابني (مذكرا له بالنبوة مع تصغير التحنن والتراؤف وفظاظة الابن مع عدم سماحه بأن يقول : يا أبت ، ولم يلن مع ما رأى من الآيات العظام ولا تناهى لشيء منها عن تقحم الجهل بدلا من العلم وتعسف الشبهة بدلا من الحجة .

ولما كان الحال حال دهش واختلال .

كان السامع جديرا بأن لا يصبر بل يبادر إلى السؤال فيقول : فما قال ؟ فقيل : (قال (قول من ليس له عقل تبعا لمراد الله) سآوي إلى جبل يعصمني) أي بعلوه) من الماء) أي فلا أغرق) قال) أي نوح عليه السلام) لا عاصم) أي لا مانع نم جبل ولا غير موجود) اليوم) أي لأحد) من أمر الله (."[1]

" صفحة رقم ٥٥٢

على الخزي ؛ والمغاني : المنازل ، وأصل الغناء الاكتفاء ؛ ومعنى (ألا) التنبيه ؛ قال الرماني : وهي ألف الاستفهام دخلت على (لا) فالألف تقتضي معنى ، و (لا) تنفي معنى ، فاقتضى الكلام بهما معنى التنبيه مع نفي الغفلة - انتهى .

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٢٥/٣

وكان حقيقته – والله أعلم – أن (لا) دخلت على ما بعدها فنفته ، ثم دخلت عليها همزة الإنكار فنفتها ، ومن المعلوم أن نفي النفي إثبات فرجع المعنى كما كان على أتم وجوه التنبيه والتأكيد ، لأن إثبات المعنى بعد نفيه آكد من إثباته عريا عن النفي ولا سيما إذا كان المفيد لذلك الإنكار ، وهذا المعنى مطرد مدلولها في اللغة ثن تتصرف بما يقتضيه الحال والله الهادي ولما جاز الصرف في ثمود باعتبار أنه اسم أبي القبيلة وعدمه باعتبار إطلاقه على القبيلة اختير الصرف في النصب فقط لخفته .

هود : (٦٩ – ٧٦) ولقد جاءت رسلنا. .. . . .

) ولقد جآءت رسلنآ إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث أن جآء بعجل حنيذ فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته قآئمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن ورآء إسحاق يعقوب قالت يويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجآءته البشرى يجادلنا في قوم لوط إن إبراهيم لحليم أواه منيب يإبراهيم أعرض عن هذآ إنه قد جآء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود (( )

ولما انقضت القصة على هذا الوجه ارائع ، أتبعها قصة لوط عليها لسلام إذ كانت أشهر الوقائع بعدها وهي أفظع منها وأروع ، وقدم عليها ما يتعلق بها من أمر إبراهيم عليها لسلام ذكر بشراه لما في ذلك كله من التنبيه لمن تعنت بطلب إنزال الملائكة في قولهم) أو جاء معه ملك (على أن ذلك ليس عزيزا عليه .

وقد أكثر من فعله ولكن نزولهم مرهب ، وأمرهم عند المكاشفة مرعب ، وأما مع الستر فلا يقطع تعنتهمن هذا مع ما في ذلك من مناسبة أمر هذا الولد لأمر الناقة في تكوين كل منهما بخارق للعادة إشارة إلتمام القدرة واكمال العلم المبني عليه أمر السورة في إحكان الكتاب وتفصيله وتناسب جدالي نوح وإبراهيم عليهما السلام في أن كلا منهما شفقة على الكافرين ورجاء لنجاتهم من العذاب بحسن المثاب ، ولعله سبحانه كرر (لقد) في صدرها عطفا على ما في قصة نو للتنبيه على مثل الأغراض ، لأن (قد) للتوقع فجاءت لتؤذن بأن السامع في حال توقع لذلك لأنه إذا انقضت قصة الخبر عما بعدها فقال تعالى : (ولقد (قال." (١)

" صفحة رقم ٧

والحكم حكمة في أثر حكمة حتى لا يشك شاك ولا يمتري ممتر في أنه من عندنا وبإذننا ويكون أمره في

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٥٢/٣

البعد من اللبس أظهر من الشمس .

ولما كانوا مع معرفتهم به (صلى الله عليه وسلم) عارفين بأنه كان مباعدا للعلم والعلماء ، وكان فعلهم في التكذيب فعل من ينكر ذلك ، قال : (وإن) أي وإن الشأن والحديث) كنت (ولما كان كونه لم يستغرق الزمان الماضي ، أثبت الجار فقال : (من قبله) أي هذا الكتاب أو إيحائنا إليك به) لمن الغافلين) أي عن هذه القصة وغيرها ، مؤكدا له بأنواع التأكيد ، وهو ناظر إلى قوله آخرها) وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون (بعد التفاته عن كتب إلى آخر التي قبلها ل) وما ربك بغافل عما تعملون (والحسن : معنى يتقبله العقل ويطرق إلى طلب المتصف به أنواع الحيل ، ومادة ، غفل ، بكل ترتيب تدور على الستر والحجب ، من الغلاف الذي يوضع فيه الشيء فلا ينظر منه شيئا ولا ينظره شيء ما دام فيه ، ومنه الغفلة – للجلدة التي التي على الكمرة ، والغفل – بالضم : ما لا علاقة له من الأرض ، ودابة غفل ، لا سمة لها ، لأن عدم العلامة مؤد إلى الجهل بعا فكأنها في غلاف لا ينظر منه ، ومنه رجل غفل : لا حسب عنده ، لأن ذلك أقرب إلى جهله ، والتغفل : الختل ، أي أخذ الشيء من غير أن يشعرن فقد ظهر أن مقصود السورة وصف الكتاب بعد الحكمة والتفصيل بالإبانة عن جميع المقاصد المنزل لها ؛ وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير : هذه السورة من جملة ما قص عليه (صلى الله عليه وسلم) من أنباء الرسل وأخبار من تقدمه مما فيه التثبيت الممنوح في قوله سبحانه وتعالى

٧٧ ( ) وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ( ) ٧

[هود : ١٢٠] ومما وقعت الإحالة عليه في سورة الأنعام – كما تقدم – وإنما أفردت على حدتها ولم تنسق على قصص الرسل مع أنهم في سورة واحدة لمفارقة مضمونها تلك القصص ، ألا ترى أن تلك قصص إرسال من تقدم ذكرهم عليهم الصلاة والسلام وكيفية تلقي قومهم لهم وإهلاك مكذبيهم ، أما هذه القصة فحاصلها فرج بعد شدة وتعريف بحسن عاقبة الصبر ، فإنه تعالى امتحن يعقوب عليه الصلاة والسلام بفقد ابنيه وبصره وشتات بنيه ، وامتحن يوسف عليه الصلاة والسلام بالجب والبيع وامرأة العزيز وفقد الأب والإخوة والسجن ، ثم امتحن جميعهم بشمول الضر وقلة ذات اليد

٧٧ ( ) مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ( ) ٧

[يوسف : ٨٨] ثم تداركهم الله بالفهم وجمع شملهم ورد بصر أبيهم وائتلاف قلوبهم ورفع ما نزع به الشيطان وخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من كيد كاده." (١)

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٧/٤

" صفحة رقم ٥٩

ولما كان ذلك ربما جر إلى الإعجاب ، قال : (وما ابرىء) أي تبرئة عظيمة) نفسي (عن مطلق الزلل وإن غلبه التوفيق والعصمة ، أي لم أقصد بالبراءة عما تقدم مجرد التزكية للنفس ، وعلل عدم التبرئة بقوله – مؤكدا لما لأكثر الناس من الإنكار ، أو لأن اتباعهم لأهويتهم فعل من ينكر فعل الأمارة – : (ن النفس) أي هذا النوع) لأمارة) أي شديدة الأمر) بالسوء) أي هذا الجنس دائما لطبعها على ذلك في كل وقت) إلا ما) أي وقت أن) رحم ربي (بكفها عن الأمر به أو بستره بكفها عن فعله بعد إطلاقها على الأمر به ، أو إلا ما رحمة ربي من النفوس فلا يأمر بسوء ؛ ثم علل ذلك بقوله مؤكدا دفعا لظن من يظن أنه لا توبة له : (إن ربي) أي المحسن إلي) غفور) أي بليغ الستر للذنوب) رحيم) أي بليغ الإكرام لمن يريد .

ولما أتم ما قدمه مما هو الأهم – من نزاهة الصديق ، وعلم الملك ببراءته وم ا يتبعها – على ما كان قلبه من أمر الملك بإحضاره إليه ، أتبعه إياه عاطفا له على ما كان في نسقه من قوله) قال ما خطبكن (فقال : (وقال الملك (صرح به ولم يستغن بضميره كراهية الإلباس لما تخلل بينه وبين جواب امرأة العزيز من كلام يوسف عليه الصلاة والسلام ، ولو كان الكل من كلامها لا ستغنى بالضمير ولم يحتج إلى إبرازه) ائتوني به أستخلصه) أي أطلب وأوجد خلوصه) لنفسي) أي فلا يكون لي فيه شريك ، قطعا لطمع العزيز عنه ، ودفعا لتوهم أنه يرده إليه ، ولعل هذا هو مراد يوسف عليه الصلاة والسلام بالتلبث في السجن إلى إنكشاف الحال ، خوفا من أن يرجع إلى العزيز فتعود المرأة إلى حالها الأولى فيزداد البلاء .

ولما كا ن التقدير : فرجع رسول الملك إليه فأخبره أن الملك سأل النسوة فقلن ما مضى ، وأمر بإحضاره ليستخلصه لنفسه ، فقال يوسف عليه الصلاة والسلام ما تقدم من تلك الحكم البالغة ، وأج ا ب أمر الملك فأتى إليه بعد أن دعا لأهل السجن فقال : اللهم عطف عليهم قلوب الأخيار ولا تعم عليهم الأخبار ، وكتب على باب السجن : هذه منازل البلوى ، وقبور الأحياء ، وبيوت الأحزان ، وتجربة الأصدقاء ، وشماتة الأعداء .

ثم اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا وقصد إليه ، عطف عليه بالفاء – دليلا على إسراعه في ذلك – قوله : (فلما كلمه (وشاهد الملك فيه ما شاهد من جلال النبوة وجميل الوزارة وخلال السيادة ومخايل السعادة) قال (مؤكدا تمكينا لقوله دفعا لمن يظن أنه بعد السجن وما قاربه لا يرفعه هذه الرفعة : (إنك اليوم (وعبر بما هو لشدة الغرابة تمكينا للكلام أيضا فقال : (لدينا مكين) أي شديد المكنة ، من المكانة ،

وهي حالة يتمكن بها صاحبها من مراده) أمين (من الأمانة ، وهي حال يؤمن معها نقض العهد ، وذلك أنه." (١)

" صفحة رقم ٦٧

يرد إلى الموضع الذي أتى منه ، والمدارأة : المدافعة والمنازعة مطلقا ، أي سواء كانت برفق أو بعنف ، ثم فقصرت على الملاينة ، ويلزم من الدفع حلول المدفوع في موضع لا يريده بغتة ، ومنه : درأ علينا ، أي خرج مفاجأة ، قال القزاز : وأصله من قولهم : جاء السيل درأ ، أي يدرأ بعضه بعضا ، وهو الذي يأتي من مكان لا يعلم به ، واندرأ فلان علينا بالشر – إذا أتى به من حيث لم ندر ، والدرء : النشوز ، وهو من الدفع ، وكوكب درييء : متوقد متلألىء – كان نوره يدفع بعضه بعضا ، ومنه درأت النار : أضاءت ، واندرأ الحريق : انتشر ، ودرأ الشيء : بسطه – لأن المبسوط لا يخلو عن دفع ، وتدارؤوا : تدافعوا في الخصومة .

ودرأ البعير : أغد ، ومع الغدة ورم في ظهره ، وناقة دارىء : مغدة ، وذلك لأن الغدة ملزومة للدفع ، لا تنفك عنه بالقتب والركب وغيرهما ، وكل ناتىء في الجسد هذا شأنه ، ومنه الدرء : لقطعة من الجبل مشرقة ، وناقة مدرىء : أنزلت اللبن وأرخت ضرعها عند النتائج – كأنها دفعتهما ، وادرأت الصيد – على (افتعلت) : اتخذت له دريئة ، وقد تقدمت (الدرية) في الواوي ، ومنه : ادرأت فلانا – ذا اعتمدته ، والدرء : الميل والعوج – لأنه أهل لأن يدفع ليقوم ، وطريق ذو دروء ، أي كور وأخاقيق أي شقوق – فكأنها صاحبها عن القصد ، وتدرؤوا عليهم : تطاولوا – لأن ذلك لا يخلو عن مدافعة كالنشوز ، ويلزم الدفع القوة ، ومنه رجل ذو تدرا ، أي منعه وقوة ، ورادته بكذا – بتقديم الراء : جعلته قوة له وعمادا يدافع عنه ، والردء : العون والمادة والعدل الثقيل – لأنه يدافع ليعتدل ، وردأ الحائط : دعمه ، وردأه بحجر : رماه به ، لأنه إذا أصابه دفعه ، والإبل : أحسن القيام عليها ، لأن ذلك لا يكون إلا بالمدافعة ، **وأردأ الستر** : أرخاه ، بدفعه له من المكان الذي كان به ، وأردأه الولد : سكنه وأنسه ، فدفع الهم عنه ، وأردأ الشيء : أقره – كأنه لسلب الدفع ، وكذا أردأه أي أفسده ، إما بأنه لم يدافعه بإحسان القيام عليه فأفسده ، أو أنه زاد في الدفع حتى فسد ، ومن ذلك أردأ – إذا فعل رديئا ، أي فعلا فاسدا ليس بجيد ، وكأن من ذلك الأدارة – بالضم ساكنة وتحرك – وهي عظم الخصيتين في الناس والخيل ؛ ومن التدافع : ترأدت الحية : اهتزت في انسيابها ورفعت رأسها ، والريح : اضطربت – فكأن بعضها يدفع بعضا ، ومنه رأد الضحى : ارتفاعه ، وترأد

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٩/٤

الضحى : ارتفع ، وكذلك الجارية الرأدة والرؤد – بالضم ، أي الناعمة ، وقال القزاز : السريعة الشباب مع حسن غذاء ، وقال ابن دريد : جارية رأدة – غير مهموز : كثيرة المجيء والذهاب ، فإذا قلت : جارية رؤدة فهي الناعمة .

فإذا فسرت بالذهاب والمجيء فهو من الدوران الذي هو المدار ، وإذا فسرت بالناعمة فهو من الاضطراب اللازم له ، وغصن رؤد – بالضم : رطب – من ذلك ، قال القزاز : وأحسب." (١)

" صفحة رقم ١٥٦

لخفاء ما فيه ، ومنه اشتقاق الرامك ، وهو أخلاط تخلط بالمسك فتجعل سكا ، ورمك الرجل بالمقام – إذا أقام به ، لأنه يستره بنفسه وأمتعته ويستتر هو فيه ، وأرمكت غيري – إذا ألزمته مكانا يقيم فيه ، والرمكة : الأنثى من البراذين – فارسي معرب ، لأنها تستر أصالة العربي إذا ولدته ، ورمكان : موضع معروف – معرفة ، ويقال : رمك الرجل – إذا هزل وذهب ما في يده فستر عنه أو صار هو مستورا بعد أن كان بحسن حاله مشهورا ، ورمكت البازي والصقر ترميكا – إذا أشرت إليه بالطير لأنك سلبت **عنه الستر** ؛ واليرموك : مكان به لهب عظيم ، يستر ما يكون فيه ؛ والكريم : ضد اللئيم ، وهو البخيل المهين النفس ، والخسيس الآباء ، فإذا كان شحيحا ولم تجتمع له هذه الخصال قيل له : بخيل ، ولم يقل : لئيم ، فالكريم إذن من ستر مساوىء الأخلاق بإظهار معاليها ، تكرم – إذا تنزه عن الدناءة ورفع نفسه عنها ، و أصل الكرم في اللغة : الفصل والرفعة ، فإذا قالوا : فلان كريم ، فإنما يريدون رفيعا فاضلا ، فيلزم الكرم ستر العيوب ، والله الكريم أي الفاضل الرفيع – كذا قال بعض أهل اللغة ، وقيل : الصفوح عن الذنوب ، وقيل : الذي لا يمن إذا أعطى ، وإذا قالوا : فلان أكرم قومه ، فإنما يريدون : أرفعهم منزلة وأفضلهم قدرا ، وكل هذا يلزم منه السخاء وستر الذنوب ، ومن هذا قيل : فرس كريم ، وشجرة كريمة – إذا كانت أرفع من نظائرها وأفضل ، ٧٧ ( ) إني ألقي إلي كتاب كريم ( ) ٧

[النحل : ٢٩] أي رفيع شريف – كأنه أطلق هنا على ما فيه مجرد فضل تشبيها بالكريم في جزء المعنى ، وكارمت الرجل : فعل كل منا في حق صاحبه مقتضى الكرم ، والكرم : شجر العنب ولا يسمى به غيره ، والكروم : قلائد تتخذها النساء كالمخانق ، لدلالتها على قدر صاحبتها ، والكرامة : طبق يوضع على رأس الحب – لأنه غطاءه ، ولا يغطي إلا ما له فضل ، ومنه يقولون : لك الحب والكرامة ، والكرم : القصير من الرجال – كأنه شبه بطبق الحب ؛ والكمرة – محركة : طرف قضيب الإنسان خاصة ، سميت بذلك

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٦٧/٤

لسترها القلفة ، ورجل مكمور – إذا قطع الخاتن كمرته ، وتكامر الرجلان – إذا تكابرا بأيريهما ، وقال في القاموس : وتكامرا : نظرا أيهما أعظم كمرة ، والكمري : الرطب ما لم يرطب على شجره ، بل سقط بسرا فأرطب في الأرض – كأنه سمي بذلك لأنه يكون أكدر مما يرطب على الشجر ، وهو أيضا يشبه الكمرة في تكوينها ، والكمري عن ابن دريد : الرجل القصير ، كأنه شبه بالرطبة ، وقال غيره : وهو اسم مكان .
ولما ذكر تزيين مكرهم ، أتبعه الدلالة عليه فقال : (وصدوا) أي فلزموا ما زين لهم ، أو فمكروا به حتى ضلوا في أنفسهم وصدوا غيرهم) عن السبيل (الذي لا يقال لغيره سبيل وهو المستقيم ، فإن غيره وتيه وحيرة فهو عدم ، بل العدم أحسن منه ، ." (١)

" صفحة رقم ١٦٣

والسرعة : عمل في قلة المدة على ما تحده الحكمة ، والإبطاء : عمله في طول مدة خارجة عن الحكمة ، والسرعة محمودة ، والعجلة مذمومة ، وهو تعالى قادر على الكفرة وإن كانوا كالقاطعين بأنهم يغلبون ، لما لهم من القوة والكثرة ، مع جودة الآراء وحدة الأفكار والقدرة بالأموال وإن اشتد مكرهم ، فهو لا يغني عنهم شيئا ، فقد مكروا بك غير مرة ثم لم أزدك إلا علوا) وقد مكر الذين (ولما كان المراد بالمكرة إنما هو بعض الناس في بعض الزمان قال : (من قبلهم) أي بالرسل وأتباعهم ، فكان مكرهم وبالا عليهم ، فطوى في هذه الجملة مكرهم الذي اجتمعوا عليه غير مرة وأتقنوه بزعمهم ، فكان سبب الرفعة للإسلام وأهله وذل الشرك وأهله ، ودل على ذلك المطوي بواو العطف في قوله) وقد (وطوى في الكلام السابق إهلاك الأمم الماضية في الاستدلال على قدرته على الجزاء الذي هو روح الحساب ودل عليه بواو العطف في) أولم يروا (فتأمل هذا الإبراز في قوالب الإعجاز .
ولما كان ذلك كذلك ، تسبب عنه أن يقال : (فلله) أي الملك الأعظم المحيط علمه وقدرته خاصة) المكر جميعا (والمكر : الفتل عن البغية بطريق الحيلة ، **ويلزمه الستر –** كما مضى بيانه ، ولا شيء أستر عن العباد من أفعاله تعالى : فلا طريق لهم إلى علمها إلا من جهته سبحانه ، وسمي فعله مكرا مجازا لأنه ناشيء عن مكرهم جزاء لهم ؛ ثم علل ذلك بقوله : (يعلم (ويجوز أن يكون تفسيرا لما قبله ، لأن علم المكر من الماكر مكن حيث لا يشعر أدق المكر) ما تكسب كل نفس (أي من مكر وغيره ، فيجازيهم إذا أراد بأن ينتج عن كل سبب أقاموه مسببا يكون ضد ما أرادوا ، ولا تمكنهم إرادة شيء إلا بإرادته ، فستنظرون ماذا يحل بهم من بأسه بواسطتكم أو بغيرها حتى تظفروا بهم فتبيدوهم أجمعين) وسيعلم الكافر

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤/١٥٦

) أي كل كافر بوعد لا خلف فيه ، إن كان من الجهل بحيث لا يعلم الأشياء إلا بالتصريح أو الحس) لمن عقبى الدار (حين نأتيهم ضد مرادهم ؛ والكسب : الفعل لاجتلاب النفع أو دفع الضر .

ولما تقدم قوله تعالى : (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية (عطف عليه – بعد شرح ما استتبعه – قوله : (ويقول الذين كفروا) أي أوجدوا الكفر ولو على أدنى الرتب ، قولا على سبيل التكرار : (لست مرسلا (لكونك لا تأتي بمقترحاتهم مع أنه لم يقل يوما : إنه قادر عليها ، فكأنه قيل : فما أقول لهم ؟ فقال : (قل كفى (والكفاية : وجود الشيء على مقدار الحاجة ؛ ومعنى الباء في) بالله) أي الذي له الإحاطة الكاملة – التأكيد ، لأن الفعل جاز أن يضاف إلى غير فاعله إذا أمر به أزيل هذا الاحتمال من وجهين : جهة الفاعل وجهة صرف الإضافة) شهيدا) أي بليغ العلم في شهادته." (١)

" صفحة رقم ١٩١

غفرت له فأنت لذلك ، لأن أن تفعل ما تشاء) فإنك غفور) أي **بليغ الستر**) رحيم) أي بليغ الإكرام بعد ستر الذنوب ؛ وأكد للإعلام بزيادة رغبته في العفو لأنه لا ينقص به شيء من عزته سبحانه ولا حكمته – كما أشار إليه دعاء عيسى عليه السلام في المائدة .

ولما دعا بدرء المفاسد الناشئة من من نوعي الإنسان والشيطان بأمن البلد وإيمانه ذكر السبب الحامل له على تخصيصه بذلك مستجلبا للمصالح ، فقال : (ربنا) أي يا رب ورب من قضيت أنه يتبعني بتربيتك لنا أحسن تربية) إني أسكنت (وكأن الله سبحانه كان قد أخبره أنه يكثر نسله حتى يمونوا كالنجوم ، وذلك بعد البشارو بإسحاق عليه السلام فقال : (من ذريتي (وساقه مؤكدا تنبيها على أنه – لكونه على وجه لا يسمح به أحد – لا يكاد يصدق ، وللإعلام بأنه راغب فيه) بواد (هو مكة المشرفة لكونها في فضاء منخفض بين جبال تجري به السيول) غير ذي زرع (.

ولما نفي الرفد الدنيوي ، أثبت له الأخروي ، إشارة إلى أن الدارين ضرتان لا تجتمعان ، وكأن هذا الدعاء كان بعد بنائه البيت – كما تقدمت الإشارة إليه أيضا بتعريف البلد ، فقال : (عند بيتك المحرم) أي الذي حرمت التعرض إليه ومنعته بالهيبة فلم يملكه أحد سواك ، وجعل له حريم يأمن فيه الوحش والطير ؛ والكسنى : اتخاذ مأوى يسكن إليه متى شاء ، والوادي : سفح الجبل العظيم ، ومنه قيل للأنهار : أودية ، لأن حافاتها كالجبال لها ، والزرع : نبات ينفرش من غير ساق ؛ ثم بين غرضه من أسكانهم هناك فقال : (ربنا) أي أيها المحسن إلينا) ليقيموا الصلاة (ما أسكنتهم في هذا الوادي الموصوف إلا لهذا الغرض

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤/١٦٣

المنافي لعبادة غيرك ، ولأن أولى الناس بإقامتها حاضرو البيت المتوجه بها إليه .
ولما كان اشتغالهم بالعبادة وكونهم في ذلك الوادي أمرين بعيدين عن أسباب المعاش ، تسبب عنه قوله : (فاجعل أفئدة) أي قلوبا محترقة بالأشواق) من الناس) أي من أفئدة الذين هم أهل للاضطراب ، بكون احتراقها بالشوق مانعا من اضطرابها) تهوي) أي تقصدهم فتسرع نحوهم برغبة وشوق إسراع من ينزل من حالق ؛ وزاد المعنى وضوحا وأكده بحرف الغاية الدال على بعد لأن الشيء كلما بعد مدى مرماه اشتد وقعه فقال : (إليهم (ولما دعا لهم بالدين ، دعا لهم بالرزق المتضمن للدعاء لجيرانهم فقال : (وارزقهم) أي على يد من يهوي إليهم) من الثمرات) أي التي أنبتها في بلادهم ؛ وبين العلة الصالحة بقوله : (لعلهم يشكرون) أي ليكون حالهم حال من يرجى شكرهم لما يرون من نعمك الخارقة للعوائد في ذلك الموضع البعيد عن الفضل." (١)

" صفحة رقم ٣٢٠

بين الغباوة المفرطة أو قصد ما لا يقصده عاقل ، وهذا باب من التهكم عجيب ، فكأنه قيل : فما يستحقون على ذلك ؟ فأجاب بقوله تعالى : (إن الذين يفترون) أي يقتطعون عمدا) على الله) أي الذي له الأمر كله) الكذب (منكم ومن غيركم) لا يفلحون (.
ولما كان الفلاح عندهم هو العيش الواسع في هذه الدنيا ، أجاب من كأنه قال : فإنا ننظرهم بنعمة ورفاهة ؟ فقال تعالى : (متاع قليل) أي ما هم فيه لفنائه وإن امتد ألف عام) ولهم (بعده) عذاب أليم (ومن ألمه العظيم دوامه فأي متاع هذا .
ولما بين لهم نعمته بتوسعته عليهم بما ضيقوا به على أنفسهم ، بين لهم نعمة أخرى بتمييزهم على بني إسرائيل فقال تعالى : (وعلى الذين هادوا) أي اليهود) حرمنا) أي بعظمتنا عقوبة لهم بعدوانهم وكذبهم على ربهم) ما قصصنا) أي بما لنا من العظمة التي كان المقصوص بها معجزا) عليك (.
ولما لم يكن قص ذلك عليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم مستغرقا زمان القبل ، أدخل الجار فقال : (من قبل) أي في الأنعام) وما ظلمناهم) أي الذين وقع منهم الهود بتحريمنا عليهم ما حرمنا) ولكن كانوا) أي دائما طبعا لهم وخلقا مستمرا) أنفسهم) أي خاصة) يظلمون) أي بالبغي والكفر ، فضيقنا عليهم معاملة بالعدل ، وعاملناكم أنتم حيث ظلمتم بالفضل ، فاشكروا النعمة واحذروا غوائل النقمة .
ولما بين هذه النعمة الدنيوية عطف عليها نعمة هي أكبر منها جدا ، استجلابا لكل ظالم ، وبين عظمتها

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١٩١/٤

بحرف التراخي فقال تعالى : (ثم إن ربك) أي المحسن إليك) للذين عملوا السوء (وهو كل ما من شأنه أن يسوء ، وهو ما لا ينبغي فعله) بجهالة (كما عملتم وإن عظم فعلهم وتفاحش جهلهم) ثم تابوا (.

ولما كان سبحانه يقبل اليسير من العمل ، أدخل الجار فقال تعالى : (من بعد ذلك) أي الذنب ول كان عظيما ، فاقتصروا على ما أذن فيه خالقهم) وأصلحوا (بالاستمرار على ذلك) إن ربك) أي المحسن إليك بتسهيل دينك وتيسيره .

ولما كان إنما يغفر بعد التوبة ما عدا الشرك الواقع بعدها ، أدخل الجار فقال تعالى : (من بعدها) أي التوبة وما تقدمها من أعمال السوء) لغفور) أي **بليغ الستر لما** عملوا من السوء) رحيم) أي محسن بالإكرام فضلا ونعمة .

النحل : (١٢٠ - ١٢٤) إن إبراهيم كان. .. . .

) إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين ثم أوحينآ إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (( )." (١)

" صفحة رقم ٣٧٥

استعار لتعطفه عليهما رعيا لحقوقهما قوله تعالى : (جناح الذل) أي جناح ذلك ، وبين المراد بقوله تعالى : (من الرحمة) أي لا من أجل امتثال الأمر والنواهي وما تقدم لهما من من أجل الرحمة لهما ، بأن لا تزال تذكر نفسك بالأوامر والنواهي وما تقدم لهما من الإحسان إليك ، فصارا مفتقرين إليك وقد كنت أفقر خلق الله إليهما ، حتى يصير ذلك خلقا لازما لك فإن النفس لأمارة بالسوء ، وإن لم تقد إلى الخير بأنواع الإرغاب والإرهاب والإمعان في النظر في حقائق الأمور وعجائب المقدور ، ولذلك أتبعه قوله تعالى آمرا بأن لا يكتفي برحمته التي لا بقاء لها ، فإن ذلك لا يكافئ حقهما بل يلطب لهما الرحمة الباقية : (وقل رب) أي أيهما المحسن إلي بعطفهما علي حتى ربياني وكانا يقدماني على أنفسهما) ارحمهما (بكرمك برحمتك الباقية وجودك كما برحمتهما أنا برحمتي القاصرة مع بخلي وما في من طبع اللوم) كما ربياني (برحمتهما لي) صغيرا (وهذا مخصوص بالمسلمين بآية) ما كان للنبي (لا منسوخ ، ولقد أبلغ سبحانه

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٢٠/٤

في الإيصاء بهما حيث بدأه بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده ونظمه في سلكه ، وختمه بالتضرع في نجاتهما ، جزاء على فعلهما وشكرا لهما ، وضيق الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى شيء من امتهانهما ، مع موجبات الضجر ومع أحوال لا يكاد يدخل الصبر إليها في حد الاستطاعة إلا بتدريب كبير .

ولما كان ذلك عسرا جدا من التهاون به بقوله تعالى : (ربكم) أي المحسن إليكم في الحقيقة ، فإنه هو الذي عطف عليكم من يربكم وهو الذي أعانهم على ذلك) أعلم) أي منكم) بما في نفوسكم (من قصد البر بهما وغيره ، فلا يظهر أحدكم غير ما يبطن ، فإن ذلك لا ينفعه ولا ينجيه إلا أن يحمل نفسه على ما يكون سببا لرحمتهما) إن تكونوا) أي كونا هو جبلة لكم) صالحين) أي متقين أو محسنين في نفس ال أمر ؛ والصلاح : استقامة الفعل على ما يدعوا إليعه الدليل ، وأشار إلى أنه لا يكون ذلك إلا بمعالجة النفس وترجيعها كرة بهد فرة بقوله تعالى : (فإنه كان للأوابين) أي الرجاعين إلى الخير مرة إثر مرة بعد جماع أنفسهم عنه) غفورا) أي بالغ الستر ، تنبيها لمن وقع منه تقصين فرجع عنه على أنه مغفور .

الإسراء : (٢٦ - ٢٩) وآت ذا القربى. .. . . .

) وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا وإما تعرضن عنهم ابتغآء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا (( )." (١)

" صفحة رقم ٣٨٨

المصر ، والقرة - كعدة : العيال والثقل والشيخ الكبير - لأن الكبر والثقل يثمران الوقار الناشئ عن استجماع النفس والعزم وترك الانتشار بالطيش ، وما قبلهما واضح في الجمع ، والموقر - كمعظم : المجرب العاقل قد حنكته الدهور - لأن ذلك يثمر استجماع العقل ، ووقرت الرجل توقيرا : بجلته ورزنته ، والدابة : سكنتها - فكان كأنه جمع إليها حمل ثقيل ، والتيقور فيعول من الوقار تاءه مبدلة من واو ، يقال : وقر في بيته يقر ، أي جمع نفسه فيه لاجتماع همه ، والمرقر - كمجلس : الموضع السهل عند سفح الجبل - لعله شبه بالرجل الوقور المطمئن الساكن النفس ، والحامل الذي يوطئه الحمل ، والوقرة : وكتة - أي حفرة - تكون في الحافر والعين والحجر - لأن من شأن الحفرة أن تجمع ما تودعه ، ومنه توقير الشيء : أن تصير له

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٧٥/٤

وقرات ، أي آثارا ، والوقر : الصدع في الساق وكالوكتة أو الهزمة تكون في العظم والحجر والعين ، وأوقر الله الدابة : أصابها بوقرة ، وفقير وقير ، أي مكسور العظام أو الفقار ، أو تشبيه بصغار الشاء أو اتباع ، أو المعنى أن الدين أوقره ، والوقير : النقرة العظيمة في الصخرة تمسك الماء – وهو واضح في الجمع . والروق : القرن – لشدة اجتماعه لصلابته واستدارته ، ولأنه يجمع إقدام صاحبه وعزمه ، والروق أيضا : عوم الرجل وفعاله – لجمعها أمره ، والروق من الليل : طائفة – لاجتماع ساعاتها ، والروق من البيت : رواقه ، أي شقته التي دون الشقة العليا – لأنها تكمل جمعه لما يقصد منه **من الستر** ، ورواق البيت – ككتاب وغراب .

ما أطاف به ، قال القزاز : وقيل : الرواق كالفسطاط يحمل على عمود واحد في وسطهن قال في القاموس : أو سقف في مقدم البيت وحاجب العين – ولعله شبه بالستر ، ومن الليل : مقدمه وجانبه – شبه بجانب البيت ، والروق من الشباب : أوله كالريق بالفتح ، والريق ككيس ، وأصله ريوق – لأنه ينبني عليه ما بعده ويجتمع إليه كأنه الأصل الذي يجمع جميع الفروع ، والريق أيضا أن يصيبك من المطر شيء يسير – كأنه أول المطر ، الروقة : الشيء اليسير ، وهي من ذلك ، والروق أيضا : العمر – لأنه الجامع للحال ، وراقني الشيء : أعجبني – لأن الفكر يجمع الخواطر لأجله فلا يظهر له وجه ما صار به معجبا ، ووصيف روقة – إذا أعجبك ، وجارية روقة وغلمان روقة ، جمع رائقن والروقة : الشيء الجميل جدا ، والروق – بالفتح العجب والإعجاب بالشيء ، ومن الخيل : الحسن الخلق يعجب الرائي ، والجمال الرائق ، والريق والروق والرواق : **الستر** – لأنه يجمع البصر والهم عما وراءه ، وهو أيضا موضع الصائد – لأنه يجمعه على ما يريد ويوصله إليه ، والروق : الرواق ومقدم البيت والشجاع لا يطاق – لاجتماع همه لما يريد ، والفسطاط والسيد –." (١)

" صفحة رقم ٤١٦

الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر ، يقول أبي هريرة : اقرؤوا إن شئتم) إن قرءان الفجر (– الآيةز قالوا : وهذا دليل على وجوب الصلاة بأول الوقت ، وأن التغليس بصلاة الفجر أفضل ؛ ثم حث بعدها على التهجد لأفضليته وأشديته فقال تعالى : (ومن) أي وعليك بعض ، أو قم بعض) اليل فتهجد) أي اترك الهجود – وهو النوم – بالصلاة) به) أي بمطلق القرآن ، فهو من الاستخدام الحسن) نافلة لك) أي زيادة مختصة بك ؛ قال عبد الغافر الفارسي في مجمع الغرائب : وأصل النفل الزيادة ، ومنه الأنفال الزائدة

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٨٨/٤

على الغنائم التي أحلها الله لهذه الأمة ، وقال أبو عبد الله القزاز : النوافل : الفواضل ، ومن هذا يقولون : فلان ممن ترجى نوافله – انتهى .

فهو زيادة للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الفرض وللأمة في التطوع ، وخص به ترغيبا للأمة لأنهم يعلمون أنه لا يخص إلا بخير الخير ، لأنه ا لوقت الذي كني فيه عن استجابة الدعاء بالنزول إلى السماء الدنيا اللازم منه القرب الوارد في الأحاديث الصحيحة أنه يكون في حوف الليل ، لأن من عادة الملوكفي الدنيا أن يجعلوا فتح الباب والقرب منه ورفع الستر والنزول عن محل الكبرياء أمارة على قضاء الحوائج ، وكل ما يعبر به عن الله تعالى مما ينزه سبحانه عن ظاهره يكون كناية عن لازمه ، وبين ذلك حديث رويناه في جزء العبسي عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : (إن في الليل ساهة يفتح فيها أبواب السماء فينادي مناد : هل من داع فيستجاب له ؟) إلى آخرهن فهذا شاهد عظيم لهذا التأويل .

ولما أمره سبحانه بالتهجد والتذلل ، وكان السياق للعظمة رجاء في النوال بما يليق." (١)

" صفحة رقم ٥١٠

النصارى فكفروا بالجنة وقالوا : لا طعام فيها ولا شرب – انتهى .

قلت : وكذا قال اليهود لأن الفريقين أنكروا الحشر الجسماني وخصوه بالروحاني .

ولما كانوا ينكرون أنهم على ذلك ، لملازمتهم لكثير من محاسن الأعمال ، البعيدة عن الضلال ، بين لهم السبب في بطلان سعيهم بقوله : (أولئك) أي البعداء البغضاء) الذين كفروا) أي أوقعوا الستر والتغطية لما من حقه أن يظهر ويشهر ، مستهينين) بأيات ربهم (من كلامه وأفعاله ، وبين سبب هذا الكفر بقوله : (ولقائه) أي فصاروا لا يخافون فلا يردهم شيء عن أهوائهم) فحبطت) أي سقطت وبطلت وفسدت بسبب جحدهم للدلائل) أعمالهم (لعدم بنائها على أساس الإيمان) فلا) أي فتسبب عن سقوطها أنا لا) نقيم لهم (ما لنا من الكبرياء والعظمة المانعين من اعتراض أحد علينا أو شفاعته بغير إذننا لدينا) يوم القيامة وزنا) أي لا نعتبرهم لكونهم جهلو ا أمرنا الذي لا شيء أظهر منه ، وآمنوا مكرنا ولا شيء أخطر منه .

ولما كان هذا السياق في الدلالة على أن لهم جهنم أوضح من الشمس قال : (ذلك) أي الأمر العظيم الذي بيناه من وعيدهم) جزاؤهم (لكن لما كان حاكما بضلالهم وغباوتهم ، بين الجزاء بقوله : (جهنم

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤١٦/٤

(وصرح بالسببية بقوله : (بما كفروا) أي وقعوا التغطية للدلائل) واتخذوا ءاياتي (التي هي مع إنارتها أجد الجد وأبعد شيء عن الهزل) ورسلي (المؤيدين بباهر أفعالي مع ما لهم من الشهامة والفضل) هزوا (فلم يكتفوا بالكفر الذي هو طعن في الإلهية حتى ضموا إليه الهزء الذي هو أعظم احتقار .

ولما بين ما لأحد قسمي أهل الجمع تنفيرا عنهم ، بين ما للآخر على تقدير الجواب لسؤال تقتضيه الحال ترغيبا والاقتداء بهم ، فقال : (إن الذين ءامنوا) أي باشروا الإيمان) وعملوا (تصديقا لإيمانهم) الصالحات (من الخصال) كانت لهم (لبناء أعمالهم على الأساس) جنات) أي بساتين) الفردوس) أي أعلى الجنة ، وأصله البستان الذي هو الجنة بالحقيقة لانخفاض ما دونه عنه ، وستر من يدخله بكثرة أشجاره) نزلا (كما كان السعير والأغلال لأولئك أنزلا ، بعد لهم حين الدخول) خالدين فيها (بعد دخولهم) لايبغون) أي يريدون أدنى إرادة) عنها حولا) أي تحولا لأنه مزيد عليها ، دفعا لما قد يتوهم من أن الأمر كما في الدنيا من أن كل أحد في أي نعيم كان يشتهي ما هو أعلى منه لأن طول الإقامة قد يورث السآمة ، بل هم في." (١)

" صفحة رقم ٢٣١

ونسق عليها مما ليس من الحكم المذكور فلاستجرار الآي إياه واستدعائه ، ومظنه استيفاء ذلك وبيان ارتباطه التفسير ، وليس من شرطنا هنا - والله سبحانه وتعالى يوفقنا لفهم كتابه - انتهى .

ولما كان مبنى هذه الدار على الأنساب في التوارث والإمامة والنكاح وغير ذلك ، ومبنى تلك الدار على العمال لقوله تعالى

٧٧ ( ) فلا أنساب بينهم يومئذ ( ) ٧

[المؤمنون : ١٠١] وكان قد حث في آخر تلك **على الستر والرحمة** ، حذر رحمة منه في أول هذه من لبس الأنساب ، وكسب الأعراض وقطع الأسباب ، معلما **أن الستر والرقة** ليسا على عمومهما ، بل على ما يحده سبحانه ، فقال مخاطبا للأئمة ومن يقيمونه : (الزانية (وهي من فعلت الزنى ، وهو إيلاج فرج في فرج مشتهى طبعا محرم شرعا ، وقدمها لأن أثر الزنى يبدو عليها من الحبل وزوال البكارة ، ولنها أصل الفتنة بهتك مامأمرت به من حجاب التستر والتصون والتحذر) والزاني (.

ولما كان (ال) بمعنى الاسم الموصول ، أدخل الفاء في الخبر فقال : (فاجلدوا) أي فاضربوا وإن كان أصله ضرب الجلد بالسوط الذي هو جلد) كل واحد منهما (إذا لم يكن محصنا ، بل كان مكلفا بكرا

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٤/٥١٠

- بما بينته السنة الشريفة) مائة جلدة (فبدأ بحد الزنى المشار إليه أول تلك بقوله تعالى

٧٧ ( ) فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ( ) ٧

[المؤمنون : ٧] وفي التعبير بلفظ الجلد إشارة غلى أنه يكون مبرحا بحيث يتجاوز الألم إلى اللحم .

ولما كان هذا ظاهرا في ترك الشفقة عليهما ، صرح به لأن من شأن كل من يجوز على نفسه الوقوع في مثل ذلك أن يرحمهما فقال : (ولا تأخذكم) أي على حال من الأحوال) بهما رأفة) أي لين ، ولعله عبر بها إعلاما بأنه لم ينه عن مطلق الرحمة ، لأن الرأفة اشد الرحمة أو أرقها وتكون عن اسباب من المرؤوف به ، وكذا قوله : (في دين الله) أي الذي شرعه لكم الملك المحيط بصفات الكمال - إشارة إلى أن الممنوع منه رحمة تؤدي إلى ترك الحد أو شيء منه أو التهاون به أو الرضى عن منتهكه لا رقة القلب المطبوع عليها البشر كما يحكى عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه بكى يوم فتحت قبرص وضربت رقاب ناس من أسراها فقيل له : هذا يوم سرور ، فقال : هو كذلك ، ولكني أبكي رحمة لهؤلاء العباد الذين عصوا الله فخذلهم وأمكن منهم .

ولما علم سبحانه ما طبع عليه عباده من رحمة بعضهم لبعض فحث على هذا الحكم بالأمر والنهي ، زاد في التهييج غليه والخص عليه بقوله : (إن كنتم) أي بما هو كالجبلة التي لا تنفك) تؤمنون بالله) أي الملك الأعظم الذي هو أرحم الراحمين ، فما." (١)

" صفحة رقم ٢٣٦

عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) ٧٣

٧١ ( )

ولما نفر سبحانه من نكاح من اتصف بالزنى من رجل أو امرأة ، وبدأ - لأن نكاح المرأة للزاني مظنة لزناها - بتنفير الإناث بما يوهم جواز إطلاق الزنى أيضا لأن زناها أكبر شرا ، من علم زناه ، وذلك بعد أن ابتدأ في حد الزنى بالأنثى أيضا لأن زناها أكبر شرا ، وأعظم فضيحة وضرا ، عطف على ذلك تحريم القذف بما يوجب تعظيم الرغبة في الستر وصيانة الأعراض وإخفاء الفواحش ، فقال ذاكرا الجمع لأن الحكم بإقامة الحد عليه يفهم إقامة الحد على الواحد من باب الأولى ولا إيهام فيه لأن الجمع إذا قوبل بالجمع أفهم التوزيع : (والذين يرمون) أي بالزنى) المحصنات (جمع محصنة ، وهي هنا المسلمة الحرة المكلفة

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٣١/٥

العفيفة ، والمراد القذف بالزنى بما أرشد إليه السياق سابقا ولاحقا ، ذكورا كان الرامون أو إناثا بما أفهمه الموصول ، وخص الإناث وإن كان الحكم عاما للرجال تنبيها على عظيم حق أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، ولأن الكلام في حقهن اشنع .

ولما كان إقدام المجترىء على القذف مع ما شرطه فيه لدرء الحد **إرادة الستر –** بعيدا ، أشار إليه بأداة التراخي فقال : (ثم لم يأتوا) أي إلى الحاكم) بأربعة شهداء (ذكور) فاجلدوهم (أيها المؤمنون من الأئمة ونوابهم) ثمانين جلدة (لكل واحد منهم ، لكل محصنة ، إن لم يكن القاذف اصلا ، إن كانوا أحرارا ، وحد العبد نصف ذلك لآية النساء

٧٧ ( ) فعليهن نصف ما على المحصنات من ا لعذاب ( ) ٧

[النساء : ٢٥] فهذه الآية مخصصة بتلك إذ لا فرق بين الذكر والأنثى ولا بين حد الزنى وحد القذف) ولا تقبلوا لهم) أي بعد قذفهم على هذا الوجه) شهادة) أي شهادة كانت) أبدا (للحكم بافترائهم ، ومن ثبت افتراؤه سقط الوثوق بـكلامه .

ولما كان التقدير : فإنهم قد افتروا ، عطف عليه تحذيرا من الإقدام عن غير تثبيت : (وأولئك) أي الذين تقدم ذمهم بالقذف فسفلت رتبتهم جدا) هم الفاسقون) أي المحكوم بفسقهم الثابت لهم هذا الوصف وإن كان القاذف منهم محقا في نفس الأمر .

ولما كان من أصل الشافعي رحمه الله أن الاستثناء المتعقب للجمل المتواصلة المتعاطفة بالواو عائد إلى جميع سواء كانت من جنس أو أكثر إلا إذا منعت قرينة ، أعاد الاستثناء هنا إلى الفسق ورد الشهادة دون الحكم بالجلد ، لأن من تمام التوبة الاستسلام للحد والاستحلال منه ، ولقرينة كونه حق آدمي وهو لا يسقط بالتوبة ، في قوله تعالى : (إلا الذين تابوا) أي رجعوا عما وقعوا فيه من القذف وغيره وندموا عليه وعزموا على." (١)

" صفحة رقم ٢٥٨

ولما كان النساء حبائل الشيطان ، أمرن **بزيادة الستر بقوله** : ناهيا عن الزينة ليكون النهي عن مةاقعها من الجسد أشد وأولى) ولا يبدين زينتهن) أي كالحلي والفاخر من الثياب فكيف بما وراءها) إلا ما ظهر منها) أي كان بحيث يظهر فيشق التحرز في إخفائه فيدا من غير قصد كالسوار والخاتم والكحل فإنها لا بد لها من مزاولة حاجتها بيدها ومن كشف وجهها في الشهادة ونحوها .

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٣٦/٥

ولما كان أكثر الزينة في ألأعناق والأيدي والأرجل ، وكان دوام ستر الأعناق أيسر وأمكن ، خصها فقال : (وليضربن (من الضرب ، وهو وضع الشيء بسرعة وتحامل ، يقال : ضرب في عمله : أخذ فيه ، وضرب بيده إلى كذا : اهوى ، وعلى يده : أمسك ، وضرب الليل بأوراقه : اقبل ، والضارب : الليلي الذي ذهبت ظلمته يمينا وشمالا وملأت الدنيا ، والضارب : الطويل من كل شيء والمتحرك .

ولما كان المقصود من هذا الضرب بعض الخمار ، وهو م، لا صق الجيب منه ، عداه بالباء فقال : (بخمرهن (جمع خمار ، وهو منديل يوضع على الرأس ، وقال أبو حيان : وهو المقنعة التي تلقي المرأة على رأسها .

) على جيوبهن (جمع جيب ، وهو خرق الثوب الذي يحيط بالعنق ، فالمعنى حينئذ يهوين بها غلى ما تحت العنق ويسبلنها من جميع الجوانب ويطولنها سترا للشعر والصدر وغيرهما مما هنالك ، وكأنه اختير لفظ الضرب إشارة إلى قوة القصد للستر وإشارة إلى العفو عما قد يبدو عند تحرك الخمار عند مزاولة شيء من العقل ؛ قال أبو حيان : وكان النساء يغطين رؤوسهن بالأخمرة ويسدلنها من وراء الظهور فيبقى النحر والعنق والأذنان لا ستر عليهن .

وروى البخاري في التفسير عن عائشة رضي الله عنها قالت : يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما نزلت) وليضربن بخمرهن (شققن مروطهن – وفي رواية : أخذن أزرهن فشققنها من قبل الحواشي – فاختمرن بها ، يعني تسترن ما قدام ، والإزار هنا الملاء .

ولما كان ذكر الجيب ربما أوهم خصوصا في الزينة ، عم بقوله : (ولا يبدين (أو كرره لبيان من يحل الإبداء له ومن لا يحل ، وللتأكيد) زينتهن (اي الخفية في أي موضع كانت من عنق أو غيره ، وهي ما عدا الوجه والكفين ، وظهور القدمين ، بوضع الجلباب ، وهو الثوب الذي يغطي الثياب والخمار قاله ابن عباس رضي الله عنهما .

) إلا لبعولتهن) أي أزواجهن ، فإن الزينة لهم جعلت .

قال أبو حيان : ثم ثنى بالمحارم وسوى بينهم في إبداء الزينة ، ولكن تختلف مراتهم في ا لحرمة بحسب ما في نفوس البشر فالأب والأخ ليس كابن الزمج – انتهى .

فقال تعالى : (أو آبائهن) أي فإن لهم عليهن من الشفقة ما يمنع النظر بالشهوة ومثلهم في هذا المعنى سواء الأعمام والأخوال." (١)

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٥٨/٥

" صفحة رقم ٢٨٤

كان هذا الأخير قطبها قال : (اللاتي لا يرجون نكاحا) أي لعدم رغبتهن فيه أو لوصولهن إلى حد لا يرغب فيهن معه) فليس عليهن جناح) أي شيء من الحرج في) أن يضعن ثيابهن) أي الظاهرة فوق الثياب الساترة بحضرة الرجال بدليل قراءة ابن مسعود رضي الله عنه) من ثيابهن (قال أبو صالح : تضع الجلباب ، وهو ما يغطي ثيابها من فوق كالملحفة ، وتقوم بين يدي الرجل في الدرع والخمار) غير متبرجات بزينة) أي متعمدات - بوضع ما أبيح لهن وضعه إظهار وجوههن مع الزينة ، أو غير متظاهرات بالزينة ، قال في الجمع بين العباب والمحكم : تبرجت المرأة : أظهرت وجهها .

وفي القاموس : تبرجت : أظهرت زينته للرجال - انتهى .

ومادة برج تدور على الظهور كما مضى في الحجر ؛ وقال البيضاوي : وأصل البرج التكلف في إظهار ما يخفى - انتهى .

وكأنه أشير بصيغة التفعل إلى أن ما ظهر منها من وجهها أو زينتها عفوا غير مقصود به الفساد لا حرج فيه .

ولما ذكر الجائز ، وكان إبداء الوجه داعيا إلى الريبة ، أشار إليه بقوله ذاكرا المستحب ، بعثا على اختيار أفضل الأعمال وأحسنها : (وإن يستعففن) أي يطلبن العفة **بدوام الستر وعدم** التخفف بإلقاء الجلباب والخمار) خير لهن (من الإلقاء المذكور .

ولما كان ما ذكر من حالهن من الخلطة على ذلك الوصف معلوما أنه لا يخلو عن كلام ، كان التقدير : فالله في وضع الحرج عنهن رؤوف بهن رحيم ، عطف عليه قوله : (والله) أي الذي له جميع صفات الكمال) سميع) أي لكلامهن إذا خاطبن الرجال هل يخضعن فيه ويتصنعن في ترخيم الصوت به أو يلقينه على الحالة المعروفة غير المنكرة) عليم (بما يقصدن به وبكل شيء .

النور : (٦١) ليس على الأعمى. .. . . .

) ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبآئكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون (( )

ولما أتم سبحانه ما ذكر من حرمات البيوت المستلزمة لصيانة الأبضاع على وجه يلوم منه إحراز الأموال ، أتبعه ما يباح من ذلك للأكل الذي هو من أجل مقاصد الأموال." (١)

" صفحة رقم ٢٩٧

ولما رموه بهذه الأقوال التي هم فيها في خبط عشواء ، وكانت مع مونها ظاهرة العوار ، عند ن له أدنى ااستبصار ، تروج على بعض العرب بعض الرواج ، مع سعة عقولهم ، وصحة أفكارهم ، لشبه واهية مكنهم فيها التقليد ، وشدة الالف لما هم عليه من الزمن المديد ، أمره سبحانه بجوابهم مستأنفا فقال : (قل) أي دالا على بطلان ما قالوه مهددا لهم : (أنزله) أي القرآن من خزائن علمه خلافا لجميع ما تقولتموه) الذي يعلم السر) أي كله ، لا يخفى عليه منه خافية فكيف بالجهر) في السماوات والأرض (فهو يجيبكم عن كل ما تقولتموه في وفي كتابه وإن أسررتموه ، ويبين جميع ما يحتاج إليه العباد في الدارين في كلام معجز لفظا ومعنى على وجه يتحقق كل ذي لب أنه لا يقوله إلا عالم بجميع المعلومات ، ولا يحيط بجميع المعلومات سواه ، وهذا ظاهر جدا من إخباره بالماضي بما يصدقه العلماء من الماضين ، وحكمه على الآتي بما يكون ضربة لازم ، وإظهاره الخبء وإحكامه لجميع ما يقوله ، وقد جرت عادته سبحانه وتعالى بالانتقام ممن كذب عليه بإظهار كذبه أولا ، ثم بأخذه ثانيا ، ثم عذابه العذاب الأكبر ثالثا ، فستنظرون من يفعل به ذلك ، وقد بان لعمري صدقه لما وقع منالأمور الثلاثة .

ولما كان من المعلوم أن العالم بكل شيء قادر على شيء كما مضى تقريره في سورة طه ، وكانت العادة جارية بأن من علم استخفاف غيره به وكان قادرا عليه عاجله بالأخذ ، أجيب من كأنه قال : فما له لا يهلك المكذبين له ؟ بقوله مرغبا لهم في التوبة ، مشيرا غلقدرته بالستر والإنعام ، ومبينا لفائدة إنزاله إليهم هذا الذكر من الرجوع عما تمادت عليه أزمانهم من الكفر وأنواع المعاصي : (إنه كان (أزلا وأبدا) غفورا (اي بليغ الستر لما يريد من ذنوب عباده ، بأن لا يعاتبهم عليها ولا يؤاخذهم بها) رحيما (بهم في الأنعام عليهم بعد خلقهم ، برزقهم وتركيب العقول فيهم ، ونصب الأدلة لهم ، وإرسال الرسل وإنزال الكتب فيهم ، وأمهالهم في تكذيبهم ، أي فليس لإمهالهم ووعظهم بما نزله إليهم سبب إلا رحمته وغفرانه وعلمه بأن كتابه صلاح لأحوالهم في الدارين .

ولما أتم سبحانه ما أراد من ذكر المنزل والمنزل ، وأخبر عن طعنهم في المنزل الذي هو المقصود بالذات من الرسالة ، وأقام تعالى ذلك الدليل على كذبهم ، أتبعه الإخبار عن طعنهم في الرسول الآتي به ، فقال

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٨٤/٥

معجبا عقولهم التي يعدونها أصفى العقول أفكارا ، وأعلاها آثارا ، فيما أبدوه من ذلك مما ظنوا أنه دليل على عدم الرسالة ، ولا شيء منه يصلح أن يكون شبهة لذي مسكة من امره ، فضلا عن أن يكون دليلا : (وقالوا) أي مستفهمين تهكما بوصفه ، قادحين فيه بفعله ، قول من هو على ثقة من أن." (١)

" صفحة رقم ٣١٦

ولما كان إنزله مفرقا أحسنن أكده بقوله عطفا على الفعل الذي تعلق به طكذلك ( ) ورتلناه ترتيلا) أي فرقناه في الإنزال إليك تفريقا في نيف وعشرين سنة ؛ وقال البغوي : قال ابن عباس رضي الله عنهما : بيناه بيانا ، والنرتيل : التبين في ترسل وتثبت انتهى .

وأصله ترتيل الأسنان وهو تفليجها كنور الأقحوان .

ولما كان التقدير : قد بطل ما أتوا به هذا الاعتراض ، عطف عليه قوله : (ولا يأتونك) أي المشركون) بمثل) أي باعتراض في إبطال أمرك يخيلون به لعقول الضعفاء بما يجتهدون في تنميقه وتحسينه وتدقيقه حتى يصير عندهم في غاية الحسن والرشاقة لفظا ومعنى) إلا جئناك) أي في جوابه) بالحق (ومن الألف واللام الدالة على الكمال يعرف أن المراد به الثابت الذي لا شيء أثبت منه ، فيرهق ما أتوا به لبطلانه ، ويفتضح بعد **ذلك الستر فضيحة** تخجل القائل والسامع القابل .

ولما كانالتقدير في الأصل : بأحق منه ، وإنما عبر بالحق ، لئلا يفهم أن لما يأتون به وجها في الحقيقة ، عطف عليه قوله : (وأحسن) أي من مثلهم) تفسيرا) أي كشفا لما غطى الفهم من ذلك الذي خيلوا به وادعوا أنهم أوضحوا به وجها من وجوه المطاعن ، فجزم أكثر من السامعين بحسنه .

ولما أنتجت هذه الآيات كلها أنهم معاندون لربهم ، وأنهم يريدن بهذه السؤالات أن يضللوا سبيله ، ويحتقروا مكانته ، ويهدروا منزلته ، علم قطعا أنه يعمر بهم دار الشقاء ، وكان ذلك أدل على أنهم أعمى الناس عن الطرق المحسوسة ، فضلا عن الأمثال المعلومة ، والتمثيل للمدارك الغامضة ، وأنهم أحقر الناس لأنه لا ينتقص الأفاضل إلا ناقص ، ولا يتكلم الإنسان إلا فيمن هو خير منه ، قال معادلا لقوله :

٧٧ ( ) أصحاب الجنة يومئذ خير ( ) ٧

[الفرقان : ٢٤] واصفا لما تقدم أنه أظهره موضع الإضمار من قوله

٧٧ ( ) الذين كفروا ( ) ٧

[الفرقان : ٣٢] (ألذين يحشرون (اي يجمعون قهرا ماشين مقلوبين) علةى وجوههم (أو مسحوبين

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٩٧/٥

) إلى جهنم (كما أنهم في الدنيا كانوا يعملون ما كأنهم معه لا يبصرون ولا تصرف لهم في أنفسهم ، تؤزهم الشياطين أزا ، فإن الآخرة مرآة الدنيا ، مهما عمل هنا رئي هناك ، كما أن الدنيا مزرعة الآخرة ، مهما عمل فيها جنيت ثمرته هناك (روى البخاري عن أنس رضي الله عنهما أن رجلا قال : يا نبي الله كيف يحشر الكفر على وجهه يوم القيامة ؟ قال : (أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على أن يمشيه على ةجهه يوم القيامة ؟ (قال قتادة : يعني الراوي عن أنس : (بلى وعزة ربنا .." (١)

" صفحة رقم ٤٧٢

مثل ما أعطي من القوى الذاتية والمعنوية) فقضى) أي فأوقع القضاء الذي هو القضاء على الحقيقة ، وهو الموت الذي لا ينجو منه بشر) عليه (فقتله وزفرغ منه وكل شيء فرغت منه فقد قضيته وقضيت عليه وخفي هذا على الناس لما هم فيه من الغفلة ، فلم يشعر به أحد منهم .

ولما كان كأنه قيل : إن هذا الأمر عظيم ، فما ترتب عليه من قول من أوتي حكما وعلما ؟ أجيب بالإخبار عنه بأنه ندم عليه في الحال بقوله : (قال) أي موسى عليه السلام : (هذا) أي الفعل الذي جرك إليه الإسرائيلي) من عمل الشيطان) أي لأني لم أومر به على الخصوص ، ولم يكن نقصدي وإن كان المقن تول كافرا ؛ ثك أخبر عن حال الشيطان بما هو عالم به ، مؤكدا له حملا لنفسه على شدة الاحتراس والحذر منه فقال : (إنه عدو (ومع كونه عدوا ينبغي الحذر منه فهو) مضل (لا يقود إلى خير أصلا ، وع ذلك فهو) مبين) أي عداوته وإضلاله في غاية البيان ، ما في شيء منهما خفاء .

ولما كان هذا الكافر ليس فيه شيء غير الندم لكونه (صلى الله عليه وسلم) لم يأته في قتله إذن خاص ، وكان قد أخبر عنه بالندم ، تشوفت أنفس البصراء إلى الاستغفار عنه ، علما منهم بأن عادة الأنبياء وأهل الدرجات العلية استعظام الهفوات ، فأجيبوا بالأخبار عن مبادرته إلى ذلك قوله : (قال (واسقط أداة النداء ، على عادة أهل الاصطفاء ، فقال : (رب) أي أيها المحسن إلي .

ولما كان حال المقدم على شيء دالة على إرادته فاستحسانه إياه ، أكد قوله إعلاما بأن باطنه عل غير ما دل عليه ظاهرة فقال : (إني ظلمت نفسي) أي بالإقدام على ما يم يتقدم إلي فيه إذن بالخصوص وإن كان مباحا .

ولما كان المقرب قد يعد حسنة غيره سيئته ، قال مسببا عن ذلك : (فاغفر (اي امح هذه الهفوة عينها وأثرها) لي) أي لأجلي لا تؤاخذني) فغفر (اي أوقع المحو لذلك كما سأل إكراما) له (ثم علل ذلك

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣١٦/٥

بقوله مشيرا إلى أن صفة غيره عدم بالنسسبة إلى صفته مؤكدا لذلك : (إنه هو) أي وحده) الغفور (اي البالغ في صفة الستر لكل من يريد) الرحيم (اي العظيم الرحمة بالإحسان بالتوفيق غلىالأفعال المرضية لمقام الإلهية ، ولأجل أن هذه صفته ، رده إلى فرعون وقومه حين ارسله إليهم فلم يقدروا على مؤاخذته بذلك بقصاص ولا غيره بعد أن نجاه منم قبل الرسالة على غير قياس .

ولما أنعم عليه سبحانه بالإجابة إلى سؤله ، تشوف السامع إلى شكره عليها فأجيب." (١)

" صفحة رقم ٧٤

يدل على النقص في حقنا ، وعلى الكمال في حقه ، ودل على التنزيه بالإشارة ليبين فهم الفهماء وعلم العلماء) وهو) أي وحده من حيث قوله الحق) يهدي السبيل) أي الكامل الذي من شأنه أن يوصل إلى المطلوب إن ضل أحد في فعل أو قول ، فلا تعولوا على سواء ولا تلتفتوا أصلا إلى غيره .

ولما كان كأنه قيل : فما تقول ؟ اهدنا إلى سبيل الحق في ذلك ، أرشد إلى أمر التبني إشارة إلى أنه هو المقصود في هذه السورة لما يأتي بعد من آثاره التي هي المقصودة بالذات بقوله : (ادعوهم) أي الأدعياء) لآبائهم) أي إن علموا ولدا قالوا : زيد بن حارثة ؛ ثم علله بقوله : (هو) أي هذا الدعاء) أقسط) أي أقرب إلى العدل من التبني وإن كان إنما هو لمزيد الشفقة على المتبني والإحسان إليه) عند الله) أي الجامع لجميع صفات الكمال ، فلا ينبغي أن يفعل في ملكه إلا ما هو أقرب إلى الكمال ، وفي هذا النسبة إلى ما مضى بعض التنفيس عنهم ، وإشارة إلى أن ذلك التغليظ بالنسبة إلى مجموع القولين المتقدمين .

ولما كانوا قد يكونون مجهولين ، تسبب عنه قوله : (فإن لم تعلموا آباءهم (لجهل أصلي أو طارئ) فإخوانكم في الدين (إن كانوا دخلوا في دينكم) ومواليكم) أي أرقامكم مع بقاء الرق أو مع العتق على كلتا الحالتين ، ولذا قالوا : سالم مولى أبي حذيفة .

ولما نزل هذا قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : (من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام) – أخرجه الشيخان عن سعد بن أبي وقاص وأبي بكرة رضي الله عنهما .

ولما كانت عادتهم الخوف مما سبق من أحوالهم على النهي لشدة ورعهم ، أخبرهم أنه تعالى أسقط عنهم ذلك لكونه خطأ ، وساقه على وجه يعم ما بعد النهي أيضا فقال : (وليس عليكم جناح) أي إثم وميل واعوجاج ، وعبر بالظرف ليعيد أن الخطأ لا إثم فيه بوجه ، ولو عبر بالباء لظن أن فيه لإثما ، ولكنه عفا

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٧٢/٥

عنه فقال : (فيما أخطأتم به) أي من الدعاء بالنبوة والمظاهر أو في شيء قبل النهي أو بعده ، ودل قوله : (ولكن ما) أي الإثم فيما) تعمدت قلوبكم (على زوال الحرج أيضا فيما وقع بعد النهي على سبيل النسيان أو سبق اللسان ، ودل تأنيث الفعل على أنه لا يعتمده بعد البيان الشافي إلا قلب فيه رخاوة الأنوثة ، ودل جمع الكثرة على عموم الإثم إن لم ينه المعتمد .

ولما كان هذا الكرم خاصا بما تقدمه ، عم سبحانه بقوله : (وكان الله) أي لكونه لا أعظم منه ولا أكرم منه) غفورا رحيما) أي من صفته الستر البليغ على المذنب النائب ، والهداية العظمية للضال الآئب ، والإكرام بإيتاء الرغائب .." (١)

" صفحة رقم ٨٣

الشام من أرض الروم ، وإن تابعيه سيظهرون على ذلك كله وقد صدق الله وعده في جميع ذلك حتى في لبس سراقة بن مالك ابن جعشم سوارى كسرى بن هرمز كما هو مذكور مستوفى في دلائل النبوة للبيهقي ، وكذبوا في شكهم .

ففاز المصدقون ، وخاب الذين هم في ريبهم يترددون .

ولما ذكر ما هو الأصل في نفاقهم وهو التكذيب ، أتبعه ما تفرع عليه ، ولما كان تخذيليهم بالترجيع مرة ، عبر عنه بالماضي فقال : (وإذ قالت (أنت الفعل إشارة إلى رخاوتهم وتأنثهم في الأقوال والأفعال) طائفة منهم) أي قوم كثير من موتى القلوب ومرضاها يطوف بعضهم ببعض : (يا أهل يثرب (عدلوا عن الاسم - الذي وسمها به النبي (صلى الله عليه وسلم) من المدينة وطيبة مع حسنه - إلى الاسم الذي كانت تدعى به قديما مع احتمال قبحه بين العباب والمحكم : ثرب وأثرب ، بمعنى ثرب تثريبا - إذا لامه وعيره بذنبه وذكر به .

وأكدوا بنفي الجنس لكثرة مخالفتهم في ذلك فقالوا : (لا مقام لكم) أي قياما أو موضع قيام تقومون به - على قراءة الجماعة بالفتح ، وعلى قراءة حفص بالضم المعنى : لا إقامة أو موضع إقامة في مكان القتال ومقارعة الأبطال) فارجعوا (إلى منازلكم هرابا ، وكونوا مع نسائكم أذنابا ، أو إلى دينكم الأول على وجه المصارحة لتكون لكم عند هذه الجنود يد .

ولما ذكر هؤلاء الذين هتكوا الستر ، وبينوا ما هم من سفول الأمر ، أتبعهم آخرين تستروا بعض التستر تمسكا بأذيال النفاق ، خوفا من أهوال الشقاق ، فقال : (ويستأذن) أي يجدد كل وقت طلب الإذن

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٧٤/٦

لأجل الرجوع إلى البيوت والكون مع النساء) فريق منهم) أي طائفة شأنها الفرقة) النبي (وقد رأوا ما حواه من علو المقدار بما له من حسن الخلق ، الخلق ، وما لديه من جلاله الشمائل وكريم الخصائل ، ولم يخشوا من إنبائنا له بالأخبار ، وإظهارها له الخبء ، من مكنون الضمائر وخفي الأسرار ، حال كونهم) يقولون) أي في كل قليل ، مؤكدين لعملهم بكذبهم وتكذيب المؤمنين لهم قولهم : (إن بيوتنا (أتوا بجمع الكثرة إشارة إلى كثرة أصحابهم المنافقين) عورة) أي بها خلل كثير يمكن من أراد من الأحزاب أن يدخلها منه ، فإذا ذهبنا إليها حفظناها منهم وكفينا من يأتي إلينا من مفسديهم حماية للدين ، وذبا عن الأهلين .

ولما قالوا ذلك مؤكدين له ، رده الله تعالى موكدا لرده مبينا لما أرادوا فقال : (وما) أي والحال أنها ما) هي (في ذلك الوقت الذي قالوا هذا فيه ، وأكد النفي فقال : (بعورة (ولا يريدون بذهابهم حمايتها) إن) أي ما) يريدون (باستئذانهم) إلا." (١)

" صفحة رقم ١٢٨

الله ثم جعل يدعو عشرة يأكلون منه ، ويقول لهم : اذكروا اسم الله ، وليأكل كل رجل مما يليه ، حتى تصدعوا كلهم عنها ، قال الترمذي : فقال لي : يا أنس ، ارفع ، فرفعت فما أدري حين وضعت كان أكثر أو حين رفعت – فخرج منهم من خرج وبقي نفر يتحدثون ، قال : وجعلت أغتم – قال الترمذي : ورسول الله جالس وزوجته مولية وجهها إلى الحائط ، فثقلوا على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ؛ وقال عبد الرزاق في تفسيره : فجعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يستحي منهم أن يقول لهم شيئا – ثم خرج النبي (صلى الله عليه وسلم) نحو الحجرات وخرجت في أثره ، فقلت : إنهم قد ذهبوا ، فرجع فدخل البيت وأرخى الستر وإني لفي الحجرة وهو يقول : (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلو بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم (الآية ، وفي رواية الترمذي : ثم رجع ، فلما رأوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) رجع ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه ، فابتدروا الباب ، فخرجوا كلهم ، وجاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى أرخى الستر ودخل وأنا جالس في الحجرة ، فلم يلبث إلا يسيرا حتى خرج علي وأنزلت هذه الآيات ، فخرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقرأهن على الناس) يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي (الآية ، وروى الشيخان وغيرهما عن أنس رضي الله عنه – وهذا لفظ البخاري – وفي روايات قال : بنى على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بزينب بنت جحش بخبز ولحم ، فأرسلت على الطعام داعيا ، فيجيء قوم يأكلون

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٨٣/٦

ويخرجون ، ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون ، فدعوت حتى ما أجد أحدا أدعو ، فقلت : يا نبي الله ما أجد أحدا أدعو ، قال : ارفعوا طعامكم ، فجلسوا يتحدثون في البيت فإذا هو كأنه يتهيأ للقيام ، فلم يقوموا ، فلما رأى ذلك قام ، فلما قام قام من قام ، وقعد ثلاثة نفر ، وفي رواية ، ثلاثة رهط ، فخرج النبي (صلى الله عليه وسلم) فانطلق إلى حجرة عائشة رضي الله عنها فقال : السلام عليكم أهل البيت روحمة الله . فقالت : وعليك السلام ورحمة الله ، كيف وجدت أهلك ، بارك الله لك فتقرى حجر نسائه كلهن يقول لهن كما يقول لعائشة رضي الله عنها .

ويقلن لم كما قالت عائشة – رضي الله عنهن ، ثم رجع النبي (صلى الله عليه وسلم) فإذا القوم جلوس ، وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) ، حين بنى بزينب بنت نحو حجرة عائشة رضي الله عنها ، وفي رواية : أولم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حين بنى بزينب بنت جحش رضي الله عنها فأشبع الناس خبزا ولحما ، ثم خرج إلى حجر أمهات المؤمنين كما كان يصنع صبيحة بنائه ، فيسلم عليهن ويدعو لهن ، ويسلمن عليه ويدعون له ، فلما رجع ألى بيته رأر رجلين جرى بهما الحديث ، فلما رآهما رجع عن بيته ، فلما رأى الرجلان نبي الله (صلى الله عليه وسلم) رجع عن بيته وثبا مسرعين ، فما أدري أنا أخبرته بخروجهما أو." (١)

" صفحة رقم ١٢٩

أخبر أن القوم خرجوا ، فرجع حتى إذا وضع رجله في أسفكة الباب داخلة وأخرى خارجة **أرخى الستر** ، وفي رواية : فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه ، وأنزلت آية الحجاب) يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي (الآية ، وللبخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) : احجب نساءك قالت : فلم يفعل ، وكان أزواج النبي (صلى الله عليه وسلم) يخرجن ليلا إلى ليل قبل المناصع ، خرجت سودة بنت زمعة وكانت امرأة طويلة رضي الله عنها ، فرآها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو في المجلس فقال : عرفتك يا سودة ، حرصا على أن ينزل الحجاب ، قالت : فأنزل الله عز وجل الحجاب وللبخاري عن أنس رضي الله عنه ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما كلاهما عن عمر رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله إن نساءك يدخل عليهن البر والفاجر ، فلو أمرتهن أن يتحجبن ، فنزلت آية الحجاب ، وروى في السبب أشياء غير هذه ، وقد تقدم أنه ليس ببدع أن يكون للآية الواحدة عدة أسباب مستوية الدرجة ، أو بعضها أقرب من بعض ، على

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١٢٨/٦

أنه قد روى البخاري في التفسير في سياق هذه الآية ما هو صريح في أن قصة سودة بعد الحجاب عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها ، فرآها عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : يا سودة أما والله ما تخفين علينا ، فانظري كيف تخرجين ، قالت : يا رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي ، فقال لي عمر كذا وكذا ، قالت : فأوحى الله إليه ثم رفع عنه وإن العرق في يده ما وضعه فقال : قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن وهؤلاء الذين جلسوا – والنبي (صلى الله عليه وسلم) على ما هو عليه من الكراهة لجلوسهم بما ذكر من هيئته في حيائه وتهيئه للقيام ونحو ذلك – لم يستثمروا الفقه من أحواله ، بل كانوا واقفين عندما يسمعونه من مقاله ، وطريقة الكمل الاستبصار برسمه وحاله كما يستبصرون من قاله وفعاله ، قال الحرالي : الحال كل هيئة تظهر عن انفعال باطن ، ويختص بتفهمها المشاهد المتوسم ، وذلك كضحكه (صلى الله عليه وسلم) للذي رآه يوم خيبر وقد أخذ جراب شحم من فيء يهود وهو يقول : لا أعطي اليوم من هذا أحدا شيئا ، وكتغير وجهه لعمر رضي الله عنه لما أخذ يقرأ عليه صحيفة من حكم." (١)

" صفحة رقم ١٣٥

أباح أذاهم) فقد احتملوا) أي كلفهم أنفسهم أن حملوا) بهتانا) أي كذبا وفجورا زائدا على الحد موجبا للخزي في الدنيا ، ولما كان من الناس من لا يؤثر فيه العار ، وكان الأذى قد يكون بغير القول ، قال : (وإثما مبينا) أي ذنبا ظاهرا جدا موجبا للعذاب في الأخرى .

ولما نهى سبحانه عن أذى المؤمنات ، وكانت الحرائر بعيدات عن طمع المفسدين لما لهن في أنفسهن من الصيانة وللرجال بهن من العناية ، وكان جماعة من أهل الريبة يتبعون الإماء إذا خرجن يتعرضون لهن للفساد ، وكان الحرائر يخرجن لحاجتهن ليلا ، فكان ربما تبع المرأة منهن أحد من أهل الريب يظنها أمه أو يعرف أنه حرة ويعتل بأنه ظنها أمه فيتعرض لها ، وربما رجع فقال لأصحابه : فعلت بها – وهو كاذب ، وفي القوم من يعرف أنها فلانة ، فيحصل بذلك من الأذى ما يقصر عنه الوصف ، ولم يكن إذ ذاك كما نقل عن مقاتل فرق بين الحرة وي تحشمن يخفف هذا الشر ، قال تعالى : (يا أيها النبي (فذكره بالوصف الذي هو منبع المعرفة والحكمة ، لأن السياق لحكمة يذب بها عن الحريم لئلا يشتغل فكره (صلى الله عليه وسلم) بما يحصل لهن من الأذى عن تلقي شيء من الواردات الربانية) قل لأزواجك (بدأ بهن لما لهن به من الوصلة بالنكاح) وبناتك (ثنى بهن لما لهن من الوصلة ولهن في أنفسهن من الشرف ، وأخرهن

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١٢٩/٦

عن الأزواج لأن زواجه يكفوفه أمرهن) ونشاء المؤمنين يدنين) أي يقربن) عليهن) أي على وجوهن في لباسهن إذا خرجن لحاجتهن بكشف الشعور ونحوها ظنا أن ذلك أخفى لهن وأستر ، والجلباب القميص ، وثوب واسع دون الملحفة تلبسه المرأة ، والملحفة ما ستر اللباس ، أو الخمار وهو كل ما غطى الرأس ، وقال البغوي : الجلباب : الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار ، وقال حمزة الكرماني : قال الخليل : كل ما تستتر به من دثار وشعار وكساء ف ہو جلباب ، والكل يصح إرادته هنا ، فإن كان المراد القميص فإدناؤه إسباغه حتى يغطي يديها ورجليها ، وإن كان ما يغطي الرأس فادناؤه ستر وجهها وعنقها ، وإن كان المراد ما يغطي الثياب فادناؤه تطويله وتوسيعه بحيث ستر جميع بدنها وثيابها ، وإن كان المراد ما دون الملحفة فالمراد ستر الوجه واليدين .

ولما أمر بذلك علله بقوله : (ذلك) **أي الستر**) أدنى) أي أقرب من تركه في) أن يعرفن (أنهن حرائر بما يميزهن عن الإماء) فلا) أي فيتسبب عن معرفتهن أن لا) يؤذين (ممن يتعرض للإماء .

فلا يشتغل قلبك عن تلقي ما يرد عليك من الأنباء." (١)

" صفحة رقم ٢٠٨

لاكتساب العزة ، وكان الكفرة إنما عبدوا الأوثان ليعتزوا بها منا قال :

٧٧ ( ) واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ( ) ٧

[مريم : ٨١] قال مستنتجا من ذلك : (من كان) أي في وقت من الأوقات) يريد العزة) أي أن يكون محتاجا إليه غيره وهو غني غالبا غير مغلوب) فلله) أي وحده) العزة جميعا) أي فليطلبها منه ولا يطلبها من غيره ، وقد روي عن أنس رضي الله عنه عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : (إن ربكم يقول كل يوم : أنا العزيز فمن أرادة عزة الدارين فليطع العزيز) ولما رغب في اقتناص العزة بعد أن خبر أنه لا شيء فيها لغيره ، دل على اختصاصه بها شمول علمه وقدرته ، وبين أنها إنما تنال بالحكمة فقال : (إليه) أي لا إلى غيره) يصعد الكلم الطيب) أي الجاري على قوانين الشرع عن نية حسنة وعقيدة صحيحة سواء كان سرا علنا لأنه عين الحكمة ، فيعز صاحبه ويثيبہ .

ولما أعلى رتبة القول الحكيم ، بين أن الفعل أعلى منه لأنه المقصود بالذات ، والقول وسيلة إليه ، فقال دالا على علوه بتغيير السياق : (والعمل الصالح يرفعه (هو سبحانه يتولى رفعه ولصاحبه عنده عز منيع ونعيم مقيم ، وعمله يفوز ، قال الرازي في اللوامع : العلم إنما يتم العمل كما قيل : العلم يهتف بالعمل ،

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١٣٥/٦

فإن أجاب وإلا ارتحل – انتهى ، وقد قيل :

لا ترض من رجل حلاوة قوله حتى يصدق ما يقول فعال فإذا وزنت مقاله بفعاله فتوازنا فإخاء ذاك جمال

ولما بين ما يحصل العزة من الحكمة ، بين ما يكسب الذلة ويوجب النقمة من رديء الهمة فقال : (والذين يمكرون) أي يعملون على **وجه الستر المكرات**) السيئات) أي يسترون قصودهم بها ليوقهوها بغتة) لهم عذاب شديد (كما أرادوا بغيرهم ذلك ، ولا يصعد مكرهم إليه بنفسه ولا يرفعه هو ، لأنه ليس فيه أهلية ذلك لمنافاته الحكمة .

ولما كان ما ذكر من مكرهم موجِبا لتعرف حاله هل أفادهم شيئا ؟ أخبر أنه أهلكه بعزته ودمره بحكمته فقال : (ومكر أولئك) أي البعداء من الفلاح) هو) أي وحده دون مكر من يريد بمكره الخير فإن الله ينفذه ويعلي أمره ويجعل له العاقبة تحقيقا لقوله تعالى :

٧٧ ( ) ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ( ) ٧

[الانفال : ٣٠] كما أخرجكم." (١)

" صفحة رقم ٤٢١

والسكر ، وفي نجوم العقل ، واقمار العلم ، وشموس المعرفة ، ونهار التوحيد ، وليل الشك والجحد ، ونهار الوصل وليالي الهجر والفراق ، وكيفية اختلافها وزيادتها ونقصانها – قاله القشيري .

ولما كان مقصود السورة العزة التي محطها الغلبة ، وكان السياق للقهر ، وكان القضاء لعلة لا يتخلف عنها المعلول أدل على القهر من ذكر الغاية مجردة عن العلة قال : (لأجل مسمى) أي لمنتهى الدور ومنقطع الحركة .

ولما ثبت بهذا قهره ، قال مناديا رشقا في قلوب المنكرين : (ألا هو) أي وحده) العزيز (ولما كان ربما قال متعنت : فما له لا يأخذ من يخالفه ؟ وكانت صفة القهر والعزة ربما أقنطت العصاة فأخرتهم عن الإقبال ، قال مبينا لسبب التأخير ومستعطفا : (الغفار) أي الذي له **صفة الستر على** الذنوب متكررة فيمحو ذنوب من يشاء عينا ، وأثرا بمغفرته ويأخذ من يشاء بعزته .

ولما كان خلق الحيوان أدل على الوحدانية والقهر بما خالف به الجمادات من الحياة التي لا يقدر على الانفكاك عنها قبل أجله ، وبما له من أمور اضطرارية لا محيص له عنها ، وأمور اختيارية موكولة في الظاهر إلى مشيئته ، وكان أعجبه خلقا الإنسان بما له من قوة النطق ، قال دالا على ما دل عليه بخلق الخافقين

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٦/٢٠٨

لافتا القول إلى خطاب النوع كله إيذانا بتأهلهم للخطاب ، وترقيهم في علا الأسباب ، من غير عطف إيذانا بأن كلا من خلقهم وخلق ما قبلهم مستقل بالدلالة على ما سيق له : (خلقكم) أي أيها الناس المدعون لإلهية غيره) من نفس واحدة (هي آدم عليه السلام .

ولما كان إيجادنا منها بعد شق الأنثى منها ، قال عاطفا على ما تقديره : أوجدها من تراب ، مبينا بلفظ الجعل أن الذكر هو سببها ومادتها منبها بأداة التراخي على القهر الذي السياق له بالتراخي في الزمان بتأخير المسبب عن سببه المقتضي له إلى حين مشيئته لأن إيجادها منه كان بعد مدة من إيجاده ، والأصل في الأسباب ترتب المسببات عليها من غير مهلة وعلى التراخي في الرتبة أيضا بأن ذلك – لكونه شديد المباينة لأصله – من أعجب العجب : (ثم) أي بعد حين ، وعبر بالجعل لأنه كاف في نفي الشركة التي هذا أسلوبها وليبين أنه ما خلق آدم عليه السلام إلا ليكون سببا لما يحدث عنه من الذرية ليترتب على ذلك إظهار ما له سبحانه من صفات الكمال فقال : (جعل منها) أي تلك النفس) زوجها) أي ونقلكم بعد خلقكم منه إليها ثم أبرزكم إلى الوجود الخارجي منها ، ويجوز – وهو أحسن – أن يكون المعنى لأن السياق لإحاطة العلم المدلول عليه بإنزال الكتاب وما تبعه : قدر خلقكم على ما أنتم عليه من العدد والألوان وجميع الهيئات حين خلق آدم بأن هيأه لأن تفيضوا منه ، فلا تزيدون على ما قدره شيئا ولا." (١)

" صفحة رقم ٥٥٤

خلق الله وإنكار القيامة المؤدي إلى الاستغراق فيما أبغض الله في طلب الدنيا ولذاتها وهو من الاستهانة بأمر الله ، قال الأصبهاني : وتمام الكلام في أنه لا زيادة على هذه المراتب الثلاثة أن الإنسان له ثلاثة أيام : أمس واليوم والغد ، فمعرفة كيف ينبغي وقوع الأحوال في الاليوم الحاضر هو بالإحسان إلى أهل العلم بقدر الطاقة ، ومعرفة الأحوال في اليوم المستقبل بالإقرار بالبعث والقيامة ، فإذا كان الإنسان على ضد الحق في هذه المراتب الثلاثة كان في نهاية الجهل والضلال .

ولما ذكر ما للجاهلين وعيدا وتحذيرا ، ذكر ما لأضدادهم وعدا وتبشيرا ، فقال مجيبا لمن تشوف لذلك مؤكدا لإنكار من ينكره : (إن الذين آمنوا) أي بما آتاهم الله من العلم النافع) وعملوا الصالحات (من الزكاة وغيرها ليكون عملهم شرعيا نافعا ، ولما كان افتتاح السورة بالرحمن الرحيم مشعرا بأن الأسباب الظاهرية انمحت عند السبب الحقيقي الذي هو رحمته ، أعرى الخبر عن الفاء ، فقال إيذانا بعظم الجزاء لأن سببه رحمة الرحيم ، ولو كان بالفاء لآذنت أنه على مقدار العمل الذي هو سببه : (لهم أجر) أي

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٢١/٦

عظيم) غير ممنون) أي مقطوع – جزاء على سماحهم بالفاني اليسير من أموالهم في الزكاة وغيرها وما أمر الله به من أقوالهم في الآخرة والدنيا ، والممنون : المقطوع من مننت الحبل أي قطعته بقطع مننه ومنه قولهم : قد منه السفر أي قطعه وأذهب منته .

ولما ذكر سبحانه سفههم في كفرهم بالآخرة ، شرع في ذكر الأدلة على قدرته عليها وعلى كل ما يريد بخلق الأكوان وما فيها الشامل لهم ولمعبوداتهم من الجمادات وغيرها الدال على أنه واحد لا شريك له ، فقال منكرا عليهم ومقررا بالوصف لأنهم كانوا عالمين بأصل الخلق : (قل) أي لمن أنكر الآخرة منكرا عليه بقولك : (أئنكم (وأكد لإنكارهم التصريح بما يلزمهم من الكفر) لتكفرون) أي توجدون حقيقة الستر لأنوار العقول الظاهرة) بالذي خلق الأرض) أي على سعتها وعظمتها من العدم) في يومين (فتنكرون قدرته على إعادة ما خلقه منها ابتداء مع اعترافكم بأنه ابتدأ خلقها وخلق ذلك منها ، وهذا اليومان الأحد والاثنين – نقل هذا عن ابن عباس رضي الله عنه ما وعبدالله بن سلام رضي الله عنه – قال ابن الجوزي : والأكثرين ، وحديث مسلم الذي تقدم في سورة البقرة

٧٧ ( ) خلق الله التربة يوم السبت ( ) ٧

يخالف هذا ، فإن البداءة فيه." (١)

" صفحة رقم ٥٦٥

رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال : (هل تدرون مم أضحك) ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال (من مخاطبة العبد ربه ، يقول : يا رب ألم تجرني من الظلم ؟ قال : يقول : بلى ، اقل : فيقول : فإني لا أجيز إلا شاهدا مني ، قال : فيقول : كفى بنفسك اليوم شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا ، قال : فيختم على فيه فيقال لأركانه : انطقي ، فتنطق بأعماله ، ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول : بعدا لكن وسحقا فعنكن كنا أناضل) .

فصلت : (٢٢ – ٢٦) وما كنتم تستترون. .. . .

) وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين وقيضنا لهم قرنآء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٥٤/٦

فيه لعلكم تغلبون (( )
ولما اعتذروا بما إخبارهم به في هذه الدنيا وعظ وتنبيه ، وفي الآخرة توبيخ وتنديم ، قالوا مكريين للوعظ محذرين من جميع الكون : (وما كنتم) أي بما هو لكم كالجبلة) تستترون) أي **تتكفلون الستر عند** المعاصي وأنتم تتوهمون ، وهو مراد قتادة بقوله ؛ تظنون .
) أن يشهد عليكم (بتلك المعاصي .
ولما كان المقصود الإبلاغ في الزجر ، أعاد التفصيل فقال : (سمعكم (وأكد بتكرير النافي فقال : (ولا أبصاركم (جمع وأفرد لما مضى) ولا جلودكم ولكن (إنما استتاركم لأنكم) ظننتم (بسبب إنكاركم البعث جهلا منكم) أن الله (الذي له جميع الكمال) لا يعلم) أي في وقت من الأوقات) كثيرا مما تعملون) أي تجددون عمله مستمرين عليه ، وهو ما كنتم تعدونه خفيا فهذا هو الذي جرأكم على ما فعلتم ، فإن كان هذا ظنكم فهو كافر ، وإلا كان عملكم عمل من يظنه فهو قريب من الكفر والمؤمن حقا من علم أن الله مطلع على سره وجهره ، فلم يزل مراقبا خائفا هائبا ، روى الشيخان في صحيحهما واللفظ للبخاري في كتاب التوحيد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : اجتمع عن البيت ثقفيان وقرشي أو قرشيان وثقفي كثيرة شحم بطونهم قليلة فقه قلوبهم ، فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع ما نقول ؟ قال الآخر : يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا ، وقال الآخر : إن." (١)
" صفحة رقم ٦٠٠
جادلهم سبحانه عنهم أنه له بهم عناية ، فكانوا يرون أن الأقرب إلى رضاه الاستغفار لهم ، فلذلك عبر عنهم سبحانه بقوله حاذقا ما أوجبه السياق في) غافر (من ذكر الإيمان ، إشارة إلى أن أقرب الخلق من العرش كأبعد الناس في الإيمان المشروط بالغيب إبلاغا في التنزيه لأنه لا مقتضى له هنا : (ويستغفرون) أي وهم مع التسبيح يطلبون الغفران) لمن في الأرض (لما يرون من شدة تقصيرهم في الوفاء بحق تلك العظمة ، التي لا تضاهى ، أما للمؤمن فمطلقا ، وأما للكافر فبتأخير المعالجة ، وكذا لبقية الحيوانات ، وذلك لما يهولهم مما يشاهدونه من عظمة ذي الكبرياء وجلالة ذي الجبروت .
قال ابن برجان : لم يشأ الله جل ذكره كون ضيء إلا قيض ملائكة من عباده يشفعون في كونه ، وكذلك في إبقاء ما شاء إبقاءه وإعدام ما شاء إعدامه ، وهذه أصول الشفاعة فلا تكن من الممترين ، وألطف من ذلك أن تكون كيدودة انفطارهن في حال تسبيح الملائكة واستغفارهم لما يرين من فوقهن من العظمة ،

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٦٥/٦

ومن تحتهن من ذنوب الثقلين ، فلولا ذكرهم لتفطرن وحضر العذاب ، فعوجل الخلق بالهلاك ، وقامت القيامة ، وقضيا الأمر ، وإذا كانت كيدودة الانفطار مع هذا التنزيه والاستغفار ، فما ظنك بما يكون لو عرى الأمر عنه وخلا منه ، ولذلك ذكر العموم هنا ولم يخص المؤمنين بالاستغفار كما في) غافر (لما اقتضاه السياق هنا من العموم ، ولأن مقصود غافر تصنيف الناس في الآخرة هذه الجمع على الدين في الدنيا فناسب ذلك إفراد الذين تلبسوا بالإيمان ، ومقصود هذه الجمع على الدين في الدنيا فناسب الدعاء للكل ليجازي كل بما يستحقه من إطلاق المغفرة في الدارين للمؤمن وتقييدها بالتأخير في الدنيا للكافر .

ولما كانت أفعال أهل الأرض وأقوالهم عظيمة المخالفة لما يرضيه سبحانه فهم يستحقون المعاجلة بسببها ، أجاب من كأنه قال : هذا يستجاب لهم في المؤمنين ، فكيف يستجاب لهم في الكافرين ليجمع الكلام التهييب والتهويل في أوله والبشارة واللطف والتسير في آخره ، فقال لافتا القول عن صفة الإحسان إلى الاسم الأعظم تعريفا بعظيم الأمر حملا على لزوم الحمد وإدامة الشكر : (ألا إن الله) أي الذي له الإحاطة بصفات الكمال ، فله جميع العظمة ، وأكد لأن ذلك لعظمة لا يكاد يصدق) هو) أي وحده ، ورتب وصيفه سبحانه على أعلى وجوه البلاغة فبدأ بما أفهم إجابة الملائكة وأتبعه الإعلام بمزيد الإكرام فقال : (الغفور الرحيم) أي **العام الستر والإكرام** على الوجه الأبلغ أما لأهل الإيمان فواضح دنيا وآخرة ، وأما لأهل الكفران ففي الدنيا فهو يرزقهم ويعافيهم ويملي لهم

٧٧ ( ) ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ( ) ٧

[فاطر : ٤٥] وأما الله فلا يغفر لأهل معصيته ، ولو أراد ذلك ما تمكن .." (١)

" صفحة رقم ٦٤٧

حكم له على الطباع وأن الذي عليه إنما هو الإسماع لا السماع ، فقال عاطفا على ما قبل آية الشرع من قوله) يبسط الرزق لمن يشاء (حاكيا له في أسلوب العظمة تنبيها على أنه الذي حكم عليهم بالإعراض عما هو جدير بأن لا يعرض عنه عاقل ، وإيماء إلى أن الإنسان لغلبه جهله وقلة عقله يجترئ بأدنى تأنيس على من تجسد الجبال لعظمته وتندك الشوامخ من هيبته : (وإنا إذا أذقنا (بعظمتنا التي لا يمكن مخالفتها .

ولما كان من يفرح بالنعمة عند انفراده بها مذموما ، عبر بالجنس الصالح للواحد فما فوقه تنبيها على أن طبع الإنسان عدم الاهتمام بشدائد الإخوان إلا من أقامه الله في مقام الإحسان فقال : (الإنسان) أي

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٦/٦٠٠

بما جبلناه عليه من النقص بالعجلة وعدم التمالك) منا رحمة) أي نوعا من أنواع الإكرام من صحة أو غنى ونحو ذلك ، وأفرد الضمير إشارة إلى أنه مطبوع على أنه ليس عليه إلا من نفسه ولو كان أهل الأرض كلهم على غير ذلك ، وكذا عبر بالإنسان فقال : (فرح بها) أي ولو أن أهل الأرض كلهم على غير ذلك ، وكذا عبر بالإنسان فقال : (فرح بها) أي ولو أن أهل الأرض كلهم في نقمة وبؤس وعمى فأخرجه الفرح عن تأمل ما ينفعه ليشكر ، فكان ذلك لذلك كافرا للنعمة لأنه أبدل الشكر بالفرح والكفر فتوصل بالعافية إلى المخالفة ، فأوقع نفسه في أعظم البلاء .

ولما دل باداة التحقق على أن النعمة هي الاصل لعموم رحمته ، وأنها سبقت غضبه ، دل على أن السيئة قليلة بالنسبة إليها باداة الشك والمضارع فقال : (وإن (ولما كانت المشاركة في الشدائد تهون المصائب ، فكان من يزيد غمه بخصوص مصيبته عند العموم مذموما ، نبه على نقص الإنسان بذلك بالجمع فقال : (تصبهم سيئة) أي نقمة وبلاء وشدة .

ولما كانت الرحمة فضلا منه ، أعلمهم أن السيئة مسببة عنهم فقال : (بما قدمت أيديهم (وعبر باليد عن الجملة رأن اكثر العمل بها .

ولما كان الجواب على نهج الأول : حزنوا فكفروا ، وعدل عنه إلى ما يدل على أن جنس الإنسان موضع الكفران ، ولما كانوا يدعون الشكر وينكرون الكفر ، أكد قوله وسبب عن تلك الإصابة والإذاقة معا إشارة إلى أنه لا اصل لغيرهما ، فقال مظهرا موضع الضمير لينص على الحكم على الجنس من حيث هو : (فإن الإنسان) أي الآنس بنفسه المعرض من غيره بما هو طبع له بسبب مسه بضر) كفور) أي **يبلغ الستر للنعم** نساء له ، ينسى بأول صدمة من النقمة جميع ما تقدم له من النعم ، ولا يعرف إلا الحالة الراهنة ، فإن كان في نعمه أشر وبطر ، وإن كان في نقمه أيس وقنط ، وهذا حال الجنس من حيث هو ، ومن وفقه الله جنبه ذلك كما قال (صلى الله عليه وسلم) : (المؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له) .

وليس ذلك إلا المؤمن ، والآية من الاحتباك : قكر الفرح أولا دالا على الحزن ثانيا ، وذكر الكفران ثانيا دال على حذفه أولا .." (١)

" صفحة رقم ١٠٩

صرح بما لوح إيه من أمر المحقين وعطف عليهم أضدادهم ، فقال بادئا بهم على طريق النشر المشوش

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٦٤٧/٦

مفصلا : (فأما الذين آمنوا) أي من الأمم الجاثية) وعملوا (تصديقا لدعواهم الإيمان) الصالحات فيدخلهم) أي في ذلك اليوم الذي ذكرنا عظمته وشدة هوله) ربهم (الذي أحسن إليهم بالتوفيق بالأعمال الصالحة المرضية الموصلة) في رحمته) أي تقريبه وإكرامه بجليل الثواب وحسن المآب ، وتقول لهم الملائكة تشريفا : سلام عليكم أيها المؤمنون ، ودل على عظيم الرحمة بقوله : (ذلك (الإحسان العالي المنزلة) هو) أي لا غيره) الفوز (.

ولما كان السياق لغباوتهم وخفاء الأشياء عليهم قال تعالى : (المبين (الذي لا يخفى على أحد شيء من أمره ، لأنه لا يشوبه كدر أصلا ولا نقص ، بخلاف ما كان من أسبابه في الدنيا ، فإنها – مع كونها كانت فوزا – كانت خفية جدا على غير الموقنين) وأما الذين كفروا) أي ستروا ما جلته لهم مرائي عقولهم وفطرهم الأولى من الحق الذي أمر الله به ولو عملوا جميع الصالحات غير الإيمان ، فيدخلهم الملك الأعظم في لعنته .

ولما كان **هذا الستر سببا** واضحا في تبكيتهم قال : (أفلم) أي فيقال لهم : ألم يأتكم رسلي ، وأخلق لكم عقولا تدلكم على الصواب من التفكر في الآيات المرئية من المعجزات التي يأتوكم بها وأنزل عليكم بواسطتهم آيات مسموعة فلم) تكن آياتي (على ما لها من عظمة الإضافة إلي وعظمة الإتيان إليكم على ألسنة رسلي الذين هم أشرف خلقي .

ولما كانت هذه الآيات توجب الإيمان لما لها من العظمة بمجرد تلاوتها ، بني للمعفول قوله : (تتلى) أي تواصل قراءتها من أي تال كان ، فكيف إذا كانت بواسطة الرسل ، تلاوة مستعلية) عليكم (لا تقدرون على رفع شيء منها بشيء يرضاه منصف) فاستكبرتم) أي فتسبب عن تلاوتها التي من شأنها إيراث الخشوع والإخبات والخضوع أن طلبتم الكبر لأنفسكم وأوجدتموه على رسلي وآياتي) وكنتم (خلقا لازما) قوما) أي ذوي قيام وقدرة على ما تحاولونه) مجرمين) أي عريقين في قطع ما يستحق الوصل ، وذلك هو الخسران المبين ، والآية من الاحتباك : ذكر الإدخال في الرحمة أولا دليلا على الإدخال في اللغنة ثانيا ، وذكر التبكيت ثانيا دليلا على التشريف أولا ، وسره أن ما ذكره أدل على شرف الولي وحقارة العدو) وإذا) أي وكنتم إذا) قيل (من أي قائل كان ولو على سبيل التأكيد : (إن وعد الله (الذي كل أحد يعلم أنه محيط بصفات الكمال) حق) أي ثابت لا محيد عنه يطابقه الواقع من البعث وغيره لأن أقل الملوك لا يرضى بأن يخلف وعده فكيف به سبحانه وتعالى فكيف إذا كان الإخلاف." (١)

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١٠٩/٧

" صفحة رقم ١٤٣

تعالى أي وذلك الستر لا يكون إلا إذا حصل منكم الإجابة التامة والتصديق التام وأدخلوا (من) إعلاما بأن مظالم العباد لا تغفر إلا بإرضاء أهلها وكذا ما يجازى به صاحبه في الدنيا بالعقوبات ولنكبات والهموم ونحوها مما أشار إيه قوله تعالى

٧٧ ( ) وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير ( ) ٧

[الشورى : ٣٠]) ويجركم) أي يمنعكم (إذاأجبتم) منع الجار لجاره لكونكم بالتحيز إلى داعيه صرتم من حزبه) من عذاب أليم (واقتصارهم على المغفرة تذكير بذنوبهم لأن مقصودهم الإنذار لا ينافي صريح قوله ي هذه السورة

٧٧ ( ) ولكل درجات مما عملوا ( ) ٧

[الأنعام : ١٣٢] في إثبات الثواب ، ونقله أبو حيان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لهم ثواب وعليهم عقاب يلتقون في الجنة ويزدحمون على أبوابها .

ولما فرغوا من التعريف بالحق والدلالة عليه والدعاء إليه والإنذار بالرفق بما أفهم كلامهم من أنهم إن لم يجيبوا انتقم منهم بالعذاب الأليم ، أتبعوه ما هو أغلظ إنذارا منه فقالوا : (ومن لا يجب) أي لا يتجدد منه أن يجيب) داعي الله) أي الملك الأعظم المحيط بكل شيء الذي لا كفوء له ولا طاقة لأحد بسخطه فعم بدعوة هذا الرسول (صلى الله عليه وسلم) جميع الخلق .

ولما دل الكتاب والسنة كما قدمته في سورتي الأنعام والفرقان على عموم الرسالة ، وكان التارك لإجابة من عمت رسالته عاصيا مستحقا للعذاب ، عبر عن عذابه ، بما دل على تحتمه فقال تعالى : (فليس بمعجز) أي لما يقضي به عليه) في الأرض (فإنه آ] ة سلك فيها فهو في ملكه وملكه وقدرته محيطة به) وليس له من دونه) أي الله الذي لا يجير إلا هو) أولياء (يفعلون لأجله ما يفعل القريب مع قريبه من الذب عنه والاستشفاع له والافتداء والمناصبة لأجله .

ولما انتفى عنه الخلاص من كل وجه ، وكان ذلك لا يختلف سواء كا ن العاصي واحدا أو أكثر ، أنتج قوله سبحانه وتعالى معبرا بالجمع لأنه أدل على القدرة ودلالة على أن العصاة كثيرة لملاءمة المعاصي لأكثر الطبائع : (أولائك) أي البعيدون من كل خير) في ضلال مبين) أي ظاهر في نفسه أنه ضلال ، مظهر لكل أحد قبح إحاطتهم به ، قال القشيري : ويقال : الإجابة على ضربين : إجابة الله ، وإجابة الداعي ، فإجابة الداعي بشهود الواسطة وهو الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وإجابة الله بالجهر إذا بلغت المدعو

رسالته (صلى الله عليه وسلم) على لسان السفير ، وبالسر إذا حصلت التعريفات من الواردات على القلب ، فمستجيب بنفسه ، ومستجيب بقلبه ، و مستجيب بروحه ، ومستجيب بسره ، ومن توقف عن دعاء الداعي إياه هجر فما كان يخاطب به .." (١)

" صفحة رقم ١٩٩

ولما لم يكن في هؤلاء من عذب بما عذب الأمم الماضية من الريح وغيرها ، لم ذكر ما بين الخافقين ، وذكر نتيجة لتفرد بالملك بما يقتضيه الحال من الترغيب والترهيب : (يغفر لمن يشاء) أي لا اعتراض لأحد عليه بوجه ما) ويعذب من يشاء) أي لأنه لا يجب عليه شيء ولا يكافيه شيء ، وليس هو كالملوك الذين لايتمكنون من مثل ذلك لكثرة الأكفاء المعارضين لهم في الجملة ، وعلم من هذا التقسيم المبهم أيضا أن منهم منيرتد فيعذبه ، ومنهم من يثبت على الإسلام فيغفر له لأنه لا يعذب بغير ذنب وإن كان له أن يفعل ذلك ، لأنه لا يسأل عما يفعل وملكه تام ، فتصرفه فيه عدل كيفما كان .

ولما كان من يفعل الشيء في وقت قد لا يستمر على وصف القدرة عليه قال تعالى : (وكان الله) أي المحيط بصفات الكمال أزلا وأبدا ، لم يتجدد له شيء لم يكن .

ولما ابتدأ الآية بالمغفرة ترغيبا في التوبة ، ختم بذلك لأن المقام له ، وزاد الرحمة تشريفا لنبي المرحمة بالترغيب والدلالة على أن رحمته غلبت غضبه فقال : (غفورا) أي لذنوب المسيئين) رحيما) أي مكرما **بعد الستر بما** منه – أي من الذم – أنهم هالكون بعد أن قدم أنه لعنهم ، وكان قد وعد سبحانه أهل الحديبية فتح خيبر جبرا لهم بما منعهم من الاستيلاء على مكة المشرفة لما له في ذلك من الحكم البالغة الدقيقة ، وختم بأنه نافذ الأمر ، وكان ذلك مستلزما لإحاطة العلم ، دل على كلا الأمرين بقوله استئنافا ، جوابا لمن كاأنه قال : هل يغفر للمخلفين حتى يكونوا كأنهم ما تخلفوا ؟ : (سيقول) أي بوعد لا خلف فيه .

ولما كان النبي (صلى الله عليه وسلم) بحيث لا مطمع لأحد فى أن يظفر منه بشيء من خلاف الأمر الله ، أسقط ما عبر به في ذكرهم أولا من خطابه وقال : (المخلفون) أي لمن يطمعون فيه من الصحابة أن يسعى في تمكينهم من المسير في جيشه (صلى الله عليه وسلم) لخفاء الحكم عليه ونحو ذلك ، ولم يقيدهم بالأعراب ليعم كل من كان يتخلف من غيرهم) إذا انطلقتم (بتمكين الله لكم) إلى مغانم (. ولما أفهم اللفظ الأخذ ، والتعبير بصيغة منتهى الجموع كثرتها ، صرح بالأول رفعا للمجاز فقال : (لتأخذوها

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١٤٣/٧

) أي من خيبر) ذرونا) أي على أي حالة شئتم من الأحوال الدنية) نتبعكم (ولما كان يلزم من تمكينهم من ذلك إخلاف وعد الله بأنها تخص أهل الحديبية ، وأنه طرد المنافقين وخيب قصدهم ، علل تعالى قولهم بقوله : (يريدون) أي بذهابكم معكم) أن يبدلوا كلام الله) أي المحيط بكل شيء قدرة وعلما في الإخبار بلعنهم وإبارتهم ، وأن فتح خيبر مختص بأهل الحديبية ، لا يشركهم فيه إلا من وافقهم." (١)

" صفحة رقم ٢١٨

وإذا أعجبهم وهم في غاية العناية بأمره والتفقد لحاله والملابسه له ومعرفة معانية كان لغيرهم أشد إعجابا ، ومثل لأنهم يكونون قليلين ثم يكثرون مع البهجة في عين الناظر لما لهم من الرونق الذي منشؤه نور الإيمان وثبات الطمأنينة والإيقان وشدة الموافقة من بعضهم لبعض ، ونفي المخالف لهم وإبعاده ، وقد تقدم في هذا الكتاب في آخر المائدة أمثال ضربت في الإنجيل بالزرع أقربها إلى هذا مثل حبة الخردل فراجعه .

ولما أنهى سبحانه مثلهم ، ذكر الثمرة في جعلهم كذلك فقال : (يغيظ (معلقا له بما يؤخذ من معنى الكلام وه جعلهم كذلك لأجل أن يغيظ) بهم) أي غيظا شديدا بالغ القوة والإحكام) الكفار (وذلك أنهم لما كانوا أولأمر قليلا ، كان الكفار طامعين في أن لا يتم لهم أمر ، فكلما ازدادوا كثرة مع تمادي الزمان زاد غيظ الكفار منهم ، فكيف إذا رأوا مع الزيادة والقوة منهم حسنا ونضارة ورونقا وبهجة ن فهو في الغيظ مما لو كانوا في أول الأمر كثيرا لأنه كان يكون دفعه ويقصر زمنه ، فمن أبغض صحابيا خيف عليه الكفر لأنهم أول مراد بالآية ، وغيرهم بالقصد الثاني وبالتبع ، ومن أبغضهم كلهم كان كافرا ، وإذا حملناه على غيرهم كان دليلا على أن كل من خالف الإجماع كفر ، قاله القشيري .

ولما ثم مثلهم وعلة جعلهم كذلكط ، بشرهم فقال فيموضع وعدهم لتعليق الوعد بالوصف على عادة القرآن ترغيبا في التمسك به وترهيبا من مجانبته : (وعد الله) أي الملك الأعظم) الذين آمنوا (ولما كان الكلام في الدين معه (صلى الله عليه وسلم) ، وكانت المعية ظاهرة في الاتحاد في الدين لم تكن شاملة للمنافقين ، فلم يكن الاهتمام بالتقييدة بمنهم هنا كالاهتمام به في سورة النور ، فأخره وقدم العمل لأن العناية به هنا أكصر ، لأنه من سيماهم المذكورة فقال : (وعملوا) أي تصديقا لدعواهم الكون معه في الديٍن) الصالحات (ولما كان قوله " معه " يعم كما مضى من بعد الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، وكان الخلل فيمن بعدهم كثيرا ، قيد بقوله : (منهم) أي من الذين معه (صلى الله عليه وسلم) سواء كانوا من أصل الزرع أو فراخه وةهم التابعون لهم بإحسان .

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١٩٩/٧

ولما كان الإنسان وإن اجتهد مقصرا عن بلوغ ما يحق له من العبادة ، أشار إلى ذلك بقوله : (مغفرة) أي لما يقع منهم من الهفوات أو الذنوب والسيئات) وأجرا عظيما (بعد **ذلك الستر** ، وقد جمعت هذه الآية الخاتمة لهذه السورة جميع حروف المعجم بشارة تلويحية مع ما فيها من البشائر التصريحية باجتماع أمرهم وعلو نصرهم ، وذلك أنه لما كانت هذه العمرة قد حصل لهم فيها كسر لرجوعهم قبل وصولهم إلى قصدهم من الدخول إلى مكة المشرفة والطواف بالبيت العتيق ، ولم يكن ذلك بسبب." (١)

" صفحة رقم ٢٣٩

المخاطبون بهذه الآية المعاتبون بها ، قال أبو حيان : قال مجاهد : نزلت في بني أسد بن خزيمة – انتهى .

فلذلك اختار أبو عمرو القراءة بها ، وعدل عن لغة الحجاز) من أعمالكم شيئا (فلا حاجة إلى إخباركم عن إيمانكم بغير ما يدل عليه من الأقوال والأفعال ، قال ابن برجان : فعموم الناس وأكثر أهل الغفلة مسلمون غير مؤمنين ، فإن يعلموا علم ما شهدوا وعقدوا عليه عقدا علما ويقينا لهم المؤمنون .

وفي الآية احتباك من وجه آخر : ذكر عدم الإيمان أولا دليلا على إثباته ثانيا ، وذكر توفير الأعمال ثانيا دليلا على بخسها أو إحباطها أولا ، وسره أنه نفى أساس الخير أولا ورغب في الطاعة بحفظ ما تعبوا عليه من الأعما ثانيا .

ولما كان الإنسان مبنيا على النقصان ، فلو وكل إلى عمله هلك ، ولذهب عمله فيما يعتريه من النقص ، قال مستعطفا لهم إلى التوبة ، مؤكدا تنبيها على أنه مما حيق تأكيده لأن الخلائق لا يفعلون مثله : (إن الله) أي الذي له صفات الكمال) غفور (أي ستور للهفوات والزلات لمن تاب وصحت نيته ، ولغيره إذا أراد ، فلا عتاب ولا عقاب) رحيم (أي يزيد **على الستر عظيم** الإكرام .

الحجرات : (١٥ – ١٨) إنما المؤمنون الذين. .. . .

) إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين إن الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بصير بما تعملون (( )

ولما نفى عنهم الإيمان ، وكان ربما غلط شخص في نفسه فظن أنه مؤمن ، وليس كذلك ، أخبر بالمؤمن

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢١٨/٧

على سبيل الحصر ذاكرا أمارته الظاهرة الباطنة ، وهي أمهات الفضائل : العلم والعفة والشجاعة ، فقال جوابا لمن قال : فمن الذي آمن ؟ عادلا عن جوابه إلى وصف الراسخ ترغيبا في الاتصاف بوصفه وإيذانا بأن المخبر عن نفسه بآية إيمانه لا يريد إلا أنه راسخ : (إنما المؤمنون) أي العريقون في الإيمان الذي هو حياة القلوب ، قال القشيري : والقلوب لا تحيا إلا بعد ذبح النفوس ، والنفوس لا تموت ولكنها تعيش) الذين آمنوا) أي صدقوا معترفين) بالله (معتقدين جميع ما له من صفات الكمال) ورسوله (شاهدين برسالته ، وهذا هو المعرفة التي هي العلم ، وغياتها الحكمة ، وهذا الإثبات هنا يدل على أن المنفي فيما قيل الكمال لا المطلق ، وإلا لقال (إنما الذين آمنوا) .." (١)

" صفحة رقم ٣٩٥

) تكذبان (أبنعمة اللمس من جهة الوراء أم غيرها من قدرته على عطف الأغصان وتقريب الثمار .

ولما كان ما ذكر لا تتم نعمته إلا بالنسوان الحسان ، قال دالا على الكثرة بعد سياق الامتنان بالجمع الذي هو أولى من التثنية بالدلالة على أن في كل بستان جماعة من النسوان ، لما بهن من عظيم اللذة وفرط الأنس : (فيهن) أي الجنان التي علم مما مضى أن لكل فرد من الخائفين منها جنتين .

ولما كان سياق الامتنان معرفا بأن جمع القلة أريد به الكثرة مع ما ذكر من محسناته في سورة (ص) قال معبرا به : (قاصرات الطرف) أي نساء مخدرات هن في **وجوب الستر بحيث** يظن من ذكرهن بغير الوصف من غير تصريح ، قد قصرن طرفهن وهممهن على أزواجهن ولهن من الجمال ما قصرن به أزواجهن عن الالتفات إلى غيرهن لفتور الطرف وسحره وشدة أخذه للقلوب جزاء لهم على قصر هممهم في الدنيا على ربهم .

ولما كان الاختصاص بالشيء لا سيما المرأة من أعظم الملذذات قال : (لم يطمثهن) أي يجامعهن ويتسلط عليهن في هذا الخلق الذي أنشئن فيه نوع من أنواع السلطة سواء من غنسيات أو جنيات أو غير ذلك ، يقال : طمثت المرأة كضرب وفرح : حاضت ، وطمثها الرجل : افتضها وأيضا جامعها ، والبعير عقلته ، فكأنه قيل : هن أبكار لم يخالط موضع الطمث منهن) إنس (ولما كان المراد تعميم الزمان أسقط الجار فقال : (قبلهم) أي المتكئين) ولا جان (وقد جمع هذا كل من يمكن منه جماع من ظاهر وباطن ، وفيه دليل على أن الجني يغشى الإنسي كما نقل عن الزجاج) تكذبان (أبنعمة اللمس من جهة اليمنى أم غيرها مما جعله الله لكم مثالا لهذا من الأبكار الحسان ، أو غير ذلك من أنواع الإحسان .

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٣٩/٧

الرحمن : (٥٨ – ٦٥) كأنهن الياقوت والمرجان

) كأنهن الياقوت والمرجان فبأي آلاء ربكما تكذبان هل جزآء الإحسان إلا الإحسان فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان فبأي آلاء ربكما تكذبان مدهآمتان فبأي آلاء ربكما تكذبان (( )

ولما دل ما تقدم من وصف المستمتع بهن بالعزة والنفاسة ، زاده على وجه أفاد أنه يكون بهن غاية ما يكون من سكون النفس وقوة القلب وشدة البدن واعتدال الدم وغير ذلك من خواص ما شبههن به فقال : (كأنهن الياقوت (الذي هو في صفاته بحيث يشف عن سلكه وهو جوهر معروف ، قال في القاموس : أجوده الأحمر الرماني نافع." (١)

" صفحة رقم ٤٩٩

تريدون أن ترتفعوا به) صدقة (تكون لكم برهانا قاطعا على إخلاصكم كما ورد أن الصدقة برهان ، فهي مصدقة لكم في دعوى الإيمان التي هي التصديق بالله تعالى ورسوله (صلى الله عليه وسلم) وبكل ما جاء به عن الله تعالى ، ومعظمه الإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة ، ولذلك استأنف قوله : (ذلك) أي الخلق العالي جدا من تقديم التصدق قبل المناجاة يا خير الخلق ، ولعله أفرده بالخطاب لأأنه لا يعلم كل ما فيه من الأسرار غيره .

وعاد إلى الأول فقالك) خير لكم) أي في دينكم من الإمساك عن الصدقة) وأطهر (لأن الصدقة طهرة ونماء وزيادة في كل خير ، ولذلك سميت زكاة) خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها (والتعبير بأفعل لأنهم مطهرون قبله بالإيمان .

ولما أمر بذلك ، وكانت عادته أن لا يكلف بما فوق الوسع للتخفيف على عباده لا سيما هذه الأمة قال : (فإن لم تجدوا) أي ما تقدمونه .

ولما كان المعنى الكافي في التخفيف : فليس عليكم شيء ، دل عليه بأحسن منه فقال : (فإن الله) أي الذي له جميع صفات الكمال ، وأكده لاستبعاد مثله فإن المعهود من الملك إذا ألزم رعيته بشيء أنه لا يسقطه أصلا ورأسا ، ولا سيما إن كان يسيرا ، ودل على أنه سبحانه لن يكلف بما فوق الطاقة بقوله : (غفور رحيم) أي له **صفتا الستر للمساوئ** والإكرام بإظهار المحاسن ثابتتان على الدوام فهو يغفر ويرحم تارة بعدم العقاب للعاصي وتارة للتوسعة للضيق بأن ينسخ ما يشق إلى ما يخف ، وهذه الآية قيل : إنها نسخت قبل العمل بها ، وقال علي رضي الله عنه : ما عمل بها أحد غيري ، أردت المناجاة ولي دينار

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٣٩٥/٧

فصرفته بعشرة دراهم وناجيته عشر مرات أتصدق في كل مرة بدرهم ، ثم ظهرت فشق ذلك على الناس ، فنزلت الرخصة في ترك الصدقة ، وروى النسائي في الكبرى والترمذي وقال : حسن غريب وابن حبان وأبو يعلى والبزار عن عي رضي الله عنه أنه قال : لما نزلت قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (مرهم أن يصدقوا) قلت : بكم يا رسول الله ؟ قال : (دينار) ، قلت : لا يطيقون .

قال : (فنصف دينار) ، قلت : لا يطيقون ، قال : فبكم ؟ قلت : بشعيرة : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (إنك لزهيد) ، فأنزل الله تعالى) أأشفقتم (الآية .

وكان عليه رضي الله عنه يقول : بي خفف الله عن هذه الأمة .

وعدم عمل غيره." (١)

" صفحة رقم ٥٢٨

الأنصار الذين أسلموا بعد النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى يوم القيامة ، ثم ذكر الخبر أو الحال على نحو ما مضى في الذي قبله فقال تعالى : (يقولون) أي على سبيل التجديد والاستمرار تصديقا لغيمانهم بدعائهم لمن سنة لهم : (ربنا) أي أيها المحسن إلينا بإيجاد من مهد الدين قبلنا .

ولما كان الإنسان وإن اجتهد موضعا للنقصان قال ملقنا لنا : (اغفر) أي أوقع الستر على النقائص أعيانها وآثارها) لنا (ولما بدؤوا بأنفسهم ، ثنوا بنم كان السبب في إيمانهم فقالوا : (ولإخواننا) أي في الدين فإنه أعظم أخوة ، وبينوا العلة بقولهم : (الذين سبقونا بالإيمان (ولما لقنهم سبحانه حسن الخلافة لمن مهد لهم ما هم فيه ، أتبعه تلقين ما يعاشرون به أعضادهم الذين هم معهم على وجه يعم من قبلهم ، فقال معلما بأن الأمر كله بيده حثا على الالتجاء إليه من أخطار النفس التي هي أعدى الأعداء : (ولا تجعل (وأفهم قوله : (في قلوبنا (أن رذائل النفس قل أن تنفك وأنها إن كانت مع صحة القلب أوشك أن لا تؤثر) غلا) أي ضغنا وحسدا وحقدا وهو حرارة وغليان يوجب الانتقام) للذين آمنوا) أي أقروا بالإيمان وإن كانوا في أدنى درجاته .

ولما كان هذا دعاء جامعا للخير ، لقنهم ما يجيبهم في لزومه والتخلق به مع ما فيه من التملق للإله والتعريض له بقوة الرجاء فقال : (ربنا) أي أيها المحسن إلينا بتعليم ما لمن نكن نعلم ، وأكدوا إعلاما بأنهم يعتقدون ما يقولونه وإن ظهر من أفعالهم ما يقدح في اعتقادهم ولو في بعض الأوقات فقالوا : (إنك رؤوف) أي راحم أشد الرحمة لمن كانت له بك وصلة بفعل من أفعال الخير) رحيم (مكرم غاية الإكرام لمن أردته ولو

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٩٩/٧

الرأفة ، أو لا فنكون من أهل الرحمة ، فقد أفادت هذه الآية أن من كان في قلبه غل على أحد من الصحابة رضي الله عنهم فليس ممن عنى الله بهذه الآية .

الحشر : (١١ – ١٤) ألم تر إلى. .. . .

) ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد إنهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من ورآء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون (( )

ولما دل على أن هذا الثناء للصادقين في الإيمان بإقامة السنة بالهجرة والإيثار والاجتهاد في الدعاء لمن تبين الإيمان فسهل به طريق الأمان ، فأخرج ذلك المنافقين وأفهم أنهم لا يفعلون ذلك لأنهم لا رسوخ لهم في الإيمان الحامل على ذلك ، دل على." (١)

" صفحة رقم ٥٤٩

أحد عداوة من عاداه أدنى عداوة ولو كان أقرب الناس فكيف إذا كان عدوا ، وبين أن المخاطب من أول السورة من المهاجرين وأن إيراده على وجه الجمع للسير والتعميم في النهي بقوله : (وإياكم) أي من دياركم من مكة المشرفة .

ولما بين كفرهم ، معبرا بالمضارع إشارة إلى دوام أذاهم لمن آمن المقتضي لخروجه عن وطنه ، علل الإخراج بما يحقق معنى الكفر والجداوة فقال : (أن) أي أخرجوكم من أوطانكم لأجل أن) تؤمنوا) أي توقعوا حقيقة الإيمان مع التجديد والاستمرار .

ولما كان الإيمان به سبحانه مستحقا من وجهي الذات والوصف لفت الخطاب من التكلم إلى الغيبة للتنبيه عليهما فقال : (بالله) أي الذي اختص بجميع صفات الكمال ، ولما عبر بما أبان أنه مستحق للإيمان لذاته أردفه بما يقتضي وجبو ذلك لإحسانه فقال : (ربكم (ولما ألهبهم على مباينتهم لهم بما فعلوا معهم وانقضى ما أريد من التنبيه بسياق الغيبة عاد إلى التكلم لأنه أشد تحببا وأعظم استعطافا وأكمل على الرضا فألهبهم بما كان من جانبهم من ذلك الفعل أن لا يضيعوه ، فقال معلما إن ولايته سبحانه لاتصح إلا بالإيمان ، ولا يثبت الإيمان إلا بدلائله من الأعمال ، ولا تصح الأعمال إلا بالإخلاص ، ولا يكون

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٢٨/٧

الإخلاص إلا بمابينه الأعداء : (إن كنتم) أي كونا راسخا حين أخرجوكم من أوطانكم لأجل إيمانكم بي) خرجتم) أي منها وهي أحب البلاد إليكم) جهادا) أي لأجل الجهاد) في سبيلي) أي بسبب إرادتكم تسهيل طريقي التي شرعتها لعبادي أن يسلكوها) وابتغاء مرضاتي) أي ولأجل تطلبكم بأعظم الرغبة لرضاي ولكل فعل يكون موضعا له ، وجواب هذا الشرط محذوف لدلالة) لا تتخذوا (عليه .

ولما فرغ من بيان حال العدو وشرط إخلاص الولي ، وكان التقدير : فلا تتخذوهم أولياء ، بنى عليه قوله مبينا) تلقون (إعلاما بأن الإسرار إلى أحد بما فيه نفعه لا يكون إلا توددا : (تسرون) أي توجدون إسرار جميع ما يدل على مناصحتهم والتودد إليهم ، وأشار إلى بعدهم عنهم بقوله : (إليهم (إبلاغا في التوبيخ بالإشارة إلى أنهم يتجشمون في ذلك مستفتين إبلاغ الأخبار التي يريد النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو المؤيد بالوحي كتمها عنهم على وجه الإسرار خوف الافتضاح والإبلاغ إلى المكان البعيد) بالمودة) أي بسببها أو بسبب الإعلام بأخبار يراد بها أو يلزم منها المودة .

ولما كان المراد بالإسرار الستر على من يكره ذلك ، قال مبكتا لمن يفعله : (وأنا) أي والحال أني) أعلم) أي من كل أحد من نفس الفاعل) بما أخفيتم) أي من ذلك) وما أعلنتم (فأي فائدة لإسراركم إن كنتم تعلمون أني عالم به ، وإن كنتم تتوهمون أني لا أعلمه فهي القاصمة .." (١)

" صفحة رقم ٥٥٤

وإن كنتم أقرب الناس إلينا ولا ناصر لنا منهم غيركم .

ولما تبرؤوا منهم أتبعوه ما هو أعظم عندهم منهم وهو سبب العداوة فقالوا : (ومما تعبدون) أي توجدون عبادته في وقت من الأوقات الماضية المفيد التعبير عنها بالمضارع تصوير الحال أو الحاضرة أو الآتية كائنا من كان لا نخاف شيئا نم ذلك لأن إلهنا الذي قاطعنا كل شيء في الانقطاع إليه لا يقاويه شيء ، ولا تقدرون أنتم مع إشراككم به على البراءة منه .

ولما كانوا مشركين قالوا مستثنين ومبينين لسفول كل شيء عن متعالي مرتبة معبودهم : (من دون الله) أي الملك الأعظم الذي هو كاف لكل مسلم .

ولما كانت البراءة على أنحاء كثيرة ، بينوا أنها براءة ا لدين الجامعة لكل براءة فقالوا : (كفرنا بكم) أي أوجدنا الستر لكل ما ينبغي ستره حال كوننا مكذبين بكل ما يكون من جهتكم من دين وغيره الذي يلزم منه الإيمان ، وهو إيقاع الأمان من ا لتكذيب لمن يخبرنا بسبب كل ما يضاده مصدقين بذلك .

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٤٩/٧

ولما كان المؤمن على جبلة مضادة لجبلة الكافر ، عبر بما يفهم أن العداوة كانت موجودة ولكنها كانت مستورة ، فقال دالا على قوتها بتذكير الفعل : (وبدا) أي ظهر ظهورا عظما ، وعلى عظمتها بالدلالة بنزع الخافض على أنها شاحنة لجميع البينين فقال : (بيننا وبينكم) أي في جمع الحد الفاصل بين كل واحد منا وكل واحد منكم) العداوة (وهي المباينة في الأفعال بأن يعدو كل على الآخر ولا يكون ذلك إلا عندما يتسخف الغيظ الإنسان لإرادة أن يشفي صدره من شدة ما حصل له من حرارة الخنق .

فالعداوة مما يمتد فيكون مائلة لظرفها ، قال الشيخ سعد الدين التفتازاني في تلوحيه على توضيح صدر الشريعة في أوائله في علاقات المجاز : الفعل المنسوب إلى ظرف الزمان بواسطة تقدير (في) دون ذكره يقتضي كون الظرف معيارا له غير زائد عليه مثل صمت الشهر ، يدل على صوم جµيع أيامه بخلاف صمت في الشهر ، فإذا امتد الفعل الظرف ليكون معيارا له فيصح حمل اليوم - في نحو صرت يوم كذا - على حقيقته ، وهو ما يمتد من الطلوع إلى الغروب ، وإذا لم يمتد الفعل - يعني مثل حمل اليوم على النهار الممتد بل يجب أن يكون مجازا عن جزء من الزمان الذي لا يعتبر في الغرف ممتدا ، وهو الآن سواء كان من النهار أو من الليل بدليل قوله تعالى :

٧٧ ( ) ومن يولهم يومئذ دبره ( ) ٧

[الأنفال : ١٦] فإن التولي عن الزحف حرام ليلا كان أو نهارا ولأن مطلق الآن جزء من الآن اليومي وهو جزء من اليوم ، فيكون مطلق الآن جزءا من اليوم ، فتحقق العلاقة .

ولما كان ذلك قد يكون لغير الغض بل لتأديب ونحوه قالوا : (والغضاء (أي." (١)

" صفحة رقم ٥٦٧

بالوضع من الفروج ولأن عادة الولد مع أنه يسقط بين أيدي أنه ورجليها أنه يمشي أمامها ، وهذا شامل لما كان من شبهة أو لقطة .

ولما حقق هذه الكبائر العظيمة تعظيما لأمرها لعسر الاحتراز منها ، وأكد النهي عن الزنى مطابقة وإلزاما لما يجر إليه من الشرور القتل فما دونه ، وغلظ أمر النسب لما يتفرع عليه من إيقاع الشبهات وانتهاك الحرمات ، عم في النهي فقال : (ولا يعصينك) أي على حال من الأحوال) في معروف) أي فرد كان منه صغيرا كان أو كبيرا ، وفي ذكره مع العلم بأنه (صلى الله عليه وسلم) لا يأمر إلا به إشعار بأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وقدم المنهيات على المأمورات المستفادة من المعروف لأن التخلي عن

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٥٥٤/٧

الرذائل مقدم على التخلي بالفضائل لأن درء المفاسد أولى من جلب المصالح : (فبايعهن) أي التزم لهن بما وعدت على ذلك من إعطاء الثواب لمن وفت منهن في نظير ما ألزمن أنفسهن من الطاعة .

ولما كان الإنسان محل النقصان لا سيما النسوان رجاهن سبحانه بقوله : (واستغفر) أي اسأل) لهن الله) أي الملك الأعظم ذا الجلال والإكرام في الغفران إن وقع منهن تقصير وهو واقع لأنه لا يقدر أحد ان يقدر الله حق قدره .

ولما كانت عظمته سبحانه مانعة لعظيم الهيبة من سؤاله ما طمع به ، علله بقوله معيدا الاسم الأعظم لئلا يظن بإضماره وتقييده بحيثية الهجرة من النساء ونحو ذلك مؤكدا لما طبع الأدمي عليه من أنه لا يكاد يترك المسيء من عقاب أو عتاب فضلا عن التفضيل بزيادة الإكرام : (إن الله) أي الذي له صفات الجلال والإكرام فلو أن الناس لا يذنبون لجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم لتظهر صفة إكرامه) غفور) أي بالغ الستر للذنوب عينا وأثرا) رحيم) أي بالغ الإكرام بعد الغفران فضلا منه وإحسانا ، وقد حقق سبحانه ذلك وصدق ، ومن أصدق من الله قيلا ، فأقبل النساء للبيعة عامة ثاني يوم الفتح على الصفا بعد فراغه (صلى الله عليه وسلم) من بيعة الرجال فنزلت هذه الآية وهو على الصفا فقام عمر بن الخطاب رضي الله أسفل منه يبايعهن بأمره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة متنقبة لتأخذ علينا أمرا ما رأيناك أخذته على الرجال ، وبايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد ، فقال) ولا يسرقن (فقالت : إن إبا سفيان رجل شحيح وإني أصيب من ماله هنات فلا أدري أيحل لي أم لا ؟ فقال أبو سفيان : ما أصبت من شيء فيما مضى وفيما غير فهو لك حلال ، فضحك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعرفها فقال : (وإنك لهند بنت عتبة) ، قالت : نعم ، فاعف عني ما سلف عفا الله عنك ، فقال : (ولا يزنين (فقال : أو تزني الحرة ، فقال) ولا يقتلن أولادهن (فقالت : ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا وأنتم وهم أعلم ، ." (١)

" صفحة رقم ١١

رسله فضرهم إعراضه عنهم ولم يضره إعراضهم وما ضروا إلا أنفسهم وأطلق الاستغناء ليعم كل شيء .

ولما كان التعبير بذلك قد يوهم حدوث ما لم يكن له ، نفى ذلك بقوله مظهرا زيادة في العظمة : (والله) أي المستجمع لصفات الكمال من غير تقيد بحيثية) غني (عن الخلق جميعا) حميد (له صفة الغنى المطلق والحمد الأبلغ الذي هو الإحاطة بجميع أوصاف الكمال على الدوام أزلا وأبدا ، لم يتجدد له شيء لم يكن .

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٧/٥٦٧

ولما قرر وجوب الإيمان به وبرسله وكتبه وبالقدر خيره وشره ، وقسم الناس إلى مؤمن وكافر ، وأخبر أن الكافر تكبر عن الرسل ، عين الموجب الأعظم لكفرهم بقوله دالا على وجوب الإيمان بالعبث وترك القياس والرأي فإن عقل الإنسان لا يستقل ببعض أمور الإلهية ، معبرا بما أكثر إطلاقه على ما يشك فيه ويطلق على الباطل إشارة إلى أنهم شاكون وإن كانوا جازمين ، لكونهم لا دليل لهم ، وإلى أنهم في نفس الأمر مبطلون : (زعم (قال ابن عمر رضي الله عنهما : هي كنية الكذب ، وفي حديث أبي مسعود رضي الله عنه عند أبي داود : (بئس مطية الرجل زعموا)) الذين كفروا) أي **أوقعوا الستر لما** دلت عليه العقول من وحدانية الله تعالى ولو على أدنى الوجوه .

ولما كان الزعم ادعاء العلم وكان من يتعدى إلى مفعولين ، أقام سبحانه مقامهما قوله : (أن لن يبعثوا) أي من باعث ما بوجه من الوجوه .

ولما كان قد أشار سبحانه بنوعي المؤمن والكافر إلى الدليل القطعي الضروري على وجود المبطل اللازم منه ودعه اللازم منه وجب البعث ، اكتفى في الأمر بإجابتهم بقوله : (قل) أي لهم : (بلا) أي لتبعثن ، ثم أكده بصريح القسم فقال : (وربى) أي المحسن إلي بالانتقام ممن كذب بي ، وبإحقاق كل حق أميت ، وإبطال كل باطل أقيم) لتبعثن (مشيرا ببنائه للمفعول إلى أنه ويكون على وجه القهر لهم بأهو شيء وأيسر أمر وكذلك قوله : (ثم لتنبؤن) أي لتخبرن حتما إخبارا عظيما ممن يقيمه الله لإخباركم) وذلك) أي الأمر العظيم عندكم من البعث والحساب) على الله) أي المحيط بصفات الكمال وحده) يسير (لقبول المادة وحصول القدرة ، وكون قدرته سبحانه كذلك شأنها ، نسبة الأشياء الممكنة كلها جليلها وحقيها إليها على حد سواء .." (١)

" صفحة رقم ١٨

الأقارب وألصق الناس بالإنسان وهو كالعلة لآخر (المنافقون) : (يا أيها الذين آمنوا (ولما كان الأزواج أقرب عداوة من الأولاد قدمهن ، فقال مؤكدا لمن يستبعد ذلك : (إن من أزواجكم (وإن أظهرن غاية المودة) وأولادكم (وإن أظهروا أيضا غاية الشفقة والحنان) عدوا لكم) أي لشغلهم لكم عن الدين أو لغير ذلك من جمع المال وتحصيل الجاه لأجلهم والتهاون بالنهي عن المنكر فإن الولد مجبنة وغير ذلك ، قال أبو حيان رحمه الله تعالى : ولا أعدى على الرجل من زوجه وولده إذا كانا عدوين وذلك في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فبإذهاب ماله – كما هو معروف – وعرضه ، وأما في الآخرة فيما يسعى في اكتسابه

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١١/٨

من الحرام لأجلهم وبما يكسبانه منه بسبب جاهه .

فالرجل من رأى ذلك نعمة من الله فجعله معينا له على طاعته لا قاطعا ومعوقا عما يرضيه بأن يلتهي بمحبته وعداوته وبغضته .

ولما أخبر عن العداوة ، عبر بما قدم يفهم الواحد فقط تخفيفا ، ولما أمر بالحذر جمع إشارة إلى زيادة التحذير والخوف في كل أحد ولو كان أقرب الأقرباء لأن الحزم سوء الظن كما رواه الطبراني في الأوسط ، فسبب عن الإخبار بالعداوة الأمر بالحذر في قوله : (فاحذروهم) أي بأن تتقوا الله في كل أمرهم فتطلبوا في السعي عليهم الكفاف من حله وتقتصروا عليه ، ولا يحملنكم حبهم في كل أمرهم فتطلبوا وليشتد حذركم منهم بالعمل بما أمر الله حتى في العدل بينهم لئلا يتمكنوا من أذاكم فيعظم بهم الخطب ويكون فاتنا لكم في الدين إما بالردة – والعياذ بالله تعالى – أو بالشغل عن الطاعة أو بالإقحام في المعصية ومالفة السنة والجماعة ولما كان قد يقع ما يؤذي مع الحذر لأنه لا يغني من قدر أو مع الاستسلام ، وكان وكل المؤذي إلى الله أولى وأعظم في الاستنصار ، قال مرشدا إلى ذلك : (وإن تعفوا) أي توقعوا المجاوزة عن ذنوبهم بعدم العقاب عليها فإنه لا فائدة في ذلك لأن من طبع على شيء لا يرجع ، وإنما النافع الحذر الذي أرشد إليه سبحانه لئلا يكون سببا للو المنهي عنه .

ولما كان الرجوع عن الحظوظ صعبا جدا ، أكد سبحانه فقال : (وتصفحوا) أي بالإعراض عن المقابلة بالتثريب باللسان) وتغفروا) أي بأن تستروا ذنوبهم سترا تاما شاملا للعين والأصر بالتجاوز بعد ترك العقاب عن العتاب ، فلا يكون منكم اشتغال بعداوتهم ولا ما قد يجرها عما ينفع من الطاعة ، ولما كان التقدير : يغفر الله لكم ، سبب عنه قوله : (فإن الله) أي الجامع لصفات الكمال) غفور) أي بالغ المحو الأعيان الذنوب وآثرها جزاء لكم على غفرانكم لهم وهو جدير بأن يصلحهم لكم بسبب غفرانكم لهم فإنه) رحيم (يزيدكم بعد ذلك الستر بالإنعام إن أكرمتموهم ، فتخلقوا بأخلاقه سبحانه يزدكم من فضله .." (١)

" صفحة رقم ١٦٩

ولما أخبر بأنه بالغ في الدعوة إلى حد لا مزيد عليه ، فلم يدع من الأوقات ولا من الأحوال شيئا ، سبب عنه بيان ما قال في دعوته وهو التسبب في السعادة كلها بدفع المضار وجلب المسار ، فقال مقدما لطلب الغفران عن الكفر ليظهروا فيكونوا قابلين للتحلية بالمحاسن الدينية بعد التخلية عن الأخلاق الدنية : (فقلت) أي في دعائي لهم : (استغفروا ربكم) أي اطلبوا من المحسن إليكم ، المبدع لكم ، المدبر

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١٨/٨

لأموركم ، أن يمحو ذنوبكم أعيانها وأثارها ، بالرجوع عن عبادة غيره إلى الإخلاص في عبادته .

ولما ذكر أنه استعطفهم أولا ببيان أن رجوعهم ممكن ، لئلا يقولوا : إنا قد بالغنا في المعاصي فلا نقبل ، وأعلمهم أن الاستغفار باب الدخول إلى طاعة الجبار ، أكد ذلك الاستعطاف بقوله معللا للأمر ولجوابه بنحو : يغفر لكم ، مؤكدا لأجل توقفهم : (إنه كان) أي أزلا وأبدا ودائما سرمدا) غفارا) أي متصفا بصفة الستر على من رجع إليه على أبلغ الوجوه وأعلاها ، وإذا وقع الغفران دفع المضار كلها .

ولما قرر أمر التوبة وبين قبولها وقدمه اهتماما به لأنه أصل ما يبتنى عليه ، ولأن التخلي قبل التحلي ، ودرء المفاسد قبل جلب المصالح والفوائد ، رغب فيها بما يكون عنها من الزيادة في الإحسان على أصل القبول ، وينشأ عن الاستغفار من الآثار الكبار من الأفضال بجلب المسار بما هو مثال للجنة التي كان سبب الإخراج منها النسيان لأنهم أحب شيء في الأرباح الحاضرة والفوائد العاجلة لا سيما بما يبهج النفوس ويشرح الصدور لإذهابه البؤس ، فقال مجيبا لفعل الأمر : (يرسل السماء) أي المظلة الخضراء أو السحاب أو المطر) عليكم) أي بالمطر وأنواع البركات) مدرارا) أي حال كونها كثيرة الدورة متكررته ، وهذا البناء يستوي فيه المذكر والمؤنث) ويمددكم (أظهر لأن الموضع لإرادة المبالغة والبسط والسعة) بأموال وبنين (وذلك يفهم أن من اكثر الاستغفار حباه الله ما يسره ، وحماه ما يضره) ويجعل لكم) أي في الدارين) جنات) أي بساتين عظيمة ، وأعاد العامل للتأكيد والبسط لأن المقام له فقال : (ويجعل لكم أنهارا (يخصكم بذلك عمن لم يفعل ذلك ، فإن من لزم الاستغفار استسقى فلم يزد على الاستغفار فلما نزل قيل : يا أمير المؤمنين ما رأيناك استسقيت ؟ فقال : لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التي بها يستنزل القطر ، ثم قرأ هذه الآية ، وقال القشيري : من وقعت له إلى الله حاجة فلن يصل إلى مراده إلا تقديم الاستغفار ، وقال : إن عمل قوم نوح كان بضد ذلك ، ازداد نوح في الضمان ووجوه الخير والإحسان ازدادوا في الكفر والنسيان .." (١)

" صفحة رقم ١٧٨

ويجوز – وهو أقرب – أن يكون هذا الدعاء عند ركوبه السفينة وابتداء الإغراق فيهم ، يريد به العموم كراهية أن يبقى أحد منهم على ذروة جبل أو نحوه ، لا أصل الإغراق ، وأن يكون معنى ما قبله الحكم بإغراقهم وتحتم القضاء به أو الشروع فيه .

ولما كان الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يقولون ولا يفعلون إلا ما فيه مصلحة الدين ، علل دعاءه بقوله

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١٦٩/٨

وأكده إظهارا لجزمه باعتقاد ما أنزل عليه من مضمون قوله تعالى :

٧٧ ( ) إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ( ) ٧

[هود : ٣٦] وإن كان ذلك خارجا عن العادة : (إنك) أي يا رب) إن تذرهم) أي تتركهم على أي حالة كانت في إبقائهم سالمين على وجه الأرض على ما هم عليه من الكفر والضلال والإضلال ولو كانت حالة دنية) يضلوا عبادك) أي الذين آمنوا بي والذين يولدون على الفطرة السليمة .

ولما كان ربما كان الإنسان ضارا ووجد له ولد نافع ؛ نفى ذلك بقوله : (ولا يلدوا) أي إن قدرت بقاءهم في الدنيا) إلا فاجرا) أي مارقا من كل ما ينبغي الاعتصام به ، واكتفى فيه بأصل الفاعل إشارة إلى أن من جاوز الحد أو شرع في شيء بعده من التمادي في الغي صار ذلك له ديدنا فبالغ ، فلذلك قال : (كفارا) أي بليغ الستر لما يجب إظهاره من آيات الله لأن قولك يا رب لا يتخلف أصلا ، والظاهر أن هذا الكلام لا يقوله إلا عن وحي كما في سورة هود عليه السلام من قوله تعالى :

٧٧ ( ) إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ( ) ٧

[هود : ٣٦] فيكون على هذا حتى صغارهم معذبين بما يعلم الله منهم لو بلغوا لا بما عملوه كما قال (صلى الله عليه وسلم) في أولاد الكفار (الله أعلم بما كانوا عاملين) ولما دل هذا كله على أنه دعا على أعداء الله ، دعا أيضا لأوليائه وبدأ بنفسه لأنه رأس تلك الأمة ، فقال مسقطا على عادة أهل الخصوص : (رب) أي أيها المحسن إلي باتباع من اتبعني وتجنب من تجنبي ، فإن من كانت طبيعته طبعت على شيء لا تحول عنه .

ولما كان المقام الأعلى أجل من أن يقدره أحد حق قدره قال : (اغفر لي) أي فإنه لا يسعني وإن لا يسعني وإن كنت معصوما إلا حلمك وعفوك ورحمتك .

ولما أظهر بتواضعه عظمة الله سبحانه وتعالى رتب المدعو لهم على الأحق فالأحق فقال : (ولوالدي (وكانا مؤمنين وهما لمك بن متوشلخ وشمخاء بنت أنوش ، قال أبو حيان : وقال ابن عباس." (١)

" صفحة رقم ٢٠٣

قال (صلى الله عليه وسلم) في قتلى أحد – (زملوهم بثيابهم ودمائهم) مع الإشارة إلى الإخفاء أيضا بإدغام تاء التفعل ، وربما أشار الإدغام إلى أن الستر بالثوب لم يعم جميع البدن ، كما يأتي في المدثر على أن فيه مع ذلك إشارة إلى البشارة بالقوة على حمل أعباء ما يراد به ، من قولهم : زمل الشيء – إذا

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ١٧٨/٨

رفعه وحمله ، والازدمال : احتمال الشيء ، وزملت الرجل على البعير وغيره – إذا حملته عليه ، ومن زملت الدابة في عدوها – إذا نشطت ، والزامل من حمر الوحوش الذي كأنه يظلع من نشاطه ، ورجل إزميل : شديد ، والزاملة : بعير يستظهر به الرجل لحمل طعامه ومتاعه عليه ، ويقال للرجل العالم بالأمر : هو ابن زوملتها ، وقال ابن عطاء : يا أيها المخفي ما تظهره عليه من آثار الخصوصية هذا أوان كشفه ، وقال عكرمة : يا أيها الذي حمل هذا الأمر ، وقال السدي : أراد يا ألها النائم ، وقال غيره : كان هذا في ابتداء الوحي بالنبوة ، والمدثر في ابتداء الوحي بالرسالة ، ثم خوطب بعد ذلك بالنبي والرسول : (قم) أي في خدمتنا بحمل أعباء نبوتنا والزدمال بالاجتهاد في الاحتمال ، واترك التزمل فإنه مناف للقيام .

ولما كان الاجتهاد في الخدمة دالا على غاية المحبة ، وكانت النية خيرا من العمل ، وكان الإنسان مجبولا على الضعف ، وكان سبحانه لطيفا بهذه الأمة تشرفيا لإمامها (صلى الله عليه وسلم) ، رضى منا سبحانه بصدق التوجه إلى العمل وجعل أجورنا أكثر من أعمالنا ، فجعل غحياء البعض إحياء للكل ، فأطلق اسم الكل وأراد البعض فقال : (الليل) أي الذي هو وقت الخلوة والخفية والستر ، فصل لنا في كل ليلة من هذا الجنس وقف بين يدينا بالمناجاة والأنس بما أنزلنا عليك من كلامنا فإنا نريد إظهارك وإعلاء قدرك في البر والبحر والسر والجهر ، وقيام الليل في الشرع معناه الصلاة فلذا لم يقيده ، وهي حامعة لأنواع الأعمال الظاهرة والباطنة ، وهي عمادها ، فذكرها دال على ما عداها .

ولما كان للبدن حظ في الراحة قال مستثنيا من الليل : (إلا قليلا) أي من كل ليلة ، ونودي هذا النداء لأنه (صلى الله عليه وسلم) لما جاءه الوحي بغار حراء رجع إلى خديجة زوجته رضي الله تعالى عنها يرجف فؤاده فقال : (زملوني زملوني لقد خشيت على نفسي) فسألته رضي الله عنها عن حاله ، فلما قص عليها أمره – قال : (خشيت على نفسي)." (١)

" صفحة رقم ٢١٩

فلا يسعه إلا العفو بل الغفر فقال حاثا على أن يكون ختام الأعمال بالاستغفار والاعتراف بالتقصير في خدمة المتكبر الجبار مشيرا إلى حالة انفصال روحه عن بدنه وأن صلاحها الراحة من كل شر : (واستغفروا الله) أي اطلبوا وأوجدوا ستر الملك الأعظم الذي لا تحيطون بمعرفته فكيف بأداء حق خدمته لتقيركم عينا وأثرا بفعل ما يرضيه واجتناب ما يسخطه .

ولما علم من السياق ومن التعبير بالاسم الأعظم أنه سبحانه بالغ العظمة إللى حد يؤيس من إجابته ، علل

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٠٣/٨

الأمر بقوله مؤكدا تقريبا لما يستبعده من يستحضر عظمته سبحانه وشدة انتقامه وقوة بطشه ") إن الله (وأظهر إعلالما بأن صفاته لا تقصر آثارها على المستغفرين ولا على مطلق السائلين) غفور) أي **بالغ الستر لأعيان** الذنوب وآثارها حتى لا تكون عليها عتاب ولا عقاب) رحيم) أي بالغ الإكرام **بعد الستر إفضالا** وإحسانا وتشريفا وامتنانا وقد اشتمدت هذه السورة على شرح قول النبي (صلى الله عليه وسلم) فيما أوتي من جوامع الكلم " اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي وأصلح لي آخرتي التي إليها منقلبي واجعل الحياة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر "كما أشير إلى كل جملة منها في محلهعنا ، ولقد رجع آخر السورة – بالترغيب في العمل وذكر جزائه – على أولها الأمكر بالقيام بين بيديه وبإشارة الاستغفار إلى عظمم المقام وإن جل العمل ودام وإن كان بالقيام في ظلام الليالي والناس نيام ، فسبحان من له هذا الكلام المعجز لسائر الأنام لأحاطته بالجلال والإكرام ، فسبحانه من إله جابر القلوب المنكسرة .." (١)

" صفحة رقم ٢٤٨

– رواه البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وأما في الآخرة فإن الله يعطيه في ذلك اليوم قوة الذكرى حتى تصير أعماله كلها بين عينيه لأنه تعالى ينفي عنه الشوغل البدنية ويكشف عنه الحجب النفسانية حتى تصير أعماله ممثلة له كأنه يراها ولا تنفعه معذرته ، لأن كل شيء يعتذر به عن نفسه يعرف كذبه بنفس وجوده لا بشيء خارج عنه تارة يكون خالقه أوجده على ما هو عليه من العلم وسلامة الأسباب المزيلة للعلل وتارة بإنطاق جوارحه .

ولما كان الإنسان يعتذر في ذلك اليوم عن كل سوء عمله ، ويجادل أعظم مجادلة ، وكان المجادل في الغالب يظن أنه لم يذنب أو لا يعلم له ذنبا ، قال : (ولو ألقى) أي ذكر بغاية السرعة ذلك الإنسان من غير تلعثم دلالة على غاية الصدق والاهتمام والتملق) معاذيره) أي كل كلام يمكن أن يخلص به ، جمع عذر أو معذرة وهو إيساع الحيلة في دفع الخلل : وقال في القاموس : المعاذير : الستور والحجج جمع معذار ، وذلك لاشتراكهما في **مطلق الستر بالفتح** والستر بالكسر في ستر المذنب والحجة في ستر الذنب فالمعنى أنه حجة على نفسه ولو احتج عنها واجتهد في ستر عيوبها ، فلا تقبل منها الأعذار ، لأنه قد أعطى البصيرة فأعماها بهون النفس وشهواتها ، وتلك البصيرة هي نور المعرفة المركوز في الفطرة الأولى وهي كقوله تعالى : (لا ينفع الظالمين معذرتهم (.

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢١٩/٨

ولما كان معنى هذا كله أن الإنسان محجوب في هذه الدار عن إدراك الحقائق بما فيه من الحظوظ والكسل والفتور ، لما فيه من النقائص ، وكان النبي (صلى الله عليه وسلم) مبرءا من ذلك لخلق الله له كاملا وترقيته بعد ميلاده كل يوم في مراقي الكمال حتى صار إلى حد لا يشغله عن العلوم شيء فكان بحيث يرى مواقع الفتن خلال البيوت كمواقع القطر ، ويرى من ورائه كما يرى من أمامه ، ويقول : (والله لا يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم أني أراكم من وراء ظهري) وكان (صلى الله عليه وسلم) يرى في أشد الظلام وغير ذلك مما له (صلى الله عليه وسلم) من رقة الجوهر الذي لم ينله أحد غيره ، وذلك مام يدل على الكشف التام ولكنه كان (صلى الله عليه وسلم) لتعظيمه لها فتستقصى ، ولأنه كلام الملك الأعظم ، وبأمره نزل إليه (صلى الله عليه وسلم) مع رسوله جبريل عليه الصلاة والسلام ، يعالج عند سماعه أول ما يأتيه شدة ، فكان يحرك به لسانه استعجالا." (١)

" صفحة رقم ٥٠٠

التجرد عن العوائق فقال : (ويقيموا) أي يعدلوا من غير اعوجاج ما ، بجميع الشرائط والأركان والحدود) الصلاة (لتصيرة بذلك أهلا لأن تقوم بنفسها ، وهي التعظيم لأمر الله تعالى .

ولما ذكر صلة الخالق ، أتبعها وصلة الخلائق فقال : (ويؤتوا الزكاة) أي بأن يحضروها لمستحقيها على خلق الله إعانة على الدين ، ولكنهم حرفوا ذلك وبدلوه بطباعهم المعوجة ، وتدخل الزكاة عند أهل الله في كل ما رزق الله من عقل وسمع وبصر ولسان ويد ورجل ووجاهة وغير ذلك - كما هو واضح من قوله تعالى :

٧٧ ( ) ومما رزقناهم ينفقون ( ) ٧

[البقرة : ٣ - والأنفال : - ٣] .

ولما كان هذا دينا حسنا بينا فضلوا عنه على ما عندهم من الأدلة ، زاد في توبيخهم بمدحه فقال : (وذلك) أي والحال أن هذا الموصوف من العبادة على الوجه المذكور الذي هو في غاية العلو والخير) دين القيمة) أي الملة أو النفوس أو الكتب التي لا عوج فيها ، وهو على الأول من إضافة الموصوف إلى الصفة ، وعن الخليل أنه قال : هو جمع قيم ، والقيم والقائم واحد ، والمعنى دين القائمين لله تعالى بالتوحيد ، ودل على ما قدرته في أمر المشركين بذكرهم في نتيجة ما مضى في قوله مؤكدا لاجل إنكارهم : (إن الذين كفروا) أي وقع **منهم الستر لمرائي** عقولهم بعد صرفها للنظر الصحيح فضلوا واستمروا على ذلك وإن لم

---

(١) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٤٨/٨

يكونوا عريقين فيه) من أهل الكتاب) أي اليهود والنصارى) والمشركين) أي العريقين في الشرك ، ودل بالإتيان بالوصف هنا والفعل في أولئك – والله أعلم – على أن المشرك يرجع عن شركه ويؤمن إن لم يكن عريقا في الشرك بخلاف أهل الكتاب متى تلبس أحد منهم بكفر لا يرجع عنه وإن كان تلبسه به على أضعف الوجوه ، وكذا كل من ينسب إلى علم ولا سيما إن كان بليدا متى عرضت له شبهة بعد رجوعه عنها ، فلذلك جميع بينهم في قوله : (خالدين فيها) أي يوم القيامة أو في الحال لسعيهم في موجباتها ، واشتراك الفريقين في جنس العذاب لا يوجب التساوي في النوع بل يختلف بحسب اشتداد الكفر وخفته .

ولما كان معظم السياق للعبادة والترغيب فيها من القراءة والسجود والانفكاك عن الكفر ، لم يذكر التأبيد بلفظه ، بل اكتفى بما دل عليه وقال في نتيجة ما مضى : (أولئك) أي البعداء البغضاء) هم) أي خاصة بما لضمائرهم من الخبث) شر البرية) أي الخليقة الذين أهملوا إصلاح أنفسهم ، وفرطوا في حوائجهم ومآربهم ، وهذا نار لأرواحهم حين ينادى عليهم به .." (١)

"﴿ ٢٦٥ ﴾ ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ .

هذا مثل المنفقين أموالهم على وجه تزكو عليه نفقاتهم وتقبل به صدقاتهم فقال تعالى: ﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله ﴾ أي: قصدهم بذلك رضى ربهم والفوز بقربه ﴿ وتثبيتا من أنفسهم ﴾ أي: صدر الإنفاق على وجه منشرحة له النفس سخية به، لا على وجه التردد وضعف النفس في إخراجها وذلك أن النفقة يعرض لها آفتان إما أن يقصد الإنسان بها محمدة الناس ومدحهم وهو الرياء، أو يخرجها على خور وضعف عزيمة وتردد، فهؤلاء سلموا من هاتين الآفتين فأنفقوا ابتغاء مرضات الله لا لغير ذلك من المقاصد، وتثبيتا من أنفسهم، فمثل نفقة هؤلاء ﴿كمثل جنة ﴾ أي: كثيرة الأشجار غزيرة الظلال، من الاجتنان وهو الستر، لستر أشجارها ما فيها، وهذه الجنة ﴿ بربوة ﴾ أي: محل مرتفع ضاح للشمس في أول النهار ووسطه وآخره، فثماره أكثر الثمار وأحسنها، ليست بمحل نازل عن الرياح والشمس، ف ﴿ أصابها ﴾ أي: تلك الجنة التي بربوة ﴿ وابل ﴾ وهو المطر الغزير ﴿ فآتت أكلها ضعفين ﴾ أي: تضاعفت ثمراتها لطيب أرضها ووجود الأسباب الموجبة لذلك، وحصول الماء الكثير الذي ينميها ويكملها ﴿ فإن لم يصبها وابل فطل ﴾ أي: مطر قليل يكفيها لطيب منبتها، فهذه حالة المنفقين أهل النفقات الكثيرة والقليلة كل على حسب حاله، وكل ينمى له ما أنفق أتم تنمية وأكملها والمنمي لها هو الذي أرحم بك من نفسك، الذي

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٨/٥٠٠

يريد مصلحتك حيث لا تريدها، فيالله لو قدر وجود بستان في هذه الدار بهذه الصفة لأسرعت إليه الهمم وتزاحم عليه كل أحد، ولحصل الاقتتال عنده، مع انقضاء هذه الدار وفنائها وكثرة آفاتها وشدة نصبها وعنائها، وهذا الثواب الذي ذكره الله كأن المؤمن ينظر إليه بعين بصيرة الإيمان، دائم مستمر فيه أنواع المسرات والفرحات، ومع هذا تجد النفوس عنه راقدة، والعزائم عن طلبه خامدة، أترى ذلك زهدا في الآخرة ونعيمها، أم ضعف إيمان بوعد الله ورجاء ثوابه؟! وإلا فلو تيقن العبد ذلك حق اليقين وباشر الإيمان به بشاشة قلبه لانبعثت من قلبه مزعجات الشوق إليه، وتوجهت همم عزائمه إليه، وطوعت نفسه له بكثرة النفقات رجاء المثوبات، ولهذا قال تعالى: ﴿ والله بما تعملون بصير ﴾ فيعلم عمل كل عامل ومصدر ذلك العمل، فيجازيه عليه أتم الجزاء ثم قال تعالى:." (١)

"﴿ ٦٤ - ٦٦ ﴾ ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ * وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ .

كانت هذه السورة الكريمة تسمى "الفاضحة" لأنها بينت أسرار المنافقين، وهتكت أستارهم، فما زال اللّه يقول: ومنهم ومنهم، ويذكر أوصافهم، إلا أنه لم يعين أشخاصهم لفائدتين: إحداهما: أن اللّه سِتِّيرٌ **يحب الستر على** عباده.

والثانية: أن الذم على من اتصف بذلك الوصف من المنافقين، الذين توجه إليهم الخطاب وغيرهم إلى يوم القيامة، فكان ذكر الوصف أعم وأنسب، حتى خافوا غاية الخوف.

قال اللّه تعالى: ﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلا * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلا ﴾

وقال هنا ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنزلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ أي تخبرهم وتفضحهم وتبين أسرارهم حتى تكون علانية لعباده ويكونوا عبرة للمعتبرين

﴿ قُلِ اسْتَهْزِئُوا ﴾ أي استمروا على ما أنتم عليه من الاستهزاء والسخرية ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴾ وقد وفَّى تعالى بوعده فأنزل هذه السورة التي بينتهم وفضحتهم وهتكت أستارهم

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ ﴾ عما قالوه من الطعن في المسلمين وفي دينهم يقول طائفة منهم في غزوة تبوك "ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء -يعنون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه- أرغب بطونا وأكذب ألسنا وأجبن عند اللقاء"

---

(١) تفسير السعدي، ص/١١٤

ونحو ذلك

ولما بلغهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد علم بكلامهم جاءوا يعتذرون إليه ويقولون ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ أي نتكلم بكلام لا قصد لنا به ولا قصدنا الطعن والعيب

قال اللّه تعالى –مبينا عدم عذرهم وكذبهم في ذلك– ﴿ قُلْ ﴾ لهم ﴿ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ فإن الاستهزاء باللّه وآياته ورسوله كفر مخرج عن الدين لأن أصل الدين مبني على تعظيم اللّه وتعظيم [ص ٣٤٣] دينه ورسله والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل ومناقض له أشد المناقضة

ولهذا لما جاءوا إلى الرسول يعتذرون بهذه المقالة والرسول لا يزيدهم على قوله ﴿ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾

وقوله ﴿ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ ﴾ لتوبتهم واستغفارهم وندمهم ﴿ نُعَذِّبْ طَائِفَةً ﴾ منكم ﴿ بِأَنَّهُمْ ﴾ بسبب أنهم ﴿ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ مقيمين على كفرهم ونفاقهم

وفي هذه الآيات دليل على أن من أسر سريرة خصوصا السريرة التي يمكر فيها بدينه ويستهزئ به وبآياته ورسوله فإن اللّه تعالى يظهرها ويفضح صاحبها ويعاقبه أشد العقوبة

وأن من استهزأ بشيء من كتاب اللّه أو سنة رسوله الثابتة عنه أو سخر بذلك أو تنقصه أو استهزأ بالرسول أو تنقصه فإنه كافر باللّه العظيم وأن التوبة مقبولة من كل ذنب وإن كان عظيما." (١)

"و " تاب عليه " معناه رجع به والتوبة من الله تعالى الرجوع على عبده بالرحمة والتوفيق والتوبة من العبد الرجوع عن المعصية والندم على الذنب مع تركه فيما يستأنف وإنما خص الله تعالى آدم بالذكر هنا في التلقي والتوبة وحواء مشاركة له في ذلك بإجماع لأنه المخاطب في أول القصة بقوله " اسكن أنت وزوجك الجنة " فلذلك كملت القصة بذكره وحده وأيضا فلأن المرأة حرمة ومستورة فأراد **الله الستر لها** ولذلك لم يذكرها في المعصية في قوله " وعصى آدم ربه فغوى " طه ١٢١

وروي أن الله تعالى تاب على آدم في يوم عاشوراء

وكنية آدم أبو محمد وقيل أبو البشر

وقرأ الجمهور إنه بكسر الألف على القطع

وقرأ ابن أبي عقرب أنه بفتح الهمزة على معنى لأنه وبنية " التواب " للمبالغة والتكثير وفي قوله تعالى " إنه

---

(١) تفسير السعدي، ص/٣٤٢

هو التواب الرحيم " تأكيد فائدته أن التوبة على العبد إنما هي نعمة من الله لا من العبد وحده لئلا يعجب التائب بل الواجب عليه شكر الله تعالى في توبته عليه وكرر الأمر بالهبوط لما علق بكل أمر منهما حكما غير حكم الآخر فعلق بالأول العداوة وعلق بالثاني إتيان الهدى

وقيل كرر الأمر بالهبوط على جهة تغليظ الأمر وتأكيده كما تقول لرجل قم قم

وحكى النقاش أن الهبوط الثاني إنما هو من الجنة إلى السماء والأول في ترتيب الآية إنما هو إلى الأرض وهو الآخر في الوقوع فليس في الأمر تكرار على هذا و " جميعا " حال من الضمير في " اهبطوا " وليس بمصدر ولا اسم فاعل ولكنه عوض منهما دال عليهما كأنه قال هبوطا جميعا أو هابطين

جميعا واختلف في المقصود بهذا الخطاب فقيل آدم وحواء وإبليس وذريتهم وقيل ظاهره العموم ومعناه الخصوص في آدم وحواء لأن إبليس لا يأتيه هدى وخوطبا بلفظ الجمع تشريفا لهما والأول أصح لأن إبليس مخاطب بالإيمان بإجماع وإن في قوله " فإما " هي للشرط دخلت ما عليها مؤكدة ليصح دخول النون المشددة فهي بمثابة لام القسم التي تجيء لتجيء النون وفي قوله تعالى " مني " إشارة إلى أن أفعال العباد خلق الله تعالى

واختلف في معنى قوله " هدى " فقيل بيان وإرشاد

قال القاضي أبو محمد رحمه الله والصواب أن يقال بيان ودعاء

وقالت فرقة الهدى الرسل وهي إلى آدم من الملائكة وإلى بنيه من البشر هو فمن بعده

وقوله تعالى " فمن تبع هداي " شرط جوابه فلا خوف عليهم

١٣٢

قال سيبويه الشرط الثاني وجوابه هما جواب الأول في قوله " فإما يأتينكم "

وحكي عن الكسائي أن قوله " فلا خوف عليهم " جواب الشرطين جميعا

قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه حكي هذا وفيه نظر ولا يتوجه أن يخالف سيبويه هنا وإنما الخلاف في نحو قوله تعالى " فأما إن كان من المقربين فروح وريحان " الواقعة ٨٩

." (١)

"قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه وفي هذا القول نظر لأن التحكم فيه باد وقال زيد بن أسلم لئن ظننت أن سلامك يثقل على من أنفقت عليه تريد وجه الله فلا تسلم عليه وقالت له امرأة يا

(١) المحرر الوجيز . ، ١/١١٤

أبا أسامة دلني على رجل يخرج في سبيل الله حقا فإنهم إنما يخرجون ليأكلوا الفواكه فإن عندي أسهما وجعبة فقال لها لا بارك الله في أسهمك وجعبتك فقد آذيتهم قبل أن تعطيهم

وضمن الله

٣٥٧

الأجر للمنفق في سبيل الله والأجر الجنة ونفى عنه الخوف بعد موته لما يستقبل والحزن على ما سلف من دنياه لأنه يغتبط بآخرته

سورة البقرة ٢٦٣ - ٢٦٤

هذه إخبار جزم من الله تعالى أن القول المعروف وهو الدعاء والتأنيس والترجية بما عند الله خير من صدقة هي في ظاهرها صدقة وفي باطنها لا شيء

لأن ذلك القول المعروف فيه أجر وهذه لا أجر فيها

وقال المهدوي وغيره التقدير في إعرابه " قول معروف " أولى " ومغفرة خير "

قال القاضي أبو محمد وفي هذا ذهاب برونق المعنى وإنما يكون المقدر كالظاهر **والمغفرة الستر للخلة** وسوء حالة المحتاج

ومن هذا قول الأعرابي وقد سأل قوما بكلام فصيح فقال له قائل ممن الرجل فقال اللهم غفرا سوء الاكتساب يمنع من الانتساب وقال النقاش يقال معناه ومغفرة للسائل إن أغلظ أو جفا إذا حرم ثم أخبر تعالى بغناه عن صدقة من هذه حاله وعاقبة أمره وحمله عمن يمكن أن يواقع هذا من عبيده وإمهالهم

وقوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى " الآية العقيدة أن السيئات لا تبطل الحسنات فقال جمهور العلماء في هذه الآية إن الصدقة التي يعلم الله في صاحبها أن يمن أو يؤذي فإنها لا تتقبل صدقة وقيل بل جعل الله للملك عليها أمارة فلا يكتبها

قال القاضي أبو محمد وهذا حسن لأن ما نتلقى نحن عن المعقول من بني آدم فهو أن المن المؤذي ينص على نفسه أن نيته لم تكن لله عز وجل على ما ذكرناه قبل فلم تترتب له صدقة فهذا هو بطلان الصدقة بالمن والأذى والمن والأذى في صدقة لا يبطل صدقة غيرها إذ لم يكشف ذلك على النية في السليمة ولا قدم فيها ثم مثل الله هذا الذي يمن ويؤذي بحسب مقدمة نيته بالذي " ينفق رئاء " لا لوجه الله والرياء مصدر من فاعل من الرؤية

كأن الرياء تظاهر وتفاخر بين من لا خير فيه من الناس

قال المهدوي والتقدير كإبطال الذي ينفق رئاء وقوله تعالى " ولا يؤمن بالله واليوم الآخر " يحتمل أن يريد الكافر الظاهر الكفر إذ قد ينفق ليقال جواد وليثنى عليه بأنواع الثناء ولغير ذلك ويحتمل أن يريد المنافق الذي يظهر الإيمان
". (١)

"فهذه الآية مما قيد الوعد فيها بمكروه وهو " الفقر " و " الفحشاء " كل ما فحش وفحش ذكره ومعاصي الله كلها فحشاء وروى حيوة عن رجل من أهل الرباط أنه قرأ الفقر بضم الفاء وهي لغة وقال ابن عباس في الآية اثنتان من الشيطان واثنتان من الله تعالى وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (إن للشيطان لمة من ابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق فمن وجد ذلك فليتعوذ وأما لمة الملك فوعد بالحق وتصديق بالخير فمن وجد ذلك فليحمد الله) ثم قرأ عليه السلام " الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم " الآية والمغفرة **هي الستر على** عباده في الدنيا والآخرة والفضل هو الرزق في الدنيا والتوسعة فيه والتنعيم في الآخرة وبكل قد وعد الله تعالى وذكر النقاش أن بعض الناس تأنس بهذه الآية في أن الفقر أفضل من الغنى لأن الشيطان إنما يبعد العبد من الخير وهو بتخويفه الفقر يبعد منه

قال القاضي أبو محمد وليس في الآية حجة قاطعة أما إن المعارضة بها قوية وروي أن في التوراة عبدي أنفق من رزقي أبسط عليك فضلي فإن يدي مبسوطة على كل يد مبسوطة وفي القرآن مصداقه وهو " وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين " سبأ ٣٩ و " واسع " لأنه وسع كل شيء رحمة وعلما ثم أخبر تعالى عن نفسه أنه " يؤتي الحكمة " أي يعطيها لمن يشاء من عباده

واختلف المتأولون في " الحكمة " في هذا الموضع فقال السدي " الحكمة " النبوءة وقال ابن عباس هي المعرفة بالقرآن فقهه ونسخه ومحكمه ومتشابهه وعربيته

وقال قتادة " الحكمة " الفقه في القرآن وقاله مجاهد وقال مجاهد أيضا " الحكمة " الإصابة في القول والفعل وقال ابن زيد وأبوه زيد بن أسلم " الحكمة " العقل في الدين وقال مالك " الحكمة " المعرفة في الدين والفقه فيه والاتباع له وروى عنه ابن القاسم أنه قال " الحكمة " التفكر في أمر الله والاتباع له وقال أيضا " الحكمة " طاعة الله والفقه في الدين والعمل به وقال الربيع " الحكمة " الخشية ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم (رأس كل شيء خشية الله تعالى) وقال إبراهيم " الحكمة " الفهم وقاله زيد بن أسلم

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٣٥٣/١

وقال الحسن " الحكمة " الورع وهذه الأقوال كلها ما عدا قول السدي قريب بعضها من بعض لأن الحكمة مصدر من الإحكام وهو الإتقان في عمل أو قول

وكتاب الله حكمة وسنة نبيه حكمة

وكل ما ذكر فهو جزء من الحكمة التي هي الجنس

وقرأ الجمهور من يؤت الحكمة على بناء الفعل للمفعول

وقرأ الزهري ويعقوب ومن يؤت بكسر التاء على معنى ومن يؤت الله الحكمة " فمن " مفعول أول مقدم و " الحكمة " مفعول ثان وقرأ الأخفش ومن

٣٦٥

". (١)

"إلى آخر الشعر فوقع الرعب في قلوب الكفار وقال صفوان بن أمية لا ترجعوا فإني أرى أنه سيكون للقوم قتال غير الذي كان فنزلت هذه الآية في هذا الإلقاء وهي بعد متناولة كل كافر ويجري معها قول النبي صلى الله عليه وسلم (نصرت بالرعب مسيرة شهر) ويظهر أن هذه الفضيلة إنما أعلم صلى الله عليه وسلم بها بعد هذه الأحوال كلها حين امتد ظل الإسلام قال بعض أهل العلم إنه لما أمر الله المؤمن بالصبر ووعده النصر وأخبره أن الرعب ملقى في قلوب الكفار نقص الرعب من كل كافر جزءا مع زيادة شجاعة المؤمن إذ قد وعد النصر فلذلك كلف المؤمن الوقوف للكافرين وقوله تعالى " بما أشركوا " هذه باء السبب والمعنى أن المشرك بالله نفسه مقسمة في الدنيا وليس له بالله تعالى ثقة فهو يكره الموت ويستشعر الرعب منه والسلطان الحجة والبرهان ثم أخبر تعالى بعاقبة الكفار في الآخرة

٥٢٤

والمأوى مفعل من أويت إلى المكان إذا دخلته وسكنت فيه والمثوى مفعل من ثويت والتقدير وبئس مثوى الظالمين هي

سورة آل عمران ١٥٢

جاءت المخاطبة في هذه الآيات بجمع ضمير المؤمنين وإن كانت الأمور التي عاتبهم الله تعالى عليها لم يقع فيها جميعهم ولذلك وجوه من الفصاحة منها وعظ الجميع وزجره إذ من لم يفعل معد أن يفعل إن لم يزجر **ومنها الستر والإبقاء** على من فعل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وعد المؤمنين النصر

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٣٦١/١

يومئذ على خبر الله تعالى إن صبروا وجدوا فصدق الله الوعد أولا وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صاف المسلمين يومئذ ورتب الرماة على ما قد ذكرناه في صدر تفسير هذه الآيات في قصة أحد فبارز علي بن أبي طالب أبا سعد بن أبي طلحة وهو صاحب لواء المشركين وحمل الزبير وأبو دجانة فهزا عسكر المشركين ونهص رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس فأبلى حمزة بن عبد المطلب وعاصم بن أبي الأقلح وانهزم المشركون وقتل منهم اثنان وعشرون رجلا فهذا معنى قوله تعالى " إذ تحسونهم بإذنه " والحس القتل الذريع يقال حسهم إذا استأصلهم قتلا وحس البرد النبات وقال رؤبة

(إذا تشكوا سنة حسوسا

تأكل بعد الأخضر اليبيسا) " الرجز "

قال بعض الناس هو مأخوذ من الحاسة والمعنى في حس أفسد الحواس." (١)

"وقولهم " ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته " استجارة واستعاذة أي فلا تفعل بنا ذلك ولا تجعلنا ممن يعمل عملها والخزي الفضيحة المخجلة الهادمة لقدر المرء خزي الرجل يخزى خزيا إذا

٥٥٦

افتضح وخزاية إذا استحيى الفعل واحد والمصدر مختلف وقال أنس ابن مالك والحسن بن أبي الحسن وابن جريج وغيرهم هذه إشارة إلى من يخلد في النار ومن يخرج منها بالشفاعة والإيمان فليس بمخزي وقال جابر بن عبد الله وغيره كل من دخل النار فهو مخزي وإن خرج منها وإن في دون ذلك لخزيا

قال القاضي أما إنه خزي دون خزي وليس خزي من يخرج منها بفضيحة هادمة لقدره وإنما الخزي التام للكفار وقوله تعالى " وما للظالمين من أنصار " هو من قول الداعين وبذلك يتسق وصف الآية

آل عمران ٩٣ - ٩٤

هذه الآيات حكاية عن أولي الألباب أنهم يقولون " ربنا " قال أبو الدرداء يرحم الله المؤمنين ما زالوا يقولون ربنا ربنا حتى استجيب لهم واختلف المتأولون في المنادي فقال ابن جريج وابن زيد وغيرهما المنادى محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب القرظي المنادي كتاب الله وليس كلهم رأى النبي صلى الله عليه وسلم وسمعه ولما كانت " ينادي " بمنزلة يدعو حسن وصولها باللام بمعنى إلى الإيمان وقوله " أن أمنوا " أن مفسرة لا موضع لها من الإعراب وغفران الذنوب وتكفير السيئات أمر قريب بعضه من بعض لكنه كرر للتأكيد ولأنها مناح **من الستر وإزالة** حكم الذنب بعد حصوله و " الأبرار " جمع بر أصله برر على وزن

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٥٥٣/١

فعل أدغمت الراء في الراء وقيل هو جمع بار كصاحب وأصحاب والمعنى توفنا معهم في كل أحكامهم وأفعالهم

وقوله " ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك " معناه على ألسنة رسلك وقرأ الأعمش رسلك بسكون السين وطلبوا من الله تعالى إنجاز الوعد وهو تعالى من لا يجوز عليه خلفه من حيث في طلبه الرغبة أن يكونوا ممن يستحقه فالطلبة والتخوف إنما هو في ج‍هتهم لا في جهة الله تعالى لأن هذا الدعاء إنما هو في الدنيا فمعنى قول المرء اللهم أنجز لي وعدك إنما معناه اجعلني ممن يستحق إنجاز الوعد وقيل معنى دعائهم الاستعجال مع ثقتهم بأن الوعد منجز وقال الطبري وغيره معنى الآية ما

وعدتنا على ألسنة رسلك من النصر على الأعداء فكأن الدعوة إنما هي في حكم الدنيا وقولهم " ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد " إشارة إلى قوله تعالى " يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه " التحريم ٨ فهذا وعده تعالى وهو دال على أن الخزي إنما هو مع الخلود

آل عمران ١٩٥

٥٥٧

" واستجاب " استفعل بمعنى أجاب فليس استفعل على بابه من طلب الشيء بل هو كما قال الشاعر

(وداع دعا يا من يجيب إلى الندى

فلم يستجبه عند ذاك مجيب) " الطويل "

". (١)

"فإن أحد الأقوال في الستر أنه أراد به الإسلام ويستعملون الإحصان في العفة لأنه إذا ارتبط بها إنسان وظهرت على شخص ما وتخلق بها فهي منعة وحفظ وحيثما وقعت اللفظة في القرآن فلا تجدها تخرج عن هذه المعاني لكنها قد تقوى فيها بعض هذه المعاني دون بعض بحسب موضع وموضع وسيأتي بيان ذلك في أماكنه إن شاء الله

فقوله في هذه الآية " والمحصنات " قال ابن عباس وأبو قلابة وابن زيد ومكحول والزهري وأبو

٣٥

سعيد الخدري هن ذوات الأزواج أي هن محرمات إلا ما ملكت اليمين بالسبي من أرض الحرب فإن تلك حلال للذي تقع في سهمه وإن كان لها زوج وروى أبو سعيد الخدري أن الآية نزلت بسبب أن رسول الله

---

(١) المحرر الوجيز ، ١/٥٩٤

صلى الله عليه وسلم بعث جيشا إلى أوطاس فلقوا عدوا وأصابوا سبيا لهن أزواج من المشركين فتأثم المسلمون من غشيانهن فنزلت الآية مرخصة وقال عبد الله بن مسعود وسعيد بن المسيب والحسن بن أبي الحسن وأبي بن كعب وجابر بن عبد الله وابن عباس أيضا معنى " المحصنات " ذوات الأزواج فهن حرام إلا أن يشتري الرجل الأمة ذات الزوج فإن بيعها طلاقها وهبتها طلاقها والصدقة بها طلاقها وأن تعتق طلاقها وأن تورث طلاقها وتطليق الزوج طلاقها وقال ابن مسعود إذا بيعت الأمة ولها زوج فالمشتري أحق ببضعها ومذهب مالك والشافعي وجمهور العلماء أن انتقال الملك في الأمة لا يكون طلاقا ولا طلاق لها إلا الطلاق وقال قوم " المحصنات " في هذه الآية العفائف أي كل النساء حرام وألبسهن اسم الإحصان إذ الشرائع في أنفسها تقتضي ذلك " إلا ما ملكت أيمانكم " قالوا معناه بنكاح أو شراء كل ذلك تحت ملك اليمين قال بهذا القول أبو العالية وعبيدة السلماني وطاوس وسعيد بن جبير وعطاء ورواه عبيدة عن عمر رضي الله عنه وقال ابن عباس " المحصنات " العفائف من المسلمين ومن أهل الكتاب

قال القاضي أبو محمد وبهذا التأويل يرجع معنى الآية إلى تحريم الزنا وأسند الطبري عن عروة أنه قال في تأويل قوله تعالى " والمحصنات " هن الحرائر ويكون " إلا ما ملكت أيمانكم " معناه بنكاح هذا على اتصال الاستثناء وإن أريد الإماء فيكون الاستثناء منقطعا وروي عن أبي سعيد الخدري أنه قال كان نساء يأتيننا مهاجرات ثم يهاجر أزواجهن فمنعناهن بقوله تعالى " والمحصنات " الآية

قال القاضي أبو محمد وهذا قول يرجع إلى ما قد ذكر من الأقوال وأسند الطبري أن رجلا قال لسعيد بن جبير أما رأيت ابن عباس حين سئل عن هذه الآية

" والمحصنات من النساء " فلم يقل فيها شيئا فقال سعيد كان ابن عباس لا يعلمها وأسند أيضا عن مجاهد أنه قال لو أعلم من يفسر لي هذه الآية لضربت إليه أكباد الإبل قوله " والمحصنات " إلى قوله " حكيما ". " (١)

"وقوله تعالى " ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس " خبر من الله تعالى أنه خلق لسكني جهنم والاحتراق فيها كثيرا وفي ضمنه وعيد للكفار وذرأ معناه خلق وأوجد مع بث ونشر وقالت فرقة اللام في قوله " لجهنم " هي لام العاقبة أي ليكون أمرهم ومثالهم لجهنم

قال القاضي أبو محمد وهذا ليس بصحيح ولام العاقبة إنما يتصور إذا كان فعل الفاعل لم يقصد به ما يصير الأمر إليه وهذه اللام مثل التي في قول الشاعر

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٤١/٢

(يا أم فرو كفي اللوم واعترفي

فكل والدة للموت تلد)

وأما هنا فالفعل قصد به ما يصير الأمر إليه من سكناهم جهنم وحكى الطبري عن سعيد بن جبير أنه قال أولاد الزنا مما ذرأ الله لجهنم ثم أسند فيه حديثا من طريق عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقوله " كثيرا " وإن كان ليس بنص في أن الكفار أكثر من المؤمنين فهو ناظر إلى ذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم قال الله لآدم أخرج بعث النار فأخرج من كل ألف تسعة وتسعين وتسعمائة

قوله عز وجل

سورة الأعراف ١٧٩ ١٨٠

وصفت هذه الصنيفة الكافرة المعرضة عن النظر في آيات الله بأن قلوبهم لا تفقه والفقه الفهم وأعينهم لا تبصر وآذانهم لا تسمع وليس الغرض من ذلك نفي هذه الإدراكات عن حواسهم جملة وإنما الغرض نفيها في جهة ما كما تقول فلان أصم عن الخنا

ومنه قول مسكين الدارمي

٤٨٠

(أعمى إذا ما جارتي خرجت

حتى يواري جارتي الستر)

(وأصم عما كان بينهما

عمدا وما بالسمع من وقر) " الكامل أحذ مضمر " ومنه قول الآخر

(وعوراء الكلام صممت عنها

ولو أني أشاء بها سميع)

(وبادرة وزعت النفس عنها

وقد بقيت من الغضب الضلوع) " الوافر " ومنه قول الآخر في وصاة من يدخل إلى دار ملك

(وادخل إذا ما دخلت أعمى

واخرج إذا ما خرجت أخرس) " مخلع البسيط "

". (١)

---

(١) المحرر الوجيز ، ٢/٥٥٠

"وابن جريج وكثر النقاش في غيره في هذا المعنى والظاهر من اللفظ أنها عبارة بليغة عن قرب الشمس منهم وفعلها لقدرة الله تعالى فيهم ونيلها منهم ولو كان لهم أسراب تغني لكان سترا كثيفا وإنما هم في قبضة القدرة سواء كان لهم أسراب أو دور أو لم يكن ألا ترى **أن الستر عندنا** نحن إنما هو من السحاب والغمام وبرد الهوى ولو سلط الله علينا الشمس لأحرقتنا فسبحان المنفرد بالقدرة التامة وقوله "كذلك " معناه فعل معهم كفعله مع الأولين أهل المغرب فأوجز بقوله "كذلك " ثم اخبر الله تعالى عن إحاطته بجيمع ما لدى ذي القرنين وما تصرف من أفعاله ويحتمل أن يكون "كذلك " استئناف قول ولا يكون راجعا على الطائفة الأولى فتأمله والأول أصوب .

قوله عز وجل

الكهف ٩٢ - ٩٥

قرأت فرقة اتبع بشد التاء وقرأت فرقة أتبع بتخفيفها وقد تقدم ذكره وهذه الآية تقتضي أنه لما بلغ مطلع الشمس أي أدنى الأرض من مطلع الشمس " أتبع " بعد ذلك " سببا " أي طريقا آخر فهو والله أعلم إما يمنة وإما يسرة من مطلع الشمس والسدان فيما ذكر أهل التفسير جبلان سدا مسالك تلك الناحية من الأرض وبين طرفي الجبلين فتح هو موضع الردم قال ابن عباس الجبلان اللذان بينهما السد أرمينية وأذربيجان وقالت فرقة هما من وراء بلاد الترك ذكره المهدوي .

قال القاضي أبو محمد وهذا كله غير متحقق وإنما هما في طريق الأرض مما يلي المشرق ويظهر من ألفاظ التواريخ أنه إلى ناحية الشمال وأما تعيين موضع فيضعف وقرأ نافع وابن عامر وعاصم السدين بضم السين وكذلك سدا حيث وقع وقرأ حفص عن عاصم بفتح ذلك كله من جميع القرآن وهي قراءة مجاهد وعكرمة وإبراهيم النخعي وقرأ ابن كثير السدين بفتح السين وضم سدا في يس واختلف بعد فقال الخليل وسيبويه الضم هو الاسم والفتح هو المصدر وقال الكسائي الضم والفتح لغتان بمعنى واحد وقرأ عكرمة وأبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة ما كان من خلقة الله لم يشارك فيه أحد

بعمل فهو بالضم وما كان من صنع البشر فهو بالفتح .

قال القاضي أبو محمد ويلزم أهل هذه المقالة أن يقرأ بين السدين بالضم وبعد ذلك سدا بالفتح وهي قراءة حمزة والكسائي وحكى أبو حاتم عن ابن عباس وعكرمة عكس ما قال أبو عبيدة وقال ابن أبي إسحاق وما رأته عيناك فهو سد بالضم وما لا يرى فهو سد بالفتح والضمير في " دونهما " عائد على الجبلين أي وجدهم في الناحية التي تلي عمارة الناس إلى المغرب واختلف في القوم فقيل هم بشر وقيل جن والأول

أصح من وجوه وقوله " لا يكادون يفقهون قولا " عبارة عن بعد لسانهم عن ألسنة الناس لكنهم فقهوا وأفهموا بالترجمة ونحوها وقرأ حمزة والكسائي يفقهون من أفقه وقرأ

٥٤٢

". (١)

"واحدتهن قاعد وقال ربيعة هي هنا التي تستقذر من كبرها قال غيره وقد تقعد المرأة عن الولد وفيها مستمتع فلما كان الغالب من النساء أن ذوات هذا السن لا مذهب للرجل فيهن أبيح لهن مالم يبح لغيرهن .

وأزيل عنهن كلفة التحفظ المتعب إذ علة التحفظ مرتفعة منهن وقرأ ابن مسعود أن يضعن من ثيابهن وهي قراءة أبي وروي عن ابن مسعود أيضا من جلابيبهن والعرب تقول امرأة واضع للتي كبرت فوضعت خمارها ثم استثني عليهن في وضع الثياب أن لا يقصدن به التبرج وإبداء الزينة فرب عجوز يبدو منها الحرص على أن يظهر لها جمال ونحو هذا مما هو أقبح الأشياء وأبعده عن الحق والتبرج طلب البدو والظهور الخ والظهور للعيون ومنه " بروج مشيدة " وأصل ذلك بروج السماء والأسوار والذي أبيح وضعه لهذه الصنيفة الجلباب الذي فوق الخمار والرداء قاله ابن مسعود وابن جبير وغيرهما ثم ذكر تعالى أن تحفظ الجميع منهن واستعفافهن عن وضع الثياب والتزامهن ما يلزمه الشباب **من الستر أفضل** لهن وخير وقرأ ابن مسعود وأن يعففن بغير سين ثم ذكر تعالى أنه " سميع " لما يقول كل قائل وقائلة " عليم " بمقصد كل أحد في قوله وفي هاتين الصفتين توعد وتحذير والله الموفق للصواب برحمته .

قوله عز وجل

سورة النور ٦١

اختلف الناس في المعنى الذي رفع الله فيه الحرج عن الأصناف الثلاثة فظاهر الآية وأمر الشريعة أن الحرج عنهم مرفوع في كل ما يضطرهم إليه العذر وتقتضي نيتهم الإتيان فيه بالأكمل ويقتضي العذر أن يقع منهم الأنقص فالحرج مرفوع عنهم في هذا فأما ما قال الناس في هذا الحرج هنا فقال ابن زيد هو الحرج في الغزو أي لا حرج عليهم في تأخرهم وقوله " ولا على أنفسكم " الآية معنى مقطوع من الأول وقالت فرقة الآية كلها في معنى المطاعم قال وكانت العرب ومن بالمدينة قبل المبعث تتجنب الأكل مع أهل الأعذار فبعضهم كان يفعل ذلك تقذرا لجولان اليد من " الأعمى " ولانبساط الجلسة من " الأعرج "

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٥٧٢/٣

ولرائحة المريض وعلاته وهي أخلاق جاهلية وكبر فنزلت الآية مؤيدة وبعضهم كان يفعل ذلك تحرجا من غبن أهل الأعذار إذ هم مقصرون في الأكل عن درجة الأصحاء لعدم الرؤية في " الأعمى " وللعجز عن المزاحمة في " الأعرج " ولضعف المريض فنزلت الآية في إباحة الأكل معهم وقال ابن عباس في كتاب

١٩٦

". (١)

"هذه الآية تضمنت قصتين إحداهما الأدب في أمر الطعام والجلوس والثانية في أمر الحجاب فأما الأولى فالجمهور من المفسرين على أن سببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش أولم عليها فدعا الناس فلما طعموا قعد نفر في طائفة من البيت فثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم فخرج ليخرجوا لخروجه ومر على حجر نسائه ثم عاد فوجدهم في مكانهم وزينب في البيت معهم فلما دخل وراءهم انصرف فخرجوا عند ذلك قال أنس بن مالك فأعلم أو أعلمته بانصرافهم فجاء فلما وصل الحجرة **أرخى الستر بيني** وبينه ودخل ونزلت الآية بسبب ذلك وقال قتادة ومقاتل في كتاب الثعلبي إن هذا السبب جرى في بيت أم سلمة والأول أشهر وقال ابن عباس نزلت في ناس من المؤمنين كانوا يتحينون طعام النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون وقال إسماعيل بن أبي حكيم هذا أدب أدب الله تعالى به الثقلاء وقال ابن أبي عائشة في كتاب الثعلبي بحسبك من الثقلاء إن الشرع لم يحتملهم وأما آية الحجاب فقال أنس بن مالك وجماعة سببها أمر القعود في بيت زينب القصة المذكورة آنفا وقالت فرقة بل في بيت أم سلمة وقال مجاهد سبب آية الحجاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل معه قوم وعائشة معهم فمست يدها يد رجل منهم فنزلت آية الحجاب بسبب ذلك وقالت عائشة وجماعة سبب الحجاب كلام عمر وأنه كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرارا في أن يحجب نساءه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفعل وكان عمر يتابع فخرجت سودة ليلة لحاجتها وكانت امرأة تفرع النساء طولا فناداها عمر قد عرفناك يا سودة حرصا على الحجاب
وقالت له زينب بنت جحش عجبنا لك يا ابن الخطاب تغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فما زال عمر يتابع حتى نزلت آية الحجاب وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وافقت ربي في ثلاث منها الحجاب ومقام إبراهيم وعسى ربه إن طلقكن
الحديث وكانت سيرة القوم إذا كان لهم طعام وليمة أو نحوه أن يبكر من شاء إلى دار الدعوة ينتظر طبخ

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٤/٢٣٨

الطعام ونضجه في حديث أنس وكذلك إذا فرغوا منه جلسوا كذلك فنهى الله تعالى المؤمنين عن أمثال ذلك في بيت النبي صلى الله عليه وسلم ودخل في النهي سائر المؤمنين والتزم الناس أدب الله تعالى لهم في ذلك فمنعهم من الدخول إلا بإذن عند الأكل لا قبله لانتظار نضج الطعام و " ناظرين " معناه منتظرين و " إناه " مصدر أنى الشيء يأتي إذا فرغ وحان آنا ومنه قول الشاعر

(تمخضت المنون له بيوم

أنى ولكل خاتمة تمام) " الوافر "

٣٩٦

." (١)

"ومن قرا الثانية جعل " الأولين " قوم نوح وابراهيم ومن كان معهم و " الآخرين " قوم فرعون وكل من تاخر وقرب من مدة محمد صلى الله عليه وسلم

وفي حرف عبد الله (وسنتبعهم) ثم قال "كذلك نفعل بالمجرمين " اي في المستقبل

فندخل هنا قريش وغيرها من الكفار واما تكرار " ويل يومئذ للمكذبين " في هذه السورة فقيل إن ذلك لمعنى التأكيد فقط وقيل بل في كل آية منها ما يقتضي التصديق فجاء الوعد على التكذيب بذلك الذي في الآية

ثم وقف تعالى على أصل الخلقة الذي يقتضي النظر فيها تجويز البعث

و (الماء المهين) معناه الضعيف وهو المني من الرجل والمراة

و (القرار المكين) الرحم او بطن المراة و (القدر المعلوم) وقت الولادة ومعلوم عند الله في شخص فأما عند الآدميين فيختلف فليس بمعلوم قدر شخص بعينه

وقرا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ونافع والكسائي (فقدرنا) بشد الدال وقرا الباقون (فقدرنا) بتخفيف الدال وهما بمعنى من القدرة والقدر من التقدير والتوقيف

وقوله " القادرون " يرجح قراءة الجماعة

اما ان ابن

٤١٩

مسعود روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فسر القادرين بالمقدرين

---

(١) المحرر الوجيز . ، ٤/٤٥٧

وقدر ابن أبي عبلة (فقدرنا) بشد الدال (فنعم المقتدرون) و (الكفات) **الستر والوعاء** الجامع للشيء بإجماع تقول كفت الرجل شعره إذا جمعه بخرقة فالأرض تكفت الأحياء على ظهرها وتكفت الأموات في بطنها و " احياء " على هذا التأويل معمول لقوله "كفاتا " لأنه مصدر

وقال بعض المتاولين " أحياء وأمواتا " إنما هو بمعنى ان الأرض فيها أقطار أحياء وأقطار اموات يراد ما ينبت ومالا ينبت فنصب " احياء " على هذا إنما هو على الحال من " الأرض " والتأويل الأول أقوى

وقال بنان خرجنا مع الشعبي إلى جنازة فنظر الى الجبانة فقال هذه كفات الموتى ثم نظر الى البيوت فقال هذه كفات الأحياء وكانت العرب تسمي بقيع الغرقد كفتة لأن٥ا مقبرة تضم الموتى وفي الحديث (خمروا آنيتكم وأوكئوا اسقيتكم واكفتوا صبيانكم وأجيفوا أبوابكم واطفئوا مصابيحكم)

ودفن ابن مسعود قملة في المسجد ثم قرا " ألم نجعل الأرض كفاتا "

قال القاضي أبو محمد ولما كان القبر "كفاتا " كالبيت قطع من سرق منه

و (الرواسي) الجبال لأنها رست اي ثبتت و (الشامخ) المرتفع ومنه شمخ بانفه أي ارتفع واستعلى شبه المعنى بالشخص و (أسقى) معناه جعله سقيا للغلات والمنافع وسقى معناه للشفة خاصة هذا قول جماعة من اهل اللغة

وقال آخرون هما بمعنى واحد

و (الفرات) الصافي العذب ولا يقال للملح فرات وهي لفظة تجمع ماء المطر ومياه الأنهار وخص النهر المشهور بهذا تشريفا له وهو نهر الكوفة وسيحان هو نهر بلخ وجيحان هو دجلة والنيل نهر مصر ".(١)

" صفحة رقم ٢١١

(الأعراف : (٢٢ - ٢٣) فدلاهما بغرور فلما . . . . .

" فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين " (قوله عز وجل :) فدلاهما بغرور (معناه فحطهما بغرور من منزلة الطاعة إلى حال المعصية .

فإن قيل : فهل علما عند أكلهما أنها معصية ؟

---

(١) المحرر الوجيز ، ٥/٣٩١

قيل : لا ، لأن إقدامهما عليها مع العلم بأنها معصية يجعلها كبيرة ، والأنبياء معصومون من الكبائر ، وإنما أقدما عليها لشبهة دخلت عليهما بالغرور .

) فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما (فإن قيل :

فلم بدت لهما سوآتهما ولم تكن بادية لهما من قبل ؟

ففي ذلك ثلاثة أجوبة :

أحدها : أنهما كانا مستورين بالطاعة **فانكشف الستر عنهما** بالمعصية .

والثاني : أنهما كانا مستورين بنور الكرامة فزال عنهما بذلك المهانة .

والثالث : أنهما خرجا بالمعصية من أن يكونا من ساكني الجنة ، فزال عنهما ما كانا فيه من الصيانة .

) وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة (في) وطفقا (وجهان :

أحدهما : قاما يخصفان ، قاله ابن بحر .

والثاني : جعلا يخصفان ، أي قطعان .

) من ورق الجنة (وفيه قولان :

أحدهما : ورق الموز .

والثاني : ورق التين ، قاله ابن عباس .

(الأعراف : (٢٤ - ٢٥) قال اهبطوا بعضكم . . . . .

" قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين." (١)

" صفحة رقم ٤٨٤

وفي إعلامهم إبراهيم بذلك وجهان :

أحدهما : ليزول خوفه منهم .

والثاني : لأن إبراهيم قد كان يأتي قوم لوط فيقول : ويحكم أينهاكم عن الله أن تتعرضوا لعقوبته فلا يطيعونه .) وامرأته قائمت فضحكت (وفي قيامها ثلاثة أقاويل :

أحدها : أنها كانت قائمة من **وراء الستر تسمع** كلامهم ، قاله وهب .

الثاني : أنها كانت قائمة تخدمهم ، قاله مجاهد .

الثالث : أنها كانت قائمة تصلي ، قاله محمد بن إسحاق .) فضحكت (فيه ثلاثة تأويلات :

---

(١) النكت والعيون ، ٢/٢١١

أحدها : يعني حاضت ، قاله مجاهد والعرب تقول ضحكت المرأة إذا حاضت ، والضحك الحيض في كلامهم ، قال الشاعر :

وضحك الأرانب فوق الصفا

كمثل دم الخوف يوم اللقا

والثاني : أن معنى ضحكت : تعجبت ، وقد يسمى التعجب ضحكا لحدوث الضحك عنه ، ومنه قول أبي ذؤيب .

فجاء بمزج لم ير الناس مثله

هو الضحك إلا انه عمل النحل

الثالث : أنه الضحك المعروف في الوجه ، وهو قول الجمهور .

فإن حمل تأويله على الحيض ففي سبب حيضها وجهان : أحدهما : أنه وافق وقت عاتها فخافت ظهور دمها وأرادت شداده فتحيرت مع حضور الرسل .

والقول الثاني : ذعرت وخافت فتعجل حيضها قبل وقته ، وقد تتغير عادة الحيض باختلاف الأحوال وتغير الطباع .

ويحتمل قولا ثالثا : أن يكون الحيض بشيرا بالولادة لأن من لم تحض لا تلد .

وإن حمل تأويله على التعجب ففيما تعجب منه أربعة أقاويل :." (١)

" صفحة رقم ٢٦

قال مجاهد : فولد لكل واحد من أولاد يعقوب اثنا عشر ذكرا إلا يوسف فلم يولد له إلا غلامان ونقص بتلك الشهوة ولده .

الثالث : أن البرهان الذي رآه ما أوعد الله تعالى على الزنى ، قال محمد بن كعب القرظي : رأى كتابا على الحائط :) ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا (" [الإسراء : ٣٢] .

الرابع : أن البرهان الذي رآه . الملك إظفير سيده ، قاله ابن إسحاق .

الخامس : أن البرهان الذي رآه هو ما آتاه الله تعالى من آداب آبائه في العفاف والصيانة وتجنب الفساد والخيانة ، قاله ابن بحر .

السادس : أن البرهان الذي رآه أنه لما همت به وهم بها رأى سترا فقال لها : ما وراء **هذه الستر ؟** فقالت

---

(١) النكت والعيون . ، ٢/٤٨٤

: صنمي الذي أعبده أستره استحياء منه . فقال : إذا استحييت مما لا يسمع ولا يبصر فأنا أحق أن أستحي من إلهي وأتوقاه ، قاله الضحاك .

)كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء (فيها وجهان :

أحدهما : أن السوء الشهوة ، والفحشاء المباشرة .

الثاني : أن السوء عقوبة الملك العزيز . والفحشاء مواقعة الزنى .

) إنه من عبادنا المخلصين (قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر المخلصين بكسر اللام ، وتأويلها الذين أخلصوا طاعة الله تعالى .

وقرأ الباقون بفتح اللام ، وتأويلها الذين أخلصهم الله برسالته ، وقد كان يوسف عليه السلام بهاتين الصفتين لأنه كان مخلصا في طاعة الله تعالى ، مستخلصا لرسالة الله .." (١)

" صفحة رقم ٩٠

الثاني : قاله أبو العالية الرياحي المراد بحفظ الفروج في هذا الموضع سترها عن الأبصار حتى لا ترى ، وكل موضع في القرآن ذكر فيه الفرج فالمراد به الزنى إلا في هذا الموضع فإن المراد **به الستر** ، وسميت فروجا لأنها منافذ الأجواف ومسالك الخارجات .

(النور : (٣١) وقل للمؤمنات يغضضن . . . . .

" وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون " (قوله تعالى :) ولا يبدين زينتهن . . . (والزينة ما أدخلته المرأة على بدنها حتى زانها وحسنها في العيون كالحلي والثياب والكحل والخضاب ، ومنه قوله تعالى :) خذوا زينتكم عند كل مسجد (" قال الشاعر :

يأخذ زينتهن أحسن ما ترى

وإذا عطلن فهن غير عواطل

---

(١) النكت والعيون . ، ٣/٢٦

والزينة زينتان : ظاهرة وباطنة ، فالظاهرة لا يجب سترها ولا يحرم النظر إليها لقوله تعالى :) ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها (وفيها ثلاثة أقاويل :." (١)

"ثم أخبر تعالى عنهم بالمقالة الدالة على امتناع قلوبهم ، والناس من رجوعهم إليه ومن سماعهم لما يتلوه ، وهو قوله تعالى ، حكاية عنهم : ﴿وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونآ إليه وفى ءاذاننا وقر﴾ ، تقدم الكلام على شبه ذلك في الأنعام. وقرأ طلحة : وقر بكسر الواو ، وهذه تمثيلات لامتناع قبول الحق ، كأن قلوبهم في غلاف ، كما قالوا : ﴿وقالوا قلوبنا غلفا﴾ ، وكأن أسماعهم عند ذكر كلام الله بها صم. والحجاب : **الستر المانع** من الإجابة ، وهو خلاف في الدين ، لأنه يعبد الله وهم يعبدون الأصنام ، قال معناه الفراء وغيره. ويروى أن أبا جهل استغشى على رأسه ثوبا وقال : يا محمد ، بيننا وبينك حجاب ، استهزاء منه.

٤٨٣

وقيل : تمثيل بعدم الإجابة. وقيل : عبارة عن العداوة. ومن في ﴿مما تدعونآ﴾ إليه لابتداء الغاية ، وكذا في ﴿ومنا بيننا﴾ . فالمعنى أن الحجاب ابتدأ منا وابتدأ منك ، فالمسافة المتوسطة لجہتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب ، لا فراغ فيها ، ولو لم يأت بمن لكان المعنى أن حجابا حاصل وسط الجهتين ، والمقصود المبالغة بالتباين المفرط ، فلذلك جيء بمن. وقال الزمخشري : فإن قلت : هلا قيل : على قلوبنا أكنة ، كما قيل : ﴿وقالوا قلوبنا فى ﴾ ، ليكون الكلام على نمط واحد ؟ قلت : هو على نمط واحد ، لأنه لا فرق في المعنى بين قولك : ﴿قلوبنا فى أكنة﴾ ، والدليل عليه قوله تعالى : ﴿إنا جعلنا على قلوبهم﴾ . ولو قيل : إنا جعلنا قلوبهم في أكنة ، لم يختلف المعنى ، وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة إلا في المعاني ، وتقول : إن في أبلغ في هذا الموضع من على ، لأنهم قصدوا إفراط عدم القبول ، لحصول قلوبهم في أكنة احتوت عليها احتواء الظرف على المظروف ، فلا يمكن أن يصل إليها شيء. كما تقول : المال في الكيس ، بخلاف قولك : على المال كيس ، فإنه لا يدل على الحصر ، وعدم الحصول دلالة الوعاء. وأما في قوله : ﴿﴾ ، قال الكلبي : في هلاكنا إنا عاملون في هلاكك. وقال مقاتل : اعمل لإلهك الذي أرسلك ، فإننا عاملون لآلهتنا التي نعبدها. وقال الفراء : اعمل على مقتضى دينك ، ونحن نعمل على مقتضى ديننا ، وذكر الماوردي : اعمل لآخرتك ، فإنا نعمل لدنيانا. ولما كان القلب محل المعرفة ، والسمع والبصر معينان على تحصيل المعارف ، ذكروا أن هذه الثلاثة محجوبة عن أن يصل إليها مما يلقيه

---

(١) النكت والعيون ، ٤/ ٩٠

الرسول شيء. واحتمل قولهم :
جزء : ٧ رقم الصفحة : ٤٧٩
﴿فاعمل إننا عاملون﴾ ، أي تكون متاركة محضة ، وأن يكون استخفافا. ﴿قل إنما يوحى إلى﴾ ، وقرأ الجمهور : قل على الأمر ، وابن وثاب والأعمش : قال فعلا ماضيا ، وهذا صدع بالتوحيد والرسالة. وقرأ النخعي والأعمش : يوحى بكسر الحاء ؛ والجمهور : بفتحها ، وأخبر أنه بشر مثلهم لا ملك ، لكنه أوحى إليه دونهم. وقال الحسن : علمه تعالى التواضع ، وأنه ما أوحى إليه توحيد الله ورفض آلهتكم. ﴿فاستقيموا إليه﴾ : أي له بالتوحيد الذي هو رأس الدين والعمل ، ﴿واستغفروه﴾ : واسألوه المغفرة ، إذ هي رأس العمل الذي بحصوله تزول التبعات. وضمن استقيموا معنى التوجه ، فلذلك تعدى بإلى ، أي وجهوا استقامتكم إليه ، ولما كان العقل ناطقا بأن السعادة مربوطة بأمرين : التعظيم لله والشفقة على خلقه ، ذكر أن الويل والثبور والحزن للمشركين الذين لم يعظموا الله في توحيده ، ونفي الشريك ، ولم يشفقوا على خلقه بإيصال الخير إليهم ، وأضافوا إلى ذلك إنكار البعث. والظاهر أن الزكاة على ظاهرها من زكاة الأموال ، قاله ابن السائب ، قال : كانوا يحجون ويعتمرون ولا يزكون. وقال الحسن وقتادة : وقيل : كانت قريش تطعم الحاج وتحرم من آمن منهم. وقال الحسن وقتادة أيضا : المعنى لا يؤمنون بالزكاة ، ولا يقرون بها. وقال مجاهد والربيع : لا يزكون أعمالهم. وقال ابن عباس والجمهور : الزكاة هنا لا إله إلا الله التوحيد ، كما قال موسى عليه السلام لفرعون : ﴿هل لك إلى أن تزكى ﴾ ، ويرجح هذا التأويل أن الآية من أول المكي ، وزكاة المال إنما نزلت بالمدينة ، قاله ابن عطية ، قال : وإنما هذه زكاة القلب والبدن ، أي تطهير من الشرك والمعاصي ، وقاله مجاهد والربيع. وقال الضحاك ومقاتل : الزكاة هنا النفقة في الطاعة. انتهى. وإذا كانت الزكاة المراد بها إخراج المال ، فإنما قرن بالكفر ، لكونها شاقة بإخراج المال الذي هو محبوب الطباع وشقيق الأرواح حثا عليها. قال بعض الأدباء :
٤٨٤
وقالوا شقيق الروح مالك فاحتفظ
به فأجبت المال خير من الروح
أرى حفظه يفضي بتحسين حالتي
وتضييعه يفضي لتسآل مقبوح
﴿إن الذين ءامنوا ﴾ ، قال السدي : نزلت في المرضى والزمني إذا عجزوا عن إكمال الطاعات ، كتب لهم

من الأجر كأصح ما كانوا يعملون. والممنون : المنقوص ، قاله ابن عباس ، رضي الله عنه. قال ذو الأصبغ العدواني :
." (١)

"وغض الصوت أوفر للمتكلم ، وأبسط لنفس السامع وفهمه. وأنكر : أفعل ، إن بنى من فعل المفعول ، كقولهم : أشغل من ذات النحيين ؛ وبناؤه من ذلك شاذ. والأصوات : أصوات الحيوان كلها. وأنكر جماعة للمذام اللاحقة للأصوات ، والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة. شبه الرافعون أصواتهم بالحمير ، وأصواتهم بالنهاق ، ولم يؤت بأداة التشبيه ، بل أخرج مخرج الاستعارة ، وهذه أقصى مبالغة في الذم والتنفير عن رفع الصوت. ولما كان صوت الحمير متماثلا في نفسه ، لا يكاد يختلف في الفظاعة ، أفرد لأنه في الأصل مصدر. وأما أصوات الحمير فغير مختلفة جدا ، جمعت في قوله : ﴿إن أنكر الاصوات﴾ ، فالمعنى : أنكر أصوات الحمير ، بالجمع بغير لام. وقال الحسن : كان المشركون يتفاخرون برفع الأصوات ، فرد عليهم بأنه لو كان خيرا ، فضل به الحمير. والظاهر أن قوله : ﴿إن أنكر الاصوات لصوت الحمير﴾ من كلام لقمان لابنه ، تنفيِر له عن رفع الصوت ، ومماثلة الحمير في ذلك. قيل : هو من كلام الله تعالى ، وفرغت وصية لقمان في قوله : ﴿واغضض من صوتك﴾ ردا لله به على المشركين الذين كانوا يتفاخرون بجهارة الصوت ، ورفع الصوت يؤذي السامع ويقرع الصماخ بقوة ، وربما يخرج الغشاء الذي هو داخل الأذن. وقيل : ﴿واقصد فى مشيك﴾ : إشارة الى الأفعال ، ﴿واغضض من صوتك﴾ : إشارة إلى الأقوال ، فنبه على التوسط في الأفعال ، وعلى الإقلال من فضول الكلام.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٨٢

﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السماوات وما فى الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنةا ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾ .

﴿سخر لكم﴾ : تنبيه على الصنعة الدالة على الصانع من تسخير ﴿ما في السماوات﴾ : من الشمس ، والقمر ، والنجوم ، والسحاب ؛

١٨٩

﴿وما فى الارض﴾ : من الحيوان ، والنبات ، والمعادن ، والبحار ، وغير ذلك ؛ وذلك لا يكون إلا بمسخر من مالك متصرف كما يشاء. وقرأ ابن عباس ، ويحيى بن عمارة : وأصبغ بالصاد ، وهي لغة لبني كلب ،

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، /

يبدلونها من السين ، إذا جامعت الغين أو الخاء أو القاف صادا ؛ وباقي القراء : بالسين على الأصل. وقرأ الحسن ، والأعرج ، وأبو جعفر ، وشيبة ، ونافع ، وأبو عمرو ، وحفص : ﴿نعمه﴾ ، جمعا مضافا للضمير ؛ وباقي السبعة ، وزيد ابن علي : نعمة ، على الإفراد. والظاهر أنه يراد بالنعمة الظاهرة : الإسلام ، والباطنة : الستر. وعن الضحاك ، الظاهرة : حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الأعضاء ، والباطنة : المعرفة. وقيل : الظاهرة : البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح ، والباطنة : القلب والعقل والفهم. والذي ينبغي أن يقال : إن الظاهرة مما يدرك بالمشاهدة ، والباطنة ما لا يعلم إلا بدليل ، أو لا يعلم أصلا. فكم من نعمة في بدن الإنسان لا يعلمها ، ولا يهتدي إلى العلم بها ؟ وانتصب ﴿ظـاهرة﴾ على الحال من ﴿نعمه﴾ ، الجمع على الصفة ، ومن نعمة على الإفراد. وتقدم الكلام على : ﴿ومن الناس﴾ إلى : ﴿منير﴾ ، في الحج ، وعلى ما بعده إلى : ﴿ءاباءنا﴾ ، في نظيره في البقرة. ﴿أولو﴾ : كان تقديره : أيتبعونهم في أحوالهم ؟ وفي هذه الحال التي لا ينبغي أن لا يتبع فيها الآباء ؟ لأنها حال تلف وعذاب. وقد تقدم لنا أن مثل هذا التركيب الذي فيه ولو ، إنما يكون في الشيء الذي كان ينبغي أن لا يكون ، نحو : اعطوا السائل ولو جاء على فرس ، ردوا السائل ولو بظلف محرق ، ﴿ومآ أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين﴾ . وكذلك هذا ، كان ينبغي من دعا إلى عذاب السعير أن لا يتبع. وقرأ الجمهور :

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٨٢

". (١)

"﴿إن الذين كفروا سوا ء عليهم﴾ ، إن : حرف توكيد يتشبث بالجملة المتضمنة الإسناد الخبري ، فينصب المسند إليه ، ويرتفع المسند وجوبا عند الجمهور ، ولها ولأخواتها باب معقود في النحو. وتأتي أيضا حرف جواب بمعنى نعم خلافا لمن منع ذلك. الكفر **: الستر** ، ولهذا قيل : كافر للبحر ، ومغيب الشمس ، والزارع ، والدافن ، والليل ، والمتكفر ، والمتسلح. فبينها كلها قدر مشترك **وهو الستر** ، سواء اسم بمعنى استواء مصدر استوى ، ووصف به بمعنى مستو ، فتحمل الضمير. قالوا : مررت برجل سواء ، والعدم قالوا : أصله العدل ، قال زهير : يسوي بينها فيها السواء. ولإجرائه مجرى المصدر لا يثني ، قالوا : هما سواء استغنوا بتثنية سي بمعنى سواء ، كقي بمعنى قواء ، وقالوا : هما سيان. وحكى أبو زيد تثنيته عن بعض العرب. قالوا : هذان سواآن ، ولذلك لا تجمع أيضا ، قال :

وليل يقول الناس من ظلماتهسواء صحيحات العيون وعورها

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، /

٤٤
وهمزته منقلبة عن ياء ، فهو من باب طويت.
وقال صاحب اللوامح : قرأ الجحدري سواء بتخفيف الهمزة على لغة الحجاز ، فيجوز أنه أخلص الواو ، ويجوز أنه جعل الهمزة بين بين ، وهو أن يكون بين الهمزة والواو. وفي كلا الوجهين لا بد من دخول النقص فيما قبل الهمزة الملينة من المد ، انتهى. فعلى هذا يكون سواء ليس لامه ياء بل واوا ، فيكون من باب قواء. وعن الخليل : سوء عليهم بضم السين مع واو بعدها مكان الألف ، مثل دائرة السوء على قراءة من ضم السين ، وفي ذلك عدول عن معنى المساواة إلى معنى القبح والسب ، ولا يكون على هذه القراءة له تعلق إعراب بالجملة بعدها بل يبقى. ﴿أم لم تنذرهم لا يؤمنون * ختم﴾ إخبار بانتفاء إيمانهم على تقدير إنذارك وعدم إنذارك ، وأما سواء الواقع في الاستثناء في قولهم قاموا سواك بمعنى قاموا غيرك ، فهو موافق لهذا في اللفظ ، مخالف في المعنى ، فهو من باب المشترك ، وله أحكام ذكرت في باب الاستثناء. الهمزة للنداء ، وزيد وللاستفهام الصرف ، وذلك ممن يجهل النسبة فيسأل عنها ، وقد يصحب الهمزة التقرير : ﴿قلت للناس اتخذونى﴾ ؟ والتحقيق ، ألستم خير من ركب المطايا. والتسوية ﴿سوا ء عليهم ءأنذرتهم﴾ ، والتوبيخ ﴿أذهبتم طيباتكم﴾ ، والإنكار أن يدنيه لمن قال جاء زيد ، وتعاقب حرف القسم الله لأفعلن. الإنذار : الإعلام مع التخويف في مدة تسع التحفظ من المخوف ، وإن لم تسع سمي إعلاما وإشعارا أو إخبارا ، ويتعدى إلى اثنين : ﴿إنآ أنذرناكم عذابا قريبا﴾ ، ﴿فقل أنذرتكم صاعقة﴾ ، والهمزة فيه للتعدية ، يقال : نذر القوم إذا علموا بالعدو. وأم حرف عطف ، فإذا عادل الهمزة وجاء بعده مفردا أو جملة في معنى المفرد سميت أم متصلة ، وإذا انخرم هذان الشرطان أو أحدهما سميت منفصلة ، وتقرير هذا في النحو ، ولا تزاد خلافا لأبي زيد. لم حرف نفي معناه النفي وهو مما يختص بالمضارع ، اللفظ الماضي معنى ، فعمل فيه ما يخصه ، وهو الجزم ، وله أحكام ذكرت في النحو.
جزء : ١ رقم الصفحة : ٤٤
﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوةا ولهم عذاب عظيم﴾
٤٥
الختم : الوسم بطابع أو غيره مما يوسم به. القلب : مصدر قلب ، والقلب : اللحمة الصنوبرية المعروفة سميت بالمصدر ، وكنى به في القرآن وغيره عن العقل ، وأطلق أيضا على لب كل شيء وخالصه. السمع : مصدر سمع سمعا وسماعا وكنى به في بعض المواضع عن الأذن. البصر : نور العين ، وهو ما تدرك به

المرئيات. الغشاوة : الغطاء ، غشاه أي غطاه ، وتصحح الواو لأن الكلمة بنيت على تاء التأنيث ، كما صححوا اشتقاقه ، قال أبو علي الفارسي : لم أسمع من الغشاوة فعلا متصرفا بالواو ، وإذا لم يوجد ذلك كان معناها معنى ما اللام منه الياء ، غشي يغشى بدلالة قولهم : الغشيان والغشاوة من غشي ، كالجباوة من جبيت في أن الواو كأنها بدل من الياء إذا لم يصرف منه فعل ، كما لم يصرف من الجباوة ، انتهى كلامه. العذاب : أصله الاستمرار ، ثم اتسع فيه فسمي به كل استمرار ألم ، واشتقوا منه فقالوا : عذبته ، أي داومت عليه الألم ، وقد جعل الناس بينه وبين العذاب : الذي هو الماء الحلو ، وبين عذب الفرس : استمر عطشه ، قدرا مشتركا وهو الاستمرار ، وإن اختلف متعلق الاستمرار. وقال الخليل : أصله المنع ، يقال عذب الفرس : امتنع من العلف. عظيم : اسم فاعل من عظم غير مذهوب به مذهب الزمان ، وفعيل اسم ، وصفة الاسم مفرد نحو : قميص ، وجمع نحو : كليب ، ومعنى نحو : صهيل ، والصفة مفرد فعله كقرى ، وفعله كسرى ، واسم فاعل من فعل ككريم ، وللمبالغة من فاعل كعليم ، وبمعنى أفعل كشميط ، وبمعنى مفعول كجريح ، ومفعل كسميع واليم ، وتفعل كوكيد ، ومفاعل كجليس ، ومفتعل كسعير ، ومستفعل كمكين ، وفعل كرطيب ، وفعل كعجيب ، وفعال كصحيح ، وبمعنى الفاعل والمفعول كصريح ، وبمعنى الواحد والجمع كخليط وجمع فاعل كغريب.." (١)

"وروي عن ابن ابن مسعود ، أن أحب الكلام إلى الله ما قاله أبونا حين اقترف الخطيئة : "سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ، لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت". وسئل بعض السلف عما ينبغي أن يقوله المذنب فقال : يقول ما قاله أبواه : "ربنا ظلمنا أنفسنا رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي" وما قاله يونس : "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين". وروي عن ابن عباس ووهب أنها : "سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي ، فاغفر لي إنك خير الغافرين". وقال محمد بن كعب هي : "لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم". وحكى السدي عن ابن عباس أنه قال : "رب ألم تخلقني بيدك ؟" قال : بلى ، قال : ألم تنفخ في من روحك ؟ قال : بلى ، قال : ألم تسبق رحمتك غضبك ؟ قال : بلى ، قال : ألم تسكني جنتك ؟ قال : بلى ، قال : رب إن تبت وأصلحت أراجعي إلى الجنة ؟ قال : "نعم". وزاد قتادة في هذا : "وسبقت رحمتك إلي قبل غضبك ؟ قيل له بلى ، قال : رب هل كتبت هذا علي قبل أن تخلقني ؟ يل له : نعم ، فقال : رب إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة ؟ قيل له : نعم". وقال

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٢٩/١

قتادة هي : "أستغفرك وأتوب إليك إنك أنت التواب الرحيم". وقال عبيد بن عمير ، قال : "يا رب خطيئتي التي أخطأتها أشيء كتبته علي قبل أن تخلقني ؟ أو شيء ابتدعته من قبل نفسي ؟ قال : بل شيء كتبته عليك قبل أن أخلقك ، قال : "فكما كتبت علي فاغفر لي". وقيل إنها : "سبحانك اللهم لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور".

١٦٥

وقيل : رأى مكتوبا على ساق العرش محمد رسول الله ، فتشفع بذلك فهي الكلمات. وقيل : قوله حين عطس : "الحمد لله". وقيل : هي الدعاء والحياء والبكاء. وقيل : الاستغفار والندم والحزن. قال ابن عطية : وسماها كلمات ، مجازا لما هي في خلقها صادرة عن كلمات ، وهي : كن في كل واحدة منهن" ، وهذا قول يقتضي أن آدم لم يقل شيئا إلا الاستغفار المعهود. انتهى كلامه.

﴿فتاب عليه﴾ : أي تفضل عليه بقبول توبته وأفرده بالإخبار عنه بالتوبة عليه ، وإن كانت زوجته مشاركة له في الأمر بالسكنى والنهي عن قربان الشجرة وتلقي الكلمات والتوبة ، لأنه هو المواجه بالأمر والنهي ، وهي تابعة له في ذلك. فكملت القصة بذكره وحده ، كما جاء في قصة موسى والخضر ، إذ جاء ﴿حتى إذا ركبا فى﴾ ، فحملاها بغير نول ، وكان مع موسى يوشع ، لكنه كان تابعا لموسى فلم يذكره ولم يجمع معهما في الضمير ، أو اكتفى بذكر أحدهما ، إذ كان فعلهما واحدا ، نحو قوله تعالى : ﴿ليرضوكم والله ورسولها أحق أن يرضوه﴾ ، ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾ ، أو طوى ذكرها كما طواه عند ذكر المعصية في قوله : ﴿وعصى ءادم ربه فغوى ﴾ .

جزء : ١ رقم الصفحة : ١٥٩

وقد جاء طي ذكر النساء في أكثر القرآن والسنة ، وقد ذكرها في قوله : ﴿قالا ربنا ظلمنآ أنفسنا﴾ ، وإنما لم يراع هذا الستر في امرأتي نوح ولوط لأنهما كانت كافرتين ، وقد ضرب بهما المثل للكفار ، لأن ذنوبهما كانت غاية في القبح والفحش. والكافر لا يناسب الستر عليه ولا الإغضاء عن ذنبه ، بل ينادي عليه ليكون ذلك أخزى له وأحط لدرجته. وحواء ليست كذلك ، ولأن معصيتهما تكررت واستمر منهما الكفر والإصرار على ذلك ، والتوبة متعذرة لما سبق في علم الله أنهما لا يتوبان ، وليست حواء كذلك لخفة ما وقع منها ، أو لرجوعها إلى ربها ، ولأن التبكيت للمذنب شرع رجاء الإقلاع ، وهذا المعنى معقود فيهما ، وذكرهما بالإضافة إلى زوجيهما فيه من الشهرة ما لا يكون في ذكر اسميهما غير مضافين إليهما. وتوبة العبد : رجوعه عن المعصية ، وتوبة الله على العبد : رجوعه عليه بالقبول والرحمة. واختلف في التوبة

المطلوبة من العبد ، فقال قوم : هي الندم ، أخذا بظاهر قوله صلى الله عليه وسلم : "الندم توبة" وقال قوم : شروطها ثلاثة : الندم على ما فات ، والإقلاع عنه ، والعزم على أن لا يعود. وتأولوا : الندم توبة على معظم التوبة نحو : الحج عرفة ، وزاد بعضهم في الشروط ، برد المظالم إذا قدر على ردها ، وزاد بعضهم : المطعم الحلال ، وقال القفال : لا بد مع تلك الشروط الثلاثة من الإشفاق فيما بين ذلك ، وذلك أنه مأمور بالتوبة ، ولا سبيل له إلى القطع بأنه أتى بها كما لزمه ، فيكون خائفا. ولهذا جاء يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه.

جزء : ١ رقم الصفحة : ١٥٩

." (١)

"الدخول : معروف ، وفعلة : دخل يدخل ، وهو مما جاء على يفعل بضم العين. وكان القياس فيه أن يفتح ، لأن وسطه حرف حلق ، كما جاء الكسر في ينزع وقياسه أيضا الفتح. القرية : المدينة ، من قريت : أي جمعت. سميت بذلك لأنها مجتمع الناس على طريق المساكنة. وقيل : إن قلواقيل لها قرية ، وإن كثروا قيل لها مدينة. وقيل : أقل العدد الذي تسمى به قرية ثلاثة فما فوقها ، ومنه ، قريت الماء في الحوض ، والمقراة : الحوض ، ومنه القرى : وهو الضيافة ، والقرى : المجرى ، والقرى : الظهر. ولغة أهل اليمن : القرية ، بكسر القاف ، ويجمعونها على قرى بكسر القاف نحو : رشوة ورشا. وأما قرية بالفتح فجمت على قرى بضم القاف ، وهو جمع على غير قياس. قيل : ولم يسمع من فعله المعتل اللام إلا قرية وقرى ، وتروة وترى ، وشهوة وشهى. الباب : معروف ، وهو المكان الذي يدخل منه ، وجمعه أبواب ، وهو قياس مطرد ، وجاء جمعه على أبوبة في قوله :

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢١٦

هتاك أخبية ولاج أبوبة

لتشاكل أخبية ، كما قالوا : لا دريت ولا تليت ، وأصله تلوت ، فقلبت الواو ياء لتشاكل دريت. سجدا : جمع ساجد ، وهو قياس مطرد في فاعل وفاعلة الوصفين الصحيحي اللام. وقولوا : كل أمر من ثلاثي اعتلت عينه فانقلبت ألفا في الماضي ، تسقط تلك العين منه إذا أسند لمفرد مذكر نحو : قل وبع ، أو لضمير مؤنث نحو : قلن وبعن ، فإن اتصل به ضمير الواحدة نحو : قولي ، أو ضمير الاثنين نحو : قولا ، أو ضمير الذكور نحو : قولوا ، ثبتت تلك العين ، وعلة الحذف والإثبات مذكورة في النحو. وقد جاء

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٣٩/١

حذفها في الشعر ، فجاء قوله : قلى وعشا. حطة : على وزن فعلة من الحط ، وهو مصدر كالحط ، وقيل : هو هيئة وحال : كالجلسة والقعدة ، والحط : الإزالة ، حططت عنه الخراج : أزلته عنه. والنزول : حططت. وحكى : بفناء زيد نزلت به ، والنقل من علو إلى أسفل ، ومنه انحطاط القدر. وقال أحمد بن يحيى ، وأبان بن تغلب ، الحطة : التوبة. وأنشدوا :

فاز بالحطة التي جعل اللهبها ذنب عبده مغفورا

أي فاز بالتوبة ، وتفسيرهما الحطة بالتوبة إنما هو تفسير باللازم لا بالمرادف ، لأن من حط عنه الذنب فقد تيب عليه. الغفر والغفران : **الستر** ، وفعله غفر يغفر ، بفتح الغين في الماضي وكسرها في المضارع. والغفيرة : المغفرة ، والغفارة : السحاب وما يلبس به سية القوس ، وخرقة تلبس تحت الخمار ، ومثله المغفر والجماء ، الغفير : أي جماعة يستر بعضهم بعضا من الكثرة. وقوله عمر لمن قال له : لم حصبت المسجد ؟ هو أغفر للنخامة ، كل هذا راجع **لمعنى الستر والتغطية**. الخطيئة : فعيلة من الخطا ، والخطأ : العدول عن القصد ، يقال خطىء الشيء : أصابه بغير قصد ، وأخطأ : إذا تعمد ، وأما خطايا : فجمع خطية مشددة عند الفراء ، كهدية وهدايا ، وجمع خطيئة المهموز عند سيبويه والخليل. فعند سيبويه : أصله خطائي ، مثل : صحائف ، وزنة ، فعائل ، ثم أعلت الهمزة الثانية بقلبها ياء ، ثم فتحت الأولى التي كان أصلها ياء المد في خطيئة فصار : خطأي ، فتحركت الياء وانفتح ما قبلها ، فصار : خطآء ، فوقعت همزة بين ألفين ، والهمزة شبيهة بالألف فصار : كأنه اجتمع ثلاثة أمثال ، فأبدلوا منها ياء فصار خطايا ، كهدايا ومطايا. وعند الخليل أصله : خطايئ ، ثم

٢١٧

قلب فصار خطائي على وزن فعالي ، المقلوب من فعائل ، ثم عمل فيه العمل السابق في قوله سيبويه.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٢١٦

وملخص ذلك : أن الياء في خطايا منقلبة عن الهمزة المبدلة من الياء بعد ألف الجمع التي كانت مدة زائدة في خطيئة ، على رأي سيبويه ، والألف بعدها منقلبة عن الياء المبدلة من الهمزة التي هي لام الكلمة ، ومنقلبة عن الهمزة التي هي لام الكلمة في الجمع والمفرد ، والألف بعدها هي الياء التي كانت ياء بعد ألف الجم ع التي كانت مدة في المفرد ، على رأي الخليل. وقد أمعنا الكلام في هذه المسألة في (كتاب التكميل لشرح التسهيل) من تأليفنا. الإحسان والإنعام والإفضال : نظائر ، أحسن الرجل : أتى بالحسن ، وأحسن الشيء : أتى به حسنا : وأحسن إلى عمر وأسدي إليه خيرا. التبديل : تغيير الشيء بآخر. تقول :

هذا بدل هذا : أي عوضه ، ويتعدى لاثنين ، الثاني أصله حرف جر : بدلت دينارا بدرهم : أي جعلت دينارا عوض الدرهم ، وقد يتعدى لثلاثة فتقول : بدلت زيدا دينارا بدرهم : أي حصلت له دينارا عوضا من درهم ، وقد يجوز حذف حرف الجر لفهم المعنى ، قال تعالى : ﴿فأولئك يبدل الله سيااتهم﴾ ، أي يجعل لهم حسنات عوض السيئات ، وقد وهم كثير من الناس فجعلوا ما دخلت عليه الباء هو الحاصل ، والمنصوب هو الذاهب ، حتى قالوا : ولو أبدل ضادا بظاء لم تصح صلاته ، وصوابه : لو أبدل ظاء بضاد.
الرجز : العذاب ، وتكسر راؤه وتضم ، والضم لغة بني الصعدات ، وقد قرىء بهما في بعض المواضع ، قال رؤبة :
كم رامنا من ذي عديد مبزيحتى وقينا كيده بالرجز
والرجز ، بالضم : اسم صنم مشهور ، والرجزاء : ناقة أصاب عجزها داء ، فإذا نهضت ارتعشت أفخاذها ، قال الشاعر :
." (١)

"و ﴿الذين ينفقون﴾ مبتدأ والجملة من قوله : ﴿لهم أجرهم﴾ خبر ، ولم يضمن المبتدأ معنى اسم الشرط ، فلم تدخل الفاء في الخبر ، وكان عدم التضمين هنا لأن هذه الجملة مفسرة للجملة قبلها ، والجملة التي قبلها أخرجت مخرج الشيء الثابت المفروغ منه ، وهو نسبة إنفاقهم بالحبة الموصوفة ، وهي كناية عن حصول الأجر الكثير ، فجاءت هذه الجملة ، كذلك أخرج المبتدأ والخبر فيهما مخرج الشيء الثابت المستقر الذي لا يكاد خبره يحتاج إلى تعليق استحقاق بوقوع ما قبله ، بخلاف ما إذا دخلت الفاء فإنها مشعرة بترتب الخبر على المبتدأ ، واستحقاقه به.
جزء : ٢ رقم الصفحة : ٣٠١
وقيل : ﴿الذين ينفقون﴾ خبر مبتدأ محذوف تقديره : هم الذين ينفقون ﴿لهم أجرهم﴾ في موضع الحال ، وهذا ضعيف ، أعنى : جعل لهم أجرهم في موضع الحال ، بل الأولى إذا أعرب : الذين ، خبر مبتدأ محذوف أن يكون : لهم أجرهم ، مستأنفا وكأنه جواب لمن قال : هل لهم أجر ؟ وعند من أجرهم ؟ فقيل ﴿لهم أجرهم عند ربهم﴾ وعطف : بثم ، التي تقتضي المهلة ، لأن من أنفق في سبيل الله ظاهر ألا يحصل منه غالبا المن والأذى ، بل إذا كانت بنية غير وجه الله تعالى ، لا يمن ولا يؤذي على الفور ، فذلك دخلت : ثم ، مراعاة للغالب. وإن حكم المن والأذى المعتقبين للإنفاق ، والمقارنين له حكم المتأخرين.

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ١/١٨٣

وقال الزمخشري : ومعنى : ثم ، إظهار التفاوت بين الإنفاق وترك المن والأذى ، وأن تركهما خير من نفس الإنفاق ، كما جعل الإستقامة على الإيمان خيرا من الدخول فيه بقوله : ﴿ثم استقاموا ﴾ انتهى كلامه.

وقد تكرر للزمخشري ادعاء هذا المعنى لثم ، ولا أعلم له في ذلك سلفا ، وقد تكلمنا قبل هذا معه في هذا المعنى ، و: ما ، من ﴿مآ أنفقوا ﴾ موصول عائده محذوف ، أي : أنفقوه ، ويجوز أن تكون مصدرية ، أي : إنفاقهم ، وثم محذوف ، أي : منا على المنفق عليه ، ولا أذى له . وبعد ما قاله بعضهم من أن ولا أذى من صفة المعطي ، وهو مستأنف ، وكأنه قال : الذين ينفقون ولا يمنون ولا يتأذون بالإنفاق ، وكذلك يبعد ما قاله بعضهم من أن قوله : ﴿ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ لا يراد به في الآخرة ، وأن المعنى : إن حق المنفق في سبيل الله أن يطيب به نفسه ، وأن لا يعقبه المن ، وأن لا يشفق من فقر يناله من بعد ، بل يثق بكفاية الله ولا يحزن إن ناله فقر.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٣٠١

﴿قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعهآ أذى ﴾ أي : رد جميل من المسؤول ، وعفو من السائل إذا وجد منه ما يثقل على المسؤول من إلحاح أو سب أو تعريض بسبب ، كما يوجد في كثير من المستعطين ، وقيل : معنى و: مغفرة ، أي : نيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل. وقيل : ومغفرة ، أي عفو من جهة السائل ، لأنه إذا رده ردا جميلا عذره. وقيل : قول معروف ، هو الدعاء والتأسي والترجئة بما عند الله ، وقيل : الدعاء لأخيه بظهر الغيب ، وقيل : الأمر بالمعروف خير ثوابا عند الله من صدقة يتبعها أذى. وقيل : التسبيحات والدعاء والثناء والحمد لله والمغفرة ، أي : **الستر على** نفسه والكف عن إظهار ما ارتكب من المآثم خير ، أي : أخف على البدن من صدقة يتبعها أذى. وقيل : المغفرة الاقتصار على القول الحسن ، وقيل : المغفرة أن يسأل الله الغفران لتقصير في عطاء وسد خلة ، وقيل : المغفرة هنا ستر خلة المحتاج ، وسوء حاله. قاله ابن جرير ، وقيل ، لأعرابي سأل بكلام فصيح ، ممن الرجل ؟ فقال اللهم غفرا سوء الاكتساب يمنع من الانتساب ، وقيل : أن يستر على السائل سؤاله وبذل وجهه له ولا يفضحه ، وقيل : معناه السلامة من المعصية ، وقيل : القول المعروف أن تحث غيرك على إعطائه. وهذا كله على أن يكون الخطاب مع المسؤول لأن الخطاب في الآية قبل هذا ، وفي الآية بعد هذا ، إنما هو مع المتصدق ، وقيل : الخطاب للسائل ، وهو حث له على إجمال الطلب ، أي يقول قولا حسنا من تعريض

٣٠٧

بالسؤال أو إظهار للغنى حيث لا ضرورة ، ويكسب خير من مثال صدقة يتبعها أذى ، واشترك القول

المعروف والمغفرة مع الصدقة التي يتبعها أذى في مطلق الخيرية ، وهو : النفع ، وإن اختلفت جهة النفع ، فنفع القول المعروف والمغفرة باق ، ونفع تلك الصدقة فان ، ويحتمل أن يكون الخيرية هنا من باب قولهم : شيء خير من لا شيء. وقال الشاعر :

ومنعك للندى بجميل قولأحب إلي من بذل ومنه

وقال آخر فأجاد :

إن لم تكن ورق يوما أجود بهاللمعتفين فإني لين العود

لا يعدم السائلون الخير من خلقي

إما نوالي وإما حسن مردود

وارتفاع : قول ، على أنه مبتدأ ، وسوغ الابتداء بالنكرة وصفها ، ومغفرة معطوف على المبتدأ ، فهو مبتدأ ومسوغ جواز الإبتداء به وصف محذوف أي : ومغفرة من المسؤول ، أو : من السائل. أو : من الله ، على اختلاف الأقوال. و: خير ، خبر عنهم١.

." (١)

"عن اليزيدي : تغمضوا ، بفتح وضم الميم ، ومعناه : إلا أن يخفي عليكم رأيكم فيه. وروي عن الحسن : تغمضوا مشددة الميم مفتوحة. وقرأ قتادة تغمضوا ، بضم التاء وسكون الغين وفتح الميم مخففا ، ومعناه : إلا أن يغمض لكم.

وقال أبو الفتح : معناه إلا أن توجدوا قد أغمصتم في الأمر بتأولكم أو بتساهلكم ، كما تقول : أحمد الرجل أصيب محمودا ، وقيل : معنى قراءة قتادة : إلا أن تدخلوا فيه وتجذبوا إليه.

﴿واعلموا أن الله غني حميد﴾ أي : غني عن صدقاتكم ، وإنما هي أعمالكم ترد عليكم ، حميد أي : محمود على كل حال ، إذ هو مستحق للحمد.

وقال الحسن : يستحمد إلى خلقه ، أي : يعطيهم نعما يستدعي بها حمدهم. وقيل : مستحق للحمد على ما تعبدكم به.

﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ أي : يخوفكم بالفقر ، يقول للرجل أمسك فإن تصدقت افتقرت وروى أبو حيوة عن رجل من أهل الرباط أنه قرأ : الفقر ، بضم الفاء ، وهي لغة. وقرىء : الفقر ، بفتحتين.

﴿ويأمركم بالفحشآء﴾ أي : يغريكم بها إغراء الآمر ، والفحشاء : البخل وترك الصدقة ، أو المعاصي مطلقا

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٢٣١/٢

، أو الزنا ، أقوال. ويحتمل أن تكون الفحشاء : الكلمة السيئة ، كما قال الشاعر :

ولا ينطق الفحشاء من كان منهمإذا جلسوا منا ولا من سوائنا

وكأن الشيطان يعد الفقر لمن أراد أن يتصدق ، ويأمره ، إذ منع ، بالرد القبيح على السائل ، وبخه وأقهره بالكلام السيء.

وروي ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : "إن للشيطان لمة من ابن آدم ، وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق ، فمن وجد ذلك فليتعوذ. وأما لمة الملك فوعد بالحق وتصديق بالخير ، فمن وجد ذلك فليحمد الله". ثم قرأ عليه السلام : ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشآء﴾ الآية.

وتقدم وعد الشيطان على أمره ، لأنه بالوعد يحصل الاطمئنان إليه ، فإذا اطمأن إليه وخاف الفقر تسلط عليه بالأمر ، إذ الأمر استعلاء على المأمور.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٣١٥

وقال الزمخشري : والفاحش عند العرب البخيل ، وقال أيضا : ويأمركم بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات ، انتهى. فتكون الجملة الثانية كالتوكيد للأولى ، ونظرنا إلى ما شرحه الشراح في الفاحش في نحو قول الشاعر :

حتى تأوى إلى لا فاحش برمولا شحيح إذا أصحابه غنموا

وقال الآخر :

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفعقيلة مال الفاحش المتشدد

فقالوا : الفاحش السيء الخلق ، ولو كان الفاحش هو البخيل لكان قوله : ولا شحيح ، من باب التوكيد.

وقال في قول امرىء القيس :

وجيد كجيد الريم ليس بفاحش

إن معناه ليس بقبيح ، ووافق الزمخشري أبا مسلم في تفسير الفاحش بالبخيل ، والفحشاء بالبخل ، قال بعضهم. وأنشد أبو مسلم قول طرفة :

عقيلة مال الفاحش المتشدد

قال : والأغلب في كلام العرب ، وفي تفسير البيت الذي أنشده أن الفاحش السيء الرد لضيفانه ، وسؤاله.

قال : وقد وجدنا بعد ذلك شعرا يشهد لتأويل أبي مسلم أن الفحشاء البخل. وقال راجز من طيء :

قد أخذ المجد كما أراداليس بفحاش يصر الزادا

انتهى. ولا حجة في هذا البيت على أنه أراد بالفحاش البخيل ، بل يحمل على السيء الخلق ، أو السيء الرد ، ويفهم البخيل من قوله : يصر الزادا.

﴿والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ﴾ أي سترا لذنوبكم مكافأة للبذل ، وفضلا زيادة على مقتضى ثواب البذل. وقيل : وفضلا ، أن يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم ، أو وثوابا عليه في

٣١٩

الآخرة ، ولما تقدم قوله : ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ وكان الحامل لهم على ذلك إنما هو الشح والبخل بالجيد الذي مثيره الشيطان ، بدىء بهذه الجملة من قوله ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ وإن ما تصدقتم من الخبيث إنما ذلك من نزغات الشيطان ليقبح لهم ما ارتكبوه من ذلك بنسبته إلى الشيطان ، فيكون أبعد شيء عنه.

ثم ذكر تعالى في مقابلة وعد الشيطان وعد الله بشيئين : أحدهما : الستر لما اجترحوه من الذنوب ، والثاني : الفضل وهو زيادة الرزق والتوسعة في الدنيا والآخرة. روي أن في التوراة : عبدي ، أنفق من رزقي أبسط عليك فضلي ، فإن يدي مبسوطة على كل يد مبسوطة ، وفي كتاب الله مصداقه : ﴿ومآ أنفقتم من شيء فهو يخلفها﴾ .

﴿والله واسع عليم﴾ أي : واسع بالجود والفضل على من أنفق ، عليم بنيات من أنفق ، وقيل : عليم أين يضع فضله ، ووردت الأحاديث بتفضيل الإنفاق والسماحة وذم البخل ، منها حديث البراء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله يحب الإنفاق ويبغض الإقتار فكل وأطعم ولا تصرر ، فيعسر عليك الطلب". وقوله صلى الله عليه وسلم : "وأي داء أردأ من البخل".

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٣١٥

". (١)

"المكر : الخداع والخبث وأصله الستر ، يقال : مكر الليل إذا أظلم واشتقاقه من المكر ، وهو شجر ملتف ، فكأن الممكور به يلتف به المكر ، ويشتمل عليه ، ويقال : امرأة ممكورة إذا كانت ملتفة الخلق. والمكر : ضرب من النبات.

تعالى : تفاعل من العلو ، وهو فعل ، لاتصال الضمائر المرفوعة به ، ومعناه : استدعاء المدعو من مكانه

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ (دار الفكر)، ٢/٢٤١

إلى مكان داعيه ، وهي كلمة قصد بها أولا تحسين الأدب مع المدعو ، ثم اطردت حتى يقولها الإنسان لعدوه ولبهيمته ونحو ذلك.

الابتهال : قوله بهلة الله على الكاذب ، والبهلة بالفتح والضم : اللعنة ، ويقال بهله الله : لعنه وأبعده ، من قولك أبهله إذا أهمله ، وناقة باهلة لا ضرار عليها ، وأصل الابتهال هذا ، ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه ، وإن لم يكن التعانا. وقال لبيد :

من قروم سادة من قومهمنظر الدهر إليهم فابتهل

٤٧٠

﴿فلمآ أحس عيسى منهم الكفر﴾ تقدم ترتيب هذه الجملة على ما قبلها من الكلام ، وهل الحذف بعد قوله ﴿صراط مستقيم﴾ أو بعد قوله : ﴿ورسولا إلى بنى إسرا ءيل﴾ وذلك عند تفسير ﴿ورسولا إلى بنى إسرا ءيل﴾ .

قال مقاتل : أحس ، هنا رأى من رؤية العين أو القلب وقال الفراء : أحس وجد وقال أبو عبيدة : عرف. وقيل : علم وقيل : خاف.

والكفر : هنا جحود نبوته وإنكار معجزاته ، و: منهم ، متعلق بأحس قيل : ويجوز أن يكون حالا من الكفر.

﴿قال من أنصارى إلى الله﴾ لما أرادوا قتله استنصر عليهم ، قال مجاهد وقال غيره : إنه استنصر لما كفروا به وأخرجوه من قريتهم وقيل : استنصرهم لإقامة الحق.

قال المغربي : إنما قال عيسى : ﴿من أنصارى إلى الله﴾ بعد رفعه إلى السماء وعوده إلى الأرض ، وجمع الحواريين الأثني عشر ، وبثهم في الآفاق يدعون إلى الحق ، وما قاله من أن ذلك القول كان بعد ما ذكر بعيد جدا ، لم يذكره غيره بل المنقول. والظاهر أنه قال ذلك قبل رفعه إلى السماء.

قال السدي : من أعواني مع الله وقال الحسن : من أنصاري في السبيل إلى الله وقال أبو علي الفارسي معنى : إلى الله : لله ، كقوله : ﴿يهدى إلى الحق﴾ أي للحق وقيل : من ينصرني إلى نصر الله. وقيل : من ينقطع معي إلى الله ، قاله ابن بحر وقيل : من ينصرني إلى أن أبين أمر الله وقال أبو عبيدة : من أعواني في ذات الله ؟ وقال ابن عطية : من أنصاري إلى الله. عبارة عن حال عيسى في طلبه من يقوم بالدين ، ويؤمن بالشرع ويحميه ، كما كان محمد صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل ، ويتعرض للأحياء في المواسم. انتهى وقال الزمخشري وإلى الله من صلة أنصاري ؟ مضمنا معنى الإضافة ، كأنه قيل : من

الذين يضيفون أنفسهم إلى الله ينصرونني كما ينصرني ؟ أو يتعلق بمحذوف حالا من الياء ، أي : من أنصاري ذاهبا إلى الله ملتجئا إليه ؟ انتهى.

جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٧٠

﴿قال الحواريون﴾ أي أصفياء عيسى. قاله ابن ع‍باس. أو : خواصه ، قاله الفراء. أو : البيض الثياب ، رواه ابن جبير عن ابن عباس. أو : القصارون ، سموا بذلك لأنهم يجودون الثياب ، أي يبيضونها ، قاله الضحاك ، ومقاتل. أو : المجاهدون ، أو : الصيادون ، قال لهم عيسى على نبينا وعليه السلام : ألا تمشون معي تصطادون الناس لله ؟ فأجابوا. قال مصعب : كانوا اثني عشر رجلا يسيحون معه ، يخرج لهم ما احتاجوا إليه من الأرض ، فقالوا : من أفضل منا ؟ نأكل من أين شئنا. فقال عيسى : من يعمل بيده ؟ ويأكل من كسبه ؟ فصاروا قصارين وحكى ابن الأنباري : الحواريون : الملوك وقال الضحاك ، وأبو أرطاة : الغسالون وقال ابن المبارك : الحوار النور ، ونسبوا إليه لما كان في وجوههم من سيما العبادة ونورها وقال تاج القراء : الحواري : الصديق.

قيل : لما أراهم الآيات وضع لهم ألوانا شتى من حب واحد آمنوا به واتبعوه وقرأ الجمهور : الحواريون ، بتشديد الياء. وقرأ إبراهيم النخعي ، وأبو بكر الثقفي ، بتخفيف الياء في جميع القرآن ، والعرب تستثقل ضمة الياء المكسور ما قبلها في مثل : القاضيون ، فتنقل الضمة إلى ما قبلها وتحذف الياء لالتقائها ساكنة مع الساكن بعدها ، فكان القياس على هذا أن يقال : الحوارون ، لكن أقرت الضمة ولم تنقل دلالة على أن التشديد مراد ، إذ التشديد يحتمل الضمة كما ذهب إليه الأخفش في : يستهزئون ، إذ أبدل الهمزة ياء ، وحملت الضمة تذكرا لحال الهمزة المراد فيها.

﴿نحن أنصار الله﴾ أي : أنصار دينه وشرعه. والداعي إليه.

﴿بالله واشهد بأنا مسلمون * ربنآ﴾ لما ذكروا أنهم أنصار الله ذكروا مستند لإيمانهم ، لأن انقياد الجوارح تابعة لانقياد القلب وتصديقه ، والرسل تشهد يوم القيامة لقومهم ، وعليهم. ودل ذلك على أن عيسى عليه السلام كان على دين الإسلام ، برأه الله من سائر الأديان كما برأ إبراهيم بقوله

٤٧١

." (١)

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٣٥٨/٢

"﴿ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا﴾ قال ابن عباس : الذنوب هي الكبائر ، والسيئات هي الصغائر. ويؤيده : ﴿إن تجتنبوا كبآار ما تنهون عنه نكفر عنكم سيااتكم﴾ وقيل : الذنوب ترك الطاعات ، والسيئات فعل المعاصي. وقيل : غفران الذنوب وتكفير السيئات أمر قريب بعضه من بعض ، لكنه كرر للتأكيد ، ولأنها مناح من الستر وإزالة حكم الذنوب بعد حصوله ، والغفران والتكفير بمعنى ، والذنوب والسيئات بمعنى ، وجمع بينهما تأكيدا ومبالغة ، وليكون في ذلك إلحاح في الدعاء. فقد روى : "إن الله يحب الملحين في الدعاء". وقيل : في التفكير معنى وهو : التغطية ، ليأمنوا الفضوح. والكفارة هي الطاعة المغطية للسيئة ، كالعتق والصيام والإطعام. ورجل مكفر بالسلاح ، أي مغطى.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٣٥

﴿وتوفنا مع الابرار﴾ جمع بر ، على زن فعل ، كصلف. أو جمع بار على وزن فاعل كضارب ، وأدغمت الراء في الراء. وهم : الطائعون لله ، وتقدم معنى البر. وقيل : هم هنا الذين بروا الآباء والأبناء. ومع هنا مجاز عن الصحبة الزمانية إلى الصحبة في الوصف ، أي : توفنا أبرارا معدودين في جملة الأبرار. والمعنى : اجعلنا ممن توفيتهم طائعين لك. وقيل : المعنى احشرنا معهم في الجنة.

﴿ربنا وءاتنا ما وعدتنا على رسلك﴾ الظاهر أنهم سألوا ربهم أن يعطيهم ما وعدهم على رسله ، ففسر هذا الموعود به بالجنة قاله : ابن عباس. وقيل : الموعود به النصر على الأعداء. وقيل : استغفار الأنبياء ، كاستغفار نوح وابراهيم ورسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين ، واستغفار الملائكة لهم.

وقوله : على رسلك هو على حذف مضاف ، فقدره الطبري وابن عطية : على ألسنة رسلك. وقدره الزمخشري : على تصديق رسلك. قال : فعلى هذه صلة للوعد في قولك : وعد الله الجنة على الطاعة. والمعنى : ما وعدتنا على تصديق رسلك. ألا تراه كيف اتبع ذكر المنادي للإيمان وهو الرسول ، وقوله : آمنا وهو التصديق. ويجوز أن يكون متعلقا بمحذوف أي : ما وعدتنا منزلا على رسلك ، أو محمولا على رسلك ، لأن الرسل يحملون ذلك ، فإنما عليه ما حمل انتهى. وهذا الوجه الذي ذكر آخرا أنه يجوز لبس بجائز ، لأن من قواعد النحويين أن الجار والمجرور والظرف متى كان العامل فيهما مقيدا فلا بد من ذكر ذلك العامل ، ولا يجوز حذفه ، ولا يحذف العامل إلا إذا كان كونا مطلقا. مثال ذلك : زيد ضاحك في الدار ، لا يجوز حذف ضاحك ألبتة. وإذا قلت : زيد في الدار فالعامل كون مطلق يحذف. وكذلك زيد ناج من بني تميم ، لا يجوز حذف ناج. ولو قلت : زيد من بني تميم جاز على تقدير كائن من بني تميم ، والمحذوف فيما جوزه الزمخشري وهو قوله : منزلا أو محمولا ، لا يجوز حذفه على ما تقرر في علم

النحو. وإذا كان العامل في الظرف أو المجرور مقيدا صار ذلك الظرف أو المجرور ناقصا ، فلا يجوز أن يقع صلة ، ولا خبر إلا في الحال. ولا في الأصل ، ولاصفة ، ولا حالا ، ولا معنى سؤالهم : أن يعطيهم ما وعدهم ، أن يثيبهم على الإيمان والطاعة حتى يكونوا ممن يؤتيهم الله ما وعد المؤمنين ، ومعلوم أنه تعالى منجز ما وعد ، فسألوا إنجاز ما ترتب على الإيمان. والمعنى : التثبيت على الإيمان حتى يكونوا ممن يستحق برحمة الله تعالى إنجاز الوعد. وقيل : هذا السؤال جاء على سبيل الالتجاء إلى الله تعالى والتضرع له ، كما كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يستغفرون ، مع علمهم أنهم معفور لهم ، يقصدون بذلك التذلل والتضرع إليه والالتجاء. وقيل : استبطؤوا النصر الذي وعدوا به فسألوا أن يعجل لهم وعده ، فعلى هذا وهو أن يكون الموعود به النصر يكون الإيتاء في الدنيا ، وعلى ن يكون

١٤٢

الجنة يكون الإيتاء في الآخرة. وقرأ الأعمش : على رسلك بإسكان السين.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٣٥

﴿ولا تخزنا يوم القيامة﴾ فسر الإخزاء هنا بما فسر في فقد أخزيته. ويوم القيامة معمول لقوله : ولا تخزنا. ويجوز أن يكون من باب الإعمال ، إذ يصلح أن يكون منصوبا بتخزنا وبآتنا ما وعدتنا ، إذا كان الموعود به الجنة.

﴿إنك لا تخلف الميعاد﴾ ظاهره أنه تعليل لقوله : ﴿ربنا وءاتنا ما﴾ . وقال ابن عطية : إشارة إلى قوله تعالى : ﴿توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم﴾ فهذا وعده تعالى ، وهو دال على أن الخزي إنما هو مع الخلود انتهى.

". (١)

"والباء : للتعدية ، والمعنى : اللاتي **أدخلتموهن الستر قاله** : ابن عباس ، وطاوس ، وابن دينار. فلو طلقها بعد البناء وقبل الجماع ، جاز أن يتزوج ابنتها. وقال عطاء ، ومالك ، وأبو حنيفة ، والثوري ، والأوزاعي ، والليث : إذا مسها بشهوة حرمت عليه أمها وابنتها ، وحرمت على الأب والابن ، وهو أحد قولي الشافعي. واختلفوا في النظر إليها بشهوة ، فقال ابن أبي ليلى : لا يحرم النظر حتى تلمس ، وهو قول الشافعي. وقال مالك : يحرم النظر إلى شعرها ، أو شيء من محاسنها بلذة. وقال الكوفيون : يحرم النظر إلى فرجها بشهوة. وقال الثوري : يحرم إذا كان تعمد النظر إلى فرجها ، ولم يذكر الشهوة. وقال عطاء ،

---

(١) تفسير البحر المحيط ـ (دار الفكر)، ٣/١١٤

وحماد بن أبي سليمان : إذا نظر إلى فرج امرأة فلا ينكح أمها ولا ابنتها ، وعدوا هذا الحكم إلى الإماء. وقال الحسن : إذا ملك الأمة وغمزها بشهوة ، أو كشفها ، أو قبلها ، لا تحل لولده بحال. وأمر مسروق أن تباع جاريته بعد موته وقال : أما أني لم أصب منها إلا ما يحرمها على ولدي من اللمس والنظر. وجرد عمر أمة خلا بها فاستوهبها ابن له فقال : لا تحل لك.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٩٢

﴿فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم﴾ أي : في نكاح الربائب. وليس جواز نكاح الربائب موقوفا على انتفاء مطلق الدخول ، بل لا بد من محذوف مقدر تقديره : فإن لم تكونوا دخلتم بهن ، وفارقتموهن بطلاق منكم إياهن ، أو موت منهن.

﴿وحلئال أبنآكم الذين من أصلابكم﴾ أجمعوا على تحريم ما عقد عليه الآباء على الأبناء ، وما

٢١٢

عقد عليه الأبناء على الآباء كان مع العقد وطء ، أو لم يكن. والحليلة : اسم يختص بالزوجة دون ملك اليمين ، ولذلك جاء في أزواج أدعيائهم. ولما علق حكم التحريم بالتسمية دون الوطء ، اقتضى تحريمهن بالعقد دون شرط الوطء. وجاء الذين من أصلابكم وهو وصف لقوله : أبنائكم ، برفع المجاز الذي يحتمله لفظ أبنائكم إذ كانوا يطلقون على من اتخذته العرب ابنا من غيرهم ، وتبنته ابنا ، كما كانوا يقولون : زيد بن محمد ، إلى أن نزل : ﴿ما كان محمد أبآ أحد من رجالكم﴾ الآية وكما قالت امرأة أبي حذيفة في سالم : إنا كنا نراه ابنا. وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش الأسدية وهي بنت عمته ، أميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة ، وأجمعوا على أن حليلة الابن من الرضاع في التحريم كحليلة الابن من الصلب ، استنادا إلى قوله صلى الله عليه وسلم : "يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب" وظاهر قوله : وحلائل أبنائكم اختصاص ذلك بالزوجات كما ذكرناه ، واتفقوا على أن مطلق عقد الشراء للجارية لا يحرمها على أبيه ولا ابنه ، فلو لمسها أو قبلها حرمت على أبيه وابنه ، لا يختلف في تحريم ذلك. واختلفوا في مجرد النظر بشهوة.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٩٢

﴿وأن تجمعوا بين الاختين﴾ أن تجمعوا في موضع رفع لعطفه على مرفوع ، والمعنى : وإن تجمعوا بين الأختين في النكاح ، لأن سياق الآية إنما هو في النكاح ، وإن كان الجمع بين الأختين أعم من أن يكون في زوجين ، أو بملك اليمين. فأما إذا كان على سبيل التزويج ، فأجمعت الأمة على تحريم العقد على

ذلك سواء وقع العقدان معا ، أم مرتبا. واختلفوا في تزويج المرأة في عدة أختها : فروي عن زيد ، وابن عباس ، وعبيدة ، وعطاء ، وابن سيرين ، ومجاهد في آخرين من التابعين : أن ذلك لا يجوز فبعضهم أطلق العدة ، وبعضهم قال : إذا كانت من الثلاث وهو قول : أبي حنيفة ، وأبي يوسف ، ومحمد ، وزفر ، والثوري ، والحسن بن صالح. وروي عن عروة ، والقاسم ، وخلاس : أنه يجوز له ذلك إذا كانت من طلاق بائن ، وهو قول : مالك والأوزاعي والليث والشافعي. واختلف عن سعيد والحسن وعطاء. والجواز ظاهر الآية ، إذا لم يكن الطلاق رجعيا. وأما الجمع بينهما بملك اليمين فلا خلاف في شرائهما ودخولهما في ملكه ، وأما الجمع بينهما في الوطء : فذهب عمر ، وعلي ، وابن مسعود ، والزبير ، وابن عمر ، وعمار وزيد : إلى أنه لا يجوز ذلك. وهل ذلك على سبيل الكراهة أو التحريم ؟ فذكر ابن المنذر عن جمهور أهل العلم : الكراهة. وذكر عن إسحاق : التحريم وكان المستنصر بالله أبو عبد الله محمد بن الأمير أبي زكريا بن أبي محمد بن أبي حفص ملك أفريقية قد سأل أحد شيوخنا الذين لقيناهم بتونس ، وهو الشيخ العابد المنقطع أبو العباس أحمد بن علي بن خالص الإشبيلي : ألا ترى عن الجمع بين الأختين بملك اليمين في الوطء ؟ فأجابه بالمنع ، وكان غيره قد أفتاه بالجواز. واستدل شيخنا على منع ذلك بظاهر قوله : وأن تجمعوا بين الأختين. وروي عن عثمان ، وابن عباس : إباحة ذلك. وإذا اندرج أيضا الجمع بينهما بأن يجمع بينهما في الوطء بتزوج وملك يمين ، فيكون قد تزوج واحدة ، وملك أختها. وقد أكثر المفسرون من الفروع هنا ، وموضع ذلك كتب الفقه.
." (١)

"ويدخل فيها ما كان من الطيب للجمعة والسواك وبدل الثياب وكل ما أوجد استحسانه في الشريعة ولم يقصد به الخيلاء وعند كل مسجد يريد عند كل موضع سجود ، فهو إشارة إلى الصلوات وستر العورة فيها هو مهم الأمر ويدخل في الصلاة مواطن الخير كلها ومع ستر العورة ما ذكرنا من الطيب للجمعة انتهى ، وقال الزمخشري : ﴿خذوا زينتكم﴾ أي ريشكم ولباس زينتكم ﴿عند كل مسجد﴾ كلما صليتم وكانوا يطوفون عراة انتهى ، والذي يظهر أن الزينة هو ما يتجمل به ويتزين عند الصلاة ولا يدخل فيه ما يستر العورة لأن ذلك مأمور به مطلقا ولا يختص بأن يكون ذلك عند كل مسجد ، ولفظة ﴿كل مسجد﴾ تأتي أن يكون أيضا ما يستر العورة في الطواف لعمومه والطواف إنما هو الخاص وهو المسجد الحرام وليس بظاهر حمل العموم على كل بقعة منه وأيضا فيا بني آدم عام وتقييد الأمر بما يستر العورة في الطواف مفض إلى

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٧١/٣

تخصيصه بمن يطوف بالبيت ، وقال أبو بكر الرازي في الآية دليل على فرض ستر العورة في الصلاة وهو قول أبي يوسف وزفر ومحمد والحسن بن زياد والشافعي لقوله : ﴿عند كل مسجد﴾ علق الأمر بد فدل على أنه الستر للصلاة ، وقال : مالك والليث : كشف العورة حرام ويوجبان الإعادة في الوقت استحبابا إن صلى مكشوفها ، وقال الأبهري : هي فرض في الجملة وعلى الإنسان أن يسترها في الصلاة وغيرها وهو الصحيح لقوله صلى الله عليه وسلم للمسور ابن مخرمة : "ارجع إلى قومك ولا تمشوا عراة" ، أخرجه مسلم جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٨٥

﴿وكلوا واشربوا ﴾ ، قال الكلبي : معناه كلوا من اللحم والدسم واشربوا من الألبان وكانوا يحرمون جميع ذلك في الإحرام ، وقال السدي : كلوا من البحيرة وأخواتها والظاهر أنه أمر بإباحة الأكل والشرب من كل ما يمكن أن يؤكل أو يشرب مما يحظر أكله وشربه في الشريعة وإن كان النزول على سبب خاص كما ذكروا من امتناع المشركين من أكل اللحم والدسم أيام إحرامهم أو بني عامر دون سائر العرب من ذلك وقول المسلمين بذلك والنهي عن الإسراف يدل على التحريم لقوله ﴿إنه لا يحب المسرفين﴾ ، قال ابن عباس : الإسراف الخروج عن حد الاستواء ، وقال أيضا ﴿ولا تسرفوا ﴾ في تحريم ما أحل لكم ، وقال أيضا : كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة ، وقال ابن زيد : الإسراف أكل الحرام ، وقال الزجاج الإسراف الأكل من الحلال فوق الحاجة ، وقال مقاتل : الإسراف الإشراك ، وقيل : الإسراف مخالفة أمر الله في طوافهم عراة يصفقون ويصفرون ، وقال ابن عباس أيضا : ليس في الحلال سرف إنما السرف في ارتكاب المعاصي ، قال ابن عطية : يريد في الحلال القصد واللفظة تقتضي النهي عن السرف مطلقا فيمن تلبس بفعل حرام فتأول تلبسه به حصل من المسرفين وتوجه النهي عليه ومن تلبس بفعل مباح فإن مشى فيه على القصد وأوساط الأمور فحسن وإن أفرط حتى دخل الضرر حصل أيضا من المسرفين وتوجه النهي عليه ، مثال ذلك أن يفرط في شراء ثياب أو نحوها ويستنفد في ذلك حل ماله أو يعطي ماله أجمع ويكابد بعياله الفقر بعد ذلك أو نحوه فالله عز وجل لا يحب شيئا من هذا وقد نهت الشريعة عنه انتهى ، وحكى المفسرون هنا أن نصرانيا طبيبا للرشيد أنكر أن يكون في القرآن أو في حديث الرسول شيء من الطب فأجيب بقوله ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ بقوله "المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء" وأعط كل بدن ما عودته" فقال النصراني : ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا.

﴿قل من حرم زينة الله التى أخرج لعبادها والطيبات من الرزق﴾ ﴿زينة الله﴾ ما حسنته الشريعة وقررته مما يتجمل به من الثياب وغيرها وأضيفت إلى الله لأنه هو الذي أباحها والطيبات هي المستلذات من المأكول

والمشروب بطريقة
٢٩٠
وهو الحل ، وقيل : الطيبات المحللات ومعنى الاستفهام إنكار تحريم هذه الأشياء وتوبيخ محرميها وقد كانوا يحرمون أشياء من لحوم الطيبات وألبانها والاستفهام إذا تضمن الإنكار لا جواب له وتوهم مكي هنا أن له جوابا هنا وهو قوله ﴿قل هى﴾ توهم فاسد ومعنى ﴿أخرج﴾ أبرزها وأظهرها ، وقيل فصل حلالها من حرامها.
جزء : ٤ رقم الصفحة : ٢٨٥
." (١)

"﴿ترجعون * يا أيها الناس قد جآءتكم موعظة من ربكم وشفآء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾ : قيل : نزلت في قريش الذين سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم أحق ؟ هو فالناس هم كفار قريش. وقال ابن عطية : هو خطاب لجميع العالم. ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر الأدلة على الألوهية والوحدانية والقدرة ، ذكر الدلائل الدالة على صحة النبوة والطريق المؤدي إليها وهو القرآن ، والمتصف بهذه الأوصاف الشريفة هو القرآن. قال الزمخشري : أي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد ، هو شفاء أي : دواء لما في صدوركم من العقائد الفاسدة ، ودعاء إلى الحق ورحمة لمن آمن به منكم انتهى. ومن ربكم يحتمل أن يتعلق بجاءتكم ، فمن لابتداء الغاية. ويحتمل أن يكون في موضع الصفة أي : من مواعظ ربكم ، فتتعلق بمحذوف ، فمن للتبعيض. وفي قوله : من ربكم تنبيه على أنه من عند الله ليس من عند أحد. قال ابن عطية : وجعله موعظة بحسب الناس أجمع ، وجعله هدى ورحمة بحسب المؤمنين ، وهذا تقسيم صحيح المعنى إذا تؤول بأن وجهه انتهى. وذكر أبو عبد الله الرازي هنا كلاما كثيرا ممزوجا بما يسمونه حكمة ، نعلم قطعا أن العرب لا تفهم ذلك الذي قرره من ألفاظ القرآن ، وطول في ذلك ، وضرب أمثلة حسية يوقف عليها من تفسيره ، ثم قال آخر كلامه : فالحاصل أن الموعظة إشارة إل تطهير ظواهر الخلق عما لا ينبغي وهو الشريعة ، والشفاء إشارة إلى تطهير الأرواح عن العقائد الفاسدة والأخلاق الذميمة وهو الريقة ، والهدى إشارة إل ظهور نور الحق في قلوب الصديقين وهو الحقيقة ، والرحمة إشارة إل كونها بالغة في الكمال ، والإشراق إل حيث تصير تكمل الناقصين وهي النبوة. فهذه درجات عقلية ومراتب برهانية مدلول عليها بهذه الألفاظ القرآنية ، لا يمكن

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٢٣٦/٤

تأخر ما تقدم ذكره ، ولا تقدم ما تأخر ذكره.

١٧٠

﴿قل بفضل الله وبرحمتها فبذالك فليفرحوا هو خير مما يجمعون﴾ : قال الزمخشري عن أبي بن كعب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ : قل بفضل الله وبرحمته فقال : ﴿الله﴾ فضله الإسلام ، ورحمته ما وعد عليه انتهى. ولو صح هذا الحديث لم يمكن خلافه. قال ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، وهلال بن يساف : فضل الله الإسلام ، ورحمته القرآن. وقال الضحاك وزيد بن أسلم عكس هذا ، وقال أبو سعيد الخدري : الفضل القرآن ، والرحمة أن جعلهم من أهله. وقال ابن عباس فيما روى الضحاك عنه : الفضل العلم والرحمة محمد صلى الله عليه وسلم. وقال ابن عمر : الفضل الإسلام ، والرحمة تزيينه في القلوب. وقال مجاهد : الفضل والرحمة القرآن ، واختاره الزجاج. وقال خالد بن معدان : الفضل القرآن ، والرحمة السنة. وعنه أيضا أن الفضل الإسلام ، والرحمة الستر. وقال عمرو بن عثمان : فضل الله كشف الغطاء ، ورحمته الرؤية واللقاء. وق ا ل الحسين بن فضل : الفضل الإيمان ، والرحمة الجنة. وقيل : الفضل التوفيق ، والرحمة العصمة. وقيل : الفضل نعمه الظاهرة ، والرحمة نعمه الباطنة. وقال الصادق : الفضل المغفرة ، والرحمة التوفيق. وقال ذون النون : الفضل الجنان ، ورحمته النجاة من النيران. وهذه تخصيصات تحتاج إلى دلائل ، وينبغي أن يعتقد أنها تمثيلات ، لأن الفضل والرحمة أريد بهما تعيين ما ذكر وحصرهما فيه.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٤٥

." (١)

"وكتاب خبر مبتدأ محذوف يدل عليه ظهوره بعد هذه الحروف المقطعة كقوله : الم ذلك الكتاب ، وأحكمت صفة له. ومعنى الأحكام : نظمه نظما رضيا لا نقص فيه ولا خلل ، كالبناء المحكم. وهو الموثق في الترصيف ، وعلى هذا فالهمزة في أحكمت ليست للنقل ، ويجوز أن تكون للنقل من حكم بضم الكاف إذا صار حكيما ، فالمعنى : جعلت حكيمة كقولك : تلك آيات الكتاب الحكيم على أحد التأويلين في قوله : ﴿الكتاب الحكيم﴾ وقيل : من أحكمت الدابة إذا منعها من الجماح بوضع الحكمة عليها ، فالمعنى : منعت من النساء كما قال جرير :

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٩٨

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكمإني أخاف عليكم أن أغضبا

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٣٧/٥

وعن قتادة : أحكمت من الباطل. قال ابن قتيبة : أحكمت أتقنت شبه ما يحكم من الأمور المتقنة الكاملة ، وبهذه الصفة كان القرآن في الأول ، ثم فصل بتقطيعه وتبيين أحكامه وأوامره عل محمد صلى الله عليه وسلم فثم على بابه ، وهذه طريقة الإحكام والتفصيل. إذ الإحكام صفة ذاتية ، والتفصيل إنما هو بحسب من يفصل له ، والكتاب أجمعه محكم مفصل ، والإحكام الذي هو ضد النسخ ، والتفصيل الذي هو خلاف الإجمال ، إنما يقالان مع ما ذكرناه باشتراك. وحكى الطبري عن بعض المتأولين : أحكمت بالأمر والنهي ، وفصلت بالثواب والعقاب. وعن بعضهم : أحكمت من الباطل ، وفصلت بالحلال والحرام ، ونحو هذا من التخصيص الذي هو صحيح المعنى ، ولكن لا يقتضيه اللفظ. وقيل : فصلت معناه فسرت ، وقال الزمخشري : ثم فصلت كما تفصل القلائد بالدلائل من دلائل التوحيد والأحكام والمواعظ والقصص ، أو جعلت فصولا سورة سورة وآية آية ، أو فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة ، أو فصل بها ما يحتاج إليه العباد أي بين ولخص. وقرأ عكرمة ، والضحاك ، والجحدري ، وزيد بن علي ، وابن كثير في رواية : ثم فصلت بفتحتين ، خفيفة على لزوم الفعل للآيات. قال صاحب اللوامح : يعني انفصلت وصدرت. وقال ابن عطية : فصلت بين المحق والمبطل من الناس ، أو نزلت إلى الناس كما تقول : فصل فلان بسفره.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٩٨

قال الزمخشري : وقرىء أحكمت آياته ثم فصلت أي : أحكمتها أنا نائم ، فصلتها. (فإن قلت) : ما معنى ؟ ثم (قلت) : ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال ، كما تقول : هي محكمة أحسن الأحكام ، ثم مفصلة أحسن التفصيل ، وفلان كريم الأصل ، ثم كريم الفعل انتهى. يعني أن ثم جاءت لترتيب الإخبار لا لترتيب الوقوع في الزمان ، واحتمل من لدن أن يكون في موضع الصفة. ومن أجاز تعداد الأخبار إذا لم تكن في معنى خبر واحد أجاز أن يكون خبرا بعد خبر. قال الزمخشري : أن يكون صلة أحكمت وفصلت أي : من عنده أحكامها وتفصيلها. وفيه طباق حسن ، لأن المعنى أحكمها حكيم وفصلها أي : بينها وشرحها خبير بكيفيات الأمور انتهى. ولا يريد أن من لدن متعلق بالفعلين معا من حيث صناعة الإعراب ، بل يريد أن ذلك من باب الاعمال ، فهي متعلقة بهما من حيث المعنى. وأن لا تعبدوا يحتمل أن يكون أن حرف تفسير ، لأن في تفصيل الآيات معنى القول وهذا أظهر ، لأنه لا يحتاج إلى إضمار. وقيل : التقدير لأن لا تعبدوا أو بأن لا تعبدوا ، فيكون مفعولا من أجله ، ووصلت أن بالنهي. وقيل : أن نصبت لا تعبدوا ، فالفعل خبر منفي. وقيل : أن هي المخففة من الثقيلة ، وجملة النهي

٢٠٠

في موضع الخبر ، وفي هذه الأقوال العامل فصلت. وأما من أعربه أنه بدل من لفظ آيات أو من موضعها ، أو التقدير : من النظر أن لا تعبدوا إلا الله ، أو في الكتاب ألا تعبدوا ، أو هي أن لا تعبدوا ، أو ضمن أن لا تعبدوا ، أو تفصله أن لا تعبدوا ، فهو بمعزل عن علم الإعراب. والظاهر عود الضمير في منه إلى الله أي : إني لكم نذير من جهته وبشير ، فيكون في موضع الصفة ، فتعلق بمحذوف أي : كائن من جهته. أو تعلق بنذير أي : أنذركم من عذابه إن كفرتم ، وأبشركم بثوابه إن آمنتم. وقيل : يعود على الكتابة أي : نذير لكم من مخالفته ، وبشير منه لمن آمن وعمل به. وقدم النذير لأن التخويف هو الأهم. وأن استغفروا معطوف على أن لا تعبدوا ، نهي أو نفي أي : لا يعبد إلا الله. وأمر بالاستغفار من الذنوب ، ثم بالتوبة ، وهما معنيان متباينان ، لأن الاستغفار طلب المغفرة وهي الستر ، والمعنى : أنه لا يبقى لها تبعة. والتوبة الانسلاخ من المعاصي ، والندم على ما سلف منها ، والعزم على عدم العود إليها. ومن قال : الاستغفار توبة ، جعل قوله : ثم توبوا ، بمعنى أخلصوا التوبة واستقيموا عليها. قال ابن عطية : وثم مرتبة ، لأن الكافر أول ما ينيب ، فإنه في طلب مغفرة ربه ، فإذا تاب وتجرد من الكفر تم إيمانه.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٩٨

". (١)

"اكتل اتخذ إكليلا. قال ابن عطية : ويحتمل أن يريد بالسلم ضد الحرب تقول : نحن سلم لكم انتهى. ونصب سلاما يدل على التجدد ، ورفع سلام يدل على الثبوت والاستقرار ، والأقرب في إعراب فما لبث أن تكون ما نافية ، ولبث معناه تأخر وأبطأ ، وأن جاء فاعل بلبث التقدير فما تأخر مجيئه قاله : الفراء. وجوزوا أن يكون في لبث ضمير إبراهيم فهو فاعل ، وأن جاء على إسقاط الحرف فقدر بأن وبعن ، وبفي ، وجعل بعضهم أن بمعنى حتى حكاه ابن العربي. وأن تكون ما مصدرية ، وذلك المصدر في موضع رفع بالابتداء ، وأن تكون بمعنى الذي أي : فلبثه ، أو الذي لبثه ، والخبر أن جاء على حذف أي : قدر مجيئه ، وهذا من أدب الضيافة ، وهو تعجيل القرى. وكان مال إبراهيم البقر ، فقدم أحسن ما فيه

٢٤١

وهو العجل. قال مجاهد : حنيذ مطبوخ ، وقال الحسن : نضج مشوي سمين يقطر ودكا. وقال السدي : سمين ، وقيل : سميط لا يصل إليه ، أي إلى العجل. والمعنى : لا يمدون أيديهم إلى أكله ، فلم ينف

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٦٣/٥

الوصول الناشيء عن المدبل ، جعل عدم الوصول استعارة عن امتناعهم من الأكل. نكرهم أي أنكرهم قال الشاعر :

وأنكرتني وما كان الذي نكرتمن الحوادث إلا الشيب والصلعا . وقيل : نكر فيما يرى ، وأنكر فيما لا يرى من المعاني ، فكأن الشاعر قال : وأنكرت مودتي ثم جاءت بنكر الشيب والصلع مما يرى بالبصر. ومنه قول أبي ذؤيب :

فنكرنه فنفرن وامترست به

هو جاء هادية وهاد جرشع

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٣٦

وروي أنهم كانوا ينكثون بقداح كانت بأيديهم في اللحم ولا تصل أيديهم إليه ، وينبغي أن ينظر من الضيف هل يأكل أولا ويكون بتلفت ومسارعة ، لا بتحديد النظر ، لأن ذلك مما يجعل الضيف مقصرا في الأكل. قيل : كان إبراهيم عليه السلام ينزل في طرف من الأرض مخافة أن يريدوا به مكروها. وقيل : كانت عادتهم إذا مس من يطرقهم طعامهم أمنوا وإلا خافوه. قال الزمخشري : ويظهر أنه أحس بأنهم ملائكة ونكرهم ، لأنه تخوف أن يكون نزولهم لأمر أنكره الله عليه ، أو لتعذيب قومه. ألا ترى إلى قولهم : لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ، وإنما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيما أرسلوا. قال مقاتل : فأوجس وقع في قلبه. وقال الحسن : حدث به نفسه ، قيل : وأصل الوجوس الدخول ، فكان الخوف دخل عليه. والظاهر أنه لم يعرف أنهم ملائكة لمجيئهم في صورة البشر ، وكان مشغوفا بإكرام الأضياف ، فلذلك جاؤوا في صورهم ، ولمسارعته إلى إحضار الطعام إليهم ، ولأن امتناع الملائكة من الأكل لا يدل على حصول الشر ، وإنما عرف أنهم ملائكة بقولهم : لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ، فنهوه عن شيء وقع في نفسه ، وعرفوا خيفته بكون الله جعل لهم من الاطلاع ما لم يجعل لغيرهم كقوله تعالى : ﴿يعلمون ما تفعلون﴾ وفي الحديث الصحيح : ﴿رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة﴾ الحديث ، أو بما يلوح في صفحات وجه الخائف. وامرأته قائمة جملة من ابتداء وخبر قال الحوفي وأبو البقاء : في موضع الحال ، قال أبو البقاء : من ضمير الفاعل في أرسلنا ، يعني المفعول الذي لم يسم فاعله ، والزمخشري يسميه فاعلا لقيامه مقام الفاعل. وقال الحوفي : والتقدير أرسلنا إلى قوم لوط في حال قيام امرأته ، يعني امرأة ابراهيم. والظاهر أنه حال من ضمير قالوا أي : قالوا لا إبراهيم لا تخف في حال قيام امرأته وهي سارة بنت هاران بن ناخور وهي ابنة عمه ، قائمة أي : لخدمة الأضياف ، وكانت نساؤهم لا تحتجب كعادة الأعراب ، ونازلة البوادي والصحراء ، ولم يكن التبرج

مكروها ، وكانت عجوزا ، وخدمة الضيفان مما يعد من مكارم الأخلاق قاله : مجاهد. وجاء في شريعنا مثل هذا من حديث أبي أسيد الساعدي : وكانت امرأته عروسا ، فكانت خادمة الرسول ومن حضر معه من أصحابه. وقال وهب : كانت قائمة **وراء الستر تسمع** محاورتهم. وقال ابن إسحاق : قائمة تصلي. وقال المبرد : قائمة عن الولد. قال الزمخشري : وفي مصحف عبد الله وامرأته قائمة وهو قاعد. وقال ابن عطية : وفي قراءة ابن مسعود : وهي قائمة وهو جالس. ولم يتقدم ذكر امرأة ابراهيم فيضمر ، لكنه يفسره سياق الكلام.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٢٣٦

قال مجاهد وعكرمة : فضحكت حاضت. قال الجمهور : هو الضحك المعروف. فقيل : هو مجاز معبر به عن طلاقة الوجه وسروره بنجاة أخيها وهلاك قومه ، يقال : أتيت على روضة تضحك أي مشرقة. وقيل : هو حقيقة. فقال مقاتل : وروي عن ابن عباس ضحكت من شدة خوف إبراهيم

٢٤٢

(١) ".

"وقال قتادة والزجاج وجماعة ما معناه : ﴿جعلنا بينك﴾ فهم ما تقرأ وبينهم ﴿حجابا﴾ فلا يقرون بنبوتك ولا بالبعث ، فالمعنى قريب من الآية بعدها ، والظاهر إقرار ﴿مستورا﴾ على موضوعه من كونه اسم مفعول أي ﴿مستورا﴾ عن أعين الكفار فلا يرونه ، أو ﴿مستورا﴾ به الرسول عن رؤيتهم. **ونسب الستر إليه** لما كان مستورا به قاله المبرد ، ويؤول معناه إلى أنه ذو ستر كما جاء في صيغة لابن وتامر أي ذو لبن وذو تمر. وقالوا : رجل مرطوب أي ذو رطبة ولا يقال رطبته ، ومكان مهول أي ذو هول ، وجارية مغنوجة ولا يقال هلت المكان ولا غنجت الجارية. وقال الأخفش وجماعة ﴿مستورا﴾ ساترا واسم الفاعل قد يجيء بلفظ المفعول كما قالوا مشؤوم وميمون يريدون شائم ويامن. وقيل : مستور وصف على جهة المبالغة كما قالوا شعر شاعر ، ورد بأن المبالغة إنما تكون باسم الفاعل ومن لفظ الأول ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى ءاذانهم وقرا﴾ تقدم تفسيره في أوائل الأنعام ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه﴾ . قيل : دخل ملأ قريش على أبي طالب يزورونه ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ ومر بالتوحيد ، ثم قال : "يا معشر قريش قولوا لا إله إلا الله تملكون بها العرب وتدين لكم العجم" فولوا ونفروا فنزلت هذه الآية. والظاهر أن الآية في حال الفارين عند وقت قراءته ومروره بتوحيد الله ، والمعنى إذا جاءت مواضع

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٥/١٩٩

التوحيد فر الكفار إنكارا له واستبشاعا لرفض آلهتهم واطراحها.
وقال الزمخشري : وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد
٤٢
وعدا وعدة و﴿وحده﴾ من باب رجع عوده على بدئه وافعله جهدك وطاقتك في أنه مصدر ساد مسد الحال ، أصله يحد وحده بمعنى واحدا انتهى. وما ذهب إليه من أن ﴿وحده﴾ مصدر ساد مسد الحال خلاف مذهب سيبويه و﴿وحده﴾ عند سيبويه ليس مصدرا بل هو اسم وضع موضع المصدر الموضوع موضع الحال ، فوحده عنده موضوع موضع إيحاد ، وإيحاد موضوع موضع موحد. وذهب يونس إلى أن ﴿وحده﴾ منصوب على الظرف ، وذهب قوم إلى أنه مصدر لا فعل له ، وقوم إلى أنه مصدر لأوحد على حذف الزيادة ، وقوم إلى أنه مصدر لوحد كما ذهب إليه الزمخشري وحجج هذه الأقوال مذكورة في كتب النحو. وإذا ذكرت ﴿وحده﴾ بعد فاعل ومفعول نحو ضربت زيدا فمذهب سيبويه أنه حال من الفاعل ، أي موحدا له بالضرب ، ومذهب المبرد أنه يجوز أن يكون حالا من المفعول فعلى مذهب سيبويه يكون التقدير ﴿وإذا ذكرت ربك﴾ موحدا له بالذكر وعلى مذهب أبي العباس يجوز أن يكون التقدير موحدا بالذكر.
جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٢
و﴿نفورا﴾ حال جمع نافر كقاعد وقعود ، أو مصدر على غير المصدر لأن معنى ﴿ولوا ﴾ نفروا ، والظاهر عود الضمير في ﴿ولوا ﴾ على الكفار المتقدم ذكرهم. وقالت فرقة : هو ضمير الشياطين لأنهم يفرون من القرآن دل على ذلك المعنى وإن لم يجر لهم ذكر. وقال أبو الحوراء أوس بن عبد الله : ليس شيء أطرد للشيطان من القلب من لا إله إلا الله ثم تلا ﴿وإذا ذكرت﴾ الآية. وقال علي بن الحسين : هو البسملة ﴿نحن أعلم بما يستمعون به﴾ أي بالاستخفاف الذي يستمعون به والهزء بك واللغو ، كان إذا قرأ صلى الله عليه وسلم قام رجلان من بني عبد الله عن يمينه ورجلان منهم عن يساره ، فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالأشعار. وبما متعلق بأعلم ، وما كان في معنى العلم والجهل وإن كان متعديا لمفعول بنفسه فإنه إذا كان في باب أفعل في التعجب ، وفي أفعل التفضيل تعدى بالباء تقول : ما أعلم زيدا بكذا وما أجهله بكذا ، وهو أعلم بكذا وأجهل بكذا بخلاف سائر الأفعال المتعدية لمفعول بنفسه ، فإنه يتعدى في أفعل في التعجب وأفعل التفضيل باللام ، تقول : ما أضرب زيدا لعمرو وزيد أضرب لعمرو من بكر. وبه قال الزمخشري في موضع الحال كما تقول : يستمعون بالهزء أي هازئين ﴿بما يستمعون﴾ نصب بأعلم أي

أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون وبما به يتناجون ، إذ هم ذوو نجوى ﴿إذ يقول﴾ بدل من ﴿إذ هم﴾ انتهى.
جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٢
." (١)

"وقرأ حمزة والكسائي وحفص وأبو بحرية والأعمش وطلحة وابن مناذر ويعقوب وأبو عبيد وابن سعدان وابن عيسى الأصبهاني وابن جبير الأنطاكي ومحمد بن جرير ﴿فله جزآء﴾ بالنصب والتنوين وانتصب ﴿جزآء﴾ على أنه مصدر في موضع الحال أي مجازي كقولك في الدار قائما زيد. وقال أبو علي قال أبو الحسن : هذا لا تكاد العرب تكلم به مقدما إلا في الشعر. وقيل : انتصب على المصدر أي يجزي ﴿جزآء﴾ . وقال الفراء : ومنصوب على التفسير والمراد بالحسنى على قراءة النصب الجنة. وقرأ باقي السبعة ﴿جزآء الحسنى ﴾ برفع ﴿جزآء﴾ مضافا إلى ﴿الحسنى ﴾ . قال أبو علي جزاء الخلال الحسنة التي أتاها وعملها أو يراد بالحسنى الحسنة والجنة هي الجزاء ، وأضاف كما قال دار الآخرة و﴿جزآء﴾ مبتدأ وله خبره.
جزء : ٦ رقم الصفحة : ١٥٦
وقرأ عبد الله بن إسحاق ﴿فله جزآء﴾ مرفوع وهو مبتدأ وخبر و﴿الحسنى ﴾ بدل من ﴿جزآء﴾ . وقرأ ابن عباس ومسروق ﴿جزآء﴾ نصب بغير تنوين ﴿الحسنى ﴾ بالإضافة ، ويخرج على حذف المبتدإ لدلالة
١٦٠
المعنى عليه ، أي ﴿فله﴾ الجزاء ﴿جزآء الحسنى ﴾ وخرجه المهدوي على حذف التنوين لالتقاء الساكنين.
وقرأ أبو جعفر ﴿يسرا﴾ بضم السين حيث وقع.
﴿ثم أتبع سببا﴾ أي طريقا إلى مقصده الذي يسر له. وقرأ الحسن وعيسى وابن محيصن ﴿مطلع﴾ بفتح اللام ، ورويت عن ابن كثير وأهل مكة وهو القياس. وقرأ الجمهور بكسرها وهو سماع في أحرف معدودة ، وقياس كسره أن يكون المضارع تطلع بكسر اللام وكان الكسائي يقول : هذه لغة ماتت في كثير من لغات العرب ، يعني ذهب من يقول من العرب تطلع بكسر اللام وبقي ﴿مطلع﴾ بكسرها في اسم المكان والزمان على ذلك القياس ، والقوم هنا الزنج. وقال قتادة هم الهنود وما وراءهم. والستر البنيان أو الثياب أو السجر والجبال أقوال ، والمعنى أنهم لا شيء لهم يسترهم من حر الشمس. وقيل : تنفذ الشمس سقوفهم

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٦/٢٩

وثيابهم فتصل إلى أجسامهم. فقيل : إذا طلعت نزلوا الماء حتى ينكسر حرها قاله الحسن وقتادة وابن جريج. وقيل : يدخلون أسرابا. وقال مجاهد : السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض. قال ابن عطية : والظاهر من اللفظ أنها عبارة بليغة عن قرب الشمس منهم ، وفعلها بقدرة الله فيهم ونيلها منهم ، ولو كانت لهم أسراب لكان سترا كثيفا انتهى. وقال بعض الرجاز :

بالزنج حر غير الأجساداحتى كسا جلودها سوادا

وذلك إنما هو من قوة حر الشمس عندهم واستمرارها. كذلك الإشارة إلى البلوغ أي كما بلغ مغرب الشمس بلغ مطلعها. وقيل ﴿أتبع سببا﴾ كما ﴿أتبع سببا﴾ . وقيل : كما وجد أولئك عند مغرب الشمس وحكم فيهم كذلك وجد هؤلاء عند مطلع الشمس وحكم فيهم. وقيل : كذلك أمرهم كما قصصنا عليكم. وقيل : ﴿تطلع﴾ طلوعها مثل غروبها. وقيل : ﴿لم نجعل لهم من دونها سترا *كذالك﴾ أي مثل أولئك الذين وجدهم في مغرب الشمس كفرة مثلهم ، وحكمهم مثل حكمهم في التعذيب لمن بقي على الكفر والإحسان لمن آمن.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ١٥٦

وقال الزمخشري : ﴿كذالك﴾ أي أمر ذي القرنين كذلك أي كما وصفناه تعظيما لأمره. وقيل ﴿لم نجعل لهم من دونها سترا﴾ مثل **ذلك الستر الذي** جعلنا لكم من الجبال والحصون والأبنية والأكنان من كل جنس ، والثياب من كل صنف. وقال ابن عطية : ﴿كذالك﴾ معناه فعل معهم كفعله مع الأولين أهل المغرب ، وأخبر بقوله ﴿كذالك﴾ ثم أخبر تعالى عن إحاطته بجميع ما لدى ذي القرنين وما تصرف فيه من أفعاله ، ويحتمل أن يكون ﴿كذالك﴾ استئناف قول ولا يكون راجعا على الطائفة الأولى فتأمله ، والأول أصوب. وإذا كان مستأنفا لا تعلق له بما قبله فيحتاج إلى تقدير يتم به كلاما.
(١) ".

"ولام ﴿لتجزى ﴾ على هذه القراءة متعلقة بأخفيها أي أظهرها ﴿لتجزى ﴾ كل نفس. وقرأ الجمهور ﴿أخفيها﴾ بضم الهمزة وهو مضارع أخفي بمعنى ستر ، والهمزة هنا للإزالة أي أزلت الخفاء وهو الظهور ، وإذا أزلت الظهور صار للستر كقولك : أعجمت الكتاب أزلت عنه العجمة. وقال أبو علي : هذا من باب السلب ومعناه ، أزيل عنها خفاءها وهو سترها ، واللام على قراءة الجمهور. قال صاحب اللوامح متعلقة بآتية كأنه قال ﴿إن الساعة ءاتية﴾ لنجزي انتهى ، ولا يتم ذلك إلا إذا قدرنا ﴿أكاد أخفيها﴾ جملة

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٦/١١٩

اعتراضية ، فإن جعلتها في موضع الصفة لآتية فلا يجوز ذلك على رأي البصريين لأن أسم الفاعل لا يعمل إذا وصف قبل أخذ معموله. وقيل : ﴿أخفيها﴾ بضم الهمزة بمعنى أظهرها فتتحد القراءتان ، وأخفى من الأضداد بمعنى الإظهار وبمعنى الستر. قال أبو عبيدة : خفيت وأخفيت بمعنى واحد وقد حكاه أبو الخطاب وهو رئيس من رؤساء اللغة لا شك في صدقه و﴿أكاد﴾ من أفعال المقاربة لكنها مجاز هنا ، ولما كانت الآية عبارة عن شدة إخفاء أمر القيامة ووقتها وكان القطع بإتيانها مع جهل الوقت أهيب على النفوس بالغ في إبهام وقتها فقال ﴿أكاد أخفيها﴾ حتى لا تظهر ألبتة ، ولكن لا بد من ظهورها. وقالت فرقة ﴿أكاد﴾ بمعنى أريد ، فالمعنى أريد إخفاءها وقاله الأخفش وابن الأنباري وأبو مسلم. قال أبو مسلم : ومن أمثالهم لا أفعل ذلك : ولا أكاد أي لا أريد أن أفعله. وقالت فرقة : خبر كاد محذوف تقديره ﴿أكاد﴾ أتى بها لقربها وصحة وقوعها كما حذف في قول صابىء البرجمي :

٢٣٢

هممت ولم أفعل وكذت وليتنيتركت على عثمان تبكي حلائله

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٢١

أي وكدت أفعل. وتم الكلام ثم استأنف الإخبار بأنه يخفيها واختاره النحاس. وقالت فرقة : معناه ﴿أكاد أخفيها﴾ من نفسي إشارة إلى شدة غموضها عن المخلوقين وهو مروي عن ابن عباس.

ولما رأى بعضهم قلق هذا القول قال معنى من نفسي : من تلقائي ومن عندي. وقالت فرقة ﴿أكاد﴾ زائدة لا دخول لها في المعنى بل الإخبار أن الساعة آتية وأن الله يخفي وقت إتيانها ، وروي هذا المعنى عن ابن جبير ، واستدلوا على زيادة كاد بقوله تعالى ﴿لم يكد يراها ﴾ وبقول الشاعر وهو زيد الخيل :

سريع إلى الهيجاء شاك سلاحهفما إن يكاد قرنه يتنفس

وبقول الآخر

وأن لا ألوم النفس مما أصابنيوأن لا أكاد بالذي نلت أنجح ولا حجة في شيء من هذا. وقال الزمخشري : ﴿أكاد أخفيها﴾ فلا أقول هي آتية لفرط إرادتي إخفاءها ، ولو لا ما في الإخبار بإتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما أخبرت به. وقيل : معناه ﴿أكاد أخفيها﴾ من نفسي ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف ، ومحذوف لا دليل عليه مطرح. والذي غزهم منه أن في مصحف أبي ﴿أكاد أخفيها﴾ من نفسي وفي بعض المصاحف ﴿أكاد أخفيها﴾ من نفسي فكيف أظهركم عليها انتهى. ورويت هذه الزيادة أيضا عن أبي ذكر ذلك ابن خالويه. وفي مصحف عبد الله ﴿أكاد أخفيها﴾ من نفسي فكيف يعلمها مخلوق. وفي

بعض القراءات وكيف أظهرها لكم وهذا محمول على ما جرت به عادة العرب من أن أحدهم إذا بالغ في كتمان الشيء قال : كذت أخفيه من نفسي ، والله تعالى لا يخفى عليه شيء قال معناه قطرب وغيره.
وقال الشاعر :
أيام تصحبني هند وأخبرهما كدت أكتمه عني من الخبر وكيف يكتم من نفسه ومن نحو هذا من المبالغة ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، والضمير في ﴿أخفيها﴾ عائد على ﴿الساعة﴾ و﴿الساعة﴾ يوم القيامة بلا خلاف ، والسعي هنا العمل. والظاهر أن الضمير في ﴿عنها﴾ و﴿بها﴾ عائد على الساعة. وقيل : على الصلاة. وقيل ﴿عنها﴾ عن الصلاة و﴿بها﴾ أي بالساعة ، وأبعد جدا من ذهب إلى أن الضمير في ﴿عنها﴾ يعود على ما تقدم من كلمة ﴿لا إله إلا أنا فاعبدنى﴾ .
جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٢١
والظاهر أن الخطاب في ﴿فلا﴾ لموسى عليه السلام ، ولا يلزم من النهي عن الشيء إمكان وقوعه ممن سبقت له العصمة ، فينبغي أن يكون لفظا وللسامع غيره ممن يمكن وقوع ذلك منه ، وأبعد من ذهب إلى أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لفظا ولأمته معنى.
وقال الزمخشري : فإن قلت : العبارة أنهى من لا يؤمن عن صد موسى ، والمقصود نهي موسى عن التكذيب بالبعث أو أمره بالتصديق ؟ قلت : فيه وجهان.
أحدهما : أن صد الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب ، فذكر السبب ليدل على المسبب.
." (١)

"سورة المؤمنون

مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٩١

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٩٢

٣٩٢

السلالة : فعالة من سللت الشيء من الشيء إذا استخرجته منه. وقال أمية :
خلق البرية من سلالة منتنوإلى السلالة كلها ستعود

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٧٠/٦

والولد سلالة أبيه كأنه انسل من ظهر أبيه. قال الشاعر :

فجاءت به عصب الأديم غضنفراسلالة فرج كان غير حصين

وهو بناء يدل على القلة كالقلامة والنحاتة. سيناء وسينون : اسمان لبقعة ، وجمهور العرب على فتح سين سيناء فالألف فيه للتأنيث كصحراء فيمتنع الصرف للتأنيث اللازم ،

٣٩٣

وكنانة تكسر السين فيمتنع الصرف للتأنيث اللازم أيضا عند الكوفيين لأنهم يثبتون أن همزة فعلاء تكون للتأنيث ، وعند البصريين يمتنع من الصرف للعلمية والعجمة أو العلمية والتأنيث ، لأن ألف فعلاء عندهم لا تكون للتأنيث بل للإلحاق كعلباء ودرحاء. قيل : وهو جبل فلسطين. وقيل : بين مصر وأيلة. الدهن : عصارة الزيتون واللوز وما أشبههما مما فيه دسم ، والدهن : بفتح الدال مسح الشيء بالدهن. هيهات : اسم فعل يفيد الاستبعاد فمعناها بعد ، وفيها لغات كثيرة ذكرناها في كتاب التكميل لشرح التسهيل ، ويأتي منها ما قرىء به إن شاء الله. الغثاء : الزبد وما ارتفع على السيل ونحو ذلك مما لا ينتفع به قاله أبو عبيد. وقال الأخفش : الغثاء والجفاء واحد ، وهو ما احتمله السيل من القذر والزبد. وقال الزجاج : البالي من ورق الشجر إذا جرى السيل خالط زبده انتهى. وتشدد ثاؤه وتخفف ، ويجمع على أغثاء شذوذا ، وروى بيت امرىء القيس : من السيل والغثاء بالتخفيف والتشديد بالجمع. تترى واحدا بعد واحد. قال الأصمعي : وبينهما مهلة. وقال غيره : المواترة التتابع بغير مهلة ، وتاؤه مبدلة من واو على غير قياس ، إذ أصله الوتر كتاء تولج وتيقور الأصل وولج وويقور لأنه من الولوج والوقار ، وجمهور العرب على عدم تنوينه فيمتنع الصرف للتأنيث اللازم وكنانة تنونه ، وينبغي أن تكون الألف فيه للإلحاق كهي في علقي المنون ، وكتبه بالياء يدل على ذلك ، ومن زعم أن التنوين فيه كصبرا ونصرا فهو مخطىء لأنه يكون وزنه فعلا ولا يحفظ فيه الإعراب في الراء ، فتقول تتر في الرفع وتتر في الجر لكن ألف الإلحاق في المصدر نادر ، ولا يلزم وجود النظير. وقيل : تترى اسم جمع كأسرى وشتى. المعين : الميم فيه زائدة ووزنه مفعول كمخيط ، وهو المشاهد جريه بالعين تقول : عانه أدركه بعينه كقولك : كبده ضرب كبده ، وأدخله الخليل في باب ع ي ن. وقيل : الميم أصلية من باب معن الشيء معانة كثر فوزنه فعيل ، وأجاز الفراء الوجهين. وقال جرير :

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٣٩٢

إن الذين غدوا بلبك غادرواوشلا بعينك ما يزال معينا

الغمرة : الجهالة زجل غمرغافل لم يجرب الأمور **وأصله الستر** ، ومنه الغمر للحقد لأنه يغطي القلب ،

والغمر للماء الكثير لأنه يغطي الأرض ، والغمرة الماء الذي يغمر القامة ، والغمرات الشدائد ورجل غامر إذا كان يلقي نفسه في المهالك ، ودخل في غمار الناس أي في زحمتهم. الجؤار : مثل الخوار جأر الثور يجأر صاح ، وجأر الرجل إلى الله تضرع بالدعاء قاله الجوهري. وقال الشاعر :

يراوح من صلوات المليك فطورا سجودا وطورا جؤارا وقيل : الجؤار الصراخ باستغاثة قال : جأر ساعات النيام لربه. السامر : مفرد بمعنى الجمع ، يقال : قوم سامر وسمر ومعناه سهر الليل مأخوذ من السمر ، وهو ما يقع على الشجر من ضوء القمر وكانوا يجلسون للحديث في ضوء القمر ، والسمير الرفيق بالليل في السهر ويقال له السمار أيضا ، ويقال لا أفعله ما أسمر ابنا سمير ، والسمير الدهر وابناه الليل والنهار.

نكب عن الطريق ونكب بالتشديد : إذا عدل عنه. اللجاج في الشيء : التمادي عليه.

﴿قد أفلح المؤمنون * الذين هم فى صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكواة فاعلون * والذين هم لفروجهم حافظون * إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين * فمن ابتغى ورآء ذالك فأوالئاك هم العادون * والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون * والذين هم على صلواتهم يحافظون * أوالئاك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون * ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا ءاخرا فتبارك الله﴾ .." (١)

"﴿ولولا فضل الله﴾ إلى آخره. قال السدي فضله منته ورحمته نعمته. وقال ابن سلام : فضله الإسلام ورحمته الكتمان. ولما بين تعالى حكم الرامي الحصنات والأزواج كان في فضله ورحمته أن جعل اللعان سبيلا إلى الستر وإلى درء الحد وجواب ﴿لولا﴾ محذوف. قال التبريزي : تقديره لهلكتم أو لفضحكم أولعاجلكم بالعقوبة أو لتبين الكاذب. وقال ابن عطية : لكشف الزناة بأيسر من هذا أو لأخذهم بعقاب من عنده ، ونحو هذا من المعاني التي يوجب تقديرها إبهام الجواب.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٤٢٥

٤٣٥

سبب نزول هذه الآيات مشهور مذكور في الصحيح ، والإفك : الكذب والأفتراء. وقيل : هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك. والعصبة : الجماعة وقد تقدم الكلام عليها في سورة يوسف عليه السلام. ﴿منكم﴾ أي من أهل ملتكم وممن ينتمي إلى الإسلام ، ومنهم منافق ومنهم مسلم ، والظاهر أن خبر ﴿ءان﴾ هو

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٦/٢٨٥

﴿عصبة منكم﴾ و﴿منكم﴾ في موضع الصفة وقاله. الحوفي وأبو البقاء. و﴿لا تحسبوه﴾ : مستأنف. وقال ابن عطية ﴿عصبة﴾ رفع على البدل من الضمر في وخبر ﴿حميم ءان﴾ في قوله و﴿لا تحسبوه﴾ التقدير أن فعل الذين وهذا أنسق في المعنى وأكثر فائدة من أن يكون ﴿عصبة﴾ خبر ﴿ءان﴾ انتهى. والعصبة : عبد الله بن أبي رأس النفاق ، وزيد بن رفاعة ، وحسان بن ثابت ، ومسطح بن أثاثة ، وحنة بنت جحش ومن ساعدهم ممن لم يرد ذكر اسمه ، و﴿تحسبوه﴾ الظاهر أنه عائد على الإفك وعلى اعراب ابن عطية ﴿لا تحسبوه﴾ الظاهر أنه عائد على الإفك ، وعلى إعراب ابن عطية. يعول على ذلك المحذوف الذي قدره اسم ﴿ءان﴾ . قيل : ويجوز أن يعود على القذف وعلى المصدر المفهوم من وعلى ما نال المسلمين من الغم ، والمعنى ﴿منكم لا تحسبوه﴾ ينزل بكم منه عار ﴿بل هو خير لكم﴾ لبراءة الساحة وثواب الصبر على ذلك الأذى وانكشاف كذب القاذفين.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٤٣٥

وقيل : الخطاب بـ تحسبوه للqاذفين وكينونة ذلك خيرا لهم حيث كان هذا الذكر عقوبة معجلة كالكفارة ، وحيث ناب بعضهم. وهذا القول ضعيف لقوله بعد : ﴿لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم﴾ أي جزاء ما اكتسب ، وذلك بقدر ما خاض فيه لأن بعضهم ضحك وبعضهم سكت وبعضهم تكلم ، و﴿اكتسب﴾ مستعمل في المآثم ونحوها لأنها تدل على اعتمال وقصد فهو أبلغ في الترتيب وكسب مستعمل في الخير لأن حصوله مغن عن الدلالة على اعتمال فيه ، وقد يستعمل كسب في الوجهين.

﴿فإن تولوا ﴾

٤٣٦

كبره المشهور أنه عبد الله بن أبي ، والعذاب العظيم عذاب يوم القيامة. وقيل : هو ما أصاب حسان من ذهاب بصره وشل يده ، وكان ذلك من عبد الله بن أبي لإمعانه في عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم وانتهازه الفرص ، وروي عنه كلام قبيح في ذلك نزهت كتابي عن ذكره وقلمي عن كتابته قبحه الله. وقيل : ﴿والذى تولى كبره﴾ جسان ، والعذاب الأليم عماه وحده وضرب صفوان له بالسيف على رأسه وقال له :

توق ذباب السيف عني فإننيغلام إذا هوجيت لست بشاعر

ولكنني أحمي حماي وأتقيمن الباهت الرامي البريء الظواهر

وأنشد حسان أبياتا يثني فيها على أم المؤمنين ويظهر براءته مما نسب إليه وهي :

حصان رزان ما تزن بريبةوتصبح غرثي من لحوم الغوافل

حليلة خير الناس دينا ومنصبانبي الهدى والمكرمات الفواضل
عقيلة حي من لؤي بن غالبكرام المساعي مجدها غير زائل
مهذبة قد طيب الله خيمها
وطهرها من كل شين وباطل
فإن كان ما بلغت عني قلتهفلا رفعت سوطي إلي أناملي
وكيف وودي ما حييت ونصرتي
بآل رسول الله زين المحافل
له رتب عال على الناس فضلهاتقاصر عنها سورة المتطاول والمشهور أنه حد حسان ومسطح وحنة. قيل : وعبد الله بن أبي وقد ذكره بعض شعراء ذلك العصر في شعر. وقيل : لم يحد مسطح. وقيل : لم يحد عبد الله. وقيل : لم يحد أحد في هذه القصة وهذا مخالف للنص. ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ وقابل ذلك بقول : إنما يقال الحد بإقرار أو بينة ، ولم يتقيد بإقامته بالإخبار كما لم يتقيد بقتل المنافقين ، وقد أخبر تعالى بكفرهم.
وقرأ الجمهور ﴿كبره﴾ بكسر الكاف. وقرأ الحسن وعمرة بنت عبد الرحمن والزهري وأبو رجاء ومجاهد وأبو البرهثيم والأعمش وحميد وابن أبي عبلة وسفيان الثوري ويزيد بن قطيب ويعقوب والزعفراني وابن مقسم وسورة عن الكسائي ومحبوب عن أبي عمرو بضم الكاف ، والكبر والكبر مصدران لكبر الشيء عظم لكن استعمال العرب الضم ليس في السن. هذا كبر القوم أي كبيرهم سنا أو مكانة. وفي الحديث في قصة حويصة ومحيصة : "الكبر الكبر". وقيل ﴿كبره﴾ بالضم معظمه ، وبالكسر البداءة بالإفك. وقيل : بالكسر الإثم.
جزء : ٦ رقم الصفحة : ٤٣٥
." (١)

"جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد ، فلا يزال يدخل علي رجل من أهلي فنزلت ﴿رقيبا * يا أيها الذين ءامنوا لا تدخلوا ﴾ الآية. فقال أبو بكر بعد نزولها : يا رسول الله أرأيت الخانات والمساكن التي ليس فيها ساكن فنزل ﴿ليس عليكم جناح﴾ الآية. ومناسبة هذه الآية لما قبلها هو أن أهل الإفك إنما

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٣١٩/٦

وجدوا السبيل إلى بهتانهم من حيث اتفقت الخلوة ، فصارت كأنها طريق للتهمة ، فأوجب الله تعالى أن لا يدخل المرء بيت غيره إلا بعد الاستئذان والسلام ، لأن في الدخول لا على هذا الوجه وقوع التهمة وفي ذلك من المضرة ما لا خفاء به. والظاهر أنه يجوز للإنسان أن يدخل بيت نفسه من غير استئذان ولا سلام لقوله ﴿غير بيوتكم﴾ ويروى أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أأستأذن على أمي ؟ قال : "نعم" قال : ليس لها خادم غيري أأستأذن عليها كلما دخلت ؟ قال : "أتحب أن تراها عريانة" قال الرجل : لا ، قال : وغيا النهي عن الدخول بالاستئناس والسلام على أهل تلك البيوت ، والظاهر أن الاستئناس هو خلاف الاستيحاش ، لأن الذي يطرق باب غيره لا يدري أيؤذن له أم لا ، فهو كالمستوحش من جفاء الحال إذا أذن له استأنس ، فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله : ﴿لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم﴾ وهذا من باب الكنايات والإرداف ، لأن هذا النوع من الاستئناس يردف الإذن فوضع موضع الإذن.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٤٤٤

وقد روي عن ابن عباس أنه قال ﴿تستأنسوا ﴾ معناه تستأذنوا ، ومن روى عن ابن عباس أن قوله ﴿تستأنسوا ﴾ خطأ أو وهم من الكاتب وأنه قرأ حتى تستأذنوا فهو طاعن في الإسلام ملحد في الدين ، وابن عباس بريء من هذا القول. و﴿تستأنسوا ﴾

٤٤٥

متمكنة في المعنى بنية الوجه في كلام العرب. وقد قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم : أستأنس يا رسول الله وعمر وأقف على باب الغرفة الحديث المشهور. وذلك يقتضي أنه طلب الأنس به صلى الله عليه وسلم. وقيل : هو من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف ، استفعال من أنس الشيء إذا أبصره ظاهرا مكشوفا ، والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا ، ومنه استأنس هل ترى أحدا واستأنست فلم أر أحدا ، أي تعرفت واستعلمت ومنه بيت النابعة :

كان رحلى وقد زال النهار بنايوم الجليل على مستأنس وحد ويجوز أن يكون من الإنس وهو أن يتعرف هل ثم إنسان. وعن أبي أيوب قال : قلنا : يا رسول الله ، ما الاستئناس ؟ قال : "يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة يتنحنح يؤذن أهل البيت والتسليم أن يقول السلام عليكم". وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم إذا دخل بيتا غير بيته : حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل ، فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف. واحد فصد الله عن ذلك وعلم الأحسن الأكمل. وذهب الطبري في ﴿تستأنسوا ﴾ إلى أنه بمعنى حتى تؤنسوا أهل البيت من أنفسكم بالتنحنح والاستئذان ونحوه وتؤنسوا أنفسكم بأن تعلموا أن قد شعر بكم.

قال ابن عطية : وتصريف الفعل يأبى أن يكون من آنس انتهى. وقال عطاء : الاستئذان واجب على كل محتلم ، والظاهر مطلق الاستئذان فيكفي فيه المرة الواحدة. وفي الحديث : "الاستئذان ثلاث" يعني كماله. "فإن أذن له وإلا فليرجع ولا يزيد على ثلاث إلا أن يحقق أن من في البيت لم يسمع". والظاهر تقديم الاستئذان على السلام. وفي حديث أبي داود : قل السلام عليكم أأدخل ؟ والواو في ﴿وتسلموا ﴾ لا تقتضي ترتيبا فشرع النداء بالسلام على الإذن لما في السلام من التفاؤل بالسلامة.
﴿ذالكم﴾ إشارة إلى المصدر المفهوم من ﴿تستأنسوا ﴾ وأي ﴿الاخرا ذالكم﴾ الاستئناس والتسليم ﴿خير لكم﴾ من تحية الجاهلية. ﴿لعلكم تذكرون﴾ أي شرعنا ذلك ونبهناكم على ما فيه مصلحتكم **من الستر وعدم** الاطلاع على ما تكرهون الإطلاع عليه ﴿لعلكم تذكرون﴾ اعتناء بمصالحكم.
جزء : ٦ رقم الصفحة : ٤٤٤
﴿فإن لم تجدوا فيهآ أحدا﴾ أي يأذن لكم فلا تقدموا على الدخول في ملك غيركم ﴿حتى يؤذن لكم﴾ إذ قد يكون لرب البيت فيه ما لا يحب أن يطلع عليه. ﴿وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا ﴾ وهذا عائد إلى من استأذن في دخول بيت غيره فلم يؤذن له سواء كان فيه من يأذن أم لم يكن ، أي لا تلحوا في طلب الإذن ولا في الوقوف على الباب منتظرين. ﴿هو أزكى ﴾ أي الرجوع أطهر لكم وأنمى خيرا لما فيه من سلامة الصدر والبعد عن الريبة. ثم أخبر أنه تعالى ﴿بما تعملون عليم﴾ أي بما تأتون وما تذرون مما خوطبتم به فيجازيكم عليه ، وفي ذلك توعد لأهل التجسس على البيوت وطلب الدخول على غيره والنظر لما لا يحل.
". (١)

"٥٠

وقوله " وبالآخرة هم يوقنون " يعني يقرون بيوم القيامة والجنة والنار والبعث والحساب والميزان واليقين على ثلاثة أوجه يقين عيان ويقين خبر ويقين دلالة فأما يقين العيان إذا رأى شيئا زال الشك عنه في ذلك الشيء وأما يقين الدلالة فهو أن يرى دخانا يرتفع من موضع يعلم باليقين أن هناك نارا وإن لم يرها وأما يقين الخبر فإن الرجل يعلم باليقين أن في الدنيا مدينة يقال لها بغداد وإن لم يكن يعاينها فها هنا يقين خبر ويقين دلالة أن الآخرة حق ولكن تصير معاينة عند الرؤية
قوله تعالى " أولئك على هدى من ربهم " يعني أهل هذه الصفة الذين سبق ذكرهم على بيان من الله تعالى يعني أكرمهم الله تعالى في الدنيا حيث هداهم وبين لهم طريقهم

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٣٢٤/٦

وقوله تعالى " وأولئك هم المفلحون " في الآخرة يعني هم الناجون يعني أن الله تعالى أكرمهم في الدنيا بالبيان وفي الآخرة بالنجاة وقد قيل الفلاح هو البقاء في النعمة وقد قيل الفلاح إذا بلغ الإنسان نهاية ما يأمل ويقال معناه قد وجدوا ما طلبوا ونجوا من شر ما هربوا منه وكل ما في القرآن " المفلحون " فتفسيره هكذا

سورة البقرة آية ٦

قوله تعالى " إن الذين كفروا " " إن " هاهنا للتأكيد وهو حرف من حروف القسم والكفر في اللغة هو الستر يقال ليلة كافرة إذا كانت شديدة الظلمة وإنما سمي الكافر كافرا لأنه يستر نعمة الله تعالى

وقوله عز وجل " سواء عليهم أأنذرتهم " قرأ أهل الكوفة وعاصم وحمزة والكسائي بهمزتين " أأنذرتهم " وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر في رواية هشام بهمزة واحدة مع المد " آنذرتهم " وتفسير القراءتين لا يختلف قال مقاتل نزلت هذه الآية في مشركي قريش منهم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو جهل وغيرهم وقال الكلبي نزلت في رؤساء اليهود منهم كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وأبو ياسر بن أخطب قال الكلبي وليس هو بأخي حيي وقال بعضهم هو أخو حيي دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم حيث سألوه عن " الم " و " المص " خرجوا من عنده فنزل قوله " إن الذين كفروا " يعني جحدوا القرآن

" سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم " يعني خوفتهم أو لم تخوفهم " لا يؤمنون " أي لا." (١)

٥٢"

وأما الإشكال الذي في المعنى أن يقال إذا ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم فمنعهم عن الهدى فكيف يستحقون العقوبة والجواب عن هذا أن يقال إن ختم الله مجازاة لكفرهم كما قال فى آية أخرى " بل طبع الله عليها بكفرهم " النساء١٥٥ لأن الله تعالى قد يسر عليهم السبيل فلو جاهدوا لوفقهم كما قال في آية أخرى " والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا " العنكبوت ٦٩ فلما لم يجاهدوا واختاروا الكفر عاقبهم الله تعالى في الدنيا بالختم على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم وفي الآخرة بالعذاب العظيم

وروي عن مجاهد أنه قال من أول سورة البقرة أربع آيات في نعت المؤمنين وآيتان في نعت الكافرين وثلاث عشرة آية في نعت المنافقين وروي عن مقاتل أنه قال آيتان من أول السورة في نعت المؤمنين المهاجرين وآيتان في نعت مؤمني أهل الكتاب وآيتان في نعت الكفار وثلاث عشرة آية في نعت المؤمنين غير

---

(١) بحر العلوم ـ ، ١/٤٩

المهاجريِن وآيتان في نعت المنافقين من قوله " ومن الناس " إلى قوله " إن الله على كل شيء قدير "
سورة البقرة آية ٨
قوله تعالى " ومن الناس من يقول آمنا بالله " قوله " من " للتبعيض فإنه أراد به بعض الناس ولم يرد به جميع الناس فكأنه قال بعض الناس يقولون آمنا بالله وقد قيل معناه ومن الناس ناس يقولون آمنا بالله يعني صدقنا بالله وصدقنا " وباليوم الآخر وبالبعث بعد الموت " وما هم بمؤمنين " يعني ليسوا بمصدقين بل هم منافقون منهم عبد الله بن أبي بن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس ومن تابعهم من المنافقين وفي هذه الآية دليل على أن القول بغير تصديق القلب لا يكون إيمانا لأن المنافقين كانوا يقولون بألسنتهم ولم يكن لهم تصديق القلب فنفى الله الإيمان عنهم فقال " وما هم بمؤمنين "
سورة البقرة آية ٩ " قوله تعالى " يخادعون الله " وأصل الخداع في اللغة الستر يقال للبيت الذي يخزن فيه المال مخدع و العرب تقول انخدعت الضب في جحرها فكان المنافقون يظهرون الإيمان ويسترون نفاقهم وكفرهم فقال " يخادعون الله والذين آمنوا " يعني يكذبون ويخالفون الله والذين آمنوا ويقال يظنون أنهم يخادعون الله والذين آمنوا لأنه قد بين في سياق الآية حيث قال " وما يخدعون إلا أنفسهم " وروى عن الأخفش أنه قال اجترؤوا على الله حتى." (١)
"٥٠٨
قوله عز وجل " قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم " يعني يكفوا أبصارهم و " من " صلة في الكلام " ويحفظوا فروجهم " عما لا يحل لهم وقال أبو العالية الرياحي كلما ذكر حفظ الفرج في القرآن أراد به الحفظ عن الزنى إلا ها هنا فإن المراد به ها هنا الستر عن النظر يعني قل للمؤمنين يغضوا أبصارهم عن عورات النساء ويحفظوا فروجهم عن أبصار الناس وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه يا علي لا تتبع النظرة النظرة فإن الأولى لك والأخرى عليك وروي عن عيسى إبن مريم أنه قال إياكم والنظرة فإنها تزرع في القلب شهوة فذلك قوله " ذلك أزكى لكم " وأطهر من الريبة يعني غض البصر والحفظ خير لكم من ترك الحفظ والنظر ثم قال " إن الله خبير بما يصنعون " يعني عالم بهم
قوله عز وجل " وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن " يعني يحفظن أبصارهن عن الحرام " ويحفظن فروجهن " عن الفواحش " ولا يبدين زينتهن " يعني لا يظهرن مواضع زينتهن " إلا ما ظهر منها " روى سعيد بن جبير عن إبن عباس أنه قال وجهها وكفيها وهكذا قال إبراهيم النخعي وروي أيضا عن عائشة رضي

(١) بحر العلوم.، ١/٥١

الله عنها أنها قالت الوجه والكفان وهكذا قال الشعبي وروى نافع عن إبن عمر أنه قال الوجه والكفان وقال مجاهد الكحل والخضاب وروى أبو صالح عن إبن عباس الكحل والخاتم وروي عن إبن عباس في رواية أخرى " إلا ما ظهر منها " يعني فوق الثياب وروى أبو إسحاق عن إبن مسعود أنه قال ثيابها وروي عن إبن مسعود رواية أخرى أنه سئل عن قوله " إلا ما ظهر منها " فتقنع عبد الله بن مسعود وغطى وجهه وأبدى عن إحدى عينيه

قوله تعالى " وليضربن بخمرهن " يعني ليرخين بخمرهن " على جيوبهن " يعني على الصدر والنحر قال إبن عباس وكن النساء قبل هذه الآية يبدين خمرهن من ورائهن كما يصنع النبط فلما نزلت هذه الآية سدلن الخمر على الصدر والنحر

ثم قال " ولا يبدين زينتهن " يعني لا يظهرن مواضع زينتهن وهو الصدر والساق والساعد والرأس لأن الصدر موضع الوشاح والساق موضع الخلخال والساعد موضع السوار والرأس موضع الإكليل فقد ذكر الزينة وأراد بها موضع الزينة " إلا لبعولتهن " يعني لأزواجهن " أو آبائهن " يعني يجوز للآباء النظر إلى مواضع زينتهن " أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن " وقد ذكر في الآية بعض ذوي الرحم المحرم فيكون فيه دليل على ما كان بمعناه لأنه لم يذكر فيها الأعمام والأخوال ولكن الآية إذا نزلت في شيء فقد نزلت فيما هو في معناه والأعمام والأخوال بمعنى الإخوة وبني الإخوة لأنه ذو رحم محرم وقد ذكر الأبناء في آية أخرى وهي قوله " لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن " [الأحزاب : ٥٥]

والنظر إلى النساء على أربع مراتب في وجه يجوز النظر إلى جميع أعضائها وهي." (١)

"٥٢٣

بالضم فمعناه هي ثلاث عورات فيكون خبرا عن الأوقات الثلاثة

وروى عكرمة أن رجلين من أهل العراق سألا إبن عباس عن قوله " ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات " فقال إبن عباس إن الله تعالى ستير **يحب الستر وكان** الناس لم يكن لهم ستور على أبوابهم ولا حجاب في بيوتهم فربما فاجأ الرجل ولده أو خادمه أو يتيم في حجره وهو مع أهله فأمرهم الله تعالى أن يستأذنوا في ثلاث ساعات التي سمى الله تعالى ثم جاء الله باليسر وبسط الرزق عليهم فاتخذوا الستور واتخذوا الحجاب فرأى الناس أن ذلك قد كفاهم من الإستذان الذي قد أمروا به وقد

---

(١) بحر العلوم ، ٢/٥٠٨

قيل إن فيه دليلا أن ذلك الحكم إذا ثبت فإذا زال المعنى زال الحكم وقال مجاهد الإستئذان هو التنحنح ثم قال " ليس عليكم ولا عليهم " أي ليس عليكم يا معشر المؤمنين ولا عليهم يعني الخدم " جناح بعدهن " يعني ما ثم بعد الساعات الثلاث " طوافون عليكم " يعني يتقلبون فيكم ليلا ونهارا يدخلون عليكم بغير إستئذان في الخدمة " بعضكم على بعض " يعني يدخل بعضكم على بعض بغير إذن "كذلك يبين الله لكم الآيات " يعني أمره ونهيه في الإستئذان " والله عليم " بصلاح الناس " حكيم " حكم بالإستئذان

قوله عز وجل " وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم " يعني الإحتلام " فليستأذنوا كما إستأذن الذين من قبلهم " يعني الكبار من ولد الرجل وأقربائه معناه فليستأذنوا في كل وقت كما إستأذن الذين من قبلكم يعني من الرجال "كذلك يبين الله لكم آياته " أي أمره ونهيه في كل وقت " والله عليم " بصلاحكم " حكيم " حكم بالإستذان

سورة النور ٦٠

قوله " والقواعد من النساء " يعني الآيسات من الحيض والقاعدة المرأة التي قعدت عن الزوج وعن الحيض والولد والجماعة قواعد " اللاتي لا يرجون نكاحا " يعني لا يحتجن إلى الزوج ولا يرغب فيهن " فليس عليهن جناح " أي مأثم " أن يضعن ثيابهن " يعني جلبابهن ويخرجن بغير جلباب " غير متبرجات بزينة " والتبرج إظهار الزينة يعني لا يؤذن بوضع الجلباب أن ترى زينتهن " وأن يستعففن " يعني يتعففن فلا يضعن الجلباب " خير لهن " من الوضع " والله سميع " لمقالتهن يعني العجوز إذا وضعت جلبابها وتبدي زينتها وتقول من يرغب في " عليم " بنيتها وبفعلها ويقال " سميع عليم " بجميع ما سبق في هذه السورة ويقال " سميع عليم " إنصرف إلى ما بعده فيما يتحرجون عن الأكل." (١)

"٤٧

السبيلا) [الأحزاب ٦٧] وقرأ نافع وابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر بالألف في حال الوصل والوقف وقرأ أبو عمرو وحمزة بغير ألف في الحالين جميعا

فمن قرأ بالألف في الحالين فلاتباع الخط لأن في مصحف الإمام وفي سائر المصاحف بالألف

ومن قرأ بغير ألف فلأن الألف غير أصلية وإنما يستعمل هذه الألف الشعراء في القوافي

وقال أبو عبيدة أحب إلي في هذه الحروف أن يتعمد الوقف عليها بالألف ليكون متبعا للمصحف واللغة

قوله عز وجل " هنالك ابتلي المؤمنون " يعني عند ذلك اختبر المؤمنون يعني أمروا بالقتال والحضور وكان

---

(١) بحر العلوم. ، ٥٢٣/٢

في ذلك اختبارا لهم " وزلزلوا زلزالا شديدا " أي حركوا تحريكا شديدا واجتهدوا اجتهادا شديدا

" وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا " وهم لم يقولوا رسول الله وإنما قالوا باسمه ولكن الله عز وجل ذكره بهذا اللفظ

قوله عز وجل " وإذ قالت طائفة منهم " يعني جماعة من المنافقين " يا أهل يثرب " يعني يا أهل المدينة وكان اسم المدينة يثرب فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة " لا مقام لكم " قرأ عاصم بضم الميم وقرأ الباقون بالنصب

فمن يقرأ بالضم فمعناه لا إقامة لكم

ومن قرأ بالنصب فهو بالمكان أي لا مكان لكم تقومون فيه والجمع المقامات

وكان أبو عبيدة يقرأ بالنصب لأنه يحتمل المقام والمكان جميعا يعني أن المنافقين قالوا خوفا ورعبا منهم لا مقام لكم عند القتال

" فارجعوا " يعني فانصرفوا إلى المدينة " ويستأذن فريق منهم النبي " وهم بنو حارثة وبنو سلمة وذلك أن بيوتهم كانت من ناحية المدينة " يقولون إن بيوتنا عورة " يعني ضائعة نخشى عليها السراق

ويقال معناه أن بيوتنا مما يلي العدو وإنا لا نأمن على أهالينا

وقال القتبي أصل العورة ما ذهب **عنه الستر والحفظ** وكان الرجال سترا وحفظا للبيوت

فقالوا " إن بيوتنا عورة " يعني خالية و العرب تقول أعور منزلك إذا سقط جداره

يقول الله تعالى " وما هي بعورة " لأن الله عز وجل يحفظها يعني وما هي بخالية " إن يريدون إلا فرارا " أي ما يريدون إلا فرارا من القتال

ثم قال " ولو دخلت عليهم من أقطارها " يعني لو دخل العسكر من نواحي المدينة " ثم سئلوا الفتنة " يعني دعوهم إلى الشرك " لأتوها " قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر " لأتوها " بالهمزة بغير مد وقرأ الباقون بالهمز والمد

فمن قرأ بالمد " لآتوها " يعني لأعطوها

ومن قرأ بغير مد معناه صاروا إليها وجاؤوها وكلاهما يرجع إلى معنى واحد يعني لو دعوا إلى الشرك لأجابوا سريعا

" وما تلبثوا بها إلا يسيرا " أي وما تحسبوا بالشرك إلا قليلا

يعني يجيبوا سريعا

ويقال لو فعلوا ذلك لم

يلبثوا بالمدينة إلا قليلا." (١)

"" صفحة رقم ١٣٥ "

جميع الجنس وان يراد به بعضه لا إلى الواحد منه لأن وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه

فإن قلت فما المراد بهذا المجموع مع اللام قلت الجملة من الأعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكليف

والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه

قال زهير

تسقي جنة سحقا

أي نخلا طوالا

والتركيب دائر على معنى الستر وكأنها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر جنه اذا ستره كانها سترة واحدة لفرط التفافها

وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان

فإن قلت الجنة مخلوقة أم لا قلت قد اختلف في ذلك والذي يقول إنها مخلوقة يستدل بسكنى آدم وحواء الجنة وبمجيئها في القرآن على نهج الأسماء الغالبة اللاحقة بالأعلام كالنبي والرسول والكتاب ونحوها

فإن قلت ما معنى جم ع الجنة وتنكيرها قلت الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان فإن قلت أما يشترط في استحقاق الثواب بالأيمان والعمل الصالح ان لا يحبطهما المكلف بالكفر والإقدام على الكبائر وان لا يندم على ما اوجده من فعل الطاعة وترك المعصية فهلا شرط ذلك قلت لما جعل الثواب مستحقا بالإيمان والعمل الصالح والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز في العقول ان الإحسان إنما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وانه لا يبقى مع وجود مفسده إحسانا واعلم بقوله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وسلم) وهو اكرم الناس عليه وأعزهم

) لئن أشركت ليحبطن عملك (الزمر ٦٥ وقال تعالى للمؤمنين

---

(١) بحر العلوم . ، ٤٧/٣

) ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم (الحجرات ٢ كان اشتراط حفظهما من الإحباط والندم كالداخل تحت الذكر

فإن قلت كيف صورة جري الأنهار من تحتها قلت كما ترى الأشجار النابتة على شواطىء الأنهار الجارية

وعن مسروق أن أنهار الجنة تجري في غير اخدود

وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت أشجاره مظللة والأنهار في خلالها مطردة

ولولا ان الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة." (١)

"" صفحة رقم ٥٢٨ "

حجوركم قلت فائدته التعليل للتحريم وانهن لاحتضانكم لهن أو لكونهن بصدد احتضانكم وفي حكم التقلب في حجوركم اذا دخلتم بامهاتهن وتمكن بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخلطة والألفة وجعل الله بينكم المودة والرحمة وكانت الحال خليقة بأن تجروا أولادهن مجرى اولادكم كانكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم

وعن على رضي الله عنه انه شرط ذلك في التحريم وبه اخذ داود

فإن قلت ما معنى

) دخلتم بهن (قلت هي كناية عن الجماع كقولهم بني عليها وضرب عليها الحجاب يعني أدخلتموهن الستر

والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند أبي حنيفة

وعن عمر رضي الله عنه أنه خلا بجارية فجردها فاستوهبها ابن له فقال إنها لا تحل لك

وعن مسروق أنه امر ان تباع جاريته بعد موته وقال اما إني لم اصب منها الا ما يحرمها على ولدي من اللمس والنظر

وعن الحسن في الرجل يملك الأمة فيغمزها لشهوة أو يقبلها أو يكشفها أنها لا تحل لولده بحال وعن عطاء وحماد بن أبي سليمان اذا نظر إلى فرج امرأة فلا ينكح امها ولا بنتها

وعن الأوزاعي اذا دخل بالأم فعراها ولمسها بيده وأغلق الباب **وأرخى الستر فلا** يحل له نكاح ابنتها

وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار ان التحريم لا يقع الا بالجماع وحده

) الذين من أصلابكم (

---

(١) تفسير الكشاف . ، ١٣٥/١

دون من تبنيتم

٢٦٧ وقد تزوج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) زينب بنت جحش الاسدية بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة

وقال عز وجل

" لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج أدعيائهم " الأحزاب ٣٧

) وأن تجمعوا (

في موضع الرفع عطف على المحرمات أي وحرم عليكم الجمع بين الأختين

والمراد حرمة النكاح لأن التحريم في الاية تحريم النكاح واما الجمع بينهما في ملك اليمين فعن عثمان وعلي رضي الله عنهما أنهما قالا أحلتهما آية وحرمتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله

) أو م ا ملكت أيمانكم (النساء ٣ فرجح على التحريم وعثمان التحليل

) إلا ما قد سلف (ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله

) إن الله كان غفورا رحيما (."[1]

"" صفحة رقم ٣٨٨ "

وجهه . أو عرفوه بتعريف الله . أو علموا أن علمه بأنهم ملائكة موجب للخوف ، لأنهم كانوا لا ينزلون إلا بعذاب) وامرأته قائمة (قيل : كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم . وقيل : كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم . وفي مصحف عبد الله : وامرأته قائمة وهو قاعد) فضحكت (بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الخبائث . أو كان ضحكها ضحك إنكار لغفلتهم وقد أظلهم العذاب . وقيل : كانت تقول لإبراهيم : اضمم لوطا ابن أخيك إليك فإني أعلم أنه ينزل بهؤلاء القوم عذاب ، فضحكت سرورا لما أتى الأمر على ما توهمت . وقيل ضحكت فحاضت . وقرأ محمد بن زياد الأعرابي (فضحكت) بفتح الحاء) إسحاق يعقوب (رفع بالابتداء ، كأنه قيل : ومن وراء إسحاق يعقوب مولود أو موجود ، أي من بعده . وقيل الوراء : ولد الولد . وعن الشعبي أنه قيل له : أهذا ابنك ؟ فقال نعم ، من الوراء ، وكان ولد ولده . وقرىء : (يعقوب) بالنصب ، كأنه قيل . ووهبنا لها إسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، على طريقة قوله : . . . . . . لي سوا مصلحين عشيرة

ولا ناعب . . . .

---

(١) تفسير الكشاف ، ١/٥٢٨

الألف في) يا ويلتا (مبدلة من ياء الإضافة ، وكذلك في (يالهفا) و (ياعجبا) وقرأ الحسن : (يا ويلتي) بالياء على الأصل . و) وهاذا بعلى شيخا (نصب بما دل عليه اسم الإشارة . وقرىء : (شيخ) على أنه خبر مبتدأ محذوف ، أي : هذا بعلي هو شيخ . أو بعلي : بدل من المبتدأ ، وشيخ : خبر ، أو يكونان معا خبرين . قيل : بشرت ولها ثمان وتسعون سنة ، ولإبراهيم مائة وعشرون سنة) إن هاذا لشىء عجيب (أن يولد ولد من هرمين ، وهو استبعاد من حيث العادة التي أجراها الله . وإنما أنكرت عليها الملائكة تعجبها ف) قالوا أتعجبين من أمر الله (لأنها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والأمور الخارقة للعادات ، فكان عليها أن تتوقر ، ولا يزدهيها م ا يزدهي النساء الناشئآت في غير بيوت النبوة ، وأن تسبح الله وتمجده مكان التعجب ، وإلى ذلك أشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم :) رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت (أرادوا أن هذه وأمثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالإنعام به يا أهل بيت النبوة ، فليست بمكان عجب . وأمر الله : قدرته وحكمته : وقوله :) رحمت الله وبركاته عليكم (كلام مستأنف علل به إنكار التعجب ، كأنه قيل : إياك." (١)

"" صفحة رقم ٤٨٤ "

أو هو من جملة الوعيد .

) ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب (

الرعد : (٦) ويستعجلونك بالسيئة قبل . . . . .

) بالسيئة قبل الحسنة (بالنقمة قبل العافية ، والإحسان إليهم بالإمهال . وذلك أنهم سألوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بإنذاره) وقد خلت من قبلهم المثلات (أي عقوبات أمثالهم من المكذبين ، فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزءوا والمثلة : العقوبة ، بوزن السمرة . والمثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة ،) وجزاء سيئة سيئة مثلها ((الشورى : ٤٠) ويقال : أمثلت الرجل من صاحبه وأقصصته منه . والمثال : القصاص . وقرىء : (المثلات) بضمتين لإتباع الفاء العين . و (المثلات) ، بفتح الميم وسكون الثاء ، كما يقال : السمرة . و (المثلات) بضم الميم وسكون الثاء ، تخفيف (المثلات) بضمتين . والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات) لذو مغفرة للناس على ظلمهم (أي مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب . ومحله الحال ، بمعنى ظالمين لأنفسهم وفيه أوجه . أن يريد السيئات

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٣٨٨/٢

المكفرة لمجتنب الكبائر . أو الكبائر بشرط التوبة . أو يريد **بالمغفرة الستر والإمهال** . وروي أنها لما نزلت قال النبي عليه الصلاة والسلام :

(٥٦١) (لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحد العيش ، ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد) .

) ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنمآ أنت منذر ولكل قوم هاد (

الرعد : (٧) ويقول الذين كفروا . . . . .

) لولا أنزل عليه ءاية من ربه (لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عنادا ، فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى ، من انقلاب العصا حية ، وإحياء الموتى ، فقيل لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) : إنما أنت رجل أرسلت منذرا ومخوفا لهم من سوء العاقبة . وناصحا كغيرك من الرسل ، وما عليك إلا الإتيان بما يصح به أنك رسول منذر ، وصحة ذلك." (١)

"" صفحة رقم ٦٩٥ "

البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك : فذلك هو المعذب في الدارين) وأما من امن وعمل (ما يقتضيه الإيمان) فله جزاء الحسنى (وقيل : خيره بين القتل والأسر ، وسماه إحسانا في مقابلة القتل) فله جزاء الحسنى (فله أن يجازي المثوبة الحسنى . أو فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة . وقرىء : (فله جزاء الحسنى) أي : فله الفعلة الحسنى جزاء . وعن قتادة : كان يطبخ من كفر في القدور ، وهو العذاب النكر . ومن آمن أعطاه وكساه) من أمرنا يسرا (أي لا نأمره بالصعب الشاق ، ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك ، وتقديره : ذا يسر ، كقوله :) قولا ميسورا ((الإسراء : ٢٨) وقرىء : (يسرا) ، بضمتين .

) ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا (

الكهف : (٨٩) ثم أتبع سببا

وقرىء : (مطلع) فتح اللام وهو مصدر . والمعنى : بلغ مكان مطلع الشمس ، كقوله : كأن مجر الرامسات ذيولها ؛

يريد : كأن آثار مجر الرامسات) على قوم (قيل : هم الزنج . والستر : الأبنية ، وعن كعب : أرضهم لا تمسك الأبنية وبها أسراب ، فإذا طلعت الشمس دخلوها . فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معايشهم ، وعن

(١) تفسير الكشاف ، ٢/٤٨٤

بعضهم : خرجت حتى جاوزت الصين ، فسألت عن هؤلاء فقيل : بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة ، فبلغتهم فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الأخرى ، ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له : جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس ؟ قال : فبينا نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ، ثم أفقت وهم يمسحونني بالدهن ، فلما طلعت الشمس على الماء إذا هي فوق الماء كهيئة الزيت ، فأدخلوها سربا لهم ، فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم . وقيل : الستر اللباس . وعن مجاهد : من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض)كذالك (أي أمر ذي القرنين كذلك ، أي كما وصفناه." (١)

"" صفحة رقم ٦٩٦ "

تعظيما لأمره) وقد أحطنا بما لديه (من الجنود والآلات وأسباب الملك) خبرا (تكثيرا لذلك . وقيل : لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والأبنية والأكنان من كل جنس ، والثياب من كل صنف . وقيل : بلغ مطلع الشمس مثل ذلك ، أي : كما بلغ مغربها . وقيل : تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم ، يعني أنهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر ، وإحسانه إلى من آمن منهم .

) ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا (

الكهف : (٩٢) ثم أتبع سببا

) بين السدين (بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين مما بينهما . قرىء : (بالضم والفتح) . وقيل : ما كان من خلق الله تعالى فهو مضموم ، وما كان من عمل العباد فهو مفتوح ؛ لأن السد بالضم فعل بمعنى مفعول ، أي : هو مما فعله الله تعالى وخلقه . والسد بالفتح : مصدر حدث يحدثه الناس . وانتصب) بين (على أنه مفعول به مبلوغ ، كما انجر على الإضافة في قوله :) هاذا فراق بينى وبينك ((الكهف : ٧٨) وكما ارتفع في قوله :) لقد تقطع بينكم ((الأنعام : ٩٤) لأنه من الظروف التي تستعمل أسماء وظروفا ، وهذا المكان في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق) من دونهما قوما (هم الترك) لا يكادون يفقهون قولا (لا يكادون يفهمونه إلا بجهد ومشقة من إشارة ونحوها كما يفهم إليك وقرىء : (يفقهون) أي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه ، لأن لغتهم غريبة مجهولة .

) قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الا رض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا

---

(١) تفسير الكشاف ، ٢/٦٩٥

وبينهم سدا (

الكهف : (٩٤) قالوا يا ذا . . . . . .

) يأجوج ومأجوج (اسمان أعجميان بدليل منع الصرف . وقرىء : (مهموزين) . وقرأ رؤبة : (آجوج وماجوج) ، وهما من ولد يافث . وقيل : يأجوج من الترك ، ومأجوج من الجيل والديلم .) مفسدون فى الارض (قيل : كانوا يأكلون الناس ، وقيل : كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئا أخضر إلا أكلوه ، ولا يابسا إلا احتملوه ، وكانوا يلقون منهم قتلا وأذى شديدا .

(٦٥١) وعن النبي (صلى الله عليه وسلم) في صفتهم : لا يموت أحد منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر." (١)

"" صفحة رقم ٥٠٦ "

نفع ؛ لأنه غني غير محتاج إلى المنافع ، فلم يبق إلا أن يكون لغرض يرجع إلى الحيوان وهو نفعه . فإن قلت : فما معنى الظاهرة والباطنة ؟ قلت : الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة ، والباطنة ما لا يعلم إلا بدليل ، أو لا يعلم أصلا ، فكم في بدن الإنسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدي إلى العلم بها ، وقد أكثروا في ذلك : فعن مجاهد : الظاهرة ظهور الإسلام والنصرة على الأعداء ، والباطنة : الأمداد من الملائكة . وعن الحسن رضي الله عنه : الظاهرة : الإسلام . **والباطنة الستر** . وعن الضحاك : الظاهرة : حسن الصورة ، وامتداد القامة . وتسوية الأعضاء . والباطنة : المعرفة . وقيل : الظاهرة البصر ، والسمع ، واللسان ، وسائر الجوارح الظاهرة . والباطنة : القلب ، والعقل ، والفهم ، وما أشبه ذلك . ويروى في دعاء موسى عليه السلام : إلهي ، دلني على أخفى نعمتك على عبادك ؛ فقال : أخفى نعمتي عليهم النفس . ويروى : أن أيسر ما يعذب به أهل النار : الأخذ بالأنفاس .

) وإذا قيل لهم اتبعوا مآ أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه ءابآءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير (

لقمان : (٢١) وإذا قيل لهم . . . . . .

معناه) أ (يتبعونهم) ولو كان الشيطان يدعوهم (أي في حال دعاء الشيطان إياهم إلى العذاب .

) ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى وإلى الله عاقبة الا مور (

لقمان : (٢٢) ومن يسلم وجهه . . . . . .

---

(١) تفسير الكشاف ، ٢/٦٩٦

قرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (ومن يسلم) بالتشديد ، يقال : أسلم أمرك وسلم أمرك إلى الله . فإن قلت : ماله عدي بإلى ، وقد عدي باللام في قوله :) بلى من أسلم وجهه لله ((البقرة : ١١٢) ؟ قلت : معناه مع اللام : أنه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله ، أي خالصا له . ومعناه مع إلى : أنه سلم إليه نفسه كما يسلم المتاع إلى الرجل إذا دفع إليه . والمراد : التوكل عليه والتفويض إليه) فقد استمسك بالعروة الوثقى (من باب التمثيل : مثلت حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاهق ، فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه) وإلى الله عاقبة الامور (أي هي صائرة إليه .

) ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور." (١)

"" صفحة رقم ٣٧٥ "

شوهد منه الستر والصلاح ، وأونست منه الأمانة في الظاهر ، فظن الفساد والخيانة به محرم ، بخلاف من اشتهره الناس يتعاطى الريب والمجاهرة بالخبائث . عن النبي (صلى الله عليه وسلم) :

(١٠٧٤) (إن الله تعالى حرم من المسلم دمه وعرضه وأن يظن به ظن السوء) وعن الحسن : كنا في زمان الظن بالناس حرام ، وأنت اليوم في زمان اعمل واسكت ، وظن بالناس ما شئت . وعنه : لا حرمة لفاجر . وعنه : إن الفاسق إذا أظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله ، وإذا استتر لم يظهر الله عليه لعله أن يتوب . وقد روي :

(١٠٧٥) من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له . والإثم : الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب . ومنه قيل لعقوبته : الأثام ، فعال منه : كالنكال والعذاب والوبال ، قال : لقد فعلت هاذي النوى بي فعلة

أصاب النوى قبل الممات أثامها

والهمزة فيه عن الواو ، كأنه يثم الأعمال : أي يكسرها بإحباطه . وقرىء : (ولا تحسسوا) بالحاء والمعنيان متقاربان . يقال : تجسس الأمر إذا تطلبه وبحث عنه : تفعل من الجس ، كما أن التلمس بمعنى التطلب من اللمس ، لما في اللمس من الطلب . وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى :) وأنا لمسنا السماء (والتحسس : التعرف من الحس ، ولتقاربهما قيل لمشاعر الإنسان : الحواس بالحاء والجيم ،

---

(١) تفسير الكشاف ، ٣/٥٠٦

والمراد النهي عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه . وعن مجاهد . خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله . وعن النبي (صلى الله عليه وسلم) ." (١)

"ﷺالقول في تأويل قوله تعالى: ﴿وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ [البقرة: ٢٨٥] يعني بذلك جل ثناؤه: وقال الكل من المؤمنين: ﴿سمعنا﴾ [البقرة: ٩٣] قول ربنا، وأمره إيانا بما أمرنا به، ونهيه عما نهانا عنه، ﴿وأطعنا﴾ [البقرة: ٢٨٥] يعني أطعنا ربنا فيما ألزمنا من فرائضه، واستعبدنا به من طاعته، وسلمنا له: وقوله: ﴿غفرانك ربنا﴾ [البقرة: ٢٨٥] يعني: وقالوا: غفرانك ربنا، بمعنى: اغفر لنا ربنا غفرانك، كما يقال: سبحانك، بمعنى نسبحك سبحانك. وقد بينا فيما مضى أن الغفران **والمغفرة: الستر من** الله على ذنوب من غفر له، وصفحه له عن هتك ستره بها في الدنيا والآخرة، وعفوه عن العقوبة عليه، وأما قوله: ﴿وإليك المصير﴾ [البقرة: ٢٨٥] فإنه يعني جل ثناؤه أنهم قالوا: وإليك يا ربنا مرجعنا ومعادنا فاغفر لنا ذنوبنا. فإن قال لنا قائل: فما الذي نصب قوله: ﴿غفرانك﴾ [البقرة: ٢٨٥] ؟ قيل له: وقوعه وهو مصدر موقع الأمر، وكذلك تفعل العرب بالمصادر." (٢)

"ربكما عن أكل ثمر هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين، أو تكونا من الخالدين ليبدي لهما ما واراه الله عنهما من عوراتهما. فغطاه بستره الذي ستره عليهما. وكان وهب بن منبه يقول **في الستر الذي** كان الله سترهما به." (٣)

"ﷺالقول في تأويل قوله تعالى: ﴿وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وامرأته﴾ [هود: ٧١] سارة بنت هاران بن ناحور بن ساروج بن -[٤٧٣]- راعو بن فالغ، وهي ابنة عم إبراهيم. ﴿قائمة﴾ [آل عمران: ١١٣] قيل: كانت قائمة من **وراء الستر تستمع** كلام الرسل، وكلام إبراهيم عليه السلام. وقيل: كانت قائمة تخدم الرسل، وإبراهيم جالس مع الرسل، وقوله: ﴿فضحكت﴾ [هود: ٧١] اختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿فضحكت﴾ [هود: ٧١] وفي السبب الذي من أجله ضحكت، فقال بعضهم: ضحكت الضحك المعروف تعجبا من أنها وزوجها إبراهيم يخدمان ضيفانهم بأنفسهما تكرمة لهم، وهم عن طعامهم ممسكون لا يأكلون ذكر من قال ذلك:." (٤)

---

(١) تفسير الكشاف . ، ٣٧٥/٤

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٥١/٥

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٠٧/١٠

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٤٧٢/١٢

"قال أبو جعفر: والذي هو أولى بتأويل الآية من القول، قول من قال: معناه: أكاد أخفيها من نفسي، لأن تأويل أهل التأويل بذلك جاء. والذي ذكر عن سعيد بن جبير من قراءة ذلك بفتح الألف قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجة التي لا يجوز خلافها فيما جاءت به نقلا مستفيضا. فإن قال قائل: ولم وجهت تأويل قوله ﴿أكاد أخفيها﴾ [طه: ١٥] بضم الألف إلى معنى: أكاد أخفيها من نفسي، دون توجيهه إلى معنى: أكاد أظهرها، وقد علمت أن للإخفاء في كلام العرب وجهين: أحدهما الإظهار، والآخر الكتمان، وأن الإظهار في هذا الموضع أشبه بمعنى الكلام، إذ كان الإخفاء من نفسه يكاد عند السامعين أن يستحيل معناه، إذ كان محالا أن يخفي أحد عن نفسه شيئا هو به عالم، والله تعالى ذكره لا يخفى عليه خافية؟ قيل: الأمر في ذلك بخلاف ما ظننت، وإنما وجهنا معنى ﴿أخفيها﴾ [طه: ١٥] بضم الألف إلى معنى: أسترها من نفسي، لأن المعروف من معنى الإخفاء في كلام العرب: الستر. يقال: قد أخفيت الشيء: إذا سترته. وأن الذين وجهوا معناه إلى الإظهار.." (١)

"ذكر من قال ذلك حدثني علي بن سهل الرملي، قال: ثنا حجاج، قال: ثنا أبو جعفر، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، في قوله: ﴿ﷺقل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم﴾ [النور: ٣٠] قال: "كل فرج ذكر حفظه في القرآن فهو من الزنا، إلا هذه: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن﴾ [النور: ٣١] فإنه **يعني الستر "**." (٢)

"حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كان النبي صلى الله عليه وسلم قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش، ابنة عمته، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يريده وعلى الباب ستر من شعر، فرفعت **الريح الستر فانكشف**، وهي في حجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم؛ فلما وقع ذلك كرهت إلى الآخر، فجاء فقال: يا رسول الله، إني أريد أن أفارق صاحبتي، قال: «ما لك، أرابك منها شيء؟» قال: لا، والله ما رابني منها شيء يا رسول الله، ولا رأيت إلا خيرا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ﷺأمسك عليك زوجك واتق الله» فذلك قول الله تعالى: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ [الأحزاب: ٣٧] تخفي في نفسك إن فارقها تزوجتها "." (٣)

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٧/١٦

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٢٥٥/١٧

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١١٦/١٩

"ذكر من قال ذلك: حدثني عمران بن موسى القزاز، قال: ثنا عبد الوارث، قال: ثنا عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك، قال: " ﷺبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش، فبعثت داعيا إلى الطعام، فدعوت، فيجيء القوم يأكلون ويخرجون ثم يجيء القوم يأكلون ويخرجون، فقلت: يا نبي الله قد دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه، قال: «ارفعوا طعامكم» ، وإن زينب لجالسة في ناحية البيت، وكانت قد أعطيت جمالا، وبقي ثلاثة نفر يتحدثون في البيت، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم منطلقا نحو حجرة عائشة، فقال: «السلام عليكم أهل البيت» فقالوا: وعليك السلام يا رسول الله، كيف وجدت أهلك؟ قال: فأتى حجر نسائه، فقالوا مثل ما قالت عائشة، فرجع النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا الثلاثة يتحدثون في البيت، وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم منطلقا نحو حجرة عائشة، فلا أدري أخبرته، أو أخبر أن الرهط قد خرجوا، فرجع حتى وضع رجله في أسكفة داخل البيت، والأخرى خارجه، إذ **أرخى الستر بيني** وبينه، وأنزلت آية الحجاب "." (١)

"حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن حميد، عن أنس، قال: «ﷺدعوت المسلمين إلى وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، صبيحة بنى بزينب بنت جحش، -[١٦٤]- فأوسعهم خبزا ولحما، ثم رجع كما كان يصنع، فأتى حجر نسائه فسلم عليهن، فدعون له، ورجع إلى بيته وأنا معه؛ فلما انتهينا إلى الباب إذا رجلان قد جرى بهما الحديث في ناحية البيت، فلما أبصرهما ولى راجعا؛ فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم ولى عن بيته، وليا مسرعين، فلا أدري أنا أخبرته، أو أخبر فرجع إلى بيته، **فأرخى الستر بيني** وبينه، ونزلت آية الحجاب»." (٢)

"مناص﴾ [ص: ٣] يقول تعالى ذكره: كثيرا أهلكنا من قبل هؤلاء المشركين من قريش الذين كذبوا رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم فيما جاءهم به من عندنا من الحق ﴿من قرن﴾ [الأنعام: ٦] يعني: من الأمم الذين كانوا قبلهم، فسلكوا سبيلهم في تكذيب رسلهم فيما أتوهم به من عند الله ﴿فنادوا﴾ [ص: ٣] يقول: فعجوا إلى ربهم وضجوا واستغاثوا بالتوبة إليه، حين نزل بهم بأس الله وعاينوا به عذابه فرارا من عقابه، وهربا من أليم عذابه ﴿ولات حين مناص﴾ [ص: ٣] يقول: وليس ذلك حين فرار ولا هرب من العذاب بالتوبة، وقد حقت كلمة العذاب عليهم، وتابوا حين لا تنفعهم التوبة، واستقالوا في غير وقت الإقالة وقوله: ﴿مناص﴾ [ص: ٣] مفعل من النوص، والنوص في كلام العرب: التأخر، والمناص: المفر؛ ومنه قول امرئ

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٦٢/١٩

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٦٣/١٩

القيس:

[البحر الطويل]

أمن ذكر سلمى إذ نأتك تنوص ... فتقصر عنها خطوة وتبوص

يقول: أو تقدم، يقال من ذلك: ناصني فلان: إذا ذهب عنك، وباصني: إذا سبقك، وناض في البلاد: إذا ذهب فيها، بالضاد وذكر الفراء أن العقيلي أنشده:

[البحر الطويل]

إذا عاش إسحاق وشيخه لم أبل ... فقيدا ولم يصعب علي مناض

ولو أشرفت من **كفة الستر عاطلا** ... لقلت غزال ما عليه خضاض

والخضاض: الحلي وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل." (١)

"فعليه من نفسه من يكذب عذره. مقاتل: ولو أدلى بعذر أو حجة لم ينفعه ذلك.

ومعنى الإلقاء: القول نظيره: فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون «١» وألقوا إلى الله يومئذ السلم «٢» . الضحاك والسدي: يعني ولو أرخى الستور وأغلق الأبواب، قال: وأهل اليمن **يسمون الستر المعذار**، وقال بعض أهل المعاني: المعاذير إحالة بعضهم على بعض.

لا تحرك به لسانك لتعجل به

وذلك

أن رسول الله (عليه السلام) كان لا يفتر من قراءة القرآن مخافة أن ينساه، وكان إذا نزل عليه جبرائيل بالقرآن لم يفرغ جبرائيل من الآية حتى يقرأ رسول الله (عليه السلام) أولها ويحرك لسانه بها في نفسه مخافة أن ينساها فأنزل الله سبحانه ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه «٣» وأنزل سنقرئك فلا تنسى «٤» وأنزل لا تحرك به

أي بالوحي لسانك

به أي تلاوته لتحفظه ولا تنساه إن علينا جمعه

في صدرك حتى تحفظه وقرآنه

وقراءته عليك حتى تعيه وقيل أراد بقوله: وقرآنه

وجمعه في صدرك وهو مصدر كالرجحان والنقصان.

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ١٢/٢٠

فإذا قرأناه

عليك فاتبع قرآنه

أي ما فيه من الأحكام ثم إن علينا بيانه بما فيه من الحدود والحلال والحرام. كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة قرأهما أهل المدينة والكوفة بالتاء وغيرهم بالياء أي يختارون الدنيا على العقبى نظيرها في سورة الإنسان إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا «٥» .

وجوه يومئذ يعني يوم القيامة ناضرة. قال ابن عباس: حسنة. قال الحسن: حسنها الله بالنظر إلى ربها. مجاهد: مسرورة. ابن زيد: ناعمة. مقاتلان: بيض يعلوها النور. السدي:

مضيئة. يمان: مسفرة. الفراء: مشرقة بالنعيم. الكسائي: بهجة. قال الفراء والأخفش: يقال نضر الله وجه فلان فلا يتنضر نضيرا فنضر وجهه ننضر نضرة ونضارة قال الله سبحانه: تعرف في وجوههم نضرة النعيم «٦»

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نضر الله امرءا سمع مقالتي فوعاها»

[٦٧] «٧» ، ونظر في هذه الآية قوله سبحانه: وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة «٨» .

إلى ربها ناظرة وأكثر الناس تنظر إلى ربها عيانا.

---

(١) سورة النحل: ٨٦.

(٢) سورة النحل: ٨٧.

(٣) سورة طه: ١١٤.

(٤) سورة الأعلى: ٦.

(٥) سورة الإنسان: ٢٧.

(٦) سورة المطففين: ٢٤. [.....]

(٧) مسند أحمد: ٤/ ٨٠.

(٨) سورة عبس: ٣٩.." (١)

"قال: ما منكم من أحد إلا سيخلو الله سبحانه وتعالى به يوم القيامة فيقول: يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٨٧/١٠

وسمعت أبا القاسم النيسابوري يقول: سمعت أبا عبد الله محمد بن عبيد الله الشامي وأبا الحسن محمد بن الحسين القاضي الجرجاني يقولان: سمعنا إبراهيم بن فاتك يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت ذا النون المصري يقول: كم من مغرور تحت الستر وهو لا يشعر.

وأنشدني الحسن بن جعفر البابي يقول: أنشدني منصور بن عبد الله الأصفهاني يقول:

أنشدنا أبو بكر بن طاهر الأبهري في هذا المعنى:

يا من غلا في الغنى والتيه ... وغره طول تماديه

أملى لك الله فبارزته ... ولم تخف غب معاصيه «١»

الذي خلقك فسواك فعدلك قرأ أهل الكوفة بتخفيف الدال أي صرفك وأمالك إلى أي صورة شاء قبيحا أو جميلا وقصيرا أو طويلا، وقرأ الباقون بالتشديد أي قومك وجعلك معتدل الخلق، وهو اختيار الفراء وأبي عبيد لقوله سبحانه: لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم «٢» .

في أي صورة ما شاء ركبك قال مجاهد: في أي شبه أب أو أم أو خال أو عم.

وأنبأني عبد الله بن حامد قال: أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن العسكري قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور قال: حدثنا مطهر بن الهيثم قال: حدثنا موسى بن علي عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. [...] «٣» :

«وما ولد لك» قال: يا رسول الله وما عسى أن يولد لي إما غلام وإما جارية. قال صلى الله عليه وسلم: «من شبه» قال: فمن شبه أمه وأباه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تقل هكذا إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضر الله كل نسب بينهم وبين آدم، أما قرأت هذه الآية في أي صورة ما شاء ركبك» قال صلى الله عليه وسلم: «إن شاء في صورة إنسان وإن شاء في صورة حمار وإن شاء في صورة قرد، وإن شاء في صورة كلب وإن شاء في صورة خنزير» [١٠٣] «٤» .

[سورة الانفطار (٨٢) : الآيات ٩ الى ١٩]

كلا بل تكذبون بالدين (٩) وإن عليكم لحافظين (١٠) كراما كاتبين (١١) يعلمون ما تفعلون (١٢) إن الأبرار لفي نعيم (١٣)

وإن الفجار لفي جحيم (١٤) يصلونها يوم الدين (١٥) وما هم عنها بغائبين (١٦) وما أدراك ما يوم الدين (١٧) ثم ما أدراك ما يوم الدين (١٨)

يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله (١٩)

(١) المصدر السابق، وفيه: غلا في العجب.

(٢) سورة التين: ٤. [.....]

(٣) بياض في المخطوط.

(٤) تفسير مجمع البيان: ١٠/ ٢٨٧.." (١)

"قال الثعلبي: ويحتمل أن لهذه الأخبار وأمثالها معنيين: أحدهما أنها كانت قبل تحريم الخمر، والمعنى الآخر وهو أقربهما إلى الصواب أنهم أرادوا بالنبيذ الماء الذي ألقي فيه التمر أو الزبيب حتى أخذ من قوته وحلاوته قبل أن يشتد ويسكر، يدل عليه ما

روي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصنع له النبيذ فيشربه يومه والغد وبعد الغد.

وروى الأعمش عن يحيى بن أبي عمرو عن ابن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم ينبذ له نبيذ الزبيب من الليل ويجعل في سقاء فيشربه يومه ذلك والغد وبعد الغد، فإذا كان من آخر الآنية سقاه أو شربه فإن أصبح منه شيء أراقه.

وعن عبد الله بن الديلمي عن أبيه فيروز قال: قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله إنا أصحاب كرم وقد أنزل الله تحريم الخمر، فماذا نصنع؟ قال: تتخذونه زبيبا، قلت: فنصنع بالزبيب ماذا؟ قال: تنقعونه على غدائكم، وتشربونه على عشائكم، وتنقعونه على عشائكم، وتشربونه على غدائكم، قلت: أفلا نؤخره حتى يشتد؟ قال: فلا تجعلوه في السلال واجعلوه في الشنان، فإنه إن تأخر صار خمرا.

وعن نافع عن ابن عمر أنه كان ينبذ له في سقاء للزبيب غدوة فيشربه من الليل، وينبذ له عشوة فيشربه غدوة، وكان يغسل الأسقية ولا يجعل فيها نرديا ولا شيئا، قال نافع: وكنا نشربه مثل العسل.

وعن بسام قال: سألت أبا جعفر عن النبيذ قال: كان علي بن الحسين ينبذ له من الليل فيشربه غدوة، وينبذ له غدوة فيشربه من الليل.

وعن عبد الله قال: سمعت سفيان- وسئل عن النبيذ- قال: أنبذ عشاء وأشربه غدوة.

فهذه الأخبار تدل على أنه نقيع الزبيب والتمر قبل أن يشتد، وبالله التوفيق.

وقال مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأبو ثور وأكثر أهل الآثار: إن الخمر كل شراب مسكر سواء كان عصير العنب ما أريد منها، مطبوخا كان أو نيا وكل شراب مسكر فهو حرام قليدھ وكثيره، وعلى شاربه

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٠/١٤٧

الحد إلا أن يتناول المطبوخ [بعد ذهاب ثلثه] فإنه لا يحد وشهادته لا ترد، والذي يدل على حجة هذا المذهب من اللغة أن الخمر أصله الستر، ويقال لكل شيء ستر شيئا من شجر أو حجر أو غيرهما خمر، وقال: وخمر فلان في خمار الناس، ومنه خمار المرأة وخمرة السجادة، والخمر سمي بذلك لأنه يستر العقل، يدل عليه ما روى الشعبي عن ابن عمر قال: خطب عمر فقال: إن الخمر نزل تحريمها، وهي من خمسة أشياء: العنب والتمر والحنطة والشعير والعسل، والخمر ما خامر العقل. وقال أنس بن مالك: سميت خمرا لأنهم كانوا يدعونها في الدنان حتى تختمر وتتغير.." (١)

"كان أبو حاتم يقول: اللام في الكذب لام كي يسمعون لكي يكذبوا عليك. واللام في قوله لام أجل من أجل قوم آخرين لم يأتوك وهم أهل خيبر يحرفون الكلم جمع الكلمة من بعد مواضعه أي من بعد وضعه مواضعه كقوله ولكن البر من اتقى. وإنما ذكر الكتابة ردا إلى اللفظ وهو الكلم.

وقرأ علي: يحرفون الكلام من بعد مواضعه

يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه أي إن أفتاكم محمد بالجلد والرجم فاقبلوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته كفره وضلالته.

قال مجاهد: دليله قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الآية.

وقال الضحاك: هلاكه، قتادة: عذابه نظيره ولم يأمرهم على من يؤمنون فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم أي بالهداية على القدرة لهم في الدنيا خزي للمنافقين الفضيحة وهتك الستر وخوف القتل، ولليهود الجزية والقتل والسبي، [...] «١» عن محمد (عليه السلام) وأصحابه وفيهم ما يكرهون ولهم في الآخرة عذاب عظيم الخلود في النار.

سماعون للكذب أكالون للسحت فيه أربع لغات: السحت بضم السين والحاء وهي قراءة أهل الحجاز والبصرة، واختار الكسائي: سحت مخففة وهي قراءة أهل الشام وعاصم وحمزة وخلف. والسحت بفتح السين وجزم الحاء وهي رواية العباس عن نافع، والسحت بضم السين وجزم الحاء وهي قراءة عبيد بن عمير وهو الحرام.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل لحم نبت من السحت فالنار أولى به»

[٧٢] وأصله ما أشد أشده، وقال الله تعالى فيسحتكم بعذاب «٢» .

قال الفرزدق:

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٤٨/٢

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع ... من المال إلا مسحتا أو مجلف «٣»
قال: من تخلف إذا استأصل الشجر سحت.
وقال الفراء: أصله كلب الجوع، فيقال: رجل سحوت المعدة إذا كان أكولا لا يلقى أبدا إلا جائعا، فكأن بالمسترشي وآكل الحرام من الشره إلى ما يعطى مثل الذي بالمسحوت المعدة من النهم. ونزلت هذه الآية في حكام اليهود، لكعب بن الأشرف وأمثاله كانوا يرتشون ويفضلون لمن رشاهم «٤» .

---

(١) كلام غير مقروء
. (٢) سورة طه: ٦١
. (٣) لسان العرب: ٢/ ٤١
. (٤) راجع تفسير القرطبي: ٦/ ١٨٣
.." (١)

"فما لبث فما أقام ومكث إبراهيم أن بمعنى حتى بإسقاط الخافض أي بأن جاء بعجل حنيذ قال ابن عباس: مشوي بالحجارة الحارة في خد من الأرض، قتادة ومجاهد:
نضج بالحجارة وشوي، ابن عطية: شوي بعضه بحجارة، أبو عبيدة: كل ما أسخنته فقد حنذته فهو حنيذ ومحنوذ وأصل يحنذ أن إذا ألقيت عليها الجلال بعضها على بعض لتعرق «١» .
فلما رأى أيديهم لا تصل إليه أي للعجل نكرهم أي: أنكرهم، ويقال: نكرت الشيء وأنكرته بمعنى واحد.
قال الأعشى:
وأنكرتني وما كان الذي نكرت ... من الحوادث إلا الشيب والصلعا «٢»
فجمع المعنيين في وقت واحد.
وأوجس منهم خيفة أضمر وأحس منهم خوفا، وقال مقاتل: وقع في قلبه، الأخفش:
خامر نفسه. الفراء: استشعر. الحسن: حدث نفسه، وأصل الوجوس الدخول، وكان الخوف دخل قلبه.
قتادة: وذلك أنهم كانوا إذا أتاهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يجئ لخير وأنه يحدث نفسه بشر.
قالوا لا تخف يا إبراهيم فإنا ملائكة الله إنا أرسلنا إلى قوم لوط قال الوالبي: لما عرف إبراهيم أنهم ملائكة

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٦٦/٤

خاف أنه وقومه المقصودون بالعذاب لأن الملائكة كانت تنزل إذ ذاك بالعذاب، نظير ما في الحجر ما ننزل الملائكة إلا بالحق أي بالعذاب، قالت الملائكة: لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط لا إلى قومك.

وامرأته سارة بنت هاران بن ناحور بن شاروع بن أرغوا بن فالغ وهي ابنة عم إبراهيم قائمة من **وراء الستر** **تسمع** كلام الملائكة وكلام إبراهيم، وقيل: كانت قائمة (......) «٣»

الرسل وإبراهيم جالس معهم فهو كلام أولي، وقرأ ابن مسعود: وامرأته قائمة وهو جالس فضحكت.

واختلفوا في العلة الجالبة للضحك، فقال السدي: لما قرب إليهم الطعام فلم يأكلوا خاف إبراهيم فظنهم لصوصا، فقال لهم: ألا تأكلون؟ فقالوا: يا إبراهيم إنا لا نأكل طعاما إلا بثمن، قال: فإن لهذا ثمنا، قالوا: وما ثمنه؟ قال: تذكرون اسم الله على أوله وتحمدون عى آخره، فنظر جبريل إلى ميكائيل وقال: حق أن يتخذك خليلا، فلما رأى إبراهيم وسارة أيديهم لا تصل

(١) في لسان العرب (٣/ ٤٨٥) : هو أن يحضره شوطا أو شوطين ثم يظاهر عليه الجلال في الشمس ليعرق تحتها، فهو محنوذ وحنيذ، وإن لم يعرق قيل: كبا.

(٢) تاج العروس: ٣/ ٥٨٤.

(٣) كلمة غير مقروءة.." (١)

"الباقون بضم الدال وتشديد الياء من غير همز، نسبوه الى الدر في صفائه وهي اختيار أبي عبيد وأبي حاتم، ثم قال أبو عبيد: وإنما اخترنا هذه القراءة لعلل ثلاث:

إحداها: ما جاء في التفسير أنه منسوب الى الدر لبياضه.

والثانية: للخبر

عن النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة ليرون أهل عليين كما ترون الكوكب الدري في أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعما!.

والثالثة: إجماع أهل الحرمين عليها.

يوقد اختلف القراء فيه أيضا فقرأ شيبة ونافع وأيوب وابن عامر وعاصم برواية حفص بياء مضمومة يعنون المصباح، وقرأ حمزة والكسائي وخلف «١» برواية أبي بكر بتاء مضمومة أرادوا الزجاجة، وقرأ بن محيص» بتاء مفتوحة وتشديد القاف ورفع الدال على معنى تتوقد الزجاجة، وقرأ الآخرون: بفتح التاء والقاف والدال

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٧٨/٥

على المضيء يعنون المصباح.
من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية.

قال عكرمة وجماعة: يعني لا يسترها من الشمس جبل ولا واد، فإذا طلعت الشمس أصابتها وإذا غربت أصابتها، فهي صاحبة للشمس طول النهار وليست شرقية وحدها حتى لا تصيبها الشمس إذا غربت، ولا هي غربية وحدها فلا تصيبها الشمس بالغداة إذا طلعت، بل تأخذ حظها من الأمرين، وإذا كان كذلك كان أجود وأضوأ لزينتها.

وقال السدى وجماعة: يعني ليست في مقنوة «٣» لا تصيبها الشمس ولا هي بارزة للشمس لا يصيبها الظل، فهي لم يضرها الشمس ولا الظل.

وقال بعضهم: هي معتدلة ليست من شرق «٤» فيلحقها الحر، ولا في غرب فيضر بها البرد وهي رواية ابن ظبيان عن ابن عباس.

وقال ابن زيد: هي شامية لأن الشام لا شرقي ولا غربي، تقول: هي شرقية وغربية وهذا كقولك: فلان لا مسافر ولا مقيم، وليس هذا بأبيض ولا أسود إذا كان له من كلا الأمرين قسط ونصيب، قال الشاعر:
بأيدي رجال لم يشيموا سيوفهم ... ولم تكثر القتلى بها حين سلت «٥»

---

(١) في النسخة الثانية زيادة: وعاصم.
(٢) في النسخة الثانية: ابن محسن.
(٣) هي المضحاة والمقناة أي الستر، لسان العرب: ١٥/ ٢٠٦.
(٤) أي ليست من شجر الشرق.
(٥) لسان العرب: ٤/ ٢٣٥.." (١)

"قرأ أهل الكوفة ثلاث بالنصب ردا على قوله ثلاث مرات ورفعه الآخرون على معنى هذه ثلاث عورات ليس عليكم ولا عليهم يعني العبيد والخدم والأطفال جناح على الدخول بغير إذن بعدهن أي بعد هذه الأوقات الثلاثة طوافون أي هم طوافون عليكم يدخلون ويخرجون ويذهبون ويجيؤون ويترددون في أحوالهم وأشغالهم بغير إذن بعضكم يطوف على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم واختلف العلماء في حكم هذه الآية، فقال قوم: هو منسوخ لا يعمل به اليوم.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٠٣/٧

أخبرنا أبو محمد الرومي قال: أخبرنا أبو العباس السراج قال: حدثنا قتيبة قال: حدثنا عبد العزيز عن عمرو عن عكرمة أن نفرا من أهل العراق قالوا لابن عباس: كيف ترى في هذه الآية؟ أمرنا فيها بما أمرنا فلا يعمل بها أحد، قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم الآية، فقال ابن عباس: إن الله رفيق حليم رؤوف رحيم، يحب الستر، وكان الناس ليست لبيوتهم ستور ولا حجال، فربما دخل الخادم والولد والرجل على أهله، فأمرهم الله سبحانه وتعالى بالاستيذان في تلك العورات فجاءهم الله بالستور والخير فلم أر أحدا يعمل بذلك. وقال آخرون: هي محكمة والعمل بها واجب.

روى سفيان عن موسى بن أبي عائشة قال: سألت الشعبي عن هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قلت: أمنسوخة هي؟ قال: لا والله ما نسخت «١» ، قلت: إن الناس لا يعملون بها؟ قال: الله المستعان.

وروى أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في هذه الآية قال: إن ناسا تقول:

نسخت، والله ما نسخت ولكنها مما يتهاون به الناس.

وإذا بلغ الأطفال منكم أي من أحراركم الحلم فليستأذنوا في جميع الأوقات في الدخول عليكم كما استأذن الذين من قبلهم يعني الأحرار الكبار.

كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم والقواعد من النساء يعني اللاتي قعدن عن الولد من الكبر فلا يحضن ولا يلدن، واحدته؛ قاعدة.

اللاتي لا يرجون نكاحا لا يطمعن في التزوج وأيسن من البعولة.

فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن عند الرجال يعني جلابيبهن والقناع الذي فوق الخمار، والرداء الذي يكون فوق الثياب، يدل على هذا التأويل قراءة أبي بن كعب: أن يضعن من ثيابهن غير متبرجات بزينة يعني من غير أن يردن بوضع الجلباب والثياب أن ترى زينتهن،

---

(١) في المخطوط: نسخ.." (١)

"حرب، عن حزم، عن عروة عن عائشة في قوله: من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر قالت: منهم طلحة بن عبيد الله ثبت مع رسول الله صلى الله عليه حتى أصيبت يده، فقال رسول الله صلى الله عليه: أوجب طلحة الجنة.

وبإسناده عن صالح عن مسلم بن خالد عن عبد الله بن أبي نجيح أن طلحة بن عبيد الله يوم أحد كان

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١١٧/٧

محتصنا للنبي (عليه السلام) في الخيل وقد بهر النبي صلى الله عليه قال: فجاء سهم عابر متوجها إلى النبي صلى الله عليه فاتقاه طلحة بيده فأصاب خنصره فقال: [حس] ثم قال:

بسم الله، فقال النبي (عليه السلام) : «لو أن بها بدأت لتخطفتك الملائكة حتى تدخلك الجنة» «١» .

وروى معاوية بن إسحاق، عن عائشة بنت طلحة، عن عائشة أم المؤمنين قالت: إني لفي بيتي ورسول الله صلى الله عليه وأصحابه في الفناء وبيني **وبينهم الستر إذ** أقبل طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سره أن ينظر إلى رجل يمشي على الأرض وقد قضى نحبه فلينظر إلى طلحة» [٩] «٢» .

وأخبرني أبو عبد الله بن فنجويه قال: أخبرني أبو محمد عبد الله بن محمد بن سليمان بن بابويه بن قهرويه قال: أخبرني أبو عبد الله أحمد بن الحسين بن عبد الجبار الصوفي، عن محمد ابن عباد الواسطي، عن مكي بن إبراهيم، عن الصلت بن دينار، عن ابن نضر، عن جابر، عن أبي عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول: «من سره أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله»

.

ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيما. ورد الله الذين كفروا من قريش وغطفان بغيظهم لم ينالوا خيرا نصرا وظفرا وكفى الله المؤمنين القتال بالملائكة والريح وكان الله قويا عزيزا.

قوله عز وجل: وأنزل الذين ظاهروهم يعني عاونوا الأحزاب من قريش وغطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل الإيمان وهم بنو قريظة، وذلك

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصبح من الليلة التي انصرف الأحزاب راجعين إلى بلادهم، وانصرف (عليه السلام) والمسلمون من الخندق راجعين إلى المدينة، ووضعوا السلاح، فلما كان الظهر أتى جبرائيل رسول الله صلى الله عليه [معتما] بعمامة من إستبرق على بغلة عليها رحالة، عليها قطيفة من ديباج، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش، وهي تغسل رأسه وقد غسلت شقة فقال: قد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال:

---

(١) الطبقات الكبرى: ٣/ ٢١٧.

(٢) مجمع الزوائد ٩/ ١٤٨.." (١)

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٢٤/٨

"قوله: يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله فطهره الله سبحانه مما قالوا وكان عند الله وجيها كريما مقبولا ذا جاه، واختلفوا فيما آذوا به موسى.

فأخبرنا محمد بن عبد الله بن حمدون قال: أخبرني أبو حامد بن الشرفي، عن محمد ويحيى بن عبد الرحمن بن بشير وأحمد بن يوسف قالوا: أخبرنا عبد الله بن حامد قال: أخبرني أبو بكر المطيري قال: أخبرني أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن يزيد المؤدب، عن عبد الرزاق، عن معمر عن همام بن منبه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه قال: «كان بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سوأة بعض، وكان موسى (عليه السلام) يغتسل وحده، فقالوا:

والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آدر «١» ، فذهب مرة يغتسل وحده فوضع ثوبه على الحجر ففر الحجر بثوبه فجمح في أثره يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر حتى نظر بنو إسرائيل إلى سوأة موسى فقالوا: والله ما بموسى من بأس، فقام الحجر من بعد ما نظروا إليه، فأخذ ثوبه وطفق بالحجر ضربا» [٢٧] «٢» .

قال أبو هريرة: إن بالحجر ندبا ستة أو سبعة أثر ضرب موسى (عليه السلام) .

وروى الحسن وابن سيرين عن أبي هريرة في هذه الآية قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «إن موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يكاد يري من جلده شيئا يستحيي منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستر هذا الستر إلا من عيب بجلده، إما برص وإما برص وإما أدرة، فأراد الله أن يبرئه مما قالوا: وإن موسى خلا يوما وحده، فوضع ثوبه على حجر ثم اغتسل، فلما فرغ من غسله أقبل على ثوبه ليأخذه بعد الحجر بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، وجعل يقول:

ثوبي حجر ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فنظروا إلى أحسن الناس خلقا وأعدلهم صورة، وإن الحجر قام فأخذ ثوبه فلبسه، فطفق بالحجر ضربا، وقال الملأ: قاتل الله أفاكي بني إسرائيل فكانت براءته التي برأه الله منها» [٢٨] «٣» .

وقال قوم: كان إيذاؤهم إياه ادعاءهم عليه قتل أخيه هارون.

أخبرني عقيل بن محمد بن أحمد الفقيه أن المعافى بن زكريا القاضي أخبره عن محمد بن جرير بن يزيد الطبري، حدثني علي بن مسلم الطوسي، عن عباد عن سفيان بن حصين، عن الحكم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن علي بن أبي طالب في قول الله تعالى: كالذين آذوا موسى ... قال: صعد موسى وهارون الجبل فمات هارون، فقال بنو إسرائيل: أنت قتلته، وكان أشد حبا لنا منك وألين لنا منك، فآذوه

بذلك، فأمر الله الملائكة فحملته حتى مروا به على

---

(١) آدر: مصدره الادرة: رجل آدر يعني عفل وهي نفخة في الخصية.

(٢) صحيح البخاري: ١/ ٧٣، وصحيح مسلم: ٧/ ٩٩.

(٣) مسند أحمد: ٢/ ٥١٥، والمصنف لابن أبي شيبة: ٧/ ٤٥٥.." [١]

"حدثنا عبد الوارث، حدثنا محمد بن حجارة، عن حميد الشامي، عن سليمان، عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: كان رسول الله إذا سافر كان آخر عهده بإنسان من أهله وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة عليها السلام.

فلما قدم من غزوة فأتاها فإذا لمح وقيل: لمح على بابها ورأى على الحسن والحسين قلبين من فضة، فرجع ولم يدخل عليها، فلما رأت ذلك فاطمة ظنت إنه لم يدخل عليها من أجل ما رأى، فهتكت الستر ونزعت القلبين من الصبيين، فقطعتهما، فبكى الصبيان، فقسمته بينهما نصفين، فانطلقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما يبكيان، فأخذه رسول الله منهما، وقال: «يا ثوبان اذهب بهذا إلى بني فلان- أهل بيت بالمدينة- واشتر لفاطمة قلادة من عصب وسوارين من عاج» قال: «فإن هؤلاء أهل بيتي ولا أحب أن يأكلوا طيباتهم في الحياة الدنيا» [٥] «١» .

أنبأني عقيل بن محمد، قال: أخبرنا المعافى بن زكري، أخبرنا محمد بن جرير، حدثنا كثير، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: حدثنا صاحب لنا، عن أبي هريرة، قال: إنما كان طعامنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسودان: الماء، والتمر، والله ما كنا نرى سمراكم هذه ولا ندري ما هي.

وبه عن قتادة، عن أبي بردة بن عبد الله بن قيس الأشعري، عن أبيه، قال: أي بني لو شهدتنا ونحن مع نبينا صلى الله عليه وسلم إذا أصابتنا السماء حسبت إن ريحنا ريح الضأن، إنما كان لباسنا الصوف.

وبه عن قتادة، قال: ذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقول: لو شئت كنت أطيبكم طعاما وألينكم لباسا، ولكني أستبقي طيباتي. وذكر لنا أنه لما قدم الشام صنع له طعام لم ير قبله مثله. قال: هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير؟! قال خالد ابن الوليد: لهم الجنة. فاغرورقت عينا عمر، وقال: لئن كان حظنا في الحطام وذهبوا فيما أرى أن بالجنة لقد باينونا بونا بعيدا.

وذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أهل الصفة، مكانا يجتمع فيه فقراء المسلمين- وهم

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٦٦/٨

يرقعون ثيابهم بالأدم ما يجدون لها رقاعا.

قال: أنتم اليوم خير أم يوم يغدو أحدكم في حلة ويروح في أخرى، ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه بأخرى، ويستر بيته كما يستر الكعبة؟ قالوا: نحن يومئذ خير.

أخبرنا الحسين بن منجويه، حدثنا محمد بن أحمد بن نصرويه، حدثنا أبو العباس أحمد ابن موسى الجوهري، حدثنا علي بن سهل الرملي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثني رزق أبو الهذيل، حدثني عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه حدثه أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هجر نساءه فوافاه على سرير رميل، يعني مرمولا مشدودا، قد أثر الحصير في جنبه، متوسد وسادة من أدم محشوة ليف.

---

(١) مسند أحمد: ٥/ ٢٧٥ الدر المنثور: ٦/ ٤٣.." (١)

"حفيظ قال ابن عباس: هو الذي حفظ ذنوبه حتى يرجع عنها. قتادة: حفيظ لما استودعه الله سبحانه من حقه ونعمته. وعن ابن عباس أيضا: الحافظ لأمر الله. الضحاك:

المحافظ على نفسه المتعهد لها. عطاء: هو الذي يذكر الله في الأرض القفر. الشعبي: هو المراقب. أبو بكر الوراق: الحافظ لأوقاته وهماته وخطواته. سهل: المحافظ على الطاعات والأوامر. من خشي في محل من وجهان من الإعراب: الخفض على نعت الأواب، والرفع على الاستئناف، وخبره في قوله ادخلوها، ومعنى الآية من خاف الرحمن بالغيب ولم يره، وقال الضحاك والسدي: يعني في الخلاء حيث لا أحد، وقال الحسن: إذا أرخى الستر وأغلق الباب.

وجاء بقلب منيب مقبل إلى طاعة الله. قال أبو بكر الوراق: علامة المنيب أن يكون عارفا لحرمته، مواليا له، متواضعا لحلاله تاركا لهوى نفسه. ادخلوها أي يقال لأهل هذه الصفة: ادخلوها بسلام بسلامة من العذاب وسلام الله وملائكته عليهم، وقيل: السلامة من زوال النعيم وحلول النقم.

ذلك يوم الخلود لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد يعني الزيادة لهم في النعم مما لم يخطر ببالهم، وقال جابر وأنس: هو النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى بلا كيف.

[سورة ق (٥٠) : الآيات ٣٦ الى ٤٥]

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٤/٩

وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص (٣٦) إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد (٣٧) ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب (٣٨) فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب (٣٩) ومن الليل فسبحه وأدبار السجود (٤٠)

واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب (٤١) يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج (٤٢) إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير (٤٣) يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير (٤٤) نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن مـن يخاف وعيد (٤٥)

وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد قال ابن عباس: أثروا.

مجاهد: ضربوا. الضحاك: طافوا. النضر بن شميل: دوحوا. الفراء: خرقوا. المؤرخ: تباعدوا. ومنه قول امرئ القيس:

لقد نقبت في الأفاق حتى ... رضيت من الغنيمة بالإياب «١»

وقرأ الحسن فنقبوا بفتح القاف مخففة. وقرأ السلمي ويحيى بن معمر بكسر القاف مشددا

---

(١) تفسير الطبري: ٢٦/ ٢٢٦.." (١)

"﴿هو أعلم بما تفيضون فيه﴾ أي: الله أعلم من كل شيء سواه بما تقولون وما تدعون علي من الكذب.

﴿كفى به شهيدا بيني وبينكم﴾ أي: كفى الله شاهدا علي وعليكم فيما تقولون وما أقول.

﴿وهو الغفور الرحيم﴾ أي: والله ذو الستر على ذنوب من تاب إليه، الرحيم بهم أن يعذبهم عليها بعد توبتهم منها /.

قال: ﴿قل ما كنت بدعا من الرسل ومآ أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾.

أي: قل يا محمد: ما كنت أول الرسل فتنكرون رسالتي، بل قد كان قبلي رسل كثير وأنا واحد منهم.

قال المبرد: البدع البديع الأول، ومنه يقال: ابتدع فلان كذا، أي: أتى بما لم يتقدمه إليه أحد قبله، ومنه بديع السماوات: أي: مبتدعهما.." (٢)

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ١٠٥/٩

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٦٨١٦/١١

"قال: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات﴾ أي: فاعلم يا محمد أنه لا معبود تصلح له العبادة إلا الله، واسئل **ربك الستر على** ذنبك وعلى ذنوب المؤمنين والمؤمنات.

ثم قال: ﴿والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾ [أي]: يعلم أعمالكم في تصرفكم وفي سكونكم لا يخفى عليه شيء.

وقيل المعنى: يعلم متصرفكم ومثواكم في الدنيا والآخرة، ومخاطبة النبي A هنا هي مخاطبة لأمته، والفاء في قوله: " فاعلم " جواب المجازات، والتقدير: قد بينا أن الله واحد، فاعلم.

قال: ﴿ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة﴾.

أي: ويقول الذين صدقوا الله ورسوله هل نزلت سورة من الله تأمرنا بجهاد أعداء الله من الكفار، فإذا أنزل الله سورة محكمة بالفرائض تأمرهم بالجهاد رأيت الذين في قلوبهم مرض، يعني المنافقين ينظرون إليك [يا محمد نظر المغشي عليه من الموت، أي: ينظرون إليك] نظرا أمثال نظر الذي غشي عليه من حلول الموت به خوفا أن تأمرهم بالجهاد مع المسلمين، وجبنا من لقاء العدو.." (١)

"والبور في اللغة: الشيء الذي لا قيمة له ولا فائدة فيه ك لا شيء ".

قال قتادة بوار: فاسدين.

قال ابن زيد البور: الذي لا خير فيه.

قال مجاهد بورا: هلكى.

أي: ومن لم يؤمن منكم أيها العرب ومن غيركم بالله ورسوله فقد كفر، وقد اعتدنا لمن كفر سعيرا من النار يسعر عليهم (في جهنم) إذا وردوها يوم القيامة.

يقال سعرت النار: إذا أوقدتها سعرا، ويقال: سعرتها أيضا إذا حركتها ومنه قولهم أنه (لمسعر حرب): أي: محركها وموقدها.

قال: ﴿ولله ملك السماوات والأرض يغفر لمن يشآء ويعذب من يشآء﴾.

أي: له سلطان ذلك، فلا أحد يقدر على رده عما يريد من تعذيبه من أراد تعذيبه ولا عن ستر من **أراد الستر عليه** وإدخاله الجنة، وهذا تنبيه وحق لهؤلاء الأعراب." (٢)

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٦٩٠٦/١١

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٦٩٤٨/١١

"قال النحاس: هو مصدر، وهو غلط منه، وهذا نهي من الله D للمؤمنين أن يأكلوا الربا بعد إسلامهم.

ومعنى ﴿أضعافا﴾ أي: تضعفون الدين إذا أخرتم الأجل، كان الذي عليه الدين يقول: أخرني، وأزيدك فإذا حان قال: أخرني وأزيدك، فيتضاعف الدين عليه.

﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ أي: تنجون. والمفلح الذي أدرك ما أمل ونجا مما خاف.

﴿وأطيعوا الله والرسول﴾ أي: أطيعوه فيما نهاكم عنه من أكل الربا، وأطيعوا الرسول أن تخالفوه كما خالفتموه يوم أحد فهذه معاتبة من الله D للذين عصوا يوم أحد، قال ابن عباس.

قوله: ﴿سارعوا إلى مغفرة﴾ الآية. معناه: بادروا بالأعمال الصالحات، أي: إلى ستر ذنوبكم من ربكم، **والمغفرة الستر** – ومنها المغفر. وسارعوا أيضا إلى جنة هذه صفتها.

ومعنى ﴿عرضها السماوات والأرض﴾.: أي عرضها كعرض السماوات السبع، والآراضين السبع إذا ضم بعضها إلى بعض. قال ابن عباس: تقرن السماوات السبع، والآرضون السبع كما تقرن الثياب بعضها إلى بعض، فذلك عرض الجنة ولا يصف أحد طولها لاتساعه، والله أعلم بذلك. وعن ابن عباس أيضا أنه قال: لو أن السماوات بسطن، ثم وصل بعضها إلى بعض ما كن في سعة خلق الله إلا بمنزلة." (١)

"وقال " أفضل أخلاق المسلمين العفو ".

﴿والله يحب المحسنين﴾ أي: يحب من عمل بهذه الصفات. وعن الحسن أنه قال: ﴿والكاظمين الغيظ﴾ عن الأرقاء ﴿والعافين عن الناس﴾ إذا ما جهلوا عليهم.

قوله: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة﴾ الآية.

هذا كله من نعت المتقين الذين أعدت لهم جنة عرضها السماوات والأرض. وروي عن جابر أنه قال: الفاحشة هنا: الزنا وكذلك (قال) السدي.

وقيل: هي كل فعل قبح [في] الشر [ع].

ومعنى ﴿أو ظلموا أنفسهم﴾: فعلوا غير الذي ينبغي.

قال النخعي: الظلم من الفاحشة والفاحشة من الظلم.

ومعنى ﴿فاستغفروا﴾ أي: استدعوا الغفران من الله D **وهو الستر على** فعلهم ﴿ومن يغفر الذنوب إلا

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٢/١١٢٦

الله﴾ أي: من يسترها على فاعلها إلا الله.

وقال عطاء بن أبي رباح: قال أصحاب النبي A: " يا نبي الله، بنو إسرائيل." (١)

"﴿وامرأته قآئمة﴾: أي: " من وراء الستر ". وفي قراءة ابن مسعود: " وامرأته قائمة، وهو قاعد.

وقيل: إنها كانت قائمة، تخدم الرسل، وإبراهيم جالس مع الرسل.

وقوله: ﴿فضحكت﴾ قيل: إنها ضحكت من أمرها أنها تخدم، وضيافها لا يمسون الطعام.

قال السدي: قال إبراهيم للرسل، صلوات الله عليهم: ألا تأكلون؟ قالوا: يا إبراهيم! إنا لا نأكل طعاما إلا بثمن. قال لهم: فإن لهذا ثمنا! قالوا: وما هو؟ قال: تذكرون اسم الله على أوله، وتحمدونه على آخره. فنظر جبريل إلى ميكائيل، عليهما السلام، فقال: حق لهذا أن يتخذه ربه خليلا. فلما لم يأكلوا، قالت سارة، امرأة إبراهيم: عجبا لأضيافنا هؤلاء، إنا لنخدمهم بأنفسنا، تكرمة لهم، وهم لا." (٢)

"وروي أنه نظر إلى يعقوب عاضا على أنامله، يقول له: يا يوسف أتزني كما زنت الحمامة، فتساقط ريشها. وكان ذلك جبريل، عليه السلام.

وقيل: إنه سمع من قومه قائلا، يقول ﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وسآء سبيلا﴾ [الإسراء: ٣٢].

وروي أنه كان لامرأة العزيز صنما تعبده في بيتها، فلما أرادته أرخت على صنمها الستر لئلا يراها.

فقال لها يوسف: أنت تستحيين من صنم، لا يسمع، [ولا يعقل]، ولا يبصر، وأنا لا أستحي من رب العالمين، الذي لا يحجبني عنه شيء فولى هاربا.

وقيل: البرهان أنه تفكر فيما أوعد الله، D، على الزنا.." (٣)

"زوج، وللرجل (١) هو زوجها، وقال تعا لي: ﴿وخلق منها زوجها﴾ [النساء: ١] [يعني المرأة، فالواحد يقال له زوج كما ذكرنا، وقد يقال للاثنين هما زوج] (٢)؛ قال لبيد (٣):

زوج عليه كلة وقرامها

ففسر الزوج بشيئين، ويدل على أن الزوج يقع على الواحد قوله تعالى: ﴿ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين نبئوني بعلم إن كنتم صادقين (١٤٣) ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين﴾ (٤) فالزوجان في قوله: ﴿من كل زوجين﴾ يراد بهما الشياع، وليس يراد

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ١١٢٩/٢

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٣٤٣٠/٥

(٣) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٣٥٤٥/٥

بذلك الناقص عن الثلاثة، قال ابن عباس (٥) في قوله: ﴿احمل فيها﴾ يريد في السفينة ﴿من كل زوجين اثنين وأهلك﴾؛ الذكر زوج والأنثى زوج، وهو قول الحسن (٦) ومجاهد (٧)

---

(١) ساقط من (ب).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ب).

(٣) من معلقته، وصدره:

من كل محفوف يظل عصيه

المحفوف: الهودج الذي ستر بالثياب، عصيه: عصى الهودج، والزوج: النمط الواحد من الثياب، والكلة من الستور: ما خيط فصار كالبيت، القرام: الغطاء، **وهو الستر المرسل** على جانب الهودج، انظر: "ديوانه" ص ٩٦، "شرح المعلقات السبع" ص ٥٣١، "اللسان" ٣/ ١٨٨٦ (زوج)، "معاني القرآن" للأخفش ١/ ٣٢٨، "تهذيب اللغة" ٢/ ١٥٧٤.

(٤) الأنعام: ١٤٣، ١٤٤، ومن هنا بدأ النقل عن "الحجة" ٤/ ٣٢٧.

(٥) البغوي ٤/ ١٧٦، "زاد المسير" ٤/ ١٠٦، الطبري ١٢/ ٤٠.

(٦) انظر: الرازي ١٧/ ٢٢٦.

(٧) الطبري ١٢/ ٤٠، وابن المنذر وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٣٠ وأبو الشيخ كما في "الدر" ٣/ ٦٠١.."

(١)

"وقوله تعالى: ﴿قائمة﴾، قيل: كانت قائمة من **وراء الستر تتسمع** إلى الرسل، وقيل: كانت قائمة تخدم الأضياف، وإبراهيم جالس معهم، ويؤكد هذا التأويل قراءة ابن مسعود (١) (وامرأته قائمة وهو قاعد فضحكت) واختلفوا في معنى الضحك هاهنا وفي سببه، فروي عن ابن عباس (٢) أنه قال: ضحكت أي: عجبت من فزع إبراهيم، وهذا قول مقاتل (٣) والكلبي (٤) قالا: ضحكت من خوف إبراهيم من ثلاثة وهو (٥) فيما بين حشمه وخدمه، فقيل لها: يا أيتها الضاحكة ستلدين غلاما، فذلك قوله: ﴿فبشرناها بإسحاق﴾، فعلى هذا القول ضحكت للتعجب (٦) ففسر ضحكت: تعجبت لما كان بسبب العجب. وروى سعيد عن قتادة (٧) قال: ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم، وحكى الفراء (٨) في هذه الآية قولين:

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤١٧/١١

أحدهما: أنها (٩) ضحكت سرورا بما زال عنها من الخوف؛ لأنها قد

---

(١) ساقط من (ب)، والقراءة ذكرها الطبري ١٢/ ٧٢، والثعلبي ٧/ ٩٤ أ، والقرطبي ٩/ ٦٦.

(٢) أخرجه إسحاق بن بشر وابن عساكر في "الدر" ٢/ ٦١٣، "زاد المسير" ٤/ ١٣٠.

(٣) "تفسير مقاتل" ١٤٧ ب، الثعلبي ٧/ ٤٩ ب، البغوي ٤/ ١٨٨، القرطبي ٩/ ٦٧، "زاد المسير" ٤/ ١٣٠.

(٤) الطبري ١٢/ ٧٢، الثعلبي ٧/ ٤٩ ب، البغوي ٤/ ١٨٩.

(٥) ساقط من (ب).

(٦) في (ب): (للتعجب).

(٧) الطبري ١٢/ ٧٢، الثعلبي ٧/ ٤٩ ب، عبد الرزاق ٢/ ٣٠٦، وابن المنذر، وابن أبي حاتم ٦/ ٢٠٥٤، وأبو الشيخ كما في "الدر" ٣/ ٦١٦، البغوي ٤/ ١٨٩، ورجح هذا القول الطبري ١٢/ ٧٤.

(٨) "معاني القرآن" ٢/ ٢٢.

(٩) في (ب): (أنه).." (١)

"وقوله تعالى: ﴿إنك لمجنون﴾ يقال: جن فلان فهو مجنون، وقد أجنه الله، وبه جنون وجنة ومجنة، وأصله من الستر، ومنه قيل للنبت الملتف مجنون؛ لأن بعضه يستر بعضا (١)، وهذا الحرف مذكور فيما سبق.

٧ - وقوله تعالى: ﴿لو ما تأتينا بالملائكة﴾ قال الفراء والزجاج: (لولا) و (لوما) لغتان معناهما: هلا (٢)، وذمنا الكلام في (لولا) قبل هذا، و (لوما) لغة فيه، ويستعملان في الخبر والاستفهام، فالخبر مثل قولك: لولا أنت لفعلت كذا، ومنه قوله: ﴿لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾ [سبأ: ٣١] والاستفهام كقوله: ﴿لولا أنزل عليه ملك﴾ [الأنعام: ٨] وكهذه الآية، هذا قول الفراء، قال: (ولوما) الميم فيه بدل من اللام في (لولا)، ومثله: استولى على الشيء، واستومى عليه (٣)، ومثله ماحكاه الأصمعي من قولهم: خالمته وخاللته، إذا صادقته، وهو خلي وخلمي (٤)، وقال عبيد:
لوما على حجرابن أم ... قطام تبكي لا علينا (٥)

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١١/٤٧٤

(١) "جمهرة اللغة" ١/ ٩٢، و (جنن) في: "لمحيط في اللغة" ٦/ ٤٠٩، "الصحاح" ٥/ ٢٠٩٣.

(٢) "معاني القرآن" للفراء ٢/ ٨٤ بنحوه، "معاني القرآن وإعرابه" ٣/ ١٧٣ بمعناه، وانظر: "معاني الحروف" للرماني ص ١٢٤.

(٣) لم أقف على مصدره، وورد في "تفسير الفخر الرازي" ١٩/ ١٥٩، "تفسير القرطبي" ١٠/ ٤.

(٤) ورد في "تهذيب اللغة" (ولي) ٤/ ٣٩٥٨ بنصه، "تفسير الفخر الرازي" ١٩/ ١٥٩، "اللسان" (ولي) ٨/ ٤٩٢٤، "الدر المصون" ٧/ ١٤٤.

(٥) ورد في: "الشعر والشعراء" ص ١٦٦، و"الأغاني" ٢٢/ ٨٨ برواية ليس فيها الشاهد، وهي:

هلا على حجر ابن أم .... قطام تبكي لا علينا." (١)

"هذا قول الجمهور (١)، وقال بعض أهل المعاني: إنما خص العنق؛ لأن عمله لا يخلو إما أن يكون خيرا يزينه أو شرا يشينه، وما يزين كالطوق والحلي، أو يشين كالغل، فإضافته إلى الأعناق (٢)، وعلى ما ذكر مجاهد (٣): ما قسم له أثبت في ورقة وعلقت من عنقه، غير أنا لا نشاهد ذلك مرئيا (٤)، والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿ونخرج له يوم القيامة كتابا﴾ قال الحسن: يا ابن آدم، بسطت لك صحيفة، ووكل بك ملكان، فهما عن يمينك وعن شمالك، فأما الذي (٥) عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك، حتى إذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة (٦)، فعلى هذا معنى: ﴿ونخرج له﴾، أي: من قبره معه، ويجوز أن يكون معنى: ﴿نخرج﴾ نظهر له ذلك؛ لأنه لم ير كتابه في الدنيا، فإذا بعث أظهر له ذلك وليبرز من الستر.

---

(١) انظر: "تفسير مقاتل" ١/ ٢١٣ أ، و"الطبري" ١٥/ ٥١، و"معاني القرآن" للنحاس ٤/ ١٣٠، و"تفسير السمرقندي" ٢/ ٢٦٢، و"الثعلبي" ٧/ ١٠٥ ب، و"الماوردي" ٣/ ٢٣٣، و"الطوسي" ٦/ ٤٥٥، و"الفخر الرازي" ٢٠/ ١٦٨.

(٢) ورد بنحوه في "تفسير الطبري" ١٥/ ٥١، و"الثعلبي" ٧/ ١٠٥ ب، و"الطوسي" ٦/ ٤٥٧، انظر: "تفسير البغوي" ٥/ ٨٢، و"الفخر الرازي" ٢٠/ ١٦٨، و"الخازن" ٣/ ١٥٩، و"أبي حيان" ٦/ ١٥.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥٤٤/١٢

(٣) تقدم قريبا.

(٤) في (ش)، (ع): (بمريا).

(٥) في جميع النسخ: (الذين)، والمثبت هو الصحيح.

(٦) أخرجه الطبري ١٥/ ٥٢ - ٥٣، بنحوه، وورد في "تفسير الثعلبي" ٧/ ١٠٥ ب، بنحوه، انظر: "تفسير الفخر الرازي" ٢٠/ ١٦٨، و"ابن كثير" ٣/ ٣٢، وأورده السيوطي في "الدر المنثور" ٤/ ٣٠٤، و"تفسير الألوسي" ١٥/ ٣٢.." (١)

"أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء) (١).

ونحو هذا قال الحسن (٢). وقال الكلبي بإسناده عمن لقيهم: (كان أحدهم يفرش أذنه ويلبس الأخرى، وقال: كانوا عراة حفاة) (٣). وعلى هذا القول لا ستر بينهم وبين الشمس مما يلبسون. وعلى القول الأول من البناء. وجمع بينهما أبو إسحاق فقال: (لم يكن لهم شيء يظلهم من سقف ولا لباس) (٤).

٩١ - قوله تعالى: ﴿كذلك﴾ اختلفوا في المشبه به، والمشار إليه فقال الزجاج: (يجوز أن يكون التقدير: وجدها تطلع على قوم، كذلك القبيل الذي كانوا عند مغرب الشمس وأن حكمهم حكم أولئك) (٥). وقال غيره: (المعنى كما بلغ مغرب الشمس فكذلك بلغ مطلعها) (٦). وقيل: (أتبع سببا،

---

(١) "جامع البيان" ١٦/ ١٤، "تفسير القرآن" للصنعاني ١/ ٣٤٧، "معالم التنزيل" ٥/ ٢٠٠، "زاد المسير" ٥/ ١٨٨.

(٢) "جامع البيان" ١٦/ ١٤، "معالم التنزيل" ٥/ ٢٠٠، "المحرر الوجيز" ٩/ ٨٣٩ - ٣٩٩، "الجامع لأحكام القرآن" ١١/ ٥٤.

(٣) "معالم التنزيل" ٥/ ٢٠١، "الكشاف" ٢/ ٤٠١، "الجامع لأحكام القرآن" ١١/ ٥٤، "تفسير القرآن العظيم" ٣/ ١٥. ولعل هذه من الروايات الإسرائيلية.

(٤) "معاني القرآن" للزجاج ٣/ ٣٠٩.

وقال ابن عطية في "تفسيره" ٩/ ٣٩٨: والظاهر من اللفظ أنها عبارة بليغة عن قرب الشمس منهم وفعلها لقدرة الله تعالى فيهم، ونيلها منهم، ولو كان لهم أراب تغني لكان سترا كثيفا، وإنما هم في قبضة القدرة

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٧٩/١٣

سواء كان لهم أسراب أو دور أو لم يكن، ألا ترى **أن الستر عندنا** نحن إنما هو من السحاب والغمام وبرد الهوى، ولو سلط الله علينا الشمس لأحرقتنا فسبحان المنفرد بالقدرة التامة.

(٥) "معاني القرآن" للزجاج ٣/ ٣٠٩.

(٦) "معالم التنزيل" ٥/ ٢٠١، "بحر العلوم" ٢/ ٣١١، "زاد المسير" ٥/ ١٨٨.." [1]

"أخفيها، والمعني: لكني أخفيها لتجزي كل نفس بما تسعى، وهذا وجه لا بأس فيه (١).

وقوله تعالى: ﴿لتجزى كل نفس﴾ قال ابن الأنباري: (من قال: أخفيها معناه: أظهرها، جعل اللام في ﴿لتجزى﴾ من صلة أخفيها، والمعنى: أظهرها للجزاء، ومن قال: أخفيها: أسترها، جعل اللام معلقة بقوله: إن الساعة آتية لتجزي كل نفس) (٢).

وبهذا قال الزجاج (٣).

وقوله تعالى: ﴿بما تسعى﴾ بما تعمل من خير وشر.

١٦ - قوله تعالى: ﴿فلا يصدنك﴾ الصد: الصرف عن الخير، يقال: صده عن الإيمان وعن الحق، ولا يقال: صده عن الشر. والمعنى لا يمنعنك ولا يصرفنك (٤).

---

(١) والقول الأول هو قول جمهور المفسرين، قال ابن جرير الطبري -رحمه الله- في "تفسيره" ١٦/ ١٥٠: (والذي هو أولى بتأويل الآية من القول قول من قال: معناه أكاد أخفيها من نفسي؛ لأن تأويل أهل التأويل بذلك جاء. وإنما وجهنا معنى أخفيها بضم الألف إلى معنى أسترها من نفسي؛ لأن المعروف من معنى الإخفاء في كلام العرب الستر، يقال: قد أخفيت الشيء إذا سترته، وأما وجه صحة القول في ذلك فهو أن الله تعالى ذكره خاطب بالقرآن العرب على ما يعرفونه من كلامهم وجرى به خطابهم بينهم، وإنما اخترنا هذا القول على غيره من الأقوال لموافقة أقوال أهل العلم من الصحابة والتابعين إذ كنا لا نستجيز الخلاف عليهم فيما استفاض القول به منهم، وجاء عنهم مجيئا يقطع العذر، والذي ذكر عن سعيد بن جبير من قراءة ذلك بفتح الألف، قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجة التي لا يجوز خلافها فيما جاءت به نقلا مستفيضا).

(٢) "الأضداد" لابن الأنباري ص ٩٦.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٣٨/١٤

(٣) "معاني القرآن" للزجاج ٣/ ٣٥٣.

(٤) انظر "تهذيب اللغة" (صد) ٢/ ١٩٨٤ "مقاييس اللغة" (صد) ٣/ ٢٨٢، =." [(١)]

"وادعى قوم النسخ في هذه الآية، واحتجوا بما روي عن عكرمة عن ابن عباس: أن ناسا من أهل العراق سألوه عن هذه الآية، فقال: إن الله رفيق رحيم بالمؤمنين **يحب الستر عليهم**، وكان الناس ليست لهم ستور ولا حجاب (١) فربما دخلت الخادم أو الولد (٢) -والرجل على أهله- فأمروا بالاستئذان في تلك العورات، فجاءهم الله بالستور والخير، فلم (٣) أر أحدا يعمل بذلك (٤) (٥).

= ٤/ ٤٠٠، والطبري ١٨/ ١٦٢ - ١٦٣ وابن أبي حاتم ٧/ ٦٣ أ، ب عن موسى بن أبي عائشة، به.

(١) عند أبي عبيد: حجال.

(٢) في (ع): (الوالد).

(٣) في (ظ): (ولم).

(٤) في (ظ): (ذلك).

(٥) رواه أبو عبيد في "الناسخ والمنسوخ" ص ٢٢١، وأبو داود في "سننه" كتاب: الأدب، باب: في الاستئذان في العورات الثلاث ١٤/ ٩٦ - ٩٧ وعندهما زيادة ذكر السؤال.

ورواه أيضا ابن أبي حاتم ٧/ ٦٣ أ، والبيهقي في "السنن الكبرى" ٧/ ٩٧ وأوله: أن رجلين سألاه -يعني ابن عباس- عن الاستئذان، فذكره بنحوه.

وقال ابن كثير في "تفسيره" ٣/ ٣٠٣: وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" ٦/ ٢١٩ بمثل لفظ ابن أبي حاتم والبيهقي وعزاه أيضا لابن المنذر وابن مردويه.

وقال أبو داود -بعد روايته عن ابن عباس-: وحديث عبد الله وعطاء يفسد -وفي بعض النسخ: يفسر- هذا الحديث.

وقال البيهقي: وحديث عبد الله بن أبي يزيد وعطاء يضعف هذه الرواية.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٤/٣٧٦

وحديث عبد الله المشار إليه رواه أبو داود في "سننه" كتاب: الأدب -باب: الاستئذان في العورات الثلاث ١٤/ ٩٥، والبيهقي في "السنن الكبرى" ٧/ ٩٧ =." (١)

"وعلى هذا الآيه من باب حذف المضاف (١). وقال أبو إسحاق: ﴿ألم تر﴾ ألم تعلم. وهذا من رؤية القلب. قال: ويجوز أن يكون من رؤية العين، ويكون المعنى: ألم تر كيف مد الظل ربك (٢). وهذا قريب مما ذكر في هذه الآية أنه مقلوب؛ على تقدير: ألم تر إلى الظل كيف مده ربك (٣). قال: والأجود أن يكون بمعنى العلم (٤).

﴿كيف مد الظل﴾ قال أبو عبيدة: الظل ما تنسخه الشمس، وهو بالغداة (٥). والكلام في معنى الظل قد تقدم (٦).

والمفسرون جميعا قالوا في معنى الظل هاهنا: إنه الظل من وقت طلوع الفجر، إلى وقت طلوع الشمس (٧).

---

(١) "تفسير السمرقندي" ٢/ ٤٦٢، وفيه: ألم تر إلى صنع ربك.

(٢) "معاني القرآن" للزجاج ٤/ ٧٠. واقتصر ابن عطية ١١/ ٤٤، على أن المراد به: رؤية القلب.

(٣) "تفسير السمرقندي" ٢/ ٤٦٢، ولم ينسبه.

(٤) "معاني القرآن" للزجاج ٤/ ٧٠.

(٥) "مجاز القرآن" لأبي عبيدة ٢/ ٧٥، بمعناه. وقال في ص ٧٦: والفيء: ما نسخ الشمس من الظل، وهو بالعشي، إذا استدارت الشمس. والغدوة: من أول النهار. "المفردات" للراغب ص ٣٥٨. وقال الراغب في ص ٣١٤: الظل أعم من الفيء، فإنه يقال: ظل الليل، وظل الجنة، ويقال لكل موضع لم تصل إليه الشمس ظل، ولا يقال الفيء إلا لما زال عنه الشمس.

(٦) قال الواحدي في تفسير قوله الله تعالى: ﴿وظللنا عليكم الغمام﴾ [البقرة: ٥٧]: الظل في اللغة، معناه: الستر، يقال: لا أزال الله عنا ظل فلان، أي: ستره، وظل الشجرة سترها، ويقال لظلمة الليل: ظل؛ لأنها تستر الأشياء، ومنه قوله تعالى. ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾ [الفرقان: ٤٥].

(٧) أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٧٠، عن الحسن، وقتادة. وذكره البخاري، تعليقا عن ابن =." (٢)

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٥٩/١٦

(٢) التفسير البسيط الواحدي ٥١٧/١٦

"من العذاب، وما علي إلا الدعوة (١)؛ وذلك أن هذا جواب لقولهم: " ﴿فأسقط علينا كسفا﴾.

١٨٩ - قوله: ﴿فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾ مضى تفسير الظلة في سورة البقرة (٢). وهاهنا سحاب (٣) أظلتهم فاجتمعوا تحتها مستجيرين (٤) بها مما نالهم من حر ذلك اليوم، ثم أطبقت عليهم، وكان من أعظم يوم في الدنيا عذابا (٥).

قال ابن عباس: بعث الله عليهم وقدة وحرا شديدا فأخذ بأنفاسهم؛ فدخلوا أجواف البيوت فأخذ بأنفاسهم، فخرجوا من البيوت هربا إلى البرية فبعث الله سحابة فأظلتهم من الشمس فوجدوا لها بردا، فنادى بعضهم بعضا حتى إذا اجتمعوا تحتها أسقطها الله عليهم نارا (٦). وهذا قول

---

(١) "تفسير الثعلبي" ٨/ ١١٦ أ.

(٢) قال الواحدي في تفسير قوله الله تعالى: ﴿وظللنا عليكم الغمام﴾ [البقرة: ٥٧] الظل في اللغة، معناه: الستر، يقال: لا أزال الله عنا ظل فلان؛ أي: ستره، وظل الشجرة سترها. ويقال لظلمة الليل: ظل؛ لأنها تستر الأشياء، ومنه قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾ [الفرقان: ٤٥].

(٣) هكذا في جميع النسخ: سحاب، وأيضا عند الزجاج في المعاني ٤/ ٩٨،ولعل الصواب: سحابة. والله أعلم. راجع النسخ للتأكد.

(٤) في (أ) غير واضحة وفي "تفسير مجاهد" ٢/ ٤٦٦: يعني: ظل العذاب الذي أتاهم.

(٥) "معاني القرآن" للزجاج ٤/ ٩٨، بنصه. ثم قال في قوله تعالى: ﴿إنه كان عذاب يوم عظيم﴾ ولو كان في غير القرآن لجاز عظيما، والجر أجود كما جاء به القرآن".

(٦) أخرجه ابن جرير ١٩/ ١١٠، وفيه: بعث الله عليهم ومدة وحرا شديدا. بدل: وقدة.

أخرجه ابن أبي حاتم ٩/ ٢٨١٤، بلفظ: وهدة. في "تهذيب اللغة" ٩/ ٢٤٩ (وقد):

يقال: وقدت النار تقد وقودا ووقدانا ووقدا وقدة. وفي "لسان العرب" ٣/ ٤٦٥: الوقد: نفس النار.." (١)

"والنساء عورة، والعورة في التفود وفي الحروب: خلل تخوف منه القتل.

قوله: ﴿إن بيوتنا عورة﴾: أي ليست بحريزة. ويقال في التذكير (١) والتأنيث والجمع عورة لمصدر (٢). قال الزجاج: يقال: عور المكان يور عورا وعورة فهو عور، وبيوت عورة، وعورة على ضربين فمن سكن كان

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٢١/١٧

المعنى: ذات عورة) (٣).

قال الفراء: يقال: أعور منزلك إذا بدت منه عورة، وأعور الفارس اذا كان فيه موضع خلل للضرب، وأنشد:

له الشدة الأولى إذا القرن (٤) أعورا (٥) ..

وقال ابن قتيبة: أصل العورة ما ذهب **عنه الستر والحفظ**، وكأن الرجال ستر وحفظ للبيوت، فإذا ذهبوا عنها أعورت البيوت، تقول العرب: أعور منزلك إذا ذهب سترها وسقط جدارها، وأعور الفارس إذا بدا فيه موضع خلل للضرب والطعن (٦).

قال مجاهد والحسن ومقاتل: قالوا: بيوتنا ضائعة (٧) نخشى عليها

---

(١) في (ب): (بالتذكير).

(٢) "تهذيب اللغة" ٣/ ١٧٣ (عار).

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" ٤/ ٢٢٠ مع اختلاف يسير.

(٤) في (ب): (القرآن)، وهو خطأ.

(٥) "معاني القرآن" ٢/ ٣٣٧.

وهذا شطر بيت لم أهتد إلى تمامه وقائله. قال الفراء: أنشدني أبو ثروان، وفي "تهذيب اللغة" ٣/ ١٧٢، و"اللسان" ٤/ ٦١٧ (عور) وقال: إنه في وصف أسد.

(٦) "تفسير غريب القرآن" ص ٣٤٨.

(٧) طمس في (ب).." (١)

"اختيار ولا استحسان مع قضاء الله ورسوله، وليس إلا الاقتداء والتسليم.

قال أبو علي: وهذه الآية تدل على أن (ما) في قوله: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة﴾ [القصص: ٦٨] (ما) فيها نفي، وليست بموصولة، ألا ترى أنه نفى الاختيار على العباد في هذه الآية، كذلك في تلك (١).

قال مقاتل: فلما زوجها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- زيدا مكثت عنده حينا، ثم إن النبي -صلى الله عليه وسلم- أتى زيدا فأبصر زينب قائمة، وكانت بيضاء جميلة من أتم نساء قريش، فهواها النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: "سبحان الله مقلب القلوب". ففطن زيد فقال: يا رسول الله ائذن لي في طلاقها،

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٨/١٩٧

فإن فيها كبرا يعظم علي، وتؤذيني بلسانها، فقال له النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أمسك عليك زوجك واتق الله" (٢).

وقال ابن عباس: إن زيدا حين تزوج زينب أقامت عنده ما شاء الله أن تقيم، فأتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلى منزل زيد يطلبه، فبعث الله ريحا حتى **رفعت الستر وزينب** منفصلة على منزلها، فرأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- زينب فوقعت في نفس النبي -صلى الله عليه وسلم-، فأتى زيد فأخبرته، فوقع في نفس زيد أن يطلقها، وأقام زيد لا ينشر عليها من يومئذ، وكان زيد يرى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيقول: إني أريد أن أطلق زينب. والنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: "أمسك عليك زوجك واتق الله". (٣)

وقال مقاتل بن حيان: قالت زينب لما نزل قوله: ﴿وما كان لمؤمن﴾ الآية: أمري بيدك يا رسول الله، فأنكحها رسول الله زيدا ودخل بها، فلم تمكث إلا يسيرا حتى شكى إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- ما يلقى منها، وكانت امرأة لسنة،

---

(١) "الحجة" ٥/ ٤٧٦.

(٢) انظر: "تفسير مقاتل" ٩٢ ب.

(٣) انظر: "تفسير الثعلبي" ٣/ ٢٠٠ ب، "تفسير السمرقندي" ٣/ ٥١، "تفسير البغوي" ٣/ ٥٣٠.." (١)

"وقال المبرد: العرب تشبه المرأة الناعمة في ضيائها وحسنها وصفوة النعمة عليها ببيضة.

قال الراعي:

كأن بيض نعام في ملاحفها ... إذا اجتلاهن قيظ ليلة ومد (١)

وقال ابن الرقيات:

واوضح لونها كبيضة ادحى ... لها في النساء خلق عميم

وقال أبو داود (٢):

ممكورة تجلوا الظلام ركلة ... ريا العظام كبيضة النغص (٣)

وقال آخر (٤):

وهتكت بني الليل عن ... بيض السوالف والصفاح

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٥٠/١٨

فكأنما ضحكت سجو ... ف الربط عن بيض الأداحي

---

(١) البيت من "البسيط"، وهو للراعي في "ديوانه" ص ٥٥، "تهذيب اللغة" ١٤/ ٢١٨، "اللسان" ٣/ ٤٧٠، "الكامل" ٢/ ٧٦٧.

والملاحف هي الأغطية. والوقد هو ندى يجيء في صميم الحر من قبل البحر مع سكون الريح. وقيل هو الحر أيا كان مع سكون الريح. انظر: "الكامل" ٢/ ٧٦٧.

(٢) أبو داود لم أستطع تحديده وهناك أكثر من شاعر يكنى أبا داود:

أ- أبو داود الإيادي، وهو جويرية بن الحجاج وقيل جارية- تقدمت ترجمته.

ب - أبو داود الرواس زيد بن معاوية بن عمرو بن قيس بن رواس بن كلاب شاعر فارس. انظر: "المؤتلف والمختلف" ص ١١٦.

أما البيت فلم أقف عليه.

(٣) علق في هامش كلا النسختين: (والنفص: النعام).

(٤) نسب البيتين لعبد الصمد بن المعذل، ورواية الصدر في الأول:

وهتكن بني الليل عني

والسوالف أعلى العنق. والشجف هو الستر ولا يسمى سجفا إلا أن يكون مشقوق الوسط. "اللسان" ٩/ ١٤٤ (سجف)، "اللسان" ٩/ ١٥٩ (سلف).." [1]

"فجعل رجوعهم بعد الموت إلى المحشر رجوعا إليه (١).

وقال بعض أهل العلم: معنى الرجوع هاهنا العود (٢) إلى الحال الأولى، فمعنى: ﴿وأنهم إليه راجعون﴾ أنهم يرجعون إلى أن لا يكون لهم مالك سواه، يملك نفعهم وضرهم كما كانوا في بدء (٣) الخلق، لأنهم في أيام حياتهم قد يملك غيرهم الحكم عليهم (٤).

٤٧ - قوله تعالى: ﴿وأني فضلتكم على العالمين﴾. (التفضيل) نقيض التسوية، يقال: فضله إذا أعطاه الزيادة، وفضله إذا حكم له بالزيادة في الفضل. و (التفضل) لبس المفضل من الثوب، وهو ما يتخفف به الإنسان في بيته، ورجل فضل متفضل (٥)، ومنه:

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥١/١٩

...... إلا لبسة المتفضل (٦)

---

(١) أخرج ابن جرير عن أبي العالية: قال: (يستيقنون أنهم يرجعون إليه يوم القيامة) قال ابن جرير: (وقال آخرون: أنهم إليه يرجعون بموتهم) ١/ ٢٦٤، وانظر: "تفسير ابن عطية" ١/ ٢٨٠، و"القرطبي" ١/ ٣٢١.

(٢) في (ب): (إلى العود).

(٣) في (ب): (بدو) وقد وردت هكذا في "لباب التفسير" للكرماني ١/ ٢٢٨.

(٤) انظر: "تفسير الرازي" ٣/ ٥١، "لباب التفسير" للكرماني ١/ ٢٢٨، "البحر" ١/ ١٨٧.

(٥) انظر: "تهذيب اللغة" (فضل) ٣/ ٢٨٠١، "الصحاح" (فضل) / ١٧٩١، "اللسان" (فضل) ٦/ ٣٤٢٩ - ٣٤٣٠، "مفردات الراغب" ٣١٨.

(٦) جزء من بيت لامرئ القيس يقول:

فجئت وقد نضت لنوم ثيابها ... لدى الستر إلا لبسة المتفضل

(نضت): نزعت، (المتفضل): اللابس ثوبا واحدا.

البيت في "تهذيب اللغة" (نضا) ٤/ ٣٥٨٩، "اللسان" (نضا) ٧/ ٤٤٥٧، "أوضح المسالك" ص ١٠٥،"شرح شذور الذهب" ص ٢٨٦، "الهمع" ٣/ ١٢٣، ٤/ ٩٤، "الخزانة" ١٠/ ١٣٠، "ديوان امرئ القيس" ص ١١٤.." (١)

"وقوله تعالى: ﴿لعلكم تشكرون﴾ أي نعمة البعث (١)، وقيل: تأويله: لعلكم تؤمنون؛ لأن الشكر من فعل المؤمنين وصفاتهم، وأظهر الآيات الموجبة للإيمان بعثهم بعد موتهم.

٥٧ - قوله تعالى: ﴿وظللنا عليكم الغمام﴾ الآية. معناه: سترناكم عن الشمس بالغمام (٢). والظل (٣) في اللغة، معناه الستر، يقال: لا أزال الله عنا ظل (٤) فلان، أي: ستره، وظل الشجرة: سترها، ويقال لظلمة (٥) الليل: ظل (٦)، لأنها تستر الأشياء (٧). ومنه قوله (٨): ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾ [الفرقان: ٤٥]. قال ذوالرمة:

قد أعسف النازح المجهول (٩) معسفه ... في ظل أخضر يدعو هامه البوم (١٠)

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢/٤٦٦

(١) أي: البعث بعد موتهم بالصاعقة. انظر "تفسير الطبري" ١/ ٢٩١، "معاني القرآن" للزجاج ١/ ١٠٩، "تفسير أبي الليث" ١/ ٣٥٧، "الكشاف" ١/ ٢٨٣، "تفسير القرطبي" ١/ ٣٤٥، و"تفسير البيضاوي" ١/ ٢٦، و"تفسير النسفي" ١/ ١٢٨، "البحر المحيط" ١/ ٢١٣.

(٢) انظر "تفسير أبي الليث" ١/ ٣٥٧، "تفسير الثعلبي" ١/ ٧٤ ب، و"تفسير البغوي" ١/ ٧٥، "تفسير القرطبي" ١/ ٣٤٦.

(٣) في (ب): (الظلل).

(٤) في (ب): (ظلل).

(٥) في (ب): (الظلمة).

(٦) في (ج): (سترطل).

(٧) انظر "تهذيب اللغة" (ظل) ٣/ ٢٢٤٦، "الصحاح" (ظل) ٥/ ١٧٥٥، "مقاييس اللغة" (ظل) ١٣/ ٤٦١.

(٨) (قوله) ساقط من (ب).

(٩) في (ب): (المعسوف).

(١٠) ورد في "مفردات الراغب": (المجهود) بدل (المجهول)، وفي "الديوان" وبعض =." [١]

"كما ذمهم بتبديل الكلمة لما قالوا خلاف ما أمروا به (١). والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿نغفر (٢) لكم خطاياكم﴾ أصل **الغفر: الستر والتغطية**، وغفر الله ذنوبه، أي: سترها، كل شيء سترته قد غفرته. والمغفر يكون تحت بيضة الحديد يغفر الرأس (٣). قال ابن شميل: هي حلق تجعل أسفل البيضة تسبغ على العنق فتقيه، وربما جعل من ديباج وخز أسفل البيضة.

الأصمعي: غفر الرجل متاعه يغفر غفرا: إذا أوعاه. ويقال: اصبغ ثوبك فإنه أغفر للوسخ أي: أغطى له (٤). والغفارة: خرقة تستر رأس المرأة تقي بها الخمار من الدهن (٥)، وكل ثوب يغطى به شيء فهو غفارة، ومنه غفارة البزيون (٦) يغشى بها الرحال (٧).

---

(١) قول الحسين لم أجده فيما اطلعت عليه، والله أعلم. والحديث الصحيح، والآثار ترد قوله، ففي البخاري عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "قيل: لبني إسرائيل: (ادخلوا

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢/٥٤٤

الب اب سجدا وقولوا حطة) فدخلوا يزحفون على استاههم، فبدلوا"، وقالوا: حطة حبة في شعرة. "الفتح" ٨/ ١٦٤، وكذا الآثار عن ابن عباس ومجاهد في هذا المعنى كلها ترد قول الحسين بن الفضل. انظر "تفسير الطبري" ١/ ٣٠١.

(٢) بالياء على قراءة نافع، انظر: "السبعة" ص ١٥٧.

(٣) "تهذيب اللغة" (غفر) ٣/ ٢٦٧٩، وانظر: "تفسير الطبري" ١/ ٣٠٢، "الزاهر" ١/ ١٩٢، "الصحاح" (غفر) ٢/ ٧٧٠، "مقاييس اللغة" (غفر) ٤/ ٣٨٥، "اللسان" (غفر) ٦/ ٣٢٧٢.

(٤) كلام ابن شميل والأصمعي ذكره الأزهري في "تهذيب اللغة" (غفر) ٣/ ٢٦٧٩، وانظر: "الزاهر" ١/ ١٠٩.

(٥) ذكره الأزهري عن أبي عبيد عن أبي الوليد الكلابي "تهذيب اللغة" (غفر) ٣/ ٢٦٧٩.

(٦) (البزيون) كذا ورد في "تهذيب اللغة" ٣/ ٢٦٧٩، وفي "اللسان" (الزنون) ١/ ٢٧٧ - ٢٧٨، وقال في "الصحاح" (البزيون) بالضم السندس (بزن) ٥/ ٢٠٧٨، وأورد صاحب اللسان ١/ ٢٧٨ كلام الجوهري ثم قال: وقال ابن بري: هو رقيق الديباج.

(٧) في (ب): (الرجال). والكلام ذكره الأزهري عن أبي عبيد عن الأموي. "تهذيب اللغة" (غفر) ٣/ ٢٦٧٩، وانظر: "اللسان" (غفر) ٦/ ٣٢٧٤.." (١)

"ومنه قوله تعالى: ﴿ولم يعي بخلقهن﴾ [الأحقاف: ٣٣]. قال ابن عباس: يريد عجزنا (١).

وقال مقاتل: يقول الله: أعجزنا عن الخلق الأول حين خلقناهم ولم يكونوا شيئا، فكيف نعيا عن بعثهم (٢)؟ وهذا تقرير لهم؛ لأنهم اعترفوا بأن الله الخالق وأنكروا البعث. ثم ذكر أنهم في شك من البعث بعد الموت فقال: ﴿بل هم في لبس من خلق جديد﴾ قال مجاهد، وقتادة: يمترون بالبعث بعد الموت (٣).

وقال الفراء: أي هم في ضلال وشك (٤).

وقال المبرد: التبس عليهم إعادة الخلق (٥). وذكرنا معنى اللبس عند قوله: ﴿وللبسنا عليهم﴾ [الأنعام: ٩] (٦).

١٦ - قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ يعني ابن آدم، وهو اسم

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢/٥٥٩

(١) انظر: "الوسيط" ٤/ ١٦٤، "معالم التنزيل" ٤/ ٢٢٢، "تفسير القاسمي" ١٥/ ٥٤٨٨، ولم ينسبوه لقائل.

(٢) انظر: "تفسير مقاتل" ١٢٤ ب.

(٣) انظر: "تفسير مجاهد" ٢/ ٦١٠، "تفسير عبد الرزاق" ٢/ ٢٣٧، "جامع البيان" ٢٦/ ٩٨.

(٤) انظر: "معاني القرآن" ٣/ ٧٧.

(٥) لم أجده عنه وهو معنى ما روي عن مجاهد، وقتادة، وأصحاب اللغة.

(٦) مما قال عند تفسيره لهذه الآية: لبست الأمر على القوم ألبسه لبسا، إذا شبهته عليهم وجعلته مشكلا. قال ابن السكب: يقال: لبست عليه الأمر إذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته. قال أهل اللغة: معنى اللبس منع النفس من إدراك المعنى بما هو كالستر له، وأصله **من الستر بالثوب**. ومنه لبس الثوب؛ لأنه ستر النفس به.

وانظر: "تهذيب اللغة" ١٢/ ٤٤٢ "اللسان" ٣/ ٣٣٥ (لبس).." [(١)]

"وقال الكلبي ومقاتل: حافظ لأمر الله (١).

وقال قتادة: حافقالما استودعه الله من حقه ونعمته (٢).

٣٣ - قوله تعالى: ﴿من خشي الرحمن بالغيب﴾ يجوز أن يكون بدلا من قوله: ﴿أواب حفيظ﴾، ويجوز أن يكون استئنافا على: هو من خشي الرحمن ويجوز أن يكون ابتداء يراد به الجزاء، على معنى: من خشي الرحمن قيل له: ﴿ادخلوها﴾ وادخلوها جواب للجزاء، أضمرت قبله القول وجعلته فعلا للجميع وهو قوله: ﴿ادخلوها﴾ ، لأن (من) يكون في مذهب الجمع ذكر ذلك الفراء (٣).

ومعنى ﴿خشي الرحمن بالغيب﴾ قال ابن عباس: يقول يخافني ولا يرائي فكأنه يرائي (٤).

وقال مقاتل: أطاعه ولم يره (٥). وهذا كما ذكرنا في قوله: ﴿يؤمنون بالغيب﴾ [البقرة: ٣] ومعنى هذا الغيب: غيبته عن رؤية الله. وقال الضحاك والسدي والحسن: يعني: في الخلوة، حيث لا يراه أحد إذا **أرخى الستر وأغلق** الباب (٦). وعلى هذا الغيب غيبته عن الناس ورؤيتهم.

---

(١) انظر: "تفسير مقاتل" ١٢٥ أ.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٠/٣٨٩

(٢) انظر: "جامع البيان" ٢٦/ ١٠٧، "الكشف والبيان" ١١/ ١٨٢ أ، "معالم التنزيل" ٤/ ٢٢٥.

(٣) انظر: "معاني القرآن" ٣/ ٧٩، "إعراب القرآن" للنحاس ٣/ ٢٢٣، "مشكل إعراب القرآن" ٢/ ٦٨٥.

(٤) انظر: "تنوير المقباس" ٥/ ٢٦٠، "الوسيط" ٤/ ١٦٩، "معالم التنزيل" ٤/ ٢٢٥.

(٥) انظر: "تفسير مقاتل" ١٢٥ أ.

(٦) انظر: "الكشف والبيان" ١١/ ١٨٢ ب، "معالم التنزيل" ٤/ ٢٢٥، "الجامع لأحكام القرآن" ١٧/ ٢١، "فتح القدير" ٥/ ٧٨.." (١)

"والواحدة رفرفة (١)، وقال أبو عبيدة: الرفارف البسط (٢)، وأنشد قول مقبل فقال:

وإنا لنزالون تغشى فعالنا ... سواقط من أصناف ربط ورفزف (٣)

وقال أبو إسحاق: قالوا الرفرف هاهنا رياض الجنة. وقالوا: الرفرف الوسائد. وقالوا: الرفرف المحابس، وقالوا: الرفرف فضول المحابس للفرش. (٤) واختاره المبرد فقال: هو فضول الثياب التي تتخذ الملوك في الفرش وغيره، وكأن الأقرب هذا، لأن العرب تسمي كسر الخباء والخرقة التي تحيط في أسفل الخباء رفرفا. ومنه الحديث في وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- "فرفع الرفرف فرأينا وجهه كأنه ورقة" (٥).

قال ابن الأعرابي: الرفرف هاهنا طرف الفسطاط (٦)، فشبه ما فضل من المجالس عما تحته بطرف الفسطاط فسمى رفرفا يؤكد هذا ما روى هارون بن عنترة، عن أبيه (٧)، عن ابن عباس، قال في قوله:

٧٦ - ﴿رفرف خضر﴾ فضول المجالس، والبسط والفرش (٨) وهو قول

---

(١) انظر: "الجامع لأحكام القرآن" ١٧/ ١٩٠، و"فتح القدير" ٥/ ١٤٣.

(٢) انظر: "تهذيب اللغة" ١٥/ ١٧١، و"اللسان" ١/ ١٢ (رفف).

(٣) لم أجده عند أبي عبيدة. وانظر: "الجامع لأحكام القرآن" ١٧/ ١٩.

(٤) انظر: "معاني القرآن" ٥/ ١٠٥.

(٥) انظر: " النهاية في غريب الحديث والأثر" ٢/ ٢٤٢) رفرف).

(٦) انظر: "تهذيب اللغة"، و"اللسان" ١/ ١٢٠٠ (رف، رفف).

(٧) هو عنترة بن عبد الرحمن الكوفي، ثقة، وهم من زعم أن له صحبة. انظر: "تقريب التهذيب" ٢/ ٨٩.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٠/٤١٠

(٨) انظر: "جامع البيان" ٢٧/ ٩٥، و"الجامع لأحكام القرآن" ١٧/ ١٩.

والمحبس: المقرمة: يعني الستر، وهي التي تبسط على وجه الفراش للنوم، و"اللسان" ١/ ٥٥١ (حبس).." (١)

"وقال المبرد هي: لغة يمانية (١).

والمعنى على هذا القول: أنه وإن **أسبل الستر لتخفى** ما يعمل فإن نفسه شاهد عليه.

١٦ - قوله: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به (١٦)﴾.

قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعالج من التنزيل شدة (٢)، وكان يشتد عليه حفظه، وكان إذا نزل عليه الوحي يحرك لسانه وشفتيه قبل فراغ جبريل من قراءة الوحي، مخافة ألا يحفظه (٣)، فأنزل الله: ﴿لا تحرك به لسانك﴾ يعني بالقراءة (٤).

---

(١) لم أعثر عليه في "الكامل" ولا "المقتضب"، وقد ورد عنه منسوبا إليه في "التفسير الكبير" ٣٠/ ٢٢٢، و"فتح القدير" ٥/ ٣٣٨.

(٢) قوله: التنزيل شدة: بياض في (ع).

(٣) في (ع): يحفظ.

(٤) أخرج هذا الأثر البخاري في "الجامع الصحيح" ٣/ ٣١٨: ح: ٤٩٢٧، ٤٩٢٨، ٤٩٢٩ بمعناه كتاب: التفسير: باب (٧٥) سورة القيامة، ومسلم في "صحيحه" ١/ ٣٣٠: ح: ١٤٧، ١٤٨: كتاب: الصلاة باب: الاستماع للقراءة، وأبو داود الطيالسي في "مسنده" ١٠/ ٣٤٢: ح ٢٦٢٨، والإمام أحمد في "المسند" ١/ ٣٤٣، والترمذي في "سننه" ٥/ ٤٣٠: ح ٣٣٢٩: كتاب: تفسير القرآن باب ٧٢١ ومن سورة القيامة. وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في "سننه" ٢/ ٤٨٧: ح ٩٣٤: كتاب الافتتاح باب ٣٧ جامع ما جاء في القرآن، والطبراني في "المعجم الكبير" ١١/ ٤٥٨: ح: ١٢٢٩٧، كما ورد في الأثر عن ابن عباس في "جامع البيان" ٢٩/ ١٨٧ بمعناه، و"النكت والعيون" ٦/ ١٥٥، و"معالم التنزيل" ٤/ ٤٢٣ ، و"زاد المسير" ٨/ ١٣٧، و"الجامع لأحكام القرآن" ١٩/ ١٠٤، و"تفسير القرآن العظيم" ٤/ ٤٧٩، و"الدر المنثور" ٨/ ٣٤٨ وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٠٢/٢١

المصاحف، والطبراني وابن مردويه، وأبي نعيم، و"لباب القول" للسيوطي ٢٢٥، وانظر: "دلائل النبوة للبيهقي ٧/ ٥٦.." (١)

"الشيطان: إن سليمان كان يضبط الجن والإنس (١) والشياطين والطير بهذا، فاتخذ بنو إسرائيل تلك الكتب؛ فلذلك أكثر ما يوجد السحر في اليهود، فبرأ الله تعالى سليمان من ذلك، وأنزل هذه الآية (٢).

وقوله تعالى ﴿وما كفر سليمان﴾ أي: لم يكن كافرا ساحرا بسحر، (٣) ويعمل بالسحر (٤).

وقيل: وما ستر سليمان كتب السحر، ولكن الشياطين سترته ودفنته. وأصل **الكفر: الستر والتغطية** (٥).

وقوله تعالى: ﴿ولكن الشياطين كفروا﴾ في (لكن) قراءتان: التشديد ونصب الاسم به، والتخفيف ورفع الاسم به (٦).

---

(١) في (م): (الإنس والجن).

(٢) رواه ابن جرير في "تفسيره" مطولا عنه ١/ ٤٤٤ - ٤٤٥، ابن أبي حاتم في "تفسيره" ١/ ١٨٦ من طريق أسباط عن السدي، وذكره الثعلبي في "تفسيره" مطولا ١/ ١٠٥٧ والواحدي في أسباب النزول ص ٣٦ ولفظه هناك مثل هذا تماما. وابن الجوزي في "زاد المسير" ١/ ١٢١ - ١٢٢، وروى الحاكم ٢/ ٢٦٥، والواحدي بسنديهما عن ابن عباس نحوا من هذا وصححه الذهبي. وينظر: "التفسير الصحيح" ١/ ٢٠٥ - ٢٠٦. ذكر الدكتور بشير حكمت ياسين في كتاب "التفسير الصحيح" ١/ ٢٠٥ - ٢٠٦ روايتين عن ابن عباس وصححهما وهما موافقتان لما نقله الواحدي وقال بعدهما. وهاتان الروايتان من أخبار أهل "الكتاب"، ولكنهما لا تتعارض مع "الكتاب" والسنة، بل لبعض فقراتها شواهد، فهي توافق عصمة سليمان عليه السلام وتبرىء ساحته مما ألصق به من مفتريات الإسرائيليات.

(٣) ساقطة من (ش).

(٤) "تفسيرالثعلبي" ١/ ١٠٦٠.

(٥) "المفردات" للراغب ٤٣٥.

(٦) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف بتخفيف نون لكن وإسكانها، ثم تكسر تخلصا من التقاء

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٩٦٤/٢٢

الساكنين، والشياطين بالرفع. وقرأ الباقون بتشديد النون مفتوحة، ونصب الشياطين. ينظر: "السبعة" ١٦٧ - ١٦٨، و"الحجة" لأبي علي ٢/ ١٦٩، و"النشر" ٢/ ٢١٩، و"البدور الزاهرة" ص ٤٦.." [١]

"حتى إذا ألقت يدا في كافر (١)

أي: بدأت (٢) في المغيب (٣).

وقال المبرد: عبر بالأيدي عن النفس، أراد: لا تلقوا أنفسكم إلى التهلكة، فعبر بالبعض عن الكل، كقوله: ﴿بما قدمت يداك﴾ [الحج: ١٠] ﴿فبما كسبت أيديكم﴾ [الشورى: ٣٠] (٤).

والباء زائدة، أراد: لا تلقوا أيديكم، يدل عليه قوله ﴿وألقى في الأرض رواسي﴾ [النحل: ١٥]. فعدى بغير الباء (٥).

وقال أبو علي: المعنى لا تقربوا مما يهلككم؛ لأن من ألقى يده إلى الشيء فقد قرب منه، وهذا مبالغة (في الزجر) (٦) وتأكيد، لأن النهي إذا وقع عن (٧) مشارفته ومقاربته فمباشرته أولى بالانتهاء، وكان المعنى: لا تقربوا من ترك الإنفاق في سبيل الله (٨).

---

(١) عجز البيت:

وأجن عورات الثغور ظلامها

والبيت للبيد في "ديوانه" ص ٣١٦، و"شرح المعلقات السبع" لأبي عبد الله الزوزني ص ٢٢٠، و"شرح المعلقات العشر" للتبريزي ص ٢٤٦، و"إصلاح المنطق" ص ١٢٧، "تفسير الثعلبي" ٢/ ٤١٨. والكافر: الليل، والكفر: الستر، **والإجنان: الستر أيضا**. "لسان العرب" ٧/ ٣٨٩٧ (كفر).

(٢) في (م): (بدت).

(٣) "تفسيرالثعلبي" ٢/ ٤١٨.

(٤) نقله عنه الثعلبي في "تفسيره" ٢/ ٤١٨، وابن الجوزي في "زاد المسير" ١/ ٢٠٣.

(٥) ينظر: "تفسير الثعلبي" ٢/ ٤١٩، "معاني القرآن" للأخفش ١/ ٣٥٣، "الإنصاف في مسائل الخلاف" لابن الأنباري ٢٤٤.

(٦) سقطت من (م).

---

(١) التفسيـر البسيط الواحدي ١٩١/٣

(٧) في (ش): (من).

(٨) ينظر في ذكر الأقوال في الآية "تفسير الطبري" ٢/ ٢٠٠ - ٢٠٢، "البغوي" =." (١)

"[الأنعام: ٥٢ - الكهف: ٢٨]، أي: قصده والعمل.

وقول الشاعر:

... إليه الوجه والعمل (١)

نسق بالعمل على الوجه، وهما واحد؛ لاختلاف اللفظين. ومضى الكلام في هذا عند قوله: ﴿بلى من أسلم وجهه لله﴾ [البقرة: ١١٢]، الآية.

وقوله تعالى: ﴿ومن اتبعن﴾. ﴿من﴾ عطف على الضمير في ﴿أسلمت﴾ من غير أن يؤكده؛ لأن الكلام طال بقوله: ﴿وجهى لله﴾، فصار عوضا من تأكيد الضمير المتصل.

ولو قيل: (أسلمت وزيد)، لم يحسن حتى يقول: (أسلمت أنا وزيد).

---

(١) عجز بيت، وتمامه:

أستغفر الله ذنبا لست محصيه ... رب العباد إليه الوجه والعمل

لم أهتد إلى قائله، وقد ورد غير منسوب في المصادر التالية "كتاب سيبويه" ١/ ٣٧، "معاني القرآن" للفراء: ٢/ ٣١٤، "تأويل مشكل القرآن" ١٧٧، "أدب الكاتب" ٥٢٤، "المقتضب" ٢/ ٣٢١، "الأصول في النحو" ١/ ١٧٨، "المحلى" لابن شقير: ٦٨، "الخصائص" ٣/ ٢٤٧، "الصاحبي" ٢٩١، ٣٣٩، "أمالي المرتضى" ١/ ٥٩١، "تفسير الثعلبي" ٢٥/ ٣ ب، "المخصص" ١٤/ ٧١، "الاقتضاب" ٣/ ٤٠٠، "شرح المفصل" ٧/ ٦٣، ٨/ ٥١، "اللسان" ٥/ ٢٦ (غفر)، "شرح شذور الذهب" ص ٤٤٥، "المقاصد النحوية" ٣/ ٢٢٦، "منهج السالك" (شرح الأشموني): ٢/ ١٩٤، "التصريح" للأزهري: ١/ ٣٩٤، "الهمع" ٥/ ١٧، ورد فيه الشطر الأول فقط. "خزانة الأدب" ٣/ ١١١، "الدرر اللوامع" ٢/ ١٠٦. ومعنى البيت: أطلب المغفرة؛ **أي: الستر على** ذنوبي، ويريد بـ (الذنب) هنا اسم الجنس؛ أي: جميع الذنوب؛ لأنه قال بعده: (لست محصيه)؛ أي: لا أحصي عدد ذنوبي التي عملتها، وأستغفر الله من جميعها. و (الوجه) هنا القصد، وهو بمعنى: التوجه؛ أي: إليه التوجه في الدعاء.." (٢)

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٦٣٢/٣

(٢) التفسير البسيط الواحدي ١٢٧/٥

"الياء؛ للكناية عن الأمة القائمة، ثم سائر الخلق داخل في هذا الشرط.

ومن قرأ بالتاء؛ فلأن نظائره جاءت بالتاء؛ مخاطبة لجميع الخلائق، من غير تخصيص قوم دون قوم؛ كقوله: ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾ [البقرة: ١٩٧]، ﴿وما تنفقوا من خير يوف إليكم﴾ (١) [البقرة: ٢٧٢].

ومعنى ﴿فلن يكفروه﴾: فلن تعدموا (٢) ثوابه، ولن تجحدوا جزاءه (٣) وسمي منع الجزاء على عمل الخير كفرا؛ لأنه بمنزلة الجحد له، والستر (٤)؛ لئلا يقع الجزاء عليه. ولما جعل ثواب الطاعة من الله تعالى

---

(١) ورد في (أ)، (ب)، (ج): (وما تفعلوا من خير يوف غليكم) وليست هذه آية قرآنية. والصواب ما أثبته. وقد أورد هذه الآية في هذا الموضع -في سياق بيان وجه القراءة بالتاء- الفارسي في "الحجة" ٣/ ٧٣ - وهو من مصادر المؤلف في كتابه هذا-، وكذا أوردها مكي في "الكشف" ١/ ٣٥٤.

(٢) في (ب): (تقدموا).

وقوله: (ولن تعدموا ثوابه ولن تجحدوا جزاءه): بنصها في "تفسير الثعلبي" ٣/ ١٠٣أ.

(٣) في (ج): (جزاه). انظر: "تفسير الطبري" ٤/ ٥٧.

(٤) أصل معنى كلمة (**كفر): الستر والتغطية**. انظر: (كفر) في "تهذيب اللغة" ٤/ ٣١٦٠. "مقاييس اللغة" ٥/ ١٩١.

وعبارة الطبري في بيان معنى الآية: (فلن يغطي على ما فعلوا من خير، فيتركوا بغير مجازاة، ولكنهم يشكرون على ما فعلوا من ذلك فيجزل لهم الثواب). "تفسيره" ٤/ ٥٧، وانظر: "المحرر الوجيز" ٣/ ٢٨٠.." (١)

"والكفر، منه (١) -أيضا-، وقد (٢) ذكرناه.

ومعنى ﴿كفر عنا سيئاتنا﴾، أي: غطها عنا (٣)، حتى لا نراها (٤)؛ كما تقول: (اغفر لي خطيئتي).

و (الغفر) -في **اللغة-: الستر** (٥). وجمع بين غفران الذنوب، وتكفير السيئات؛ لأن غفران الذنوب، تفضله ورحمته؛ وتكفير السيئات بالطاعات؛ كما تقول في الأشياء الموجبة للكفارة، فإنها إذا كفرت، صارت مكفرة بتلك الطاعة التي هي كفارة لها، كالصوم في الظهار، وإعتاق الرقبة في القتل الخطأ، والإطعام في الحنث (٦). فالمغفرة بفضله من غير سبب، والتكفير، بسبب (٧) طاعة.

والسيئات جمع: سيئة. قال الليث (٨): يقال: (ساء الشيء، يسوء)، فهو (سيئ): إذا قبح.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥/٥٢١

= انظر: (كفر) في: "إصلاح المنطق" ١٢٦، ١٢٧، ٢٤٠، و"تهذيب اللغة" ٤/ ٣١٦١، و"المقاييس" ٥/ ١٩١، و"بصائر ذوي التمييز" ٤/ ٣٦١.

(١) منه: ساقط من (ج).

(٢) في (ج): (قد) بدون واو.

(٣) (عنا): ساقطة مِن (ج).

(٤) في (ج): (نريها).

(٥) انظر: (غفر) في: "جمهرة اللغة" ١/ ٧٧٨، و"تهذيب اللغة" ٣/ ٢٦٧٩، و"الزاهر" ١/ ١٩٢، و"معجم المقاييس" ٤/ ٣٨٥، و"بصائر ذوي التمييز" ٤/ ١٣٦.

(٦) الحنث -هنا-: الخلف في اليمين.

(٧) في (ج): (سبب).

(٨) قوله في: "تهذيب اللغة" ٢/ ١٥٨٣ (سوأ)، وقد دمج المؤلف -هنا- بين قول أبي زيد، وقول الليث. فمن قوله: (السيء ..) إلى (.. للأنثى): هو نص قول الليث. ومن قوله: (سوأت ..) إلى (.. بما صنع): من قول أبي زيد، تصرف فيه المؤلف.." (١)

"وقوله تعالى: ﴿ليذوقوا العذاب﴾. استعمل لفظ الذوق ههنا مع عظم ما نالوا من شدة العذاب إخبارا بأن إحساسهم به في كل حال كإحساس الذائق في تجديد الوجدان من غير نقصان في الإحساس، كما يكون في الذي يستمر به الأكل فلا يجد الطعم (١).

ويقال: ذاق يذوق ذوقا ومذاقا وذواقا، والذواق والمذاق يكونان مصدرين ويكونان طعما، كما تقول: ذواقه ومذاقه طيب (٢).

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي قال: الذوق يكون بالفم وبغير الفم (٣).

وقوله تعالى: ﴿إن الله كان عزيزا حكيما﴾ أي هو قوي لا يغلبه شيء، وهو مع ذلك حكيم فيما دبر (٤).

وقوله تعالى: ﴿وندخلهم ظلا ظليلا﴾. أصل الظل الستر من الشمس، والليل يسمى ظلا لأنه كالستر من الشمس (٥)، ومنه:

في ظل أخضر يدعو هامه البوم (٦)

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٦/٢٦١

(١) انظر: "الكشاف" ١/ ٢٧٥.
(٢) "العين" ٥/ ٢٠١، "تهذيب اللغة" ٢/ ١٣٠٢ (ذوق).
(٣) "تهذيب اللغة" ٢/ ١٣٠٢ (ذوق).
(٤) انظر: الطبري ٥/ ١٤٣، "بحر العلوم" ١/ ٣٦٢.
(٥) انظر: "تهذيب اللغة" ٣/ ٢٢٤٥ - ٢٢٤٦، "اللسان" ٥/ ٢٧٥٤ (ظلل).
(٦) عجز بيت لذي الرمة في ص (٥٧٤)، "الأضداد" لابن الأنباري ص (٣٤٨)، "تهذيب اللغة" ١/ ١٠٤٦ (خضر)، "الصحاح" ٥/ ١٧٥٥، "معجم مقاييس اللغة" ٣/ ٤٦١ (ظلل)، "المفردات" ص (١٥٠)، "شرح العكبري لديوان المتنبي" ٢/ ١٥٣، "اللسان" في أكثر من موضع منها: ٥/ ٢٧٥٤ (ظلل).
وصدره: "قد أعسف النازح المجهول معسفه" وفي "الديوان": "أغضف" بدل "أخضر" في الشطر الثاني.
وجاء في "شرحه": أعسف: أسير على غير هداية، والنازح: البعيد، والمجهول: الذى ليس له علم، أغضف: يعني الليل، وأغضف أي =." (١)

"عباس: صدقوا محمدا - صلى الله عليه وسلم - واتقوا اليهودية والنصرانية (١).
وقال عطاء: واتقوا من الله (٢)، ﴿لكفرنا عنهم سيئاتهم﴾، وقال عطاء: يريد كل ما كانوا صنعوا قبل أن تأتيهم (٣)، ومعنى التكفير: تغطية السيئة بالحسنة حتى تصير بمنزلة مالم يعمل (٤).

٦٦ - قوله تعالى: ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل﴾، قال ابن عباس: "يريد عملوا بما فيهما من التصديق بك، والوفاء لله بما عاهدوا فيهما" (٥).
وقال أهل المعاني في معنى ﴿أقاموا التوراة والإنجيل﴾ قولين:
أحدهما: أقاموا أحكامهما وحدودهما، كما يقال: أقام الصلاة، إذا قام بحقوقها، ولا يقال لمن لم يوف شرائطها: أقامها.
والثاني أقاموها نصب أعينهم؛ لئلا يزلوا في شيء من حدودها (٦)، والأول الوجه، ﴿وما أنزل إليهم من ربهم﴾، يعني القرآن في قول ابن عباس وغيره (٧).
وقيل: يعني كتب أنبيائهم (٨)، أي لو عملوا بما في هذه الكتب

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٥٣٣/٦

(١) انظر: "بحر العلوم" ١/ ٤٤٨، "تفسير الوسيط" ٢/ ٢٠٨، "تفسير البغوي" ٣/ ٧٧، "تنوير المقباس" بهامش المصحف ص ١١٩.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) لأن الكفر بمعنى الستر.

(٥) انظر: "تفسير الوسيط" ٢/ ٢٠٨، "زاد المسير" ٢/ ٣٩٥، "تنوير المقباس" بهامش المصحف ص ١١٩.

(٦) انظر: "النكت والعيون" ٢/ ٥٢.

(٧) انظر: معاني القرآن للنحاس ٢/ ٣٣٧، "بحر العلوم" ١/ ٤٤٨، "النكت والعيون" ٢/ ٥٢، "تفسير البغوي" ٣/ ٧٨، "زاد المسير" ٢/ ٣٩٥.

(٨) انظر: "بحر العلوم" ١/ ٤٤٨، "تفسير البغوي" ٣/ ٧٨، "زاد المسير" ٢/ ٣٩٥.." [(١)]

"الضيفان من الآدميين (١)) (٢)، وكذلك قصة جبريل مع النبي - صلى الله عليه وسلم - حين أتاه يسأله عن الإيمان والإسلام والإحسان والقدر. والخبر صحيح مشهور (٣).

وقوله تعالى: ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾:

يقال: لبست الأمر على القوم ألبسه لبسا إذا شبهته عليهم وجعلته مشكلا (٤). قال ابن السكيت (٥): (يقال: لبست عليه الأمر إذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته) (٦).

قال أهل اللغة (٧): (معنى اللبس: منع النفس من إدراك المعنى كما هو (٨) كالستر له، وأصله من الستر بالثوب ومنه لبس الثوب؛ لأنه ستر النفس به).

قال الضحاك (٩) في تفسير قوله تعالى: ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾:

---

(١) قصة لوط عليه السلام مع الرسل مذكورة في مواضع من القرآن منها: في (سورة هود الآية: ٧٧ وما بعدها) وفي (سورة الحجر ٦١ وما بعدها).

(٢) انظر: "معاني القرآن" للزجاج ٢/ ٢٣١، وانظر: "ما اتفق لفظه واختلف معناه" للمبرد ص ٣٢.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٥٠)، كتاب الإيمان باب سؤال جبريل، ومسلم رقم (٩) عن أبي

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٦٥/٧

هريرة رضي الله عنه، وأخرجه مسلم عن عمر رضي الله عنه.

(٤) هذا قول الأزهري في "تهذيب اللغة" ٤/ ٣٢٢٨.

(٥) تقدمت ترجمته.

(٦) "إصلاح المنطق" ص ٢٠٦، و"تهذيب اللغة" ٤/ ٣٢٢٨.

(٧) انظر: "العين" ٧/ ٢٦٢، و"الجمهرة" ١/ ٣٤١، و"الصحاح" ٣/ ٩٧٣، و"المجمل" ٣/ ٨٠١، و"مقاييس اللغة" ٥/ ٢٣٠، و"المفردات" ص ٧٣٤، و"اللسان" ٧/ ٣٩٨٧ (لبس).

(٨) في (ش): (بما هو).

(٩) ذكره في "الوسيط" ١/ ١٢، وأخرجه الطبري في "تفسيره" ٧/ ١٥٣١، وابن أبي حاتم في "تفسيره" ٤/ ١٢٦٦، بسند ضعيف عن الضحاك عن ابن عباس نحوه.." [١]

"والجنان والجنين، المجن والجنن والمجن وهو المقبور، والجنة والجنة، كل هذا يعود أصله إلى الستر والاستتار، ويقال في مصدره: جن جنا وجنونا وجنانا (١).

ويروى بيت دريد (٢) بالوجهين:

ولولا جنون الليل أدرك ركضنا ... بذي الرمث والأرطى عياض بن ناشب (٣)

ويروى (٤): (جنان الليل). قال بعض النحويين: (﴿جن عليه الليل﴾ أي: أظلم عليه الليل (٥) ولهذا دخلت على، كما تقول في أظلم، فأما جنه فستره من غير تضمين معنى أظلم) (٦).

---

(١) انظر: المراجع السابقة. وقال الطبري في "تفسيره" ٧/ ٢٤٧: (المصدر من جن عليه: جنا وجنونا وجنانا، ومن أجن إجنانا ...) اهـ. وقال السمين في ٥/ ٨: (مصدره جن وجنان وجنون) اهـ.

(٢) دريد بن الصمة الجشمي من هوازن، شاعر جاهلي، تقدمت ترجمته.

(٣) "ديوانه" ص ٢٩، و"مجاز القرآن" ١/ ١٩٨، و"الأصمعيات" ص ١١٢، و"إصلاح المنطق" ص ٢٩٥، و"الجمهرة" ١/ ٩٣، و"الأغاني" ١٠/ ١٦، و"المجمل" ١/ ١٧٥، و"مقاييس اللغة" ١/ ٤٢٢، و"اللسان" ٢/ ٧٠١، وهو لخفاف بن ندبة السلمي في "ديوانه" ص ١٣٠، و"الصحاح" ٥/ ٢٠٩٤.

والرمث والأرطى: نبتان معروفان، وذو الرمث: واد لبني أسد. يقول: لولا أن الليل سترنا لأدركنا عياض بن ناشب الفزاري بذلك المكان فقتلناه.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٧/٨

انظر: "تهذيب إصلاح المنطق" ٢/ ١٢٩، و"معجم البلدان" ٣/ ٦٨، و"اللسان" ٢/ ٧٠١ (جن).
(٤) ذكره أكثرهم، وهو في "الديوان" وأكثر المراجع، (ولولا جنان)، وهما بمعنى واحد، وفي "الأغاني": (ولولا سواد) بدل (جنان).
(٥) لفظ: (الليل) ساقط من (ش).
(٦) انظر: "الفريد" ٢/ ١٧٧.." [١]

"الذي هو المنع، ويجوز أن يكون من (الصدود) الذي (١) هو الإعراض.
وقوله تعالى: ﴿عن سبيل الله﴾. قال ابن عباس: (يريد: عن دين الله وطاعة الله) (٢). قال أهل المعاني: (سبيل الله الحق الذي دعا الله إليه) وقيل: (الطريق الذي دل الله (٣) أنه يؤدي إلى الجنة) (٤).
وقوله تعالى: ﴿ويبغونها عوجا﴾، قال ابن عباس: (يريد: يصلون لغير الله، ويعظمون ما لم يعظم الله) (٥). ومعنى هذا: أنهم طلبوا سبيل الله بالصلاة لغيره، وتعظيم ما لم يعظمه الله، فأخطأوا الطريق وطلبوه ضالين معوجين عن الطريق (٦)، ﴿عوجا﴾ على هذا المعنى مصدر (٧) في موضع الحال، وقد ذكرنا معنى ﴿ويبغونها عوجا﴾ مستقصى في سورة آل عمران (٨).

٤٦ - وقوله تعالى: ﴿وبينهما حجاب﴾، والحجاب (٩) الحاجز بين

---

(١) في (أ): (والذي هو) بالواو.
(٢) "تنوير المقباس" ٢/ ٩٦، وأخرج ابن أبي حاتم في "تفسيره" ٥/ ١٤٨٢ بسند ضعيف عن ابن عباس قال: (عن دين الله) اهـ.
(٣) في (ب): (الذي دل إليه).
(٤) انظر: "تفسير الطبري" ٨/ ١٨٧، والسمرقندي ١/ ٥٤٢.
(٥) ذكره الواحدي في "الوسيط" ١/ ١٨٤، والبغوي ٣/ ٢٣١.
(٦) انظر: "تفسير الخازن" ٢/ ٢٣٢ فقد ذكر مثله.
(٧) انظر: "تفسير ابن عطية" ٥/ ٥١١.
(٨) انظر: "البسيط" النسخة الأزهرية ١/ ٢٠٠/ ب

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٨/٢٤٠

(٩) الحجاب، بكسر الحاء: الستر، واسم ما احتجب به، وكل ما حال بين شيئين حجاب، والجمع حجب بالضم. انظر: "العين" ٣/ ٨٦، و"جمهرة اللغة" ١/ ٢٦٣، و"تهذيب اللغة" ١/ ٤٧٣، و"الصحاح" ١/ ١٠٧، و"المجمل" ١/ ٢٦٦ ، و"المفردات" ص ٢١٩، و"لسان العرب" ٢/ ٧٧٧ (حجب).." (١)

"والمعنى: هم على بيان وبصيرة من عند ربهم، لأن الله تعالى هداهم لدينه.

﴿وأولئك هم المفلحون﴾ قال الزجاج: يقال لكل من أصاب خيرا: مفلح.

قال الله تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ [المؤمنون: ١] ، و ﴿قد أفلح من زكاها﴾ [الشمس: ٩] .

والمعنى: هم الذين أدركوا البغية ووجدوا النعيم المقيم.

﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴿٦﴾ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ﴿٧﴾ ﴾ [البقرة: ٦-٧] قوله: إن الذين كفروا الآية، قال الضحاك: نزلت في أبي جهل وخمسة من أهل بيته.

وقال الكلبي: يعني اليهود.

يقال: كفر كفرا وكفورا.

كما يقال: شكر شكرا وشكورا.

ومعنى الكفر في اللغة: الستر، قال ابن السكيت: كل ما ستر شيئا فقد كفره، ومنه قيل: الليل كافر.

لأنه يستر بظلمته الأشياء، ومنه سمي الكافر كافرا لأنه ستر إنعام الله تعالى بالهدى والآيات التي بانت لذوي التمييز: أن الله تعالى واحد لا شريك له، فمن لم يصدق بها وردها فقد كفر النعمة، أي: سترها وغطاها.

والكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر معاندة، وكفر نفاق، فمن لقي ربه بشيء من ذلك لم يغفر له.." (٢)

"أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، فاختار موسى سبعين رجلا من خيارهم، وخرج بهم إلى طور سيناء، وسمعوا كلام الله عز وجل، وكان موسى إذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه، ويغشاه عمود من غمام، فلما فرغ موسى وانكشف الغمام، قالوا له: ﴿لن نؤمن لك﴾ [البقرة: ٥٥] أي: لن نصدقك ﴿حتى نرى الله جهرة﴾ [البقرة:

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٤٩/٩

(٢) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٨٣/١

٥٥] ، فأخذتهم الصاعقة، وهي نار جاءت من السماء فأحرقتهم جميعا، وقوله: ﴿وأنتم تنظرون﴾ [البقرة: ٥٥] يريد: نظر بعضهم إلى بعض عند نزول الصعقة، وإنما أخذتهم لأنهم امتنعوا من الإيمان بموسى بعد ظهور معجزته، حتى يريهم ربهم جهرة، والإيمان بالأنبياء واجب بعد ظهور معجزتهم، ولا يجوز اقتراح المعجزات عليهم، فلهذا عاقبهم الله، وهذه الآية تتضمن التوبيخ لهم على مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم مع قيام معجزته، كما خالف أسلافهم موسى مع ما أتى به من الآيات الباهرة، والتحذير لهم أن ينزل بهم ما نزل بأسلافهم.

قوله تعالى: ﴿ثم بعثناكم من بعد موتكم﴾ [البقرة: ٥٦] قال المفسرون: إنهم لما هلكوا جعل موسى يبكي ويتضرع ويقول: يا رب، ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم؟ ﴿لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾ [الأعراف: ١٥٥] ، فلم يزل يناشد ربه حتى أحياهم الله جميعا، رجلا بعد رجل، وهم ينظرون كيف يحيون، فذلك قوله تعالى: ﴿ثم بعثناكم من بعد موتكم﴾ [البقرة: ٥٦] أي: نشرناكم وأعدناكم أحياء.

والبعث: إثارة البارك والنائم عن مكانه، ونشر الميت كبعث النائم.

قال قتادة: بعثهم الله تعالى ليستوفوا بقية آجالهم وأرزاقهم، ولو ماتوا بآجالهم لم يبعثوا، ولكن كان ذلك الموت عقوبة لهم على ما قالوا.

قال الزجاج: والآية احتجاج على مشركي العرب الذين كفروا بالبعث، فاحتج النبي صلى الله عليه وسلم بإحياء من بعث بعد موته في الدنيا فيما يوافقه اليهود والنصارى.

وقوله تعالى: لعلكم تشكرون أي: نعمة البعث.

قوله تعالى: ﴿وظللنا عليكم الغمام﴾ [البقرة: ٥٧] معناه: تسترناكم عن الشمس بالغمام، والظل معناه في اللغة: الستر، يقال: لا أزال الله عنا ظل فلان، أي: ستره، وظل الشجرة: سترها، ويقال لظلمة الليل: ظل، لأنها تستر الأشياء، ومنه قوله تعالى: ﴿كيف مد الظل﴾ [الفرقان: ٤٥] .." (١)

"وقال ابن عباس، في رواية سعيد بن جبير، في قوله تعالى: وقولوا حطة أي: مغفرة.

فقالوا: حنطة.

وقال مقاتل: إنهم أصابوا خطيئة بإبائهم على موسى دخول الأرض التي فيها الجبارون، فأراد الله أن يغفرها لهم فقيل لهم: قولوا حطة.

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ١٤١/١

وقال الزجاج: معناه: قولوا مسألتنا حطة.

أي: حط ذنوبنا عنا.

وقوله تعالى: ﴿نغفر لكم خطاياكم﴾ [البقرة: ٥٨] أصل **الغفر: الستر والتغطية**، وغفر الله ذنوبه، أي: سترها، وكل شيء سترته فقد غفرته، والمغفر: يكون تحت بيضة الحديد يغفر الرأس.

وأجمع القراء على إظهار الراء عند اللام، إلا ما روي عن أبي عمرو من إدغامه الراء عند اللام.

قال الزجاج: وهو خطأ فاحش، وأحسب الذين رووا ذلك عن أبي عمرو غالطين، ولا يدغم الراء في اللام، لأن الراء حرف مكرر، ولا يدغم الزائد في الناقص، فلو أدغمت الراء في اللام لذهب التكرير من الراء، وهذا إجماع النحويين.

والخطايا جمع خطيئة، وهي الذنب على عمد، قال أبو الهيثم: يقال: خطئ: لما صنعه عمدا وهو الذنب، وأخطأ: لما صنعه خطأ غير عمد.

وقوله: وسنزيد المحسنين أي: الذين لم يكونوا من أهل تلك الخطيئة إحسانا وثوابا.

قوله تعالى: ﴿فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم﴾ [البقرة: ٥٩] التبديل: التغيير إلى بدل، والمعنى: أنهم غيروا تلك الكلمات التي أمروا بها وقالوا بدل حطة: حنطة.

وهذا قول ابن عباس وجميع المفسرين.

وقال الزجاج: جملة ما قالوه أنه أمر عظيم سماهم الله به فاسقين.." (١)

"قول جميع أهل اللغة والتفسير: هلم.

قال الفراء، وابن الأنباري: لا مصدر له، ولا تصرف، ولا تثنية ولا جمع ولا تأنيث يقال للاثنين: هيت لكما. وللجمع هيت لكم.

قال الأخفش: يجوز كسر التاء ورفعه، وكسر بعضهم الهاء، وفتح التاء كل ذلك بمعنى واحد، قال أبو زيد: هيت لك بالعبرانية: هنيا لخ، أي: تعال، أعربه القرآن، أما ما روى هشام، عن ابن عامر: هئت لك بكسر الهاء والهمزة وضم التاء فإنها فعلت من الهيئة، قال أبو زيد: هئت للأمر هيئة، وتهيأت له.

ويجوز تخفيف الهمزة كما يخفف من جيت وشيت، وأنكر أبو عمرو، والكسائي هذه القراءة وقالا: هيت بمعنى تهيأت، باطل ولم تحك عن العرب.

والله أعلم، قال يوسف معاذ الله أعوذ بالله أن أفعل هذا، والمعنى: أعتصم بالله من هذا إنه ربي إن الذي

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ١/١٤٤

اشتراني هو سيدي أحسن مثواي أي: أنعم علي بإكرامي فلا أخونه في حرمته، إني إن فعلت ذلك كنت ظالما، و ﴿لا يفلح الظالمون﴾ [يوسف: ٢٣] قال ابن عباس: لا يسعد الزناة العاصون.

قوله: ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ [يوسف: ٢٤] قال أهل التفسير: السدي، وابن إسحاق، والضحاك، ومقاتل فيما ذكروا، عن ابن عباس: إنها لما راودت يوسف جعلت تذكر محاسن يوسف فقالت: يا يوسف، ما أحسن شعرك.

قال: هو أول ما ينتشر من جسدي.

قالت: ما أحسن عينيك.

قال: هي أول ما يسيل على الأرض من جسدي.

قالت: ما أحسن وجهك.

قال: هو للتراب يأكله.

قالت: ما أحسن صورتك.

قال: ربي صورني في الرحم.

قالت: يا يوسف، صورة وجهك أنحلت جسمي.

قال: الشيطان يعينك على ذلك.

قالت: بساط الحرير قد بسطته، قم فاقض حاجتي.

قال: إذن يذهب نصيبي من الجنة.

قالت: **ادخل الستر معي**.

قال: ليس شيء يسترني من ربي.

فلم تزل تطمعه وتدعوه إلى اللذة ويوسف شاب يجد من شبق الشباب ما يجده حتى جرى الشيطان فيما بينهما، فضرب إحدى يديه إلى جيب يوسف وبيده الأخرى إلى جيب المرأة، فجمع بينهما حتى خلوا في بعض البيوت، فذلك قوله: ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ [يوسف: ٢٤] أي: أرادته وقصدته، وأما هم يوسف فذكر ابن عباس، وجلة أهل التفسير: أنه حل الهميان وجلس منها مجلس الخاتن.

وسئل ابن عباس: ما بلغ من هم يوسف؟ قال: استلقت المرأة وقعد بين رجليها ينزع ثيابه.

وهذا قول سعيد بن جبير، والضحاك، والسدي، ومجاهد، وابن أبي بزة، والأعمش، والحسن، هذا قول المتقدمين، وذكر المتأخرون فرقا بين الهمين: فقال أبو العباس." (١)

"المنتهى والمرجع.

﴿ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر﴾ [القيامة: ١٣] بأول عمله وآخره، وقال قتادة: ما عمل من طاعة الله، وما آخر من طاعة الله، فلم يعمل به.

وقال زيد بن أسلم: بما قدم من أمواله، وما خلف للورثة.

﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ [القيامة: ١٤] يعني: أن جوارحه تشهد عليه بما عمل، فهو شاهد على نفسه بشهادة جوارحه، قال الفراء: يقول: على الإنسان من نفسه بصيرة، يعني: رقباء يشهدون عليه بعمله: اليدان، والرجلان، والعينان، والذكر.

ودخول الهاء في البصيرة، لأن المراد بالإنسان ههنا الجوارح.

﴿ولو ألقى معاذيره﴾ [القيامة: ١٥] ولو اعتذر، وجادل عن نفسه، لم ينفعه ذلك، يقال: معذرة ومعاذر ومعاذير.

قال الفراء: أي: وإن اعتذر، فعليه من يكذب عذره.

وقال الضحاك، والسدي: يعني: ولو أرخى الستور.

وقال الزجاج: المعاذير: الستور، واحدها معذار.

وقال المبرد: هي لغة يمانية.

والمعنى على هذا القول: وإن أسبل الستر ليخفي ما يعمل، فإن نفسه شاهدة عليه.

قوله: ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به ﴿١٦﴾ إن علينا جمعه وقرءانه ﴿١٧﴾ فإذا قرأناه فاتبع قرءانه ﴿١٨﴾ ثم إن علينا بيانه ﴿١٩﴾ كلا بل تحبون العاجلة ﴿٢٠﴾ وتذرون الآخرة ﴿٢١﴾ وجوه يومئذ ناضرة ﴿٢٢﴾ إلى ربها ناظرة ﴿٢٣﴾ ووجوه يومئذ باسرة ﴿٢٤﴾ تظن أن يفعل بها فاقرة ﴿٢٥﴾ ﴾ [القيامة: ١٦-٢٥] .

﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ [القيامة: ١٦] قال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة، وكان يشتد عليه حفظه، فكان إذا نزل عليه الوحي، يحرك لسانه وشفتيه، قبل فراغ جبريل عليه السلام من قراءة الوحي، مخافة أن لا يحفظ.

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٢/٦٠٧

فقال الله تعالى: ﴿لا تحرك به﴾ [القيامة: ١٦] أي: بالوحي، أو بالقرآن، لسانك يعني: بالقراءة، لتعجل به أي: تأخذه، كما قال: ﴿ولا تعجل بالقرءان من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ [طه: ١١٤] .
﴿إن علينا جمعه﴾ [القيامة: ١٧] أي: نجمعه في صدرك، ﴿وقرءانه﴾ [القيامة: ١٧] وقراءته عليك، أي: أن جبريل يقرؤه." (١)

"﴿وامرأته﴾ سارة ﴿قائمة﴾ **وراء الستر تتسمع** إلى الرسل ﴿فضحكت﴾ سرورا بالأمن قالوا: ﴿إنا أرسلنا إلى قوم لوط﴾ وذلك أنها خافت كما خاف إبراهيم عليه السلام فقيل لها: يا أيتها الضاحكة ستلدين غلاما فذلك قوله: ﴿فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق﴾ أي: بعده ﴿يعقوب﴾ عليهما السلام وذلك أنهم بشروها بأنها تعيش إلى أن ترى ولد ولدها." (٢)

"﴿يأ أيها النبي قل لأزواجك﴾ الآية كان قوم من الزناة يتبعون النساء إذا خرجن ليلا ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء ولم يكن يومئذ تعرف الحرة من الأمة لأن زيهن كان واحدا إنما يخرجون في درع وخمار فنهيى الله سبحانه الحرائر أن يتشبهن بالإماء وأنزل قوله تعالى: ﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ أي: يرخين أرديتهن وملاحفهن ليعلم أنهن حرائر فلا يتعرض لهن وهو قوله: ﴿ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا﴾ لما سلف من **ترك الستر** ﴿رحيما﴾ بهن إذ يسترهن." (٣)

"﴿ولو ألقى معاذيره﴾ ولو اعتذر وجادل فعليه من نفسه من يكذب عذره وقيل: معناه: ولو أرخى الستور وأغلق الأبواب **والمعذار: الستر بلغة** اليمن." (٤)

"وقيل (١): الفلاح: البقاء ثم أخذ منه القطع.
وقيل (٢): أصله القطع (٣) (٣ و) من قولهم: الحديد بالحديد يفلح (٤)، ويقال للأكار والمكاري (٥) فلاحا ثم أخذ منه البقاء.

٦ - ﴿إن الذين كفروا:﴾ نزلت في شأن شيبة وعتبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة الذين قتلهم يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب (٦). وقيل (٧): نزلت في شأن سبعة نفر من اليهود؛ كعب بن الأشرف وحيي وجدي ابني أخطب وسعيد بن عمرو ومالك بن الصيف وأبي لبابة ابن عبد المنذر وأبي

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٤/٣٩٢
(٢) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٥٢٧
(٣) الوجيز للواحدي الواحدي ص/٨٧٣
(٤) الوجيز للواحدي الواحدي ص/١١٥٤

ياسر (٨) بن أخطب.

و (إن) حرف إثبات، وهي أداة (٩) القسم، واللام أختها تقول: والله إن زيدا لمنطلق، وهي لا تدخل إلا في الأسماء.

و (الكفر) في اللغة: الستر (١٠)، وفي الشرع: إنكار ما يجب الإيمان به (١١)، بدليل أن عليا كرم الله وجهه سمى أهل الشام مؤمنين في كتاب القضية مع إنكارهم حقه، وكفرانهم بعض نعم الله تعالى.

و ﴿سواء:﴾ مصدر أقيم مقام الصفة، أي: مستو عندهم إنذارك إياهم وتركك إنذارهم (١٢)، كقوله: ﴿سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين﴾ [الشعراء:١٣٦]، وقوله: ﴿سواء علينا أجزعنا أم صبرنا﴾ [إبراهيم:٢١].

والإنذار إعلام فيه تخويف (١٣)، ويتعدى إلى مفعولين.

﴿لا يؤمنون:﴾ البتة إن أجرينا على الثلاثة، وإن أجرينا على السبعة لا يؤمنون (١٤) في الحال؛ لأن بعضهم آمن من بعد.

---

(١) ينظر: جمهرة الأمثال ١/ ٣٤٥، والبحر المحيط ١/ ١٦٨.

(٢) ينظر: تفسير غريب القرآن ٣٩، والصحاح ١/ ٣٩٣ (فلح)، والنكت والعيون ١/ ٦٦.

(٣) في ع وب: للقطع.

(٤) ينظر: جمهرة الأمثال ١/ ٣٤٥، ومجمع الأمثال ١/ ١١، والمستقصى في أمثال العرب ١/ ٤٠٣.

(٥) الذي يفلح الأرض، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١/ ٧٦، وتاج العروس ٢/ ١٩٩ (فلح).

(٦) ينظر: تفسير الطبري ١/ ١٦٠، وتفسير القرطبي ١/ ١٨٤، وفتح القدير ١/ ٣٩.

(٧) ينظر: الجواهر الحسان ١/ ١٨٥، وبحار الأنوار ٩/ ١٧٤.

(٨) في ب: ناصر. وفي تفسير القرآن الكريم ١/ ٢٦١: قال الكلبي: وليس هو بأخي حيي. وقال بعضهم: هو أخو حيي.

(٩) في ك وع: أدلة. وينظر: معاني القرآن وإعرابه ١/ ٧٧، وتفسير القرآن الكريم ١/ ٢٦٠، وإرشاد العقل السليم ١/ ٣٥.

(١٠) ينظر: تفسير غريب القرآن ٢٨، والمحرر الوجيز ١/ ٨٧، ولسان العرب ٥/ ١٤٤ (كفر).

(١١) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف ٦٠٦.

(١٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١/ ٧٧، وجوامع الجامع ١/ ٦٨، وتفسير النسفي ١/ ١٥.

(١٣) ينظر: زاد المسير ١/ ٢١، وتفسير القرطبي ١/ ١٨٤، والجواهر الحسان ١/ ١٨٥.

(١٤) (البتة. . . لا يؤمنون) ساقطة من ك.." (١)

"٥٧ - ﴿وظللنا عليكم الغمام:﴾ أي: وجعلنا (١) عليهم الغمام ظلة.

والظل: الستر، والظلة: السترة، والفرق بينهما أن الشيء يكون تحت الظل (٢) دون الستر، إلا أنه يقال: الشمس مستظلة، إذا كانت محتجبة بالسحاب، وفرق آخر أن الرائي يتخيل الظل ولا يتخيل الستر. وجمع الظل: ظلال، وجمع الظلة: ظلل. والظليل هو الطيب، قال الله تعالى:

﴿وندخلهم (٣)﴾ ظلا ظليلا [النساء:٥٧]، وقال في ضده: ﴿لا ظليل ولا يغني من اللهب﴾ [المرسلات:٣١]. وأظلك الطائر: إذا حاذاك وقرب منك وألقى ظله عليك، أعني ما يتخيل.

ويستعار للشهر والزمان فيقال: أظل الشهر والزمان (٤).

والغمام: غيم أبيض، وإنما سمي غماما لأنه يغم السماء (٥) ويسترها، وللقاحه بالماء لأنه يغم الماء في جوفه. وغمغمة السحاب: صوته. والغمام واحد وجماعة، قال الحطيئة (٦) يمدح رجلا: [من الطويل]

إذا غبت عنا غاب عنا ربيعنا ... ونسقى الغمام الغر حين (٧) تؤوب

و (المن) (٨) كان شيئا من جنس الترنجبين، و (السلوى) كان طيرا يشبه السمانى (٩)، ولا واحد له من لفظه عند الأخفش (١٠)، وقال الخليل (١١): الواحد: سلواة، ويقال (١٢): السلوى:

العسل، وقال (١٣): [من الطويل]

وقاسمها بالله (١٤) ... جهدا لأنتم

ألذ من السلوى إذا ما نشورها

---

(١) بعدها في ب: أي جعلنا، وهي مقحمة. وينظر: الكشاف ١/ ١٤٢، ومجمع البيان ١/ ٢٢٤.

(٢) في ب: الظلة.

(٣) في ك وب: فيدخلهم.

(٤) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ١/ ٢٥٦ - ٢٥٧.

(٥) النسخ الأربع: السحاب، والسياق يقتضي ما أثبت، وتؤيده مصادر التخريج، ينظر: تفسير غريب القرآن

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ١/١٠٧

٤٩، والمحرر الوجيز ١/ ١٤٨، ومجمع البيان ١/ ٢٢٣.

(٦) في ك: عطية. والبيت في ديوان الحطيئة ٢٠٧.

(٧) في ك: حتى.

(٨) الذي جاء في قوله تعالى في الآية نفسها: وأنزلنا عليكم المن والسلوى.

(٩) ينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٣٧ - ٣٨، وتفسير غريب القرآن ٤٩ - ٥٠، والمحرر الوجيز ١/ ١٤٨ - ١٤٩. والترنجبين: طل ينزل من السماء على شجر أو حجر ويحلو وينعقد عسلا ويجف جفاف الصمغ، ينظر: القاموس المحيط ١١١٣ (منن).

(١٠) وهو قول الفراء أيضا في معاني القرآن ١/ ٣٨، وابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ٥٠، وعزي إلى الأخفش في إعراب القرآن ١/ ٢٢٧، والتبيان في تفسير القرآن ١/ ٢٥٩.

(١١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ١/ ٢٥٩، والمحرر الوجيز ١/ ١٤٩، ومجمع البيان ١/ ٢٢٤.

(١٢) ينظر: الصحاح ٦/ ٢٣٨١ (سلا)، وتفسير البغوي ١/ ٧٥ وعزاه إلى المؤرج، وزاد المسير ١/ ٧١ وعزاه إلى ابن الأنباري، وغلط ابن عطية هذا القول في المحرر الوجيز ١/ ١٤٩، ورد عليه القرطبي في تفسيره ١/ ٤٠٧ - ٤٠٨.

(١٣) أبو ذؤيب الهذلي، ديوان الهذليين ١/ ١٥٨.

(١٤) ليس في ب، وبعدها في ع وفي حاشية الأصل: حقا، و (جهدا) ساقطة من ك.." [1]

"الآية [الشورى:٥١]، فالمنفي أحد الوجوه والمثبت (١) الآخر. وعلى الجنس أنه على المجاز، والمراد به الإخبار عن شدة غضبه عليهم، وطرده إياهم (٢).

﴿ولا يزكيهم:﴾ ولا يثني عليهم (٣)، وقيل (٤): لا يبدل سيئاتهم حسنات.

١٧٥ - و (المغفرة) (٥) والغفران بمعنى، **وأصله الستر** (٦)، ومعناه إلباس العفو (٧).

وإنما اشتروا العذاب باشتراء موجبه بموجبها.

وقوله: (ما أصبرهم): على التعجب (٨)، ﴿على النار:﴾ على موجبها (٩). وقيل (١٠): ما أدوم حبسهم عليها. وقيل (١١): ما أجرأهم عليها كما يقال: ما أصبر فلانا على القتال.

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ١/١٥٨

١٧٦ - ﴿ذلك:﴾ إشارة إلى العذاب، أو نحوه (١٢).
﴿نزل الكتاب:﴾ التوراة، أو الجنس (١٣).
و (الاختلاف) (١٤): ضد الاتفاق (١٥)، وهو أن تخالف كل طائفة غيرها (١٦).

١٧٧ - ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم:﴾ نفى حجة من يستدل بفضيلة قبلته، كإعجاب اليهود بالبيت المقدس المحدق بالصخرة التي عليها المعراج (١٧)، وإعجاب النصارى بسراج (١٨) الدنيا، وإعجاب موسى بقبلة إبراهيم ومنشأ إسماعيل ومختلف الحاج ومأمن الوحش.
وبين الله أنه لا بر في تولية الوجه قبل المشرق والمغرب بلا إيمان صحيح وصلاة مجزية

---

(١) في ع وب: المثبت. وينظر: التبيان في تفسير القرآن ٢/ ٨٩، ومجمع البيان ١/ ٤٧٩، والتفسير الكبير ٥/ ٢٧.
(٢) ينظر: النكت والعيون ١/ ١٨٦، والمحرر الوجيز ١/ ٢٤١، والتفسير الكبير ٥/ ٢٧.
(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١/ ٢٤٥، وتفسير القرآن الكريم ١/ ٥٤٢، والنكت والعيون ١/ ١٨٦.
(٤) ينظر: البحر المحيط ١/ ٦٦٨.
(٥) الآية ١٧٥: أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار.
(٦) ينظر: لسان العرب ٥/ ٢٥ (غفر).
(٧) في ع: العفر، وهو تحريف.
(٨) ينظر: معاني القرآن للأخفش ١/ ٣٤٧، ومشكل إعراب القرآن ١/ ١١٧، والمحرر الوجيز ١/ ٢٤٢.
(٩) ينظر: الكشاف ١/ ٢١٦، والبحر المحيط ١/ ٦٦٩ و ٦٧١، وتفسير البيضاوي ١/ ٤٥١.
(١٠) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١/ ٢٤٥، وتفسير القرآن الكريم ١/ ٥٤٣، والتبيان في تفسير القرآن ٢/ ٩١.
(١١) ينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ١٠٣، وغريب القرآن وتفسيره ٨٧، والصاحبي ٣٠٤.
(١٢) ينظر: تفسير الطبري ٢/ ١٢٦، والوجيز ١/ ١٤٦، وتفسير البغوي ١/ ١٤٢.
(١٣) ينظر: البحر المحيط ١/ ٦٧٠، وتفسير البيضاوي ١/ ٤٥٢.
(١٤) في الآية نفسها: وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد.
(١٥) ينظر: البحر المحيط ١/ ٥٠٧.

(١٦) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٢/ ٩٤.

(١٧) ينظر: التفسير الكبير ٥/ ٣٥.

(١٨) في ك: بسراح.." (١)

"﴿أكننتم:﴾ أضمرتم. والكن: الستر (١).

﴿سرا:﴾ زناء، عن إبراهيم والحسن (٢)، وقال الشاعر (٣): [من الوافر]

ويحرم سر جارتهم عليهم ... ويأكل جارهم أنف القصاع

وقال [ابن] (٤) المسيب: السر أن يواعدها خفية مالا (٥) لئلا تسبقه بنفسها.

و (القول المعروف) (٦): (٥٢ و) ما أبيح على وجه التعريض (٧).

﴿ولا تعزموا:﴾ تقصدوا (٨).

﴿عقدة:﴾ اسم من العقد، وعقد الشيء ضبطه وإحكامه بنوع تأليف (٩).

﴿الكتاب أجله:﴾ انتهاء العدة التي أوجبها الله عليها (١٠).

وخوف الشيء اتقاؤه. وإنما ذكر المغفرة والحلم لئلا يميلهم هذا التحذير عن الاعتدال بين الخوف والرجاء، فالله تعالى رفع الجناح عن شيئين: التعريض والإضمار، وحرم شيئين (١١): المواعدة سرا وعزم عقدة (١٢) النكاح. أما التعريض فقد قال ابن عباس: أن يقول بمشهدها: إني أريد أن أتزوج بزوجة (١٣)، وأما الإضمار أن يخطر بباله أو (١٤) ينويه من غير ع‍زم صحيح، وأما المواعدة سرا فقد سبق ذكرها، وأما العزم فهو أن يؤكد رأيه (١٥) عليها ويقصدها من غير تردد فيعظم عليه فوتها.

٢٣٦ - ﴿لا جناح عليكم إن طلقتم النساء:﴾ قال الكلبي: نزلت في رجل من الأنصار تزوج (١٦) بامرأة من بني حنيفة ولم يسم لها مهرا، ثم طلقها قبل الدخول، فقال صلى الله عليه وسلم: (متعها ولو

---

(١) ينظر: معاني القرآن للفراء ١/ ١٥٢، ومعاني القرآن وإعرابه ١/ ٣١٧، وتفسير البغوي ١/ ٢١٦.

(٢) ينظر: تفسير سفيان الثوري ٦٩، والطبري ٢/ ٧٠٨ - ٧٠٩، والنكت والعيون ١/ ٢٥٤.

(٣) الحطيئة، ديوانه ٣٢٨.

(٤) من ب.

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٢٧٨/١

(٥) في ب: لا.

(٦) في الآية نفسها: إلا أن تقولوا قولا معروفا.

(٧) ينظر: تفسير الطبري ٢/ ٧١٤، والنكت والعيون ١/ ٢٥٤، والمحرر الوجيز ١/ ٣١٦.

(٨) ينظر: التوقيف على مهمات التعاريف ٥١٣.

(٩) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٢/ ٢٦٨.

(١٠) ينظر: تفسير سفيان الثوري ٧٠، وتفسير غريب القرآن ٩٠، والنكت والعيون ١/ ٢٥٤.

(١١) (التعريض. . . شيئين) مكررة في ب.

(١٢) في ع: عقد. وينظر: تفسير الطبري ٢/ ٧١٦.

(١٣) ينظر: تفسير الطبري ٢/ ٧٠١، ومجمع البيان ٢/ ١٢٠، وزاد المسير ١/ ٢٤٥.

(١٤) مكررة في ب. وينظر: مجمع البيان ٢/ ١٢٠.

(١٥) ساقطة من ب.

(١٦) في ب: وتزوج، والواو مقحمة.." [١]

"الإنكار والجحد بين يدي (١) الجبار في دار القرار عند معاينة النار (٢).

٢٤ - ﴿انظر:﴾ أمر تعجيب (٣).

﴿وضل:﴾ غاب وفات (٤).

و ﴿ما كانوا:﴾ هي دعاواهم الكاذبة في الدنيا (٥).

٢٥ - ﴿ومنهم من يستمع إليك:﴾ قيل: إن أبا سفيان والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث وعتبة وشيبة ابني ربيعة وأمية وأبي ابني (٦) خلف استمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا للنضر: أتعرف ما هذا؟ قال: لا إلا أني أراه يحرك لسانه (٧).

﴿أكنة﴾ (٨): جمع كنان، وهو الستر (٩).

﴿وقرا:﴾ "ثقلا" (١٠). والمراد به الخذلان.

و ﴿حتى:﴾ غاية لاستماعهم، أي: غايته (١١) الجدال والإنكار دون الإقبال والإقرار (١٢).

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٣٣٢/١

﴿أساطير:﴾ واحدتها أسطورة، وقيل: إسطارة (١٣)، وقيل: لا واحد لها، وهي ما سطره الأولون وكتبوه في كتبهم من الأسمار (١٤) والأباطيل.

٢٦ - ﴿وهم ينهون عنه:﴾ والمراد بالنهي ذب أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم رواية عن ابن عباس (١٥). و (النأي): تباعده عن القرآن وموجباته، أخبر الله عن تناقض أمره وعجب فعله، إلى هذا ذهب مجاهد وقتادة وابن زيد والحسن (١٦). وروي عن ابن عباس: المراد بالنهي صدهم

---

(١) في الأصل: يد.
(٢) ينظر: تفسير البغوي ٢/ ٩٠.
(٣) في ك: تعجب. وينظر: مجمع البيان ٤/ ٢٧.
(٤) ينظر: الكشاف ٢/ ١٣، والبحر المحيط ٤/ ١٠١.
(٥) ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٤/ ١٠٠.
(٦) في ب: بن.
(٧) ينظر: تفسير البغوي ٢/ ٩٠ - ٩١، والكشاف ٢/ ١٣، والتفسير الكبير ١٢/ ١٨٥ - ١٨٦.
(٨) في ع: لكنه، وهو خطأ.
(٩) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٢٣٦، ومجمع البيان ٤/ ٢٨، والتفسير الكبير ١٢/ ١٨٦.
(١٠) غريب القرآن وتفسيره ١٣٤، والعمدة في غريب القرآن ١٢٦.
(١١) في ب: غاية.
(١٢) ينظر: الكشاف ٢/ ١٤، والبحر المحيط ٤/ ١٠٢ - ١٠٣.
(١٣) في ك: أساطرة.
(١٤) في ب: الأسماء. وينظر: زاد المسير ٣/ ١٦، والتفسير الكبير ١٢/ ١٨٨، ولسان العرب ٤/ ٣٦٣ (سطر).
(١٥) ينظر: تفسير سفيان الثوري ١٠٦ - ١٠٧، وتفسير القرآن ٢/ ٢٠٦، وتفسير الطبري ٧/ ٢٢٨.
(١٦) ينظر: تفسير الطبري ٧/ ٢٢٧ - ٢٢٨، ومجمع البيان ٤/ ٣١، وزاد المسير ٣/ ١٧.." [1]

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٦٠٣/١

"رسول الله، اسمي مدلج، وأنا غلام من الأنصار، فقال رسول الله: «أنت مدلج تلج الجنة في طاعة الله وطاعة رسوله، وأنت ممن يلج الجنة، لئن كنت استحييت من عمر إنك لمن قوم شديد حياؤهم، رفقاء في أمرهم، يسبق صغيرهم كبيرهم»، (١) ثم قال رسول الله: «إن الله يحب الحليم المتعفف، ويبغض البذي الجريء السائل الملحف».

وسأل رجلان ابن عباس عن الاستئذان في الثلاث العورات؟ قال: إن الله ستير يحب الستر، وكان الناس ليس لهم ستور على أبوابهم ولا حجال في بيوتهم، وربما فاجأ الرجل ولده وخادمه، أو يتيم في حجره، وهو مع أهله، فأمرهم الله عز وجل أن يستأذنوا في الثلاث (٢) الساعات التي سمى الله عز وجل، ثم جاء الله عز وجل باليسر، وبسط عليهم الرزق، فاتخذوا الستور والحجاب، فرأى الناس أن ذلك قد كفاهم عن الاستئذان الذي أمروا. (٣)

وسئل الشعبي عن قوله: ﴿ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾ قال: لم (٤) تنسخ؛ لأن ابن عباس ذكر ما يجزئ من الاستئذان، ولم يخبر عن نسخ الآية. (٥)

﴿ثلاث عورات:﴾ الساعات المعورة التي يفترضها ويتحينها المفسدون، فإنهن من الأيام والليالي كالحلل في الدور، يقال: داره عورة معورة.

وأراد بالمماليك الصغار؛ لأن (٦) العادة أن الناس يستخدمون الغلمان دون الفحول.

(الظهيرة): الهاجرة.

٥٩ - ﴿وإذا بلغ الأطفال:﴾ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (٧) عليه السلام: «رسول الرجل إلى الرجل إذنه». (٨)

٦٠ - ﴿والقواعد:﴾ اللوازم.

﴿اللاتي لا يرجون نكاحا:﴾ لكبرهن، واحدتهن قاعد، كحائض وطامث.

﴿أن يضعن ثيابهن:﴾ خمارهن. (٢٤٠ و)

---

(١) أخرجه أبو زيد النميري في أخبار المدينة ٢/ ٤٨ مختصرا، وابن حجر في الإصابة ٦/ ٦١، والإشبيلي في الأحكام الصغرى ٢/ ١٧٩ - ١٨٠.

(٢) (العورات؟ قال: إن الله ستير. . . أن يستأذنوا في الثلاث)، ساقط من ع.

(٣) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٧٨٧٤)، وسنن أبي داود (٥١٩٢)، وأحكام القرآن لابن العربي ٣/ ٣٠٩ - ٣١٠.

(٤) ع وأ: ثم.

(٥) ينظر: الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز (٤٠٤)، ونواسخ القرآن ١/ ٢٠٠ و ٢٠١، والناسخ والمنسوخ للكرمي ١/ ١٥٥.

(٦) ع: أن.

(٧) غير موجودة في الأصل، وهذه من ك وع.

(٨) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٠٧٦)، وأبو داود في السنن (٥١٨٩)، والسيوطي في الجامع الصغير (٤٤٥٥).." (١)

"من الآية تحريم الحرائر بعد التسع، ثم شاهدت من سننه ما استدلت (١) به على نسخ الآية بالسنة.

٥٣ - ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي:﴾ عن أنس بن مالك قال:

تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل بأهله، فصنعت، أي: أم سليم، حيسا، فجعلته في تور، فقالت: يا أنس، اذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل له: وجهت بهذا إليك أمي، وهي تقرئك السلام، وتقول: إن هذا لك منا قليل، قال: فذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إن أمي تقرئك السلام، وتقول: إن هذا لك منا قليل، فقال: «ضعه»، ثم قال: «اذهب فادع فلانا وفلانا ومن لقيت»، وسمى رجالا، فدعوت من سمى ومن لقيت، قال: قلت لأنس: كم عددا كانوا؟ قال: زهاء ثلاث مئة، قال: فقال رسول الله: «يا أنس، هات التور»، قال: فدخلوا حتى امتلأت الصفة والحجرة، فقال رسول الله: «ليتحلق عشرة عشرة، وليأكل كل إنسان مما يليه»، قال: فأكلوا حتى شبعوا، قال: فخرجت طائفة، ودخلت طائفة حتى أكلوا كلهم، قال: قال: «يا أنس، ارفع»، قال: رفعت فما أدري حين وضعت كان أكثر أم حين رفعت، قال: وجلس طوائف منهم يتحدثون في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله (٢) جالس وزوجته مولية وجهها إلى [الحائط] (٣)، فثقلوا على رسول الله، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم على نسائه، ثم رجع، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رجع (٤) ظنوا أنهم ثقلوا عليه، قال: فابتدروا الباب، فخرجوا كلهم، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى **أرخى الستر**

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٣٧٤/٢

ودخل، فأنا جالس في الحجرة، فلم يلبث إلا يسيرا حتى خرج علي، وأنزلت عليه هذه الآية، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأها على الناس، قال أنس: (٢٦٨ ظ) أنا أحدث الناس عهدا بهذه الآيات، وحجبن نساء النبي. (٥)

﴿ولا مستأنسين لحديث:﴾ في محل الخفض معطوفا على قوله: ﴿غير ناظرين إناه﴾

وعن عائشة قالت: كنت آكل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم حيسا في قعب، فمر عمر بن (٦) [الخطاب] (٧)، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأكل معنا، فأصابت أصبعه أصبعي، فقال: أوه لو أطاع فيكون ما رأتكن عين، فنزل الحجاب (٨).

---

(١) ك: استدليت.

(٢) (ورسول الله)، غير موجود في ع وأ.

(٣) بياض في الأصول المخطوطة، وهي زيادة من سنن الترمذي.

(٤) الأصل وك: رجعوا، وع: ردحوا، وأ: رفعوا. والصواب ما أثبت. ينظر مصادر التخريج.

(٥) أخرجه مسلم في الصحيح (١٤٢٨)، والترمذي في السنن (٣٢١٨).

(٦) ساقطة من ع.

(٧) زيادة من كتب التخريج.

(٨) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٠٥٣)، والنسائي في الكبرى (١١٤١٩)، والطبراني في الأوسط (٢٩٤٧).." [(١)]

"﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (٦) ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم (٧) ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين (٨) يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون (٩) في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون (١٠) ﴾

قوله ﴿إن الذين كفروا﴾ يعني مشركي العرب قال الكلبي: يعني اليهود. والكفر هو الجحود وأصله من الكفر وهو الستر ومنه سمي الليل كافرا لأنه يستر الأشياء بظلمته وسمي الزارع كافرا لأنه يستر الحب بالتراب والكافر يستر الحق بجحوده.

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٤٧٢/٢

والكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر عناد، وكفر نفاق. فكفر الإنكار: أن لا يعرف الله أصلا ولا يعترف به، وكفر الجحود هو: أن يعرف الله تعالى بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر إبليس (وكفر) (١) اليهود. قال الله تعالى: "فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به" (٨٩-البقرة) وكفر العناد هو: أن يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر أبي طالب حيث يقول: ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وأما كفر النفاق: فهو أن يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب، وجميع هذه الأنواع سواء في أن من لقي الله تعالى بواحد منها لا يغفر له.

قوله ﴿سواء عليهم﴾ أي: متساو لديهم ﴿أأنذرتهم﴾ خوفتهم وحذرتهم والإنذار إعلام مع تخويف وتحذير وكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا وحقق ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي الهمزتين في "أأنذرتهم" وكذلك كل همزتين تقعان في أول الكلمة والآخرون يلينون الثانية ﴿أم﴾ حرف عطف على الاستفهام (لم) حرف جزم لا تلي إلا الفعل لأن الجزم يختص بالأفعال ﴿تنذرهم لا يؤمنون﴾ وهذه الآية في أقوام حقت عليهم كلمة الشقاوة في سابق علم الله ثم ذكر سبب تركهم الإيمان

فقال ﴿ختم الله﴾ طبع الله ﴿على قلوبهم﴾ فلا تعي خيرا ولا تفهمه.

---

(١) من ب.." (١)

"والأردن وفلسطين وتدمر، وقال مقاتل: إيليا، وقال ابن كيسان: الشام ﴿فكلوا منها حيث شئتم رغدا﴾ موسعا عليكم ﴿وادخلوا الباب﴾ يعني بابا من أبواب القرية وكان لها سبعة أبواب ﴿سجدا﴾ أي ركعا خضعا منحنين، وقال وهب: فإذا دخلتموه فاسجدوا شكرا لله تعالى ﴿وقولوا حطة﴾ قال قتادة: حط عنا خطايانا، أمروا بالاستغفار، قال ابن عباس: لا إله إلا الله، لأنها تحط الذنوب، ورفعها على تقدير: قولوا مسألتنا حطة ﴿نغفر لكم خطاياكم﴾ الغفر وهو الستر، فالمغفرة تستر الذنوب، وقرأ أهل المدينة و (نافع) (١) بالياء وضمها وفتح الفاء، وقرأها ابن عامر بالتاء وضمها وفتح الفاء، وفي الأعراف قرأ جميعا ويعقوب بالتاء وضمها، وقرأ الآخرون فيهما بنصب النون وكسر الفاء ﴿وسنزيد المحسنين﴾ ثوابا من فضلنا

﴿فبدل﴾ فغير ﴿الذين ظلموا﴾ أنفسهم وقالوا ﴿قولا غير الذي قيل لهم﴾ وذلك أنهم بدلوا قول الحطة

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٦٤/١

بالحنطة، فقالوا بلسانهم: حطانا سمقاثا أي حنطة حمراء، استخفافا بأمر الله تعالى، وقال مجاهد: طؤطئ لهم الباب ليخفضوا رءوسهم فأبوا أن يدخلوها سجدا فدخلوا على أستاههم مخالفة في الفعل كما بدلوا القول وقالوا قولا غير الذي قيل لهم.

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا إسحاق بن نصر أنا عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا حبة في شعرة" (٢)

﴿فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء﴾ قيل: أرسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفا ﴿بما كانوا يفسقون﴾ يعصون ويخرجون من أمر الله تعالى.

﴿وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا و ا شربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين (٦٠) ﴾

﴿وإذ استسقى موسى﴾ طلب السقيا ﴿لقومه﴾ وذلك أنهم عطشوا في التيه فسألوا موسى أن يستسقي لهم ففعل فأوحى إليه كما قال: ﴿فقلنا اضرب بعصاك﴾ وكانت من آس الجنة، طولها عشرة أذرع على طول موسى عليه السلام ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نورا، واسمها عليق حملها، آدم عليه

---

(١) زيادة من ب.

(٢) رواه البخاري: في أحاديث الأنبياء ٦ / ٤٣٦ مسلم: في التفسير برقم (٣٠١٥) ٤ / ٢٣١٢.." [١]

"محمد صلى الله عليه وسلم بالجلد والتحميم فاقبلوا، ﴿وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته﴾ كفره وضلالته، قال الضحاك: هلاكه، وقال قتادة: عذابه، ﴿فلن تملك له من الله شيئا﴾ فلن تقدر على دفع أمر الله فيه، ﴿أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم﴾ وفيه رد على من ينكر القدر، ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ أي: للمنافقين واليهود، فخزي المنافقين الفضيحة **وهتك الستر بإظهار** نفاقهم، وخزي اليهود الجزية والقتل والسبي والنفي، ورؤيتهم من محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيهم ما يكرهون، ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ الخلود في النار.." (٢)

---

(١) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٩٩/١

(٢) تفسير البغوي – طيبة البغوي ، أبو محمد ٥٨/٣

"قوله تعالى: ﴿فلا تك في مرية منه﴾ أي: في شك منه، ﴿إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ .

﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين (١٨) ﴾ .

﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾ فزعم أن له ولدا أو شريكا، أي: لا أحد أظلم منه، ﴿أولئك﴾ يعني: الكاذبين والمكذبين، ﴿يعرضون على ربهم﴾ فيسألهم عن أعمالهم.

﴿ويقول الأشهاد﴾ يعني: الملائكة الذين كانوا يحفظون أعمالهم، قاله مجاهد (١) .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إنهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وهو قول الضحاك (٢) .

وقال قتادة: الخلائق كلهم.

وروينا عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته"، وأما الكفار والمنافقون [فينادي بهم على رؤوس الخلائق] (٣) ، ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين﴾ (٤) .

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٥ / ٢٨٣، الدر المنثور: ٤ / ٤١٢-٤١٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٥ / ٢٨٣، الدر المنثور: ٤ / ٤١٢-٤١٣.

(٣) في "ب": "فيقول الأشهاد" والمثبت من "أ" وهو الموافق لرواية البخاري.

(٤) أخرجه البخاري في المظالم، باب قول الله تعالى: "ألا لعنة الله على الظالمين" ٥ / ٩٦، وفي التوحيد، وفي الرقاق. وأخرجه مسلم في التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، برقم (٢٧٦٦) : ٤ / ٢١٢٠، والمصنف في شرح السنة: ١٥ / ١٣٢-١٣٣. وقوله في الحديث: "فيضع عليه كنفه" بفتح الكاف والنون، بعدها فاء - المراد بالكنف: الستر، وقد جاء مفسرا بذلك في رواية عبد الله بن المبارك عن محمد بن سواء عن قتادة فقال في آخر الحديث: قال عبد الله بن المبارك: كنفه: ستره. أخرجه البخاري في "خلق

أفعال العباد". والمعنى: أنه تحيط به عنايته التامة. ومن رواه بالمثناة المكسورة -كتفه- فقد صحف، على ما جزم به جمع من العلماء. انظر: فتح الباري: ١٣ / ٤٧٧.." (١)

"﴿قالوا سلاما﴾ أي: سلموا سلاما، ﴿قال﴾ إبراهيم ﴿سلام﴾ أي: عليكم سلام: وقيل: هو رفع على الحكاية، كقوله تعالى: " وقولوا حطة " ﴿البقرة ٨٥ والأعراف ١٦١﴾ ، وقرأ حمزة والكسائي "سلم" ها هنا وفي سورة الذاريات بكسر السين بلا ألف. قيل: هو بمعنى السلام. كما يقال: حل وحلال، وحرم وحرام. وقيل: هو بمعنى الصلح، أي: نحن سلم أي صلح لكم غير حرب.

﴿فما لبث أن جاء بعجل حنيذ﴾ والحنيذ والمحنوذ: هو المشوي على الحجارة في خد من الأرض، وكان سمينا يسيل دسما، كما قال في موضع آخر: " فجاء بعجل سمين " ﴿الذاريات -٢٦﴾ : قال قتادة: كان عامة مال إبراهيم البقر.

﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط (٧٠) وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب (٧١) ﴾ .

﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه﴾ أي: إلى العجل، ﴿نكرهم﴾ أنكرهم، ﴿وأوجس﴾ أضمر، ﴿منهم خيفة﴾ خوفا. قال مقاتل: وقع في قلبه، وأصل الوجوس: الدخول، كان الخوف دخل قلبه. وقال قتادة: وذلك أنهم كانوا إذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا أنه لم يأت بخير وإنما جاء بشر. ﴿قالوا لا تخف﴾ يا إبراهيم [إنا رسل ربك. يعني:] (١) ، ﴿إنا﴾ ملائكة الله ﴿أرسلنا إلى قوم لوط﴾ .

﴿وامرأته﴾ سارة بنت هاران بن أحور (٢) وهي ابنة عم إبراهيم. ﴿قائمة﴾ من وراء الستر تسمع كلامهم. وقيل: كانت قائمة تخدم الرسل، وإبراهيم جالس معهم. ﴿فضحكت﴾ قال مجاهد وعكرمة: ضحكت أي: حاضت في الوقت، تقول العرب: ضحكت الأرنب، أي: حاضت. والأكثرون على أن المراد منه الضحك المعروف.

واختلفوا في سبب ضحكها، قيل: ضحكت لزوال الخوف عنها وعن إبراهيم حين قالوا: لا تخف. وقال السدي: لما قرب إبراهيم الطعام إليهم فلم يأكلوا خاف إبراهيم وظنهم لصوصا فقال لهم: ألا تأكلون؟ قالوا: إنا لا نأكل طعاما إلا بثمن، فقال إبراهيم: فإن له ثمنا، قالوا وما ثمنه؟ قال تذكرون اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره، فنظر جبريل إلى ميكائيل وقال: حق لهذا أن يتخذه ربه خليلا. فلما رأى إبراهيم وسارة أيديهم لا تصل إليه ضحكت سارة، وقالت: يا عجبا لأضيافنا إنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ١٦٨/٤

لا يأكلون طعامنا.

---

(١) زيادة من "ب".

(٢) في "ب": (مأخوذ) .." (١)

"قال: ولقد رأيتنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمنا الخبز واللحم، حتى امتد النهار، [فخرج الناس] (١) وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعته فجعل يتتبع حجز نسائه يسلم عليهن، ويقلن: يا رسول الله كيف وجدت أهلك؟ قال: فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبرني.

قال: فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه فألقى الستر بيني وبينه، ونزل الحجاب (٢) .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا سليمان بن حرب، أخبرنا حماد عن ثابت، عن أنس قال: ما أولم النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من نسائه ما أولم على زينب، أولم بشاة (٣) .

أخبرنا محمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي، أخبرنا أبو العباس الأصم، أخبرنا محمد بن هشام بن ملاس النمري، أخبرنا مروان الفزاري، أخبرنا حميد عن أنس قال: أولم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب بنت جحش فأشبع المسلمين خبزا ولحما (٤) .

قوله عز وجل: ﴿لكي لا يكون على المؤمنين حرج﴾ إثم، ﴿في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا﴾ و"الأدعياء": جمع الدعي، وهو المتبنى، يقول: زوجناك زينب، وهي امرأة زيد الذي تبنيته، ليعلم أن زوجة المتبنى حلال للمتبني، [وإن كان قد خل بها المتبنى] (٥) بخلاف امرأة ابن الصلب فإنها لا تحل للأب. ﴿وكان أمر الله مفعولا﴾ أي: كان قضاء الله ماضيا وحكمه نافذا وقد قضى في زينب أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا (٣٨) ﴾

قوله عز وجل: ﴿ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له﴾ أي: فيما أحل الله له، ﴿سنة الله﴾ أي: كسنة الله ٨٣/أنصب بنزع الخافض، وقيل: نصب على الإغراء، أي: الزموا

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ١٨٨/٤

(١) ساقط من "أ".

(٢) أخرجه مسلم في النكاح: باب: زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب برقم: (١٤٢٨) : ٢ / ١٠٤٨.

(٣) أخرجه البخاري في النكاح، باب الوليمة بشاة: ٩ / ٢٣٢، ومسلم في النكاح، باب: زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب برقم: (١٤٢٨) ٢ / ١٠٤٩، والمصنف في شرح السنة: ٩ / ١٣٧.

(٤) أخرجه البخاري في التفسير (تفسير سورة الأحزاب) ٨ / ٥٢٨، والمصنف في شرح السنة: ٩ / ١٣٧.

(٥) ما بين القوسين ساقط من "أ".." (١)

"﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما (٥٣) ﴾

قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾ الآية. قال أكثر المفسرين: نزلت هذه الآية في شأن وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا يحيى بن بكير، أخبرنا الليث عن عقيل، عن ابن شهاب، أخبرني أنس ابن مالك أنه كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، قال: وكانت أم هانئ تواظبني على خدمة النبي صلى الله عليه وسلم، فخدمته عشر سنين، وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشرين سنة، فكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل، فكان أول ما أنزل في مبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش، أصبح النبي صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدعا القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا، وبقي رهط منهم عند النبي صلى الله عليه وسلم فأطالوا المكث، فقام النبي لله فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا، فمشى النبي صلى الله عليه وسلم ومشيت حتى جاء حجرة عائشة، ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه، حتى إذا دخل على زينب فإذا هم جلوس لم يخرجوا، فرجع النبي صلى الله عليه وسلم، ورجعت معه حتى إذا بلغ عتبة حجرة عائشة وظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا،

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٥٧/٦

فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينه الستر، وأنزل الحجاب (١) .

وقال أبو عثمان -واسمه الجعد-عن أنس قال: فدخل يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت **وأرخى الستر وإني** لفي الحجرة، وهو يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾ إلى قوله: ﴿والله لا يستحيي من الحق﴾ (٢) .

---

(١) أخرجه البخاري في النكاح، باب الوليمة حق: ٩ / ٢٣٠، وفي الاسئذان باب آية الحجاب: ١١ / ٢٢ وفي مواضع أخرى.

(٢) أخرجه البخاري في النكاح، باب الهدية للعروس: ٩ / ٢٢٦-٢٢٧.." [1]

"﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص (٣٦) إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد (٣٧) ﴾

﴿من خشي الرحمن بالغيب﴾ محل "من" جر (١) على نعت الأواب. ومعنى الآية: من خاف الرحمن وأطاعه بالغيب ولم يره. وقال الضحاك والسدي: يعني في الخلوة حيث لا يراه أحد. قال الحسن: إذا **أرخى الستر وأغلق** الباب. ﴿وجاء بقلب منيب﴾ مخلص مقبل إلى طاعة الله.

﴿ادخلوها﴾ [أي: يقال لأهل هذه الصفة: ادخلوها] (٢) أي ادخلوا الجنة ﴿بسلام﴾ بسلامة من العذاب والهموم. وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم. وقيل: بسلامة من زوال النعم، ﴿ذلك يوم الخلود﴾ .

﴿لهم ما يشاءون فيها﴾ ، وذلك أنهم يسألون الله تعالى حتى تنتهي مسألتهم فيعطون ما شاؤوا، ثم يزيدهم الله من عنده ما لم يسألوه، وهو قوله: ﴿ولدينا مزيد﴾ ، يعني الزيادة لهم في النعيم ما لم يخطر ببالهم. وقال جابر وأنس: هو النظر إلى وجه الله الكريم.

قوله عز وجل: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد﴾ ، ضربوا وساروا وتقلبوا وطافوا، وأصله من النقب، وهو الطريق كأنهم سلكوا كل طريق، ﴿هل من محيص﴾ فلم يجدوا محيصا من أمر الله. وقيل: "هل من محيص" مفر من الموت؟ فلم يجدوا [منه مفرا، وهذا إنذار] (٣) لأهل مكة وأنهم على مثل سبيلهم لا يجدون مفرا عن الموت يموتون، فيصيرون إلى عذاب الله.

﴿إن في ذلك﴾ ، فيما ذكرت من العبر وإهلاك القرى، ﴿لذكرى﴾ ، تذكرة وعظة، ﴿لمن كان له قلب﴾

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٦٩/٦

(١) في "أ" رفع.

(٢) ما بين القوسين زيادة من "ب".

(٣) في "أ": فيه إنذارا.." (١)

"وقال مجاهد: بأول عمله وآخره. وقال عطاء: بما قدم في أول عمره وما أخر في آخر عمره.

وقال زيد بن أسلم: بما قدم من أمواله لنفسه وما أخر خلفه للورثة (١)

﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة (١٤) ولو ألقى معاذيره (١٥) لا تحرك به لسانك لتعجل به (١٦) ﴾

﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ قال عكرمة، ومقاتل، والكلبي: معناه بل الإنسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله، وهي سمعه وبصره وجوارحه (٢) ودخل الهاء في البصيرة لأن المراد بالإنسان هاهنا جوارحه، ويحتمل أن يكون معناه "بل الإنسان على نفسه بصيرة" يعني: لجوارحه، فحذف حرف الجر كقوله: "وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم" (البقرة-٢٣٣) أي لأولادكم. ويجوز أن يكون نعتا لاسم مؤنث أي بل الإنسان على نفسه عين بصيرة.

وقال أبو العالية، وعطاء: بل الإنسان على نفسه شاهد، وهي رواية العوفي عن ابن عباس، والهاء في "بصيرة" للمبالغة، دليل هذا التأويل. قوله عز وجل: "كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا" (الإسراء-١٤) . ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ يعني يشهد عليه الشاهد ولو اعتذر وجادل عن نفسه لم ينفعه، كما قال تعالى: "يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم" (غافر-٥٢) وهذا قول مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وابن زيد وعطاء: قال الفراء: ولو اعتذر فعليه من نفسه من يكذب عذره ومعنى الإلقاء: القول، كما قال: "وألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون" (النحل-٨٦) . وقال الضحاك والسدي: "ولو ألقى معاذيره" يعني: ولو أرخى الستور وأغلق الأبواب. وأهل اليمن يسمون الستر: معذارا، وجمعه: معاذير، ومعناه على هذا القول: وإن **أسبل الستر ليخفي** ما يعمل، فإن نفسه شاهدة عليه. قوله عز وجل ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جرير، عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل: "لا تحرك به لسانك لتعجل به" قال: كان رسول الله

---

(١) قال ابن جرير: ٢٩ / ١٨٤ "والصواب من القول في ذلك عندنا، أن ذلك خبر من الله أن الإنسان

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٦٣/٧

ينبأ بكل ما قدم أمامه مما عمل من خير أو شر في حياته وأخر بعده من سنة أو سيئة مما قدم وأخر، كذلك ما قدم من عمل عمله من خير أو شر، وأخر بعده من عمل كان عليه فضيعه، فلم يعمله مما قدم وأخر ولم يخصص الله في ذلك بعضا دون بعض، فكل ذلك مما ينبأ به الإنسان يوم القيامة".
(٢) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣ / ٢١١.." (١)

"أى نحلا طوالا. والتركيب دائر على معنى الستر، وكأنها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة، من مصدر جنه إذا ستره، كأنها سترة واحدة لفرط التفافها. وسميت دار الثواب «جنة» لما فيها من الجنان. فإن قلت: الجنة مخلوقة أم لا؟ قلت: قد اختلف في ذلك. والذي يقول إنها مخلوقة يستدل بسكنى آدم وحواء الجنة وبمجيئها في القرآن على نهج الأسماء الغالبة اللاحقة بالأعلام، كالنبي والرسول والكتاب ونحوها. فان قلت: ما معنى جمع الجنة وتنكيرها؟ قلت: الجنة اسم لدار الثواب كلها، وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين، لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان. فان قلت:

أما يشترط في استحقاق الثواب بالإيمان والعمل الصالح أن لا يحبطهما المكلف بالكفر والإقدام على الكبائر وأن لا يندم على ما أوجده من فعل الطاعة وترك المعصية؟ فهلا شرط ذلك؟ قلت: لما جعل الثواب مستحقا بالإيمان والعمل الصالح، والبشارة مختصة بمن يتولاهما، وركز في العقول أن الإحسان إنما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء، إذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه، وأنه لا يبقى مع وجود مفسده إحسانا، وأعلم بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو أكرم الناس عليه وأعزهم: (لئن أشركت ليحبطن عملك) ، وقال تعالى المؤمنين: (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم) كان اشتراط حفظهما من الإحباط والندم كالداخل تحت الذكر. فان قلت: كيف صورة جرى الأنهار من تحتها؟ قلت: كما ترى الأشجار النابتة على شواطئ الأنهار الجارية. وعن مسروق: أن أنهار الجنة تجرى في غير أخدود. وأنزه البساتين وأكرمها منظرا ما كانت أشجاره مظللة، والأنهار في خلالها مطردة. ولولا أن الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى، وأن الجنان والرياض وإن كانت آنق شيء وأحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الأنفس ولا تجلب الأريحية." (٢)

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٢٨٣/٨

(٢) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ١٠٦/١

"أولادهن مجرى أولادكم، كأنكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم. وعن على رضى الله عنه: أنه شرط ذلك في التحريم. وبه أخذ داود. فإن قلت: ما معنى دخلتم بهن؟ قلت: هي كناية عن الجماع، كقولهم: بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعنى أدخلتموهن الستر. والباء للتعدية واللمس. ونحوه يقوم مقام الدخول عند أبى حنيفة. وعن عمر رضى الله عنه أنه خلا بجارية فجردها، فاستوهبها ابن له فقال: إنها لا تحل لك. وعن مسروق أنه أمر أن تباع جاريته بعد موته وقال: أما إنى لم أصب منها إلا ما يحرمها على ولدى من اللمس والنظر. وعن الحسن في الرجل يملك الأمة فيغمزها لشهوة أو يقبلها أو يكشفها: أنها لا تحل لولده بحال وعن عطاء وحماد بن أبى سليمان: إذا نظر إلى فرج امرأة فلا ينكح أمها ولا ابنتها. وعن الأوزاعى: إذا دخل بالأم فعراها ولمسها بيده وأغلق الباب وأرخى الستر، فلا يحل له نكاح ابنتها. وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار: أن التحريم لا يقع إلا بالجماع وحده الذين من أصلابكم دون من تبنيتم. وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش الأسدية بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة «١» ، وقال عز وجل (لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم) . وأن تجمعوا في موضع الرفع عطف على المحرمات، أى وحرم عليكم الجمع بين الأختين. والمراد حرمة النكاح، لأن التحريم في الآية تحريم النكاح وأما الجمع بينهما في ملك اليمين، فعن عثمان وعلى رضى الله عنهما أنهما قالا: أحلتهما آية وحرمتهما آية «٢» يعنيان هذه الآية وقوله: (أو ما ملكت أيمانكم) فرجح على التحريم، وعثمان التحليل «٣» . إلا ما قد سلف «٤» ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله إن الله كان غفورا رحيما

---

(١) . متفق عليه من حديث أنس بغير هذا اللفظ.

(٢) . أما حديث عثمان ففي الموطأ عن الزهري عن قبيصة بن ذؤيب «أن عثمان سئل عن الأختين مما ملكت اليمين فقال: لا آمرك ولا أنهاك، أحلتهما آية وحرمتهما أخرى» وأخرجه الشافعي عن مالك وابن أبى شيبة من طريق مالك والدارقطني من طريق معمر عن الزهري وهو أشبه بلفظ المصنف. وأما حديث على فرواه البزار وابن أبى شيبة وأبو يعلى من رواية أبى صالح الحنفي قال قال على للناس: سلوني فقال ابن الكواء حدثنا يا أمير المؤمنين عن الأختين المملوكتين. قال: أحلتهما آية وحرمتها أخرى وإنى لا أحله ولا أنهى عنه ولا أفعله أنا ولا أحد من أهل بيتي.

(٣) . أما عثمان فلم أجد عنه التصريح بالتحليل وإنما توقف، وأما على ففي رواية الموطأ ثم خرج السائل

فلقى رجلا من الصحابة قال الزهري أحسبه قال على فسأله فقال له. ولكنى أنهاك ولو كان لي سبيل على فعله لجعلته نكالا.

(٤) . قال أحمد: موقع هذا الاستثناء كموقع نظيره المقدم ذكره عند قوله: ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء على الوجه الذي بينت، وهو أن هذا النهى لكونه جديرا بأن يمتثل أجرى مجرى الاخبار عن امتثاله، حتى كأنه قيل: لا يقع شيء من هذه المحرمات إلا السالف منها لا غير. أو على الوجه الذي بينه الزمخشري فيما تقدم، وهو أن يكون المراد إلا ما قد سلف فانه غير محرم فتعاطوه إن كان ممكنا، من باب التعليق على المحال بتا للتحريم، إلا أن الزمخشري لم يسلك هذا المسلك هاهنا لأن قوله: (إن الله كان غفورا رحيما) يرشد إلى أن المراد إلا ما قد سلف فانه مغفور لاستثنائه في الآية الأولى لأنه عقبه ثم بقوله: (إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) فقدر في كل آية ما يناسب سياقها، والله سبحانه وتعالى أعلم.." (١)

"مذؤما من ذأمه إذا ذمه. وقرأ الزهري: مذوما بالتخفيف، مثل مسول في مسؤل.

واللام في لمن تبعك موطئة للقسم. ولأملأن جوابه، وهو ساد مسد جواب الشرط منكم منك ومنهم، نغلب ضمير المخاطب، كما في قوله إنكم قوم تجهلون. وروى عصمة عن عاصم: لمن تبعك، بكسر اللام، بمعنى: لمن تبعك منهم هذا الوعيد، وهو قوله لأملأن جهنم منكم أجمعين، على أن لأملأن في محل الابتداء، ولمن تبعك خبره.

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ١٩ الى ٢٢]

ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (١٩) فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين (٢٠) وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين (٢١) فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين (٢٢)

ويا آدم وقلنا يا آدم. وقرئ: هذى الشجرة، والأصل الياء، والهاء بدل منها. ويقال:

وسوس، إذا تكلم كلاما خفيا يكرره. ومنه وسوس الحلى، وهو فعل غير متعد، كولولت المرأة ووعوع الذئب، ورجل موسوس- بكسر الواو- ولا يقال موسوس بالفتح، ولكن موسوس له، وموسوس إليه، وهو الذي تلقى

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤٩٦/١

إليه الوسوسة. ومعنى وسوس له: فعل الوسوسة لأجله، ووسوس إليه: ألقاها إليه ليبدي جعل ذلك غرضا له ليسوءهما إذا رأيا ما يؤثران ستره وأن لا يطلع عليه مكشوفا. وفيه دليل على أن كشف العورة من عظائم الأمور «١» وأنه

---

(١) . قال محمود: «فيه دليل على أن كشف العورة من عظائم الأمور ... الخ» قال أحمد: وفي هذه الكلمات أيضا جنوح إلى قاعدة الاعتزال في أمرين، أحدهما: قوله إن كشف العورة لم يزل مستقبحا في العقول، فانه ينشأ عن اعتقاده أن القبح والتحسين بالعقل وإن جاز أن يصدر هذا الكلام من المعتقد لعقيدة السنة، إلا أنه لا يريد به ظاهره، إذ التحسين والتقبيح إنما يدركان بالشرع والسمع لا بالعقل. ومعنى هذا الإطلاق ولو صدر من سنى:

أن العقل يدرك المعنى الذي لأجله حسن الشرع الستر وقبح الكشف. الأمر الثاني: استدلاله على تفضيل الملائكة على الأنبياء وقد مضى أن ذلك معتقد المعتزلة وإن كان بعض أهل السنة قد مال إليه والجواب ممن يعتقد تفضيل الأنبياء أنه لا يلزم من اعتقاد إبليس ذلك ووسوسته بأن الملائكة أفضل أن يكون الأمر كذلك في علم الله تعالى. ألا ترى إبليس لعنه الله قد أخبر أن الله تعالى منعهما من الشجرة حتى لا يخالدا أولا يكونا ملكين؟ وهو في ذلك كاذب مبطل، فلا دليل فيه، إذ ليس في الآية ما يوجب تقرير الله تعالى لا بليس على ذلك ولا تصديقه فيه، بل ختمت الآية بما يدل على أنه كذب لهما وغرهما، إذ قال الله تعالى عنه فدلاهما بغرور فلعل تفضيله الملكية على النبوة من جملة غروره، والله أعلم.." (١)

"البقر حنيذ مشوى بالرضف «١» في أخدود. وقيل حنيذ يقطر دسمه، من حنذت الفرس إذا ألقيت عليها الجل حتى تقطر عرقا، ويدل عليه بعجل سمين. يقال: نكره وأنكره واستنكره، ومنكور قليل في كلامهم، وكذلك: أنا أنكرك، ولكن منكر ومستنكر، وأنكرك. قال الأعشى:

وأنكرتني وما كان الذى نكرت ... من الحوادث إلا الشيب والصلعا «٢»

قيل: كان ينزل في طرف من الأرض فخاف أن يريدوا به مكروها «٣» . وقيل: كانت عادتهم أنه إذا مس من يطرقهم طعامهم أمنوه وإلا خافوه، والظاهر أنه أحس بأنهم ملائكة، ونكرهم لأنه تخوف أن يكون نزولهم لأمر أنكره الله عليه أو لتعذيب قومه، ألا ترى إلى قولهم لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وإنما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيهم أرسلوا وأوجس فأضمر «٤» . وإنما قالوا لا تخف لأنهم رأوا أثر الخوف والتغير

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢/٩٤

في وجهه.

أو عرفوه بتعريف الله. أو علموا أن علمه بأنهم ملائكة موجب للخوف، لأنهم كانوا لا ينزلون إلا بعذاب وامرأته قائمة قيل: كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم. وقيل: كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم. وفي مصحف عبد الله: وامرأته قائمة وهو قاعد فضحكت سرورا بزوال الخيفة «٥» أو بهلاك أهل الخبائث. أو كان ضحكها ضحك إنكار لغفلتهم وقد

---

(١) . قوله «مشوى بالرضف» أى الحجارة المحماة، كما في الصحاح. (ع)

(٢) . للأعشى. ويقال: أنكره ونكره: جهله ونفر منه: أى جهلتنى المحبوبة، وما كان الذي أنكرته من الحوادث إلا الشيب والصلع وهو انحسار شعر الرأس. وقيل: إن أبا عبيدة سمع بشارا ينكر نسبة هذا البيت للأعشى ويقول: إنه مصنوع عليه لا يشبه كلامه، فتعجب أبو عبيدة من فطنته، كأنه صح عنده إنكاره.

(٣) . قال محمود: «قيل إنه كان ينزل في طرف من الأرض فخاف أن يريدوا به مكروها ... الخ» قال أحمد:

وقد وردت قصة إبراهيم هذه في ثلاثة مواضع: هذا أحدها، وهو دال على أنه إنما أوجس منهم خيفة لعلمه أنهم ملائكة وعدم علمه فيم جاءوا. الثاني: في الحجر قوله ونبئهم عن ضيف إبراهيم إلى قوله لا توجل إنا نبشرك فلم يطمئنوا بإعلامه أنهم ملائكة، ولكن بأنهم يبشرون له، فدل على استشعارهم أنه علم كونهم ملائكة ووجل مما جاءوا فيه. الثالث: في الذاريات فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه فهو أيضا كذلك. وأما لوط فلم يشعر أنهم ملائكة حتى أعلموه بذلك. ألا ترى إلى قوله تعالى قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأول ما أعلموا به أنهم رسل، فالفرق بين هذه الآية وبين آي إبراهيم، مصداق لأن إبراهيم علم كونهم ملائكة ولوطا لم يعلم ذلك، ولا يبعد من فضل إبراهيم على لوط أن يبعد على فراسته أن يعلم أنهم ملائكة دون لوط عليهما السلام.

(٤) . عاد كلامه. قال: «ومعنى أوجس أضمر وإنما قالوا لا تخف لأنهم رأوا أثر الخوف ... الخ» قال أحمد:

وهذا التأويل وهم فيه الزمخشري والله أعلم، لأنهم إنما علموا خوفه ووجله باخباره إياهم بذلك، ويدل عليه قوله تعالى في آية أخرى قال إنا منكم وجلون قالوا لا توجل والقصة واحدة، والله الموفق للصواب.

(٥) . عاد كلامه. قال: «وضحك زوجته لأنها سرت بذهاب الخيفة ... الخ» قال أحمد: ويبعد هذا

التأويل أنها قالت بعد يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب فلو كان حيضها قبل بشارتها لما تعجبت، إذ لا عجب في حمل من تحيض، والحيض في العادة مهماز على إمكان الحمل، والله الموفق.." (١)

"العقوبة، بوزن السمرة. والمثلة لما بين «١» العقاب والمعاقب عليه من المماثلة، وجزاء سيئة سيئة مثلها ويقال: أمثلت الرجل من صاحبه وأقصصته منه. والمثال: القصاص. وقرئ المثلات بضمتين لإتباع الفاء العين. والمثلات، بفتح الميم وسكون الثاء، كما يقال: السمرة «٢» . والمثلات بضم الميم وسكون الثاء، تخفيف المثلات بضمتين. والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات «٣» لذو مغفرة للناس على ظلمهم أى مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب. ومحله الحال، بمعنى ظالمين لأنفسهم «٤» وفيه أوجه. أن يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر. أو الكبائر بشرط التوبة. أو يريد **بالمغفرة الستر والإمهال**. وروى أنها لما نزلت قال النبي عليه الصلاة والسلام «لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ أحد العيش، ولولا وعيده وعقابه لا تكل كل أحد» «٥»

[سورة الرعد (١٣) : آية ٧]

ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد (٧)

لولا أنزل عليه آية من ربه لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا، فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى، من انقلاب العصاحية، وإحياء الموتى، فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما أنت رجل أرسالات منذرا ومخوفا لهم من سوء العاقبة، وناصحا كغيرك من الرسل، وما عليك إلا الإتيان بما يصحح به أنك رسول منذر، وصحة ذلك حاصلة بأية آية كانت، والآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوة بها لا تفاوت بينها، والذي عنده كل شيء بمقدار يعطى كل نبى آية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها ولكل قوم هاد من الأنبياء يهديهم إلى الدين، ويدعوهم إلى الله بوجه من الهداية، وبآية خص بها، ولم يجعل الأنبياء شرعا واحدا «٦» في آيات مخصوصة. ووجه آخر: وهو أن يكون المعنى أنهم

---

(١) . قوله «المثلة لما بين» عبارة النسفي «والمثلة العقوبة لما بين ... الخ. (ع)

(٢) . قوله «كما يقال السمرة» لعله السمرة والسمرات. (ع)

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢/٤١٠

(٣) . قوله «كركبة وركبات» في الصحاح الركبة معروفة وجمع القلة ركبات وركبات. وفي هامشه عن مرتضى: أى بسكون الكاف وضمها وفتحها، والراء مضمومة فيهن. (ع) [.....]

(٤) . قال محمود: «ومحل على ظلمهم الحال بمعنى ظالمين لأنفسهم ... الخ» قال أحمد: والوجه الحق بقاء الوعد على إطلاقه إلا حيث دل الدليل على التقييد في غير الموحد، فان ظلمه أعنى شركه لا يغفر وما عدا الشرك فغفرانه في المشيئة. والزمخشري يبنى على عقيدته التي وضح فسادها، في استحالة الغفران لصاحب الكبائر وإن كان موحدا إلا بالتوبة، فيقيد مطلقا، ويحجر واسعا، والله الموفق.

(٥) . أخرجه ابن أبى حاتم والثعلبي من رواية حماد بن سلمة عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب: لما نزلت وإن ربك لذو مغفرة الآية، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ... فذكره.

(٦) . قوله «ولم يجعل الأنبياء شرعا واحدا» أى سواء، كذا في الصحاح. (ع)." (١)

"وهو العذاب النكر. ومن آمن أعطاه وكساه من أمرنا يسرا أى لا نأمره بالصعب الشاق، ولكن بالسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك، وتقديره: ذا يسر، كقوله قولا ميسورا وقرئ: يسرا، بضمتين.

[سورة الكهف (١٨) : الآيات ٨٩ الى ٩١]

ثم أتبع سببا (٨٩) حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا (٩٠) كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا (٩١)

وقرئ: مطلع، بفتح اللام وهو مصدر. والمعنى: بلغ مكان مطلع الشمس، كقوله:

كأن مجر الرامسات ذيولها «١»

يريد: كأن آثار مجر الرامسات على قوم قيل: هم الزنج. والستر: الأبنية، وعن كعب:

أرضهم لا تمسك الأبنية وبها أسراب، فإذا طلعت الشمس دخلوها. فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معايشهم. وعن بعضهم: خرجت حتى جاوزت الصين، فسألت عن هؤلاء فقيل: بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة، فبلغتهم فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الأخرى، ومعى صاحب يعرف لسانهم فقالوا له: جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس؟ قال: فبينا نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة «٢» فغشى على، ثم أفقت وهم يمسحونني بالدهن، فلما طلعت الشمس على الماء إذا هي فوق الماء كهيئة الزيت، فأدخلونا سربا لهم، فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم. وقيل: الستر اللباس.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٢/٥١٤

وعن مجاهد:

من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض كذلك أى أمر ذى القرنين كذلك، أى كما وصفناه تعظيما لأمره وقد أحطنا بما لديه من الجنود والآلات وأسباب الملك خبرا تكثيرا لذلك. وقيل: لم نجعل لهم من دونها سترا مثل **ذلك الستر الذي** جعلنا لكم من الجبال والحصون والأبنية والأكنان من كل جنس، والثياب من

---

(١) .

كأن مجر الرامسات ذيولها ... عليه قضيم نمقته الصوانع

للنابغة، والمجر ليس مكان الجر، وإنما هو مصدر بمعنى الجر، لأنه لو كان اسم مكان لما عمل النصب، ثم يجب تقدير مضاف ليصح الاخبار عنه بأنه قضيم أى موضع مجر، أى كان المحل الذي تجر الرياح الرامسات ذيولها عليه قضيم، أى جلد أبيض نمقته وحسنته الصوانع للكتابة. وسميت الرياح رامسات من الرمس أى التغييب، لأنها تحمل التراب وتلقيه على الآثار فيدفنها. واستعار الذيول لما يلي الأرض من الرياح على طريق التصريح. ويجوز أن تشبه الرياح بنساء لثيابهن ذيول طويلة يجررنها على الأرض، والذيول تخييل.

(٢) . قوله «إذ سمعنا كهيئة الصلصلة» في الصحاح «الصلة» واحدة الصلال، وهي القطع من الأمطار المتفرقة يقع منها الشيء بعد الشيء، وصلصلة اللجام: صوته إذا ضوعف. (ع)." (١)

"وقرئ: نعمه، ونعمة، ونعمته. فإن قلت: ما النعمة؟ قلت: كل نفع قصد به الإحسان، والله تعالى خلق العالم كله نعمة، لأنه إما حيوان، وإما غير حيوان. فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان، والحيوان نعمة من حيث أن إيجاده حيا نعمة عليه. لأنه لولا إيجاده حيا لما صح منه الانتفاع، وكل ما أدى إلى الانتفاع وصححه فهو نعمة. فإن قلت: لم كان خلق العالم مقصودا به الإحسان؟ قلت: لأنه لا يخلقه إلا لغرض، وإلا كان عبثا، والعبث لا يجوز عليه ولا يجوز أن يكون لغرض راجع إليه من نفع، لأنه غنى غير محتاج إلى المنافع، فلم يبق إلا أن يكون لغرض يرجع إلى الحيوان وهو نفعه. فإن قلت: فما معنى الظاهرة والباطنة؟ قلت: الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة، والباطنة ما لا يعلم إلا بدليل، أو لا يعلم أصلا، فكم في بدن الإنسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدى إلى العلم بها، وقد أكثروا في ذلك: فعن مجاهد: الظاهرة ظهور الإسلام والنصرة على الأعداء، والباطنة: الأمداد من الملائكة. وعن الحسن رضى الله عنه: الظاهرة: الإسلام.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٧٤٥/٢

والباطنة الستر. وعن الضحاك: الظاهرة: حسن الصورة، وامتداد القامة. وتسوية الأعضاء. والباطنة:
المعرفة. وقيل: الظاهرة البصر، والسمع، واللسان، وسائر الجوارح الظاهرة. والباطنة:
القلب، والعقل، والفهم، وما أشبه ذلك. ويروى في دعاء موسى عليه السلام: إلهى، دلني على أخفى نعمتك على عبادك، فقال: أخفى نعمتي عليهم النفس. ويروى: أن أيسر ما يعذب به أهل النار: الأخذ بالأنفاس «١» .

[سورة لقمان (٣١) : آية ٢١]
وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير (٢١)
معناه أيتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم أى في حال دعاء الشيطان إياهم إلى العذاب.

[سورة لقمان (٣١) : آية ٢٢]
ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى و إلى الله عاقبة الأمور (٢٢)
قرأ على بن أبي طالب رضى الله عنه: ومن يسلم بالتشديد، يقال: أسلم أمرك وسلم أمرك إلى الله. فإن قلت: ماله عدى بإلى، وقد عدى باللام في قوله بلى من أسلم وجهه لله؟ قلت:
معناه مع اللام: أنه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله. أى خالصا له. ومعناه- مع إلى-:

---

(١) . لم أجده.." (١)

"به ممن شوهد منه الستر والصلاح، وأونست منه الأمانة في الظاهر، فظن الفساد والخيانة به محرم، بخلاف من اشتهره الناس بتعاطى الريب والمجاهرة بالخبائث. عن النبي صلى الله عليه وسلم:
«إن الله تعالى حرم من المسلم دمه وعرضه وأن يظن به ظن السوء» «١» وعن الحسن: كنا في زمان الظن بالناس حرام، وأنت اليوم في زمان اعمل واسكت، وظن بالناس ما شئت.
وعنه: لا حرمة لفاجر. وعنه: إن الفاسق إذا أظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله، وإذا استتر لم يظهر الله عليه لعله أن يتوب. وقد روى: من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له «٢» .

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣/٤٩٩

والإثم: الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب. ومنه قيل لعقوبته: الأثام، فعال منه: كالنكال والعذاب والوبال. قال:

لقد فعلت هذى النوى بى فعلة ... أصاب النوى قبل الممات أثامها «٣»

والهمزة فيه عن الواو، كأنه يثم الأعمال: أى يكسرها بإحباطه. وقرئ: ولا تحسسوا بالحاء والمعنيان متقاربان. يقال: تجسس الأمر إذا تطلبه وبحث عنه: تفعل من الجس، كما أن التلمس بمعنى التطلب من اللمس، لما في اللمس من الطلب. وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى وأنا لمسنا السماء والتحسس: التعرف من الحس، ولتقاربهما قيل لمشاعر الإنسان: الحواس بالحاء والجيم، والمراد النهى عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه. وعن مجاهد. خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله. وعن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه خطب فرفع صوته حتى أسمع العواتق في خدورهن. قال: يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه، لا تتبعوا عورات المسلمين: فإن من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه

---

(١) . أخرجه ابن ماجة. من حديث ابن عمر بإسناد فيه لين، ولفظه «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة وهو يقول: ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك: ماله ودمه وأن يظن به إلا خيرا» وروى ابن أبى شيبة من طريق مجالد عن الشعبي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم نظر إلى الكعبة فقال «ما أعظمك وأعظم حرمتك والمسلم أعظم حرمة منك. حرم الله دمه وماله وعرضه، وأن يظن به ظن السوء. وروى البيهقي في الشعب من طريق مجاهد عن ابن عباس نحوه. وفيه حفص بن عبد الرحمن. [.....]

(٢) . أخرجه البيهقي في الشعب في التاسع والستين والقضاعي في مسند الشهاب من طريق رواه بن الجراح عن أبى سعد الساعدي عن أنس وإسناده ضعيف. وأخرجه ابن عدى من رواية الربيع بن بدر عن أبان عن أنس وإسناده أضعف من الأول.

(٣) . النوى: نية المسافر من قرب أو بعد، فهي مؤنثة، وتستعمل اسم جمع نية، فيذكر: أى لقد فعلت في هذه النية فعلة مسيئة، فهي بمعنى في، ثم دعا عليها بقوله: أصاب النوى التي أذتنى أثامها، أى: جزاء تلك الفعلة.

أو جزاء النوى التي تستحقه. وقد يسمى الذنب إثما وأثاما، من إطلاق المسبب على السبب، وقال قبل الممات، أى: قبل موته ليتشفى فيها، فكأنه شبهها بعدو، ثم دعا عليها.." (١)

"وفسره برجعه إلى مخرجه من الصلب والترائب أو الإحليل. أو إلى الحالة الاولى نصب الظرف بمضمر السرائر ما أسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها، وما أخفى من الأعمال.

وبلاؤها. تعرفها وتصفحها، والتمييز بين ما طاب منها وما خبث. وعن الحسن أنه سمع رجلا ينشد:

سيبقى لها في مضمر القلب والحشا ... سريرة ود يوم تبلى السرائر «١»

فقال: ما أغفله عما في والسماء والطارق؟ فما له فما للإنسان من قوة من منعة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر ولا مانع يمنعه.

[سورة الطارق (٨٦) : الآيات ١١ الى ١٤]

والسماء ذات الرجع (١١) والأرض ذات الصدع (١٢) إنه لقول فصل (١٣) وما هو بالهزل (١٤)

سمى المطر رجعا، كما سمى أوبا. قال:

رباء شماء لا يأوى لقلتها ... إلا السحاب وإلا الأوب والسبل «٢»

تسمية بمصدرى: رجع، وآب، وذلك أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض، ثم يرجعه إلى الأرض. أو أرادوا ،لتفاؤل فسموه رجعا. وأوبا، ليرجع ويؤب. وقيل: لأن الله يرجعه وقتا فوقتا. قالت الخنساء: كالرجع في المدجنة السارية.

والصدع: ما يتصدع عنه الأرض من النبات إنه الضمير للقرآن فصل فاصل بين

---

(١) .

إذا رمت عنها سلوة قال شافع ... من الحب ميعاد السلو المقابر

سيقى لها في مضمر القلب والحشا ... سريرة ود يوم تبلى السرائر

لمجنون بنى عامر صاحب ليلى العامرية. وسلا عنه سلوة وسلوا: صد عنه وأعرض، وشبه بعث الحب إياه وحمله على دوام المودة بقول القائل على طريق التصريحية، وتسمية الحب شافعا: ترشيح. ومن بيانية. ويحتمل أنها تجريدية دلالة على أن الحب بلغ نهاية اللذة حتى حمل على دوام المودة فانتزع منه غيره

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣٧٢/٤

وأسند له الفعل. ويجوز أنها تبعيضية دالة على أن بعضه يكفى في الشفاعة. وقوله «المقابر» أى دخولها، كناية عن الموت. والمراد: التأبيد، بدليل ما بعده. ومضمر القلب: المضمر في القلب. أو مضمر هو القلب. وتبلى: مبنى للفاعل، أى: تفنى.

ويحتمل بناءه للمفعول، أى: تختبر. والحشا- بالفتح-: عطف على القلب أعم منه، دلالة على أن الحب في غير قلبه أيضا.

(٢) . للمنتخل الهذلي يرثى ابنه. وقيل: يصف رجلا بأنه رباء، أى طلاع من ربأ وارتبأ: إذا طلع لينظر إلى أمر. ومنه الربيئة، وإضافته إلى شماء من إضافة الوصف لمفعوله: وهي القلعة المرتفعة من الشمم وهو الارتفاع.

وقلة الجبل وقنته: رأسه وأعلاه. والأوب: النحل، لأنه يذهب ويؤوب إلى بيته. أو المطر، لأن أصله من بحار الأرض على زعم العرب، ثم يؤوب إليها. والسبيل- بالتحريك-: المطر من أسبلت الستر إذا أرسلته وأرخيته، وعلى أن الأوب بمعنى النحل لا مناسبة بينه قرينية، وعلى أنه بمعنى المطر، فالسبل مرادف له.." (١)

"صادرة عن كلمات، وهي كن في كل واحدة منهن، وهذا قول يقتضي أن آدم لم يقل شيئا إلا الاستغفار المعهود.

وسئل بعض سلف المسلمين عما ينبغي أن يقوله المذنب، فقال: يقول ما قال أبواه، ربنا ظلمنا أنفسنا. وما قال موسى: رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي. [القصص: ١٦] . وما قال يونس: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين. [الأنبياء: ٨٧] .

و «تاب عليه» معناه رجع به، والتوبة من الله تعالى الرجوع على عبده بالرحمة والتوفيق، والتوبة من العبد الرجوع عن المعصية والندم على الذنب مع تركه فيما يستأنف وإنما خص الله تعالى آدم بالذكر هنا في التلقي والتوبة، وحواء مشاركة له في ذلك بإجماع لأنه المخاطب في أول القصة بقوله: اسكن أنت وزوجك الجنة فلذلك كملت القصة بذكره وحده، وأيضا فلأن المرأة حرمة ومستورة فأراد الله الستر لها، ولذلك لم يذكرها في المعصية في قوله: وعصى آدم ربه فغوى [طه: ١٢١] .

وروي أن الله تعالى تاب على آدم في يوم عاشوراء.

وكنية آدم أبو محمد، وقيل أبو البشر.

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٤/٧٣٦

وقرأ الجمهور: «إنه» بكسر الألف على القطع.
وقرأ ابن أبي عقرب: «أنه» بفتح الهمزة على معنى لأنه، وبنية التواب للمبالغة والتكثير، وفي قوله تعالى: إنه هو التواب الرحيم تأكيد فائدته أن التوبة على العبد إنما هي نعمة من الله، لا من العبد وحده لئلا يعجب التائب، بل الواجب عليه شكر الله تعالى في توبته عليه، وكرر الأمر بالهبوط لما علق بكل أمر منهما حكما غير حكم الآخر، فعلق بالأول العداوة، وعلق بالثاني إتيان الهدى. وقيل: كرر الأمر بالهبوط على جهة تغليظ الأمر وتأكيده، كما تقول لرجل قم قم.
وحكى النقاش: أن الهبوط الثاني إنما هو من الجنة إلى السماء، والأول في ترتيب الآية إنما هو إلى الأرض، وهو الآخر في الوقوع، فليس في الأمر تكرار على هذا، وجميعا حال من الضمير في اهبطوا، وليس بمصدر ولا اسم فاعل، ولكنه عوض منهما دال عليهما، كأنه قال هبوطا جميعا، أو هابطين جميعا، واختلف في المقصود بهذا الخطاب، فقيل آدم وحواء وإبليس وذريتهم، وقيل ظاهره العموم ومعناه الخصوص في آدم وحواء، لأن إبليس لا يأتيه هدى، وخوطبا بلفظ الجمع تشريفا لهما، والأول أصح لأن إبليس مخاطب بالإيمان بإجماع، و «إن» في قوله فإما هي للشرط دخلت ما عليها مؤكدة ليصح دخول النون المشددة، فهي بمثابة لام القسم التي تجيء لتجيء النون، وفي قوله تعالى: مني إشارة إلى أن أفعال العباد خلق الله تعالى. واختلف في معنى قوله هدى، فقيل: بيان وإرشاد.
قال القاضي أبو محمد رحمه الله: والصواب أن يقال: بيان ودعاء.
وقالت فرقة: الهدى الرسل، وهي إلى آدم من الملائكة وإلى بنيه من البشر: هو فمن بعده.
وقوله تعالى: فمن تبع هداي شرط جوابه فلا خوف عليهم.." (١)
"الأجر للمنفق في سبيل الله، والأجر الجنة، ونفى عنه الخوف بعد موته لما يستقبل والحزن على ما سلف من دنياه، لأنه يغتبط بآخرته.
قوله عز وجل:

[سورة البقرة (٢) : الآيات ٢٦٣ الى ٢٦٤]
قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم (٢٦٣) يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٣١/١

تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين (٢٦٤)
هذا إخبار جزم من الله تعالى أن القول المعروف وهو الدعاء والتأنيس والترجية بما عند الله، خير من صدقة هي في ظاهرها صدقة، وفي باطنها لا شيء. لأن ذلك القول المعروف فيه أجر، وهذه لا أجر فيها.
وقال المهدوي وغيره التقدير في إعرابه قول معروف أولى ومغفرة خير.
قال القاضي أبو محمد: وفي هذا ذهاب برونق المعنى، وإنما يكون المقدر كالظاهر، **والمغفرة الستر للخلة** وسوء حالة المحتاج. ومن هذا قول الأعرابي، وقد سأل قوما بكلام فصيح، فقال له قائل: ممن الرجل؟ فقال اللهم غفرا، سوء الاكتساب يمنع من الانتساب، وقال النقاش: يقال معناه ومغفرة للسائل إن أغلظ أو جفا إذا حرم، ثم أخبر تعالى بغناه عن صدقة من هذه حاله وعاقبة أمره، وحمله عمن يمكن أن يواقع هذا من عبيده وإمهالهم. وقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى الآية، العقيدة أن السيئات لا تبطل الحسنات، فقال جمهور العلماء في هذه الآية: إن الصدقة التي يعلم الله في صاحبها أنه يمن أو يؤذي فإنها لا تتقبل صدقة، وقيل بل جعل الله للملك عليها أمارة فلا يكتبها.
قال القاضي أبو محمد: وهذا حسن، لأن ما نتلقى نحن عن المعقول من بني آدم فهو أن المن المؤذي ينص على نفسه أن نيته لم تكن لله عز وجل على ما ذكرناه قبل، فلم تترتب له صدقة، فهذا هو بطلان الصدقة بالمن والأذى، والمن والأذى في صدقة لا يبطل صدقة غيرها، إذ لم يكشف ذلك على النية في السليمة ولا قدم فيها، ثم مثل الله هذا الذي يمن ويؤذي بحسب مقدمة نيته بالذي ينفق رئاء لا لوجه الله، والرياء مصدر من فاعل من الرؤية. كأن الرياء تظاهر وتفاخر بين من لا خير فيه من الناس. قال المهدوي والتقدير كإبطال الذي ينفق رئاء، وقوله تعالى: ولا يؤمن بالله واليوم الآخر يحتمل أن يريد الكافر الظاهر الكفر، إذ قد ينفق ليقال جواد وليثنى عليه بأنواع الثناء ولغير ذلك. ويحتمل أن يريد المنافق الذي يظهر الإيمان. ثم مثل هذا المنفق رئاء ب صفوان عليه تراب فيظنه الظان أرضا منبتة طيبة كما يظن قوم أن صدقة هذا المرائي لها قدر أو معنى، فإذا أصاب الصفوان وابل من المطر انكشف ذلك التراب وبقي صلدا، فكذلك هذا المرائي إذا كان يوم القيامة وحصلت الأعمال انكشف سره وظهر أنه لا قدر لصدقته ولا معنى. فالمن والأذى والرياء يكشف عن النية. فيبطل الصدقة كما يكشف الوابل الصفا فيذهب ما ظن." (١)

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣٥٧/١

"هذه الآية وما بعدها وإن لم تكن أمرا بالصدقة فهي جالبة للنفوس إلى الصدقة، بين عز وجل فيها نزغات الشيطان ووسوسته وعداوته، وذكر بثوابه هو لا رب غيره. وذكر بتفضله بالحكمة وأثنى عليها، ونبه أن أهل العقول هم المتذكرون الذين يقيمون بالحكمة قدر الإنفاق في طاعة الله عز وجل وغير ذلك، ثم ذكر علمه بكل نفقة ونذر. وفي ذلك وعد ووعيد. ثم بين الحكم في الإعلان والإخفاء وكذلك إلى آخر المعنى. والوعد في كلام العرب إذا أطلق فهو في الخير وإذا قيد بالموعود ما هو فقد يقيد بالخير وبالشر كالبشارة. فهذه الآية مما قيد الوعد فيها بمكروه وهو الفقر و «الفحشاء» كل ما فحش وفحش ذكره، ومعاصي الله كلها فحشاء، وروى حيوة عن رجل من أهل الرباط أنه قرأ «الفقر» بضم الفاء، وهي لغة، وقال ابن عباس: في الآية اثنتان من الشيطان، واثنتان من الله تعالى، وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن للشيطان لمة من ابن آدم وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، فمن وجد ذلك فليتعوذ، وأما لمة الملك فوعد بالحق وتصديق بالخير فمن وجد ذلك فليحمد الله، ثم قرأ عليه السلام الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم الآية، والمغفرة **هي الستر على** عباده في الدنيا والآخرة، والفضل هو الرزق في الدنيا والتوسعة فيه والتنعيم في الآخرة، وبكل قد وعد الله تعالى، وذكر النقاش أن بعض الناس تأنس بهذه الآية في أن الفقر أفضل من الغنى، لأن الشيطان إنما يبعد العبد من الخير وهو بتخويفه الفقر يبعد منه.

قال القاضي أبو محمد: وليس في الآية حجة قاطعة أما إن المعارضة بها قوية وروي أن في التوراة «عبدي أنفق من رزقي أبسط عليك فضلي، فإن يدي مبسوطة على كل يد مبسوطة» وفي القرآن مصداقه:

وهو وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه، وهو خير الرازقين [سبأ: ٣٩] وواسع لأنه وسع كل شيء رحمة وعلما، ثم أخبر تعالى عن نفسه أنه يؤتي الحكمة أي يعطيها لمن يشاء من عباده، واختلف المتأولون في الحكمة في هذا الموضع فقال السدي: الحكمة النبوءة، وقال ابن عباس: هي المعرفة بالقرآن فقهه ونسخه ومحكمه ومتشابهه وعربيته. وقال قتادة: الحكمة الفقه في القرآن، وقاله مجاهد:

وقال مجاهد أيضا: الحكمة الإصابة في القول والفعل، وقال ابن زيد وأبوه زيد بن أسلم: الحكمة العقل في الدين، وقال مالك: الحكمة المعرفة في الدين والفقه فيه والاتباع له، وروى عنه ابن القاسم أنه قال: الحكمة التفكر في أمر الله والاتباع له، وقال أيضا الحكمة طاعة الله والفقه في الدين والعمل به، وقال الربيع: الحكمة الخشية، ومنه قول النبي عليه السلام: «رأس كل شيء خشية الله تعالى» ، وقال إبراهيم: الحكمة الفهم وقاله زيد بن أسلم، وقال الحسن: الحكمة الورع، وهذه الأقوال كلها ما عدا قول السدي قريب بعضها

من بعض لأن الحكمة مصدر من الإحكام وهو ا الإتقان في عمل أو قول. وكتاب الله حكمة، وسنة نبيه حكمة. وكل ما ذكر فهو جزء من الحكمة التي هي الجنس.

وقرأ الجمهور «من يؤت الحكمة» على بناء الفعل للمفعول. وقرأ الزهري ويعقوب «ومن يؤت» بكسر التاء على معنى ومن يؤت الله الحكمة ف من مفعول أول مقدم والحكمة مفعول ثان، وقرأ الأخفش: «ومن." (١)

"و «المأوى» : مفعل من أويت إلى المكان إذا دخلته وسكنت فيه، و «المثوى» ، مفعل من: ثويت، والتقدير:

وبئس مثوى الظالمين هي.

قوله تعالى:

[سورة آل عمران (٣) : آية ١٥٢]

ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين (١٥٢)

جاءت المخاطبة في هذه الآيات بجمع ضمير المؤمنين، وإن كانت الأمور التي عاتبهم الله تعالى عليها لم يقع فيها جميعهم، ولذلك وجوه من الفصاحة: منها وعظ الجميع وزجره، إذ من لم يفعل معد أن يفعل إن لم يزجر، **ومنها الستر والإبقاء** على من فعل، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وعد المؤمنين النصر يومئذ على خبر الله تعالى- إن صبروا وجدوا- فصدق الله الوعد أولا، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صاف المسلمين يومئذ ورتب الرماة على ما قد ذكرناه في صدر تفسير هذه الآيات في قصة أحد، فبارز علي بن أبي طالب أبا سعد بن أبي طلحة وهو صاحب لواء المشركين، وحمل الزبير وأبو دجانة فهزا عسكر المشركين، ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس، فأبلى حمزة بن عبد المطلب وعاصم بن أبي الأقلح، وانهزم المشركون وقتل منهم اثنان وعشرون رجلا فهذا معنى قوله تعالى: إذ تحسونهم بإذنه والحس: القتل الذريع، يقال حسهم إذا استأصلهم قتلا، وحس البرد النبات وقال رؤبة:

[الرجز]

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣٦٤/١

إذا تشكوا سنة حسوسا ... تأكل بعد الأخضر اليبيسا
قال بعض الناس: هو مأخوذ من الحاسة، والمعنى في حس: أفسد الحواس.
قال القاضي أبو محمد: وهذا ضعيف، و «الإذن» : التمكين مع العلم بالممكن منه، وقوله تعالى:
حتى إذا فشلتم يحتمل أن تكون حتى غاية مجردة، كأنه قال: إلى أن فشلتم، ويقوي هذا أن إذا بمعنى «إذ» لأن الأمر قد كان تقضى، وإنما ہي حكاية حال، فتستغني إذا على هذا النظر عن جواب، والأظهر الأقوى أن إذا على بابها تحتاج إلى الجواب، وتكون حتى كأنها حرف ابتداء على نحو دخولها على الجمل، واختلف النحاة في جواب إذا فذهبت فرقة إلى أن الجواب قوله تنازعتم، والواو زائدة، وحكى المهدوي عن أبي علي أنه قال: الجواب قوله: صرفكم وثم زائدة.
قال القاضي أبو محمد: وهذا قول لا يشبه نظر أبي علي وسيبويه والخليل وفرسان الصناعة، إن الجواب محذوف مقدر، يدل عليه المعنى، تقديره: انهزمتم ونحوه، و «الفشل» - استشعار العجز وترك الجد، وهذا مما فعله يومئذ قوم، و «التنازع» هو الذي وقع بين الرماة، فقال بعضهم: الغنيمة." (١)

"افتضح، وخزاية إذا استحيى، الفعل واحد والمصدر مختلف، وقال أنس بن مالك والحسن بن أبي الحسن وابن جريج وغيرهم: هذه إشارة إلى من يخلد في النار، ومن يخرج منها بالشفاعة والإيمان فليس بمخزي، وقال جابر بن عبد الله وغيره: كل من دخل النار فهو مخزي وإن خرج منها، وإن في دون ذلك لخزيا.
قال القاضي: أما إنه خزي دون خزي وليس خزي من يخرج منها بفضيحة هادمة لقدره، وإنما الخزي التام للكفار وقوله تعالى: وما للظالمين من أنصار هو من قول الداعين، وبذلك يتسق وصف الآية.
قوله تعالى:

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ١٩٣ الى ١٩٤]
ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار (١٩٣) ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد (١٩٤)
هذه الآيات حكاية عن أولي الألباب أنهم يقولون: ربنا قال أبو الدرداء: يرحم الله المؤمنين ما زالوا يقولون: «ربنا ربنا» حتى استجيب لهم، واختلف المتأولون في المنادي، فقال ابن جريج وابن زيد وغيرهما: المنادى

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١/٥٢٤

محمد صلى الله عليه وسلم، وقال محمد بن كعب القرظي: المنادي كتاب الله وليس كلهم رأى النبي صلى الله عليه وسلم وسمعه، ولما كانت ينادي بمنزلة يدعو، حسن وصولها باللام بمعنى «إلى الإيمان» ، وقوله: أن آمنوا «أن» مفسرة لا موضع لها من الإعراب، وغفران الذنوب وتكفير السيئات أمر قريب بعضه من بعض، لكنه كرر للتأكيد ولأنها مناح من الستر، وإزالة حكم الذنب بعد حصوله، والأبرار جمع بر، أصله برر على وزن فعل، أدغمت الراء في الراء، وقيل: هو جمع بار كصاحب وأصحاب، والمعنى: توفنا معهم في كل أحكامهم وأفعالهم.

وقوله: ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك معناه: على ألسنة رسلك، وقرأ الأعمش «رسلك» بسكون السين، وطلبوا من الله تعالى إنجاز الوعد، وهو تعالى من لا يجوز عليه خلفه من حيث في طلبه الرغبة أن يكونوا ممن يستحقه، فالطلبة والتخوف إنما هو في جهتهم لا في جهة الله تعالى لأن هذا الدعاء إنما هو في الدنيا، فمعنى قول المرء: اللهم أنجز لي وعدك، إنما معناه: اجعلني ممن يستحق إنجاز الوعد، وقيل: معنى دعائهم الاستعجال مع ثقتهم بأن الوعد منجز، وقال الطبري وغيره: معنى الآية ما وعدتنا على ألسنة رسلك من النصر على الأعداء فكأن الدعوة إنما هي في حكم الدنيا، وقولهم: ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد، إشارة إلى قوله تعالى: يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه [التحريم: ٨] فهذا وعده تعالى وهو دال على أن الخزي إنما هو مع الخلود.

قوله تعالى:." (١)

"[النساء: ٢٤] وذلك لأن الحديث من المتواتر، وكذلك قوله عليه السلام، يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب، قيل أيضا إنه ناسخ، وقوله تعالى: إلا ما قد سلف استثناء منقطع، معناه لكن ما قد سلف من ذلك ووقع وأزاله الإسلام فإن الله يغفره، والإسلام يجبه.

قوله تعالى:

[سورة النساء (٤) : آية ٢٤]

والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة إن الله كان عليما حكيما (٢٤)

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٥٥٦/١

قوله عز وجل: والمحصنات عطف على المحرمات قبل، والتحصن: التمنع، يقال حصن المكان: إذا امتنع، ومنه الحصن، وحصنت المرأة: امتنعت بوجه من وجوه الامتناع، وأحصنت نفسها، وأحصنها غيرها، والإحصان تستعمله العرب في أربعة أشياء، وعلى ذلك تصرفت اللفظة في كتاب الله عز وجل، فتستعمله في الزواج، لأن ملك الزوجة منعة وحفظ، ويستعملون الإحصان في الحرية لأن الإماء كان عرفهن في الجاهلية الزنا، والحرة بخلاف ذلك، ألا ترى إلى قول هند بنت عتبة للنبي عليه السلام، حين بايعته، وهل تزني الحرة؟ فالحرية منعة وحفظ، ويستعملون الإحصان في الإسلام لأنه حافظ، ومنه قول النبي عليه السلام «الإيمان قيد الفتك» ومنه قول الهذلي:

فليس كعهد الدار يا أم مالك ... ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل

ومنه قول الشاعر:

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا ... يأبى عليك الله والإسلام

ومنه قول سحيم:

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا ومنه قول أبي حية:

رمتني وستر الله بيني وبينها فإن أحد الأقوال **في الستر أنه** أراد به الإسلام، ويستعملون الإحصان في العفة، لأنه إذا ارتبط بها إنسان وظهرت على شخص ما وتخلق بها، فهي منعة وحفظ، وحيثما وقعت اللفظة في القرآن فلا تجدها تخرج عن هذه المعاني، لكنها قد تقوى فيها بعض هذه المعاني دون بعض، بحسب موضع وموضع، وسيأتي بيان ذلك في أماكنه إن شاء الله.

فقوله في هذه الآية والمحصنات، قال ابن عباس وأبو قلابة وابن زيد ومكحول والزهري وأبو." (١)

"وابن جريج، وكثر النقاش في غيره في هذا المعنى، والظاهر من اللفظ أنها عبارة بليغة عن قرب الشمس منهم وفعلها، لقدرة الله تعالى فيهم، ونيلها منهم، ولو كان لهم أسراب تغني لكان سترا كثيفا، وإنما هم في قبضة القدرة، سواء كان لهم أسراب أو دور أو لم يكن، ألا ترى أن الستر، عندنا نحن، إنما هو من السحاب والغمام وبرد الهوى، ولو سلط الله علينا الشمس لأحرقتنا، فسبحان المنفرد بالقدرة التامة، وقوله كذلك معناه: فعل معهم كفعله مع الأولين أهل المغرب، فأوجز بقوله كذلك ثم أخبر الله تعالى عن إحاطته بجميع ما لدى ذي القرنين، وما تصرف من أفعاله ويحتمل أن يكون كذلك استئناف قول، ولا يكون راجعا على الطائفة الأولى، فتأمله، والأول أصوب.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣٤/٢

قوله عز وجل:

[سورة الكهف (١٨) : الآيات ٩٢ الى ٩٥]

ثم أتبع سببا (٩٢) حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا (٩٣) قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا (٩٤) قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما (٩٥)

قرأت فرقة «اتبع» بشد التاء، وقرأت فرقة «أتبع» بتخفيفها، وقد تقدم ذكره وهذه الآية تقتضي أنه لما بلغ مطلع الشمس، أي أدنى الأرض من مطلع الشمس، أتبع بعد ذلك سببا، أي طريقا آخر، فهو، والله أعلم، إما يمنة وإما يسرة من مطلع الشمس، و «السدان» فيما ذكر أهل التفسير، جبلان سدا مسالك تلك الناحية من الأرض، وبين طرفي الجبلين فتح، هو موضع الردم، قال ابن عباس: الجبلان اللذان بينهما السد: أرمينية وأذربيجان، وقالت فرقة: هما من وراء بلاد الترك، ذكره المهدوي.

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله غير متحقق، وإنما هما في طريق الأرض مما يلي المشرق ويظهر من ألفاظ التواريخ، أنه إلى ناحية الشمال، وأما تعيين موضع فيضعف، وقرأ نافع وابن عامر وعاصم: «السدين» بضم السين، وكذلك «سدا» حيث وقع، وقرأ حفص عن عاصم بفتح ذلك كله من جميع القرآن، وهي قراءة مجاهد وعكرمة وإبراهيم النخعي، وقرأ ابن كثير «السدين» بفتح السين وضم «سدا» في يس، واختلف بعد فقال الخليل وسيبويه: الضم هو الاسم والفتح هو المصدر، وقال الكسائي: الضم والفتح لغتان بمعنى واحد، وقرأ عكرمة وأبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة ما كان من خلقة الله لم يشارك فيه أحد بعمل فهو بالضم، وما كان من صنع البشر فهو بالفتح.

قال القاضي أبو محمد: ويلزم أهل هذه المقالة أن يقرأ «بين السدين» بالضم وبعد ذلك «سدا» بالفتح، وهي قراءة حمزة والكسائي، وحكى أبو حاتم عن ابن عباس وعكرمة عكس ما قال أبو عبيدة، وقال ابن أبي إسحاق: وما رأته عيناك فهو «سد» بالضم، وما لا يرى فهو «سد» بالفتح، والضمير في دونهما عائد على الجبلين، أي: وجدهم في الناحية التي تلي عمارة الناس إلى المغرب، واختلف في القوم، فقيل: هم بشر، وقيل جن، والأول أصح من وجوه، وقوله لا يكادون يفقهون قولا عبارة عن بعد لسانهم عن ألسنة الناس، لكنهم فقهوا وأفهموا بالترجمة ونحوها، وقرأ حمزة والكسائي «يفقهون» من أفقه، وقرأ." (١)

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٥٤١/٣

"واحدتهن قاعد. وقال ربيعة هي هنا التي تستقذر من كبرها، قال غيره وقد تقعد المرأة عن الولد وفيها مستمتع فلما كان الغالب من النساء أن ذوات هذا السن لا مذهب للرجل فيهن أبيح لهن ما لم يبح لغيرهن. وأزيل عنهن كلفة التحفظ المتعب إذ علة التحفظ مرتفعة منهن، وقرأ ابن مسعود «أن يضعن من ثيابهن» وهي قراءة أبي وروي عن ابن مسعود أيضا «من جلابيبهن» ، والعرب تقول امرأة واضع للتي كبرت فوضعت خمارها، ثم استثني عليهن في وضع الثياب أن لا يقصدن به التبرج وإبداء الزينة، فرب عجوز يبدو منها الحرص على أن يظهر لها جمال ونحو هذا مما هو أقبح الأشياء وأبعده عن الحق، و «التبرج» طلب البدو والظهور إلخ ... والظهور للعيون ومنه بروج مشيدة [النساء: ٧٨] وأصل ذلك بروج السماء والأسوار، والذي أبيح وضعه لهذه الصنيفة الجلباب الذي فوق الخمار والرداء، قاله ابن مسعود وابن جبير وغيرهما، ثم ذكر تعالى أن تحفظ الجميع منهن واستعفافهن عن وضع الثياب والتزامهن ما يلزمه الشباب من الستر أفضل لهن وخير، وقرأ ابن مسعود «وأن يعففن» بغير سين، ثم ذكر تعالى أنه سميع لما يقول كل قائل وقائلة، عليم بمقصد كل أحد في قوله، وفي هاتين الصفتين توعد، وتحذير والله الموفق للصواب برحمته.

قوله عز وجل:

[سورة النور (٢٤) : آية ٦١]

ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون (٦١)

اختلف الناس في المعنى الذي رفع الله فيه «الحرج» عن الأصناف الثلاثة، فظاهر الآية وأمر الشريعة أن الحرج عنهم مرفوع في كل ما يضطرهم إليه العذر وتقتضي نيتهم الإتيان فيه بالأكمل، ويقتضي العذر أن يقع منهم الأنقص، فالحرج مرفوع عنهم في هذا. فأما ما قال الناس في هذا «الحرج» هنا فقال ابن زيد هو الحرج في الغزو أي لا حرج عليهم في تأخرهم، وقوله: ولا على أنفسكم الآية معنى مقطوع من الأول، وقالت فرقة الآية كلها في معنى المطاعم قال وكانت العرب ومن بالمدينة قبل المبعث تتجنب الأكل مع أهل الأعذار فبعضهم كان يفعل ذلك تقذرا لجولان اليد من الأعمى ولانبساط الجلسة من الأعرج ولرائحة المريض وعلاته وهي أخلاق جاهلية وكبر، فنزلت الآية مؤيدة، وبعضهم كان يفعل ذلك تحرجا من غبن

أهل الأعذار إذ هم مقصرون في الأكل عن درجة الأصحاء لعدم الرؤية في الأعمى وللعجز عن المزاحمة في الأعرج ولضعف المريض فنزلت الآية في إباحة الأكل معهم، وقال ابن عباس في كتاب." (١)

"[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٥٣]

يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق وإذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا إن ذلكم كان عند الله عظيما (٥٣)

هذه الآية تضمنت قصتين إحداهما الأدب في أمر الطعام والجلوس والثانية في أمر الحجاب، فأما الأولى فالجمهور من المفسرين على أن سببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش أولم عليها فدعا الناس، فلما طعموا، قعد نفر في طائفة من البيت فثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم فخرج ليخرجوا لخروجه، ومر على حجر نسائه ثم عاد فوجدهم في مكانهم وزينب في البيت معهم، فلما دخل وراءهم انصرف فخرجوا عند ذلك، قال أنس بن مالك: فأعلم أو أعلمته بانصرافهم فجاء، فلما وصل الحجرة **أرخى الستر بيني** وبينه ودخل، ونزلت الآية بسبب ذلك، وقال قتادة ومقاتل في كتاب الثعلبي: إن هذا السبب جرى في بيت أم سلمة والأول أشهر، وقال ابن عباس: نزلت في ناس من المؤمنين كانوا يتحينون طعام النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون، وقال إسماعيل بن أبي حكيم: هذا أدب أدب الله تعالى به الثقلاء، وقال ابن أبي عائشة في كتاب الثعلبي: بحسبك من الثقلاء إن الشرع لم يحتملهم، وأما آية الحجاب فقال أنس بن مالك وجماعة سببها أمر القعود في بيت زينب، القصة المذكورة آنفا، وقالت فرقة بل في بيت أم سلمة، وقال مجاهد سبب آية الحجاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل معه قوم وعائشة معهم فمست يدها يد رجل منهم فنزلت آية الحجاب بسبب ذلك، وقالت عائشة وجماعة سبب الحجاب كلام عمر وأنه كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرارا في أن يحجب نساءه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفعل وكان عمر يتابع فخرجت سودة ليلة لحاجتها وكانت امرأة تفرع النساء طولا فناداها عمر قد عرفناك يا سودة حرصا على الحجاب.

وقالت له زينب بنت جحش: عجبنا لك يا ابن الخطاب تغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا، فما زال عمر

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٩٥/٤

يتابع حتى نزلت آية الحجاب، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وافقت ربي في ثلاث: منها الحجاب، ومقام إبراهيم، وعسى ربه إن طلقكن الحديث، وكانت سيرة القوم إذا كان لهم طعام وليمة أو نحوه أن يبكر من شاء إلى دار الدعوة ينتظر طبخ الطعام ونضجه في حديث أنس، وكذلك إذا فرغوا منه جلسوا، كذلك فنهى الله تعالى المؤمنين عن أمثال ذلك في بيت النبي صلى الله عليه وسلم ودخل في النهي سائر المؤمنين، والتزم الناس أدب الله تعالى لهم في ذلك فمنعهم من الدخول إلا بإذن عند الأكل لا قبله لانتظار نضج الطعام، وناظرين معناه منتظرين وإناه مصدر أنى الشيء يأنى إذا فرغ وحان آنا، ومنه قول الشاعر: [الوافر]
تمخضت المنون له بيوم ... أنى ولكل خاتمة تمام." (١)

"مسعود روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فسر القادرين بالمقدرين. وقدر ابن أبي عبلة «فقدرنا» بشد الدال «فنعم المقتدرون» ، و «الكفات» : **الستر والوعاء** الجامع للشيء بإجماع، تقول كفت الرجل شعره إذا جمعه بخرقة، فالأرض تكفت الأحياء على ظهرها، وتكفت الأموات في بطنها وأحياء على هذا التأويل معمول لقوله كفاتا لأنه مصدر. وقال بعض المتأولين أحياء وأمواتا، إنما هو بمعنى أن الأرض فيها أقطار أحياء وأقطار أموات يراد ما ينبت وما لا ينبت، فنصب أحياء على هذا إنما هو على الحال من الأرض، والتأويل الأول أقوى.

وقال بنان خرجنا مع الشعبي إلى جنازة فنظر إلى الجبانة فقال: هذه كفات الموتى، ثم نظر إلى البيوت فقال: هذه كفات الأحياء، وكانت العرب تسمي بقيع الغرقد كفتة لأنها مقبرة تضم الموتى، وفي الحديث «خمروا آنيتكم وأوكئوا أسقيتكم واكفتوا صبيانكم وأجيفوا أبوابكم وأطفئوا مصابيحكم» . ودفن ابن مسعود قملة في المسجد ثم قرأ ألم نجعل الأرض كفاتا.

قال القاضي أبو محمد: ولما كان القبر كفاتا كالبيت قطع من سرق منه. و «الرواسي» : الجبال، لأنها رست أي ثبتت، و «الشامخ» : المرتفع، ومنه شمخ بأنفه أي ارتفع واستعلى شبه المعنى بالشخص، و «أسقى» معناه: جعله سقيا للغلات والمنافع، وسقى معناه للشفة خاصة، هذا قول جماعة من أهل اللغة. وقال آخرون هما بمعنى واحد. و «الفرات» : الصافي العذب، ولا يقال للملح فرات وهي لفظة تجمع ماء المطر ومياه الأنهار وخص النهر المشهور بهذا تشريفا له وهو نهر الكوفة، وسيحان هو نهر بلخ، وجيحان هو دجلة، والنيل نهر مصر. وحكي عن عكرمة أن كل ماء في الأرض فهو من هذه، وفي هذا بعد والله أعلم.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣٩٥/٤

قوله عز وجل:

[سورة المرسلات (٧٧) : الآيات ٢٩ الى ٤٠]
انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون (٢٩) انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب (٣٠) لا ظليل ولا يغني من اللهب (٣١) إنها ترمي بشرر كالقصر (٣٢) كأنه جمالت صفر (٣٣)
ويل يومئذ للمكذبين (٣٤) هذا يوم لا ينطقون (٣٥) ولا يؤذن لهم فيعتذرون (٣٦) ويل يومئذ للمكذبين (٣٧) هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين (٣٨)
فإن كان لكم كيد فكيدون (٣٩) ويل يومئذ للمكذبين (٤٠)
الضمير في قوله انطلقوا، هو للمكذبين [الإنسان: ١٩- ٢٤] الذين لهم الويل يقال لهم انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون من عذاب الآخرة، ولا خلاف في كسر اللام من قوله انطلقوا في هذا الأمر الأول، وقرأ يعقوب في رواية رويس «انطلقوا إلى ظل» بفتح اللام على معنى الخبر، وقرأ جمهور الناس «انطلقوا» بكسر اللام على معنى تكرار، الأمر الأول وبيان المنطلق إليه، وقال عطاء الظل الذي له ثلاث شعب هو دخان جهنم، وروي أنه يعلو من ثلاثة مواضع يراه الكفار فيظنون أنه مغن فيهرعون إليه فيجدونه على أسوأ وصف. وقال ابن عباس: المخاطبة إنما تقال يومئذ لعبدة الصليب إذا اتبع كل واحد ما كان يعبد فيكون المؤمنون في ظل الله ولا ظل إلا ظله، ويقال لعبدة الصليب انطلقوا إلى ظل معبودكم." (١)
"والثالث: الحق، قاله مجاهد، وقتادة.
والرابع: المخرج من الضلالات والشبه، قاله أبو العالية.
قوله تعالى: للذين أحسنوا: قال ابن عباس: قالوا: لا إله إلا الله. قال ابن الأنباري: الحسنى: كلمة مستغنى عن وصفها ونعتها، لأن العرب توقعها على الخلة المحبوبة المرغوب فيها المفروح بها، فكان الذي تعلمه العرب من أمرها يغني عن نعتها، فكذلك المزيد عليها محمول على معناها ومتعرف من جهتها، يدل على هذا قول امرئ القيس:
فلما تنازعنا الحديث وأسمحت ... هصرت بغصن ذي شماريخ ميال
فصرنا إلى الحسنى ورق كلامنا ... ورضت فذلت صعبة أي إذلال
أي: إلى الأمر المحبوب. وهصرت بمعنى: مددت. والغصن كناية عن المرأة. والباء مؤكدة للكلام كما تقول

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٤١٩/٥

العرب: ألقى بيده إلى الهلاك، يريدون: ألقى يده. والشماريخ «١» : كناية عن الذوائب. ورضت معناه: أذللت. ومن أجل هذا قال: أي إذلال، ولم يقل: أي رياضة.

وللمفسرين في المراد بالحسنى خمسة أقوال:

(٧٨٠) أحدها: أنها الجنة، روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبه قال الأكثرون.

والثاني: أنها الواحدة من الحسنات بواحدة، قاله ابن عباس. والثالث: النصرة، قاله عبد الرحمن بن سابط.

والرابع: الجزاء في الآخرة، قاله ابن زيد. والخامس: الأمنية، ذكره ابن الأنباري.

وفي الزيادة ستة أقوال: أحدها: أنها النظر إلى الله عز وجل.

(٧٨١) روى مسلم في «صحيحه» من حديث صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الزيادة: النظر إلى

مثلا صراطا مستقيما، على كنفي الصراط داران لهما أبواب مفتحة، على الأبواب ستور، وداع يدعو على رأس الصراط، وداع يدعو فوقه، والله يدعو إلى دار السلام، ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، والأبواب التي على كنفي الصراط حدود الله، فلا يقع أحد في حدود الله حتى يكشف الستر، والذي يدعو من فوقه واعظ ربه» . وله شاهد من مرسل أبي قلابة: أخرجه الطبري ١٧٦٢١، فهو شاهد لما قبله.

الراجح وقفه، أخرجه الطبري ١٧٦٣٣، من حديث أبي موسى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولفظ الحديث بتمامه: «إن الله يبعث يوم القيامة مناديا ينادي أهل الجنة بصوت يسمع أولهم وآخرهم: إن الله وعدكم الحسنى وزيادة، فالحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الرحمن» ، وإسناده ضعيف جدا، فيه أبان بن أبي عياش، وهو متروك. وله شاهد من حديث أبي بن كعب، أخرجه الطبري ١٧٦٤٨، وإسناده ضعيف، فيه راو لم يسم. وله شاهد من حديث أنس، أخرجه الدارقطني في «الرؤية» ٦٧ وفيه نوح بن أبي مريم، وهو متهم بالوضع. فهذا شاهد لا يفرح به.

- والحديث الأول ضعيف جدا، وأما الثاني فضعيف فحسب، وقد روى الطبري هذا الخبر موقوفا ومقطوعا، وهو الراجح فالمرفوع ضعيف، والصحيح وقفه على الصحابة والتابعين، والله تعالى أعلم.

أخرجه مسلم (١٨١) والترمذي ٣١٠٥ والنسائي في «التفسير» (٢٥٤) وابن ماجة (١٨٧) وأحمد ٤/ ٣٣٢، ٣٣٣- ٦/ ١٥، ١٦ وابن خزيمة في «التوحيد» ١/ ٤٤٣- ٤٤٦، وعبد الله بن أحمد في «السنة» ١/ ٢٤٣،

(١) في «القاموس» الشمراخ: بالكسر، العثكال عليه بسر أو عنب.." (١)

"نفسه خيفة، فرأوا ذلك في وجهه، فقالوا: لا تخف.

قوله تعالى: إنا أرسلنا إلى قوم لوط قال الزجاج: أي: أرسلنا بالعذاب إليهم. قال ابن الأنباري: وإنما أضمر ذلك ها هنا، لقيام الدليل عليه بذكر الله تعالى له في سورة أخرى.

[سورة هود (١١) : الآيات ٧١ الى ٧٢]

وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب (٧١) قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب (٧٢)

قوله تعالى: وامرأته قائمة واسمها سارة. واختلفوا أين كانت قائمة على ثلاثة أقوال:

أحدها: وراء الستر تسمع كلامهم، قاله وهب. والثاني: كانت قائمة تخدمهم، قاله مجاهد، والسدي. والثالث: كانت قائمة تصلي، قاله محمد بن إسحاق.

وفي قوله: فضحكت ثلاثة أقوال «١» : أحدها: أن الضحك ها هنا بمعنى التعجب، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن معنى «ضحكت» حاضت، قاله مجاهد وعكرمة. قال ابن قتيبة:

وهذا من قولهم: ضحكت الأرنب: إذا حاضت فعلى هذا: يكون حيضها حينئذ تأكيدا للبشارة بالولد.

لأن من لا تحيض لا تحمل. وقال الفراء: لم نسمع من ثقة أن معنى (ضحكت) حاضت. قال ابن الأنباري: أنكر الفراء، وأبو عبيدة، وأبو عبيد، أن يكون «ضحكت» بمعنى حاضت وعرفه غيرهم. قال الشاعر:

تضحك الضبع لقتلى هذيل ... وترى الذئب لها يستهل «٢»

قال بعض أهل اللغة: معناه: تحيض «٣» .

والثالث: أنه الضحك المعروف، وهو قول الأكثرين.

وفي سبب ضحكها ستة أقوال: أحدها: أنها ضحكت من شدة خوف إبراهيم من أضيافه، وقالت: من ماذا يخاف إبراهيم، وإنما هم ثلاثة، وهو في أهله وغلمانه؟! رواه الضحاك عن ابن عباس، وبه قال مقاتل.

والثاني: أنها ضحكت من بشارة الملائكة لإبراهيم بالولد، وهذا مروي عن ابن عباس أيضا، ووهب بن منبه فعلى هذا، إنما ضحكت سرورا بالبشارة، ويكون في الآية تقديم وتأخير، المعنى: وامرأته قائمة فبشرناها

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣٢٦/٢

فضحكت، وهو اختيار ابن قتيبة. والثالث: ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم، قاله قتادة. والرابع: ضحكت من إمساك الأضياف عن الأكل، وقالت:

عجبا لأضيافنا، نخدمهم بأنفسنا، وهم لا يأكلون طعامنا! قاله السدي. والخامس: ضحكت سرورا

---

(١) قال أبو جعفر الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٧/ ٧٢ وأولى الأقوال التي ذكرت في ذلك بالصواب، قول من قال: معنى قوله فضحكت، فعجبت من غفلة قوم لوط عما قد أحاط بهم من عذاب الله وغفلتهم عنه.

وإنما قلنا هذا القول أولى بالصواب، لأنه ذكر عقيب قولهم لإبراهيم: لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط فإذا كان ذلك كذلك، وكان لا وجه للضحك والتعجب من قولهم لإبراهيم: لا تخف، وكان الضحك والتعجب إنما هو من أمر قوم لوط.

(٢) ذكره ابن منظور في «اللسان» مادة «ضحك» ، ونسبه إلى- تأبط شرا-.

(٣) وقال ابن منظور في «اللسان» مادة «ضحك» : كان ابن دريد يرد هذا ويقول: من شاهد الضباع عند حيضها فيعلم أنها تحيض؟، وإنما أراد الشاعر أنها تكشر لأكل اللحوم، وهذا سهو منه فجعل كشرها ضحكا.." (١)

"ماء البحر ما غرقهم، وقال ابن الأنباري: ويعني بقوله: «ما غشيهم» البعض الذي غشيهم، لأنه لم يغشهم كل مائه. وقرأ ابن مسعود، وعكرمة، وأبو رجاء، والأعمش: «فغشاهم من اليم ما غشاهم» بألف فيهما مع تشديد الشين وحذف الياء.

قوله تعالى: وأضل فرعون قومه أي: دعاهم إلى عبادته وما هدى أي: ما أرشدهم حين أوردهم موارد الهلكة. وهذا تكذيب له في قوله: وما أهديكم إلا سبيل الرشاد «١» .

قوله تعالى: وواعدناكم جانب الطور الأيمن لأخذ التوراة. وقد ذكرنا في مريم «٢» معنى «الأيمن» وذكرنا في البقرة «٣» «المن والسلوى» . قوله تعالى: كلوا أي: وقلنا لهم: كلوا. قوله تعالى: ولا تطغوا فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا تبطروا في نعمي فتظلموا. والثاني: لا تجحدوا نعمي فتكونوا طاغين.

والثالث: لا تدخروا منه لأكثر من يوم وليلة. قوله تعالى: فيحل عليكم غضبي أي: فتجب لكم عقوبتي. والجمهور قرءوا «فيحل» بكسر الحاء ومن يحلل بكسر اللام. وقرأ الكسائي: «فيحل» بضم الحاء «ومن

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢/٣٨٦

يحلل» بضم اللام. قال الفراء: والكسر أحب إلي، لأن الضم من الحلول، ومعناه: الوقوع، و «يحل» بالكسر، يجب، وجاء التفسير بالوجوب، لا بالوقوع. قوله تعالى: فقد هوى أي: هلك.

قوله تعالى: وإني لغفار الغفار: الذي يغفر ذنوب عباده مرة بعد أخرى، فكلما تكررت ذنوبهم تكررت مغفرته، وأصل الغفر: الستر، وبه سمي زئبر الثوب: غفرا، لأنه يستر سداه. فالغفار: الستار لذنوب عباده، المسبل عليهم ثوب عطفه. قوله تعالى: لمن تاب قال ابن عباس: لمن تاب من الشرك وآمن أي: وحد الله وصدقه وعمل صالحا أدى الفرائض. وفي قوله تعالى: ثم اهتدى ثمانية أقوال «٤» : أحدها: علم أن لعمله هذا ثوابا، رواه أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: لم يشكك، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس. والثالث: علم أن ذلك توفيق من الله له، رواه عطاء عن ابن عباس.

والرابع: لزم السنة والجماعة، قاله سعيد بن جبير. والخامس: استقام، قاله الضحاك. والسادس: لزم الإسلام حتى يموت عليه، قاله قتادة. والسابع: اهتدى كيف يعمل، قاله زيد بن أسلم. والثامن: اهتدى إلى ولاية بيت النبي صلى الله عليه وسلم، قاله ثابت البناني.

[سورة طه (٢٠) : الآيات ٨٣ الى ٨٩]

وما أعجلك عن قومك يا موسى (٨٣) قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى (٨٤) قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري (٨٥) فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي (٨٦)

قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم فقذفناها فكذلك ألقى السامري (٨٧)

فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي (٨٨) أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا (٨٩)

---

(١) سورة غافر: ٩٢.

(٢) سورة مريم: ٥٢.

(٣) سورة البقرة: ٥٧.

(٤) قال الطبري رحمه الله في «تفسيره» ٨/ ٤٤٢: الاهتداء هو الاستقامة على هدى، ولا معنى للاستقامة عليه إلا وقد جمعه الإيمان والعمل الصالح فمن فعل ذلك وثبت عليه، فلا شك في اهتدائه.." (١)

"[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ١٣ الى ١٧]

وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا (١٣) ولو دخلت عليهم من أقطارها ثم سئلوا الفتنة لآتوها وما تلبثوا بها إلا يسيرا (١٤) ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤلا (١٥) قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا (١٦) قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا (١٧)

قوله تعالى: وإذ قالت طائفة منهم يعني من المنافقين. وفي القائلين لهذا منهم قولان:

أحدهما: عبد الله بن أبي وأصحابه، قاله السدي. والثاني: بنو سالم من المنافقين، قاله مقاتل.

قوله تعالى: يا أهل يثرب قال أبو عبيدة: يثرب اسم أرض، ومدينة النبي صلى الله عليه وسلم في ناحية منها.

قوله تعالى: لا مقام لكم وقرأ حفص عن عاصم: لا مقام بضم الميم. قال الزجاج: من ضم الميم، فالمعنى: لا إقامة لكم ومن فتحها، فالمعنى: لا مكان لكم تقيمون فيه. وهؤلاء كانوا يثبطون المؤمنين عن النبي صلى الله عليه وسلم. قوله تعالى: فارجعوا أي: إلى المدينة.

(١١٢٣) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج بالمسلمين حتى عسكروا ب «سلع» ، وجعلوا الخندق بينهم وبين القوم، فقال المنافقون للناس: ليس لكم ها هنا مقام، لكثرة العدو، هذا قول الجمهور.

وحكى الماوردي قولين آخرين:

أحدهما: لا مقام لكم على دين محمد فارجعوا إلى دين مشركي العرب، قاله الحسن.

والثاني: لا مقام لكم على القتال، فارجعوا إلى طلب الأمان، قاله الكلبي.

قوله تعالى: ويستأذن فريق منهم النبي فيه قولان: أحدهما: أنهم بنو حارثة، قاله ابن عباس.

وقال مجاهد: بنو حارثة بن الحارث بن الخزرج. وقال السدي: إنما استأذنه رجلان من بني حارثة.

والثاني: بنو حارثة، وبنو سلمة بن جشم، قاله مقاتل.

قوله تعالى: إن بيوتنا عورة قال ابن قتيبة: أي: خالية، فقد أمكن من أراد دخولها، وأصل العورة: ما ذهب

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣/١٧٠

عنه الستر والحفظ، فكأن الرجال ستر وحفظ للبيوت، فاذا ذهبوا أعورت البيوت، تقول العرب: أعور منزلي: إذا ذهب ستره، أو سقط جداره، وأعور الفارس: إذا بان منه موضع خلل للضرب والطعن، يقول الله تعالى وما هي بعورة لأن الله تعالى يحفظها، ولكن يريدون الفرار. وقال الحسن، ومجاهد قالوا: بيوتنا ضائعة نخشى عليها السراق. وقال قتادة: قالوا: بيوتنا مما يلي العدو، ولا نأمن على أهلنا، فكذبهم الله تعالى وأعلم أن قصدهم الفرار.

قوله تعالى: ولو دخلت عليهم من أقطارها يعني المدينة والأقطار: النواحي والجوانب، واحدها: قطر، ثم سئلوا الفتنة وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والضحاك، والزهري، وأبو عمران وأبو جعفر، وشيبة: «ثم سيلوا» برفع السين وكسر الياء من غير همز. وقرأ أبي بن كعب، ومجاهد وأبو الجوزاء: «ثم سوئلوا» برفع السين ومد الواو بهمزة مكسورة بعدها. وقرأ الحسن، وأبو

ذكره الطبري ١٠/ ٢٧٠ عند تفسير هذه الآية فقال: وهو قول أوس بن قيظي ومن كان على ذلك من رأيه ذكر ذلك في حديث ابن إسحاق أخرجه برقم ٢٨٣٨٠.." (١)

"رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى باب زيد- وعلى الباب ستر من شعر- فرفعت الريح الستر، فرأى زينب، فلما وقعت في قلبه كرهت إلى الآخر، فجاء فقال: يا رسول الله أريد فراقها، فقال: «اتق الله» . وقال مقاتل: لما فطن زيد لتسبيح رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: يا رسول الله ائذن لي في طلاقها، فان فيها كبرا، فهي تعظم علي وتؤذيني بلسانها، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أمسك عليك زوجك واتق الله» . ثم إن زيدا طلقها بعد ذلك، فأنزل الله تعالى: وإذ تقول للذي أنعم الله عليه بالاسلام وأنعمت عليه بالعتق.

قوله تعالى: واتق الله أي: في أمرها فلا تطلقها وتخفي في نفسك أي: تسر وتضمر في قلبك ما الله مبديه أي: مظهره وفيه أربعة أقوال «١» : أحدها: حبها، قاله ابن عباس. والثاني: عهد عهده الله إليه أن زينب ستكون له زوجة، فلما أتى زيد يشكوها، قال له: أمسك عليك زوجك واتق الله، وأخفى في نفسه ما الله مبديه، قاله علي بن الحسين. والثالث: إيثاره لطلاقها، قاله قتادة، وابن جريج، ومقاتل. والرابع: أن الذي أخفاه: إن طلقها زيد تزوجتها، قاله ابن زيد.

قوله تعالى: وتخشى الناس فيه قولان: أحدهما: أنه خشي اليهود أن يقولوا: تزوج محمد امرأة ابنه، رواه

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣/٤٥٢

عطاء عن ابن عباس. والثاني: أنه خشي لوم الناس أن يقولوا: أمر رجلا بطلاق امرأته ثم نكحها. قوله تعالى: والله أحق أن تخشاه أي: أولى في كل الأحوال. وليس المراد أنه لم يخش الله تعالى في هذه الحال ولكن لما كان لخشيته بالخلق نوع تعلق قيل له: الله أحق أن تخشى منهم.

(١١٤٤) قالت عائشة: ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي أشد عليه من هذه الآية، ولو كتم شيئا من الوحي لكتمها.

فصل:

وقد ذهب بعض العلماء إلى تنزيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من حبها وإيثاره طلاقها. وإن كان ذلك

صحيح. أخرجه مسلم ١٧٧ ح ٢٨٨ و الترمذي ٣٢٠٨ والنسائي في «التفسير» ٤٢٨ وأحمد ٦/ ٢٤١ والطبري ٨٥٢٢ من طريق الشعبي عن مسروق عن عائشة مختصرا. وأخرجه الترمذي ٣٢٠٧ من طريق داود بن الزبرقان عن داود عن أبي هند عن الشعبي عن عائشة به مطولا. وإسناده ضعيف جدا له علتان:

الأولى: داود بن الزبرقان متروك الحديث. والثانية: الشعبي، وهو عامر بن شراحبيل عن عائشة منقطع.

وضعفه الترمذي بقوله: غريب. وله شاهد من حديث أنس أخرجه البخاري ٧٤٢٠. وله شاهد من مرسل الحسن أخرجه الطبري ٢٨٥١٨.

---

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» ٨/ ٥٢٤: والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي صلى الله عليه وسلم هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه، وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني بأمر لا أبلغ في الإبطال منه وهو تزوج امرأة الذي يدعي ابنا.

ووقوع ذلك في إمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم. وإنما وقع الخبط في تأويل متعلق الخشية والله أعلم.

وقال ابن العربي: إنما قال عليه الصلاة والسلام لزيد أمسك عليك زوجك اختبارا لما عنده من الرغبة فيها أو عنها، وليس في مخالفة متعلق الأمر لمتعلق العلم ما يمنع من الأمر به قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد: «اذكرها علي» الحديث. وهذا أيضا من أبلغ ما وقع في ذلك وهو أن يكون الذي كان زوجها هو الخاطب. لئلا يظن أحد أن ذلك وقع قهرا بغير رضاه. وفيه أيضا اختبار ما كان عنده منها هل بقي منه

شيء أم لا؟ وفيه استحباب فعل المرأة الاستخارة ودعائها عند الخطبة قبل الإجابة، وأن من وكل أمره إلى الله عز وجل يسر الله له ما هو الأحظ له والأنفع دنيا وأخرى.." (١)

"قوله تعالى: والطير محشورة وقرأ عكرمة، وأبو الجوزاء، والضحاك، وابن أبي عبلة: «والطير محشورة» بالرفع فيهما، أي: مجموعة إليه، تسبح الله معه كل له في هاء الكناية قولان: أحدهما:

ترجع إلى داود، أي: كل لداود أواب أي: رجاع إلى طاعته وأمره، والمعنى: كل له مطيع بالتسبيح معه، هذا قول الجمهور. والثاني: أنها ترجع إلى الله تعالى، فالمعنى: كل مسبح لله، قاله السدي.

قوله تعالى: وشددنا ملكه أي: قويناه. وفي ما شد به ملكه قولان: أحدهما: أنه الحرس والجنود قال ابن عباس: كان يحرسه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل. والثاني: أنه هيبة ألقيت له في قلوب الناس وهذا المعنى مروي عن ابن عباس أيضا. قوله تعالى: وآتيناه الحكمة وفيها أربعة أقوال: أحدها: أنها الفهم، قاله ابن عباس، والحسن وابن زيد. والثاني: الصواب، قاله مجاهد.

والثالث: السنة، قاله قتادة. والرابع: النبوة، قاله السدي.

وفي فصل الخطاب أربعة أقوال: أحدها: علم القضاء والعدل، قاله ابن عباس والحسن.

والثاني: بيان الكلام، روي عن ابن عباس أيضا. وذكر الماوردي أنه البيان الكافي في كل غرض مقصود.

والثالث: قوله: «أما بعد» ، وهو أول من تكلم بها، قاله أبو موسى الأشعري والشعبي.

والرابع: تكليف المدعي البينة، والمدعى عليه اليمين، قاله شريح وقتادة وهو قول حسن لأن الخصومة إنما تفصل بهذا.

[سورة ص (٣٨) : الآيات ٢١ الى ٢٦]

وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب (٢١) إذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط (٢٢) إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب (٢٣) قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب (٢٤) فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب (٢٥)

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٤٦٧/٣

يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب (٢٦)

قوله تعالى: وهل أتاك نبأ الخصم قال أبو سليمان: المعنى: قد أتاك فاستمع له نقصص عليك. واختلف العلماء في السبب الذي امتحن لأجله داود عليه السلام بما امتحن به على خمسة أقوال «١» : أحدها: أنه قال: يا رب قد أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب من الذكر ما لو وددت أنك

---

(١) قال ابن العربي رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٥١: قد قدمنا لكم وأوضحنا أن الأنبياء معصومون عن الكبائر إجماعا، وفي الصغائر اختلاف وأنا أقول إنهم معصومون عن الصغائر والكبائر، لوجوه بيناها في كتاب «النبوات» من أصول الدين. وقد قال جماعة: لا صغيرة في الذنوب وهو صحيح، وتحقيقه أن الكفر معصية ليس فوقها معصية كما أن النظرة معصية ليس دونها معصية، وبينهما ذنوب إن قرنتها بالكفر والقتل والزنا والعقوق كانت صغائر، وإن أضفتها إلى ما يليها في القسم الثاني الذي بعده من جهة النظر كانت كبائر. والذي أوقع الناس في ذلك رواية المفسرين وأهل التقصير من المسلمين في قصص الأنبياء مصائب لا قدر عند الله لم اعتقدها روايات ومذاهب، ولقد كان من حسن الأدب مع الأنبياء صلوات الله عليهم ألا تبث عثراتهم لو عثروا، ولا تبث فلتاتهم لو استفلتوا، فإن إسبال الستر على الجار والولد والأخ فضيلة أكرم فضيلة، فكيف سترت على جارك حتى لم تقص نبأه في أخبارك، وعكفت على أنبيائك وأحبارك تقول عنهم ما لم يفعلوا، وتنسب إليهم ما لم يتلبسوا به، ولا تلوثوا به، نعوذ بالله من هذا التعدي والجهل بحقيقة الدين في الأنبياء والمسلمين والعلماء والصالحين. وقد وصيناكم إذا كنتم لا بد آخذين في شأنهم ذاكرين قصصهم ألا تعدوا ما أخبر الله عنهم، وتقولوا ذلك بصفة التعظيم لهم والتنزيه عن غير ما نسب الله إليهم، ولا يقولن أحدكم: قد عصى الأنبياء فكيف نحن، فإن ذكر ذلك كفر.

- قلت: لو لم يذكر المصنف هذه الآثار لكان أولى، وقد أطال في ذلك رحمه الله وإنما هذه الآثار من ترهات الإسرائيليين وأساطيرهم.." (١)

"قوله عز وجل: وجمع الشمس والقمر إنما قال: «جمع» لتذكير القمر، هذا قول أبي عبيدة. وقال الفراء: إنما لم يقل: جمعت، لأن المعنى: جمع بينهما وفي معنى الآية قولان:

أحدهما: جمع بين ذاتيهما. وقال ابن مسعود: جمعا كالبعيرين القرينين. وقال عطاء بن يسار:

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٣/٥٦٤

يجمعان ثم يقذفان في البحر. وقيل: يقذفان في النار. وقيل: يجمعان، فيطلعان من المغرب. والثاني: جمع بينهما في ذهاب نورهما، قاله الفراء، والزجاج.

قوله عز وجل: يقول الإنسان يعني: المكذب بيوم القيامة أين المفر قرأ الجمهور بفتح الميم، والفاء، وقرأ ابن عباس، ومعاوية، وأبو رزين وأبو عبد الرحمن، والحسن، وعكرمة، والضحاك والزهري، وابن يعمر، وابن أبي عبلة: بكسر الفاء. قال الزجاج: فمن فتح، فالمعنى: أين الفرار؟ ومن كسر، فالمعنى: أين مكان الفرار؟ تقول: جلست مجلسا بالفتح، يعني: جلوسا. فإذا قلت: مجلسا بالكسر. فأنت تريد المكان.

قوله عز وجل: كلا لا وزر قال ابن قتيبة: لا ملجأ. وأصل الوزر: الجبل الذي يمتنع فيه إلى ربك يومئذ المستقر

أي: المنتهى والمرجع. ينبؤا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر

فيه ستة أقوال: أحدها: بما قدم قبل موته، وما سن من شيء فعمل به بعد موته، قاله ابن مسعود، وابن عباس. والثاني: ينبأ بأول عمله وآخره. قاله مجاهد. والثالث: بما قدم من الشر، وأخر من الخير. قاله عكرمة. والرابع: بما قدم من فرض، وأخر من فرض، قاله الضحاك. والخامس: بما قدم من المعصية، وأخر من الطاعة.

والسادس: بما قدم من أمواله، وما خلف للورثة قاله زيد بن أسلم. قوله عز وجل: بل الإنسان على نفسه بصيرة

قال الفراء: المعنى: بل على الإنسان من نفسه بصيرة، أي رقباء يشهدون عليه بعمله، وهي: الجوارح. قال ابن قتيبة: فلما كانت جوارحه منه، أقامها مقامه. وقال أبو عبيدة: جاءت الهاء في «بصيرة» في صفة الذكر، كما كانت في: رجل راوية، وطاغية، وعلامة.

قوله عز وجل: ولو ألقى معاذيره.

وفي المعاذير قولان: أحدهما: أنه جمع عذر، فالمعنى: لو اعتذر، وجادل عن نفسه، فعليه من يكذب عذره، وهي: الجوارح، وهذا قول الأكثرين. والثاني: أن المعاذير جمع معذار، وهو: الستر. والمعاذير: الستور. فالمعنى: ولو أرخى ستوره، هذا قول الضحاك، والسدي، والزجاج. فيخرج في معنى «ألقى» قولان: أحدهما: قال، ومنه: فألقوا إليهم القول «١» ، وهذا على القول الأول. والثاني: أرخى، وهذا على القول الثاني.

[سورة القيامة (٧٥) : الآيات ١٦ الى ٢٥]

لا تحرك به لسانك لتعجل به (١٦) إن علينا جمعه وقرآنه (١٧) فإذا قرأناه فاتبع قرآنه (١٨) ثم إن علينا بيانه (١٩) كلا بل تحبون العاجلة (٢٠)

وتذرون الآخرة (٢١) وجوه يومئذ ناضرة (٢٢) إلى ربها ناظرة (٢٣) ووجوه يومئذ باسرة (٢٤) تظن أن يفعل بها فاقرة (٢٥)

قوله عز وجل: لا تحرك به لسانك

---

(١) النحل: ٣٦.." (١)

"إذا تمم النظر في معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا، فكان ذلك الشكر المجمل مقدما على الإيمان، فلهذا قدمه عليه في الذكر.

ثم قال: وكان الله شاكرا عليما لأنه تعالى لما أمرهم بالشكر سمى جزاء الشكر شكرا على سبيل الاستعارة، فالمراد من الشاكر في حقه تعالى كونه مثيبا على الشكر، والمراد من كونه عليما أنه عالم بجميع الجزئيات، فلا يقع الغلط له ألبتة، فلا جرم يوصل الثواب إلى الشاكر والعقاب إلى المعرض.

[سورة النساء (٤) : آية ١٤٨]

لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما (١٤٨)

في الآية مسائل:

المسألة الأولى: في كيفية النظم وجهان: الأول: أنه تعالى لما هتك ستر المنافقين وفضحهم وكان هتك الستر غير لائق بالرحيم الكريم ذكر تعالى ما يجري مجرى العذر في ذلك فقال: لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم يعني أنه تعالى لا يحب إظهار الفضائح/ والقبائح إلا في حق من عظم ضرره وكثر مكره وكيده، فعند ذلك يجوز إظهار فضائحه، ولهذا

قال عليه الصلاة والسلام: «اذكروا الفاسق بما فيه كي تحذره الناس»

وهؤلاء المنافقون قد كان كثر مكرهم وكيدهم وظلمهم في حق المسلمين وعظم ضررهم، فلهذا المعنى ذكر الله فضائحهم وكشف أسرارهم. الثاني: أنه تعالى ذكر في هذه الآية المتقدمة أن هؤلاء المنافقين إذا تابوا وأخلصوا صاروا من المؤمنين، فيحتمل أنه كان يتوب بعضهم ويخلص في توبته ثم لا يسلم بعد ذلك من

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٤/ ٣٧٠

التعيير والذم من بعض المسلمين بسبب ما صدر عنه في الماضي من النفاق، فبين تعالى في هذه الآية أنه تعالى لا يحب هذه الطريقة، ولا يرضى بالجهر بالسوء من القول إلا من ظلم نفسه وأقام على نفاقه فإنه لا يكره ذلك.

المسألة الثانية: قالت المعتزلة: دلت الآية على أنه تعالى لا يريد من عباده فعل القبائح ولا يخلقها، وذلك لأن محبة الله تعالى عبارة عن إرادته، فلما قال: لا يحب الله الجهر بالسوء من القول علمنا أنه لا يريد ذلك، وأيضا لو كان خالقا لأفعال العباد لكان مريدا لها، ولو كان مريدا لها لكان قد أحب إيجاد الجهر بالسوء من القول، وإنه خلاف الآية.

والجواب: المحبة عندنا عبارة عن إعطاء الثواب على الفعل، وعلى هذا الوجه يصح أن يقال: إنه تعالى أراده ولكنه ما أحبه والله أعلم.

المسألة الثالثة: قال أهل العلم: إنه تعالى لا يحب الجهر بالسوء من القول، ولا غير الجهر أيضا، ولكنه تعالى إنما ذكر هذا الوصف لأن كيفيته الواقعة أوجبت ذلك كقوله إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا [النساء: ٩٤] والتبين واجب في الظعن والإقامة، فكذا هاهنا.

المسألة الرابعة: في قوله إلا من ظلم قولان، وذلك لأنه إما أن يكون استثناء منقطعا، أو متصلا.

القول الأول: إنه استثناء متصل، وعلى هذا التقدير ففيه وجهان: الأول: قال أبو عبيدة هذا من باب حذف المضاف على تقدير: إلا جهر من ظلم. ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، الثاني: قال الزجاج: المصدر هاهنا أقيم مقام الفاعل، والتقدير: لا يحب الله المجاهر بالسوء إلا من ظلم.." (١)

"تتزايد حتى ننتهي إلى الجزم. الثاني: أن كثرة الأفعال سبب لحصول الملكة فكثرة الاستدلال بالدلائل المختلفة على المدلول الواحد جار مجرى تكرار الدرس الواحد، فكما أن كثرة التكرار تفيد الحفظ المتأكد الذي لا يزول عن القلب، فكذا هاهنا. الثالث: أن القلب عند الاستدلال كان مظلما جدا فإذا حصل فيه الاعتقاد المستفاد من الدليل الأول امتزج نور ذلك الاستدلال بظلمة سائر الصفات الحاصلة في القلب، فحصل فيه حالة شبيهة بالحالة الممتزجة من النور والظلمة، فإذا حصل الاستدلال/ الثاني امتزج نوره بالحالة الأولى، فيصير الإشراق واللمعان أتم. وكما أن الشمس إذا قربت من المشرق ظهر نورها في أول الأمر وهو الصبح. فكذلك الاستدلال الأول يكون كالصبح، ثم كما أن الصبح لا يزال يتزايد بسبب تزايد قرب الشمس من سمت الرأس، فإذا وصلت إلى سمت الرأس حصل النور التام، فكذلك العبد كلما كان تدبره في مراتب

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٥٣/١١

مخلوقات الله تعالى أكثر كان شروق نور المعرفة والتوحيد أجلى. إلا أن الفرق بين شمس العلم وبين شمس العالم أن شمس العالم الجسماني لها في الارتقاء والتصاعد حد معين لا يمكن أن يزاد عليه في الصعود، وأما شمس المعرفة والعقل والتوحيد، فلا نهاية لتصاعدها ولا غاية لازديادها فقوله: وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض إشارة إلى مراتب الدلائل والبينات، وقوله: وليكون من الموقنين إشارة إلى درجات أنوار التجلي وشروق شمس المعرفة والتوحيد. والله أعلم.

[سورة الأنعام (٦) : الآيات ٧٦ الى ٧٩]

فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين (٧٦) فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين (٧٧) فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون (٧٨) إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين (٧٩)

في هذه الآية مسائل:

المسألة الأولى: قال صاحب «الكشاف» : فلما جن عليه الليل عطف على قوله: قال إبراهيم لأبيه آزر وقوله: وكذلك نري جملة وقعت اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه.

المسألة الثانية: قال الواحدي رحمه الله: يقال جن عليه الليل وأجنه الليل، ويقال: لكل/ ما سترته جن وأجن، ويقال أيضا جنه الليل، ولكن الاختيار جن عليه الليل، وأجنه الليل. هذا قول جميع أهل اللغة، ومعنى جن ستر ومنه الجنة والجن والجنون والجان والجنين والمجن والجنن والمجن، وهو المقبور. والمجنة كل هذا يعود أصله **إلى الستر والاستتار**، وقال بعض النحويين: جن عليه الليل إذا أظلم عليه الليل. ولهذا دخلت «على» عليه كما تقول في أظلم. فأما جنه فستره من غير تضمين معنى (أظلم) .

المسألة الثالثة: اعلم أن أكثر المفسرين ذكروا أن ملك ذلك الزمان رأى رؤيا وعبرها المعبرون بأنه يولد غلام ينازعه في ملكه، فأمر ذلك الملك بذبح كل غلام يولد، فحبلت أم إبراهيم به وما أظهرت حبلها للناس، فلما جاءها الطلق ذهبت إلى كهف في جبل ووضعت إبراهيم وسدت الباب بحجر، فجاء جبريل عليه السلام ووضع أصبعه في فمه فمصه فخرج منه رزقه وكان يتعهده جبريل عليه السلام، فكانت الأم تأتيه أحيانا وترضعه." (١)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٨/١٣

"السؤال الخامس: قوله: إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين هذا الترغيب والتطميع وقع في مجموع الأمرين أو في أحدهما.

والجواب: قال بعضهم: الترغيب كان في مجموع الأمرين لأنه أدخل في الترغيب وقيل: بل هو على ظاهره على طريقة التخيير.

ثم قال تعالى: وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين أي وأقسم لهما إني لكما لمن الناصحين.

فإن قيل: المقاسمة أن تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول: قاسمت فلانا أي حالفته وتقاسما تحالفا ومنه قوله تعالى: تقاسموا بالله لنبيتنه وأهله [النمل: ٤٩] .

قلنا: فيه وجوه: الأول: التقدير أنه قال: أقسم لكما إني لكما لمن الناصحين وقالا له: أتقسم بالله إنك لمن الناصحين؟ فجعل ذلك مقاسمة بينهم والثاني: أقسم لهما بالنصيحة وأقسما له بقبولها الثالث: إنه أخرج قسم إبليس على زنة المفاعلة لأنه اجتهد فيه اجتهاد المقاسم.

إذا عرفت هذا فنقول: قال قتادة: حلف لهما بالله حتى خدعهما ,وقد يخدع المؤمن بالله وقوله: إني لكما لمن الناصحين أي قال إبليس: إني خلقت قبلكما وأنا أعلم أحوالا كثيرة من المصالح والمفاسد لا تعرفانها فامتثلا قولي ارشدكما.

ثم قال تعالى: فدلاهما بغرور وذكر أبو منصور الازهري لهذه الكلمة اصلين: أحدهما: اصل الرجل العطشان يدلي رجليه في البئر ليأخذ الماء فلا يجد فيها ماء فوضعت التدلية موضع الطمع فيما لا فائدة فيه فيقال: دلاه إذا أطمعه الثاني: فدلاهما بغرور أي أجرأهما إبليس على أكل الشجرة بغرور والأصل فيه دللهما من الدل والدالة وهي الجرأة.

إذا عرفت هذا فنقول: قال ابن عباس: فدلاهما بغرور أي غرهما باليمين وكان آدم يظن أن أحدا لا يحلف بالله كاذبا وعن ابن عمر رضي الله عنه: أنه كان إذا رأى من عبده طاعة وحسن صلاة أعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له: إنهم يخدعونك فقال: من خدعنا بالله انخدعنا له.

ثم قال تعالى: فلما ذاقا الشجرة وذلك يدل على أنهما تناولا اليسير قصدا إلى معرفة طعمه ولولا أنه تعالى ذكر في آية أخرى أنهما أكلا منها لكان ما في هذه الآية لا يدل على الأكل لأن الذائق قد يكون ذائقا من دون أكل.

ثم قال تعالى: بدت لهما سوآتهما أي ظهرت عوراتهما وزال النور عنهما وطفقا يخصفان قال الزجاج: معنى طفق: أخذ في الفعل يخصفان أي يجعلان ورقة على ورقة ومنه قيل للذي يرقع النعل خصاف وفيه دليل

على أن كشف العورة قبيح من لدن آدم ألا ترى أنهما كيف بادرا **إلى الستر لما** تقرر في عقلهما من قبح كشف العورة وناداهما ربهما قال عطاء: بلغني: أن الله ناداهما أفرارا مني يا آدم قال بل حياء منك يا رب ما ظننت أن أحدا يقسم باسمك كاذبا ثم ناداه ربه أما خلقتك بيدي أما نفخت فيك من روحي أما أسجدت لك ملائكتي أما أسكنتك في جنتي في جواري!." (١)

"اختلافهم، بما يمتاز المحق من المبطل والمصيب من المخطئ الثالث: أن تلك الكلمة هي قوله: «سبقت رحمتي غضبي»

فلما كانت رحمته غالبة اقتضت تلك الرحمة الغالبة **إسبال الستر على** الجاهل الضال وإمهاله إلى وقت الوجدان.

[سورة يونس (١٠) : آية ٢٠]

ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين (٢٠)

اعلم أن هذا الكلام هو النوع الرابع من شبهات القوم في إنكارهم نبوته، وذلك أنهم قالوا: إن القرآن الذي جئتنا به كتاب مشتمل على أنواع من الكلمات، والكتاب لا يكون معجزا، ألا ترى أن كتاب موسى وعيسى ما كان معجزة لهما، بل كان لهما أنواع من المعجزات دلت على نبوتهما/ سوى الكتاب. وأيضا فقد كان فيهم من يدعي إمكان المعارضة، كما أخبر الله تعالى أنهم قالوا: لو نشاء لقلنا مثل هذا [الأنفال: ٣١] وإذا كان الأمر كذلك لا جرم طلبوا منه شيئا آخر سوى القرآن، ليكون معجزة له، فحكى الله تعالى عنهم ذلك بقوله:

ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فأمر الله رسوله عليه الصلاة والسلام أن يقول عند هذا السؤال إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين.

واعلم أن الوجه في تقرير هذا الجواب أن يقال: أقام الدلالة القاهرة على أن ظهور القرآن عليه معجزة قاهرة ظاهرة. لأنه عليه الصلاة والسلام بين أنه نشأ فيما بينهم وتربى عندهم، وهم علموا أنه لم يطالع كتابا، ولم يتلمذ لأستاذ. بل كان مدة أربعين سنة معهم ومخالطا لهم، وما كان مشتغلا بالفكر والتعلم قط، ثم إنه دفعة واحدة ظهر هذا القرآن العظيم عليه، وظهور مثل هذا الكتاب الشريف العالي، على مثل ذلك الإنسان الذي لم يتفق له شيء من أسباب التعلم، لا يكون إلا بالوحي. فهذا برهان قاهر على أن القرآن معجز قاهر ظاهر،

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٤/٢٢٠

وإذا ثبت هذا كان طلب آية أخرى سوى القرآن من الاقتراحات التي لا حاجة إليها في إثبات نبوته عليه الصلاة والسلام، وتقرير رسالته، ومثل هذا يكون مفوضا إلى مشيئة الله تعالى، فإن شاء أظهرها، وإن شاء لم يظهرها، فكان ذلك من باب الغيب، فوجب على كل أحد أن ينتظر أنه هل يفعله الله أم لا؟ ولكن سواء فعل أو لم يفعل، فقد ثبتت النبوة، وظهر صدقه في ادعاء الرسالة، ولا يختلف هذا المقصود بحصول تلك الزيادة وبعدمها، فظهر أن هذا الوجه جواب ظاهر في تقرير هذا المطلوب.

[سورة يونس (١٠) : آية ٢١]

وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكرا إن رسلنا يكتبون ما تمكرون (٢١)

في الآية مسائل:

المسألة الأولى: اعلم أن القوم لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم آية أخرى سوى القرآن، وأجاب الجواب الذي قررناه وهو قوله: إنما الغيب لله [يونس: ٢٠] ذكر جوابا آخر وهو المذكور في هذه الآية، وتقريره من وجهين:

الوجه الأول: أنه تعالى بين في هذه الآية أن عادة هؤلاء الأقوام المكر واللجاج والعناد/ وعدم." (١)

"عليكم فيعري قوله: سلام عن الألف واللام والتنوين، والسبب في ذلك كثرة الاستعمال أباح هذا التخفيف، والله أعلم.

ثم قال تعالى: فما لبث أن جاء بعجل حنيذ قالوا: مكث إبراهيم خمس عشرة ليلة لا يأتيه ضيف فاغتم لذلك، ثم جاءه الملائكة فرأى أضيافا لم ير مثلهم، فعجل وجاء بعجل حنيذ، فقوله: فما لبث أن جاء بعجل حنيذ معناه: فلما لبث في المجيء به بل عجل فيه، أو التقدير: فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة. أما الحنيذ: فهو الذي يشوى في حفرة من الأرض بالحجارة المحماة، وهو من فعل أهل البادية معروف، وهو محنوذ في الأصل كما قيل: طبيخ ومطبوخ، وقيل: الحنيذ الذي يقطر دسمه. يقال: حنذت الفرس إذا ألقيت عليه الجل حتى تقطر عرقا.

ثم قال تعالى: فلما رأى أيديهم لا تصل إليه إلى قوله إلى قوم لوط أي إلى العجل، وقال الفراء: إلى الطعام، وهو ذلك العجل نكرهم أي أنكرهم. يقال: نكره وأنكره واستنكره.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٣٠/١٧

واعلم أن الأضياف إنما امتنعوا من الطعام لأنهم ملائكة والملائكة لا يأكلون ولا يشربون، وإنما أتوه في صورة الأضياف ليكونوا على صفة يحبها، وهو كان مشغوفا بالضيافة. وأما إبراهيم عليه السلام. فنقول: إما أن يقال: إنه عليه السلام ما كان يعلم أنهم ملائكة، بل كان يعتقد فيهم أنهم من البشر، أو يقال: إنه كان عالما بأنهم من الملائكة. أما على الاحتمال الأول فسبب خوفه أمران: أحدهما: أنه كان ينزل في طرف من الأرض بعيد عن الناس، فلما امتنعوا من الأكل خاف أن يريدوا به مكروها، وثانيها: أن من لا يعرف إذا حضر وقدم إليه طعام فإن أكل حصل الأمن وإن لم يأكل حصل الخوف. وأما الاحتمال الثاني: وهو أنه عرف أنهم ملائكة الله تعالى، / فسبب خوفه على هذا التقدير أيضا أمران: أحدها: أنه خاف أن يكون نزولهم لأمر أنكره الله تعالى عليه: والثاني: أنه خاف أن يكون نزولهم لتعذيب قومه.

فإن قيل: فأي هذين الاحتمالين أقرب وأظهر؟

قلنا: أما الذي يقول إنه ما عرف أنهم ملائكة الله تعالى فله أن يحتج بأمور: أحدها: أنه تسارع إلى إحضار الطعام، ولو عرف كونهم من الملائكة لما فعل ذلك. وثانيها: أنه لما رآهم ممتنعين من الأكل خافهم، ولو عرف كونهم من الملائكة لما استدل بترك الأكل على حصول الشر، وثالثها: أنه رآهم في أول الأمر في صورة البشر، وذلك لا يدل على كونهم من الملائكة. وأما الذي يقول: إنه عرف ذلك احتج بقوله: لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وإنما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف بأي سبب أرسلوا، ثم بين تعالى أن الملائكة أزالوا ذلك الخوف عنه فقالوا: لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ومعناه: أرسلنا بالعذاب إلى قوم لوط، لأنه أضمر لقيام الدليل عليه في سورة أخرى، وهو قوله: إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة [الذاريات: ٣٢، ٣٣] .

ثم قال تعالى: وامرأته قائمة يعني سارة بنت آزر بن باحورا بنت عم إبراهيم عليه السلام، وقوله:

قائمة قيل: كانت قائمة من **وراء الستر تستمع** إلى الرسل، لأنها ربما خافت أيضا. وقيل: كانت قائمة تخدم الأضياف وإبراهيم عليه السلام جالس معهم، ويأكد هذا التأويل قراءة ابن مسعود وامرأته قائمة وهو قاعد.

ثم قال تعالى: فضحكت فبشرناها بإسحاق واختلفوا في الضحك على قولين: منهم من حمله على." (١)

"يكن بعض أجزاء الباقي أن يزول به أولى من سائر الأجزاء فإما أن يزول الكل وهو محال، لأن الزائل لا يزول إلا بالناقص. أو يتعين البعض للزوال من غير مخصص، وهو محال، أو لا يزول شيء منها وهو

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٨/٣٧٣

المطلوب، وأيضا فهذا الطارئ إذا أزال بعض أجزاء الباقي فإما أن يبقى الطارئ، أو يزول. أما القول ببقاء الطارئ فلم يقل به أحد من العقلاء. وأما القول بزواله فباطل، لأنه إما أن يكون تأثير كل واحد منهما في إزالة الآخر معا أو على الترتيب، والأول باطل لأن المزيل لا بد وأن يكون موجودا حال الإزالة، فلو وجد الزوالان معا لوجد المزيلان معا، فيلزم أن يوجدا حال ما عدما وهو محال وإن كان على الترتيب فالمغلوب يستحيل أن ينقلب غالبا، وأما إن كان المتقدم أقل فإما أن يكون المؤثر في زواله بعض أجزاء الطارئ، وذلك محال لأن جميع أجزائه صالح للإزالة، واختصاص البعض بذلك ترجيح من غير مرجح وهو محال، وإما أن يصير الكل مؤثرا في الإزالة فيلزم أن يجتمع على المعلول الواحد علل مستقلة وذلك محال، فقد ثبت بهذه الوجوه العقلية فساد القول بالإحباط، وعند هذا تعين في الجواب قولان: الأول: قول من اعتبر الموافاة، وهو أن شرط حصول الإيمان أن لا يموت على الكفر فلو مات على الكفر علمنا أن ما أتى به أولا كان كفرا وهذا قول ظاهر السقوط، الثاني: أن العبد لا يستحق على الطاعة ثوابا ولا على المعصية عقابا استحقاقا عقليا واجبا، وهو قول أهل السنة واختيارنا، وبه يحصل الخلاص من هذه الظلمات.

المسألة الثالثة: احتج المعتزلة على أن الطاعة توجب الثواب فإن في حال ما بشرهم بأن لهم جنات لم يحصل ذلك لهم على طريق الوقوع، ولما لم يمكن حمل الآية عليه وجب حملها على استحقاق الوقوع لأنه يجوز التعبير بالوقوع عن استحقاق الوقوع مجازا.

المسألة الرابعة: الجنة: البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه و التركيب دائر على معنى الستر وكأنها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر جنه إذا ستره كأنها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان، فإن قيل لم نكرت الجنات وعرفت الأنهار؟

الجواب: أما الأول فلأن الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنات كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنات، وأما تعريف الأنهار فالمراد به الجنس كما يقال لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب يشير إلى الأجناس التي في علم المخاطب، أو يشار باللام إلى الأنهار المذكورة في قوله: فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه [محمد: ١٥] وأما قوله: كلما رزقوا فهذا لا يخلو إما أن يكون صفة ثانية لجنات. أو خبر مبتدأ محذوف، أو جملة مستأنفة لأنه لما/ قيل: إن لهم جنات لم يخل قلب السامع أن يقع فيه أن ثمار تلك الجنات أشباه ثمار الدنيا أم لا؟

وهاهنا سؤالات: السؤال الأول: ما وقع من ثمرة؟ الجواب فيه وجهان: الأول: هو كقولك كلما أكلت من بستانك من الرمان شيئا حمدتك فموقع من ثمرة موقع قولك من الرمان فمن الأولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية، لأن الرزق قد ابتدأ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدأ من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة أو الرمانة الفردة على هذا التفسير، وإنما المراد النوع من أنواع الثمار. الثاني: وهو أن يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رأيت منك أسدا تريد أنت أسد، وعلى هذا يصح أن يراد بالثمرة النوع من الثمرة أو الحبة الواحدة. السؤال الثاني: كيف يصح أن يقولوا هذا الذي رزقنا الآن هو الذي رزقنا من قبل، الجواب: لما اتحد." (١)

"رفع سمكها فسواها

[النازعات: ٢٧، ٢٨] يقتضي أن يكون خلق السماء وتسويتها مقدم على تدحية الأرض ولكن تدحية الأرض ملازمة لخلق ذات الأرض فإن ذات السماء وتسويتها متقدمة على ذات الأرض وحينئذ يعود السؤال، وثالثها: وهو الجواب الصحيح أن قوله: «ثم» ليس للترتيب هاهنا وإنما هو على جهة تعديد النعم، مثاله قول الرجل لغيره: / أليس قد أعطيتك النعم العظيمة ثم رفعت قدرك ثم دفعت الخصوم عنك، ولعل بعض ما أخره في الذكر قد تقدم فكذا هاهنا والله أعلم.

المسألة الرابعة: الضمير في فسواهن ضمير مبهم، وسبع سموات تفسير له كقوله ربه رجلا وفائدته أن المبهم إذا تبين كان أفخم وأعظم من أن يبين أولا لأنه إذا أبهم تشوفت النفوس إلى الاطلاع عليه وفي البيان بعد ذلك شفاء لها بعد التشوف، وقيل الضمير راجع إلى السماء، والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة، والوجه العربي هو الأول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وإخلاؤه من العوج والفطور وإتمام خلقهن.

المسألة الخامسة: اعلم أن القرآن هاهنا قد دل على وجود سبع سموات، وقال أصحاب الهيئة أقربها إلينا كرة القمر، وفوقها كرة عطارد، ثم كرة الزهرة، ثم كرة الشمس. ثم كرة المريخ، ثم كرة المشتري، ثم كرة زحل، قالوا ولا طريق إلى معرفة هذا الترتيب إلا من وجهين: **الأول: الستر وذلك** أن الكوكب الأسفل إذا مر بين أبصارنا وبين الكوكب الأعلى فإنهما يصيران ككوكب واحد ويتميز الساتر عن المستور بكونه الغالب كحمرة المريخ وصفرة عطارد، وبياض الزهرة، وزرقة المشتري، وكدورة زحل كما أن القدماء وجدوا القمر يكسف الكواكب الستة. وكوكب عطارد يكسف الزهرة، والزهرة تكسف المريخ، وهذا الترتيب على هذا الطريق يدل على كون الشمس فوق القمر لانكسافها به ولكن لا يدل على كونها تحت سائر الكواكب أو فوقها لأنها

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٥٨/٢

لا تنكسف بشيء منها لاضمحلال سائر الكواكب عند طلوعها فعند هذا ذكروا طريقين: أحدهما: ذكر بعضهم أنه رأى الزهرة كشامة في صحيفة الشمس، وهذا ضعيف لأن منهم من زعم أن في وجه الشمس شامة كما أن حصل في وجه القمر المحو، الثاني: اختلاف المنظر فإنه محسوس للقمر وعطارد والزهرة وغير محسوس للمريخ والمشتري وزحل، وأما في حق الشمس فإنه قليل جدا فوجب أن تكون الشمس متوسطة بين القسمين هذا ما قاله الأكثرون إلا أن أبا الريحان قال في «تلخيصه لفصول الفرغاني» : إن اختلاف المنظر لا يحس إلا في القمر فبطلت هذه الوجوه وبقي موضع الشمس مشكوكا. واعلم أن أصحاب الأرصاد وأرباب الهيئة زعموا أن الأفلاك تسعة، فالسبعة هي هذه التي ذكرناها والفلك الثامن هو الذي حصلت هذه الكواكب الثابتة فيه، وأما الفلك التاسع فهو الفلك الأعظم وهو يتحرك في كل يوم وليلة دورة واجدة بالتقريب، واحتجوا على إثبات الفلك الثامن بأنا وجدنا لهذه الكواكب الثابتة حركات بطيئة وثبت أن الكواكب لا تتحرك إلا بحركة فلكها والأفلاك الحاملة لهذه السيارات تتحرك حركات سريعة فلا بد من جسم آخر يتحرك حركة بطيئة ويكون هو الحامل لهذه الثوابت، وهذه الدلالة ضعيفة من وجوه: أولها: لم لا يجوز أن يقال الكواكب تتحرك بأنفسها من غير أن تكون مركوزة في جسم آخر وهذا الاحتمال لا يفسد إلا بإفساد المختار/ ودونه خرط القتاد. وثانيها:

سلمنا ذلك لكن لم لا يجوز أن يقال إن هذه الكواكب مركوزة في ممثلات السيارات والسيارات مركوزة في حواملها، وعند ذلك لا يحتاج إلى إثبات الفلك الثامن. وثالثها: لم لا يجوز أن يكون ذلك الفلك تحت فلك القمر فيكون تحت كرات السيارات لا فوقها فإن قيل إنا نرى هذه السيارات تكسف هذه الثوابت والكاسف تحت." (١)

"«د» هجا الفرزدق واحد «١» فقال:

لقد ضاع شعري على بابكم ... كما ضاع در على خالصة

وكانت خالصة معشوقة سليمان بن عبد الملك وكانت ظريفة صاحبة أدب وكانت هيبة سليمان بن عبد الملك تفوق هيبة المروانيين فلما بلغها هذا البيت شق عليها فدخلت على سليمان وشكت/ الفرزدق فأمر سليمان بإشخاص الفرزدق على أفظع الوجوه مكبلا مقيدا فلما حضر وما كان به من الرمق إلا مقدار ما يقيمه على الرجل من شدة الهيبة فقال له سليمان بن عبد الملك: أنت القائل:

لقد ضاع شعري على بابكم ... كما ضاع در على خالصة

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٨١/٢

فقال ما قلته هكذا وإنما غيره علي من أراد بي مكروها وإنما قلت: وخالصة من وراء الستر تسمع:

لقد ضاء شعري على بابكم ... كما ضاء در على خالصة

فسري عن خالصة فلم تملك نفسها أن خرجت من الستر فألقت على الفرزدق ما كان عليها من الحلي وهي زيادة على ألف ألف درهم فأتبعه سليمان بن عبد الملك حاجبه لما خرج من عنده حتى اشترى الحلي من الفرزدق بمائة ألف ورده على خالصة «هـ» دعا المنصور أبا حنيفة يوما فقال الربيع وهو يعاديه يا أمير المؤمنين هذا يعني أبا حنيفة يخالف جدك حيث يقول: الاستثناء المنفصل جائز وأبو حنيفة ينكره فقال أبو حنيفة هذا الربيع يقول ليس لك بيعة في رقبة الناس فقال كيف؟ قال إنهم يعقدون البيعة لك ثم يرجعون إلى منازلهم فيستثنون فتبطل بيعتهم فضحك المنصور وقال: إياك يا ربيع وأبا حنيفة فلما خرج فقال الربيع يا أبا حنيفة سعيت في دمي فقال أبو حنيفة كنت البادي وأنا المدافع. ويحكى أن مسلما قتل ذميا عمدا فحكم أبو يوسف بقتل المسلم به فبلغ زبيدة ذلك فبعثت إلى أبي يوسف فقالت: إياك وأن تقتل المسلم وكانت في عناية عظيمة بأمر المسلمين فلما حضر أبو يوسف وحضر الفقهاء وجيء بأولياء الذمي والمسلم فقال له الرشيد احكم بقتله فقال يا أمير المؤمنين هو مذهبي غير أني لست أقتل المسلم به حتى تقوم البينة العادلة أن الذمي يوم قتله المسلم كان ممن يؤدي الجزية فلم يقدروا عليه فبطل دمه «ز» دخل الغضبان على الحجاج بعد ما قال لعدوه عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث تغد بالحجاج قبل أن يتعشى بك فقال له ما جواب السلم عليك؟ فقال وعليك السلام ثم فإن الحجاج، وقال: قاتلك الله يا غضبان، أخذت لنفسك أمانا بردي عليك أما والله لولا الوفاء والكرم، لما شربت الماء البارد بعد ساعتك هذه. فانظر إلى فائدة العلم في هذه الصورة فلله در العلم ومن به تردى، وتعسا للجهل ومن في أوديته تردى «ح» بلغ عبد الملك بن مروان قول الشاعر:

ومنا سويد والبطين وقعنب ... ومنا أمير المؤمنين شبيب

فأمر به فأدخل عليه، فقال أنت القائل ومنا أمير المؤمنين شبيب؟ فقال: إنما قلت ومنا أمير المؤمنين شبيب، بنصب الراء فناديتك واستغثت بك، فسري عن عبد الملك وتخلص الرجل من الهلاك بصنعة يسيرة عملها بعلمه، وهو أنه حول الضمة فتحة. «ط» قال أبو مسلم: صاحب الدولة لسليمان بن كثير: بلغني أنك

---

(١) الخبر يروى في كتب الأدب بصورة أخرى لأبي نواس يقوله في الرشيد وخالصة جاريته ويقال في هذا البيت أنه بيت قلعت عيناه فأبصر.." (١)

"وبطارقتها قلت: ما هذا قالوا: تحية الأنبياء فقال عليه السلام كذبوا على أنبيائهم «١»

وعن الثوري عن سماك بن هاني قال: دخل الجاثليق على علي بن أبي طالب فأراد أن يسجد له فقال له علي اسجد لله ولا تسجد لي.

وقال عليه الصلاة والسلام لو أمرت أحدا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها.

القول الثالث: أن السجود في أصل اللغة هو الانقياد والخضوع قال الشاعر:

ترى الأكم فيها سجدا للحوافر

أي تلك الجبال الصغار كانت مذللة لحوافر الخيل ومنه قوله تعالى: والنجم والشجر يسجدان [الرحمن: ٦] واعلم أن القول الأول ضعيف لأن المقصود من هذه القصة شرح تعظيم آدم عليه السلام، وجعله مجرد القبلة لا يفيد تعظيم حاله وأما القول الثالث فضعيف أيضا لأن السجود لا شك أنه في عرف الشرع عبارة عن وضع الجبهة على الأرض فوجب أن يكون في أصل اللغة كذلك لأن الأصل عدم التغيير فإن قيل السجود عبادة والعبادة لغير الله لا تجوز قلنا لا نسلم أنه عبادة، بيانه أن الفعل قد يصير بالمواضعة مفيدا كالقول يبين ذلك أن قيام أحدنا للغير يفيد من الإعظام ما يفيده القول وما ذاك إلا للعبادة وإذا ثبت ذلك لم يمتنع أن يكون في بعض الأوقات سقوط الإنسان على الأرض وإلصاقه الجبين بها مفيدا ضربا من التعظيم وإن لم يكن ذلك عبادة وإذا كان كذلك لم يمتنع أن يتعبد الله الملائكة بذلك إظهارا لرفعته وكرامته.

المسألة الثالثة: اختلفوا في أن إبليس هل كان من الملائكة؟ قال بعض المتكلمين: ولا سيما المعتزلة إنه لم يكن منهم وقال كثير من الفقهاء إنه كان منهم واحتج الأولون بوجوه: أحدها: أنه كان من الجن فوجب أن لا يكون من الملائكة وإنما قلنا إنه كان من الجن لقوله تعالى في سورة الكهف: إلا إبليس كان من الجن [الكهف: ٥٠] واعلم أن من الناس من ظن أنه لما ثبت أنه كان من الجن وجب أن لا يكون من الملائكة لأن الجن جنس مخالف للملك وهذا ضعيف لأن الجن مأخوذ من الاجتنان **وهو الستر ولهذا** سمي الجنين جنينا لاجتنانه ومنه الجنة لكونها ساترة والجنة لكونها مستترة بالأغصان ومنه الجنون لاستتار العقل فيه، ولما ثبت هذا والملائكة مستورون عن العيون وجب إطلاق لفظ الجن عليهم بحسب اللغة فثبت أن

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤١٣/٢

هذا القدر لا يفيد المقصود فنقول لما ثبت أن إبليس كان من الجن وجب أن لا يكون من الملائكة لقوله تعالى: ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن [سبأ: ٤٠، ٤١] وهذه الآية صريحة في الفرق بين الجن والملك. فإن قيل لا نسلم أنه كان من الجن أما قوله تعالى: كان من الجن فلم لا يجوز أن يكون المراد كان من الجنة على ما روي عن ابن مسعود أنه قال كان من الجن أي كان خازن الجنة سلمنا ذلك لكن لا يجوز أن يكون قوله: من الجن أي صار من الجن كما أن قوله وكان من الكافرين أي صار من الكافرين سلمنا أن ما ذكرت/ يدل على أنه من الجن فلم قلت إن كونه من الجن ينافي كونه من الملائكة وما ذكرتم من الآية معارض بآية أخرى وهي قوله تعالى: وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا [الصافات: ١٥٨] وذلك لأن قريشا قالت: الملائكة بنات الله فهذه الآية تدل على أن الملك يمسي جنا؟

والجواب: لا يجوز أن يكون المراد من قوله: كان من الجن أنه كان خازن الجنة لأن قوله إلا إبليس كان من الجن يشعر بتعليل تركه للسجود لكونه جنيا ولا يمكن تعليل ترك السجود بكونه خازنا للجنة فيبطل ذلك قوله

---

(١) ثبت أن معاذا رضي الله عنه حين بعثه النبي إلى اليمن لم يرجع منها إلا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم.." (١)

"وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه كناية عن أن كل ما قدره الله تعالى ومضى في علمه حصوله، فهو لازم له واصل إليه غير منحرف عنه.

واعلم أن هذا من أدل الدلائل على أن كل ما قدره الله تعالى للإنسان وحكم عليه به في سابق علمه فهو واجب الوقوع ممتنع العدم، وتقريره من وجهين:

الوجه الأول: أن تقدير الآية: وكل إنسان ألزمناه عمله في عنقه، فبين تعالى أن ذلك العمل لازم له، وما كان لازما للشيء كان ممتنع الزوال عنه واجب الحصول له وهو المقصود.

والوجه الثاني: أنه تعالى أضاف ذلك الإلزام إلى نفسه، لأن قوله: ألزمناه تصريح بأن ذلك الإلزام إنما صدر منه، ونظيره قوله تعالى: وألزمهم كلمة التقوى [الفتح: ٢٦] وهذه الآية دالة على أنه لا يظهر في الأبد إلا ما حكم الله به في الأزل، وإليه الإشارة

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٢٨/٢

بقوله عليه الصلاة والسلام: «جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة»
والله أعلم.
المسألة الثالثة: قوله: في عنقه كناية عن اللزوم كما يقال: جعلت هذا في عنقك أي قلدتك هذا العمل وألزمتك الاحتفاظ به، ويقال: قلدتك كذا وطوقتك كذا، أي صرفته إليك وألزمته إياك، ومنه قلده السلطان كذا أي صارت الولاية في لزومها له في موضع القلادة ومكان الطوق، ومنه يقال: فلان يقلد فلانا أي جعل ذلك الاعتقاد كالقلادة المربوطة على عنقه. قال أهل المعاني: وإنما خص العنق من بين سائر الأعضاء بهذا المعنى لأن الذي يكون عليه إما أن يكون خيرا يزينه أو شرا يشينه، وما يزين يكون كالطوق والحلي، والذي يشين فهو كالغل، فههنا عمله إن كان من الخيرات كان زينة له، وإن كان من المعاصي كان كالغل على رقبته.
ثم قال تعالى: ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا قال الحسن: يا ابن آدم بسطنا لك صحيفة ووكل بك ملكان فهما عن يمينك وشمالك فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك، حتى إذا مت طويت صحيفتك وجعلت معك في قبرك حتى تخرج لك يوم القيامة.
قوله:
ونخرج له أي من قبره يجوز أن يكون معناه: نخرج له ذلك لأنه لم ير كتابه في الدنيا فإذا بعث أظهر له ذلك وأخرج من الستر، وقرأ يعقوب: (ويخرج له يوم القيامة كتابا) أي يخرج له الطائر أي عمله كتابا منشورا، كقوله تعالى: وإذا الصحف نشرت [التكوير: ١٠] وقرأ ابن عامر: (يلقاه) من قولهم: لقيت فلانا الشيء أي استقبلته به قال تعالى: ولقاهم نضرة وسرورا [الإنسان: ١١] وهو منقول بالتشديد من لقيت الشيء ولقانيه زيد.
ثم قال تعالى: اقرأ كتابك والتقدير يقال له: وهذا القائل هو الله تعالى على ألسنة الملائكة/ اقرأ كتابك قال الحسن: يقرؤه أميا كان أو غير أمي،
وقال بكر بن عبد الله: يؤتى بالمؤمن يوم القيامة بصحيفته وهو يقرؤها وحسناته في ظهرها يغبطه الناس عليها، وسيئاته في جوف صحيفته وهو يقرؤها، حتى إذا ظن أنها أوبقته قال الله تعالى: «اذهب فقد غفرتها لك فيما بيني وبينك» فيعظم سروره، ويصير من الذين قال في حقهم:
وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة [عبس: ٣٨، ٣٩] ثم يقول: هاؤم اقرؤا كتابيه [الحاقة: ١٩] .

وأما قوله: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا أي محاسبا. قال الحسن: عدل والله في حقك من جعلك." (١)

"اعلم أن المقصود من هذا أن الكفار افتخروا بأموالهم وأنصارهم على فقراء المسلمين فبين الله تعالى أن ذلك مما لا يوجب الافتخار لاحتمال أن يصير الفقير غنيا والغني فقيرا، أما الذي يجب/ حصول المفاخرة به فطاعة الله وعبادته وهي حاصلة لفقراء المؤمنين وبين ذلك بضرب هذا المثل المذكور في الآية فقال:

واضرب لهم مثلا رجلين أي مثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين كانا أخوين في بني إسرائيل أحدهما كافر اسمه براطوس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة الصافات في قوله تعالى: قال قائل منهم إني كان لي قرين [الصافات: ٥١] ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فأخذ كل واحد منهما النصف فاشترى الكافر أرضا فقال المؤمن اللهم إني أشتري منك أرضا في الجنة بألف فتصدق به ثم بنى أخوه دارا بألف فقال المؤمن: اللهم إني اشتري منك دارا في الجنة بألف فتصدق به ثم تزوج أخوه امرأة بألف فقال الmؤمن اللهم إني جعلت ألفا صداقا للحور العين ثم اشترى أخوه خدما وضياعا بألف فقال المؤمن: اللهم إني اشتريت منك الولدان بألف فتصدق به ثم أصابه حاجة فجلس لأخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقوله تعالى: جعلنا لأحدهما جنتين، فاعلم أن الله تعالى وصف تلك الجنة بصفات: الصفة الأولى: كونها جنة وسمي البستان جنة لاستتار ما يستتر فيها بظل الأشجار وأصل الكلمة **من الستر والتغطية**، والصفة الثانية: قوله: وحففناهما بنخل أي وجعلنا النخل محيطا بالجنتين نظيره قوله تعالى: وترى الملائكة حافين من حول العرش [الزمر: ٧٥] أي واقفين حول العرش محيطين به، والحفاف جانب الشيء والأحفة جمع فمعنى قول القائل حف به القوم أي صاروا في أحفته وهي جوانبه قال الشاعر:

له لحظات في حفافي سريره ... إذا كرها فيها عقاب ونائل

قال صاحب «الكشاف» : حفوه إذا طافوا به، وحففته بهم أي جعلتهم حافين حوله وهو متعد إلى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقوله: غشيته وغشيته به، قال: وهذه الصفة مما يؤثرها الدهاقين في كرومهم وهي أن يجعلوها محفوفة بالأشجار المثمرة، وهو أيضا حسن في المنظر. الصفة الثالثة: وجعلنا بينهما زرعا والمقصود منه أمور. أحدها: أن تكون تلك الأرض جامعة للأقوات والفواكه. وثانيها: أن تكون تلك الأرض

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٠٩/٢٠

متسعة الأطراف متباعدة الأكناف ومع ذلك فإنها لم يتوسطها ما يقطع بعضها عن بعض. وثالثها: أن مثل هذه الأرض تأتي في كل وقت بمنفعة أخرى وهي ثمرة أخرى فكانت منافعها دارة متواصلة. الصفة الرابعة: قوله تعالى: كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا كلا اسم مفرد معرفة يؤكد به مذكران معرفتان، وكلتا اسم مفرد يؤكد به مؤنثان معرفتان. وإذا أضيفا إلى المظهر كانا بالألف في الأحوال الثلاثة كقولك جاءني كلا أخويك، ورأيت كلا أخويك، ومررت بكلا أخويك. وجاء ني كلتا أختيك، ورأيت كلتا أختيك، ومررت بكلتا أختيك، وإذا أضيفا إلى المضمر كانا في الرفع بالألف، وفي الجر والنصب بالياء وبعضهم يقول مع المضمر بالألف في الأحوال الثلاثة أيضا. وقوله: آتت أكلها حمل على اللفظ لأن كلتا لفظه لفظ مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز، وقوله: ولم تظلم/ منه شيئا أي لم تنقص والظلم النقصان، يقول الرجل: ظلمني حقي." (١)

"إطفاء حريق فيها أو غير ذلك، جاز الدخول.

المسألة الرابعة: قوله: فإذا طعمتم فانتشروا كان بعض الصحابة أطال المكث يوم وليمة النبي عليه السلام في عرس زينب، والنبي عليه السلام لم يقل له شيئا، فوردت الآية جامعة لآداب، منها المنع من إطالة المكث في بيوت الناس، وفي معنى البيت موضع مباح اختاره شخص لعبادته أو اشتغاله بشغل فيأتيه أحد ويطيل المكث عنده، وقوله: ولا مستأنسين لحديث قال الزمخشري هو عطف على غير ناظرين مجرور، ويحتمل أن يكون منصوبا عطفا على المعنى، فإن معنى قوله تعالى: لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم لا تدخلوها هاجمين، فعطف عليه ولا مستأنسين ثم إن الله تعالى بين كون ذلك أدبا وكون النبي حليما بقوله: إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق إشارة إلى أن ذلك حق وأدب، وقوله كان إشارة إلى تحمل النبي عليه السلام، ثم ذكر الله أدبا آخر وهو قوله: وإذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب لما منع الله الناس من دخول بيوت النبي عليه السلام، وكان في ذلك تعذر الوصول إلى الماعون، بين أن ذلك غير ممنوع منه فليسأل وليطلب من وراء حجاب، وقوله ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن يعني العين روزنة القلب، فإذا لم تر العين لا يشتهي القلب. أما إن رأت العين فقد يشتهي القلب وقد لا يشتهي، فالقلب عند عدم الرؤية أطهر، وعدم الفتنة حينئذ أظهر، ثم إن الله تعالى لما علم المؤمنين الأدب أكده بما يحملهم على محافظته، فقال: وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله وكل ما منعتم عنه مؤذ فامتنعوا عنه، وقوله تعالى: ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا قيل سبب نزوله أن بعض الناس قيل

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٦٢/٢١

هو طلحة بن عبيد الله، قال لئن عشت بعد محمد لأنكحن عائشة، وقد ذكرنا أن اللفظ العام لا يغير معناه سبب النزول، فإن المراد أن إيذاء الرسول حرام، والتعرض لنسائه في حياته إيذاء فلا يجوز، ثم قال لا بل ذلك غير جائز مطلقا، ثم أكد بقوله: إن ذلكم كان عند الله عظيما أي إيذاء الرسول. ثم قال تعالى:

[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٥٤ الى ٥٥]

إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما (٥٤) لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا (٥٥)

ثم إن الله تعالى لما أنزل الحجاب استثنى المحارم بقوله: لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن وفي الآية مسائل:

الأولى: في الحجاب أوجب السؤال من وراء الحجاب على الرجال، فلم لم يستثن الرجال عن الجناح، ولم يقل لا جناح على آبائهن؟ فنقول قوله تعالى: فسئلوهن من وراء حجاب [الأحزاب: ٥٣] أمر **بسدل الستر عليهن** وذلك لا يكون إلا بكونهن مستورات محجوبات وكان الحجاب وجب عليهن، ثم أمر الرجال بتركهن كذلك، ونهوا عن هتك أستارهن فاستثنين عند الآباء والأبناء وفيه لطيفة: وهي أن عند الحجاب أمر الله الرجل بالسؤال من وراء حجاب، ويفهم منه كون المرأة محجوبة عن الرجل بالطريق الأولى، وعند الاستثناء قال تعالى: لا جناح عليهن عند رفع الحجاب عنهن، فالرجال أولى بذلك.." (١)

"ثلاثة من عدول الصحابة بذلك، وأما الرابع فإنه لم يقل بأني رأيت ذلك العمل. يعني فإن عمر بن الخطاب كذب أولئك الثلاثة وجلد كل واحد منهم ثمانين جلدة لأجل أنهم قذفوا، وإذا كان الحال في واحد من آحاد الصحابة كذلك، فكيف الحال مع داود عليه السلام مع أنه من أكابر الأنبياء عليهم السلام العاشر:

روي أن بعضهم ذكر هذه القصة على ما في كتاب الله تعالى فقال لا ينبغي أن يزاد عليها، وإن كانت الواقعة على ما ذكرت، ثم إنه تعالى لم يذكرها لأجل أن يستر تلك الواقعة على داود عليه السلام، فلا يجوز للعاقل أن يسعى في هتك **ذلك الستر بعد** ألف سنة أو أقل أو أكثر فقال عمر «١» : «سماعي هذا الكلام أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٨٠/٢٥

فثبت بهذه الوجوه التي ذكرناها أن القصة التي ذكروها فاسدة باطلة، فإن قال قائل إن كثيرا من أكابر المحدثين والمفسرين ذكروا هذه القصة، فكيف الحال فيها؟ فالجواب الحقيقي أنه لما وقع التعارض بين الدلائل القاطعة وبين خبر واحد من أخبار الآحاد كان الرجوع إلى الدلائل القاطعة أولى، وأيضا فالأصل براءة الذمة، وأيضا فلما تعارض دليل التحريم والتحليل كان جانب التحريم أولى، وأيضا طريقة الاحتياط توجب ترجيح قولنا، وأيضا فنحن نعلم بالضرورة أن بتقدير وقوع هذه الواقعة لا يقول الله لنا يوم القيامة لم لم تسعوا في تشهير هذه الواقعة؟ وأما بتقدير كونها باطلة فإن علينا في ذكرها أعظم العقاب، وأيضا فقال عليه السلام: «إذا علمت مثل الشمس فاشهد»
وهاهنا لم يحصل العلم ولا الظن في صحة هذه الحكاية، بل الدلائل القاهرة التي ذكرناها قائمة فوجب أن لا تجوز الشهادة بها، وأيضا كل المفسرين لم يتفقوا على هذا القول بل الأكثرون المحقون والمحققون منهم يردونه ويحكمون عليه بالكذب والفساد، وأيضا إذا تعارضت أقوال المفسرين والمحدثين فيه تساقطت وبقي الرجوع إلى الدلائل التي ذكرناها فهذا تمام الكلام في هذه القصة.
أما الاحتمال الثاني: وهو أن تحمل هذه القصة على وجه يوجب حصول الصغيرة ولا يوجب حصول الكبيرة، فنقول في كيفية هذه القصة على هذا التقدير وجوه الأول: أن هذه المرأة خطبها أوريا فأجابوه ثم خطبها داود فآثره أهلها، فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه الثاني: قالوا إنه وقع بصره عليها فمال قلبه إليها وليس له في هذا ذنب ألبتة، أما وقوع بصره عليها من غير قصد فذلك ليس بذنب، وأما حصول الميل عقيب النظر فليس أيضا ذنبا لأن هذا الميل ليس في وسعه، فلا يكون مكلفا به بل لما اتفق أن قتل زوجها لم يتأذ تأذيا عظيما بسبب/ قتله لأجل أنه طمع أن يتزوج بتلك المرأة فحصلت الزلة بسبب هذا المعنى وهو أنه لم يشق عليه قتل ذلك الرجل والثالث: أنه كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضا أن يطلق امرأته حتى يتزوجها وكانت عادتهم في هذا المعنى مألوفة معروفة أوى أن الأنصار كانوا يساوون المهاجرين بهذا المعنى فاتفق أن عين داود عليه السلام وقعت على تلك المرأة فأحبها فسأله النزول عنها فاستحيا أن يرده ففعل وهي أم سليمان فقيل له هذا وإن كان جائزا في ظاهر الشريعة، إلا أنه لا يليق بك، فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين، فهذه وجوه ثلاثة لو حملنا هذه القصة على واحد منها لم يلزم في حق داود عليه السلام إلا ترك الأفضل والأولى.

---

(١) لم ينص فيما سبق على عمر هذا ولم يشر إليه، والخبر يفيد أن ذلك البعض الذي حكى القول العاشر

حكى القصة أمام شخص اسمه عمر فقال هذه الكلمة ولا ندري أهو عمر بن الخطاب أم ابن عبد العزيز أم شخص غيرهما ولعله سقط بيان ذلك من الناسخ أو المطبعة الأميرية. [.....]."(١)

"وأما قوله من الله فاعلم أنه لما ذكر أن حم تنزيل الكتاب وجب بيان أن المنزل من هو؟ فقال: من الله ثم بين أن الله تعالى موصوف بصفات الجلال وسمات العظمة ليصير ذلك حاملا على التشمير عن ساق الجد عند الاستماع وزجره عن التهاون والتواني فيه، فبين أن المنزل هو الله العزيز العليم. واعلم أن الناس اختلفوا في أن العلم بالله ما هو؟ فقال جمع عظيم، إنه العلم بكونه قادرا وبعده العالم بكونه عالما، إذا عرفت هذا فنقول العزيز له تفسيران أحدهما: الغالب فيكون معناه القادر الذي لا يساويه أحد في القدرة والثاني: الذي لا مثل له، ولا يجوز أن يكون المراد بالعزيز هنا القادر، لأن قوله تعالى: الله يدل على كونه قادرا، فوجب حمل العزيز على المعنى الثاني وهو الذي لا يوجد له مثل، وما كان كذلك وجب أن لا يكون جسما، والذي لا يكون جسما يكون منزها عن الشهوة والنفرة، والذي يكون كذلك يكون منزها عن الحاجة. وأما العليم فهو مبالغة في العلم، والمبالغة التامة إنما تتحقق عند كونه تعالى عالما بكل المعلومات، فقوله من الله العزيز العليم يرجع معناه إلى أن هذا الكتاب تنزيل من القادر المطلق، الغني المطلق، العالم المطلق، ومن كان كذلك كان عالما بوجوه المصالح والمفاسد، وكان عالما بكونه غنيا عن جر المصالح ودفع المفاسد، ومن كان كذلك كان رحيما جوادا، وكانت أفعاله حكمة وصوابا منزهة عن القبيح والباطل، فكأنه سبحانه إنما ذكر عقيب قوله تنزيل هذه الأسماء الثلاثة لكونها دالة على أن أفعاله سبحانه حكمة وصواب، ومتى كان الأمر كذلك لزم أن يكون هذا التنزيل حقا وصوابا، وقيل الفائدة في ذكر العزيز العليم أمران أحدهما: أنه بقدرته وعلمه أنزل القرآن على هذا الحد الذي يتضمن المصالح والإعجاز، ولولا كونه عزيزا عليما لما صح ذلك والثاني: أنه تكفل بحفظه وبعموم التكليف فيه وظهوره إلى حين انقطاع التكليف، وذلك لا يتم إلا بكونه عزيزا لا يغلب وبكونه عليما لا يخفى عليه شيء، ثم وصف نفسه بما يجمع الوعد والوعيد والترهيب والترغيب، فقال: غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير فهذه ستة أنواع من الصفات:

الصفة الأولى: قوله غافر الذنب قال الجبائي: معناه أنه غافر الذنب إذا استحق غفرانه إما بتوبة أو طاعة أعظم منه، ومراده منه أن فاعل المعصية إما أن يقال إنه كان قد أتى قبل ذلك بطاعة/كان ثوابها أعظم من عقاب هذه المعصية أو ما كان الأمر كذلك فإن كان الأول كانت هذه المعصية صغيرة فيحبط عقابها، وإن

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٦/٣٨٠

كان الثاني كانت هذه المعصية كبيرة فلا يزول عقابها إلا بالتوبة، ومذهب أصحابنا أن الله تعالى قد يعفو عن الكبيرة بعد التوبة، وهذه الآية تدل على ذلك وبيانه من وجوه الأول: أن غفران الكبيرة بعد التوبة وغفران الصغيرة من الأمور الواجبة على العبد، وجميع الأنبياء والأولياء والصالحين من أوساط الناس مشتركون في فعل الواجبات، فلو حملنا كونه تعالى غافر الذنب على هذا المعنى لم يبق بينه وبين أقل الناس من زمرة المطيعين فرق في المعنى الموجب لهذا المدح وذلك باطل، فثبت أنه يجب أن يكون المراد منه كونه غافر الكبائر قبل التوبة وهو المطلوب الثاني: أن الغفران عبارة **عن الستر ومعنى** الستر إنما يعقل في الشيء الذي يكون باقيا موجودا فيستر، والصغيرة تحبط بسبب كثرة ثواب فاعلها، فمعنى الغفر فيها غير معقول، ولا يمكن حمل قوله غافر الذنب." (١)

"زيد وعمر ويجعل أمرا سببا لأمر، وفي الأخيرة يجعل الله مقصودا ولا يقصد غيره، ولا يرى إلا منه سره وجهره، فلا ينيب إلى شيء في شيء فهذا هو الإيمان الآخر بالله وذلك الإيمان الأول.

وأما ما في النبي صلى الله عليه وسلم فيقول أولا هو صادق فيما ينطق، ويقول آخر لا نطق له إلا بالله، ولا كلام يسمع منه إلا وهو من الله، فهو في الأول يقول بالصدق ووقوعه منه، وفي الثاني يقول بعدم إمكان الكذب منه لأن حاكي كلام الغير لا ينسب إليه الكذب ولا يمكن إلا في نفس الحكاية، وقد علم هو أنه حاك عنه كما قاله، وأما في المرتبة الأولى فيجعل الحشر مستقبلا والحياة العاجلة حالا وفي المرتبة الأخيرة يجعل الحشر حالا والحياة الدنيا ماضيا، فيقسم حياة نفسه في كل لحظة، ويجعل الدنيا كلها عدما لا يلتفت إليها ولا يقبل عليها.

المسألة الرابعة: قوله وآمنوا بما نزل على محمد هو في مقابلة قوله في حق الكافر وصدوا [محمد: ١] لأنا بينا في وجه أن المراد بهم صدوا عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا حث على اتباع محمد/ صلى الله عليه وسلم، فهم صدوا أنفسهم عن سبيل الله، وهو محمد عليه السلام وما أنزل عليه، وهؤلاء حثوا أنفسهم على اتباع سبيله، لا جرم حصل لهؤلاء ضد ما حصل لأولئك، فأضل الله حسنات أولئك وستر على سيئات هؤلاء.

المسألة الخامسة: قوله تعالى: وهو الحق من ربهم هل يمكن أن يكون من ربهم وصفا فارقا، كما يقال رأيت رجلا من بغداد، فيصير وصفا للرجل فارقا بينه وبين من يكون من الموصل وغيره؟ نقول لا، لأن كل ما كان من الله فهو الحق، فليس هذا هو الحق من ربهم، بل قوله من ربهم خبر بعد خبر، كأنه قال وهو

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٧/٤٨٣

الحق وهو من ربهم، أو إن كان وصفا فارقا فهو على معنى أنه الحق النازل من ربهم لأن الحق قد يكون مشاهدا، فإن كون الشمس مضيئة حق وهو ليس نازل من الرب، بل هو علم حاصل بطريق يسره الله تعالى لنا.

ثم قال تعالى: كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم أي سترها وفيه إشارة إلى بشارة ما كانت تحصل بقوله أعدمها ومحاها، لأن محو الشيء لا ينبئ عن إثبات أمر آخر مكانه، **وأما الستر فينبئ** عنه، وذلك لأن من يريد ستر ثوب بال أو وسخ لا يستره بمثله، وإنما يستره بثوب نفيس نظيف، ولا سيما الملك الجواد إذا ستر على عبد من عبيده ثوبه البالي أمر بإحضار ثوب من الجنس العالي لا يحصل إلا بالثمن الغالي، فيلبس هذا **هو الستر بينه** وبين المحبوبين، وكذلك المغفرة، فإن المغفرة والتكفير من باب واحد في المعنى، وهذا هو المذكور في قوله تعالى: فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات [الفرقان: ٧٠] وقوله وأصلح بالهم إشارة إلى ما ذكرنا من أنه يبدلها حسنة، فإن قيل كيف تبدل السيئة حسنة؟ نقول معناه أنه يجزيه بعد سيئاته ما يجزي المحسن على إحسانه، فإن قال الإشكال باق وباد، وما زال بل زاد، فإن الله تعالى لو أثاب على السيئة كما يثيب عن الحسنة، لكان ذلك حثا على السيئة، نقول ما قلنا إنه يثيب على السيئة وإنما قلنا إنه يثيب بعد السيئة بما يثيب على الحسنة، وذلك حيث يأتي المؤمن بسيئة، ثم يتنبه ويندم ويقف بين يدي ربه معترفا بذنبه مستحقرا لنفسه، فيصير أقرب إلى الرحمة من الذي لم يذنب، ودخل على ربه مفتخرا في نفسه، فصار الذنب شرطا للندم، والثواب ليس على السيئة، وإنما هو على الندم، وكأن الله تعالى قال عبدي أذنب ورجع إلي، ففعله شيء لكن ظنه بي حسن حيث لم يجد ملجأ غيري فاتكل على فضلي، والظن عمل القلب، والفعل عمل البدن، واعتبار عمل القلب أولى، ألا ترى أن النائم والمغمى عليه لا يلتفت إلى عمل بدنه، والمفلوج الذي لا حركة له يعتبر قصد قلبه، ومثال الروح والبدن راكب دابة يركض فرسه بين يدي ملك يدفع عنه العدو بسيفه وسنانه، والفرس." (١)

"اللبن فيه الدسم الكائن في غيره وهو طيب للأكل وبه تغذية الحيوان أولا فذكره الله تعالى، وأما ما يشرب لا لأمر عائد إلى الطعم فالماء والخمر فإن الخمر فيها أمر يشربها الشارب لأجله، هي كريهة الطعم باتفاق من يشربها وحصول التواتر به ثم عرى كل واحد من الأشياء الأربعة عن صفات النقص التي هي فيها وتتغير بها الدنيا فالماء يتغير يقال أسن الماء يأسن على وزن أمن يأمن فهو آسن وأسن اللبن إذا بقي زمانا تغير طعمه، والخمر يكرهه الشارب عند الشرب، والعسل يشوبه أجزاء من الشمع ومن النحل يموت فيه

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٨/٣٥

كثيرا، ثم إن الله تعالى خلط الجنسين فذكر الماء الذي يشرب لا للطعم وهو عام الشرب، وقرن به اللبن الذي يشرب لطعمه وهو عام الشرب إذ ما من أحد إلا وكان شربه اللبن، ثم ذكر الخمر الذي يشرب لا للطعم وهو قليل الشرب، وقرن به العسل الذي يشرب للطعم وهو قليل الشرب، فإن قيل العسل/ لا يشرب، نقول شراب الجلاب لم يكن إلا من العسل والسكر قريب الزمان، ألا ترى أن السكنجبين من «سركه وانكبين» وهو الخل والعسل بالفارسية كما أن استخراجه كان أولا من الخل والعسل ولم يعرف السكر إلا في زمان متأخر، ولأن العسل اسم يطلق على غير عسل النحل حتى يقال عسل النحل للتمييز «١» والله أعلم.

المسألة الثانية: قال في الخمر لذة للشاربين ولم يقل في اللبن لم يتغير طعمه للطاعمين ولا قال في العسل مصفى للناظرين لأن اللذة تختلف باختلاف الأشخاص فرب طعام يلتذ به شخص ويعافه الآخر، فقال: لذة للشاربين بأسرهم ولأن الخمر كريهة الطعم فقال: لذة أي لا يكون في خمر الآخرة كراهة الطعم، وأما الطعم واللون فلا يختلفان باختلاف الناس، فإن الحلو والحامض وغيرهما يدركه كل أحد كذلك، لكنه قد يعافه بعض الناس ويلتذ به البعض مع اتفاقهم على أن له طعما واحدا وكذلك اللون فلم يكن إلى التصريح بالتعميم حاجة، وقوله لذة يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون تأنيث لذ يقال طعام لذ ولذيذ وأطعمة لذة ولذيذة وثانيهما: أن يكون ذلك وصفا بنفس المعنى لا بالمشتق منه كما يقال للحليم هو حلم كله وللعاقل كله.

ثم قال تعالى: ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم.

بعد ذكر المشروب أشار إلى المأكول، ولما كان في الجنة الأكل للذة لا للحاجة ذكر الثمار فإنها تؤكل للذة بخلاف الخبز واللحم، وهذا كقوله تعالى في سورة الرعد مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها [الرعد: ٣٥] حيث أشار إلى المأكول والمشروب، وهاهنا لطيفة وهي أنه تعالى قال فيها وظلها ولم يقل هاهنا ذلك، نقول قال هاهنا ومغفرة والظل فيه **معنى الستر والمغفرة** كذلك، ولأن المغفور تحت نظر من رحمة الغافر يقال نحن تحت ظل الأمير، وظلها هو رحمة الله ومغفرته حيث لا يمسهم حر ولا برد.

المسألة الثالثة: المتقي لا يدخل الجنة إلا بعد المغفرة فكيف يكون لهم فيها مغفرة؟ فنقول الجواب عنه من وجهين: الأول: ليس بلازم أن يكون المعنى لهم مغفرة من ربهم فيها، بل يكون عطفا على قوله (لهم) كأنه تعالى قال لهم الثمرات فيها ولهم المغفرة قبل دخولها والثاني: هو أن يكون المعنى لهم فيها مغفرة أي

(١) كانت العرب تشرب العسل ممزوجا بالماء، وقد شربه الرسول كذلك وأمر بأن يسقي مريض البطن عسلا، والأحاديث الدالة على هذا كثيرة، والمراد به في كلها عسل النحل والعسل إذا أطلق لا يراد إلا عسل النحل كما أنه لم يسمه إلا عسلا بدون إضافة.." (١)

"ابتداء وخلق السموات والأرض، كما قال تعالى: أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم [يس: ٨١] والأول هو التفسير.

ثم قال تعالى: فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم يعني لا تنفعهم الذكرى إذ لا تقبل التوبة ولا يحسب الإيمان، والمراد فكيف لهم الحال إذا جاءتهم ذكراهم، ومعنى ذلك يحتمل أن يكون هو قوله تعالى: هذا يومكم الذي كنتم توعدون [الأنبياء: ١٠٣] هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون [الصافات: ٢١] فيذكرون به للتحسر، وكذلك قوله تعالى: ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا [الزمر: ٧١] . / ثم قال تعالى:

[سورة محمد (٤٧) : آية ١٩]

فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم (١٩)

ولبيان المناسبة وجوه الأول: هو أنه تعالى لما قال: فقد جاء أشراطها [محمد: ١٨] قال: فاعلم أنه لا إله إلا الله يأتي بالساعة، كما قال تعالى: أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة [النجم: ٥٧، ٥٨] وثانيها:

فقد جاء أشراطها وهي آتية فكأن قائلا قال متى هذا؟ فقال: فاعلم أنه لا إله إلا الله فلا تشتغل به واشتغل بما عليك من الاستغفار، وكن في أي وقت مستعدا للقائها ويناسبه قوله تعالى: واستغفر لذنبك، الثالث: فاعلم أنه لا إله إلا الله ينفعك، فإن قيل النبي عليه الصلاة والسلام كان عالما بذلك فما معنى الأمر، نقول عنه من وجهين أحدهما: فاثبت على ما أنت عليه من العلم كقول القائل لجالس يريد القيام: اجلس أي لا تقم ثانيهما: الخطاب مع النبي عليه الصلاة والسلام، والمراد قومه والضمير في أنه للشأن، وتقدير هذا هو أنه عليه السلام لما دعا القوم إلى الإيمان ولم يؤمنوا ولم يبق شيء يحملهم على الإيمان إلا ظهور الأمر

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٧/٢٨

بالبعث والنشور، وكان ذلك مما يحزن النبي عليه الصلاة والسلام، فسلى قلبه وقال أنت كامل في نفسك مكمل لغيرك فإن لم يكمل بك قوم لم يرد الله تعالى بهم خيرا فأنت في نفسك عامل بعلمك وعلمك حيث تعلم أن الله واحد وتستغفر وأنت بحمد الله مكمل وتكمل المؤمنين والمؤمنات وأنت تستغفر لهم، فقد حصل لك الوصفان، فاثبت على ما أنت عليه، ولا يحزنك كفرهم، وقوله تعالى: واستغفر لذنبك يحتمل وجهين أحدهما: أن يكون الخطاب معه والمراد المؤمنون وهو بعيد لإفراد المؤمنين والمؤمنات بالذكر. وقال بعض الناس لذنبك أي لذنب أهل بيتك وللمؤمنين والمؤمنات أي الذين ليسوا منك بأهل بيت وثالثهما: المراد هو النبي والذنب هو ترك الأفضل الذي هو بالنسبة إليه ذنب وحاشاه من ذلك وثالثها: وجه حسن مستنبط وهو أن المراد توفيق العمل الحسن واجتناب العمل السيء، ووجهه أن الاستغفار طلب الغفران، والغفران هو الستر على القبيح ومن عصم فقد ستر عليه قبائح الهوى، ومعنى طلب الغفران أن لا تفضحنا وذلك قد يكون بالعصمة منه فلا يقع فيه كما كان للنبي صلى الله عليه وسلم وقد يكون بالستر عليه بعد الوجود كما هو في حق المؤمنين والمؤمنات، وفي هذه الآية لطيفة وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم له أحوال ثلاثة حال مع الله وحال مع نفسه وحال مع غيره، فأما مع الله وحده، وأما مع نفسك فاستغفر لذنبك واطلب العصمة من الله، وأما مع المؤمنين فاستغفر لهم واطلب الغفران لهم من الله والله يعلم متقلبكم ومثواكم يعني حالكم في الدنيا وفي الآخرة وحالكم في الليل والنهار/ ثم قال تعالى:." (١)

"الذين يجتنبون لأن ذلك يدل على أنهم لا يقربونه فكأنه قال: لا يقربونه إلا مقاربة من غير مواقعة وهو اللمم.

ثم قال تعالى: إن ربك واسع المغفرة وذلك على قولنا: الذين يجتنبون ابتداء الكلام في غاية الظهور، لأن المحسن مجزى وذنبه مغفور، ومجتنب الكبائر كذلك ذنبه الصغير مغفور، والمقدم على الكبائر إذا تاب مغفور الذنب، فلم يبق ممن لم تصل إليهم مغفرة إلا الذين أساؤا وأصروا عليها، فالمغفرة واسعة وفيه معنى آخر لطيف، وهو أنه تعالى لما أخرج المسيء عن المغفرة بين أن ذلك ليس لضيق فيها، بل ذلك بمشيئة الله تعالى، ولو أراد الله مغفرة كل من أحسن وأساء لفعل، وما كان يضيق عنهم مغفرته، والمغفرة من الستر، وهو لا يكون إلا على قبيح، وكل من خلقه الله إذا نظرت في فعله، ونسبته إلى نعم الله تجده مقصرا مسيئا، فإن من جازى المنعم بنعم لا تحصى مع استغنائه الظاهر، وعظمته الواضحة بدرهم أو أقل منه يحتاج إلى ستر ما فعله.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٢/٢٨

ثم قال تعالى: هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى وفي المناسبة وجوه أحدها: هو تقرير لما مر من قوله: هو أعلم بمن ضل [النجم: ٣٠] كأن العامل من الكفار يقول: نحن نعمل أمورا في جوف الليل المظلم، وفي البيت الخالي فكيف يعلمه الله تعالى؟ فقال: ليس عملكم أخفى من أحوالكم وأنتم أجنة في بطون أمهاتكم، والله عالم بتلك الأحوال ثانيها: هو إشارة إلى الضال والمهتدي حصلا على ما هما عليه بتقدير الله، فإن الحق علم أحوالهم وهم في بطون الأمهات، فكتب على البعض أنه ضال، والبعض أنه مهتد ثالثها: تأكيد وبيان للجزاء، وذلك لأنه لما قال: ليجزي الذين أساؤا بما عملوا [النجم: ٣١] قال الكافرون: هذا الجزاء لا يتحقق إلا بالحشر، وجمع الأجزاء بعد تفرقها وإعادة ما كان لزيد من الأجزاء في بدنه من غير اختلاط غير ممكن، فقال تعالى: هو أعلم بكم إذ أنشأكم فيجمعها بقدرته على وفق علمه كما أنشأكم، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: العامل في: إذ يحتمل أن يكون ما يدل عليه: أعلم أي علمكم وقت الإنشاء، ويحتمل أن يكون اذكروا فيكون تقريرا لكونه عالما ويكون تقديره: هو أعلم بكم وقد تم الكلام، ثم يقول:

إن كنتم في شك من علمه بكم فاذكروا حال إنشائكم من التراب.

المسألة الثانية: ذكرنا مرارا أن قوله: من الأرض من الناس من قال آدم فإنه من تراب، وقررنا أن كل أحد أصله من التراب، فإنه يصير غذاء، ثم يصير نطفة.

المسألة الثالثة: لو قال قائل: لا بد من صرف إذ أنشأكم من الأرض إلى آدم، لأن وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم عائد إلى غيره، فإنه لم يكن جنينا، ولو قلت بأن قوله تعالى/ إذ أنشأكم عائد إلى جميع الناس، فينبغي أن يكون جميع الناس أجنة في بطون الأمهات، وهو قول الفلاسفة؟ نقول ليس كذلك، لأنا نقول: الخطاب مع الموجودين حالة الخطاب، وقوله تعالى: هو أعلم بكم خطاب مع كل من بعد الإنزال على قول، ومع من حضر وقت الإنزال على قول، ولا شك أن كل هؤلاء من الأرض وهم كانوا أجنة.

المسألة الرابعة: الأجنة هم الذين في بطون الأمهات، وبعد الخروج لا يسمى إلا ولدا أو سقطا، فما فائدة." (١)

"مقصورات منعهن أولياؤهن وهاهنا وليهن الله تعالى، وبين الإشارة إلى عفتهن بقوله تعالى: قاصرات الطرف ثم تمام اللطف أنه تعالى قدم ذكر ما يدل على العفة على ما يدل على العظمة وذكر في أعلى الجنتين قاصرات وفي أدناهما مقصورات، والذي يدل على أن المقصورات يدل على العظمة أنهن يوصفن

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٢٧١/٢٩

بالمخدرات لا بالمتخدرات، إشارة إلى أنهن خدرهن خادر لهن غيرهن كالذي يضرب الخيام ويدلي الستر، بخلاف من تتخذه لنفسها وتغلق بابها بيدها، وسنذكر بيانه في تفسير الآية بعد.

المسألة الخامسة: قاصرات الطرف فيها دلالة عفتهن، وعلى حسن المؤمنين في أعينهن، فيجبن أزواجهن حبا يشغلهن عن النظر إلى غيرهم، ويدل أيضا على الحياء لأن الطرف حركة الجفن، والحورية لا تحرك جفنها ولا ترفع رأسها.

المسألة السادسة: لم يطمثهن فيه وجوه أحدها: لم يفرعهن ثانيها: لم يجامعهن ثالثها: لم يمسسهن، وهو أقرب إلى حالهن وأليق بوصف كمالهن، لكن لفظ الطمث غير ظاهر فيه ولو كان المراد منه المس لذكر اللفظ الذي يستحسن، وكيف وقد قال تعالى: وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن [البقرة: ٢٣٧] وقال: فاعتزلوا [البقرة: ٢٢٢] ولم يصرح بلفظ موضوع للوطء، فإن قيل: فما ذكرتم من/ الإشكال باق وهو أنه تعالى كنى عن الوطء في الدنيا باللمس كما في قوله تعالى: أو لامستم النساء [النساء: ٤٣] على الصحيح في تفسير الآية وسنذكره، وإن كان على خلاف قول إمامنا الشافعي رضي الله عنه وبالمس في قوله: من قبل أن تمسوهن [البقرة: ٢٣٧] ولم يذكر المس في الآخرة بطريق الكناية، نقول: إنما ذكر الجماع في الدنيا بالكناية لما أنه في الدنيا قضاء للشهوة وأنه يضعف البدن ويمنع من العبادة، وهو في بعض الأوقات قبحه كقبح شرب الخمر، وفي بعض الأوقات هو كالأكل الكثير وفي الآخرة مجرد عن وجوه القبح، وكيف لا والخمر في الجنة معدودة من اللذات وأكلها وشربها دائم إلى غير ذلك، فالله تعالى ذكره في الدنيا بلفظ مجازي مستور في غاية الخفاء بالكناية إشارة إلى قبحه وفي الآخرة ذكره بأقرب الألفاظ إلى التصريح أو بلفظ صريح، لأن الطمث أدل من الجماع والوقاع لأنهما من الجمع والوقوع إشارة إلى خلوه عن وجوه القبح.

المسألة السابعة: ما الفائدة في كلمة قبلهم؟ قلنا لو قال: لم يطمثهن إنس ولا جان يكون نفيا لطمث المؤمن إياهن وليس كذلك.

المسألة الثامنة: ما الفائدة في ذكر الجان مع أن الجان لا يجامع؟ نقول: ليس كذلك بل الجن لهم أولاد وذريات وإنما الخلاف في أنهم هل يواقعون الإنس أم لا؟ والمشهور أنهم يواقعون وإلا لما كان في الجنة أحساب ولا أنساب، فكأن مواقعة الإنس إياهن كمواقعة الجن من حيث الإشارة إلى نفيها. ثم قال تعالى:

[سورة الرحمن (٥٥) : الآيات ٥٨ الى ٥٩]

كأنهن الياقوت والمرجان (٥٨) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٥٩)

وهذا التشبيه فيه وجهان أحدهما: تشبيه بصفائهما وثانيهما: بحسن بياض اللؤلؤ وحمرة الياقوت، والمرجان صغار اللؤلؤ وهي أشد بياضا وضياء من الكبار بكثير، فإن قلنا: إن التشبيه لبيان صفائهن، فنقول: فيه لطيفة هي أن قوله تعالى: قاصرات الطرف إشارة إلى خلوصهن عن القبائح، وقوله: كأنهن الياقوت." (١)

"جهتهم، فالعينان الأوليان في مكانهم فتكون حركة مائهما إلى صوب المؤمنين جريا. وأما قوله تعالى:

[سورة الرحمن (٥٥) : الآيات ٦٨ الى ٦٩]

فيهما فاكهة ونخل ورمان (٦٨) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٦٩)

فهو كقوله تعالى: فيهما من كل فاكهة زوجان [الرحمن: ٥٢] وذلك لأن الفاكهة أرضية نحوه البطيخ وغيره من الأرضيات المزروعات وشجرية نحو النخل وغيره من الشجريات فقال: مدهامتان [الرحمن: ٦٤] بأنواع الخضر التي منها الفواكه الأرضية وفيهما أيضا الفواكه الشجرية وذكر منها نوعين وهما الرمان والرطب لأنهما متقابلان فأحدهما حلو والآخر غير حلو وكذلك أحدهما حار والآخر بارد وأحدهما فاكهة وغذاء، والآخر فاكهة، وأحدهما من فواكه البلاد الحارة والآخر من فواكه البلاد الباردة، وأحدهما أشجاره في غاية الطول والآخر أشجاره بالضد وأحدهما ما يؤكل منه بارز ومالا يؤكل كامن، والآخر بالعكس فهما كالضدين والإشارة إلى الطرفين تتناول الإشارة إلى ما بينهما، كما قال: رب المشرقين ورب المغربين [الرحمن: ١٧] وقدمنا ذلك. ثم قال تعالى:

[سورة الرحمن (٥٥) : الآيات ٧٠ الى ٧١]

فيهن خيرات حسان (٧٠) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٧١)

أي في باطنهن الخير وفي ظاهرهن الحسن والخيرات جمع خيرة وقد بينا أن في قوله تعالى: قاصرات الطرف إلى أن قال: كأنهن [الرحمن: ٥٦- ٥٨] إشارة إلى كونهن حسانا. وقوله تعالى:

[سورة الرحمن (٥٥) : الآيات ٧٢ الى ٧٥]

حور مقصورات في الخيام (٧٢) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٧٣) لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان (٧٤) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٧٥)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٧٦/٢٩

إشارة إلى عظمتهن فإنهن ما قصرن حجرا عليهن، وإنما ذلك إشارة إلى ضرب الخيام لهن **وإدلاء الستر عليهن**، والخيمة مبيت الرجل كالبيت من الخشب، حتى أن العرب تسمي البيت من الشعر خيمة لأنه معد للإقامة، إذا ثبت هذا فنقول: قوله: مقصورات في الخيام إشارة إلى مءنى في غاية اللطف، وهو أن المؤمن في الجنة لا يحتاج إلى التحرك لشيء وإنما الأشياء تتحرك إليه فالمأكول والمشروب يصل إليه من غير حركة منه، ويطاف عليهم بما يشتهونه فالحور يكن في بيوت، وعند الانتقال إلى المؤمنين في وقت إرادتهم تسير بهن للارتحال إلى المؤمنين خيام وللمؤمنين قصور تنزل الحور من الخيام إلى القصور، وقوله تعالى: لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان قد سبق تفسيره. ثم قال تعالى:

[سورة الرحمن (٥٥) : الآيات ٧٦ الى ٧٧]

متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان (٧٦) فبأي آلاء ربكما تكذبان (٧٧)." (١)

"نقول: إنه هو النور، لأنه بواسطته اهتدى، الخلق، أو هو النور لكونه مبينا للناس ما نزل إليهم، والمبين هو النور، ثم الفوائد في كونه نورا وجوه منها: أنه يدل على علو شأنه وعظمة برهانه، وذلك لوجهين أحدهما:

الوصف بالنور وثانيهما: الإضافة إلى الحضرة، ومنها: أنه إذا كان نورا من أنوار الله تعالى كان مشرقا في جميع أقطار العالم، لأنه لا يكون مخصوصا ببعض الجوانب، فكان رسولا إلى جميع الخلائق، لما روي عنه صلى الله عليه وسلم: «بعثت إلى الأحمر والأسود»

فلا يوجد شخص من الجن والإنس إلا ويكون من أمته إن كان مؤمنا فهو من أمة المتابعة، وإن كان كافرا فهو من أمة الدعوة.

وقوله تعالى: ولو كره الكافرون أي اليهود والنصارى وغيرهم من المشركين، وقوله: بالهدى لمن اتبعه ودين الحق قيل: الحق هو الله تعالى، أي دين الله: وقيل: نعت للدين، أي والدين هو الحق، وقيل: الذي يحق أن يتبعه كل أحد وليظهره على الدين كله يريد الإسلام، وقيل: ليظهره، أي الرسول صلى الله عليه وسلم بالغلبة وذلك بالحجة، وهاهنا مباحث:

الأول: والله متم نوره والتمام لا يكون إلا عند النقصان، فكيف نقصان هذا النور؟ فنقول إتمامه بحسب النقصان في الأثر، وهو الظهور في سائر البلاد من المشارق إلى المغارب، إذ الظهور لا يظهر إلا بالإظهار

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٨٠/٢٩

وهو الإتمام، يؤيده قوله تعالى: اليوم أكملت لكم دينكم [المائدة: ٣] وعن أبي هريرة: أن ذلك عند نزول عيسى من السماء، قال مجاهد.

الثاني: قال هاهنا: متم نوره وقال في موضع آخر: مثل نوره [النور: ٣٥] وهذا عين ذلك أو غيره؟ نقول: هو غيره، لأن نور الله في ذلك الموضع هو الله تعالى عند أهل التحقيق، وهنا هو الدين أو الكتاب أو الرسول.

الثالث: قال في الآية المتقدمة: ولو كره الكافرون وقال في المتأخرة: ولو كره المشركون فما الحكمة فيه؟ فنقول: إنهم أنكروا الرسول، وما أنزل إليه وهو ال كتاب، وذلك من نعم الله، والكافرون كلهم في كفران النعم، فلهذا قال: ولو كره الكافرون ولأن لفظ الكافر أعم من لفظ المشرك، والمراد من الكافرين هاهنا اليهود والنصارى والمشركون، وهنا ذكر النور وإطفاءه، واللائق به الكفر **لأنه الستر والتغطية**، لأن من يحاول الإطفاء إنما يريد الزوال، وفي الآية الثانية ذكر الرسول والإرسال ودين الحق، وذلك منزلة عظيمة للرسول عليه السلام، وهي اعتراض على الله تعالى كما قال:

ألا قل لمن ظل لي حاسدا ... أتدري على من أسأت الأدب

أسأت على الله في فعله ... كأنه لم تعرض لي ما وهب

والاعتراض قريب من الشرك، ولأن الحاسدين للرسول عليه السلام، كان أكثرهم من قريش وهم المشركون، ولما كان النور أعم من الدين والرسول، لا جرم قابله بالكافرين الذين هم جميع مخالفي الإسلام والإرسال، والرسول والدين أخص من النور قابله بالمشركين الذين هم أخص من الكافرين. ثم قال تعالى:

[سورة الصف (٦١) : الآيات ١٠ الى ١١]

يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم (١٠) تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (١١)." (١)

"اعلم أنه تعالى لما قال: ينبؤا الإنسان يومئذ

بأعماله، قال: بل لا يحتاج إلى أن ينبئه غير غيره، وذلك لأن نفسه شاهدة بكونه فاعلا لتلك الأفعال، مقدما عليها، ثم في قوله: بصيرة

وجهان الأول: قال الأخفش جعله في نفسه بصيرة كما يقال: فلان جود وكرم، فههنا/ أيضا كذلك، لأن

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٥٣٠/٢٩

الإنسان بضرورة عقله يعلم أن ما يقربه إلى الله ويشغله بطاعته وخدمته فهو السعادة، وما يبعده عن طاعة الله ويشغله بالدنيا ولذاتها فهو الشقاوة، فهب أنه بلسانه يروج ويزور ويرى الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق، لكنه بعقله السليم يعلم أن الذي هو عليه في ظاهره جيد أو رديء والثاني: أن المراد جوارحه تشهد عليه بما عمل فهو شاهد على نفسه بشهادة جوارحه، وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير ومقاتل وهو كقوله: يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم [النور: ٢٤] وقوله: وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم [يس: ٣٦] وقوله: شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم [فصلت: ٢٠] فأما تأنيث البصيرة، فيجوز أن يكون لأن المراد بالإنسان هاهنا الجوارح كأنه قيل: بل جوارح الإنسان، كأنه قيل بل جوارح الإنسان على نفس الإنسان بصيرة، وقال أبو عبيدة هذه الهاء لأجل المبالغة كقوله: رجل راوية وطاغية وعلامة.

واعلم أنه تعالى ذكر في الآية الأولى أن الإنسان يخبر يوم القيامة بأعماله. ثم ذكر في هذه الآية أنه شاهد على نفسه بما عمل، فقال الواحدي هذا يكون من الكفار فإنهم ينكرون ما عملوا فيختم الله على أفواههم وينطق جوارحهم.

[سورة القيامة (٧٥) : آية ١٥]

ولو ألقى معاذيره (١٥)

للمفسرين فيه أقوال: الأول: قال الواحدي: المعاذير جمع معذرة يقال: معذرة ومعاذر ومعاذير. قال صاحب «الكشاف» : جمع المعذرة معاذر والمعاذير ليس جمع معذرة، وإنما هو اسم جمع لها، ونحوه المناكير في المنكر، والمعنى أن الإنسان وإن اعتذر عن نفسه وجادل عنها وأتى بكل عذر وحجة، فإنه لا ينفعه ذلك لأنه شاهد على نفسه القول الثاني: قال الضحاك والسدي والفراء والمبرد والزجاج المعاذير الستور، واحدها معذار، قال المبرد: هي لغة يمانية، قال صاحب «الكشاف» : إن صحت هذه الرواية فذاك مجاز من حيث إن الستر يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة الذنب، والمعنى على هذا القول: أنه وإن أسبل الستر ليخفي ما يعمل، فإن نفسه شاهدة عليه.

[سورة القيامة (٧٥) : آية ١٦]

لا تحرك به لسانك لتعجل به (١٦)

فيه مسائل:

المسألة الأولى: زعم قوم من قدماء الروافض أن هذا القرآن قد غير وبدل وزيد فيه ونقص عنه، واحتجوا عليه بأنه لا مناسبة بين هذه الآية وبين ما قبلها ولو كان هذا الترتيب من الله تعالى لما كان الأمر كذلك.

واعلم أن في بيان المناسبة وجوها أولها: يحتمل أن يكون الاستعجال المنهي عنه، إنما اتفق للرسول عليه السلام عند إنزال هذه الآيات عليه، فلا جرم نهي عن ذلك الاستعجال في هذا الوقت، وقيل له: لا تحرك به لسانك لتعجل به وهذا كما أن المدرس إذا كان يلقي على تلميذه/ شيئا، فأخذ التلميذ يلتفت يمينا وشمالا، فيقول: المدرس في أثناء ذلك الدرس لا تلتفت يمينا وشمالا ثم يعود إلى الدرس، فإذا نقل ذلك الدرس مع." (١)

"ساجد أو قائم يدعو للمؤمنين والمؤمنات، وجبريل لا يدع أحدا من الناس إلا صافحهم، وعلامة ذلك من اقشعر جلده/ ورق قلبه ودمعت عيناه، فإن ذلك من مصافحة جبريل عليه السلام، من قال فيها ثلاث مرات: لا إله إلا الله غفر له بواحدة، ونجاه من النار بواحدة، وأدخله الجنة بواحدة، وأول من يصعد جبريل حتى يصير أمام الشمس فيبسط جناحين أخضرين لا ينشرهما إلا تلك الساعة من يوم تلك الليلة ثم يدعو ملكا ملكا، فيصعد الكل ويجتمع نور الملائكة ونور جناح جبريل عليه السلام، فيقيم جبريل ومن معه من الملائكة بين الشمس وسماء الدنيا يومهم ذلك مشغولين بالدعاء والرحمة والاستغفار للمؤمنين، ولمن صام رمضان احتسابا، فإذا أمسوا دخلوا سماء الدنيا فيجلسون حلقا حلقا فتجمع إليهم ملائكة السماء فيسألونهم عن رجل رجل وعن امرأة امرأة، حتى يقولوا: ما فعل فلان وكيف وجدتموه؟ فيقولون: وجدناه عام أول متعبدا، وفي هذا ،لعام مبتدعا، وفلان كان عام أول مبتدعا، وهذا العام متعبدا، فيكفون عن الدعاء للأول، ويشتغلون بالدعاء للثاني، ووجدنا فلانا تاليا، وفلانا راكعا، وفلانا ساجدا، فهم كذلك يومهم وليلتهم حتى يصعدوا السماء الثانية وهكذا يفعلون في كل سماء حتى ينتهوا إلى السدرة فتقول لهم السدرة: يا سكاني حدثوني عن الناس فإن لي عليكم حقا، وإني أحب من أحب الله، فذكر كعب أنهم يعدون لها الرجل والمرأة بأسمائهم وأسماء آبائهم، ثم يصل ذلك الخبر إلى الجنة، فتقول الجنة: اللهم عجلهم إلي، والملائكة، وأهل السدرة يقولون: آمين آمين، إذا عرفت هذا فنقول، كلما كان الجمع أعظم، كان نزول الرحمة هناك أكثر، ولذلك فإن أعظم الجموع في موقف الحج، لا جرم كان نزول الرحمة هناك أكثر، فكذا في ليلة القدر يحصل مجمع الملائكة المقربين، فلا جرم كان نزول الرحمة أكثر.

المسألة الثالثة: ذكروا في الروح أقوالا أحدها: أنه ملك عظيم، لو التقم السموات والأرضين كان ذلك له

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٧٢٦/٣٠

لقمة واحدة وثانيها: طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا ليلة القدر، كالزهاد الذين لا نراهم إلا يوم العيد وثالثها: خلق من خلق الله يأكلون ويلبسون ليسوا من الملائكة، ولا من الإنس، ولعلهم خدم أهل الجنة ورابعها: يحتمل أنه عيسى عليه السلام لأنه اسمه، ثم إنه ينزل في مواقفة الملائكة ليطلع على أمة محمد وخامسها: أنه القرآن: وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا [الشورى: ٥٢] وسادسها: الرحمة قرئ: لا تيأسوا من روح الله [يوسف: ٨٧] بالرفع كأنه تعالى يقول: الملائكة ينزلون رحمتي تنزل في أثرهم فيجدون سعادة الدنيا وسعادة الآخرة وسابعها: الروح أشرف الملائكة وثامنها: عن أبي نجيح الروح هم الحفظة والكرام الكاتبون فصاحب اليمين يكتب إتيانه بالواجب، وصاحب الشمال يكتب تركه للقبيح، والأصح أن الروح هاهنا جبريل وتخصيصه بالذكر لزيادة شرفه كأنه تعالى يقول الملائكة في كفة والروح في كفة.

أما قوله تعالى: بإذن ربهم [المسألة الأولى] فقد ذكرنا أن هذا يدل على أنهم كانوا مشتاقين إلينا، فإن/ قيل: كيف يرغبون إلينا مع علمهم بكثرة معاصينا؟ قلنا: إنهم لا يقفون على تفصيل المعاصي روي أنهم يطالعون اللوح، فيرون فيه طاعة المكلف مفصلة، فإذا وصلوا إلى معاصيه أرخي الستر فلا ترونها، فحينئذ يقول: سبحان من أظهر الجميل، وستر على القبيح، ثم قد ذكرنا فوائد في نزولهم ونذكر الآن فوائد أخرى وحاصلها أنهم يرون في الأرض من أنواع الطاعات أشياء ما رأوها في عالم السماوات أحدها: أن الأغنياء يجيئون بالطعام من بيوتهم فيجعلونه ضيافة للفقراء والفقراء يأكلون طعام الأغنياء ويعبدون الله، وهذا نوع من الطاعة لا يوجد في السموات وثانيها: أنهم يسمعون أنين العصاة وهذا لا يوجد في السماوات وثالثها: أنه تعالى قال: «لأنين المذنبين أحب." (١)

"الآية أنهم ملعونون أيضا بعد الممات. والجواب عنه: أن هذا إنما يصح متى كان الذين يموتون من غير توبة لا يكونون داخلين تحت الآية الأولى، فأما إذا دخلوا تحت الأولى: استغني عن ذكرهم فيجب حمل الكلام على أمر مستأنف.

المسألة الثانية: لما ذكر في الكلام أنه إذا مات على كفره صار الوعيد لازما من غير شرط ولما كان المعلق على الشرط عدما عند عدم الشرط علمنا أن الكافر إذا تاب قبل الموت لم يكن حاله كذلك.

المسألة الثالثة: إن قيل: كيف يلعنه الناس أجمعون، وأهل دينه لا يلعنونه؟ قلنا الجواب عنه من وجوه.

أحدها: أن أهل دينه يلعنونه في الآخرة، لقوله تعالى: ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا [العنكبوت: ٢٥] . وثانيها: قال قتادة والربيع: أراد بالناس أجمعين المؤمنين، كأنه لم يعتد بغيرهم

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٢/٢٣٤

وحكم بأن المؤمنين هم الناس لا غير. وثالثها: أن كل أحد يلعن الجاهل والظالم لأن قبح ذلك مقورر في العقول، فإذا كان هو في نفسه جاهلا أو ظالما وإن كان لا يعلم هو من نفسه كونه كذلك، كانت لعنته على الجاهل والظالم تتناول نفسه عن السدي. ورابعها: أن يحمل وقوع اللعن على استحقاق اللعن، وحينئذ يعم ذلك.

المسألة الرابعة: قال أبو بكر الرازي في الآية دلالة على أن على المسلمين لعن من مات كافرا، / وأن زوال التكليف عنه بالموت لا يسقط عنا لعنه والبراءة منه، لأن قوله: والناس أجمعين قد اقتضى أمرنا بلعنه بعد موته وهذا يدل على أن الكافر لو جن لم يكن زوال التكليف عنه بالجنون مسقطا للعنه والبراءة منه، وكذلك السبيل فيما يوجب المدح والموالاة من الإيمان والصلاح، فإن موت من كان كذلك أو جنونه، لا يغير حكمه عما كان عليه قبل حدوث الحال به.

المسألة الخامسة: القائلون بالموافاة احتجوا بهذه الآية فقالوا: علق تعالى وجوب لعنته بأن يموت على كفره فلو استحق ذلك قبل الموت لم يصح ذلك، فعلمنا أن الكفر إنما يفيد استحقاق اللعن لو مات صاحبه عليه وكذا الإيمان إنما يفيد استحقاق المدح إذا مات صاحبه عليه. الجواب: الحكم المرتب على الذين ماتوا على الكفر مجموع أمور منها اللعن لو مات، ومنها الخلود في النار، وعندنا أن هذا المجموع وهو اللعن وحده، لم قلتم: أنه لا يحصل إلا فيه.

المسألة السادسة: القائلون بأن الكفر من الأسماء الشرعية، وما بقي على الوضع الأصلي وهم المعتزلة احتجوا بقوله تعالى: وماتوا وهم كفار والله تعالى وصفهم حال موتهم بأنهم كفار ومعلوم أن الكفر **بمعنى الستر والتغطية**، لا يبقى فيهم حال الموت، لأن التغطية لا تحصل إلا في حق الحي الفاهم.

المسألة السابعة: الآية تدل على جواز التخصيص مع التوكيد، لأنه تعالى قال: والناس أجمعين مع أنه مخصوص على مذهب من قال: المراد بالناس بعضهم.

وأما قوله تعالى: خالدين فيها ففيه مسائل:

المسألة الأولى: الخلود اللزوم الطويل، ومنه يقال: أخلد إلى كذا أي لزمه وركن إليه.

المسألة الثانية: العامل في خالدين الظرف من قوله (عليهم) لأن فيه معنى الاستقرار للعنة فهو حال من." (١)

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٤٣/٤

"الوجه الثاني في النظم: أنه تعالى لما قال: وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله [البقرة: ٢٨٤] بين أنه لا يخفى عليه من سرنا وجهرنا وباطننا وظاهرنا شيء البتة، ثم إنه تعالى ذكر عقيب ذلك ما يجري مجرى المدح لنا والثناء علينا، فقال: آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كأنه بفضله يقول عبدي أنا وإن كنت أعلم جميع أحوالك، فلا أظهر من أحوالك، ولا أذكر منها إلا ما يكون مدحا لك وثناء عليك، حتى تعلم أني كما أنا الكامل في الملك والعلم والقدرة، فأنا الكامل في الجود والرحمة، وفي إظهار الحسنات، وفي الستر على السيئات.

الوجه الثالث: أنه بدأ في السورة بمدح المتقين الذين يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة/ ومما رزقناهم ينفقون، وبين في آخر السورة أن الذين مدحهم في أول السورة هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فقال: والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وهذا هو المراد بقوله في أول السورة الذين يؤمنون بالغيب [البقرة: ٣] .

ثم قال هاهنا وقالوا سمعنا وأطعنا وهو المراد بقوله في أول السورة ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون [البقرة: ٣] .

ثم قال هاهنا غفرانك ربنا وإليك المصير وهو المراد بقوله في أول السورة وبالآخرة هم يوقنون [البقرة: ٤] ثم حكى عنهم هاهنا كيفية تضرعهم إلى ربهم في قولهم ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا [البقرة: ٢٨٦] إلى آخر السورة وهو المراد بقوله في أول السورة أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون [البقرة: ٥] فانظر كيف حصلت الموافقة بين أول السورة وآخرها.

والوجه الرابع: وهو أن الرسول إذا جاءه الملك من عند الله، وقال له: إن الله بعثك رسولا إلى الخلق، فههنا الرسول لا يمكنه أن يعرف صدق ذلك الملك إلا بمعجزة يظهرها الله تعالى على صدق ذلك الملك في دعواه ولولا ذلك المعجز لجوز الرسول أن يكون ذلك المخبر شيطانا ضالا مضلا، وذلك الملك أيضا إذا سمع كلام الله تعالى افتقر إلى معجز يدل على أن المسموع هو كلام الله تعالى لا غير، وهذه المراتب معتبرة أولها:

قيام المعجز على أن المسموع كلام الله لا غيره، فيعرف الملك بواسطة ذلك المعجز أنه سمع كلام الله تعالى وثانيها: قيام المعجزة عند النبي صلى الله عليه وسلم على أن ذلك الملك صادق في دعواه، وأنه ملك بعثه الله تعالى وليس بشيطان وثالثها: أن تقوم المعجزة على يد الرسول عند الأمة حتى تستدل الأمة بها على أن الرسول صادق في دعواه فإذن لما لم يعرف الرسول كونه رسولا من عند الله لا تتمكن الأمة

من أن يعرفوا ذلك، فلما ذكر الله تعالى في هذه السورة أنواع الشرائع وأقسام الأحكام، قال: آمن الرسول فبين أن الرسول عرف أن ذلك وحي من الله تعالى وصف إليه، وأن الذي أخبره بذلك ملك مبعوث من قبل الله تعالى معصوم من التحريف، وليس بشيطان مضل، ثم ذكر إيمان الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك، وهو المرتبة المتقدمة، وذكر عقيبه إيمان المؤمنين بذلك وهو المرتبة المتأخرة، فقال: والمؤمنون كل آمن بالله ومن تأمل في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته ولعل الذين قالوا: إنه معجز بحسب أسلوبه أرادوا ذلك إلا أني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متنبهين لهذه الأمور، وليس الأمر في هذا الباب كما قيل:." (١)

"[البقرة: ١٩٧] وما تنفقوا من خير يوف إليكم «١» وما تفعلوا من خير تجدوه عند الله «٢» وأما أبو عمرو فالمنقول عنه أنه كان يقرأ هذه الآية بالقراءتين.

المسألة الثانية: فلن تكفروه أي لن تمنعوا ثوابه وجزاءه وإنما سمي منع الجزاء كفر لوجهين الأول: أنه تعالى سمى إيصال الثواب شكرا قال الله تعالى: فإن الله شاكر عليم [البقرة: ١٥٨] وقال: فأولئك كان سعيهم مشكورا [الإسراء: ١٩] فلما سمى إيصال الجزاء شكرا سمى منعه كفرا والثاني: أن الكفر في اللغة هو الستر فسمي منع الجزاء كفرا، لأنه بمنزلة الجحد والستر.

فإن قيل: لم قال: فلن تكفروه فعداه إلى مفعولين مع أن شكر وكفر لا يتعديان إلا إلى واحد يقال شكر النعمة وكفرها.

قلنا: لأنا بينا أن معنى الكفر هاهنا هو المنع والحرمان، فكان كأنه قال: فلن تحرموه، ولن/ تمنعوا جزاءه.

المسألة الثالثة: احتج القائلون بالموازنة من الذاهبين إلى الإحباط بهذه الآية فقال: صريح هذه الآية يدل على أنه لا بد من وصول أثر فعل العبد إليه، فلو انحبط ولم ينحبط من المحبط بمقداره شيء لبطل مقتضى هذه الآية، ونظير هذه الآية قوله تعالى: فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره [الزلزلة: ٧، ٨] .

ثم قال: والله عليم بالمتقين والمعنى أنه تعالى لما أخبر عن عدم الحرمان والجزاء أقام ما يجري مجرى الدليل عليه وهو أن عدم إيصال الثواب والجزاء إما أن يكون للسهو والنسيان وذلك محال في حقه لأنه عليم بكل المعلومات، وإما أن يكون للعجز والبخل والحاجة وذلك محال لأنه إله جميع المحدثات، فاسم

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١٠٦/٧

الله تعالى يدل على عدم العجز والبخل والحاجة، وقوله عليم يدل على عدم الجهل، وإذا انتفت هذه الصفات امتنع المنع من الجزاء، لأن منع الحق لا بد وأن يكون لأجل هذه الأمور والله أعلم، إنما قال: عليم بالمتقين مع أنه عالم بالكل بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على أنه لا يفوز عنده إلا أهل التقوى.

[سورة آل عمران (٣) : آية ١١٦]

إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (١١٦)

اعلم أنه تعالى ذكر في هذه الآيات مرة أحوال الكافرين في كيفية العقاب، وأخرى أحوال المؤمنين في الثواب جامعا بين الزجر والترغيب والوعد والوعيد، فلما وصف من آمن من الكفار بما تقدم من الصفات الحسنة أتبعه تعالى بوعيد الكفار، فقال: إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: في قوله إن الذين كفروا قولان الأول: المراد منه بعض الكفار ثم القائلون بهذا القول ذكروا وجوهاأحدها: قال ابن عباس: يريد قريظة والنضير، وذلك لأن مقصود رؤساء اليهود في معاندة الرسول ما كان إلا المال والدليل عليه قوله تعالى في سورة البقرة ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا [البقرة: ٤١] وثانيها: أنها نزلت في مشركي قريش، فإن أبا جهل كان كثير الافتخار بماله ولهذا السبب نزل فيه قوله

---

(١) ليست هذه آية إنما المثبت في المصحف وما تنفقوا من خير يوف إليكم [البقرة: ٢٧٢] .

(٢) ليست هذه آية إنما المثبت في المصحف وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله [البقرة: ١١٠] . [.....]."[1]

"على أنها مطهرة مبرأة عن كل قبيح، / ألا ترى أن ولد نوح لما كان كافرا قال: إنه ليس من أهلك [هود: ٤٦] وكذلك امرأة لوط.

ثم قال تعالى: والله سميع عليم أي سميع لأقوالكم عليم بضمائركم ونياتكم، فإنا ذكرنا أنه عليه السلام شاور أصحابه في ذلك الحرب، فمنهم من قال له: أقم بالمدينة، ومنهم من قال: اخرج إليهم، وكان لكل أحد غرض آخر فيما يقول، فمن موافق، ومن مخالف فقال تعالى: أنا سميع لما يقولون عليم بما يضمرون.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٣٣٥/٨

ثم قال تعالى: إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا وفيه مسائل:
المسألة الأولى: العامل في قوله إذ همت طائفتان منكم فيه وجوه الأول: قال الزجاج: العامل فيه التبوئة، والمعنى كانت التبوئة في ذلك الوقت الثاني: العامل فيه قوله سميع عليم الثالث: يجوز أن يكون بدلا من إذ غدوت.
المسألة الثانية: الطائفتان حيان من الأنصار: بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس لما انهزم عبد الله بن أبي همت الطائفتان باتباعه، فعصمهم الله، فثبتوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن العلماء من قال: إن الله تعالى أبهم ذكرهما وستر عليهما، فلا يجوز لنا أن نهتك ذلك الستر.
المسألة الثالثة: الفشل الجبن والخور، فإن قيل: الهم بالشيء هو العزم، فظاهر الآية يدل على أن الطائفتين عزمتا على الفشل والترك وذلك معصية فكيف بهما أن يقال والله وليهما؟.
والجواب: الهم قد يراد به العزم، وقد يراد به الفكر، وقد يراد به حديث النفس، وقد يراد به ما يظهر من القول الدال على قوة العدو وكثرة عدده ووفور عدده، لأن أي شيء ظهر من هذا الجنس صح أن يوصف من ظهر ذلك منه بأنه هم بأن يفشل من حيث ظهر منه ما يوجب ضعف القلب، فكان قوله إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا لا يدل على أن معصية وقعت منهما، وأيضا فبتقدير أن يقال: إن ذلك معصية لكنها من باب الصغائر لا من باب الكبائر، بدليل قوله تعالى: والله وليهما فإن ذلك الهم لو كان من باب الكبائر لما بقيت ولاية الله لهما.
ثم قال تعالى: والله وليهما وفيه مسائل:
المسألة الأولى: قرأ عبد الله والله وليهما كقوله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا [الحجرات: ٩] .
المسألة الثانية: في المعنى وجوه الأول: أن المراد منه بيان أن ذلك الهم ما أخرجهما عن ولاية الله تعالى الثاني: كأنه قيل: الله تعالى ناصرهما ومتولي أمرهما فكيف يليق بهما هذا الفشل وترك التوكل على الله تعالى؟
الثالث: فيه تنبيه على أن ذلك الفشل إنما لم يدخل في الوجود لأن الله تعالى وليهما فأمدهما بالتوفيق والعصمة، والغرض منه بيان أنه لولا توفيقه سبحانه وتسديده لما تخلص أحد عن ظلمات المعاصي، ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى بعده هذه الآية وعلى الله فليتوكل المؤمنون.
فإن قيل: ما معنى ما روي عن بعضهم عند نزول هذه الآية أنه قال: والله ما يسرنا أنا لم نهم بما همت الطائفتان به، وقد أخبرنا الله تعالى بأنه وليهما؟.

قلنا: معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله تعالى، وإنزاله فيهم آية ناطقة بصحة." (١)

"ولأن الوصف أو الحال لم يكن بد منه، وأنه يقال: سمعت كلام فلان أو قوله.

المسألة الرابعة: هاهنا سؤال وهو أن يقال: ما الفائدة في الجمع بين المنادي وينادي؟

وجوابه: ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالإيمان تفخيما لشأن المنادي، لأنه لا منادي أعظم من مناد ينادي للإيمان، ونظيره قولك: مررت بهاد يهدي للإسلام، وذلك لأن المنادي إذا أطلق ذهب الوهم إلى مناد للحرب، أو لإطفاء النائرة، أو لإغاثة المكروب، أو الكفاية لبعض النوازل، وكذلك الهادي، وقد يطلق على من يهدي للطريق، ويهدي لسداد الرأي، فإذا قلت ينادي للإيمان ويهدي للإسلام فقد رفعت من شأن المنادي والهادي وفخمته.

المسألة الخامسة: قوله: أن آمنوا فيه حذف أو إضمار، والتقدير: آمنوا أو بأن آمنوا، ثم حكى الله عنهم أنهم قالوا بعد ذلك: فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: اعلم أنهم طلبوا من الله تعالى في هذا الدعاء ثلاثة أشياء: أولها: غفران الذنوب، وثانيها: تكفير السيئات، وثالثها: أن تكون وفاتهم مع الأبرار. أما الغفران **فهو الستر والتغطية**، والتكفير أيضا هو التغطية، يقال: رجل مكفر بالسلاح، أي مغطى به، والكفر منه أيضا، وقال لبيد:

في ليلة كفر النجوم ظلامها

إذا عرفت هذا: فالمغفرة والتكفير بحسب اللغة معناهما شيء واحد.

أما المفسرون فذكروا فيه وجوها: أحدها: أن المراد بهما شيء واحد وإنما أعيد ذلك للتأكيد لأن الإلحاح في الدعاء والمبالغة فيه مندوب، وثانيها: المراد بالأول ما تقدم من الذنوب، وبالثاني المستأنف، وثالثها: أن يريد بالغفران ما يزول بالتوبة، وبالكفران ما تكفره الطاعة العظيمة، ورابعها: أن يكون المراد بالأول ما أتى به الإنسان مع العلم بكونه معصية وذنبا، وبالثاني: ما أتى به الإنسان مع جهله بكونه معصية وذنبا.

وأما قوله: وتوفنا مع الأبرار ففيه بحثان: الأول: أن الأبرار جمع بر أو بار، كرب وأرباب، وصاحب وأصحاب، الثاني: ذكر القفال في تفسير هذه المعية وجهين: الأول: أن وفاتهم معهم هي أن يموتوا على مثل أعمالهم حتى يكونوا في درجاتهم يوم القيامة، قد يقول الرجل أنا مع الشافعي في هذه المسألة، ويريد به كونه مساويا له في ذلك الاعتقاد، والثاني: يقال فلان في العطاء مع أصحاب الألوف، أي هو مشارك لهم في أنه يعطي

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٨/٣٤٧

ألفا. والثالث: أن يكون المراد منه كونهم في جملة أتباع الأبرار وأشياعهم، ومنه قوله: فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين [النساء: ٦٩] .

المسألة الثانية: احتج أصحابنا على حصول العفو بدون التوبة بهذه الآية أعني قوله تعالى حكاية عنهم: فاغفر لنا ذنوبنا والاستدلال به من وجهين: الأول: أنهم طلبوا غفران الذنوب ولم يكن للتوبة فيه ذكر، فدل على أنهم طلبوا المغفرة مطلقا، ثم إن الله تعالى أجابهم إليه لأنه قال في آخر الآية:

فاستجاب لهم ربهم [آل عمران: ١٩٥] . وهذا صريح في أنه تعالى قد يعفو عن الذنب وإن لم توجد التوبة.

والثاني: وهو أنه تعالى حكى عنهم أنهم لما أخبروا عن أنفسهم بأنهم آمنوا، فعند هذا قالوا: فاغفر لنا ذنوبنا، والفاء في قوله: فاغفر فاء الجزاء وهذا يدل على أن مجرد الإيمان سبب لحسن طلب المغفرة من الله، ثم إن الله تعالى أجابهم إليه بقوله: فاستجاب لهم ربهم فدلت هذه الآية على أن مجرد الإيمان سبب لحصول الغفران، إما من الابتداء وهو بأن يعفو عنهم ولا يدخلهم النار أو بأن يدخلهم النار ويعذبهم مدة ثم يعفو عنهم." (١)

"إن الذين كفروا لما ذكر خاصة عباده، وخلاصة أوليائه بصفاتهم التي أهلتهم للهدى والفلاح، عقبهم بأضدادهم العتاة المردة، الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تغني عنهم الآيات والنذر، ولم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف في قوله تعالى إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم لتباينهما في الغرض، فإن الأولى سيقت لذكر الكتاب وبيان شأنه والأخرى مسوقة لشرح تمردهم، وانهماكهم في الضلال، و (إن) من الحروف التي تشابه الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الأسماء وإعطاء معانيه، والمتعدي خاصة في دخولها على اسمين. ولذلك أعملت عمله الفرعي وهو نصب الجزء الأول ورفع الثاني إيذانا بأنه فرع في العمل دخيل فيه.

وقال الكوفيون: الخبر قبل دخولها كان مرفوعا بالخبرية، وهي بعد باقية مقتضية للرفع قضية للاستصحاب فلا يرفعه الحرف. وأجيب بأن اقتضاء الخبرية الرفع مشروط بالتجرد لتخلفه عنها في خبر كان، وقد زال بدخولها فتعين إعمال الحرف. وفائدتها تأكيد النسبة وتحقيقها، ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الأجوبة، وتذكر في معرض الشك مثل قوله تعالى: ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا إنا مكنا له في الأرض، وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين قال المبرد (قولك: عبد الله قائم،

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ٤٦٧/٩

إخبار عن قيامه، وإن عبد الله قائم، جواب سائل عن قيامه، وإن عبد الله لقائم، جواب منكر لقيامه) .

وتعريف الموصول: إما للعهد، والمراد به ناس بأعيانهم كأبي لهب، وأبي جهل، والوليد بن المغيرة، وأحبار اليهود. أو للجنس، متناولا من صمم على الكفر، وغيرهم. فخص منهم غير المصرين بما أسند إليه. والكفر لغة: ستر النعمة، وأصله الكفر بالفتح وهو الستر، ومنه قيل للزارع والليل كافر، ولكمام الثمرة كافور. وفي الشرع: إنكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم به، وإنما عد لبس الغيار وشد الزنار ونحوهما كفرا لأنها تدل على التكذيب، فإن من صدق الرسول صلى الله عليه وسلم لا يجترئ عليها ظاهرا لا لأنها كفر في أنفسها.

واحتجت المعتزلة بما جاء في القرآن بلفظ الماضي على حدوثه لاستدعائه سابقة المخبر عنه، وأجيب بأنه مقتضى التعلق وحدوثه لا يستلزم حدوث الكلام كما في العلم.

سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم خبر إن وسواء اسم بمعنى الاستواء، نعت به كما نعت بالمصادر قال الله تعالى: تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم رفع بأنه خبر إن وما بعده مرتفع به على الفاعلية كأنه قيل: إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه، أو بأنه خبر لما بعده بمعنى: إنذارك وعدمه سيان عليهم، والفعل إنما يمتنع الإخبار عنه إذا أريد به تمام ما وضع له، أما لو أطلق وأريد به اللفظ، أو مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على الاتساع فهو كالاسم في الإضافة، والإسناد إليه كقوله تعالى: وإذا قيل لهم آمنوا وقوله: يوم ينفع الصادقين صدقهم وقولهم: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه.

وإنما عدل هاهنا عن المصدر إلى الفعل لما فيه من إيهام التجدد وحسن دخول الهمزة، وأم عليه لتقرير معنى الاستواء وتأكيده، فإنهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء، كما جردت حروف النداء عن الطلب لمجرد التخصيص في قولهم: اللهم اغفر لنا أيتها العصابة.

والإنذار: التخويف أريد به التخويف من عذاب الله، وإنما اقتصر عليه دون البشارة لأنه أوقع في القلب وأشد تأثيرا في النفس، من حيث إن دفع الضر أهم من جلب النفع، فإذا لم ينفع فيهم كانت البشارة بعدم النفع أولى، وقرئ أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين وتخفيف الثانية بين بين، وقلبها ألفا وهو لحن لأن المتحركة لا تقلب، ولأنه يؤدي إلى جمع الساكنين على غير حده، وبتوسيط ألف بينهما محققتين، وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف الاستفهامية، وبحذفها وإلقاء حركتها على الساكن قبله.

لا يؤمنون جملة مفسرة لإجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء فلا محل لها أو حال مؤكدة. أو بدل عنه. أو خبر إن والجملة قبلها اعتراض بما هو علة الحكم.." (١)

"والجمع بين الوصفين، فإن الإيمان الذي هو عبارة عن التحقيق والتصديق أس، والعمل الصالح كالبناء عليه، ولا غناء بأس لا بناء عليه، ولذلك قلما ذكرا منفردين. وفيه دليل على أنها خارجة عن مسمى الإيمان، إذ الأصل أن الشيء لا يعطف على نفسه ولا على ما هو داخل فيه.

أن لهم منصوب بنزع الخافض وإفضاء الفعل إليه، أو مجرور بإضماره مثل: الله لأفعلن. والجنة: المرة من الجن وهو مصدر جنة إذا ستره، ومدار التركيب على الستر، سمي بها الشجر المظلل لالتفاف أغصانه للمبالغة كأنه يستر ما تحته سترة واحدة قال زهير:

كأن عيني في غربي مقتلة ... من النواضح تسقي جنة سحقا

أي نخلا طوالا، ثم البستان، لما فيه من الأشجار المتكاثفة المظللة، ثم دار الثواب لما فيها من الجنان، وقيل: سميت بذلك لأنه ستر في الدنيا ما أعد فيها للبشر من أفنان النعم كما قال سبحانه وتعالى: فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وجمعها وتنكيرها لأن الجنان على ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما سبع: جنة الفردوس، وجنة عدن، وجنة النعيم، ودار الخلد، وجنة المأوى، ودار السلام، وعليون، وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة على حسب تفاوت الأعمال والعمال. واللام في لهم تدل على استحقاقهم إياها، لأجل ما ترتب عليه من الإيمان والعمل الصالح، لا لذاته فإنه لا يكافئ النعم السابقة، فضلا عن أن يقتضي ثوابا وجزاء فيما يستقبل بل بجعل الشارع، ومقتضى وعده تعالى لا على الإطلاق، بل بشرط أن يستمر عليه حتى يموت وهو مؤمن لقوله تعالى: ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم وقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم لئن أشركت ليحبطن عملك وأشباه ذلك، ولعله سبحانه وتعالى لم يقيد هاهنا استغناء بها.

تجري من تحتها الأنهار أي من تحت أشجارها، كما تراها جارية تحت الأشجار النابتة على شواطئها. وعن مسروق أنهار الجنة تجري في غير أخدود: واللام في الأنهار للجنس، كما في قولك لفلان: بستان في الماء الجاري، أو للعهد، والمعهود: هي الأنهار المذكورة في قوله تعالى: فيها أنهار من ماء غير آسن الآية. والنهر بالفتح والسكون: المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر، كالنيل والفرات، والتركيب للسعة، والمراد بها ماؤها على الإضمار، أو المجاز، أو المجاري أنفسها. وإسناد الجري إليها مجاز كما في قوله

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٤١/١

تعالى: وأخرجت الأرض أثقالها الآية.

كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا صفة ثانية لجنات، أو خبر مبتدأ محذوف، أو جملة مستأنفة. كأنه لما قيل: إن لهم جنات، وقع في خلد السامع أثمارها مثل ثمار الدنيا، أو أجناس أخر فأزيح بذلك، وكلما نصب على الظرف، ورزقا مفعول به، ومن الأولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال، وأصل الكلام ومعناه: كل حين رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة، قيد الرزق بكونه مبتدأ من الجنات، وابتداؤه منها بابتدائه من ثمرة فصاحب الحال الأولى رزقا وصاحب الحال الثانية ضميره المستكن في الحال، ويحتمل أن يكون من ثمره، بيانا تقدم كما في قولك: رأيت منك أسدا، وهذا إشارة إلى نوع ما رزقوا كقولك مشيرا إلى نهر جار: هذا الماء لا ينقطع، فإنك لا تعني به العين المشاهدة منه، بل النوع المعلوم المستمر بتعاقب جريانه وإن كانت الإشارة إلى عينه، فالمعنى هذا مثل رزقنا ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته كقولك: أبو يوسف أبو حنيفة.

من قبل أي: من قبل هذا في الدنيا، جعل ثمر الجنة من جنس ثمر الدنيا لتميل النفس إليه أول ما يرى، فإن الطباع مائلة إلى المألوف متنفرة عن غيره، ويتبين لها مزيته وكنه النعمة فيه، إذ لو كان جنسا لم يعهد ظن أنه لا يكون إلا كذلك، أو في الجنة لأن طعامها متشابه في الصورة، كما حكى ابن كثير عن الحسن رضي الله عنهما: (أن أحدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها، ثم يؤتى بأخرى فيراها مثل الأولى فيقول." (١)

"إذا حاولت في أسد فجورا ... فإني لست منك ولست مني

على معنى أن أمهات النساء وبناتهن متصلات بهن، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم فرق بينهما فقال في رجل تزوج امرأة وطلقها قبل أن يدخل بها «إنه لا بأس أن يتزوج ابنتها ولا يحل له أن يتزوج أمها» . وإليه ذهب عامة العلماء، غير أنه روي عن علي رضي الله تعالى عنه تقييد التحريم فيهما. ولا يجوز أن يكون الموصول الثاني صفة للنساءين لأن عاملهما مختلف، وفائدة قوله في حجوركم تقوية العلة وتكميلها، والمعنى أن الربائب إذا دخلتم بأمهاتهن وهن في احتضانكم أو بصدده تقوى الشبه بينها وبين أولادكم وصارت أحقاء بأن تجروها مجراهم لا تقييد الحرمة، وإليه ذهب جمهور العلماء.

وقد روي عن علي رضي الله تعالى عنه أنه جعله شرطا، والأمهات والربائب يتناولان القريبة والبعيدة، وقوله دخلتم بهن أي دخلتم **معهن الستر وهي** كناية عن الجماع، ويؤثر في حرمة المصاهرة ما ليس بزنا كالوطء بشبهة، أو ملك يمين. وعند أبي حنيفة لمس المنكوحة ونحوه كالدخول. فإن لم تكونوا دخلتم

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٦٠/١

بهن فلا جناح عليكم تصريح بعد إشعار دفعا للقياس.
وحلائل أبنائكم زوجاتهم، سميت الزوجة حليلة لحلها أو لحلولها مع الزوج. الذين من أصلابكم احتراز عن المتبنين لا عن أبناء الولد وأن تجمعوا بين الأختين في موضع الرفع عطفا على المحرمات، والظاهر أن الحرمة غير مقصورة على النكاح فإن المحرمات المعدودة كما هي محرمة في النكاح فهي محرمة في ملك اليمين، ولذلك
قال عثمان وعلي رضي الله تعالى عنهما: حرمتهما آية وأحلتهما آية، يعنيان هذه الآية
. وقوله: أو ما ملكت أيمانكم فرجح علي كرم الله وجهه التحريم، وعثمان رضي الله عنه التحليل.
وقول علي أظهر لأن آية التحليل مخصوصة في غير ذلك
ولقوله عليه الصلاة والسلام «ما اجتمع الحلال والحرام إلا غلب الحرام»
. إلا ما قد سلف استثناء من لازم المعنى، أو منقطع معناه لكن ما قد سلف مغفور لقوله: إن الله كان غفورا رحيما.

[سورة النساء (٤) : آية ٢٤]
والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة إن الله كان عليما حكيما (٢٤)
والمحصنات من النساء ذوات الأزواج، أحصنهن التزويج أو الأزواج. وقرأ الكسائي بكسر الصاد في جميع القرآن لأنهن أحصن فروجهن. إلا ما ملكت أيمانكم يريد ما ملكت أيمانكم من اللاتي سبين ولهن أزواج كفار فهن حلال للسابين، والنكاح مرتفع بالسبي
لقول أبي سعيد رضي الله تعالى عنه: أصبنا سبايا يوم أوطاس ولهن أزواج كفار، فكرهنا أن نقع عليهن فسألنا النبي صلى الله عليه وسلم، فنزلت الآية فاستحللناهن.
وإياه عنى الفرزدق بقوله:
وذات حليل أنكحتها رماحنا ... حلال لمن يبني بها لم تطلق
وقال أبو حنيفة لو سبي الزوجان لم يرتفع النكاح ولم تحل للسابي. وإطلاق الآية والحديث حجة عليه. كتاب الله عليكم مصدر مؤكد، أي كتب الله عليكم تحريم هؤلاء كتابا. وقرئ «كتب» الله بالجمع والرفع أي هذه فرائض الله عليكم «وكتب الله» بلفظ الفعل. وأحل لكم عطف على الفعل المضمر الذي نصب

كتاب الله وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم على البناء للمفعول عطفا على حرمت. ما وراء ذلكم ما سوى المحرمات الثمان المذكورة. وخص عنه بالسنة ما في معنى المذكورات كسائر محرمات الرضاع، والجمع بين المرأة وعمتها وخالتها. أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين مفعول له والمعنى أحل لكم ما وراء ذلكم إرادة أن تبتغوا النساء بأموالكم بالصرف في مهورهن، أو أثمانهن في حال كونكم محصنين غير مسافحين، ويجوز أن لا يقدر مفعول تبتغوا وكأنه قيل إرادة أن يصرفوا أموالكم محصنين غير." (١)

"ولقد جاءت رسلنا إبراهيم يعني الملائكة، قيل: كانوا تسعة، وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وإسرافيل. بالبشرى ببشارة الولد. وقيل بهلاك قوم لوط. قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه ب قالوا على معنى ذكروا سلاما. قال سلام أي أمركم أو جوابي سلام أو وعليكم سلام، رفعه إجابة بأحسن من تحيتهم. وقرأ حمزة والكسائي «سلم» وكذلك في «الذاريات» وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح.

فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فما أبطأ مجيئه به، أو فما أبطأ في المجيء به، أو فما تأخر عنه والجار في أن مقدر أو محذوف والحنيذ المشوي بالرضف. وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس إذا عرفته بالجلال لقوله: بعجل سمين.

[سورة هود (١١) : الآيات ٧٠ الى ٧١]

فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط (٧٠) وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب (٧١)

فلما رأى أيديهم لا تصل إليه لا يمدون إليه أيديهم. نكرهم وأوجس منهم خيفة أنكر ذلك منهم وخاف أن يريدوا به مكروها، ونكر وأنكر واستنكر بمعنى والإيجاس الإدراك وقيل الإضمار قالوا له لما أحسوا منه أثر الخوف. لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط إنا ملائكة مرسلة إليهم بالعذاب، وإنما لم نمد إليه أيدينا لأنا لا نأكل.

وامرأته قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم أو على رؤوسهم للخدمة. فضحكت سرورا بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الفساد أو بإصابة رأيها فإنها كانت تقول لإبراهيم: اضمم إليك لوطا فإني أعلم أن العذاب ينزل بهؤلاء القوم. وقيل فضحكت فحاضت قال الشاعر:

وعهدي بسلمى ضاحكا في لبابة ... ولم يعد حقا ثديها أن تحلما

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٦٨/٢

ومنه ضحكت السمرة إذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء. فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره ما دل عليه الكلام وتقديره: ووهبناها من وراء إسحاق يعقوب. وقيل إنه معطوف على موضع بإسحاق أو على لفظ إسحاق، وفتحته للجر فإنه غير مصروف ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف. وقرأ الباقون بالرفع على أنه مبتدأ.

وخبره الظرف أي ويعقوب مولود من بعده. وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لأنه بعد الولد وعلى هذا تكون إضافته إلى إسحاق ليس من حيث أن يعقوب عليه الصلاة والسلام وراءه، بل من حيث إنه وراء إبراهيم من جهته وفيه نظر. والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى، ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد أن ولدا فسميا به، وتوجيه البشارة إليها للدلالة على أن الولد المبشر به يكون منها لا من هاجر ولأنها كانت عقيمة حريصة على الولد.

[سورة هود (١١) : الآيات ٧٢ الى ٧٣]

قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب (٧٢) قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد (٧٣)

قالت يا ويلتى يا عجبا، وأصله في الشر فأطلق على كل أمر فظيع. وقرئ بالياء على الأصل.

أألد وأنا عجوز ابنة تسعين أو تسع وتسعين. وهذا بعلي زوجي وأصله القائم بالأمر. شيخا ابن مائة أو مائة وعشرين، ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الإشارة. وقرئ بالرفع على أنه خبر محذوف أي هو شيخ، أو خبر بعد خبر أو هو الخبر وبعلي بدل. إن هذا لشيء عجيب يعني الولد من هرمين، وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك:." (١)

"(٤٠) سورة المؤمن

مكية وآيها خمس وثمانون

[سورة غافر (٤٠) : الآيات ١ الى ٣]

بسم الله الرحمن الرحيم

حم (١) تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم (٢) غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٤١/٣

إلا هو إليه المصير (٣)

حم أماله ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر صريحا، ونافع برواية ورش وأبو عمرو بين بين، وقرئ بفتح الميم على التحريك لالتقاء الساكنين، أو النصب بإضمار اقرأ ومنع صرفه للتعريف والتأنيث، أو لأنها على زنة أعجمي كقابيل وهابيل.

تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم لعل تخصيص الوصفين لما في القرآن من الإعجاز والحكم الدال على القدرة الكاملة والحكمة البالغة.

غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول صفات أخرى لتحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود منه، والإضافة فيها حقيقة على أنه لم يرد بها زمان مخصوص، وأريد ب شديد العقاب مشددة أو الشديد عقابه فحذف اللام للازدواج وأمن الالتباس، أو إبدال وجعله وحده بدلا مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الأولين لإفادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة، أو تغاير الوصفين إذ ربما يتوهم الاتحاد، أو تغاير موقع الفعلين لأن الغفر **هو الستر فيكون** لذنب باق وذلك لمن لم يتب فإن «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» .

والتوب مصدر كالتوبة وقيل جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق، وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل رجحانها. لا إله إلا هو فيجب الإقبال الكلي على عبادته. إليه المصير فيجازي المطيع والعاصي.

[سورة غافر (٤٠) : آية ٤]

ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد (٤)

ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا لما حقق أمر التنزيل سجل بالكفر على المجادلين فيه بالطعن وإدحاض الحق لقوله: وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وأما الجدال فيه لحل عقده واستنباط حقائقه وقطع تشبث أهل الزيغ به وقطع مطاعنهم فيه فمن أعظم الطاعات، ولذلك

قال عليه الصلاة والسلام «إن جدالا في القرآن كفر»

بالتنكير مع أنه ليس جدالا فيه على الحقيقة. فلا يغررك تقلبهم في البلاد فلا يغرك إمهالهم وإقبالهم في دنياهم وتقلبهم في بلاد الشام واليمن بالتجارات المربحة فإنهم مأخوذون عما قريب بكفرهم أخذ من قبلهم كما قال:

[سورة غافر (٤٠) : الآيات ٥ الى ٦]

كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب (٥) وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار (٦) ".. (١)

"إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (٦)

﴿إن الذين كفروا﴾ الكفر ستر الحق بالجحود والتركيب دال **على الستر ولذا** سمي الزراع

البقرة (٦ _ ٧)

كافراوكذا الليل ولم يأت بالعاطف هنا كما في قوله إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفى جحيم لأن الجملة الأولى هنا مسوقة بيانا لذكر الكتاب لا خبرا عن المؤمنين وسيقت الثانية للإخبار عن الكفار بكذا فبين الجملتين تفاوت في المراد وهما على حد لا مجال للعطف فيه وإن كان مبتدأ على تقدير فهو كالجاري عليه والمراد بالذين كفروا أناس بأعيانهم علم الله أنهم لا يؤمنون كأبي جهل وابى لهب وأضرابهما ﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾ بهمزتين كوفي وسواء بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى إلى كلمة سواء أي مستوية وارتفاعه على أنه خبر لإن وأنذرتهم أم لم تنذرهم مرتفع به على الفاعلية كأنه قيل أن الذين كفورا مستو." (٢)

"**معنى الستر ومنه** الجن والجنون والجنين والجنة والجان والجنان وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان والجنة مخلوقة لقوله تعالى ﴿اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ خلافا لبعض المعتزلة ومعنى جمع الجنة وتنكيرها أن الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي متشلمة على جنان كثيرة مرتبة مراتب بحسب أعمال العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ الجملة في موضع النصب صفة لجنات والمراد من تحت أشجارها كما ترى الأشجار النابتة على شواطئ الأنهار الجارية وأنهار الجنة تجري في غير أخدود وأنزه البساتين ما كانت أشجارها مظلة والأنهار في خلالها مطردة والجري الأطراد والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال للنيل نهر مصر واللغة العالية نهر ومدار التركيب على السعة وإسناد الجري إلى الأنهار مجازي وإنما عرف الأنهار لأنه يحتمل أن يراد بها أنهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الإضافة كقوله تعالى واشتعل الرأس شيبا

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ٥/٥١

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ١/٤٤

أو يشار باللام إلى الأنهار المذكورة في قوله تعالى ﴿فيها أنهار من ماء غير آسن﴾ الآية والماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى ولذا قرن الله تعالى الجنات بذكر الأنهار الجارية وقدمه على سائر نعوتها ﴿كلما رزقوا﴾ صفة ثانية لجنات أو جملة مستأنفة لأنه لما قيل إن لهم جنات لم يخل خلد السامع أن يقع فيه أثمار تلك الجنات أشباه ثمار جنات الدنيا أم أجناس أخر لا تشابه هذه الأجناس فقيل إن ثمارها أشباه

البقرة (٢٥)

ثمار جنات الدنيا أي أجناسها وإن تفاوتت إلى غاية لا يعلمها إلا الله ﴿منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي﴾ أي كلما رزقوا من الجنات من أي ثمرة كانت من تفاحها أو رمانها أو غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن الأولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لأن الرزق قد ابتدء من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة ونظيره أن تقول رزقني فلان فيقال لك من أين فتقول من بستانه فيقال من أي ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان وليس المراد من الثمرة التفاحة الواحدة." (١)

"﴿وإخوانكم﴾ لأب وأم أو لأب أو لأم ﴿وعماتكم﴾ من الأوجه الثلاثة ﴿وخالاتكم﴾ كذلك ﴿وبنات الأخ﴾ كذلك ﴿وبنات الأخت﴾ كذلك ثم شرع في السبب فقال ﴿وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة﴾ الله تعالى نزل الرضاعة منزلة النسب فسمى المرضعة أما للرضيع والمراضعة أختا وكذلك زوج المرضعة أبوه وأبواه جداه وأخته عمته وكل ولد وله له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم أخوته وأخواته لأبيه وأم المرضعة جدته وأختها وأخواته لأبيه وأمه ومن ولدلها من غيره فهم إخوته وأخواته لأم وأصله قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ﴿وأمهات نسائكم﴾ وهن محرمات بمجرد العقد ﴿وربائبكم﴾ سمى ولد المرأة من غير زوجها ربيبا وربيبة لأنه يربهما كما يرب ولده في غالب الأمر ثم اتسع فيه فسميابذلك وإن لم يربهما ﴿اللاتي في حجوركم﴾ قال داود إذا لم تكن في حجره لا تحرم قلنا ذكر الحجر على غلبة الحال دون الشرط وفائدته التعليل للتحريم وأنهن لاحتضانكم لهن أو لكونهن بصدد احتضانكم كأنكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم ﴿من نسائكم اللاتي دخلتم بهن﴾

متعلق بربائبكم أي الربيبة من المرأة المدخول بها حرام على الرجل حلال له إذا لم يدخل بها والدخول بهن كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب أي **أدخلتموهن الستر والباء** للتعدية واللمس

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٦٩/١

ونحوه يقوم مقام الدخول وقد جعل بعض العلماء اللاى دخلتم بهن وصفا للنساء المتقدمة والمتأخرة وليس كذلك لأن الوصف الواحد لا يقع على موصوفين مختلفي العامل وهذا لأن النساء." (١)

"وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين (٥٩)

﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ المفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وهى خزائن العذاب والرزق أو ما غاب عن العباد من الثواب والعقاب والآجال والأحوال جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لأن المفاتح يتوصل بها إلى ما في الخزائن المستوثق منها بالأغلاق والأقفال ومن علم مفاتحها وكيفية فتحها توصل إليها فأراد أنه هو المتوصل إلى المغيبات وحده لا يتوصل إليها غيره كمن عنده مفاتح أقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل إلى ما في المخازن قيل عنده مفاتح الغيب وعندك مفاتح الغيب فمن آمن بغيبه أسبل **الله الستر على** عيبه ﴿ويعلم ما في البر﴾ من النبات والدواب ﴿والبحر﴾ من الحيوان والجواهر وغيرهما ﴿وما تسقط من." (٢)

"وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب (٧١)

﴿وامرأته قائمة﴾ **وراء الستر تسمع** تحاورهم أو على رءوسهم تخدمهم ﴿فضحكت﴾ سرورا بزوال الخفية أو بهلاك أهل الخبائث أو من غفلة قوم لوط مع قرب العذاب أو فحاضت ﴿فبشرناها بإسحاق﴾ وخصت بالبشارة لأن النساء أعظم سرورا بالولد من الرجال ولأنه لم يكن لها ولد وكان لإبراهيم ولد وهو اسمعيل ﴿ومن وراء إسحاق﴾ ومن بعده ﴿يعقوب﴾ بالنصب شامي وحمزة وحفص بفعل مضمر دل عليه هود (٧٢ _ ٧٥)." (٣)

"ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين (٣٥)

﴿ثم بدا لهم﴾ فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء أي ظهر لهم رأي والضمير في لهم للعزيز وأهله ﴿من بعد ما رأوا الآيات﴾ وهى الشواهد على برءاته كقد القميص وقطع الأيدي وشهادة الصبي وغير ذلك ﴿ليسجننه﴾ لإبداء عذر الحال **وإرخاء الستر على** القيل والقال وما كان ذلك إلا باستنزال المرأة لزوجها وكان مطواعا لها وحميلا ذلولا زمامه فى يدها وقد طمعت أن يذلله

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٣٤٦/١

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٥٠٩/١

(٣) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٧٢/٢

السجن ويسخره لها أو خافت عليه العيون وظنت فيه الظنون فألجأها الخجل من الناس والوجل من الباس إلى أن رضيت بالحجاب مكان خوف الذهاب لتشتفي بخبره إذا منعت من نظره ﴿حتى حين﴾ إلى زمان كأنها اقترحت أن يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه." (١)

"حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا (٩٠)

﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم﴾ وهم الزنج ﴿لم نجعل لهم من دونها﴾ من دون الشمس ﴿سترا﴾ أي أبنية عن كعب أرضهم لا تمسك الأبنية وبها أسراب فإذا طلعت الشمس دخلوها فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى معايشهم **أو الستر اللباس** عن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض." (٢)

"إلى المستحقين للاحسان أولا يقتصروا في أن يحسنوا إليهم وإن كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها ﴿وليعفوا وليصفحوا﴾ **العفو الستر والصفح** الاعراض أى ولنجاوزوا عن الجفاء وليعرضوا عن العقوبة ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ فليفعلوا بهم ما يرجون أن يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم ﴿والله غفور رحيم﴾ فتأدبوا بأدب الله واغفروا وارحموا نزلت في شأن أبي بكر الصديق رضى الله عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح ابن خالته لخوضه فى عائشة رضى الله عنها وكان مسكينا بدريا مهاجرا ولما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر قال بلى أحب أن يغفر الله لي ورد إلى مسطح نفقته." (٣)

"من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب (٣٣)

﴿من﴾ مجرور المحل بدل من أواب أو رفع بالابتداء وخبره ادخلوها على تقدير يقال لهم ادخلوها بسلام لأن من في معنى الجمع ﴿خشى الرحمن﴾ الخشية انزعاج القلب عند ذكر الخطيئة وقرن الخشية اسمه الدال على سعة الرحمة للثناء البليغ على الخاشي وهو خشيته مع علمه أنه الواسع الرحمة كما أثنى عليه بأنه خاش مع ان المختشى منه غائب ﴿بالغيب﴾ حال من المعفول أي خشيه وهو غائب أو صفة لمصدر خشي أي خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غائب الحسن إذا أغلق الباب **وأرخى الستر** ﴿وجآء بقلب منيب﴾ راجع إلى الله وقيل بسريرة مرضية وعقيدة صحيحة." (٤)

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ١٠٩/٢

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٣١٨/٢

(٣) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٤٩٦/٢

(٤) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٣٦٨/٣

"ولو ألقى معاذيره (١٥)

﴿ولو ألقى معاذيره﴾ أرخى ستوره **والمعذار الستر وقيل** ولو جاء بكل معذرة ما قبلت منه فعليه من يكذب عذره والمعاذير ليس بجمع معذرة لأن جمعها معاذر بل هي اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر." (١)

"أولئك أي الذين هذه صفتهم على هدى من ربهم أي على رشاد ونور من ربهم وقيل على استقامة وأولئك هم المفلحون أي الناجون الفائزون نجوا من النار وفازوا بالجنة والمفلح الظافر بالمطلوب أي الذي انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه ويكون الفلاح بمعنى البقاء قال الشاعر:

لو كان حي مدرك الفلاح ... أدركه ملاعب الرماح

يريد البقاء فيكون المعنى أولئك هم الباقون في النعيم المقيم والفلاح والظفر وإدراك البغية من السعادة والعز والبقاء والغنى وأصل الفلاح الشق كما قيل: إن الحديد بالحديد يفلح، أي يقطع، فعلى هذا يكون المعنى أولئك هم المقطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة. واعلم أن الله عز وجل صدر هذه السورة بأربع آيات أنزلها في المؤمنين وبآيتين أنزلهما في الكافرين وبثلاث عشرة آية أنزلها في المنافقين فأما التي في الكفار فقوله تعالى: إن الذين كفروا أي جحدوا وأنكروا وأصل الكفر في **اللغة الستر والتغطية**، ومنه سمي الليل كافرا لأنه يستر الأشياء بظلمته قال الشاعر، في ليلة كفر النجوم غمامها، أي سترها والكفر على أربعة أضرب: كفر إنكار وهو أن لا يعرف الله أصلا ككفر فرعون وهو قوله ما علمت لكم من إله غيري، وكفر جحود وهو أن يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر إبليس، وكفر عناد وهو أن يعرف الله بقلبه ويقر بلسانه ولا يدين به ككفر أمية بن أبي الصلت وأبي طالب حيث يقول في شعر له:

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وكفر نفاق، وهو أن يقر بلسانه ولا يعتقد صحة ذلك بقلبه، فجميع هذه الأنواع كفر. وحاصله أن من جحد الله أو أنكر وحدانيته أو أنكر شيئا مما أنزله على رسوله أو أنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أو أحدا من الرسل فهو كافر فإن مات على ذلك فهو في النار خالدا فيها ولا يغفر الله له نزلت في مشركي العرب. وقيل في اليهود سواء عليهم أي متساو لديهم أأنذرتهم أي خوفتهم وحذرتهم والإنذار إعلام مع تخويف فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا أم لم تنذرهم لا يؤمنون أي لا يصدقون وهذه الآية في أقوام حقت

---

(١) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٥٧٢/٣

عليهم كلمة العذاب في سابق علم الله الأزلي أنهم لا يؤمنون. ثم ذكر سبب تركهم الإيمان فقال تعالى: ختم الله على قلوبهم أي طبع الله عليها فلا تعي خيرا ولا تفهمه وأصل الختم التغطية وحقيقة الاستيثاق من الشيء لكي لا يخرج منه ما حصل فيه ولا يدخله ما خرج، منه ومنه ختم الكتاب. قال أهل السنة: ختم الله على قلوبهم بالكفر لما سبق في علمه الأزلي فيهم وإنما خص القلب بالختم لأنه محل الفهم والعلم وعلى سمعهم أي وختم على موضوع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به لأنها تمجه وتنبو عن الإصغاء إليه كأنها مستوثق منها بالختم أيضا، وذكر السمع بلفظ التوحيد ومعناه الجمع قيل إنما وحده لأنه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع وعلى أبصارهم غشاوة هذا ابتداء كلام والغشاوة الغطاء، ومنه غاشية السرج أي وجعل على أبصارهم غشاوة فلا يرون الحق وهي غطاء التعامي عن آيات الله ودلائل توحيده ولهم عذاب عظيم يعني في الآخرة وقيل الأسر والقتل في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى. وحقيقة العذاب هو كل ما يؤلم الإنسان ويعيبه ويشق عليه وقيل هو الإيجاع الشديد وقيل هو ما يمنع الإنسان من مراده ومنه الماء العذب لأنه يمنع العطش والعظيم ضد الحقير. قوله عز وجل: ومن الناس من يقول آمنا بالله نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول ومعتب بن قشير وجد بن قيس وأصحابهم وذلك أنهم أظهروا كلمة الإسلام ليسلموا بها من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأسروا الكفر واعتقدوه وأكثرهم من اليهود. وصفة المنافق أن يعترف بلسانه بالإيمان ويقربه وينكره بقلبه ويصبح على حال ويمسي على غيرها، والناس جمع إنسان سمي به لأنه عهد إليه فنسي قال الشاعر. سميت إنسانا لأنك ناسي، وقيل سمي إنسانا لأنه يستأنس بمثله." (١)

"وليلة، فإذا كان يوم الجمعة يأخذ ما يكفيه ليومين لأنه لم يكن ينزل يوم السبت شيء كلوا أي وقلنا لهم كلوا من طيبات أي حلالات ما رزقناكم أي ولا تدخروا لغد فخالفوا وادخروا فدود وفسد، فقطع الله عنهم ذلك (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر» قوله: لم يخنز اللحم لم ينتن ولم يتغير وما ظلمونا أي وما بخسوا حقنا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون يعني بأخذهم أكثر مما حولهم فاستحقوا بذلك عذابي وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مؤنة ولا تعب في الدنيا ولا حساب في العقبى. قوله عز وجل:

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢٦/١

[سورة البقرة (٢): الآيات ٥٨ الى ٦٠]

وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين (٥٨) فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون (٥٩) وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين (٦٠)

وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية سميت قرية لاجتماع الناس فيها قال ابن عباس: هي أريحاء قرية الجبارين وقيل: كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم: العمالقة ورأسهم عوج بن عنق، فعلى هذا يكون القائل يوشع بن نون لأنه هو الذي فتح أريحاء بعد موت موسى لأن موسى مات في التيه، وقيل: هي بيت المقدس وعلى هذا فيكون القائل موسى. والمعنى إذا خرجتم من التيه بعد مضي الأربعين سنة، ادخلوا بيت المقدس فكلوا منها حيث شئتم رغدا أي موسعا عليكم وادخلوا الباب فمن قال: إن القرية أريحاء قال ادخلوا من أي باب كان من أبوابها وكان لها سبعة أبواب ومن قال إن القرية هي بيت المقدس قال هو باب حطة سجدا منحنين خضعا متواضعين كالراكع ولم يرد به نفس السجود وقولوا حطة أي حط عنا خطايانا أمروا بالاستغفار. وقال ابن عباس قولوا لا إله إلا الله لأنها تحط الذنوب والخطايا على تقدير مسألتنا حطة نغفر لكم خطاياكم أي نسترها عليكم من الغفر **وهو الستر لأن** المغفرة تستر الذنوب وسنزيد المحسنين يعني ثوابا فبدل أي فغير الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم أي قالوا قولا غير ما قيل لهم، وذلك أنهم بدلوا قول الحطة بالحنطة، وقالوا بلسانهم حطانا سمقاثا أي حنطة حمراء، وذلك استخفافا منهم بأمر الله تعالى. وقيل: طؤطئ لهم للباب ليخفضوا رؤوسهم فأبوا ذلك ودخلوا زحفا على أستاههم فخالفوا في الفعل كما خالفوا في القول، وبدلوه (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم وقالوا حبة في شعرة» فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء يعني عذابا من السماء، قيل:

أرسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفا بما كانوا يفسقون أي يعصون ويخرجون عن أمر الله تعالى. قوله عز وجل: وإذ استسقى موسى لقومه أي طلب السقيا لقومه، وذلك أنهم عطشوا في التيه فسألوا موسى أن يستسقي لهم ففعل فأوحى الله إليه كما قال مبينا فقلنا اضرب بعصاك وكانت العصا من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى عليه الصلاة والسلام ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نورا واسمها عليق، وقيل: نبعة حملها آدم معه من الجنة فتوارثها الأنبياء حتى وصلت إلى شعيب فأعطاها

موسى الحجر قال وهب: لم يكن حجرا معينا بل كان موسى يضرب أي حجر كان فيتفجر عيونا لكل سبط عين، وكانوا اثني عشر سبطا، وقيل: كان حجرا معينا بدليل أنه عرفه بالألف واللام قال ابن عباس: كان حجرا خفيفا مربعا قدر رأس الرجل وكان موسى عليه الصلاة والسلام يضعه في مخلاة، فإذا احتاجوا إلى الماء وضعه وضربه بعصاه وقيل:." (١)

"يسئلونك عن الخمر والميسر الآية نزلت في عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وجماعة من الأنصار أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا رسول الله أفتنا في الخمر والميسر فإنهما مذهبة للعقل مسلبة للمال فأنزل الله هذه الآية:

وأصل الخمر في اللغة الستر والتغطية وسميت الخمر خمرا لأنها تخامر العقل أي تخالطه. وقيل: لأنها تستره وتغطيه وجملة القول في تحريم الخمر أن الله عز وجل أنزل في الخمر أربع آيات نزلت بمكة: ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها في أول الإسلام، وهي لهم حلال ثم نزل بالمدينة في جواب سؤال عمر ومعاذ: يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير فتركها قوم لقوله، إثم كبير وشربها قوم لقوله ومنافع للناس ثم إن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما، ودعا إليه ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطعمهم وسقاهم الخمر وحضرت صلاة المغرب فقدموا أحدهم ليصلي بهم فقرأ: قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون بحذف حرف لا إلى آخر السورة فأنزل الله عز وجل: يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فحرم الله السكر في أوقات الصلوات فكان الرجل يشربها بعد صلاة العشاء، فيصبح وقد زال سكره فيصلي الصبح، ويشربها بعد صلاة الصبح، فيصحو وقت الظهر ثم إن عتبان بن مالك اتخذ صنيعا يعني وليمة ودعا رجالا من المسلمين، وفيهم سعد بن أبي وقاص، وكان قد شوى لهم رأس بعير فأكلوا وشربوا الخمر حتى أخذت منهم فافتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الأشعار، فأنشد سعد قصيدة فيها فخر قومه وهجاء الأنصار، فأخذ رجل من الأنصار لحي البعير فضرب به رأس سعد فشجه موضحة فانطلق سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه الأنصاري فقال عمر: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا، ويروى أن حمزة بن عبد المطلب، شرب الخمر يوما وخرج فلقي رجلا من الأنصار وبيده ناضح له والأنصاري يتمثل ببيتين لكعب بن مالك يمدح قومه وهما:

جمعنا مع الإيواء نصرا وهجرة ... فلم ير حي مثلنا في المعاشر

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤٨/١

فأحياؤنا من خير أحياء من مضى ... وأمواتنا من خير أهل المقابر

فقال حمزة: أولئك المهاجرون وقال الأنصاري، بل نحن الأنصار فتنازعا فجرد حمزة سيفه وعدا على الأنصاري فهرب الأنصاري وترك ناضحه فقطعه حمزة فجاء الأنصاري مستعديا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بفعل حمزة فغرم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ناضحا فقال عمر: اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فأنزل الله تعالى الآية التي في المائدة إلى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر: انتهينا يا رب، وذلك بعد غزوة الأحزاب بأيام والحكمة في وقوع التحريم على هذا الترتيب أن الله تعالى علم أن القوم كانوا قد ألفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فعلم أنه لو منعهم من الخمر دفعة واحدة لشق ذلك عليهم فلا جرم استعمل هذا التدريج وهذا الرفق. قال أنس:

حرمت الخمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش أعجب منها وما حرم عليهم شيء أشد من الخمر (ق) عن أنس قال:

ما كان لنا خمر غير فضيخكم وإني لقائم أسقي أبا طلحة وأبا أيوب وفلانا وفلانا إذ جاء رجل، فقال: حرمت الخمر فقالوا: أهرق هذه القلال يا أنس فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر هذا الرجل. الفضيخ بالضاد والخاء المعجمتين شراب يتخذ من بسر مطبوخ والمفضوخ المشدوخ والمكسور والإهراق الصب والقلال جمع قلة وهي الجرة الكبيرة.

(فصل: في تحريم الخمر ووعيد من شربها) أجمعت الأمة على تحريم الخمر، وأنه يحد شاربها ويفسق بذلك مع اعتقاد تحريمها فإن استحل كفر بذلك ويجب قتله (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا، ومات وهو يدمنها ولم يتب منها لم يشربها في الآخرة» لفظ مسلم (م) عن جابر: «أن رجلا قدم من." (١)

"التكفير الستر والتغطية فصغار الذنوب تكفر بالحسنات ولا تكفر كبارها إلا بالتوبة والإقلاع عنها كما ورد في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن» زاد في رواية ما لم تغش الكبائر وزاد في رواية أخرى ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنب الكبائر أخرجه مسلم. وقوله تعالى: وندخلكم مدخلا كريما يعني حسنا شريفا وهو الجنة والمعنى إذا اجتنبتم الكبائر وأتيتم الطاعات ندخلكم مدخلا تكرمون فيه. قوله عز وجل:

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٤٨/١

[سورة النساء (٤): آية ٣٢]

ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن وسئلوا الله من فضله إن الله كان بكل شيء عليما (٣٢)

ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض أصل التمني إرادة الشيء وتشهي حصول ذلك الأمر المرغوب فيه ومنه حديث النفس بما يكون وبما لا يكون وقيل التمني تقدير الشيء في النفس وتصويره فيها وذلك قد يكون عن تخمين وظن، وقد يكون عن رؤية وأكثر التمني تصور ما لا حقيقة له وقيل التمني عبارة عن إرادة ما يعلم أو يظن أنه لا يكون، عن مجاهد عن أم سلمة قالت: قلت يا رسول الله يغزوا الرجال ولا تغزوا النساء وإنما لنا نصف الميراث فأنزل الله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قال مجاهد: وأنزل إن المسلمين والمسلمات وكانت أم سلمة أول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة أخرجه الترمذي. وقال هذا حديث مرسل وقيل لما جعل الله للذكر مثل حظ الأنثيين من الميراث قالت النساء نحن أحق وأحوج إلى الزيادة من الرجال لأنا ضعيفات وهم أقوى وأقدر على طلب المعاش منا فأنزل الله تعالى هذه الآية وقيل لما نزل قوله للذكر مثل حظ الأنثيين قالت للرجال إنا لنرجو أن نفضل على النساء في الحسنات في الآخرة فيكون لنا أجرنا على ضعف أجر النساء كما فضلنا عليهن في الميراث، وقالت النساء إنا لنرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال كما لنا في الميراث النصف من نصيبهم. فنزلت هذه الآية والتمني على قسمين: أحدهما أن يتمنى الإنسان أن يحصل له مال غيره مع زوال تلك النعمة عن ذلك الغير فهذا القسم هو الحسد وهو مذموم لأن الله تعالى يفيض نعمه على من يشاء من عباده وهذا الحاسد يعترض على الله تعالى فيما فعل وربما اعتقد في نفسه أنه أحق بتلك النعمة من ذلك الإنسان أيضا فهذا اعتراض على الله أيضا وهو مذموم. القسم الثاني أن يتمنى مثل مال غيره ولا يحب أن يزول ذلك المال عن الغير وهذا هو الغبطة وهذا ليس بمذموم. ومن الناس من منع منه أيضا قال لأن تلك النعمة ربما كانت مفسدة في حقه في الدين والدنيا. قال الحسن: لا تتمنى مال فلان ولا تدري لعل هلاكك في ذلك المال فيعلم العبد أن الله عز وجل أعلم بمصالح عباده فليرض بقضائه ولتكن أمنيته الزيادة من عمل الآخرة وليقل: اللهم اعطني ما يكون صلاحا في ديني ودنياي ومعادي. وقوله تعالى: للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن قال ابن عباس: يعني مما ترك الوالدان والأقربون من الميراث يقول للذكر مثل حظ الأنثيين وقيل هذا الاكتساب في الآخرة يعني أن الرجال والنساء في الأجر في الآخرة سواء لأن الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها يستوي في ذلك الرجال والنساء وإن فضل الرجال في الدنيا على النساء وقيل للرجال نصيب

مما اكتسبوا من أمر الجهاد وللنساء نصيب مما اكتسبن يعني من طاعة الأزواج وحفظ الفروج وسئلوا الله من فضله قال ابن عباس: يعني من رزقه وقيل من عبادته وهو سؤال التوفيق للعبادة وقيل لم يأمر الله عباده بالمسألة إلا ليعطيهم وفيه تنبيه على أن العبد لا يعين شيئا في الدعاء والطلب لكن يطلب من فضل الله ما يكون سببا لصلاح دينه ودنياه وآخرته وقيل لما تمنى النساء أن يكن رجاﻻ وأن يكون لهن مثل ما للرجال نهاهن الله عن ذلك وأمرهن أن يسألوه من فضله فإنه أعلم بمصالح عباده إن الله كان بكل شيء عليما يعني أنه تعالى عليم بما يكون صلاحا للسائلين فليقتصر السائل على المجمل في الطلب فإن الله تعالى عليم بما يصلحه فلا يتمنى غير الذي قدر له. قوله تعالى:." (١)

"الأرض إلى السماء إلى الجنة بالقوة القوية التي جعلها الله تعالى له. قوله وقال أبو مسلم الأصبهاني: بل كان آدم وإبليس في الجنة لأن هذه الجنة كانت بعض جنات الأرض والذي يقوله بعض الناس من أن إبليس دخل في جوف الحية فدخلت به الحية إلى الجنة فقصة مشهورة ركيكة، وقال آخرون: إن آدم وحواء ربما قربا من باب الجنة وكان إبليس واقفا من خارج الجنة على بابها فقرب أحدهما من الآخر فحصلت الوسوسة هناك.

فإن قلت: إن آدم عليه الصلاة والسلام قد عرف ما بينه وبين إبليس من العداوة فكيف قبل قوله؟

قلت: يحتمل أن يقال إن إبليس لقي آدم مرارا كثيرة ورغبه في أكل هذه الشجرة بطرق كثيرة منها رجاء نيل الخلد ومنها قوله وقاسمهما «إني لكما لمن الناصحين» فلأجل هذه المواظبة والمداومة على هذا التمويه أثر كلام إبليس في آدم حتى أكل من الشجرة ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما يعني ليظهر لهم ما غطى وستر ءوراتهما وقوله ما ووري مأخوذ من المواراة **وهي الستر يقال** واريته بمعنى سترته والسوأة فرج الرجل والمرأة سمي بذلك لأن ظهوره يسوء الإنسان وفي الآية دليل على أن كشف العورة من المنكرات المحرمات واللام في قوله ليبدي لهما لام العاقبة وذلك لأن إبليس لم يقصد بالوسوسة ظهور عوراتهما وإنما كان حملهما على المعصية فقط فكان عاقبة أمرهما أن بدت عوراتهما وقال يعني وقال إبليس لآدم وحواء ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة يعني عن الأكل من هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين يعني إنما نهاكما عن هذه الشجرة لكي لا تكونا ملكين من الملائكة تعلمان الخير والشر أو تكونا من الباقين الذين لا يموتون وإنما أطمع إبليس آدم بهذه الآية لأنه علم أن الملائكة لهم المنزلة والقرب من العرش فاستشرف لذلك آدم وأحب أن يعيش مع الملائكة لطول أعمارهم أو يكون من الخالدين الذين

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣٦٨/١

لا يموتون أبدا.

فإن قلت: ظاهر الآية يدل على أن الملك أفضل من الأنبياء لأن آدم عليه الصلاة والسلام طلب أن يكون من الملائكة وهذا يدل على فضلهم عليه.

قلت: ليس في ظاهر الآية ما يدل على ذلك لأن آدم عليه الصلاة والسلام لما طلب أن يكون من الملائكة كان ذلك الطلب قبل أن يتشرف بالنبوة وكانت هذه الواقعة قبل نبوة آدم عليه الصلاة والسلام فطلب أن يكون من الملائكة أو من الخالدين وعلى تقديره أن تكون هذه الواقعة في زمان النبوة بعد أن شرف بها آدم إنما طلب أن يكون من الملائكة لطول أعمارهم لا لأنهم أفضل منه حتى يلتحق بهم في الفضل لأنه طلب إما أن يكون من الملائكة لطول أعمارهم أو من الخالدين الذين لا يموتون أبدا وقوله تعالى:

[سورة الأعراف (٧): الآيات ٢١ الى ٢٢]

وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين (٢١) فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين (٢٢)

وقاسمهما أي وأقسم وحلف لهما وهذا من المفاعلة التي تختص بالواحد إني لكما لمن الناصحين قال قتادة: حلف لهما بالله تعالى حتى خدعهما وقد يخدع المؤمن بالله فقال إني خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعاني أرشدكما وقال بعض العلماء: من خادعنا بالله خدعنا له فدلاهما بغرور يعني فخدعهما بغرور يقال ما زال فلان يدلي فلانا بغرور يعني ما زال يخدعه ويكلمه بزخرف من القول الباطل. قال الأزهري وأصله أن الرجل العطشان يتدلى في البئر ليأخذ الماء فلا يجد فيها ماء فوضعت التدلية موضع الطمع فيما لا فائدة فيه والغرور إظهار النصح مع إبطان الغش وهو أن إبليس حطهما من منزلة الطاعة إلى حالة المعصية لأن التدلي لا يكون إلا من علو إلى أسفل. ومعنى الآية أن إبليس لعنه الله تعالى غر آدم باليمين الكاذبة وكان آدم عليه الصلاة والسلام." (١)

"ووجه التمثيل، أن غاية هذه الحياة الدنيا التي ينتفع بها المرء كناية عن هذا النبات الذي لما عظم الرجاء في الانتفاع به وقع اليأس منه، ولأن المتمسك بالدنيا إذا نال منها بغيته أتاه الموت بغتة فسلبه ما هو فيه من نعيم الدنيا ولذاتها. وقيل: يحتمل أن يكون ضرب هذا المثل لمن ينكر المعاد والبعث بعد

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٨٨/٢

الموت وذلك، لأن الزرع إذا انتهى وتكامل في الحسن إلى الغاية القصوى أتته آفة فتلف بالكلية. ثم إن الله سبحانه وتعالى قادر على إعادته كما كان أول مرة فضرب الله سبحانه وتعالى هذا المثل ليدل على أن من قدر على إعادة ذلك النبات بعد التلف كان قادرا على إعادة الأموات أحياء في الآخرة ليجازيهم على أعمالهم فيثيب الطائع ويعاقب العاصي.

كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون يعني: كما بينا لكم مثل الحياة الدنيا وعرفناكم حكمها، كذلك نبين حججنا وأدلتنا لمن تفكر واعتبر ليكون ذلك سببا موجبا لزوال الشك والشبهة من القلوب.

قوله سبحانه وتعالى: والله يدعوا إلى دار السلام لما ذكر الله زهرة الحياة الدنيا وأنها فانية زائلة لا محالة دعا إلى داره والله يدعو إلى دار السلام.

قال قتادة: الله هو السلام وداره الجنة فعلى هذا السلام اسم من أسماء الله عز وجل ومعناه أنه سبحانه وتعالى سلم من جميع النقائص والعيوب والفناء والتغيير. وقيل: إنه سبحانه وتعالى يوصف بالسلام لأن الخلق سلموا من ظلمه. وقيل: إنه تعالى يوصف بالسلام بمعنى ذي السلام أي لا يقدر على تخليص العاجزين من المكاره والآفات إلا هو.

وقيل: دار السلام اسم للجنة وهو جمع سلامة. والمعنى: أن من دخلها فقد سلم من جميع الآفات، كالموت والمرض والمصائب والحزن والغم والتعب والنكد. وقيل: سميت الجنة دار السلام لأن الله سبحانه وتعالى يسلم على أهلها أو تسلم الملائكة عليهم. قيل: إن من كمال رحمة الله وجوده وكرمه على عباده، أن دعاهم إلى جنته التي هي دار السلام.

وفيه دليل على أن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، لأن العظيم لا يدعو إلا إلى عظيم ولا يصف إلا عظيما، وقد وصف الله سبحانه وتعالى الجنة في آيات كثيرة من كتابه: ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم يعني: والله يهدي من يشاء من خلقه إلى صراطه المستقيم وهو دين الإسلام عم بالدعوة أولا إظهارا للحجة وخص بالدعوة ثانيا استغناء عن الخلق وإظهارا للقدرة فحصلت المغايرة بين الدعوتين (خ).

عن جابر قال: «جاءت ملائكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم: إنه نائم وقال بعضهم: العين نائمة والقلب يقظان فقالوا: إن لصاحبكم مثلا فاضربوا له مثلا فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة» ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا أولوها يفقهها فإن العين نائمة والقلب يقظان فقال بعضهم

الدار الجنة والداعي محمد فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس وفي رواية: «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني رأيت في المنام كأن جبريل عليه السلام عند رأسي وميكائيل عند رجلي يقول أحدهما لصاحبه اضرب له مثلا» وعن النواس بن سمعان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله ضرب مثلا صراطا مستقيما على كتفي الصراط داران لهما أبواب مفتحة على الأبواب ستور وداع يدعو على رأس الصراط وداع يدعو فوقه والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم والأبواب التي على كتفي الصراط حدود الله فلا يقع أحد في حدود الله حتى **يكشف الستر والذي** يدعو من فوقه واعظ ربه» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب.." (١)

"وقوله تعالى: من لدن حكيم يعني أحكمت آيات الكتاب من عند حكيم في جميع أفعاله خبير يعني بأحوال عباده وما يصلحهم.

[سورة هود (١١): الآيات ٢ الى ٥]

ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير (٢) وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير (٣) إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير (٤) ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور (٥)

ألا تعبدوا إلا الله هذا مفعول له معناه كتاب أحكمت آياته ثم فصلت لئلا تعبدوا إلا الله والمراد بالعبادة التوحيد وخلع الأنداد والأصنام وما كانوا يعبدون والرجوع إلى الله تعالى وإلى عبادته والدخول في دين الإسلام إنني لكم منه أي: قل لهم يا محمد إنني لكم من عند الله نذير ينذركم عقابه إن ثبتم على كفركم ولم ترجعوا عنه وبشير يعني وأبشر بالثواب الجزيل لمن آمن بالله ورسوله وأطاع وأخلص العمل لله وحده وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه اختلفوا في بيان الفرق بين هذين المرتبتين فقيل معناه اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم ارجعوا إليه لأن الاستغفار هو طلب الغفر **وهو الستر والتوبة** الرجوع عما كان فيه من شرك أو معصية إلى خلاف ذلك فلهذا السبب قدم الاستغفار على التوبة وقيل معناه استغفروا ربكم لسالف ذنوبكم ثم توبوا إليه في المستقبل وقال الفراء: ثم هنا بمعنى الواو لأن الاستغفار والتوبة بمعنى واحد فذكرهما

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٢/٤٣٨

للتأكيد يمتعكم متاعا حسنا يعني إنكم إذا فعلتم ما أمرتم به من الاستغفار والتوبة وأخلصتم العبادة لله عز وجل بسط عليكم من الدنيا وأسباب الرزق ما تعيشون به في أمن وسعة وخير، قال بعضهم: المتاع الحسن هو الرضا بالميسور والصبر على المقدور إلى أجل مسمى يعني يمتعكم متاعا حسنا إلى حين الموت ووقت انقضاء آجالكم.

فإن قلت قد ورد في الحديث «إن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» وقد يضيق على الرجل في بعض أوقاته حتى لا يجد ما ينفقه على نفسه وعياله فكيف الجمع بين هذا وبين قوله سبحانه وتعالى يمتعكم متاعا حسنا إلى أجل مسمى.

قلت أما قوله صلى الله عليه وسلم «الدنيا سجن المؤمن» فهو بالنسبة إلى ما أعد الله له في الآخرة من الثواب الجزيل والنعيم المقيم فإنه في سجن في الدنيا حتى يفضي إلى ذلك المعد له وأما كون الدنيا جنة الكافر فهو بالنسبة إلى ما أعد الله له في الآخرة من العذاب الأليم الدائم الذي لا ينقطع فهو في الدنيا في جنة حتى يفضي إلى ما أعد الله له في الآخرة وأما ما يضيق على الرجل المؤمن في بعض الأوقات فإنما ذلك لرفع الدرجات وتكفير السيئات وبيان الصبر عند المصيبات فعلى هذا يكون المؤمن في جميع أحواله في عيشة حسنة لأنه راض عن الله في جميع أحواله.

وقوله سبحانه وتءالى: ويؤت كل ذي فضل فضله أي ويعط كل ذي عمل صالح في الدنيا أجره وثوابه في الآخرة، قال أبو العالية: من كثرت طاعاته في الدنيا زادت حسناته ودرجاته في الجنة لأن الدرجات تكون على قدر الأعمال، وقال ابن عباس: من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من الأعراف ثم يدخلون الجنة. وقال ابن مسعود: من عمل سيئة كتبت عليه سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فإن عوقب بالسيئة التي عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات وإن لم يعاقب بها في الدنيا أخذ من حسناته العشر واحدة وبقيت له تسع حسنات ثم يقول ابن مسعود: هلك من غلبت." (١)

"السلام خمس عشرة ليلة لم يأته ضيف فاغتم لذلك وكان يحب الضيف ولا يأكل إلا معه فلما جاءت الملائكة رأى أضيافا لم ير مثلهم قط فعجل قراهم وجاءهم بعجل سمين مشوي فلما رأى أيديهم يعني أيدي الأضياف لا تصل إليه يعني إلى العجل المشوي نكرهم يعني أنكرهم وأنكر حالهم وإنما أنكر حالهم لامتناعهم من الطعام وأوجس منهم خيفة يعني ووقع في قلبه خوف منهم والوجوس هو رعب القلب

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤٧١/٢

وإنما خاف إبراهيم صلى الله عليه وسلم منهم لأنه كان ينزل ناحية من الناس فخاف أن ينزلوا به مكروها لامتناعهم من طعامه ولم يعرف أنهم ملائكة وقيل إن إبراهيم عرف أنهم ملائكة لما قدمه إليهم لمعلمه أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولأنه خافهم ولو عرف أنهم ملائكة وإنما خاف أن يكونوا نزلوا بعذاب قومه فخاف من ذلك والأقرب أن إبراهيم عليه السلام لم يعرف أنهم ملائكة في أول الأمر ويدل على صحة هذا أنه عليه السلام قدم إليهم الطعام ولو عرف أنهم ملائكة لما خافهم فلما رأت الملائكة خوف إبراهيم عليه السلام قالوا لا تخف يا إبراهيم إنا ملائكة الله أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته يعني سارة زوجة إبراهيم وهي ابنة هاران بن ناحوراء وهي ابنة عم إبراهيم قائمة يعني من **وراء الستر تسمع** كلامهم، وقيل: كانت قائمة في خدمة الرسل وإبراهيم جالس معهم فضحكت أصل الضحك انبساط الوجه من سرور يحصل للنفس ولظهور الأسنان عنده سميت مقدمات الأسنان الضواحك ويستعمل في السرور المجرد وفي التعجب المجرد أيضا وللعلماء في تفسير هذا الضحك قولان أحدهما أنه الضحك المعروف وعليه أكثر المفسرين ثم اختلفوا في سبب هذا الضحك فقال السدي لما قرب إبراهيم الطعام إلى أضيافه فلم يأكلوا خاف إبراهيم منهم فقال ألا تأكلون فقالوا إنا لا نأكل طعاما إلا بثمن قال فإن له ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره فنظر جبريل إلى ميكائيل وقال حق لهذا أن يتخذه ربه خليلا فلما رأى إبراهيم وسارة أيديهم لا تصل إليه ضحكت سارة وقالت يا عجبا لأضيافنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا، وقال قتادة: ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم، وقال مقاتل والكلبي: ضحكت من خوف إبراهيم من ثلاثة وهو فيما بين خدمه وحشمه وخواصه وقيل: ضحكت من زوال الخوف عنها وعن إبراهيم وذلك أنها خافت لخوفه فحين قالوا لا تخف ضحكت سرورا وقيل ضحكت سرورا بالبشارة، وقال ابن عباس ووهب: ضحكت تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها فعلى هذا القول يكون في الآية تقديم وتأخير تقديره فبشرناها بإسحاق فضحكت يعني تعجبا من ذلك وقيل إنها قالت لإبراهيم اضمم إليك ابن أخيك لوطا فإن العذاب نازل بقومه فلما جاءت الرسل وبشرت بعذابهم سرت سارة بذلك وضحكت لموافقة ما ظنت.

القول الثاني: في معنى قوله فضحكت قال عكرمة ومجاهد أي حاضت في الوقت وأنكر بعض أهل اللغة ذلك، قال الراغب: وقول من قال حاضت ليس ذلك تفسيرا لقوله فضحكت كما تصوره بعض المفسرين فقال ضحكت بمعنى حاضت وإنما ذكر ذلك تنصيصا لحالها فإن جعل ذلك أمارة لما بشرت به بحيضها في الوقت لتعلم أن حملها ليس بمنكر لأن المرأة ما دامت تحيض فإنها تحمل وقال الفراء: ضحكت

بمعنى حاضت لم نسمعه من ثقة، وقال الزجاج: ليس بشيء ضحكت بمعنى حاضت، وقال ابن الأنباري: قد أنكر الفراء وأبو عبيدة أن يكون ضحكت بمعنى حاضت وقد عرفه غيرهم وأنشد:

تضحك الضبع لقتلى هذيل ... وترى الذئب بها يستهل

قال: أراد أنها تحيض فرحا وقال الليث في هذه الآية فضحكت أي طمثت وحكى الأزهري عن بعضهم في قوله فضحكت أي حاضت قال: ويقال أصله من ضحاك الطلعة إذا انشقت، قال: وقال الأخطل فيه بمعنى الحيض:." (١)

"ووضع الكتاب يعني صحائف أعمال العباد توضع في أيدي الناس في أيمانهم وشمائلهم، وقيل توضع بين يدي الله تعالى فترى المجرمين مشفقين أي خائفين مما فيه يعني من الأعمال السيئة ويقولون يعني إذا رأوها يا ويلتنا أي يا هلاكنا وكل من وقع في هلكة دعا بالويل مال هذا الكتاب لا يغادر أي لا يترك صغيرة ولا كبيرة أي من ذنوبنا الصغيرة إلا أحصاها أي عدها وكتبها وأثبتها فيه وحفظها، قال ابن عباس:

الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة. وقال سعيد بن جبير: الصغيرة اللمم واللمس والقبلة والكبيرة الزنا عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا في بطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فانضجوا خبزهم وإن محقرات الذنوب لموبقات» الحقير الشيء الصغير التافه وقوله لموبقات أي مهلكات. ووجدوا ما عملوا حاضرا أي مكتوبا أي مثبتا في كتابهم ولا يظلم ربك أحدا أي لا ينقص ثواب أحد عمل خيرا ولا يؤاخذ أحدا بجرم لم يعمله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله» أخرجه الترمذي. وقال لا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبي موسى. قوله سبحانه وتعالى وإذ قلنا أي واذكر يا محمد إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن قال ابن عباس: كان من حي من الملائكة يقال لهم الجن، خلقوا من نار السموم وقال الحسن: كان من الجن ولم يكن من الملائكة فهو أصل الجن، كما أن آدم أصل الإنس وكونه من الملائكة لا ينافي كونه من الجن بدليل قوله سبحانه وتعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا، وذلك أن قريشا قالت الملائكة بنات الله، فهذا يدل على أن الملك يسمى جنا ويعضده اللغة

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤٩٣/٢

لأن الجن مأخوذ من الاجتنان، وهو الستر فعلى هذا تدخل الملائكة فيه فكل الملائكة جن لاستتارهم وليس كل جن ملائكة، ووجه كونه من الملائكة أن الله سبحانه وتعالى استثناه من الملائكة والاستثناء يفيد إخراج ما لولاه لدخل ويصح دخوله وذلك يوجب كونه من الملائكة ووجه من قال إنه كان من الجن ولم يكن من الملائكة قوله كان من الجن والجن جنس مخالف للملائكة قوله أفتتخذونه وذريته فأثبت له ذرية والملائكة لا ذرية لهم، وأجيب عن الاستثناء أنه استثناء منقطع وهو مشهور في كلام العرب قال الله سبحانه وتعالى وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني وقال تعالى: لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما قيل إنه كان من الملائكة فلما خالف الأمر مسخ وغير وطرد ولعن. وقوله تعالى ففسق عن أمر ربه أي خرج عن طاعة ربه أفتتخذونه يعني يا بني آدم أفتتخذون إبليس وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو يعني أعداء روى مجاهد عن الشعبي قال: إني لقاعد يوما إذ أقبل رجل فقال أخبرني هل لإبليس زوجة قلت إن ذلك العرس ما شهدته ثم ذكرت قول الله عز وجل أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني فعلمت أنه لا تكون ذرية إلا من زوجة فقلت نعم، قيل يتوالدون كما يتوالد ابن آدم. وقيل إنه يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين. قال مجاهد: من ذرية إبليس لاقيس وولهان وهو صاحب الطهارة والصلاة والهفاف ومره وبه يكنى، وزلنبور وهو صاحب الأسواق يزين اللغو والحلف الكاذب ومدح السلع وبتر وهو صاحب المصائب يزين خمش الوجوه ولطم الخدود وشق الجيوب، والأعور وهو صاحب الزنا ينفخ في إحليل الرجل وعجيزة المرأة، ومطموس وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلقيها في أفواه الناس لا يجدون لها أصلا، وداسم وهو الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصره من المتاع ما لم يرفع أو يحسن موضعه وإذا أكل ولم يسم أكل معه، قال الأعمش: ربما دخلت البيت ولم أذكر اسم الله ولم أسلم فرأيت مطهرة فقلت ارفعوا هذه." (١)

"[سورة النور (٢٤): الآيات ٥٦ الى ٥٨]

وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون (٥٦) لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير (٥٧) يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم (٥٨)

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٦٧/٣

وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون أي افعلوا هذه الأشياء على رجاء الرحمة لا تحسبن الذين كفروا معجزين أي فائتين عنا في الأرض ومأواهم النار ولبئس المصير قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال ابن عباس وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الأنصار يقال له:

مدلج بن عمرو إلى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه، فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته عند ذلك فأنزل الله هذه الآية وقيل: نزلت في أسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها، فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم واللام لام الأمر وفيه قولان أحدهما: أنه على الندب والاستحباب والثاني: أنه على الوجوب وهو الأولى الذين ملكت أيمانكم يعني العبيد والإماء والذين لم يبلغوا الحلم منكم يعني الأحرار وليس المراد منهم الذين لم يظهروا على عورات النساء، بل المراد الذين عرفوا أمر النساء ولكنهم لم يبلغوا الحلم وهو سن التمييز والعقل وغيرهما، واتفق العلماء على أن الاحتلام بلوغ واختلفوا فيما إذا بلغ خمس عشرة سنة، ولم يحتمل فقال أبو حنيفة لا يكون بالغا حتى يبلغ ثمان عشرة سنة ويستكملها والجارية سبع عشرة سنة وقال الشافعي وأبو يوسف ومحمد وأحمد في الغلام والجارية بخمسة عشرة سنة يصير مكلفا، وتجري عليه الأحكام وإن لم يحتلم ثلاث مرات أي ليستأذنوا في ثلاثة أوقات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة أي وقت المقيل ومن بعد صلاة العشاء وإنما خص هذه الثلاثة الأوقات، لأنها ساعات الخلوات ووضع الثياب، فربما يبدو من الإنسان ما لا يجوز أن يراه أحد من العبيد والصبيان، فأمرهم بالاستئذان في هذه الأوقات وغير العبيد والصبيان يستأذن في جميع الأوقات ثلاث عورات لكم سميت هذه الأوقات عورات لأن الإنسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته ليس عليكم ولا عليهم

يعني العبيد والخدم والصبيان جناح أي حرج في الدخول عليكم بغير استئذان بعدهن أي بعد هذه الأوقات الثلاثة طوافون عليكم أي العبيد والخدم يترددون ويدخلون ويخرجون في أشغالكم بغير إذن بعضكم على بعض أي يطوف بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم اختلف العلماء في حكم هذه الآية فقيل: إنها منسوخة حكي ذلك عن سعيد بن المسيب، روى عكرمة أن نفرا من أهل العراق قالوا يا ابن العباس كيف ترى في هذه الآية التي أمرنا بها، ولا يعمل بها أحد قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم الآية فقال ابن عباس: إن الله حليم رحيم بالمؤمنين **يحب الستر**

وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجاب فربما دخل الخدم أو الولد أو يتيم الرجل والرجل على أهله فأمرهم الله بالاستئذان في تلك العورات، فجاءهم الله بالستور والخير» فلم أر أحدا يعمل بذلك بعد. أخرجه أبو داود في رواية عنه نحوه وزاد فرأيي أن ذلك أغنى عن الاستئذان في تلك العورات، وذهب قوم إلى أنها غير منسوخة روى سفيان عن موسى بن أبي عائشة قال: «سألت الشعبي عن هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم أمنسوخة هي؟ قال: لا والله قلت إن الناس لا يعملون بها قال الله تعالى المستعان وقال سعيد بن جبير في هذه الآية أن ناسا يقولون: نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس قيل ثلاث آيات ترك الناس العمل بهن هذه الآية وقوله إن أكرمكم عند الله أتقاكم والناس يقولون أعظمكم بيتا وإذا حضر القسمة أولوا القربى الآية. وقوله عز وجل:." (١)

"عليه وهو في نفسه مباح متسع، وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما إلى حصول واجبات يعظم أثرها في الدين وهو إنما جعل الله طلاق زيد لها، وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم إياها لإزالة حرمة التبني وإبطال سنته كما قال الله تعالى ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وقال لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم فإن قلت فما الفائدة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم زيدا بإمساكها. قلت: هو أن الله تعالى أعلم نبيه أنها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم، عن طلاقها وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امرأة ابنه فأمره الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك لأمته، وقيل: كان في أمره بإمساكها قمعا للشهوة وردا للنفس عن هواها وهذا إذا جوزنا القول المتقدم الذي ذكره المفسرون وهو أنه أخفى محبتها أو نكاحها لو طلقها زيد. ومثل ذلك لا يقدح في حال الأنبياء، مع أن العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه من مثل هذه الأشياء، وأنه رآها فجأة فاستحسنها ومثل هذه لا نكرة فيه لما طبع عليه البشر من استحسان الحسن، ونظرة الفجأة معفو عنها ما لم يقصد مأثما لأن الود وميل النفس من طبع البشر والله أعلم.

وقوله أمسك عليك زوجك واتق الله أمر بالمعروف، وهو حسن لا إثم فيه وقوله والله أحق أن تخشاه لم يرد به أنه لم يكن يخشى الله فيما سبق فإنه عليه الصلاة والسلام، قد قال أنا أخشاكم لله وأتقاكم له ولكنه لما ذكر الخشية من الناس، ذكر أن الله أحق بالخشية في عموم الأحوال في جميع الأشياء. قوله عز وجل فلما قضى زيد منها وطرا أي حاجته منها، ولم يبق له فيها أرب وتقاصرت همته عنها وطابت عنها نفسه وطلقها، وانقضت عدتها وذكر قضاء الوطر ليعلم أن زوجة المتبني تحل بعد الدخول بها زوجناكها قال

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٣٠٤/٣

أنس:

كانت زينب تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول: زوجكن آباؤكن وزوجني الله من فوق سبع سموات، وقال الشعبي: «كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم إني لأدل عليك بثلاث ما من امرأة من نسائك تدل بهن جدي وجدك واحد وإني أنكحنيك الله في السماء وإن السفير جبريل عليه السلام» (م) عن أنس قال لما انقضت عدة زينب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، لزيد: اذهب فاذكرها على قال فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجينها قال: فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها لأن رسول الله ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت يا زينب أرسل رسول الله يذكرك قالت ما أنا بصانعة شيئا حتى أؤامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخل عليها بغير إذن قال: فلقد رأيتنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمنا الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج الناس، وبقي أناس يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن يا رسول الله كيف وجدت أهلك قال: فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أم غيري قال فانطلق حتى دخل البيت، وذهبت لأدخل معه **فألقى الستر بيني** وبينهم ونزل الحجاب (ق) عن أنس قال ما أولم النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من نسائه، ما أولم على زينب أولم بشاة وفي رواية أكثر وأفضل، ما أولم على زينب قال ثابت: بم أولم قال أطعمهم خبزا ولحما حتى تركوه. قوله عز وجل لكي لا يكون على المؤمنين حرج أي إثم في أزواج أدعيائهم جمع الدعي وهو المتبني إذا قضوا منهن وطرا يقول: يقول زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي كنت تبنيته، ليعلم أن زوجة المتبنى حلال للمتبني وإن كان قد دخل بها المتبني بخلاف امرأة ابن الصلب فإنها لا تحل للأب وكان أمر الله مفعولا أي قضاء الله ماضيا وحكمه نافذا وقد قضى في زينب أن يتزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم. قوله تعالى:

[سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٣٨ الى ٤٤]

ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا (٣٨) الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا (٣٩) ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما (٤٠) يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢)

هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٤٣) تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما (٤٤)." (١)

"ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا فضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينه بالستر وأنزل الحجاب زاد في رواية قال دخل يعني النبي صلى الله عليه وسلم البيت وأرخى الستر، وإني لفي الحجرة وهو يقول يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى قوله والله لا يستحيي من الحق (ق) عن عائشة «أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل، إذا تبرزن إلى المناصع وهو صعيد أفيح، وكان عمر رضي الله عنه يقول للنبي صلى الله عليه وسلم، احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر ألا قد عرفناك يا سودة حرصا على أن ينزل الحجاب فأنزل الله الحجاب» المناصع المواضع الخالية، لقضاء الحاجة من البول أو الغائط والصعيد وجه الأرض والأفيح الواسع (ق)، عن أنس وابن عمر أن عمر ق ال «وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزل واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقلت: يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن فنزلت الآية الحجاب واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة فقلت عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت كذلك. وقال ابن عباس: إنها نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام قبل أن يدرك ثم يأكلون، ولا يخرجون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأذى بهم، فنزلت الآية يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم يعني إلا أن تدعوا إلى طعام فيؤذن لكم فتأكلون غير ناظرين إناه يعنى منتظرين نضجه ووقت إدراكه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم أي أكلتم الطعام فانتشروا أي فاخرجوا من منزله وتفرقوا ولا مستأنسين لحديث أي لا تطيل وا الجلوس ليستأنس بعضكم بحديث بعض، وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون فنهوا عن ذلك إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم أي فيستحيي من إخراجكم والله لا يستحيي من الحق أي لا يترك تأديبكم وبيان الحق حياء ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الأفعال، قال لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا أدب أدب الله به الثقلاء، وقيل:

بحسبك من الثقلاء أن الله لم يحتملهم وإذا سألتموهن متاعا أي وإذا سألتم نساء النبي صلى الله عليه وسلم حاجة فسئلوهن من وراء حجاب أي من وراء ستر فبعد آية الحجاب لم يكن لأحد أن ينظر إلى امرأة

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤٢٨/٣

من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم متنقبة كانت أو غير متنقبة ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن أي من الريب وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله أي ليس لكم أذاه في شيء من الأشياء ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا نزلت في رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال إذا: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فلأنكحن عائشة. قيل هو طلحة بن عبيد الله فأخبر الله أن ذلك محرم، وقال إن ذلكم كان عند الله عظيما أي ذنبا عظيما وهذا من إعلام تعظيم الله لرسوله الله صلى الله عليه وسلم، وإيجاب حرمته حيا وميتا وإعلامه بذلك مما طيب نفسه وسر قلبه واستفرغ شكره فإن من الناس من تفرط غيرته على حرمه حتى يتمنى لها الموت قبله لئلا تنكح بعده.

[سورة الأحزاب (٣٣): الآيات ٥٤ الى ٥٦]
إن تبدوا شيئا أو تخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما (٥٤) لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله إن الله كان على كل شيء شهيدا (٥٥) إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (٥٦)
إن تبدوا شيئا أي من أمر نكاحهن على ألسنتكم أو تخفوه أي في صدوركم فإن الله كان بكل شيء عليما أي يعلم سركم وعلانيتكم، نزلت فيمن أضمر نكاح عائشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل: قال رجل من الصحابة ما بالنا نمنع من الدخول على بنات أعمامنا، فنزلت هذه الآية، ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء." (١)

"عباس: هو المسيح. وقيل: هو المصلي حفيظ قال ابن عباس الحافظ لأمر الله وعنه هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل: حفيظ لما استودعه الله من حقه. وقيل: هو المحافظ على نفسه المتعهد لها المراقب لها. وقيل: هو المحافظ على الطاعات والأوامر من خشي الرحمن بالغيب أي خاف الرحمن فأطاعه وإن لم يره وقيل: خافه في الخلوة بحيث لا يراه أحد إذا **ألقى الستر أغلق** الباب وجاء بقلب منيب أي مخلص مقبل على طاعة الله ادخلوها أي يقال لأهل هذه الصفة: ادخلوا الجنة بسلام أي بسلامة من العذاب والهموم. وقيل: بسلام من الله وملائكته عليهم وقيل: بسلامة من زوال النعم ذلك يوم الخلود أي في الجنة لأنه لا موت فيها.

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤٣٤/٣

[سورة ق (٥٠): الآيات ٣٥ الى ٣٩]

لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد (٣٥) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا فنقبوا في البلاد هل من محيص (٣٦) إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد (٣٧) ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب (٣٨) فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب (٣٩)

لهم ما يشاؤن فيها وذلك أنهم يسألون الله حتى تنتهي مسألتهم فيعطون ما سألوا ثم يزيد الله عبيده ما لم يسألوا مما لم يخطر بقلب بشر وهو قوله تعالى: ولدينا مزيد وقيل: المزيد، هو النظر إلى وجهه الكريم قيل: يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى في كل جمعة في دار كرامته فلهذا هو المزيد.

قوله تعالى: وكم أهلكنا قبلهم أي قبل كفار مكة من قرن هم أشد منهم بطشا يعني سطوة والبطش الأخذ بصولة وعنف فنقبوا في البلاد أي ساروا وتقلبوا في البلاد وسلكوا كل طريق هل من محيص أي فلم يجدوا لهم محيصا أي مهربا من أمر الله وقيل: لا يجدون لهم مفرا من الموت بل يموتون فيصيرون إلى عذاب الله وفيه تخويف لأهل مكة لأنهم على مثل سبيلهم إن في ذلك لذكرى أي إن فيما ذكر من إهلاك القرى تذكرة وموعظة لمن كان له قلب. قال ابن عباس: أي عقل. وقيل: له قلب حاضر مع الله واع عن الله أو ألقى السمع أي استمع القرآن واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره وهو شهيد أي حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه.

قوله تعالى: ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب أي إعياء وتعب قال المفسرون نزلت في اليهود حيث قالوا: خلق الله السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام أولها الأحد وآخرها الجمعة ثم استراح يوم السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه فأنزل الله تعالى هذه الآية ردا عليهم وتكذيبا لهم في قولهم استراح يوم السبت بقوله تعالى: وما مسنا من لغوب.

قال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره: والظاهر أن المراد الرد على المشركين والاستدلال بخلق السموات والأرض وما بينهما فقوله وما مسنا من لغوب أي ما تعبنا بالخلق الأول حتى لا نقدر على الإعادة ثانيا كما قال الله تعالى: أفعيينا بالخلق الأول الآية وأما ما قاله اليهود ونقلوه من التوراة فهو إما تحريف منهم أو لم يعلموا تأويله وذلك أن الأحد والاثنين أزمنة مستمرة بعضها بعد بعض فلو كان خلق السموات والأرض ابتدئ يوم الأحد لكان الزمان قبل الأجساد والزمان لا ينفك عن الأجساد فيكون قبل خلق الأجسام أجسام لأن اليوم عبارة عن زمان سير الشمس من الطلوع إلى الغروب وقبل السموات والأرض لم يكن شمس ولا

قمر لكن اليوم قد يطلق ويراد به الوقت والحين وقد يعبر به عن مدة الزمان أي مدة كانت قوله عز وجل: فاصبر على ما يقولون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي: اصبر يا محمد على ما يقولون أي من كذبهم فإن الله لهم بالمرصاد وهذا قبل." (١)

"[سورة القيامة (٧٥): الآيات ٦ الى ١٣]

يسئل أيان يوم القيامة (٦) فإذا برق البصر (٧) وخسف القمر (٨) وجمع الشمس والقمر (٩) يقول الإنسان يومئذ أين المفر (١٠)

كلا لا وزر (١١) إلى ربك يومئذ المستقر (١٢) ينبؤا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر (١٣)

يسئل أيان يوم القيامة أي متى يكون يوم القيامة والمعنى أن الكافر يسأل سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة قال الله تعالى: فإذا برق البصر أي شخص البصر عند الموت فلا يطرف مما يرى من العجائب التي كان يكذب بها في الدنيا، وقيل تبرق أبصار الكفار عند رؤية جهنم، وقيل برق إذا فزع وتحير لما يرى من العجائب، وقيل برق أي شق عينه وفتحها من البريق وهو التلألؤ وخسف القمر أي أظلم وذهب ضوءه، وجمع الشمس والقمر يعني أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران، وقيل يجمع بينهما في ذهاب الضوء، وقيل يجمعان ثم يقذفان في البحر فهناك نار الله الكبرى يقول الإنسان يعني الكافر المكذب يومئذ أي القيامة أين المفر أي المهرب وهو موضع الفرار كلا أي لا ملجأ لهم يهربون إليه وهو قوله لا وزر أي لا حرز ولا ملجأ ولا جبل، وكانوا إذا فزعوا لجئوا إلى الجبل فتحصنوا به، فقيل لهم لا جبل لكم يومئذ تتحصنون به وأصل الوزر الجبل المنيع، وكل ما التجأت إليه وتحصنت به فهو وزر ومنه قول كعب بن مالك.

الناس آلت علينا فيك ليس لنا ... إلا السيوف وأطراف القنا وزر

ومعنى الآية أنه لا شيء يعصمهم من أمر الله تعالى لا حصن ولا جبل يوم القيامة يستندون إليه من النار إلى ربك يومئذ المستقر

يعني مستقر الخلق وقال عبد الله بن مسعود: إليه المصير والمرجع وهو بمعنى الاستقرار، وقيل إلى ربك مستقرهم أي موضع قرارهم من جنة أو نار، وذلك مفوض إلى مشيئته فمن شاء أدخله الجنة برحمته ومن شاء أدخله النار بعدله ينبؤا الإنسان يومئذ بما قدم وأخر

قال ابن مسعود وابن عباس: بما قدم قبل موته من عمل صالح أو سيئ وما أخر بعد موته من سنة حسنة، أو سيئة يعمل بها، وعن ابن عباس أيضا بما قدم من المعصية وأخر من الطاعة، وقيل بما قدم من طاعة

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤/١٩٠

الله وأخر من حق الله فضيعه، وقيل بأول عمله وآخره وهو ما عمله في أول عمره وفي آخره، وقيل بما قدم من ماله لنفسه قبل موته وما أخر من ماله لورثته.

[سورة القيامة (٧٥): الآيات ١٤ الى ٢١]

بل الإنسان على نفسه بصيرة (١٤) ولو ألقى معاذيره (١٥) لا تحرك به لسانك لتعجل به (١٦) إن علينا جمعه وقرآنه (١٧) فإذا قرأناه فاتبع قرآنه (١٨)

ثم إن علينا بيانه (١٩) كلا بل تحبون العاجلة (٢٠) وتذرون الآخرة (٢١)

بل الإنسان على نفسه بصيرة

أي بل الإنسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله وهي سمعه وبصره وجوارحه، وإنما دخلت الهاء في البصيرة لأن المراد من الإنسان جوارحه، وقيل معناه بل الإنسان على نفسه عين بصيرة وفي رواية عن ابن عباس بل الإنسان على نفسه شاهد فتكون الهاء للمبالغة كعلامة ولو ألقى معاذيره يعني ولو اعتذر بكل عذر وجادل عن نفسه، فإنه لا ينفعه لأنه قد شهد عليه شاهد من نفسه، وقيل معناه ولو اعتذر فعليه من نفسه ما يكذب عذره، وقيل إن أهل اليمن **يسمون الستر معذارا** وجمعه معاذير، فعلى هذا يكون معناه ولو أرخى الستور وأغلق الأبواب ليخفي ما يعمل، فإن نفسه شاهدة عليه، وهذا في حق الكافر لأنه ينكر يوم القيامة فتشهد عليه جوارحه بما عمل في الدنيا.

قوله عز وجل: لا تحرك به لسانك لتعجل به

(ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل:

لا تحرك به لسانك لتعجل به

قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه قال ابن جبير:

قال ابن عباس أنا أحركهما كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركها فحرك شفتيه فأنزل الله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه

قال: جمعه في صدرك ثم تقرأه، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه. قال فاستمع وأنصت." (١)

"ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به هذا الدعاء دليل على جواز تكليف ما لا يطاق لأنه لا يدعى برفع ما لا يجوز أن يقع. ثم إن الشرع دفع وقوعه. وتحقيق ذلك أن ما لا يطاق. أربعة أنواع:

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤/٣٧١

الأول: عقلي محض: كتكليف الإيمان لمن علم الله أنه لا يؤمن. فهذا جائز وواقع بالاتفاق. والثاني: عادي كالطيران في الهواء. والثالث: عقلي وعادي: كالجمع بين الضدين، فهذان وقع الخلاف في جواز التكليف بهما، والاتفاق على عدم وقوعه، والرابع تكليف ما يشق ويصعب، فهذا جائز اتفاقا، فقد كلفه الله من تقدم من الأمم، ورفعه عن هذه الأمة واعف عنا واغفر لنا وارحمنا ألفاظ متقاربة المعنى وبينها من الفرق أن العفو ترك المؤاخذة بالذنب، والمغفرة تقتضي مع ذلك الستر، والرحمة تجمع ذلك مع التفضل بالإنعام مولانا ولينا وسيدنا.." (١)

"وقيل: فعل الصلاة والتوجه فيها عند كل مسجد أي في كل مكان سجود أو في وقت كل سجود، والأول أظهر، والمعنى إباحة الصلاة في كل موضع كقوله صلى الله عليه وسلم: جعلت لي الأرض مسجدا «١» كما بدأكم تعودون احتجاج على البعث الأخروي بالبدأة الأولى فريقا الأول منصوب بهدى، والثاني منصوب بفعل مضمر يفسره ما بعده خذوا زينتكم قيل: المراد به الثياب الساترة، واحتج به من أوجب ستر العورة في الصلاة، وقيل: المراد به الزينة زيادة **على الستر كالتجمل** للجمعة بأحسن الثياب وبالسواك والطيب وكلوا واشربوا الأمر فيهما للإباحة، لأن بعض العرب كانوا يحرمون أشياء من المآكل ولا تسرفوا أي لا تكثروا من الأكل فوق الحاجة، وقال الأطباء: إن الطب كله مجموع في هذه الآية، وقيل: لا تسرفوا بأكل الحرام قل من حرم زينة الله إنكار لتحريمها هو ما شرعه الله لعباده من الملابس والمآكل، وكان بعض العرب إذا حجوا يجردون الثياب ويطوفون عراة، ويحرمون الشحم واللبن، فنزل ذلك ردا عليهم خالصة يوم القيامة «٢» أي الزينة والطيب في الدنيا للذين آمنوا ولغيرهم، وفي الآخرة خالصة لهم دون غيرهم، وقرئ خالصة بالنصب على الحال، والرفع على أنه خبر بعد خبر، أو خبر ابتداء مضمر والإثم عام في كل ذنب وأن تقولوا على الله أي تفتروا عليه في التحريم وغيره ف إما يأتينكم هي إن الشرطية دخلت عليها ما الزائدة للتأكيد، ولزمتها النون الشديدة المؤكدة، وجواب الشرط فمن اتقى الآية فمن أظلم ذكر في الأنعام ينالهم نصيبهم من الكتاب أي يصل إليهم ما كتب لهم من الأرزاق وغيرها ضلوا عنا أي غابوا

ادخلوا في أمم

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ١٤٣/١

(١) . رواه أحمد عن أبي هريرة ج ٢ ص ٣١٥

(٢) . خالصة بالضم هي قراءة نافع وبالنصب قرأ الباقون.." (١)

"فيها

أي جعلكم تعمرونها. فهو من العمران للأرض، وقيل: هو من العمر نحو استبقاكم من البقاء قد كنت فينا مرجوا أي: كنا نرجو أن ننتفع بك حتى قلت ما قلت، وقيل:

المعنى كنا نرجو أن تدخل في ديننا في داركم أي بلدكم ثلاثة أيام قيل: إنها الخميس والجمعة والسبت، لأنهم عقروا الناقة يوم الأربعاء، وأخذهم العذاب يوم الأحد ومن خزي يومئذ معطوف على نجينا أي نجيناهم من خزي يومئذ جاثمين ذكر في الأعراف كأن لم يغنوا فيها أي: كأن لم يقيموا فيها والضمير للدار، وكذلك في قصة شعيب.

ولقد جاءت رسلنا الرسل هنا الملائكة إبراهيم بالبشرى بشروه بالولد قالوا سلاما نصب على المصدر والعامل فيه فعل مضمر تقديره سلمنا عليكم سلاما قال سلام تقديره عليكم سلام وسلام عليكم، وهذا على أن يكون بمعنى التحية، وإنما رفع جوابه ليدل على إثبات السلام، فيكون قد حياهم بأحسن مما حيوه، ويحتمل أن يكون السلام بمعنى السلامة، ونصب الأول لأنه بمعنى الطلب، ورفع الثاني لأنه في معنى الخبر فما لبث أن جاء أي ما لبث مجيئه بل عجل وما نافية وأن جاء فاعل لبث بعجل حنيذ أي مشوي، وفعيل هنا بمعنى مفعول نكرهم أي أنكرهم ولم يعرفهم، يقال:

نكر وأنكر بمعنى واحد وأوجس منهم خيفة قيل: إنه لم يعرفهم فخاف منهم لما لم يأكلوا طعامه، وقيل: عرف أنهم ملائكة ولكن خاف أن يكونوا أرسلوا بما يخاف فأمنوه بقولهم: لا تخف وامرأته قائمة قيل: قائمة خلف الستر، وقيل: قائمة في الصلاة، وقيل: قائمة تخدم القوم، واسمها سارة فضحكت قيل: معناه حاضت، وهو ضعيف، وقال الجمهور: هو الضحك المعروف واختلفوا من أي شيء ضحكت، فقيل: سرورا بالولد الذي بشرت به ففي الكلام على هذا تقديم وتأخير، وقيل: سرورا بالأمن بعد الخوف، وقيل: سرورا بهلاك قوم لوط فبشرناها بإسحاق أسند البشارة إلى ضمير الله تعالى، لأنها كانت بأمره ومن وراء إسحاق يعقوب أي من بعده وهو ولده، وقيل:." (٢)

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٢٨٧/١

(٢) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٣٧٤/١

"أحسن إليه، والظلم هنا الكفر والعذاب القتل وأراد بقوله: عذابا نكرا عذاب الآخرة فله جزاء الحسنى المراد بالحسنى الجنة أو الأعمال الحسنة وسنقول له من أمرنا يسرا وعدهم بأن ييسر عليهم وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا هؤلاء القوم هم الزنج وهم أهل الهند ومن وراءهم، ومعنى لم نجعل الآية أنهم ليس لهم بنيان إذ لا تحمل أرضهم البناء وإنما يدخلون من حر الشمس في أسراب تحت الأرض وقال ابن عطية: الظاهر أنها عبارة عن قرب الشمس منهم **وقيل: الستر اللباس** فكانوا على هذا لا يلبسون الثياب كذلك أي أمر ذي القرنين كذلك، أي كما وصفناه تعظيما لأمره وقيل:

إن كذلك راجع لما قبله أي لم نجعل لهم سترا، كما جعلنا لكم من المباني والثياب، وقيل: المعنى وجد عندها قوما كذلك، أي مثل القوم الذين وجدوا عند مغرب الشمس وفعل معهم مثل فعله بين السدين أي الجبلين وهما جبلان في طرف الأرض، وقرئ بالفتح «١» والضم وهما بمعنى واحد، وقيل ما كان من خلقة الله فهو مضموم وما كان من فعل الناس فهو مفتوح وجد من دونهما قوما قيل هم الترك لا يكادون يفقهون قولا عبارة عن بعد لسانهم عن ألسنة الناس، فهم لا يفقهون القول إلا بالإشارة أو نحوها يأجوج ومأجوج قبيلتان من بني آدم في خلقهم تشويه، منهم مفرط الطول ومفرط القصر مفسدون في الأرض لفسادهم بالقتل والظلم وسائر وجوه الشر، وقيل: كانوا يأكلون بني آدم.

فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا هذا استفهام في ضمنه عرض ورغبة، والخرج الجباية يقال فيه خراج وقد قرئ بهما، فعرضوا عليه أن يجعلوا له أموالا ليقيم بها السد قال ما مكني فيه ربي خير أي ما بسط الله لي من الملك خير من خرجكم، فلا حاجة لي به ولكن أعينوني بقوة الأبدان وعمل الأيدي ردما أي حاجزا حصيبا، والردم أعظم من السد ساوى بين الصدفين أي بين الجبلين قال انفخوا يريد نفخ الكير أي أوقدوا النار على الحديد قطرا أي نحاسا مذابا وقيل هو الرصاص، وروى أنه حفر الأساس حتى بلغ الماء ثم جعل البنيان من زبر الحديد حتى ملأ به ما بين

---

(١) . قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بضم السين وقرأ الباقون بالفتح.." (١)

"المماليك والأطفال جناح في ترك الاستئذان في غير المواطن الثلاثة طوافون عليكم تقديره المماليك والأطفال طوافون عليكم، فلذلك يؤمر بالاستئذان في كل وقت بعضكم على بعض بدل من طوافون: أي بعضكم يطوف على بعض وقال الزمخشري: هو مبتدأ أي بعضكم يطوف على بعض أو فاعل بفعل مضمر

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ١/٤٧٤

وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا لما أمر الأطفال في الآية المتقدمة بالاستئذان في ثلاثة أوقات، وأباح لهم الدخول بغير إذن في غيرها: أمرهم هنا بالاستئذان في جميع الأوقات إذا بلغوا ولحقوا بالرجال والقواعد من النساء جمع قاعد وهي العجوز، فقيل: هي التي قعدت عن الولد، وقيل: التي قعدت عن التبرج فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن أباح الله لهذا الصنف من العجائز ما لم يبح لغيرهن من وضع الثياب، قال ابن مسعود إنما أبيح لهن وضع الجلباب الذي فوق الخمار والرداء، وقال بعضهم: إنما ذلك في منزلها الذي يراها فيه ذو ومحارمها غير متبرجات بزينة إنما أباح الله لهن وضع الثياب بشرط ألا يقصدن إظهار زينة، والتبرج هو الظهور وأن يستعففن خير لهن المعنى أن الاستعفاف عن وضع الثياب المذكورة خير لهن من وضعها، والأولى لهن أن يلتزمن ما يلتزم شباب النساء من الستر.

ليس على الأعمى حرج الآية اختلف في المعنى الذي رفع الله فيه الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض في هذه الآية، فقيل: هو في الغزو أي لا حرج عليهم في تأخيرهم عنه، وقوله «ولا على أنفسكم» مقطوع من الذي قبله على هذا القول كأنه قال:

ليس على هؤلاء الثلاثة حرج في ترك الغزو، ولا عليكم حرج في الأكل، وقيل: الآية كلها في معنى الأكل، واختلف الذاهبون إلى ذلك، فقيل: إن أهل هذه الأعذار كانوا يتجنبون الأكل مع الناس لئلا يتقذرهم الناس، فنزلت الآية مبيحة لهم الأكل مع الناس، وقيل: إن الناس كانوا إذا نهضوا إلى الغزو خلفوا أهل هذه الأعذار في بيوتهم، وكانوا يتجنبون أكل مال الغائب، فنزلت الآية في ذلك، وقيل: إن الناس كانوا يتجنبون الأكل معهم تقذرا، فنزلت الآية، وهذا ضعيف. لأن رفع الحرج عن أهل الأعذار لا عن غيرهم، وقيل: إن رفع الحرج عن هؤلاء الثلاثة في كل ما تمنعهم عنه أعذارهم من الجهاد وغيره ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أباح الله تعالى للإنسان الأكل في هذه البيوت المذكورة في الآية، فبدأ ببيت الرجل نفسه، ثم ذكر القرابة على ترتيبهم ولم يذكر فيهم الابن، لأنه دخل في قوله من بيوتكم، لأن بيت ابن الرجل بيته، لقوله عليه الصلاة والسلام: «أنت ومالك." (١)

"[سورة البقرة (٢) : الآيات ٦ الى ٧]

إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون (٦) ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم (٧)

إن الذين كفروا سواء عليهم، إن: حرف توكيد يتشبث بالجملة المتضمنة الإسناد الخبري، فينصب المسند

---

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٧٥/٢

إليه، ويرتفع المسند وجوبا عند الجمهور، ولها ولأخواتها باب معقود في النحو. وتأتي أيضا حرف جواب بمعنى نعم خلافا لمن منع ذلك. الكفر:

الستر، ولهذا قيل: كافر للبحر، ومغيب الشمس، والزارع، والدافن، والليل، والمتكفر، والمتسلح. فبينها كلها قدر مشترك وهو الستر، سواء اسم بمعنى استواء مصدر استوى، ووصف به بمعنى مستو، فتحمل الضمير. قالوا: مررت برجل سواء، والعدم قالوا: أصله العدل، قال زهير: يستوي بينها فيها السواء. ولإجرائه مجرى المصدر لا يثنى، قالوا: هما سواء استغنوا بتثنية سي بمعنى سواء، كقي بمعنى قواء، وقالوا: هما سيان. وحكى أبو زيد تثنيته عن بعض العرب. قالوا: هذان سواءان، ولذلك لا تجمع أيضا، قال:

وليل يقول الناس من ظلماته ... سواء صحيحات العيون وعورها

وهمزته منقلبة عن ياء، فهو من باب طويت.

وقال صاحب اللوامح: قرأ الجحدري سواء بتخفيف الهمزة على لغة الحجاز، فيجوز أنه أخلص الواو، ويجوز أنه جعل الهمزة بين بين، وهو أن يكون بين الهمزة والواو.

وفي كلا الوجهين لا بد من دخول النقص فيما قبل الهمزة الملينة من المد، انتهى. فعلى هذا يكون سواء ليس لامه ياء بل واوا، فيكون من باب قواء. وعن الخليل: سوء عليهم بضم السين مع واو بعدها مكان الألف، مثل دائرة السوء على قراءة من ضم السين، وفي ذلك عدول عن معنى المساواة إلى معنى القبح والسب، ولا يكون على هذه القراءة له تعلق إعراب بالجملة بعدها بل يبقى. أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون إخبار بانتفاء إيمانهم على تقدير إنذارك وعدم إنذارك، وأما سواء الواقع في الاستثناء في قولهم قاموا سواك بمعنى قاموا غيرك، فهو موافق لهذا في اللفظ، مخالف في المعنى، فهو من باب المشترك، وله أحكام ذكرت في باب الاستثناء. الهمزة للنداء، وزيد وللاستفهام الصرف، وذلك ممن يجهل النسبة فيسأل عنها، وقد يصحب الهمزة التقرير: أأنت قلت للناس؟

والتحقيق، ألستم خير من ركب المطايا. والتسوية سواء عليهم أأنذرتهم، والتوبيخ أذهبتم." (١)

"تبت وأصلحت أراجعي إلى الجنة؟ قال: «نعم» . وزاد قتادة في هذا: «وسبقت رحمتك إلي قبل غضبك؟ قيل له بلى، قال: رب هل كتبت هذا علي قبل أن تخلقني؟ قيل له: نعم، فقال: رب إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة؟ قيل له: «نعم» .

وقال قتادة هي: «أستغفرك وأتوب إليك إنك أنت التواب الرحيم» .

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٧٥/١

وقال عبيد بن عمير، قال: «يا رب خطيئتي التي أخطأتها أشيء كتبته علي قبل أن تخلقني؟ أو شيء ابتدعته من قبل نفسي؟

قال: بل شيء كتبته عليك قبل أن أخلقك، قال: «فكما كتبت علي فاغفر لي» .

وقيل إنها:

«سبحانك اللهم لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي إنك أنت الغفور» .

وقيل: رأى مكتوبا على ساق العرش محمد رسول الله، فتشفع بذلك فهي الكلمات.

وقيل: قوله حين عطس: «الحمد لله» .

وقيل: هي الدعاء والحياء والبكاء. وقيل: الاستغفار والندم والحزن. قال ابن عطية: وسماها كلمات، مجازا لما هي في خلقها صادرة عن كلمات، وهي: «كن في كل واحدة منهن» ، وهذا قول يقتضي أن آدم لم يقل شيئا إلا الاستغفار المعهود. انتهى كلامه.

فتاب عليه: أي تفضل عليه بقبول توبته وأفرده بالإخبار عنه بالتوبة عليه، وإن كانت زوجته مشاركة له في الأمر بالسكنى والنهي عن قربان الشجرة وتلقي الكلمات والتوبة، لأنه هو المواجه بالأمر والنهي، وهي تابعة له في ذلك. فكملت القصة بذكره وحده، كما جاء في قصة موسى والخضر، إذ جاء حتى إذا ركبا في السفينة «١» ، فحملاهما بغير نول، وكان مع موسى يوشع، لكنه كان تابعا لموسى فلم يذكره ولم يجمع معهما في الضمير، أو اكتفى بذكر أحدهما، إذ كان فعلهما واحدا، نحو قوله تعالى:

والله ورسوله أحق أن يرضوه»

، فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى «٣» ، أو طوى ذكرها كما طواه عند ذكر المعصية في قوله: وعصى آدم ربه فغوى «٤» .

وقد جاء طي ذكر النساء في أكثر القرآن والسنة، وقد ذكرها في قوله: قالا ربنا ظلمنا أنفسنا «٥» ، وإنما لم يراع هذا الستر في امرأتي نوح ولوط لأنهما كانتا كافرتين، وقد ضرب بهما المثل للكفار، لأن ذنوبهما كانت غاية في القبح والفحش. والكافر لا يناسب الستر عليه ولا الإغضاء عن ذنبه، بل ينادي عليه ليكون ذلك أخزى له وأحط

---

(١) سورة الكهف: ١٨/ ٧١.

(٢) سورة التوبة: ٩/ ٦٢.

(٣) سورة طه: ٢٠/ ١١٧.

(٤) سورة طه: ٢٠/ ١٢١.

(٥) سورة الأعراف: ٧/ ٢٣.." (١)

"القياس فيه أن يفتح، لأن وسطه حرف حلق، كما جاء الكسر في ينزع وقياسه أيضا الفتح.

القرية: المدينة، من قريت: أي جمعت. سميت بذلك لأنها مجتمع الناس على طريق المساكنة. وقيل: إن قلوا قيل لها قرية، وإن كثروا قيل لها مدينة. وقيل: أقل العدد الذي تسمى به قرية ثلاثة فما فوقها، ومنه، قريت الماء في الحوض، والمقراة: الحوض، ومنه القرى: وهو الضيافة، والقري: المجرى، والقرى: الظهر. ولغة أهل اليمن: القرية، بكسر القاف، ويجمعونها على قرى بكسر القاف نحو: رشوة ورشا. وأما قرية بالفتح فجمت على قرى بضم القاف، وهو جمع على غير قياس. قيل: ولم يسمع من فعله المعتل اللام إلا قرية وقرى، وتروة وترى، وشهوة وشهى. الباب: معروف، وهو المكان الذي يدخل منه، وجمعه أبواب، وهو قياس مطرد، وجاء جمعه على أبوبة في قوله:

هتاك أخبية ولاج أبوبة لتشاكل أخبية، كما قالوا: لا دريت ولا تليت، وأصله تلوت، فقلبت الو ا و ياء لتشاكل دريت. سجدا: جمع ساجد، وهو قياس مطرد في فاعل وفاعلة الوصفين الصحيحي اللام. وقولوا: كل أمر من ثلاثي اعتلت عينه فانقلبت ألفا في الماضي، تسقط تلك العين منه إذا أسند لمفرد مذكر نحو: قل وبع، أو لضمير مؤنث نحو: قلن وبعن، فإن اتصل به ضمير الواحدة نحو: قولي، أو ضمير الاثنين نحو: قولا، أو ضمير الذكور نحو: قولوا، ثبتت تلك العين، وعلة الحذف والإثبات مذكورة في النحو. وقد جاء حذفها في الشعر، فجاء قوله: قلى وعشا. حطة: على وزن فعلة من الحط، وهو مصدر كالحط، وقيل: هو هيئة وحال: كالجلسة والقعدة، والحط: الإزالة، حططت عنه الخراج: أزلته عنه.

والنزول: حططت. وحكي: بفناء زيد نزلت به، والنقل من علو إلى أسفل، ومنه انحطاط القدر. وقال أحمد بن يحيى، وأبان بن تغلب، الحطة: التوبة. وأنشدوا:

فاز بالحطة التي جعل الله ... بها ذنب عبده مغفورا

أي فاز بالتوبة، وتفسيرهما الحطة بالتوبة إنما هو تفسير باللازم لا بالمرادف، لأن من حط عنه الذنب فقد تيب عليه. الغفر والغفران: الستر، وفعله غفر يغفر، بفتح الغين في الماضي وكسرها في المضارع. والغيرة: المغفرة، والغفارة: السحاب وما يلبس به سية القوس، وخرقة تلبس تحت الخمار، ومثله المغفر

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٢٦٨/١

والجماء، الغفير: أي جماعة يستر بعضهم بعضا من الكثرة. وقوله عمر لمن قال له: لم حصبت المسجد؟ هو أغفر للنخامة، كل هذا راجع لمعنى الستر والتغطية. الخطيئة: فعيلة من الخطأ، والخطأ: العدول عن." (١)

"وقيل: الذين ينفقون خبر مبتدأ محذوف تقديره: هم الذين ينفقون ولهم أجرهم في موضع الحال، وهذا ضعيف، أعني: جعل لهم أجرهم في موضع الحال، بل الأولى إذا أعرب: الذين، خبر مبتدأ محذوف أن يكون: لهم أجرهم، مستأنفا وكأنه جواب لمن قال: هل لهم أجر؟ وعند من أجرهم؟ فقيل لهم أجرهم عند ربهم وعطف: بثم، التي تقتضي المهلة، لأن من أنفق في سبيل الله ظاهرا لا يحصل منه غالبا المن والأذى، بل إذا كانت بنية غير وجه الله تعالى، لا يمن ولا يؤذي على الفور، فذلك دخلت: ثم، مراعاة للغالب. وإن حكم المن والأذى المتعقبين للإنفاق، والمقارنين له حكم المتأخرين.

وقال الزمخشري: ومعنى: ثم، إظهار التفاوت بين الإنفاق وترك المن والأذى، وأن تركهما خير من نفس الإنفاق، كما جعل الاستقامة على الإيمان خيرا من الدخول فيه بقوله: ثم استقاموا «١» انتهى كلامه.

وقد تكرر للزمخشري ادعاء هذا المعنى لثم، ولا أعلم له في ذلك سلفا، وقد تكلمنا قبل هذا معه في هذا المعنى، و: ما، من ما أنفقوا موصول عائده محذوف، أي:

أنفقوه، ويجوز أن تكون مصدرية، أي: إنفاقهم، وثم محذوف، أي: منا على المنفق عليه، ولا أذى له، وبعد ما قاله بعضهم من أن ولا أذى من صفة المعطي، وهو مستأنف، وكأنه قال: الذين ينفقون ولا يمنون ولا يتأذون بالإنفاق، وكذلك يبعد ما قاله بعضهم من أن قوله: ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون لا يراد به في الآخرة، وأن المعنى: إن حق المنفق في سبيل الله أن يطيب به نفسه، وأن لا يعقبه المن، وأن لا يشفق من فقر يناله من بعد، بل يثق بكفاية الله ولا يحزن إن ناله فقر.

قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى أي: رد جميل من المسئول، وعفو من السائل إذا وجد منه ما يثقل على المسئول من إلحاح أو سب أو تعريض بسبب، كما يوجد في كثير من المستعطين، وقيل: معنى و: مغفرة، أي: نيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل. وقيل: ومغفرة، أي عفو من جهة السائل، لأنه إذا رده ردا جميلا عذره.

وقيل: قول معروف، هو الدعاء والتأسي والترجئة بما عند الله، وقيل: الدعاء لأخيه بظهر الغيب، وقيل: الأمر بالمعروف خير ثوابا عند الله من صدقة يتبعها أذى. وقيل: التسبيحات والدعاء والثناء والحمد لله

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ١/٣٥١

والمغفرة، **أي: الستر على** نفسه والكف عن إظهار ما ارتكب من

---

(١) سورة فصلت: ٤١/ ٣٠ والأحقاف: ٤٦/ ١٣. [.....]."(١)

"قد أخذ المجد كما أرادا ... ليس بفحاش يصر الزادا

انتهى. ولا حجة في هذا البيت على أنه أراد بالفحاش البخيل، بل يحمل على السيء الخلق، أو السيء الرد، ويفهم البخيل من قوله: يصر الزادا.

والله يعدكم مغفرة منه وفضلا أي سترا لذنوبكم مكافأة للبذل، وفضلا زيادة على مقتضى ثواب البذل. وقيل: وفضلا، أن يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم، أو وثوابا عليه في الآخرة، ولما تقدم قوله: ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وكان الحامل لهم على ذلك إنما هو الشح والبخل بالجيد الذي مثيره الشيطان، بدىء بهذه الجملة من قوله الشيطان يعدكم الفقر وإن ما تصدقتم من الخبيث إنما ذلك من نزغات الشيطان ليقبح لهم ما ارتكبوه من ذلك بنسبته إلى الشيطان، فيكون أبعد شيء عنه.

ثم ذكر تعالى في مقابلة وعد الشيطان وعد الله بشيئين: **أحدهما: الستر لما** اجترحوه من الذنوب، والثاني: الفضل وهو زيادة الرزق والتوسعة في الدنيا والآخرة.

روي أن في التوراة: عبدي، أنفق من رزقي أبسط عليك فضلي، فإن يدي مبسوطة على كل يد مبسوطة ، وفي كتاب الله مصداقه: وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه «١» .

والله واسع عليم أي: واسع بالجود والفضل على من أنفق، عليم بنيات من أنفق، وقيل: عليم أين يضع فضله، ووردت الأحاديث بتفضيل الإنفاق والسماحة وذم البخل، منها

حديث البراء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب الإنفاق ويبغض الإقتار فكل وأطعم ولا تصرر، فيعسر عليك الطلب» .

وقوله صلى الله عليه وسلم: «وأي داء أردأ من البخل»

. يؤتي الحكمة من يشاء قرأ الربيع بن خيثم بالتاء في: تؤتي، وفي: تشاء، على الخطاب، وهو التفات إذ هو خروج من غيبة إلى خطاب، والحكمة: القرآن، قاله ابن مسعود، ومجاهد، والضحاك، ومقاتل في آخرين.

وقال ابن عباس فيما رواه عنه علي بن طلحة: معرفة ناسخ القرآن ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٢/٦٦٠

ومؤخره. وقال، فيما رواه عنه أبو صالح: النبوة، وقاله السدي. وقال إبراهيم، وأبو العالية، وقتادة: الفهم في القرآن. وقال مجاهد فيما رواه عنه ليث: العلم والفقه وقال فيما رواه عنه ابن نجيح: الإصابة في القول والفعل،

---

(١) سورة سبإ: ٣٤/ ٣٩.." (١)

"قولهم: أحست وأحسن يريدون: أحسست، وأحسسن، وكذلك يفعل بكل بناء تبنى لام الفعل فيه على السكون ولا تصل إليه الحركة، فإذا قلت لم أحس لم تحذف.

الحواري: صفوة الرجل وخاصته. ومنه قيل: الحضريات الحواريات لخلوص ألوانهن ونظافتهن. قال أبو جلدة اليشكري:

فقل للحواريات يبكين غيرنا ... ولا تبكنا إلا الكلاب النوابح

ومثله في الوزن: الحوالي، للكثير الحيل، وليست الياء فيهما للنسب، وهو مشتق من:

الحور، وهو البياض. حورت الثوب بيضته.

المكر: الخداع والخبث وأصله الستر، يقال: مكر الليل إذا أظلم واشتقاقه من المكر، وهو شجر ملتف، فكان الممكور به يلتف به المكر، ويشتمل عليه، ويقال: امرأة ممكورة إذا كانت ملتفة الخلق. والمكر: ضرب من النبات.

تعالى: تفاعل من العلو، وهو فعل، لاتصال الضمائر المرفوعة به، ومعناه: استدعاء المدعو من مكانه إلى مكان داعيه، وهي كلمة قصد بها أولا تحسين الأدب مع المدعو، ثم اطردت حتى يقولها الإنسان لعدوه ولبهيمته ونحو ذلك.

الابتهال: قوله بهلة الله على الكاذب، والبهلة بالفتح والضم: اللعنة، ويقال بهله الله: لعنه وأبعده، من قولك أبهله إذا أهمله، وناقة باهلة لا ضرار عليها، وأصل الابتهال هذا، ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه، وإن لم يكن التعانا. وقال لبيد:

من قروم سادة من قومهم ... نظر الدهر إليهم فابتهل

فلما أحس عيسى منهم الكفر تقدم ترتيب هذه الجملة على ما قبلها من الكلام، وهل الحذف بعد قوله صراط مستقيم «١» أو بعد قوله: ورسولا إلى بني إسرائيل «٢» وذلك عند تفسير ورسولا إلى بني إسرائيل

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٦٨٣/٢

. «٣»
قال مقاتل: أحس، هنا رأى من رؤية العين أو القلب وقال الفراء: أحس وجد. وقال أبو عبيدة: عرف. وقيل: علم. وقيل: خاف.
والكفر: هنا جحود نبوته وإنكار معجزاته، و: منهم، متعلق بأحس. قيل: ويجوز أن يكون حالا من الكفر.

---

(١) سورة آل عمران: ٣/ ٥١,
(٣- ٢) سورة آل عمران: ٣/ ٤٩.." (١)

"ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا قال ابن عباس: الذنوب هي الكبائر، والسيئات هي الصغائر. ويؤيده: إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم «١» وقيل: الذنوب ترك الطاعات، والسيئات فعل المعاصي. وقيل: غفران الذنوب وتكفير السيئات أمر قريب بعضه من بعض، لكنه كرر للتأكيد، ولأنها مناح من الستر وإزالة حكم الذنوب بعد حصوله، والغفران والتكفير بمعنى، والذنوب والسيئات بمعنى، وجمع بينهما تأكيدا ومبالغة، وليكون في ذلك إلحاح في الدعاء.
فقد روي: «إن الله يحب الملحين في الدعاء» .
وقيل: في التفكير معنى وهو: التغطية، ليأمنوا الفضوح. والكفارة هي الطاعة المغطية للسيئة، كالعتق والصيام والإطعام. ورجل مكفر بالسلاح، أي مغطى.
وتوفنا مع الأبرار جمع بر، على زن فعل، كصلف. أو جمع بار على وزن فاعل كضارب، وأدغمت الراء في الراء. وهم: الطائعون لله، وتقدم معنى البر. وقيل: هم هنا الذين بروا الآباء والأبناء. ومع هنا مجاز عن الصحبة الزمانية إلى الصحبة في الوصف، أي: توفنا أبرارا معدودين في جملة الأبرار. والمعنى: اجعلنا ممن توفيتهم طائعين لك.
وقيل: المعنى احشرنا معهم في الجنة.
ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك الظاهر أنهم سألوا ربهم أن يعطيهم ما وعدهم على رسله، ففسر هذا الموعود به بالجنة قاله: ابن عباس. وقيل: الموعود به النصر على الأعداء. وقيل: استغفار الأنبياء، كاستغفار نوح وابراهيم ورسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين، واستغفار الملائكة لهم.
وقوله: على رسلك هو على حذف مضاف، فقدره الطبري وابن عطية: على ألسنة رسلك. وقدره الزمخشري:

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ١٧٢/٣

على تصديق رسلك. قال: فعلى هذه صلة للوعد في قولك:
وعد الله الجنة على الطاعة. والمعنى: ما وعدتنا على تصديق رسلك. ألا تراه كيف أتبع ذكر المنادي للإيمان وهو الرسول، وقوله: آمنا وهو التصديق. ويجوز أن يكون متعلقا بمحذوف أي: ما وعدتنا منزلا على رسلك، أو محمولا على رسلك، لأن الرسل يحملون ذلك، فإنما عليه ما حمل انتهى. وهذا الوجه الذي ذكر آخرا أنه يجوز ليس بجائز، لأن من قواعد النحويين أن الجار والمجرور والظرف متى كان العامل فيهما مقيدا فلا بد من ذكر ذلك العامل، ولا يجوز حذفه، ولا يحذف العامل إلا إذا كان كونا مطلقا. مثال ذلك: زيد

(١) سورة النساء: ٤/ ٣١.." (١)

"أعلقه بالنساء والربائب، وأجعل من للاتصال كقوله تعالى: المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض «١» ، فإني لست منك ولست مني، ما أنا من دد ولا الدد مني. وأمهات النساء متصلات بالنساء، لأنهن أمهاتهن. كما أن الربائب متصلات بأمهاتهن، لأنهن بناتهن انتهى. ولا نعلم أحدا ذهب إلى أن من معاني من الاتصال. وأما ما شبه به من الآية والشعر والحديث، فمتأول: وإذا جعلنا من نسائكم متعلقا بالنساء، والربائب كما زعم الزمخشري. فلا بد من صلاحيته لكل من النساء والربائب. فأما تركيبه مع لربائب ففي غاية الفصاحة والحسن، وهو نظم الآية. وأما تركيبه مع قوله: وأمهات نسائكم، فإنه يصير:
وأمهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن، فهذا تركيب لا يمكن أن يقع في القرآن، ولا في كلام فصيح، لعدم الاحتياج في إفادة هذا المعنى إلى قوله: من نسائكم. والدخول هنا كناية عن الجماع لقولهم: بنى عليها، وضرب عليها الحجاب.
والباء: للتعدية، والمعنى: اللاتي **أدخلتموهن الستر قاله**: ابن عباس، وطاوس، وابن دينار. فلو طلقها بعد البناء وقبل الجماع، جاز أن يتزوج ابنتها. وقال عطاء، ومالك، وأبو حنيفة، والثوري، والأوزاعي، والليث: إذا مسها بشهوة حرمت عليه أمها وابنتها، وحرمت على الأب والابن، وهو أحد قولي الشافعي. واختلفوا في النظر إليها بشهوة، فقال ابن أبي ليلى: لا يحرم النظر حتى تلمس، وهو قول الشافعي. وقال مالك: يحرم النظر إلى شعرها، أو شيء من محاسنها بلذة. وقال الكوفيون: يحرم النظر إلى فرجها بشهوة.
وقال الثوري: يحرم إذا كان تعمد النظر إلى فرجها، ولم يذكر الشهوة. وقال عطاء، وحماد بن أبي سليمان:

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٣/٤٧٤

إذا نظر إلى فرج امرأة فلا ينكح أمها ولا ابنتها، وعدوا هذا الحكم إلى الإماء. وقال الحسن: إذا ملك الأمة وغمزها بشهوة، أو كشفها، أو قبلها، لا تحل لولده بحال. وأمر مسروق أن تباع جاريته بعد موته وقال: أما إني لم أصب منها إلا ما يحرمها على ولدي من اللمس والنظر. وجرد عمر أمة خلا بها فاستوهبها ابن له فقال:

لا تحل لك.

فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم أي: في نكاح الربائب. وليس جواز نكاح الربائب موقوفا على انتفاء مطلق الدخول، بل لا بد من محذوف مقدر تقديره: فإن لم تكونوا دخلتم بهن، وفارقتموهن بطلاق منكم إياهن، أو موت منهن.

---

(١) سورة التوبة: ٩/ ٦٧.." (١)

"وعند كل مسجد يريد عند كل موضع سجود، فهو إشارة إلى الصلوات وستر العورة فيها هو مهم الأمر ويدخل في الصلاة مواطن الخير كلها ومع ستر العورة ما ذكرنا من الطيب للجمعة انتهى.

وقال الزمخشري: خذوا زينتكم أي ريشكم ولباس زينتكم عند كل مسجد كلما صليتم وكانوا يطوفون عراة انتهى، والذي يظهر أن الزينة هو ما يتجمل به ويتزين عند الصلاة ولا يدخل فيه ما يستر العورة لأن ذلك مأمور به مطلقا ولا يختص بأن يكون ذلك عند كل مسجد، ولفظة كل مسجد تأتي أن يكون أيضا ما يستر العورة في الطواف لعمومه والطواف إنما هو الخاص وهو المسجد الحرام وليس بظاهر حمل العموم على كل بقعة منه وأيضا فيا بني آدم عام وتقييد الأمر بما يستر العورة في الطواف مفض إلى تخصيصه بمن يطوف بالبيت.

وقال أبو بكر الرازي في الآية دليل على فرض ستر العورة في الصلاة وهو قول أبي يوسف وزفر ومحمد والحسن بن زياد والشافعي لقوله: عند كل مسجد علق الأمر به فدل على **أنه الستر للصلاة**، وقال: مالك والليث: كشف العورة حرام ويوجبان الإعادة في الوقت استحبابا إن صلى مكشوفها، وقال الأبهري: هي فرض في الجملة وعلى الإنسان أن يسترها في الصلاة وغيرها وهو الصحيح

لقوله صلى الله عليه وسلم للمسور بن مخرمة: «ارجع إلى قومك ولا تمشوا عراة» ، أخرجه مسلم

وكلوا واشربوا، قال الكلبي: معناه كلوا من اللحم والدسم واشربوا من الألبان وكانوا يحرمون جميع ذلك في

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٣/٥٨١

الإحرام، وقال السدي: كلوا من البحيرة وأخواتها والظاهر أنه أمر بإباحة الأكل والشرب من كل ما يمكن أن يؤكل أو يشرب مما يحظر أكله وشربه في الشريعة وإن كان النزول على سبب خاص كما ذكروا من امتناع المشركين من أكل اللحم والدسم أيام إحرامهم أو بني عامر دون سائر العرب من ذلك وقول المسلمين بذلك والنهي عن الإسراف يدل على التحريم لقوله إنه لا يحب المسرفين.

قال ابن عباس: الإسراف ،الخروج عن حد الاستواء، وقال أيضا لا تسرفوا في تحريم ما أحل لكم، وقال أيضا: كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة، وقال ابن زيد: الإسراف أكل الحرام، وقال الزجاج الإسراف الأكل من الحلال فوق الحاجة، وقال مقاتل: الإسراف الإشراك، وقيل: الإسراف مخالفة أمر الله في طوافهم عراة يصفقون ويصفرون، وقال ابن عباس أيضا: ليس في الحلال سرف إنما السرف في ارتكاب المعاصي، قال ابن عطية: يريد في الحلال القصد واللفظة تقتضي النهي عن السرف مطلقا فيمن تلبس بفعل حرام فتأول تلبسه به حصل من المسرفين وتوجه النهي عليه ومن تلبس بفعل مباح فإن مشى فيه على القصد وأوساط الأمور فحسن وإن أفرط حتى دخل الضرر حصل أيضا من المسرفين." (١)

"القرآن. وقال الضحاك وزيد بن أسلم عكس هذا، وقال أبو سعيد الخدري: الفضل القرآن، والرحمة أن جعلهم من أهله.

وقال ابن عباس فيما روى الضحاك عنه: الفضل العلم والرحمة محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال ابن عمر: الفضل الإسلام، والرحمة تزيينه في القلوب.

وقال مجاهد: الفضل والرحمة القرآن، واختاره الزجاج. وقال خالد بن معدان: الفضل القرآن، والرحمة السنة. وعنه أيضا أن الفضل الإسلام، والرحمة الستر. وقال عمرو بن عثمان: فضل الله كشف الغطاء، ورحمته الرؤية واللقاء. وقال الحسين بن فضل: الفضل الإيمان، والرحمة الجنة. وقيل: الفضل التوفيق، والرحمة العصمة. وقيل: الفضل نعمه الظاهرة، والرحمة نعمه الباطنة.

وقال الصادق: الفضل المغفرة، والرحمة التوفيق.

وقال ذو النون: الفضل الجنان، ورحمته النجاة من النيران. وهذه تخصيصات تحتاج إلى دلائل، وينبغي أن يعتقد أنها تمثيلات، لأن الفضل والرحمة أريد بهم، تعيين ما ذكر وحصرهما فيه.

وقال ابن عطية: وإنما الذي يقتضيه اللفظ ويلزم منه أن الفضل هو هداية الله إلى دينه والتوفيق إلى اتباع

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٤١/٥

الشرع، والرحمة هي عفوه وسكنى جنته التي جعلها جزاء على اتباع الإسلام والإيمان. ومعنى الآية: قل يا محمد لجميع الناس بفضل الله وبرحمته فليقع الفرح منكم، لا بأمور الدنيا وما يجمع من حطامها، فالمؤمنون يقال لهم: فليفرحوا وهم ملتبسون بعلة الفرح وسببه، ومخلصون لفضل الله منتظرون لرحمته، والكافرون يقال لهم:

بفضل الله ورحمته فليفرحوا على معنى أن لو اتفق لكم أو لو سعدتم بالهداية إلى تحصيل ذلك انتهى. والظاهر أن قوله: قل بفضل الله وبرحمته، فبذلك فليفرحوا جملتان، وحذف ما تتعلق به الباء والتقدير: قل بفضل الله وبرحمته ليفرحوا، ثم عطفت الجملة الثانية على الأولى على سبيل التوكيد. قال الزمخشري: والتكرير للتقرير والتأكيد، وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا، فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه، والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل: إن فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح، فإنه لا مفروح به أحق منهما. ويجوز أن يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا بذلك، فليفرحوا.

ويجوز أن يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك أي: فبمجيئهما فليفرحوا انتهى. أما إضمار فليعتنوا فلا دليل عليه، وأما تعليقه بقوله: قد جاءتكم، فينبغي أن يقدر ذلك محذوفا بعد قل، ولا يكون متعلقا بجاءتكم الأولى للفصل بينهما بقل. وقال الحوفي:

الباء متعلقة بما دل على المعنى أي: قد جاءتكم الموعظة بفضل الله. وقيل: الفاء الأولى." (١)

"أي: بينها وشرحها خبير بكيفيات الأمور انتهى. ولا يريد أن من لدن متعلق بالفعلين معا من حيث صناعة الإعراب، بل يريد أن ذلك من باب الإعمال، فهي متعلقة بهما من حيث المعنى. وإن لا تعبدوا يحتمل أن يكون أن حرف تفسير، لأن في تفصيل الآيات معنى القول وهذا أظهر، لأنه لا يحتاج إلى إضمار. وقيل: التقدير لأن لا تعبدوا أو بأن لا تعبدوا، فيكون مفعولا من أجله، ووصلت أن بالنهي. وقيل: أن نصبت لا تعبدوا، فالفعل خبر منفي. وقيل: أن هي المخففة من الثقيلة، وجملة النهي في موضع الخبر، وفي هذه الأقوال العامل فصلت. وأما من أعربه أنه بدل من لفظ آيات أو من موضعها، أو التقدير:

من النظر أن لا تعبدوا إلا الله، أو في الكتاب ألا تعبدوا، أو هي أن لا تعبدوا، أو ضمن أن لا تعبدوا، أو تفصله أن لا تعبدوا، فهو بمعزل عن علم الإعراب. والظاهر عود الضمير في منه إلى الله أي: إني لكم نذير من جهته وبشير، فيكون في موضع الصفة، فتعلق بمحذوف أي: كائن من جهته. أو تعلق بنذير أي: أنذركم من عذابه إن كفرتم، وأبشركم بثوابه إن آمنتم. وقيل: يعود على الكتابة أي: نذير لكم من مخالفته،

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٧٥/٦

وبشير منه لمن آمن وعمل به.
وقدم النذير لأن التخويف هو الأهم. وأن استغفروا معطوف على أن لا تعبدوا، نهي أو نفي أي: لا يعبد إلا الله. وأمر بالاستغفار من الذنوب، ثم بالتوبة، وهما معنيان متباينان، لأن الاستغفار طلب المغفرة وهي الستر، والمعنى: أنه لا يبقى لها تبعة. والتوبة الانسلاخ من المعاصي، والندم على ما سلف منها، والعزم على عدم العود إليها. ومن قال: الاستغفار توبة، جعل قوله: ثم توبوا، بمعنى أخلصوا التوبة واستقيموا عليها. قال ابن عطية: وثم مرتبة، لأن الكافر أول ما ينيب، فإنه في طلب مغفرة ربه، فإذا تاب وتجرد من الكفر تم إيمانه.
وقال الزمخشري: (فإن قلت) : ما معنى ثم في قوله: ثم توبوا إليه؟ (قلت) : مءناه استغفروا من الشرك، ثم ارجعوا إليه بالطاعة. وقرأ الحسن، وابن هرمز، وزيد بن علي، وابن محيصن: يمتعكم بالتخفيف من أمتع، وانتصب متاعا على أنه مصدر جاز على غير الفعل، أو على أنه مفعول به. لأنك تقول: متعت زيدا ثوبا، والمتاع الحسن الرضا بالميسور والصبر على المقدور، أو حسن العمل وقطع الأمل، أو النعمة الكافية مع الصحة والعافية، أو الحلال الذي لا طلب فيه ولا تعب، أو لزوم القناعة وتوفيق الطاعة أقوال. وقال الزمخشري: يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية، وعيشة واسعة، ونعمة متتابعة.
قال ابن عطية: وقيل هو فوائد الدنيا وزينتها، وهذا ضعيف. لأن الكفار يشاركون في ذلك." (١)
"جعل لهم من الاطلاع ما لم يجعل لغيرهم كقوله تعالى: يعلمون ما تفعلون «١»
وفي الحديث الصحيح: «قالت الملائكة ربي عبدك هذا يريد أن يعمل سيئة»
الحديث، أو بما يلوح في صفحات وجه الخائف. وامرأته قائمة جملة من ابتداء وخبر قال الحوفي وأبو البقاء: في موضع الحال، قال أبو البقاء: من ضمير الفاعل في أرسلنا، يعني المفعول الذي لم يسم فاعله، والزمخشري يسميه فاعلا لقيامه مقام الفاعل. وقال الحوفي: والتقدير أرسلنا إلى قوم لوط في حال قيام امرأته، يعني امرأة إبراهيم. والظاهر أنه حال من ضمير قالوا أي: قالوا لإبراهيم لا تخف في حال قيام امرأته وهي سارة بنت هاران بن ناخور وهي ابنة عمه، قائمة أي: لخدمة الأضياف، وكانت نساؤهم لا تحتجب كعادة الأعراب، ونازلة البوادي والصحراء، ولم يكن التبرج مكروها، وكانت عجوزا، وخدمة الضيفان مما يعد من مكارم الأخلاق قاله: مجاهد. وجاء في شريعتنا مثل هذا من حديث أبي أسيد الساعدي: وكانت امرأته عروسا، فكانت خادمة الرسول ومن حضر معه من أصحابه. وقال وهب:

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ١٢٠/٦

كانت قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم. وقال ابن إسحاق: قائمة تصلي. وقال المبرد: قائمة عن الولد. قال الزمخشري: وفي مصحف عبد الله وامرأته قائمة وهو قاعد. وقال ابن عطية: وفي قراءة ابن مسعود: وهي قائمة وهو جالس. ولم يتقدم ذكر امرأة إبراهيم فيضمر، لكنه يفسره سياق الكلام.

قال مجاهد وعكرمة: فضحكت حاضت. قال الجمهور: هو الضحك المعروف.

فقيل: هو مجاز معبر به عن طلاقة الوجه وسروره بنجاة أخيها وهلاك قومه، يقال: أتيت على روضة تضحك أي مشرقة. وقيل: هو حقيقة. فقال مقاتل: وروي عن ابن عباس ضحكت من شدة خوف إبراهيم وهو في أهله وغلمانه. والذين جاؤوه ثلاثة، وهي تعهده يغلب الأربعين، وقيل: المائة. وقال قتادة: ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم. وقال السدي: ضحكت من إمساك الأضياف عن الأكل وقالت: عجبا لأضيافنا نخدمهم بأنفسنا، وهم لا يأكلون طعامنا. وقال وهب بن منبه: وروي عن ابن عباس:

ضحكت من البشارة بإسحاق، وقال: هذا مقدم بمعنى التأخير. وذكر ابن الأنباري أن ضحكها كان سرورا بصدق ظنها، لأنها كانت تقول لإبراهيم: اضمم إليك ابن أخيك لوطا وكان أخاها، فإنه سينزل العذاب بقومه. وقيل: ضحكت لما رأت من المعجز، وهو أن الملائكة مسحت العجل الحنيذ فقام حيا يطفر، والذي يظهر والله أعلم أنهم لما لم يأكلوا،

---

(١) سورة الانفطار: ٨٢/ ١٢.." (١)

"عليه الاسم، فإنك تقول لمن يقرأ شيئا من القرآن هذا يقرأ القرآن، والظاهر أن القرآن هنا هو ما قرىء من القرآن أي شيء كان منه. وقيل: ثلاث آيات منه معينة وهي في النحل أولئك الذين طبع- إلى- الغافلون «١» وفي الكهف فمن أظلم- إلى- إذا أبدا «٢» وفي الجاثية أفرأيت من اتخذ إلهه هواه- إلى- أفلا تذكرون «٣»

وعن كعب أن الرسول كان يستتر بهذه الآيات

،

وعن ابن سيرين أنه عينها له هاتف من جانب البيت

،

وعن بعضهم أنه أسر زمانا ثم اهتدى قراءتها فخرج لا يبصره الكفار وهم يتطلبونه تمس ثيابهم ثيابه.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ١٨١/٦

قال القرطبي: ويزاد إلى هذه الآي أول يس إلى فهم لا يبصرون «٤»

ففي السيرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم حين نام على فراشه خرج ينثر التراب على رؤوس الكفار فلا يرونه وهو يتلو هذه الآيات من يس، ولم يبق أحد منهم إلا وضع على رأسه ترابا.

والظاهر أن المعنى جعلنا بين رؤيتك وبين أبصار الذين لا يؤمنون بالآخرة كما ورد في سبب النزول.

وقال قتادة والزجاج وجماعة ما معناه: جعلنا بينك فهم ما تقرأ وبينهم حجابا فلا يقرون بنبوتك ولا بالبعث، فالمعنى قريب من الآية بعدها، والظاهر إقرار مستورا على موضوعه من كونه اسم مفعول أي مستورا عن أعين الكفار فلا يرونه، أو مستورا به الرسول عن رؤيتهم. **ونسب الستر إليه** لما كان مستورا به قاله المبرد، ويؤول معناه إلى أنه ذو ستر كما جاء في صيغة لابن وتامر أي ذو لبن وذو تمر. وقالوا: رجل مرطوب أي ذو رطبة ولا يقال رطبته، ومكان مهول أي ذو هول، وجارية مغنوجة ولا يقال هلت المكان ولا غنجت الجارية. وقال الأخفش وجماعة مستورا ساترا واسم الفاعل قد يجيء بلفظ المفعول كما قالوا مشؤوم وميمون يريدون شائم ويامن. وقيل: مستور وصف على جهة المبالغة كما قالوا شعر شاعر، ورد بأن المبالغة إنما تكون باسم الفاعل ومن لفظ الأول وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا تقدم تفسيره في أوائل الأنعام وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده.

قيل: دخل ملأ قريش على أبي طالب يزورونه، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ ومر بالتوحيد، ثم قال: «يا معشر قريش قولوا لا إله إلا الله تملكون بها العرب وتدين لكم العجم» فولوا وانفروا فنزلت هذه الآية.

والظاهر أن الآية في حال الفارين عند وقت قراءته ومروره بتوحيد الله، والمعنى إذا جاءت مواضع التوحيد فر الكفار إنكارا له واستبشاعا لرفض آلهتهم واطراحها.

---

(١) سورة النحل: ١٦/ ١٠٨.

(٢) سورة الكهف: ١٨/ ٥٧.

(٣) سورة الجاثية: ٤٥/ ٢٣.

(٤) سورة يس: ٣٦/ ٩.." (١)

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٥٦/٧

"لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك أي مثل أولئك الذين وجدهم في مغرب الشمس كفرة مثلهم، وحكمهم مثل حكمهم في التعذيب لمن بقي على الكفر والإحسان لمن آمن.

وقال الزمخشري: كذلك أي أمر ذي القرنين كذلك أي كما وصفناه تعظيما لأمره. وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل **ذلك الستر الذي** جعلنا لكم من الجبال والحصون والأبنية والأكنان من كل جنس، والثياب من كل صنف. وقال ابن عطية:

كذلك معناه فعل معهم كفعله مع الأولين أهل المغرب، وأخبر بقوله كذلك ثم أخبر تعالى عن إحاطته بجميع ما لدى ذي القرنين وما تصرف فيه من أفعاله، ويحتمل أن يكون كذلك استئناف قول ولا يكون راجعا على الطائفة الأولى فتأمله، والأول أصوب انتهى.

وإذا كان مستأنفا لا تعلق له بما قبله فيحتاج إلى تقدير يتم به كلاما.

ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا.

سببا أي طريقا أو مسيرا موصلا إلى الشمال فإن السدين هناك. قال وهب:

السدان جبلان منيفان في السماء من ورائهما ومن أمامهما البلدان، وهما بمنقطع أرض الترك مما يلي أرمينية وأذربيجان. وذكر الهروي أنهما جبلان من وراء بلاد الترك. وقيل:

هما جبلان من جهة الشمال لينان أملسان، يزلق عليهما كل شيء، وسمي الجبلان سدين لأن كل واحد منهما سد فجاج الأرض وكانت بينهما فجوة كان يدخل منها يأجوج ومأجوج.

وقرأ مجاهد وعكرمة والنخعي وحفص وابن كثير وأبو عمرو بين السدين بفتح السين.

وقرأ باقي السبعة بضمها. قال الكسائي هما لغتان بمعنى واحد. وقال الخليل وسيبويه:

بالضم الاسم وبالفتح المصدر. وقال عكرمة وأبو عمرو بن العلاء وأبو عبيدة: ما كان من خلق الله لم يشارك فيه أحد فهو بالضم، وما كان من صنع البشر فبالفتح. وقال ابن أبي." (١)

"عنه العجمة. وقال أبو علي: هذا من باب السلب ومعناه، أزيل عنها خفاءها وهو سترها، واللام على قراءة الجمهور. قال صاحب اللوامح متعلقة بآتية كأنه قال إن الساعة آتية لنجزي انتهى، ولا يتم ذلك إلا إذا قدرنا أكاد أخفيها جملة اعتراضية، فإن جعلتها في موضع الصفة لآتية فلا يجوز ذلك على رأي البصريين لأن اسم الفاعل لا يعمل إذا وصف قبل أخذ معموله. وقيل: أخفيها بضم الهمزة بمعنى أظهرها فتتحد القراءتان، وأخفى من الأضداد بمعنى الإظهار وبمعنى الستر. قال أبو عبيدة: خفيت وأخفيت بمعنى واحد وقد حكاه أبو الخطاب وهو رئيس من رؤساء اللغة لا شك في صدقه وأكاد من أفعال المقاربة لكنها مجاز هنا، ولما كانت الآية عبارة عن شدة إخفاء أمر القيامة ووقتها وكان القطع بإتيانها مع جهل الوقت أهيب على النفوس بالغ في إبهام وقتها فقال أكاد أخفيها حتى لا تظهر ألبتة، ولكن لا بد من ظهورها. وقالت فرقة أكاد بمعنى أريد، فالمعنى أريد إخفاءها وقاله الأخفش وابن الأنباري وأبو مسلم. قال أبو مسلم: ومن أمثالهم لا أفعل ذلك: ولا أكاد أي لا أريد أن أفعله. وقالت فرقة: خبر كاد محذوف تقديره أكاد أتى بها لقربها وصحة وقوعها كما حذف في قول صابىء البرجمي:

هممت ولم أفعل وكدت وليتني ... تركت على عثمان تبكي حلائله

أي وكدت أفعل. وتم الكلام ثم استأنف الإخبار بأنه يخفيها واختاره النحاس. وقالت فرقة: معناه أكاد أخفيها من نفسي إشارة إلى شدة غموضها عن المخلوقين وهو مروي عن ابن عباس.

ولما رأى بعضهم قلق هذا القول قال معنى من نفسي: من تلقائي ومن عندي.

وقالت فرقة أكاد زائدة لا دخول لها في المعنى بل الإخبار أن الساعة آتية وأن الله يخفي وقت إتيانها، وروي هذا المعنى عن ابن جبير، واستدلوا على زيادة كاد بقوله تعالى لم يكد يراها «١» وبقول الشاعر وهو زيد الخيل:

سريع إلى الهيجاء شاك سلاحه ... فما أن يكاد قرنه يتنفس

وبقول الآخر:

وأن لا ألوم النفس مما أصابني ... وأن لا أكاد بالذي نلت أنجح

ولا حجة في شيء من هذا. وقال الزمخشري: أكاد أخفيها فلا أقول هي آتية لفرط

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٢٢٤/٧

(١) سورة النور: ٢٤/ ٤٠.." (١)

"ووزنه مفعول كمخيط، وهو المشاهد جريه بالعين تقول: عانه أدركه بعينه كقولك: كبده ضرب كبده، وأدخله الخليل في باب ع ي ن. وقيل: الميم أصلية من باب معن الشيء معانة كثر فوزنه فعيل، وأجاز الفراء الوجهين. وقال جرير:

إن الذين غدوا بلبك غادروا ... وشلا بعينك ما يزال معينا

الغمرة: الجهالة زجل غمر غافل لم يجرب الأمور وأصله الستر، ومنه الغمر للحقد لأنه يغطي القلب، والغمر للماء الكثير لأنه يغطي الأرض، والغمرة الماء الذي يغمر القامة، والغمرات الشدائد ورجل غامر إذا كان يلقي نفسه في المهالك، ودخل في غمار الناس أي في زحمتهم. الجؤار: مثل الخوار جأر الثور يجأر صاح، وجأر الرجل إلى الله تضرع بالدعاء قاله الجوهري. وقال الشاعر:

يراوح من صلوات المليك فطورا سجودا وطورا جؤارا وقيل: الجؤار الصراخ باستغاثة قال: جأر ساعات النيام لربه. السامر: مفرد بمعنى الجمع، يقال: قوم سامر وسمر ومعناه سهر الليل مأخوذ من السمر، وهو ما يقع على الشجر من ضوء القمر وكانوا يجلسون للحديث في ضوء القمر، والسمير الرفيق بالليل في السهر ويقال له السمار أيضا، ويقال لا أفعله ما أسمر ابنا سمير، والسمير الدهر وابناه الليل والنهار. نكب عن الطريق ونكب بالتشديد: إذا عدل عنه. اللجاج في الشيء: التمادي عليه.

قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ثم إنكم بعد ذلك لميتون ثم إنكم يوم القيامة تبعثون.

هذه السورة مكية بلا خلاف،

وفي الصحيح للحاكم عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لقد أنزلت علي عشر آيات من أقامهن دخل

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٣١٩/٧

الجنة» ثم قرأ قد أفلح المؤمنون إلى عشر آيات.

ومناسبتها لآخر السورة قبلها ظاهرة لأنه تعالى خاطب المؤمنين بقوله يا أيها الذين آمنوا." (١)

"لأنها هي أصل الفجور ومتبعة بإطماعها، ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم لخويلة: «والرجم أهون عليك من غضب الله» .

ولولا فضل الله إلى آخره. قال السدي فضله منته ورحمته نعمته. وقال ابن سلام: فضله الإسلام ورحمته الكتمان. ولما بين تعالى حكم الرامي المحصنات والأزواج كان في فضله ورحمته أن جعل اللعان سبيلا **إلى الستر وإلى** درء الحد وجواب لولا محذوف. قال التبريزي: تقديره لهلكتم أو لفضحكم أو لعاجلكم بالعقوبة أو لتبين الكاذب.

وقال ابن عطية: لكشف الزناة بأيسر من هذا أو لأخذهم بعقاب من عنده، ونحو هذا من المعاني التي يوجب تقديرها إبهام الجواب.

[سورة النور (٢٤) : الآيات ١١ الى ٢٠]

إن الذين جاؤ بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم (١١) لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين (١٢) لولا جاؤ عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون (١٣) ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم (١٤) إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم (١٥)

ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم (١٦) يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين (١٧) ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم (١٨) إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون (١٩) ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤف رحيم (٢٠)

سبب نزول هذه الآيات مشهور مذكور في الصحيح، والإفك: الكذب والافتراء.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٥٤٥/٧

وقيل: هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك. والعصبة: الجماعة وقد تقدم الكلام عليها في سورة يوسف عليه السلام. منكم أي من أهل ملتكم وممن ينتمي إلى الإسلام، ومنهم." (١)

"الإسلام ملحد في الدين، وابن عباس بريء من هذا القول. وتستأنسوا متمكنة في المعنى بنية الوجه في كلام العرب. وقد قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم: أستأنس يا رسول الله وعمر واقف على باب الغرفة الحديث المشهور. وذلك يقتضي أنه طلب الأنس به صلى الله عليه وسلم. وقيل: هو من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف، واستفعال من أنس الشيء إذا أبصره ظاهرا مكشوفا، والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم أم لا، ومنه استأنس هل ترى أحدا واستأنست فلم أر أحدا، أي تعرفت واستعلمت ومنه بيت النابغة:

كأن رحلي وقد زال النهار بنا ... يوم الجليل على مستأنس وحد

ويجوز أن يكون من الأنس وهو أن يتعرف هل ثم إنسان.

وعن أبي أيوب قال: قلنا:

يا رسول الله، ما الاستئناس؟ قال: «يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة يتنحنح يؤذن أهل البيت والتسليم أن يقول السلام عليكم» .

وكان أهل الجاهلية يقول الرجل منهم إذا دخل بيتا غير بيته: حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل، فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد فصد الله عن ذلك وعلم الأحسن الأكمل. وذهب الطبري في تستأنسوا إلى أنه بمعنى حتى تؤنسوا أهل البيت من أنفسكم بالتنحنح والاستئذان ونحوه وتؤنسوا أنفسكم بأن تعلموا أن قد شعر بكم. قال ابن عطية: وتصريف الفعل يأبى أن يكون من آنس انتهى. وقال عطاء: الاستئذان واجب على كل محتلم، والظاهر مطلق الاستئذان فيكفي فيه المرة الواحدة.

وفي الحديث: «الاستئذان ثلاث» يعني كماله. «فإن أذن له وإلا فليرجع ولا يزيد على ثلاث إلا أن يحقق أن من في البيت لم يسمع» .

والظاهر تقديم الاستئذان على السلام.

وفي حديث أبي داود: قل السلام عليكم أأدخل؟

والواو في وتسلموا لا تقتضي ترتيبا فشرع النداء بالسلام على الإذن لما في السلام من التفاؤل بالسلامة. ذلكم إشارة إلى المصدر المفهوم من تستأنسوا وتسلموا أي ذلكم الاستئناس والتسليم خير لكم من تحية

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ١٩/٨

الجاهلية. لعلكم تذكرون أي شرعنا ذلك ونبهناكم على ما فيه مصلحتكم من الستر وعدم الاطلاع على ما تكرهون الاطلاع عليه لعلكم تذكرون اعتناء بمصالحكم.

فإن لم تجدوا فيها أحدا أي يأذن لكم فلا تقدموا على الدخول في ملك غيركم حتى يؤذن لكم إذ قد يكون لرب البيت فيه ما لا يحب أن يطلع عليه. وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا وهذا عائد إلى من استأذن في دخول بيت غيره فلم يؤذن له سواء كان فيه." (١)

"ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم، ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير.

سخر لكم: تنبيه على الصنعة الدالة على الصانع من تسخير ما في السماوات: من الشمس، والقمر، والنجوم، والسحاب وما في الأرض: من الحيوان، والنبات، والمعادن، والبحار، وغير ذلك وذلك لا يكون إلا بمسخر من مالك متصرف كما يشاء. وقرأ ابن عباس، ويحيى بن عمارة: وأصبغ بالصاد، وهي لغة لبني كلب، يبدلونها من السين، إذا جامعت الغين أو الخاء أو القاف صادا وباقي القراء:

بالسين على الأصل. وقرأ الحسن، والأعرج، وأبو جعفر، وشيبة، ونافع، وأبو عمرو، وحفص: نعمه جمعا مضافا للضمير وباقي السبعة، وزيد بن علي: نعمة، على الإفراد. والظاهر أنه يراد بالنعمة الظاهرة: الإسلام، والباطنة: الستر. وعن الضحاك، الظاهرة: حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الأعضاء، والباطنة: المعرفة. وقيل:

الظاهرة: البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح، والباطنة: القلب والعقل والفهم. والذي ينبغي أن يقال: إن الظاهرة مما يدرك بالمشاهدة، والباطنة ما لا يعلم إلا بدليل، أو لا يعلم أصلا. فكم من نعمة في بدن الإنسان لا يعلمها، ولا يهتدي إلى العلم بها؟ وانتصب ظاهرة على الحال من نعمه، الجمع على الصفة، ومن نعمة على الإفراد. وتقدم الكلام على: ومن الناس إلى: منير، في الحج، وعلى ما بعده إلى: آباءنا، في نظيره في البقرة. أولو: كان تقديره: أيتبعونهم في أحوالهم؟ وفي هذه الحال التي لا ينبغي أن لا يتبع فيها الآباء؟ لأنها حال تلف وعذاب. وقد تقدم لنا أن مثل هذا التركيب الذي فيه ولو، أنما يكون في الشيء الذي كان ينبغي أن لا يكون، نحو: اعطوا السائل ولو جاء على فرس، ردوا السائل ولو بظلف محرق، وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين «١» .

وكذلك هذا، كان ينبغي من دعا إلى عذاب السعير أن لا يتبع. وقرأ الجمهور:

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٣١/٨

ومن يسلم، مضارع أسلم

وعلي، والسلمي، وعبد الله بن مسلم بن يسار:

بتشديد اللام، مضارع سلم

، وتقدم الكلام على نظير هذه الجملة في البقرة، والمراد:

التفويض إلى الله. فقد استمسك بالعروة الوثقى: تقدم الكلام عليه في البقرة. وقال الزمخشري، من باب التمثيل: مثلت حال المتوكل بحال من تدلى من شاهق، فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من حبل متين مأمون انقطاعه. انتهى. ولما ذكر حال الكافر

---

(١) سورة يوسف: ١٢/ ١٧.." (١)

"ونذير برفعهما على الصفة لكتاب، أو على خبر مبتدأ محذوف، وبشارته بالجنة لمن آمن، ونذارته بالنار لمن كفر. فأعرض أكثرهم: أي أكثر أولئك القوم، أي كانوا من أهل العلم ولكن لم ينظروا النظر التام، بل أعرضوا، فهم لا يسمعون لإعراضهم عن ما احتوى عليه من الحجج والبراهين، أو لما لم ينتفع به ولم يقبله جعل كأنه لم يسمعه.

ثم أخبر تعالى عنهم بالمقالة الدالة على امتناع قلوبهم، والناس من رجوعهم إليه ومن سماعهم لما يتلوه، وهو قوله تعالى، حكاية عنهم: وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر، تقدم الكلام على شبه ذلك في الأنعام. وقرأ طلحة: وقر بكسر الواو، وهذه تمثيلات لامتناع قبول الحق، كأن قلوبهم في غلاف، كما قالوا: وقالوا قلوبنا غلف «١» ، وكأن أسماعهم عند ذكر كلام الله بها صمم. **والحجاب: الستر المانع** من الإجابة، وهو خلاف في الدين، لأنه يعبد الله وهم يعبدون الأصنام، قال معناه الفراء وغيره.

ويروى أن أبا جهل استغشى على رأسه ثوبا وقال: يا محمد، بيننا وبينك حجاب، استهزاء منه.

وقيل: تمثيل بعدم الإجابة. وقيل: عبارة عن العداوة. ومن في مما تدعونا إليه لابتداء الغاية، وكذا في ومن بيننا. فالمعنى أن الحجاب ابتدأ منا وابتدأ منك، فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب، لا فراغ فيها، ولو لم يأت بمن لكان المعنى أن حجابا حاصل وسط الجهتين، والمقصود المبالغة بالتباين المفرط، فلذلك جيء بمن. وقال الزمخشري: فإن قلت: هلا قيل: على قلوبنا أكنة، كما قيل:

وفي آذاننا وقر، ليكون الكلام على نمط واحد؟ قلت: هو على نمط واحد، لأنه لا فرق في المعنى بين

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٤١٨/٨

قولك: قلوبنا في أكنة، والدليل عليه قوله تعالى: إنا جعلنا على قلوبهم «٢» . ولو قيل: إنا جعلنا قلوبهم في أكنة، لم يختلف المعنى، وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة إلا في المعاني، وتقول: إن في أبلغ في هذا الموضع من على، لأنهم قصدوا إفراط عدم القبول، لحصول قلوبهم في أكنة احتوت عليها احتواء الظرف على المظروف، فلا يمكن أن يصل إليها شيء. كما تقول: المال في الكيس، بخلاف قولك: على المال كيس، فإنه لا يدل على الحصر، وعدم الحصول دلالة الوعاء.

وأما في قوله: إنا جعلنا، فهو من إخبار الله تعالى، لا يحتاج إلى مبالغة، بخلاف قولهم. وقول الزمخشري: وترى المطابيع، يعني من العرب وشعرائهم، ولذلك تكلم الناس في شعر حبيب، ولم يستحسن بعضهم كثرة صنعة البديع فيه قالوا: وأحسنه ما جاء

(١) سورة البقرة: ٢/ ٨٨.

(٢) سورة الكهف: ١٨/ ٥٧.." (١)

"و» أم «هنا عاطفة وتسمى متصلة، ولكونها متصلة شرطان، أحدهما: أن يتقدمها همزة استفهام أو تسوية لفظا أو تقديرا، والثاني: أن يكون ما بعدها مفردا أو مؤولا بمفرد كهذه الآية، فإن الجملة فيه بتأويل مفرد كما تقدم وجوابها أحد الشيئين أو الأشياء، ولا تجاب بنعم ولا ب» لا «. فإن فقد شرط سميت منقطعة ومنفصلة. وتقدر ب بل والهمزة، وجوابها نعم أولا، ولها أحكام أخر.

و» لم «حرف جزم معناه نفي الماضي مطلقا خلافا لمن خصها بالماضي المنقطع، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ولم أكن بدعآئك رب شقيا﴾ [مريم: ٤] ﴿لم يلد ولم يولد﴾ [الإخلاص: ٣] ، وهذا لا يتصور فيه الانقطاع، وهي من خواص صيغ المضارع إلا أنها تجعله ماضيا في المعنى كما تقدم، وهل قلبت اللفظ دون المعنى، أم المعنى دون اللفظ؟ قولان أظهرهما الثاني، وقد يحذف مجزومها.

والكفر: الستر، ومنه سمي الليل كافرا، قال:

١٣٧ - فوردت قبل انبلاج الفجر ... وابن ذكاء كامن في كفر

وقال آخر:

١٣٨ -. . . . ." (٢)

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٢٨٥/٩

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٠٦/١

"الجر، ويكون «وعلى أبصارهم» معطوفا على ما قبله، والتقدير: ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم بغشاوة، ثم حذف حرف الجر فانتصب ما بعده كقوله:

١٤٨ - تمرون الديار ولم تعوجوا ... كلامكم علي إذا حرام

أي تمرون بالديار، ولكنه غير مقيس. والثالث: أن يكون «غشاوة» اسما وضع موضع المصدر الملاقي لختم في المعنى، لأن الختم والتغشية يشتركان في معنى الستر، فكأنه قيل: «وختم تغشية» على سبيل التأكيد، فهو من باب «قعدت جلوسا» وتكون قلوبهم وسمعهم وأبصارهم مختوما عليها مغشاة.

وقال الفارسي: «قراءة الرفع أولى لأن النصب: إما أن تحمله على ختم الظاهر فيعرض في ذلك أنك حلت بين حرف العطف والمعطوف به، وهذا عندنا إنما يجوز في الشعر، وإما أن تحمله على فعل يدل عليه» ختم «تقديره: وجعل على أبصارهم غشاوة، فيجيء الكلام من باب:

١٤٩ - يا ليت زوجك قد غدا ... متقلدا سيفا ورمحا

وقوله:

١٥٠ - علفت٥١ تبنا وماء باردا ... حتى شتت همالة عيناها." (١)

"الثالث: قول سيبويه، وهو أن أصلها عنده خطايئ كما تقدم، فأبدل الياء الزائدة همزة، فاجتمع همزتان، فأبدل الثانية منهما ياء لزوما، ثم عمل العمل المتقدم، ووزنها عنده فعائل، مثل صحائف، وفيها على قوله خمسة تغييرات، إبدال الياء المزيدة همزة، وإبدال الهمزة الأصلية ياء، وقلب الكسرة فتحة، وقلب الياء الأصلية ألفا، وقلب الهمزة المزيدة ياء.

الرابع: قول الفراء، وهو أن خطايا عنده ليس جمعا لخطيئة بالهمزة وإنما هو جمع لخطية كهدية وهدايا، وركية وركايا، قال الفراء: «ولو جمعت خطيئة مهموزة لقلت خطاءا» ، يعني فلم تقلب الهمزة ياء بل بقوها على حالها، ولم يعتد باجتماع ثلاث ألفات، ولكنه لم يقله العرب، فدل ذلك عنده أنه ليس جمعا للمهموز.

وقال الكسائي: ولو جمعت مهموزة أدغمت الهمزة في الهمزة مثل: دواب. وقرئ «يغفر لكم خطيئاتكم» و «خطيئتكم» بالجمع والتوحيد وبالياء والتاء على ما لم يسم فاعله، و «خطأياكم» بهمز الألف الأولى دون الثانية، وبالعكس. والكلام في هذه القراءات واضح مما تقدم.

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١/١١٢

والغفر: الستر، ومنه: المغفر لسترة الرأس، وغفران الذنوب لأنها تغطيها. وقد تقدم الفرق بينه وبين العفو. والغفار خرقة تستر الخمار [أن]." (١)

"قوله تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله﴾ : من باب المقابلة، أي: لا يجوز أن يوصف الله بالمكر إلا لأجل ما ذكر معه من لفظ آخر مسند لمن يليق به، وهذا كما تقدم في الخداع، هكذا قيل، وقد جاء ذلك من غير مقابلة في قوله: ﴿أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله﴾ [الأعراف: ٩٩] .

والمكر في اللغة أصله الستر. يقال: مكر الليل: أي أظلم وستر بظلمته ما فيه، وقالوا: واشتقاقه من المكر وهو شجر ملتف، تخيلوا فيه أن المكر يلتف بالممكور به ويشتمل عليه، وامرأة ممكورة الخلق أي: ملتفة الجسم، وكذا ممكورة البطن، ثم أطلق المكر على الخبث والخداع، ولذلك عبر عنه بعض أهل اللغة بأنه السعي بالفساد/. قال الزجاج: «هو من مكر الليل وأمكر أي أظلم» . وقد عبر بعضهم عنه فقال: هو صرف الغير عما يقصده بحيلة، وذلك ضربان: محمود وهو أن يتحرى به فعل جميل، وعلى ذلك قوله: ﴿والله خير الماكرين﴾ ، ومذموم وهو أن يتحرى به فعل قبيح نحو: ﴿ولا يحيق المكر السيىء إلا بأهله﴾ [فاطر: ٤٣] .." (٢)

"الكلمة واوان، وتحركت الثانية أو كان لها نظير متحرك وجب إبدال الأولى همزة تخفيفا، فمثال النوع الأول «أويصل» و «أواصل» تصغير واصل وتكسيره، فإن الأصل: وويصل، وواصل فاجتمع واوان في المثالين ثانيتهما متحركة فوجب إبدال الأولى همزة. ومثال النوع الثاني أولى فإن أصلها وولى، فالثانية ساكنة لكنها قد تتحرك في الجمع في قولك أول كفضلى وفضل. فإن لم تتحرك ولم تحمل على متحرك جاز الإبدال كهذه الآية الكريمة. ومثله ووطئ وأوطئ.

وقرأ يحيى بن وثاب «وري» بواو واحدة مضمومة وراء مكسورة، وكأنه من الثلاثي المتعدي، وتحتاج إلى نقل أن وريت كذا بمعنى واريته.

والمواراة: الستر، ومنه قوله عليه السلام لما بلغه موت أبي طالب: «لعلي أذهب موار» ومنه قول الآخر:

٢١٦٤ - على صدى أسود المواري ... في الترب أمسى وفي الصفيح

وقد تقدم تحقيق هذه المادة.

والجمهور على قراءة «سوءاتهما» بالجمع من غير نقل ولا إدغام.

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٧٨/١

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢١٢/٣

وقرأ مجاهد والحسن «سوتهما» بالإفراد وإبدال الهمزة واوا وإدغام الواو فيها. وقرأ الحسن أيضا وأبو جعفر وشيبة بن نصاح «سواتهما» بالجمع وتشديد الواو بالعمل المتقدم. وقرأ أيضا سواتهما/ بالجمع أيضا إلا أنه نقل حركة الهمزة إلى الواو من غير عمل آخر، وكل ذلك ظاهر: فمن قرأ بالجمع." (١)

"قوله: ﴿لذكري﴾ : يجوز أن يكون المصدر مضافا لفاعله أي: لأني ذكرتها في الكتب، أو لأني أذكرك. ويجوز أن يكون مضافا لمفعوله أي: لأن تذكرني. وقيل: معناه ذكر الصلاة بعد نسيانها كقوله عليه السلام: «من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها» قال الزمخشري: «وكان حق العبارة:» لذكرها «. ثم قال:» ومن يتمحل له أن يقول: إذا ذكر الصلاة فقد ذكر [الله] ، أو على حذف مضاف أي: لذكر صلاتي، أو لأن الذكر والنيسان من الله تعالى في الحقيقة «.

وقرأ أبو رجاء والسلمي» للذكرى «بلام التعريف وألف التأنيث. وبعضهم» لذكرى «منكرة، وبعضهم» للذكر «بالتعريف والتذكير.

قوله: ﴿أكاد أخفيها﴾ العامة على ضم الهمزة من» أخفيها «. وفيها تأويلات، أحدها: أن الهمزة في» أخفيها «للسلب والإزالة أي: أزيل خفاءها نحو: أعجمت الكتاب أي: أزلت عجمته. ثم في ذلك معنيان، أحدهما: أن الخفاء بمعنى الستر، ومتى أزال سترها فقد أظهرها. والمعنى: أنها لتحقق وقوعها وقربها أكاد أظهرها لولا ما تقتضيه الحكمة من التأخير. والثاني: أن الخفاء هو الظهور كما سيأتي. والمعنى: أزيل ظهورها، وإذا أزال ظهورها فقد استترت. والمعنى: أني لشدة أبهامها أكاد أخفيها فلا أظهرها/ البتة، وإن كان." (٢)

"قوله: ﴿ولو ألقى﴾ : هذه الجملة حالية. وقد تقدم نظيرها غير مرة. والمعاذير/: جمع معذرة على غير قياس، كملاقيح ومذاكير جمع لقحة وذكر. وللنحويين في مثل هذا قولان، أحدهما: أنه جمع لملفوظ به، وهو لقحة وذكر. والثاني: أنه جمع لغير ملفوظ به بل لمقدر أي: ملقحة ومذكار. وقال الزمخشري: «فإن قلت: أليس قياس المعذرة أن يجمع معاذر لا معاذير؟ قلت: المعاذير ليست بجمع معذرة، بل اسم جمع لها، ونحوه: المناكير في المنكر» . قال الشيخ: «وليس هذا البناء من أبنية أسماء الجموع، وإنما هو من أبنية جموع التكسير» انتهى، وهو صحيح. وقيل: معاذير: جمع معذار، وهو الستر، فالمعنى: ولو أرخى ستوره. والمعاذير: الستور بلغة اليمن، قاله الضحاك والسدي وأنشد على ذلك:

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٧٧/٥

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ١٩/٨

٤٤١٤ - ولكنها ضنت بمنزل ساعة ... علينا وأطت فوقها بالمعاذر
وقد حذف الياء من «المعاذير» ضرورة. وقال الزمخشري: «فإن." (١)

"٤٤٤١ - كأن سبيئة من بيت رأس ... يكون مزاجها عسل وماء

فالمزاج كالقوام، اسم لما يقام به الشيء. والكافور: طيب معروف، وكأن اشتقاقه من الكفر وهو الستر؛ لأنه يغطي الأشياء برائحته. والكافور أيضا: كمام الشجر التي تغطي ثمرتها. ومفعول «يشربون» : إما محذوف، أي: يعني: يشربون ماء أو خمرا من كأس، وإما مذكور وهو «عينا» كما تقدم، وإما «من كأس» و «من» مزيدة فيه، وهذا يتمشى عند الكوفيين والأخفش.

وقال الزمخشري: «فإن قلت: لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أولا وبحرف الإلصاق آخرا؟ قلت: لأن الكأس مبدأ شربه وأول غايته، وأما العين فبها يمزجون شرابهم، فكأن المعنى: يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول: شربت الماء بالعسل» .

قوله: ﴿يشرب بها﴾ في الباء أوجه، أحدها: أنها مزيدة، أي: يشربها، ويدل له قراءة ابن أبي عبلة «يشربها» معدى إلى الضمير بنفسه. الثاني: أنها بمعنى «من» . الثالث: أنها حالية، أي: ممزوجة بها. الرابع: أنها متعلقة ب «يشرب» . والضمير يعودعلى الكأس، أي: يشربون العين بتلك الكأس، والباء للإلصاق، كما تقدم في قول الزمخشري. الخامس: أنه على تضمين «يشربون» معنى: يلتذون بها شاربين. السادس: على تضمينه معنى «يروى» ، أي يروى بها عباد الله. وكهذه الآية في." (٢)

"زوج آخر في نكاح صحيح، فلو وطئها واطئ في غير نكاح، ولو في ملك اليمين لم تحل للأول؛ لأنه ليس بزوج، وهكذا لو تزوجت، ولكن لم يدخل بها الزوج لم تحل للأول، واشتهر بين كثير من الفقهاء عن سعيد بن المسيب، رحمه الله، أنه يقول: يحصل المقصود من تحليلها للأول بمجرد العقد على الثاني. وفي صحته عنه نظر، على أن الشيخ أبا عمر بن عبد البر قد حكاه عنه في الاستذكار، فالله أعلم.

وقد قال أبو جعفر بن جرير، رحمه الله: حدثنا ابن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن علقمة بن مرثد، عن سالم بن رزين، عن سالم بن عبد الله عن سعيد بن المسيب، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرجل يتزوج المرأة فيطلقها قبل أن يدخل بها البتة، فيتزوجها زوج آخر فيطلقها، قبل أن يدخل بها: أترجع إلى الأول؟ قال: "لا حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتها".

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥٧٢/١٠

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦٠٠/١٠

هكذا وقع في رواية ابن جرير، وقد رواه الإمام أحمد فقال:

حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن علقمة بن مرثد، سمعت سالم بن رزين يحدث عن سالم بن عبد الله، يعني: ابن عمر، عن سعيد بن المسيب، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم: في الرجل تكون له المرأة فيطلقها، ثم يتزوجها رجل فيطلقها قبل أن يدخل بها، فترجع إلى زوجها الأول؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "حتى يذوق العسيلة".

وهكذا رواه النسائي، عن عمرو بن علي الفلاس، وابن ماجه عن محمد بن بشار بندار كلاهما عن محمد بن جعفر غندر، عن شعبة، به كذلك. فهذا من رواية سعيد بن المسيب عن ابن عمر مرفوعا، على خلاف ما يحكى عنه، فبعيد أن يخالف ما رواه بغير مستند، والله أعلم.

وقد روى أحمد أيضا، والنسائي، وابن جرير هذا الحديث من طريق سفيان الثوري، عن علقمة بن مرثد، عن رزين بن سليمان الأحمري، عن ابن عمر قال: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجل يطلق امرأته ثلاثا فيتزوجها آخر، فيغلق الباب **ويرخي الستر ثم** يطلقها، قبل أن يدخل بها: هل تحل للأول؟ قال: "لا حتى يذوق العسيلة".

وهذا لفظ أحمد، وفي رواية لأحمد: سليمان بن رزين.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا محمد بن دينار، حدثنا يحيى بن يزيد الهنائي، عن أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن رجل كانت تحته امرأة فطلقها ثلاثا فتزوجت بعده رجلا فطلقها قبل أن يدخل بها: أتحل لزوجها الأول؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا حتى يكون الآخر قد ذاق من عسيلتها وذاقت من عسيلته".." (١)

"وقوله: ﴿ويكتمون ما آتاهم الله من فضله﴾ فالبخيل جحود لنعمة الله عليه لا تظهر عليه ولا تبين، لا في أكله (١) ولا في ملبسه، ولا في إعطائه وبذله، كما قال تعالى: ﴿إن الإنسان لربه لكنود. وإنه على ذلك لشهيد﴾ [العاديات: ٦، ٧] أي: بحاله وشمائله، ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾ [العاديات: ٨] وقال هاهنا: ﴿ويكتمون ما آتاهم الله من فضله﴾ ولهذا توعدهم بقوله: ﴿وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا﴾ والكفر **هو الستر والتغطية**، فالبخيل يستر نعمة الله عليه ويكتمها ويجحدها، فهو كافر لنعم الله عليه.

وفي الحديث: "إن الله إذا أنعم نعمة على عبد أحب أن يظهر أثرها عليه" (٢) وفي الدعاء النبوي: "واجعلنا شاكرين لنعمتك، مثنين بها عليك قابليها -ويروى: قائليها- وأتممها علينا" (٣) .

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٦٢٢/١

وقد حمل بعض السلف هذه الآية على بخل اليهود بإظهار العلم الذي عندهم، من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وكتمانهم ذلك؛ ولهذا قال: ﴿وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا﴾ رواه ابن إسحاق، عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس. وقاله مجاهد وغير واحد.

ولا شك أن الآية محتملة لذلك، والظاهر أن السياق في البخل بالمال، وإن كان البخل بالعلم داخلا في ذلك بطريق الأولى؛ فإن سياق الكلام في الإنفاق على الأقارب والضعفاء، وكذا الآية التي بعدها، وهي قوله: ﴿والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس﴾ فذكر الممسكين المذمومين وهم البخلاء، ثم ذكر الباذلين المرائين الذي يقصدون بإعطائهم السمعة وأن يمدحوا بالكرم، ولا يريدون بذلك وجه الله، وفي حديث الذي فيه الثلاثة الذين هم أول من تسجر بهم النار، وهم: العالم والغازي والمنفق، والمراءون بأعمالهم، يقول صاحب المال: ما تركت من شيء تحب أن ينفق فيه إلا أنفقت في سبيلك. فيقول الله: كذبت؛ إنما أردت أن يقال: جواد فقد قيل. أي: فقد أخذت جزاءك في الدنيا وهو الذي أردت بفعلك.

وفي الحديث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعدي: "إن أباك رام أمرا فبلغه".

وفي حديث آخر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن عبد الله بن جدعان: هل ينفعه إنفاقه، وإعتاقه؟ فقال: "لا إنه لم يقل يوما من الدهر: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين".

ولهذا قال: ﴿ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر [ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا] (٤) ﴾ أي: إنما حملهم على صنيعهم هذا القبيح وعدولهم عن فعل الطاعة على وجهها الشيطان؛ فإنه سول لهم وأملى لهم، وقارنهم فحسن لهم القبائح ﴿ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا﴾ ولهذا قال الشاعر (٥)

---

(١) في أ: "مأكله".

(٢) رواه الترمذي في سننه برقم (٢٨١٩) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، ولفظة: "إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده.

(٣) رواه أبو داود في سننه برقم (٩٦٩) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) زيادة من أ، وفي هـ: "الآية".

(٥) الشاعر هو عدي بن زيد، والبيت في تفسير الطبري (٣٥٨/٨) .." [1]

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣٠٣/٢

"وقوله: ﴿إن هي إلا فتنتك﴾ أي: ابتلاؤك واختبارك وامتحانك. قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، وأبو العالية، وربيع بن أنس، وغير واحد من علماء السلف والخلف. ولا معنى له غير ذلك؛ يقول: إن الأمر إلا أمرك، وإن الحكم إلا لك، فما شئت كان، تضل من تشاء، وتهدي من تشاء، ولا هادي لمن أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، فالملك كله لك، والحكم كله لك، لك الخلق والأمر.

وقوله: ﴿أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين﴾ الغفر هو: الستر، وترك المؤاخذة بالذنب، والرحمة إذا قرنت مع الغفر، يراد بها ألا يوقعه في مثله في المستقبل، ﴿وأنت خير الغافرين﴾ أي: لا يغفر الذنوب إلا أنت، ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة﴾ هناك الفصل الأول من الدعاء دفع المحذور، وهذا لتحصيل المقصود ﴿واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة﴾ أي: أوجب لنا وأثبت لنا فيهما حسنة، وقد تقدم [تفسير] (١) ذلك في سورة البقرة. [الآية:٢٠١]

﴿إنا هدنا إليك﴾ أي: تبنا ورجعنا وأنبنا إليك. قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وأبو العالية، والضحاك، وإبراهيم التيمي، والسدي، وقتادة، وغير واحد. وهو كذلك لغة.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا أبي، عن شريك، عن جابر، عن عبد الله بن نجي (٢) عن علي [رضي الله عنه] (٣) قال: إنما سميت اليهود لأنهم قالوا: ﴿إنا هدنا إليك﴾

جابر -هو ابن يزيد الجعفي -ضعيف.

قال تعالى مجيبا لموسى في قوله: ﴿إن هي إلا فتنتك [تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء] ﴾ (٤) الآية: ﴿عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء [فسأكتبها للذين يتقون] ﴾ (٥) أي: أفعل ما أشاء، وأحكم ما أريد، ولي الحكمة والعدل في كل ذلك، سبحانه لا إله إلا هو.

وقوله تعالى: ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ آية عظيمة الشمول والعموم، كقوله إخبارا عن حملة العرش ومن حوله أنهم يقولون: ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما﴾ [غافر:٧]

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا أبي، حدثنا الجريري، عن أبي عبد الله الجشمي، حدثنا جندب -هو ابن عبد الله البجلي، رضي الله عنه -قال: جاء أعرابي فأناخ راحلته ثم عقلها ثم صلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى راحلته فأطلق عقالها، ثم ركبها، ثم نادى: اللهم، ارحمني ومحمدا، ولا تشرك في رحمتنا أحدا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أتقولون هذا أضل أم بعيره؟ ألم تسمعوا ما قال؟ " قالوا: بلى. قال: "لقد حظرت (٦) رحمة واسعة؛ إن

الله، عز

---

(١) زيادة من ك، م، أ.

(٢) في أ: "يحيى".

(٣) زيادة من أ.

(٤) زيادة من ك، م، أ.

(٥) زيادة من م.

(٦) في د: "حجرت".." (١)

"على أهله، ونحو ذلك من الأعمال؛ ولهذا قال: ﴿ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن﴾ أي: إذا دخلوا في حال غير هذه الأحوال فلا جناح عليكم في تمكينكم إياهم من ذلك، ولا عليهم إن رأوا شيئا في غير تلك الأحوال؛ لأنه قد أذن لهم في الهجوم، ولأنهم ﴿طوافون﴾ عليكم، أي: في الخدمة وغير ذلك، ويغتفر في الطوافين ما لا يغتفر في غيرهم؛ ولهذا روى الإمام مالك وأحمد بن حنبل وأهل السنن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الهرة: "إنها ليست بنجس؛ إنها من الطوافين عليكم -أو -والطوافات" (١) .

ولما كانت هذه الآية محكمة ولم تنسخ بشيء، وكان عمل الناس بها قليلا جدا، أنكر عبد الله بن عباس ذلك على الناس، كما قال ابن أبي حاتم:

حدثنا أبو زرعة، حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير، حدثني عبد الله بن لهيعة، حدثني عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس: ترك الناس ثلاث آيات فلم يعملوا بهن: ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم [منكم ثلاث مرات] ﴾ (٢) إلى آخر الآية، والآية التي في سورة النساء: ﴿وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه﴾ [النساء: ٨] ، والآية التي في الحجرات: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣]

وروي أيضا من حديث إسماعيل بن مسلم -وهو ضعيف -عن عمرو بن دينار، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس قال: غلب الشيطان الناس على ثلاث آيات، فلم يعملوا بهن: ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾ إلى آخر الآية.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤٨١/٣

وقال أبو داود: حدثنا ابن الصباح بن سفيان وابن عبدة -وهذا حديثه -أخبرنا سفيان، عن عبيد الله بن أبي يزيد، سمع ابن عباس يقول: لم يؤمن بها أكثر (٣) الناس -آية الإذن -وإني لآمر جاريتي هذه تستأذن علي.

قال أبو داود: وكذلك رواه عطاء، عن ابن عباس يأمر به (٤) .

وقال الثوري، عن موسى بن أبي عائشة سألت الشعبي: ﴿ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾ ، قال: لم تنسخ. قلت: فإن الناس لا يعملون بها. فقال: الله المستعان.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الربيع بن سليمان، حدثنا ابن وهب، أخبرنا سليمان بن بلال، عن عمرو بن أبي عمرو، عن عكرمة عن ابن عباس؛ أن رجلين سألاه عن الاستئذان في الثلاث عورات التي أمر الله بها في القرآن، فقال ابن عباس: إن الله ستير يحب الستر، كان الناس ليس لهم ستور على أبوابهم ولا حجال في بيوتهم، فربما فاجأ الرجل خادمه أو ولده أو يتيمه في حجره،

---

(١) الموطأ (٢٣/١) والمسند (٢٩٦/٥) وسنن أبي داود برقم (٧٥) وسنن الترمذي برقم (٩٢) وسنن النسائي (٥٥/١) وسنن ابن ماجه برقم (٣٦٧) .

(٢) زيادة من ف، أ.

(٣) في ف، أ: "كثير من".

(٤) سنن أبي داود برقم (٥١٩١) .." (١)

"وهو على أهله، فأمرهم الله أن يستأذنوا في تلك العورات التي سمى الله. ثم جاء الله بعد بالستور (١) ، فبسط [الله] (٢) عليهم الرزق، فاتخذوا الستور واتخذوا الحجال، فرأى الناس أن ذلك قد كفاهم من الاستئذان الذي أمروا به.

وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس، ورواه أبو داود، عن القعنبي، عن الدراوردي، عن عمرو بن أبي عمرو به (٣) .

وقال السدي: كان أناس من الصحابة، رضي الله عنهم، يحبون أن يواقعوا نساءهم في هذه الساعات ليغتسلوا ثم يخرجوا إلى الصلاة، فأمرهم الله أن يأمروا المملوكين والغلمان ألا يدخلوا عليهم في تلك الساعات إلا بإذن.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٨٢/٦

وقال مقاتل بن حيان: بلغنا -والله أعلم -أن رجلا من الأنصار وامرأته أسماء بنت مرشدة صنعا للنبي صلى الله عليه وسلم طعاما، فجعل الناس يدخلون بغير إذن، فقالت أسماء: يا رسول الله، ما أقبح هذا! إنه ليدخل على المرأة وزوجها وهما في ثوب واحد، غلامهما بغير إذن! فأنزل الله في ذلك: ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم [ثلاث مرات] ﴾ (٤) الآية.

ومما يدل على أنها محكمة لم تنسخ، قوله: ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم﴾ .

ثم قال تعالى: ﴿. وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم﴾ يعني: إذا بلغ الأطفال الذين إنما كانوا يستأذنون في العورات الثلاث، إذا بلغوا الحلم، وجب عليهم أن يستأذنوا على كل حال، يعني بالنسبة إلى أجانبهم وإلى الأحوال التي يكون الرجل على امرأته، وإن لم يكن في الأحوال الثلاث.

قال الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير: إذا كان الغلام رباعيا فإنه يستأذن في العورات الثلاث على أبويه، فإذا بلغ الحلم فليستأذن على كل حال. وهكذا قال سعيد بن جبير.

وقال في قوله: ﴿كما استأذن الذين من قبلهم﴾ يعني: كما استأذن الكبار من ولد الرجل وأقاربه.

وقوله: ﴿والقواعد من النساء﴾ قال سعيد بن جبير، ومقاتل بن حيان، وقتادة، والضحاك: هن اللواتي انقطع عنهن الحيض ويئسن من الولد، ﴿اللاتي لا يرجون نكاحا﴾ أي: لم يبق لهن تشوف إلى التزويج، ﴿فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة﴾ أي: ليس عليها من الحرج في التستر كما على غيرها من النساء.

قال أبو داود: حدثنا أحمد بن محمد المروزي حدثني علي بن الحسين بن واقد، عن أبيه، عن يزيد النحوي، عن عكرمة عن ابن عباس: ﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن﴾ الآية [النور: ٣١] فنسخ، واستثنى من ذلك ﴿والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا﴾ الآية (٥)

قال ابن مسعود [في قوله] (٦) : ﴿فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن﴾ قال: الجلباب، أو

---

(١) في ف: "بعده بالستور" وفي أ: "بعده الستر".

(٢) زيادة من أ، والدر المنثور ٥/٥٦.

(٣) سنن أبي داود برقم (٥١٩٢) .

(٤) زيادة من أ.

(٥) سنن أبي داود برقم (٤١١١) .
(٦) زيادة من أ.." (١)

"أؤامر ربي، عز وجل. فقامت إلى مسجدها، ونزل القرآن، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن. ولقد رأيتنا حين دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمنا عليها الخبز واللحم، فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم [واتبعته] (١) فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن، ويقلن: يا رسول الله، كيف وجدت أهلك؟ فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبر. قال: فانطلق حتى دخل البيت، فذهبت أدخل معه، **فألقى الستر بيني** وبينه، ونزل الحجاب، ووعظ القوم بما وعظوا به: ﴿لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾ الآية.
ورواه مسلم والنسائي من طرق، عن سليمان (٢) بن المغيرة، به. (٣)
وقد روى البخاري، رحمه الله، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، أن زينب بنت جحش كانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فتقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات (٤) .
وقد قدمنا في "سورة النور" عن محمد بن عبد الله بن جحش قال: تفاخرت زينب وعائشة، فقالت زينب، رضي الله عنها (٥) : أنا التي نزل تزويجي من السماء، وقالت عائشة: أنا التي نزل عذري من السماء، فاعترفت لها زينب، رضي الله عنها. (٦)
وقال (٧) ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير، عن المغيرة، عن الشعبي قال: كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم إني لأدل عليك بثلاث، ما من نسائك امرأة تدل بهن: إن جدي وجدك واحد، وإني أنكحنيك الله من السماء، وإن السفير جبريل عليه السلام. (٨)
وقوله: ﴿لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا﴾ أي: إنما أبحنا لك تزويجها وفعلنا ذلك؛ لئلا يبقى حرج على المؤمنين في تزويج مطلقات الأدعياء، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة قد تبنى زيد بن حارثة، فكان يقال له: "زيد بن محمد"، فلما قطع الله هذه النسبة بقوله تعالى: ﴿وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾ ، ثم زاد ذلك بيانا وتأكيدا بوقوع تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش لما طلقها زيد بن حارثة؛ ولهذا قال في آية التحريم: ﴿وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم﴾ [النساء:٢٣] ليحترز من الابن الدعي؛ فإن ذلك كان كثيرا فيهم.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٦/٨٣

وقوله: ﴿وكان أمر الله مفعولا﴾ أي: وكان هذا الأمر الذي وقع قد قدره الله تعالى وحتمه، وهو كائن لا محالة، كانت زينب في علم الله ستصير من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) زيادة من ت، ف، أ، والمسند.

(٢) في أ: "سليم".

(٣) المسند (١٩٥/٣) وصحيح مسلم برقم (١٤٢٨) وسنن النسائي (٧٩/٦) .

(٤) صحيح البخاري برقم (٧٤٢٠) .

(٥) في ت: "عنهما".

(٦) عند الأية ١١.

(٧) في ت: "وروى".

(٨) تفسير الطبري (١١/٢٢) .." (١)

"الخطاب: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب؟ فأنزل الله آية الحجاب (١) .

وكان وقت نزولها في صبيحة عرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش، التي تولى الله تعالى تزويجها بنفسه، وكان ذلك في ذي القعدة من السنة الخامسة، في قول قتادة والواقدي وغيرهما.

وزعم أبو عبيدة معمر بن المثنى، وخليفة بن خياط: أن ذلك كان في سنة ثلاث، فالله أعلم.

قال (٢) البخاري: حدثنا محمد بن عبد الله الرقاشي، حدثنا معتمر بن سليمان، سمعت أبي، حدثنا أبو مجلز، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش، دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون، فإذا هو [كأنه] (٣) يتهيأ (٤) للقيام فلم يقوموا. فلما رأى ذلك قام، فلما قام [قام] (٥) من قام، وقعد ثلاثة نفر. فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ليدخل، فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا فانطلقت، فجئت فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد انطلقوا. فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل، فألقى [الحجاب] (٦) بيني وبينه، فأنزل الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي﴾ الآية.

وقد رواه أيضا في موضع آخر، ومسلم والنسائي، من طرق، عن معتمر بن سليمان، به (٧) . ثم رواه

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤٢٦/٦

البخاري منفردا به من حديث أيوب، عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، [بنحوه (٨) . ثم قال (٩) : حدثنا أبو معمر، حدثنا عبد الوارث، حدثنا عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك] (١٠) قال: بني [على] (١١) النبي صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش بخبز ولحم، فأرسلت على الطعام داعيا، فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون، ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون. فدعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه، فقلت: يا نبي الله، ما أجد أحدا أدعوه. قال: "ارفعوا طعامكم"، وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق إلى حجرة عائشة، فقال: "السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته". قالت: وعليك السلام ورحمة الله، كيف وجدت أهلك، بارك الله لك؟ فتقرى حجر نسائه كلهن، يقول لهن كما يقول لعائشة، ويقلن له كما قالت عائشة. ثم رجع رسول الله (١٢) صلى الله عليه وسلم فإذا رهط ثلاثة [في البيت] (١٣) يتحدثون. وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء، فخرج منطلقا نحو حجرة عائشة، فما أدري أخبرته أم أخبر أن القوم خرجوا؟ فرجع حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب داخله، وأخرى خارجه، **أرخى الستر بيني** وبينه، وأنزلت آية الحجاب.

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٣٩٩) .

(٢) في ت: "وروى".

(٣) زيادة من ت، ف، أ، والبخاري.

(٤) في ت: "تهيأ".

(٥) زيادة من ت، ف، أ، والبخاري.

(٦) زيادة من ت، ف، أ، والبخاري.

(٧) صحيح البخاري برقم (٤٧٩١) وبرقم (٦٢٣٩، ٦٢٧١) وصحيح مسلم برقم (١٤٢٨) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٤٢٠) .

(٨) صحيح البخاري برقم (٤٧٩٢) .

(٩) في ت: "قال البخاري".

(١٠) زيادة من ت، ف، أ.

(١١) زيادة من ت، ف، والبخاري، وفي أ: "بنى الله على النبي".

(١٢) في ت: "النبي".

(١٣) زيادة من ت، ف، أ، والبخاري.." (١)

"انفرد به البخاري من بين أصحاب الكتب [الستة] (١) ، سوى النسائي في اليوم والليلة، من حديث عبد الوارث (٢) .

ثم رواه عن إسحاق -هو ابن منصور -عن عبد الله بن بكر (٣) السهمي، عن حميد، عن أنس، بنحو ذلك (٤) ، وقال: "رجلان" انفرد به من هذا الوجه. وقد تقدم في أفراد مسلم من حديث سليمان بن المغيرة، عن ثابت، عن أنس.

وقال ابن أبي حاتم (٥) : حدثنا أبي، حدثنا أبو المظفر، حدثنا جعفر بن سليمان، عن الجعد -أبي عثمان اليشكري -عن أنس بن مالك قال: أعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض نسائه، فصنعت أم سليم حيسا ثم وضعته (٦) في تور، فقالت: اذهب بهذا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقرئه مني السلام، وأخبره أن هذا منا له قليل -قال أنس: والناس يومئذ في جهد -فجئت به فقلت: يا رسول الله، بعثت بهذا أم سليم إليك، وهي تقرئك السلام، وتقول: أخبره أن هذا منا له قليل، فنظر إليه ثم قال: "ضعه" فوضعته في ناحية البيت، ثم قال: "اذهب فادع لي فلانا وفلانا". وسمى رجالا كثيرا، وقال: "ومن لقيت من [المسلمين". فدعوت من قال لي، ومن لقيت من] (٧) المسلمين، فجئت والبيت والصفة والحجرة ملأى من الناس -فقلت: يا أبا عثمان، كم كانوا؟ فقال: كانوا زهاء ثلاثمائة -قال أنس: فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "جئ به". فجئت به إليه، فوضع يده عليه، ودعا وقال: "ما شاء الله". ثم قال: "ليتحلق عشرة عشرة، وليسموا (٨) ، وليأكل كل إنسان مما يليه". فجعلوا يسمون ويأكلون، حتى أكلوا كلهم. فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ارفعه". قال: فجئت فأخذت التور فما أدري أهو حين وضعت أكثر أم حين أخذت؟ قال: وتخلف رجال يتحدثون في بيت رسول الله، وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم التي دخل بها معهم مولية وجهها إلى الحائط، فأطالوا الحديث، فشقوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أشد الناس حياء -ولو أعلموا (٩) كان ذلك عليهم عزيزا -فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج فسلم على حجره وعلى نسائه، فلما رأوه قد جاء ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه، ابتدروا الباب فخرجوا، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أرخى الستر، ودخل البيت وأنا في الحجرة، فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته يسيرا، وأنزل الله عليه القرآن، فخرج وهو يقرأ هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٦/٤٥١

لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا﴾ إلى قوله: ﴿بكل شيء عليما﴾ . قال أنس: فقرأهن علي قبل الناس، فأنا أحدث الناس بهن عهدا.

---

(١) زيادة من ت، ف، أ.

(٢) صحيح البخاري برقم (٤٧٩٣) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١٠١٠١) .

(٣) في أ: "بكير".

(٤) صحيح البخاري برقم (٤٧٩٤) .

(٥) في ت: "روى مسلم والنسائي".

(٦) في ت، ف: "جعلت".

(٧) زيادة من ف، أ.

(٨) في ت، ف، أ: "ويسموا".

(٩) في ت، ف، أ: "علموا".." (١)

"رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك -أو خيبر-وفي سهوتها ستر فهبت الريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة -لعب-فقال: "ما هذا يا عائشة؟ " قالت: بناتي. ورأى بينهن فرسا له (١) جناحان من رقاع فقال: "ما هذا (٢) الذي أرى وسطهن؟ " قالت: فرس. قال: "وما هذا الذي عليه؟ " قالت: جناحان قال: "فرس له جناحان؟! " قالت: أما سمعت أن لسليمان خيل لها أجنحة؟ قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه صلى الله عليه وسلم (٣)

وقوله: ﴿فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب﴾ (٤) ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت (٥) صلاة العصر والذي يقطع به أنه لم يتركها عمدا بل نسيانا كما شغل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب (٦) وذلك ثابت في الصحيحين من غير وجه، من ذلك عن جابر قال: جاء عمر، رضي الله عنه يوم الخندق بعد ما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش، ويقول: يا رسول الله، والله ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس تغرب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والله ما صليتها" فقال: (٧) فقمنا إلى

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤٥٢/٦

بطحان فتوضأ للصلاة وتوضأنا (٨) لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب (٩) ويحتمل أنه كان (١٠) سائغا في ملتهم تأخير الصلاة لعذر الغزو والقتال. والخيل تراد للقتال. وقد ادعى طائفة (١١) من العلماء أن هذا كان مشروعا فنسخ ذلك بصلاة الخوف ومنهم من ذهب إلى ذلك في حال المسايفة والمضايقة، حيث لا يمكن صلاة ولا ركوع ولا سجود كما فعل الصحابة رضي الله عنهم في فتح تستر، وهو منقول عن مكحول والأوزاعي وغيرهما والأول أقرب؛ لأنه قال بعدها: ﴿ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والأعناق﴾

قال الحسن البصري. قال: لا والله لا تشغليني عن عبادة ربي آخر ما (١٢) عليك. ثم أمر بها فعقرت. وكذا قال قتادة.

وقال السدي: ضرب أعناقها وعراقيبها بالسيوف.

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: جعل يمسح أعراف الخيل، وعراقيبها حبالها. وهذا القول اختاره ابن جرير قال: لأنه لم يكن ليعذب حيوانا بالعرقبة ويهلك مالا من ماله بلا سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها. وهذا الذي رجح به ابن جرير فيه نظر؛ لأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا ولا سيما إذا كان غضبا لله عز وجل بسبب أنه

---

(١) في أ: "لها".

(٢) في أ: "ما هذا يا عائشة".

(٣) سنن أبي داود برقم (٤٩٣٢) .

(٤) في ت، س: "قال".

(٥) في ت، أ: "عن وقت".

(٦) في أ: "المغرب".

(٧) في ت: "قال".

(٨) في ت: "فتوضأنا".

(٩) صحيح البخاري برقم (٤١١٢) وصحيح مسلم برقم (٦٣١) .

(١٠) في أ: "ادعى هذا طائفة".

(١١) في س، أ: "أنه قد كان".

(١٢) في أ: "أحر ما".." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الرحمن (١) علم القرآن (٢) خلق الإنسان (٣) علمه البيان (٤) الشمس والقمر بحسبان (٥) والنجم والشجر يسجدان (٦) والسماء رفعها ووضع الميزان (٧) ألا تطغوا في الميزان (٨) وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان (٩) والأرض وضعها للأنام (١٠) فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام (١١) والحب ذو العصف والريحان (١٢) فبأي آلاء ربكما تكذبان (١٣) ﴾

يخبر تعالى عن فضله ورحمته بخلقه: أنه أنزل على عباده القرآن ويسر حفظه وفهمه على من رحمه، فقال: ﴿الرحمن. علم القرآن. خلق الإنسان. علمه البيان﴾ قال الحسن: يعني: النطق (١) . وقال الضحاك، وقتادة، وغيرهما: يعني الخير والشر. وقول الحسن ها هنا أحسن وأقوى؛ لأن السياق في تعليمه تعالى القرآن، وهو أداء تلاوته، وإنما يكون ذلك بتيسير النطق على الخلق وتسهيل خروج الحروف من مواضعها من الحلق واللسان والشفتين، على اختلاف مخارجها و أنواعها.

وقوله: ﴿الشمس والقمر بحسبان﴾ أي: يجريان متعاقبين بحساب مقنن لا يختلف ولا يضطرب، ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾ [يس: ٤٠] ، وقال تعالى: ﴿فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم﴾ [الأنعام: ٩٦] .

وعن عكرمة أنه قال: لو جعل الله نور جميع أبصار الإنس والجن والدواب والطير في عيني عبد، ثم كشف حجابا واحدا من سبعين حجابا دون الشمس، لما استطاع أن ينظر إليها. ونور الشمس جزء من سبعين جزءا من نور الكرسي، ونور الكرسي جزء من سبعين جزءا من نور العرش، ونور العرش جزء من سبعين جزءا من نور الستر. فانظر ماذا أعطى الله عبده من النور في عينيه وقت النظر إلى وجه ربه الكريم عيانا. رواه ابن أبي حاتم.

وقوله: ﴿والنجم والشجر يسجدان﴾ قال ابن جرير: اختلف المفسرون في معنى قوله: ﴿والنجم﴾ بعد إجماعهم على أن الشجر ما قام على ساق، فروى علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قال: النجم ما انبسط على وجه الأرض -يعني من النبات. وكذا قال سعيد بن جبير، والسدي، وسفيان الثوري. وقد اختاره ابن جرير رحمه الله.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٦٥/٧

وقال مجاهد: النجم الذي في السماء. وكذا قال الحسن وقتادة. وهذا القول هو الأظهر والله أعلم؛ لقوله تعالى: ﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس﴾ الآية [الحج: ١٨] .

---

(١) في أ: "المنطق".." (١)

"وقال مجاهد: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ ولو جادل عنها فهو بصير عليها. وقال قتادة: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ ولو اعتذر يومئذ بباطل لا يقبل منه. وقال السدي: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ حجته. وكذا قال ابن زيد، والحسن البصري، وغيرهم. واختاره ابن جرير.

وقال قتادة، عن زرارة، عن ابن عباس: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ يقول: لو ألقى ثيابه.

وقال الضحاك: ولو أرخى ستوره، وأهل اليمن يسمون الستر: المعذار.

والصحيح قول مجاهد وأصحابه، كقوله: ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ [الأنعام: ٢٣] وكقوله ﴿يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون﴾ [المجادلة: ١٨] .

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ هي الاعتذار (١) ألم تسمع أنه قال: ﴿لا ينفع الظالمين معذرتهم﴾ [غافر: ٥٢] وقال ﴿وألقوا إلى الله يومئذ السلم﴾ [النحل: ٨٧] ﴿فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء﴾ [النحل: ٢٨] وقولهم ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾

﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به (١٦) إن علينا جمعه وقرآنه (١٧) فإذا قرأناه فاتبع قرآنه (١٨) ثم إن علينا بيانه (١٩) ﴾

---

(١) في أ: "هي الأعذار".." (٢)

"قولان: أظهرهما الثاني: وقد يحذف مجزومها كقوله: [الكامل]

١٤٥ - إحفظ وديعتك التي استودعتها ... يوم الأعازب، إن وصلت، وإن لم

و «الكفر» أصله: الستر؛ ومنه: «الليل الكافر» ؛ قال: [الرجز]

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤٨٩/٧

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢٧٨/٨

١٤٦ - فوردت قبل انبلاج الفجر ... وابن ذكاء كامن في كفر

وقال [الكامل]

١٤٧ - فتذكرا ثقلا رثيدا بعدما ... ألقت ذكاء يمينها في كافر

والكفر - هنا - الجحود. وقال آخر: [الكامل]

١٤٨ - ... ... في ليلة كفر النجوم غمامها

قال أبو العباس المقرىء: ورد لفظ «الكفر» في القرآن على أربعة أضرب:

الأول: الكفر بمعنى ستر التوحيد وتغطيته قال تعالى: ﴿إن الذين كفروا سوآء عليهم أأنذرتهم﴾ ؟

الثاني: بمعنى الجحود قال تعالى: ﴿فلما جآءهم ما عرفوا كفروا به﴾ [البقرة: ٨٩] .

الثالث: بمعنى كفر النعمة، قال تعالى: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم﴾ [إبراهيم: ٧] أي: بالنعمة، ومثله: ﴿واشكروا لي ول ا تكفرون﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال تعالى: ﴿أأشكر أم أكفر﴾ [النمل: ٤٠] .

الرابع: البراءة، قال تعالى: ﴿إنا برءآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم﴾ [الممتحنة: ٤] أي: تبرأنا منكم، وقوله: ﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض﴾ [العنكبوت: ٢٥] .

و «سواء» اسم معنى الاستواء، فهو اسم مصدر، ويوصف على أنه بمعنى مستو، فيحتمل حينئذ ضميرا، ويرفع الظاهر، ومنه قولهم: «مررت برجل سواء والعدم» برفع «." (١)

"أي:

تمرون بالديار، ولكنه غير مقيس.

والثالث: أن يكون «غشاوة» اسما وضع موضع المصدر الملاقي ل «ختم» في المعنى؛ لأن الختم والتغشية يشتركان في معنى الستر، فكأنه قيل: «وختم التغشية» على سبيل التأكيد، فهو من باب «قعدت جلوسا» ، وتكون «قلوبهم وسمعهم وأبصارهم مختوما عليها مغشاة» .

وقال الفارسي: قراءة الرفع الأولى، لأن النصب إما أن تحمله على فعل يدل عليه «ختم» ، تقديره: وجعل على أبصارهم غشاوة، فهذا الكلام من باب: [الكامل]

١٦٠ - يا ليت زوجك قد غدا ... متقلدا سيفا ورمحا

وقوله: [الرجز]

١٦١ - علفتها تبنا وماء باردا ... حتى شتت همالة عيناها

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣١١/١

ولا تكاد تجد هذا الاستعمال في حالة سعة، ولا اختيار.
واستشكل بعضهم هذه العبارة، وقال: لا أدري ما معنى قوله؛ لأن النصب إما أن تحمله على «ختم» الزاهر، وكيف تحمل «غشاوة» المنصوب على «ختم» الذي هو فعل هذا ما لا حمل فيه؟
قال: اللهم إلا أن يكون أراد أن قوله تعالى: «ختم الله على قلوبهم» دعاء عليهم لا خبر، ويكون «غشاوة» في معنى المصدرية المدعو به عليهم القائم مقام الفعل، فكأنه قيل:." (١)

"اختبار الشيخ أبي الحسن، ورجحه الطبري، وهو ظاهر الآية أنه من الملائكة.
قال ابن عباس: «وكان اسمه عزازيل، وكان من أشراف الملائكة، وكان من أولي الأجنحة الأربعة ثم إبليس بعد» .
وروى سليمان بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان إبليس من الملائكة، فلما عصى الله غضب عليه فلعنه، فصار شيطانا.
وحكى الماوردي عن قتادة: أنه كان من أفضل صنف من الملائكة يقال لهم الجنة.
وقال سعيد بن جبير: إن الجن سبط من الملائكة خلقوا من نار، وإبليس منهم، وخلق معاشر الملائكة من نور.
حجة القول الأول، وهو أنه لم بكن من الملائكة وجوه:
أحدها: قوله تعالى: ﴿إلا إبليس كان من الجن﴾ [الكهف: ٥٠] وإذا كان من الجن وجب أن ألا يكون من الملائكة لقوله تعالى: ﴿ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١] ، وهذا صريح في الفرق بين الجن والملك.
فإن قيل: لا نسلم أنه كان من الجن، لأن قوله: ﴿كان من الجن﴾ [الكهف: ٥٠] يجوز أن يكون المراد كان من الجنة على ما روي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه كان من الجن كان خازن الجنة.
سلمنا ذلك، لكن لم لا يجوز أن يكون قوله: «من الجن» أي: صار من الجن كقوله: ﴿وكان من الكافرين﴾ .
سلمنا ما ذكرتم، فلم قلتم: إن كونه من الجن ينافي كونه من الملائكة؛ لأن الجن مأخوذ من الاجتنان، وهو الستر، ولهذا سمي الجنين جنينا لاجتنانه، ومنه الجنة لكونها سائرة، والجنة لكونها مستترة بالأغصان، ومنه الجنون لاستتار العقل به، والملائكة مستترون عن الأعين، فوجب جواز إطلاق لفظ الجن عليهم بحسب

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٢٢/١

اللغة، يؤيد هذا التأويل قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا﴾ [الصافات: ١٥٨] ، وذلك لأن قريشا قالت: الملائكة بنات الله، فهذه الآية تدل على أن الملائكة تسمى جنا.

والجواب: ل١ يجوز أن يكون المراد من قوله: «كان من الجن» أنه كان خازن الجنة؛ لأن قوله: ﴿إلا إبليس كان من الجن﴾ [الكهف: ٥٠] يشعر بتعليل تركه السجود." (١)

"وقوله: [البسيط]

٤١٢ - أو معبر الظهر ينبي عن وليته ... ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمرا

والمشهور قراءة «إنه» بكسر «إن» ، وقرئ بفتحها على تقدير لام العلة، وقرأ الأعمش: «آدم من ربه» مدغما.

فصل في نظم الآية

قوله: «فتاب عليه» أي: قبل توبته، أو وفقه للتوبة، وكان ذلك في يوم عاشوراء في يوم الجمعة.

فإن قيل: لم قال «عليه» ولم يقل: «عليهما» ، وحواء مشاركة له في الذنب.

فالجواب: انها كانت تبعا له كما طوى حكم النساء في القرآن والسنة.

وقيل: لأنه خصه بالذكر في أول القصة بقوله: ﴿اسكن﴾ [البقرة: ٣٥] ، فكذلك خصه بالذكر في التلقي.

وقيل: لأن المرأة حرمة ومستورة، فأراد **الله الستر بها**، ولذلك لم يذكرها في القصة في قوله: ﴿وعصىءادم ربه فغوى﴾ [طه: ١٢١] .." (٢)

"وقال أبو حيان - بعدما حكى أن «ما» في موضع نصب عن الفراء، ومن تبعه -: وقال أبو البقاء، وقد حكاه؛ وفيه نظر.

قال شهاب الدين: «وأبو البقاء لم يجعل النظر في هذا الوجه، إنما جعله في تضعيفه، بكونه يؤدي غلى تعدي فعل المضمر المتصل إلى ضميره المتصل في غير ما استثني، فإنه قال:» وضعف قوم هذا الوجه، وقالوا: لو كان كذلك لقال: ولأنفسهم، وفيه نظر «فجعل النظر في تضعيفه لا فيه» .

وقد يقال: وجه النظر أن الممتنع تعدى ذلك الفعل، أي: وقوعه على ما جر بالحرف، نحو: «زيد مر به» فإن المرور واقع ب «زيد» ، وأما ما نحن فيه، فليس الجعل واقعا بالجاعلين، بل ما يشتهون.

وكان أبو حيان يعترض دائما على القاعدة المتقدمة بقوله تعالى: ﴿وهزى إليك بجذع النخلة﴾ [مريم: ٢٥]

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٤١/١

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٧٨/١

﴿واضمم إليك جناحك من الرهب﴾ [القصص: ٣٢] .
والجواب عنهما ما تقدم، وهو أن الهز، والضم ليسا واقعين بالكاف، وقد تقدم لنا هذا البحث في مكان آخر، وإنما أعدته لصعوبته، وخصوصيته، هذا بزيادة فائدة، وأراد بقوله: ﴿ولهم ما يشتهون﴾ [النحل: ٥٧] أي: الشيء الذي يشتهونه، وهو الستر.
ثم إنه – تعالى – ذكر أن الواحد من هؤلاء المشركين لا يرضى بالبنت لنفسه فالذي لا يرتضيه لنفسه كيف ينسبه لله – تعالى – فقال تعالى: ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى﴾ .
التبشير في عرف اللغة: مختص بالخبر الذي يفيد السرور، إلا أن أصله عبارة عن الخبر الذي يؤثر في تغيير بشرة الوجه، ومعلوم أن السرور كما يوجب تغير البشرة، فكذلك الحزن يوجبه؛ فوجب أن يكون التبشير حقيقة في القسمين، ويؤكده قوله تعالى: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ [آل عمران: ٢١] . وقيل: المراد بالتبشير ههنا الإخبار.
قوله: ﴿ظل وجهه مسودا﴾ يجوز أن تكون «ظل» ليست على بابها من كونها تدل على الإقامة نهارا على الصفة المسندة إلى اسمها، وأن تكون بمعنى: «صار» وعلى التقديرين هي ناقصة، و «مسودا» خبرها.
وأما «وجهه» ففيه وجهان:
أشهرهما، وهو المتبادر إلى الذهن أنه اسمها.
والثاني: أنه بدل من الضمير المستتر في «ظل» : بدل بعض من كل، أي: ظل أحدهم وجهه، أي: ظل وجه أحدهم.
قوله: «كظيم» يجوز أن يكون بمعنى فاعل، وأن يكون بمعنى مفعول كقوله: ﴿وهو." (١)
"قوله تعالى: ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها﴾ .
(لما خاطب موسى عليه السلام بقوله: «فاعبدني وأقم الصلاة لذكري» أتبعه بقوله: «إن الساعة آتية أكاد أخفيها» ، وما أليق هذا بتأويل من تأول قوله: «لذكري» أي لأذكرك بالإثابة والكرامة فقال عقيب ذلك «إن الساعة آتية» لأنها وقت الإثابة ووقت المجازاة، ثم قال: «أكاد أخفيها» . العامة على ضم الهمزة من «أخفيها» .
وفيها تأويلات:
أحدها: أن الهمزة في «أخفيها» للسلب والإزالة، أي: أزيل خفاءها نحو: أعجمت الكتاب أي: أزلت

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٨٨/١٢

عجمته، وأشكيته أي أزلت شكواه، ثم في ذلك معينان:

أحدهما: أن الخفاء بمعنى (الستر) ، ومتى أزال سترها فقد أظهرها، والمعنى: أنها لتحقق وقوعها وقربها أكاد أظهرها لولا ما تقتضيه الحكمة من التأخير.

والثاني: أن الخفاء هو الظهور كما سيأتي، والمعنى: أزيل ظهورها، وإذا أزال ظهورها فقد استترت، والمعنى: أن لشدة إبهامها أكاد أخفيها فلا أظهرها ألبتة وإن كان لا بد من إظهارها، ولذلك يوجد في بعض المصاحف كمصحف أبي: «أكاد أخفيها من نفسي فكيف أظهركم عليها» وهو على عادة العرب في المبالغة في الإخفاء، قال الشاعر:

٣٦٤٤ - أيام تصحبني هند وأخبرها ... ما كدت أكتمه عني من الخبر." (١)

"المدينة قال: فكانت ام هانيء تواظبني على خدمة النبي - صلى الله عليه وسلم - فخدمته عشر سنين وتوفي وانا ابن عشرين فكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل وكان أول ما أنزل في مبتنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بزينب بنت جحش أصبح النبي - صلى الله عليه وسلم - بها عروسا فدعا القوم وأصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي رهط منهم عند النبي - صلى الله عليه وسلم - فأطالوا المكث فقام النبي - صلى الله عليه وسلم - وخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى النبي - صلى الله عليه وسلم - فمشيت حتى جاء عتبة حجرة عائشة ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع فرجعت معهم حتى إذا دخل على زينب فإذا هم جلوس لم يخرجوا فرجع النبي - صلى الله عليه وسلم - ورجعت معه حتى إذا بلغ عتبة حجرة عائشة فظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا فضرب النبي - صلى الله عليه وسلم - بيني وبينه بالستر - فأنزل الله الحجاب، (و) قال أبو عثمان واسمه الجعد عن أنس (قال) فدخل - يعني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - البيت **وأرخى الستر وإني** لفي الحجرة وهو يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾ إلى قوله: ﴿والله لا يستحيي من الحق﴾ وروي عن ابن عباس أنها نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيدخلون عيله قبل الطعام إلى أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتأذى بهم فنزلت الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي﴾ . وروى ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن أزواج النبي - صلى الله عيه وسلم - كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع وهو صعيد أفيح فكان عمر يقول للنبي - صلى الله عليه وسلم - احجب نساءك فلم يكن رسول الله يفعل فخرجت سودة بنت

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٣/١٩٩

زمعة زوج النبي – صلى الله عليه وسلم – ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر: قد عرفناك يا سودة حرصا على أن تنزل آية الحجاب فأنزل الله الحجاب، وعن أنس قال: قال عمر: وافقني ربي في ثلاثة، قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله:

﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾ [البقرة: ١٢٥] ، وقلت يا رسول الله: إنه يدخل عليك البر الفاجر فلو أمرت أمهات." (١)

"حيث النحو، فلأن الحقائق لا يوصف بها، فلا يقال: جسم رجل جاءني، كما يقال: جسم ناطق جاءني؛ لأن الوصف يقوم بالموصوف والحقيقة تقوم بنفسها لا بغيرها. فقولنا: عالم أي شيء له علم.

فصل

والخشية والخوف معناهما واحد عند أهل اللغة، لكن بينهما فرق، وهو أن الخشية خوف من عظمة المخشي، لأن تركيب حروف «ش ي خ» في تقاليبها يلزمه معنى الهيبة، يقال: شيخ للسيد وللرجل الكبير السن، وهما جميعا مهيبان والخوف خشية من ضعف الخاشي، لأن تركيب «خ وف» في تقاليبها يدل على الضعف، ويدل على ذلك أنه حيث كان الخوف من عظمة المخشي قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر: ٢٨] ، وقال: ﴿هم من خشية ربهم مشفقون﴾ [المؤمنون: ٥٧] مع أن الملائكة والجبل أقوياء وحيث كان الخوف من ضعف الخاشي سماه خوفا قال تعالى:

﴿ألا تخافوا ولا تحزنوا﴾ [فصلت: ٣٠] أي بسبب مكروه يلحقكم في الآخرة. وقال تعالى: ﴿خآئفا يترقب﴾ [القصص: ١٨] وقال: «إني أخاف أن يقتلون» لوحدته وضعفه هذا في أكثر الاستعمال وربما يتخلف (المدعى عنه لكن الكثرة كافية) .

فصل

معنى الآية من خاف الرحمن فأطاعه بالغيب، ولم يره. وقال الضحاك والسدي: يعني في الخلوة حيث لا يراه أحد. قال الحسن: إذا **أرخى الستر وأغلق** الباب.

﴿وجآء بقلب منيب﴾ هذه صفة مدح، لأن شأن الخائف أن يهرب، فأما المتقي فجاء ربه لعلمه أنه لا ينجي الفرار منه.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٧٩/١٥

وقوله: «منيب» أي مخلص مقبل على طاعة الله تعالى. والباء في «بقلب» إما للتعدية، وإما للمصاحبة، وإما للسببية.." (١)

"قوله: ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ . هذه الجملة حالية، وقد تقدم نظيرها مرارا.

والمعاذير: جمع معذرة على غير قياس ك» ملاقيح ومذاكير «جمع لقحة وذكر.

وللنحويين في مثل هذا قولان:

أحدهما: أنه جمع لملفوظ به وهو لقحة وذكر.

والثاني: أنه جمع لغير ملفوظ به بل لمقدر، أي ملقحة ومذكار.

وقال الزمخشري:» فإن قلت: أليس قياس «المعذرة» أن تجمع على معاذر لا معاذير؟ .

قلت: «المعاذير» ليست جمع «معذرة» بل اسم جمع لها، ونحوه: «المناكير» في المنكر «.

قال أبو حيان:» وليس هذا البناء من أبنية أسماء الجموع، وإنما هو من أبنية جموع التكسير «انتهى.

وقيل:» معاذير «جمع معذار، وهو الستر، والمعنى: ولو أرخى ستوره، والمعاذير: الستور بلغة» اليمن «، قاله الضحاك والسدي، وأنشد: [الطويل]

٤٩٩٣ - ولكنها ضنت بمنزل ساعة ... علينا وأطت فوقها بالمعاذر

قال الزجاج: المعاذير: الستور، والواحد: معذار.

أي وإن أرخى ستوره يريد أن يخفي عمله فنفسه شاهدة عليه، وقد حذف الياء من «المعاذر» ضرورة.

وقال الزمخشري: «فإن صح - يعني أن المعاذير: الستور - فلأنه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب» . وهذا القول منه يحتمل أن يكون بيانا للمعنى الجامع بين كون المعاذير: الستور والاعتذارات، وأن يكون بيانا للعلاقة المسوغة في التجويز.

فصل في معنى الآية

قال مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد وأبو العالية وعطاء والفراء والسدي: المعنى: ولو اعتذر وقال: لم أفعل شيئا لكان عليه من نفسه من يشهد عليه من جوارحه، فهو وإن اعتذر وجادل عن نفسه فعليه شاهد يكذب عذره «.." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤١/١٨

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٥٧/١٩

"على مالم يسم فاعله، و «خطاياكم» بهمز الألف الأولى دون الثانية، وبالعكس. والمعنى في هذه القراءات واحد؛ لأن الخطيئة إذا غفرها الله تعالى فقد غفرت، وإذا غفرت فإنما يغفرها الله.

والفعل إذا تقدم الاسم المؤنث، وحال بينه وبين الفاعل حائل جاز التذكير والتأنيث كقوله تعالى: ﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة﴾ [هود: ٦٧] . و ﴿وأخذت الذين ظلموا﴾ [هود: ٩٤] .

وقرأ الجحدري: «خطيئتكم» بمدة وهمزة وتاء مرفوعة بعد الهمزة.

وقرأ ابن كثير: «خطايأكم» بهمزة قبل اكاف.

وقرأ الكسائي: بكسر الطاء والتاء، والباقون بإمالة الياء.

و «الغفر» : الستر، ومنه المغفر: لسترة الرأسن وغفران الذنوبح لأنها تغطيها، وتقد تقدم الفرق بينه وبين العفوا.

و «الغفارة» : خرقة تستر الخمار أن يمسه دهن الرأس.

و «الخطيئة» من الخطأ، وأصله: العدول عن الجهة، وهو أنواع:

أحدها: إرادة غير ما تحسن إرادته، فيفعله، وهذا هو الأصل [التام] يقال منه: «خطىء يخطأ خطأ وخطأة» .

والثاني: أن يريد ما يحسن فعله، ولكن يقع بخلافه، يقال منه: أخطأ إخطاء، فهو مخطىء، وجملة الأمر أن من أراد شيئا، فاتفق منه غيره يقال: «أخطأ» ، وإن وقع كما أراد، يقال: «أصاب» ، وقد يقال لمن فعل فعلا لا يحسن أو أراد إرادة لا تجمل: إنه أخطأ ولهذا يقال: أصاب الخطأ، وأخطأ الصواب، وأصاب الصواب، وأخطأ الخطأ.

قوله: «وسنزيد المحسنين» أي نزيدهم إحسانا على الإحسان المتقدم عندهم، وهو." (١)

"وقال قتادة: الأبرار الذين يؤدون حق الله، ويوفون بالنذر، وفي الحديث: «الأبرار الذين لا يؤذون أحدا» .

﴿يشربون من كأس﴾ . أي: من إناء فيه الشراب.

قال ابن عباس: يريد الخمر.

والكأس في اللغة: الإناء فيه الشراب، وإذا لم يسم كأسا.

قوله تعالى: ﴿كان مزاجها كافورا﴾ المزاج: ما يمزج به أي: يخلط، يقال: مزجه يمزجه مزجا أي: خلطه

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٩٩/٢

يخلطه خلطا.

قال حسان: [الوافر]

٥٠٣٠ - كأن سبيئة من بيت رأس ... يكون مزاجها عسل وماء

فالمزاج كالقوام اسم لما يقاوم به الشيء، ومنه مزاج البدن: وهو ما يمازجه من الصفراء والسوداء والحرارة والبرودة.

و «الكافور» : طيب معروف، وكأن اشتقاقه من الكفر، **وهو الستر لأنه** يغطي الأشياء برائحته، والكافور أيضا: كمائم الشجر الذي يغطي ثمرتها.

قال بعضهم: الكافور: «فاعول» من الكفر كالناقور من النقر، والغاموس من الغمس، تقول: غامسته في الماء أي: غمسته، والكفر: القرية والجبل العظيم؛ قال: [الطويل]

٥٠٣١ - ... ... تطلع رياه من الكفرات

والكافور: البحر، والكافر: الليل، والكافر: الساتر لنعم الله تعالى، والكافر: الزارع لتوريته الحب في الأرض؛ قال الشاعر: [السريع]

٥٠٣٢ - وكافر مات على كفره ... وجنة الفردوس للكافر

والكفارة: تغطية الإثم في اليمين الفاجرة والنذور الكاذبة بالمغفرة، والكافور: ماء جوف شجر مكنون، فيغرزونه بالحديد، فيخرج إلى ظاهر الشجر، فيضربه الهواء فيجمد وينعقد كالصمغ الجامد على الأشجار.." (١)

"فوق سبع سمائيا

فشاذ، منصوص على قلته، فلا يلتفت إليه.

والثاني: أن يعدل إليه لمجاورة غيره، كقوله: ﴿وسبع سنبلات خضر﴾ [يوسف: ٤٣ و٤٦] عدل من «سنابل» إلى «سنبلات» ؛ لأجل مجاورته «سبع بقرات» ، ولذلك إذا لم توجد المجاورة، ميز بجمع التكسير دون جمع السلامة، وإن كان موجودا نحو: «سبع طرائق، وسبع ليال» مع جواز: طريقات، وليلات.

والحاصل أن الاسم إذا كان له جمعان: جمع تصحيح، وجمع تكسير، فالتكسير إما للقلة، أو للكثرة، فإن كان للكثرة: فإما من باب مفاعل، أو من غيره، فإن كان من باب مفاعل، أوثر على التصحيح، تقول: ثلاثة أحامد، وثلاث زيانب، ويجوز قليلا: أحمدين وزينبات.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٦/٢٠

وإن كان من غير باب مفاعل: فإما أن يكثر فيه من غير التصحيح، وغير جمع الكثرة، أو يقل.

فإن كان الأول: فلا يجوز التصحيح، ولا جمع الكثرة إلا قليلا؛ نحو: ثلاثة زيود، وثلاث هنود، وثلاثة أفلس، ولا يجوز: ثلاثة زيدين، ولا ثلاث هندات، ولا ثلاثة فلوس، إلا قليلا.

وإن كان الثاني: أوثر التصحيح وجمع الكثرة، نحو: ثلاث سعادات، وثلاثة شسوع، وعلى قلة يجوز: ثلاث سعائد، وثلاثة أشسع. فإذا تقرر هذا، فقوله: «سبع سنابل» جاء على المختار، وأما قوله «سبع سنبلات» ؛ فلأجل المجاورة كما تقدم.

وقيل: لما كان الكلام – ها هنا – في تضعيف الأجر، ناسبها جمع الكثرة، وفي سورة يوسف ذكرت في سياق الكلام في سني الجدب؛ فناسبها التقليل؛ فجمعت جمع القلة.

والسنبلة فيها قولان:

أحدهما: أن نونها أصلية؛ لقولهم: «سنبل الزرع» أي: أخرج سنبله.

والثاني: أنها زائدة، وهذا هو المشهور؛ لقولهم: «أسبل الزرع» ، فوزنها على الأول: فعللة، وعلى الثاني: فنعلة، فعلى ما ثبت من حكاية اللغتين: سنبل الزرع، وأسبل تكون من باب سبط وسبطر.

قال القرطبي: من أسبل الزرع: إذا صار فيه السنبل، كما **يسترسل الستر بالإسبال** وقيل: معناه: صار فيه حب مستور، كما يستر الشيء **بإسبال الستر عليه**.." (١)

"في كيفية النظم وجوه:

الأول: لما بين في الآية المتقدمة كمال الملك والعلم والقدرة له – تعالى –، وأن ذلك يوجب كمال صفة الربوبية، أتبع ذلك ببيان كون المؤمن في نهاية الانقياد والطاعة والخضوع لله – تعالى –، وذلك هو كمال العبودية.

الثاني: أنه – تعالى – لما قال: ﴿إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ [البقرة: ٢٨٤] وبين أنه لا يخفى عليه من سرنا وجهرنا شيء ألبتة، ذكر عقيب ذلك ما يجري مجرى المدح لنا؛ فقال: ﴿آمن الرسول بمآ أنزل إليه من ربه والمؤمنون﴾ كأنه بفضله يقول: عبدي، أنا وإن كنت أعلم جميع أحوالك، فلا أذكر منها إلا ما يكون مدحا لك، حتى تعلم أني الكامل في العلم والقدرة، فأنا كامل في الجود والرحمة، وفي إظهار الحسنات، **وفي الستر على** السيئات.

الثالث: أنه بدأ السورة بمدح المتقين ﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ [البقرة:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤/٣٧٩

٣] بين في آخر السورة أن الذين مدحهم في أول السورة هم أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – فقال: ﴿والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله﴾ وهذا هو المراد بقوله في أول السورة: ﴿يؤمنون بالغيب﴾ [البقرة: ٣] ، ثم قال ههنا ﴿غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ وهو المراد بقوله أول السورة: ﴿وبالآخرة هم يوقنون﴾ [البقرة: ٤] ثم." (١)

"فأراد الصباغ أن يغيب يوما لبعض مهماته، فقال له: هاهنا ثياب مختلفة، وقد جعلت على كل واحد علامة معينة، فاصبغها بتلك الألوان حتى يتم المقصود عند رجوعي، ثم غاب، فطبخ عيسى صلى الله عليه وسلم جبا واحدا، وجعل الجميع فيه، وقال: كوني بإذن الله كما أريد، فرجع الصباغ، وسأله، فأخبره بما فعل، فقال: أفسدت علي الثياب، قال: قم فانظر، فكان يخرج ثوبا أخضر، وثوبا أصفر، وثوبا أحمر، – كما كان يريد – إلى أن أخرج الجميع على الألوان التي أرادها، فتعجب الحاضرون منه وآمنوا به، وهم الحواريون.

قال القفال: ويجوز أن يكون بعض هؤلاء الحواريين الاثني عشر من الملوك، وبعضهم من صيادي السمك، وبعضهم من القصارين، وبعضهم من الصباغين، والكل سموا بالحواريين؛ لأنهم كانوا أنصار عيسى – عليه السلام – وأعوانه، والمخلصين في محبته وطاعته.

قوله: ﴿قال الحواريون نحن أنصار الله﴾ أي: أنصار أنبيائه؛ لأن نصرة الله – في الحقيقة – محال. ﴿آمنا بالله﴾ هذا يجري مجرى ذكر العلة، والمعنى: أنه يجب علينا أن نكون من أنصار الله؛ لأجل أن آمنا به؛ فإن الإيمان بالله يوجب نصرة دين الله، والذب عن أوليائه، والمحاربة لأعدائه، ثم قالوا: ﴿واشهد﴾ يا عيسى ﴿بأنا مسلمون﴾ أي: منقادون لما تريد منا من نصرتك.

ويحتمل أن يكون ذلك إقرارا منهم بأن دينهم الإسلام، وأنه دين كل الأنبياء – عليهم السلام – ولما أشهدوا عيسى على إيمانهم تضرعوا غلى الله، وقالوا: ﴿ربنآ آمنا بمآ أنزلت واتبعنا الرسول﴾ عيسى ﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ الذين شهدوا لأنبيائك بالصدق.

وقال عطاء: مع النبيين؛ لأن كل نبي شاهد أمته، وقد أجاب الله دعاءهم، وجعلهم مثل الأنبياء والرسل وأحيوا الموتى كما صنع عيسى – عليه السلام –.

قال ابن عباس: مع محمد وأمته، قال تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهدآء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ [البقرة: ١٤٣] .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٢٢/٤

وقيل: اجعلنا من تلك الفرقة الذين قرنت ذكرهم بذكرك في قولك: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم﴾ [آل عمران: ١٨] . قوله: ﴿مع الشاهدين﴾ حال من مفعول ﴿فاكتبنا﴾ وفي الكلام حذف، أي: مع الشاهدين لك بالوحدانية. قوله: ﴿ومكروا ومكر الله﴾ من باب المقابلة، أي: لا يجوز أن يوصف – تعالى – بالمكر إلا لأجل ما ذكر معه من لفظ آخر مسند لمن يليق به. هكذا قيل، وقد جاز ذلك من غير مقابلة في قوله: ﴿أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم﴾ [الأعراف: ٩٩] والمكر في اللغة أصله الستر، يقال: مكر الليل، أي أظلم وستر بظلمته ما فيه.." (١)

"الثاني: أن الكفر – في اللغة –: الستر. فسمي منع الجزاء كفرا؛ لأنه بمنزلة الجحد والستر.

فإن قيل: «شكر» و «كفر» لا يتعديان إلا إلى واحد، يقال: شكر النعمة، وكفرها – فكيف تعدى – هنا – لاثنين أولهما قام مقام الفاعل، والثاني: الهاء في «يكفروه» ؟ .

فقيل: إنه ضمن معنى فعل يتعدى لاثنين – كحرم ومنع، فكأنه قيل: فلن يحرموه، ولن يمنعوا جزاءه.

ثم قال: ﴿والله عليم بالمتقين﴾ واسم «الله» يدل على عدم العجز، والبخل، والحاجة؛ لأنه إله جميع المحدثات، وقوله: «عليم» يدل على عدم الجهل، وإذا انتفت هذه الصفات، امتنع المنع من الجزاء؛ لأن منع الحق لا بد وأن يكون لأحد هذه الأمور.

وقوله: ﴿بالمتقين﴾ – مع أنه عالم بالكل – بشارة للمتقين بجزيل الثواب.." (٢)

"قوله: ﴿ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار﴾ اعلم أنهم قد طلبوا من الله في هذا الدعاء ثلاثة أشياء:

أحدها: غفران الذنوب، والغفران: **هو الستر والتغطية**.

ثانيها: التكفير، وهو التغطية – أيضا – يقال: رجل مكفر بالسلاح – أي: مغطى – ومنه الكفر – أيضا –

قال الشاعر: [الكامل]

١٧١٥ – ... ... في ليلة كفر النجوم ظلامها

فالمغفرة والتكفير – بحسب اللغة – معناهما شيء واحد، وأما المفسرون فقال بعضهم: المراد بهما شيء واحد، وإنما أعيد ذلك للتأكيد؛ لأن الإلحاح والمبالغة في الدعاء أمر مطلوب.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥/٢٦٣

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥/٤٨٢

وقيل: المراد بالأول ما تقدم من الذنوب، وبالثاني المستأنف.

وقيل: المراد بالغفران ما يزول بالتوبة، وبالتكفير ما تكفره الطاعة العظيمة.

وقيل: المراد بالأول: ما أتى به الإنسان مع العلم بكونه معصية، وبالثاني ما أتى به مع الجهل.

ثالثها: قوله: ﴿وتوفنا مع الأبرار﴾ أي: توفنا معدودين في صحبتهم، فيكون الظرف متعلقا بما قبله، وقيل: تجوز به عن الزمان ويجوز أن يكون حالا من المفعول، فيتعلق بمحذوف.

وأجاز مكي، وأبو البقاء: أن يكون صفة لموصوف محذوف، أي: أبرارا مع الأبرار، كقوله: [الوافر]

١٧١٦ - كأنك من جمال بني أقيش ... يقعقع خلف رجليه بشن

أي: كأنك جمل من جمال.

قال أبو البقاء: « [تقديره] أبرارا مع الأبرار، وأبرارا - على هذا - حال» . والأبرار يجوز أن يكون جمع بار - كصاحب وأصحاب، ويجوز أن يكون جمع بر، بزنة: كتف وأكتاف، ورب وأرباب.

قال القفال: في تفسير هذه المعية وجهان:

أحدهما: أن وفاتهم معهم: هي أن يموتوا على مثل أعمالهم، حتى يكونوا في درجاتهم يوم القيامة، كما تقول: أنا مع الشافعي في هذه المسألة، أي: مساو له في ذلك الاعتقاد.." (١)

"في كيفية النظم وجهان:

أحدهما: أنه - تعالى - لما فضح المنافقين وهتك سترهم، وكان هتك الستر غير لائق بالرحيم الكريم، ذكر - تعالى - ما يجري مجرى العذر من ذلك؛ فقال: ﴿لا يحب الله الجهر بالسواء من القول إلا من ظلم﴾ يعني: لا يحب إظهار الفضائح، إلا في حق من عظم ضرره وكثر كيده ومكره، فعند ذلك يجوز إظهار فضائحه؛ ولهذا قال - عليه الصلاة والسلام -: «اذكروا الفاسق بما فيه كي يحذره الناس» والمنافقون قد كثر كيدهم." (٢)

"المذكورة، ويكون المعنى: ومن يرد الله كفره وضلالته، فلن يقدر أحد على دفع ذلك عنه، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم﴾ .

قال أهل السنة: دلت هذه الآية على أن الله تعالى غير مريد إسلام الكافر، وأنه لم يطهر قلبه من الشرك، ولو فعل ذلك لآمن.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٢١/٦

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٩٥/٧

وذكر المعتزلة في تعبير هذه الفتنة وجوها:

أحدها: أن الفتنة هي العذاب. قال تعالى: ﴿على النار يفتنون﴾ [الذاريات: ١٣] أي: يعذبون، فالمراد هنا: يريد عذابه لكفره.

وثانيها: ومن يرد الله فضيحته.

وثالثها: المراد الحكم بضلاله، وتسميته ضالا.

ورابعها: الفتنة: الاختبار؛ والمعنى: من يرد الله اختباره [فيما يبتليه] من التكاليف فيتركها ولا يقوم بأدائها، فلن تملك له من الله ثوابا ولا نفعا.

وأما قوله تعالى: ﴿أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم﴾ فذكروا فيه وجوها:

أحدها: لم يرد الله أن يهدي قلوبهم بالألطاف؛ [لأنه تعالى عۦلم أنه لا فائدة في تلك الألطاف لأنها لا تنجح في قلوبهم] .

ثانيها: لم يرد الله أن يطهر قلوبهم من الحرج والغم والوحشة الدالة على كفرهم.

وثالثها: أن هذه الاستعارة [عبارة] عن سقوط وقعه عند الله، وأنه غير ملتفت إليه بسبب قبح أفعاله، وقد تقدم [الكلام] على هذه الوجوه.

قوله تعالى: «أولئك» : مبتدأ، و ﴿لم يرد الله﴾ جملة فعلية خبره.

ثم قال تعالى: ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ وخزي المنافقين الفضيحة، **وهتك الستر بإظهار** نفاقهم، وخوفهم من القتل، وخزي اليهود: الجزية، وفضيحتهم، وظهور كذبهم، في كتمان نص الله تعالى في إيجاب الرجم. قوله تعالى ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ وهو الخلود في النار.." (١)

"وولى، فالثانية؛ لكنها قد تتحرك في الجمع في قولك: أول؛ كفضلى وفضل، فإن لم تتحرك ولم تحمل على متحرك، جاز الإبدال كهذه الآية الكريمة. ومثله ووطىء وأوطىء.

وقرأ يحيى بن وثاب «وري» بواو واحدة مضمومة وراء مكسورة، وكأنه من الثلاثي المتعدي، وتحتاج إلى نقل أن وريت كذا بمعنى واريته.

والمواراة: الستر، ومنه قوله - عليه الصلاة والسلام - لما بلغه موت أبي طالب لعلي: «اذهب فواره» .

ومنه قول الآخر: [مخلع السبيط]

٢٤٣٠ - على صدى أسود الموارِي ... في الترب أمسى وفي الصفيح

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٧/٣٣٩

وقد تقدم تحقيق هذه المادة

والجمهور على قراءة «سوءاتهما» بالجمع من غير نقل، ولا إدغام.

وقرأ مجاهد والحسن «سوتهما» بالإفراد وإبدال الهمز [واوا] وإدغام الواو فيها.

وقرأ الحسن أيضا، وأبو جعفر وشيبة بن نصاح «سواتهما» بالجمع وتشديد الواو بالعمل المتقدم.

وقرأ أيضا «سواتهما» بالجمع أيضا، إلا أنه نقل حركة الهمزة إلى الواو من غير عمل آخر، وكل ذلك ظاهر.

فمن قرأ بالجمع فيحتمل وجهين:

أظهرهما: أنه من باب وضع الجمع موضع التثنية كراهية اجتماع تثنيتين، والجمع أخوا التثنية فلذلك ناب منابها كقوله: ﴿صغت قلوبكمآ﴾ [التحريم: ٤] وقد تقدم تحقيق هذه القاعدة.

ويحتمل أن يكون الجمع هنا على حقيقته؛ لأن لكل واحد منهما قبلا، ودبرا، والسوءات كناية عن ذلك فهي أربع؛ فلذلك جيء بالجمع، ويؤيد الأول قراءة الإفراد فإنه لا تكون [كذلك] إلا والموضع موضع تثنية نحو: «مسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما» .

فصل في أن كشف العورة من المحرمات

دلت هذه الآية على أن كشف العورة من المنكرات، وأنه لم يزل مستهجنا في الطباع مستقبحا في العقول.

قوله: ﴿ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين﴾ .." (١)

"فعرضت له شجرة من شجر الجنة فحبسته بشعره فقال لها أرسليني؛ قالت: لست بمرسلتك، فناداه ربه: يا آدم أين تفر قال: لا يا رب، ولكني استحييتك»

وفي الآية دليل على أن كشف العورة قبيح من لدن آدم، ألا ترى أنهما كيف بادرا إلى الستر، لما تقرر في عقلهما من قبح كشف العورة.

قوله: «عليهما» قال أبو حيان: الأولى أن يعود الضمير في «عليهما» على عورتيهما، كأنه قيل: يخصفان على سوءأتيهما، وعاد بضمير الاثنين؛ لأن الجمع يراد بن اثنان.

ولا يجوز أن يعود الضمير على آدم وحواء؛ لأنه تقرر في علم العربية أنه لا يتعدى من فعل الظاهر والمضمر المتصل إلى الضمير المتصل إلى الضمير المتصل المنصوب لفظا أو محلا في غير باب «ظن» ، و «قعد» و «عدم» ، و «وجد» لا يجوز زيد ضربه، ولا ضربه زيد، ولا زيد مر به، ولا مر به زيد، فلو جعلنا الضميرس في «عليهما» عائدا على آدم وحواء للزم من ذلك تعدي يخصف إلى الضمير المنصوب محلا، وقد رفع

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٩/٥٥

الضمير المتصل، وهو الألف في «يخصفان» ، فإن أخذ ذلك على حذف مضاف مراد؛ جاز ذلك، تقديره: يخصفان على بدنيهما.

قال شهاب الدين: ومثل ذلك فيما ذكر ﴿وهزى إليك﴾ [مريم: ٢٥] . ﴿واضمم إليك جناحك﴾ [القصص: ٣٢] .

وقول الشاعر: [المتقارب]

٢٤٤٢ - هون عليك فإن الأمور ... بكف الإله مقاديرها

وقوله: [الطويل]

٢٤٤٣ - دع عنك نهبا صيح في حجراته ... ولكن حديثا ما حديث الرواحل

قوله: «من ورق» يحتمل وجهين:

أن تكون «من» لابتداء الغاية وأن تكون للتبعيض.؟

و «ناداهما ربهما» لم يصرح هنا باسم المنادى للعلم به.

وقوله: «ألم أنهكما» يجوز أن تكون هذه الجملة التقديرية مفسدة للنداء لا محل لها." (١)

"وقيل: بميسان «١» ، وأن إبليس نزل عند الأبلة «٢» .

[سورة البقرة (٢) : الآيات ٣٧ الى ٣٨]

فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم (٣٧) قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٣٨)

قوله تعالى: فتلقى آدم من ربه كلمات: المعنى: فقال الكلمات، فتاب الله عليه عند ذلك، وقرأ ابن كثير «٣» «آدم» بالنصب «من ربه كلمات» بالرفع، واختلف المتأولون في الكلمات، فقال الحسن بن أبي الحسن: هي قوله تعالى: ربنا ظلمنا أنفسنا ... «٤» الآية [الأعراف: ٢٣] ، وقالت طائفة: إن آدم رأى مكتوبا على ساق العرش: محمد رسول الله، فتشفع به، فهي الكلمات «٥» ، وسئل بعض سلف المسلمين عما ينبغي أن يقوله المذنب، فقال: يقول ما قاله أبواه: ربنا ظلمنا أنفسنا [الأعراف: ٢٣] وما قاله موسى: رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي [القصص: ١٦] وما قال يونس: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين [الأنبياء: ٨٧] وتاب عليه: معناه: راجع به، والتوبة، من الله تعالى الرجوع على عبده بالرحمة

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٦٤/٩

والتوفيق، والتوبة من العبد الرجوع عن المعصية، والندم على الذنب، مع تركه فيما يستأنف.

ت: يعني: مع العزم على تركه فيما يستقبل، وإنما خص الله تعالى آدم بالذكر في التلقي، والتوبة، وحواء مشاركة له في ذلك بإجماع لأنه المخاطب في أول القصة، فكملت القصة بذكره وحده وأيضا: فلأن المرأة حرمة ومستورة، فأراد الله **تعالى الستر لها** ولذلك لم يذكرها في المعصية في قوله: وعصى آدم ربه [طه: ١٢١] وبنية التواب للمبالغة والتكثير، وفي قوله تعالى: هو التواب تأكيد فائدته أن التوبة على العبد إنما هي

---

(١) «ميسان» : كورة واسعة كثيرة القرى والنخل، بين «البصرة» و «واسط» قصبتها «ميسان» .

ينظر: «مراصد الاطلاع» (٣/ ١٣٤٣) .

(٢) «الأبلة» : بلدة على شاطىء دجلة «البصرة» الءظمى، في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة «البصرة» .

ينظر: «مراصد الاطلاع» (١/ ١٨) .

(٣) عبد الله بن كثير الداري المكي، أبو معبد: أحد القراء السبعة. كان قاضي الجماعة ب «مكة» . وكانت حرفته العطارة. ويسمون العطار «داريا» . فعرف ب «الداري» . وهو فارسي الأصل، ولد سنة (٤٥ هـ.)

ب «مكة» وتوفي سنة (١٢٠ هـ.) بها أيضا.

ينظر: «وفيات الأعيان» (١: ٢٥٠) ، «الأعلام» (٤/ ١١٥) .

(٤) أخرجه الطبري (١/ ٢٨١) برقم (٧٧٨) ، وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ١١٨) ، وعزاه لعبد بن حميد، وذكره ابن كثير (١/ ٨١) .

(٥) ينظر: القرطبي (١/ ٢٧٦) .." (١)

"منها، فنسب إليها لأن الجميع من أهل الصلاة وكذلك: من أكثر من الجهاد، ومن الصيام على هذا المعنى، والريان: فعلان من الري، ومعنى الدعاء من تلك الأبواب:

إعطاؤه ثواب العاملين تلك الأعمال، ونيله ذلك، والله أعلم، وفيه: أن للجنة أبواب، يعني: متعددة بحسب الأعمال. انتهى.

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٢٢٣/١

وروى ابن أبي شيبة في «مسنده» ، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أن لكل أهل عمل بابا من أبواب الجنة يدعون فيه بذلك العمل» «١» . هذا لفظه على ما نقله صاحب «الكوكب الدري» .

انتهى.

قوله تعالى: قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى: هذا إخبار، جزم من الله تعالى أن القول المعروف وهو الدعاء والتأنيس والترجية بما عند الله- خير من صدقة، هي في ظاهرها صدقة، وفي باطنها لا شيء لأن ذلك القول المعروف فيه أجر، وهذه لا أجر فيها، **والمغفرة: الستر للخلة**، وسوء حالة المحتاج ومن هذا قول الأعرابي، وقد سأل قوما بكلام فصيح، فقال له قائل: ممن الرجل؟ فقال: «اللهم غفرا، سوء الاكتساب يمنع من الانتساب» .

وقال النقاش يقال: معناه: ومغفرة للسائل إن أغلظ أو جفا، إذا حرم.

ثم أخبر تعالى بغناه عن صدقة من هذه حاله، وحلمه عمن يقع منه هذا وإمهاله.

وحدث [ابن] الجوزي «٢» في «صفوة الصفوة» بسنده إلى حارثة بن النعمان «٣»

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٥٧٨) من حديث أبي هريرة.

(٢) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، القرشي، البغدادي، أبو الفرج، علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف، مولده في ٥٠٨ هـ، له ثلاثمائة مصنف، منها: «روح الأرواح» ، «الأذكياء وأخبارهم» ، «الناسخ والمنسوخ» ، «تلبيس إبليس» ، «صيد الخاطر» ، «غريب الحديث» ، وغيرها كثير جدا. توفي في ٥٩٧ هـ.

ينظر: «وفيات الأعيان» (١/ ٢٧٩) ، «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٨) ، «مفتاح السعادة» (١/ ٢٠٧) ، «ابن الوردي» (٢/ ١١٨) ، «آداب اللغة» (٣/ ٩١) ، «دائرة المعارف الإسلامية» (١/ ١٢٥) ، «الأعلام» (٣/ ٣١٧) ، «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٨- ٣٠) ، و «العبر» (٤/ ٢٩٧- ٢٩٨) ، و «هدية العارفين» (١/ ٥٢٠- ٥٢٣) .

(٣) حارثة بن النعمان بن نفع بن زيد بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري.

ذكره موسى بن عقبة وابن سعد فيمن شهد بدرا، وقد ذكره ابن إسحاق إلا أنه سمى جده رافعا. وقال ابن سعد: يكنى أبا عبد الله.

وكان برا بأمه، وهو عند أحمد من طريق معمر عن الزهري، عن عروة أو غيره ولفظه: كان أبر الناس بأمه.
ينظر: «الإصابة» (١/ ٧٠٧) .." (١)
"فيه: حسن غريب صحيح «١» .
والمغفرة: هي الستر على عباده في الدنيا والآخرة، والفضل: هو الرزق في الدنيا، والتوسعة فيه، والنعيم في الآخرة، وبكل قد وعد الله جل وعلا، وروي، أن في التوراة:
«عبدي، أنفق من رزقي، أبسط عليك فضلي، فإن يدي مبسوطة على كل يد مبسوطة» وفي القرآن مصداقه، وهو: وما أنفقتم من شيء/ فهو يخلفه وهو خير الرازقين [سبأ: ٣٩] . ٧٠ أت: روى الطبراني سليمان بن أحمد «٢» ، بسنده عن عبد الله بن عمرو، قال:
قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من أطعم أخاه حتى يشبعه، وسقاه من الماء، حتى يرويه، بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة مائة عام» «٣» . انتهى.
وعن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عري، كساه الله من خضر الجنة، وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، وأيما مسلم سقى مسلما على ظمإ، سقاه الله عز وجل من الرحيق المختوم» أخرجه أبو داود «٤» ، من حديث أبي خالد، هو الدالاني «٥» ، عن نبيح «٦» ،

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٢١٩- ٢٢٠) ، كتاب «التفسير» باب سورة البقرة، حديث (٢٩٨٨) ، وأبو يعلى (٨/ ٤١٧) رقم (٤٩٩٩) ، وابن حبان (٤٠- موارد) ، والطبري (٣/ ٨٨) كلهم من طريق عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود به.
وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.
(٢) سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم، ولد ب «عكا» سنة ٢٦٠ هـ. من كبار المحدثين، أصله من «طبرية» الشام، وإليها نسبته، رحل إلى الحجاز، واليمن، ومصر، والعراق، وفارس، والجزيرة، وتوفي سنة ٣٦٠ هـ ب «أصبهان» . له ثلاثة معاجم في الحديث، منها «المعجم الصغير» وله كتب في «التفسير» ، و «الأوائل» ، و «دلائل النبوة» وغير ذلك.
ينظر: «وفيات الأعيان» (١/ ٢١٥) ، و «النجوم الزاهرة» (٤/ ٩٥) ، و «تهذيب ابن عساكر» (٦/

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٥١٨/١

٢٤٠) ، و «الأعلام» (٣/ ١٢١) .

(٣) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٣٣) ، وقال: رواه الطبراني في «الكبير» و «الأوسط» بنحوه إلا أنه قال: من أطعم أخاه خبزا، وفيه رجاء بن أبي عطاء، وهو ضعيف.

(٤) أخرجه أبو داود (١/ ٥٢٦) كتاب «الزكاة» ، باب في فضل سقي الماء، حديث (١٦٨٢) من طريق أبي خالد الدالاني عن نبيح عن أبي سعيد مرفوعا.

(٥) أبو خالد الدالاني الكوفي، اسمه يزيد بن عبد الرحمن، عن عمرو بن مرة، والمنهال بن عمرو، وعنه الثوري، وشعبة، وثقه أبو حاتم، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال ابن عدي: في حديثه لين مات سنة مائة. ينظر: «الخلاصة» (٣/ ٢١٤) .

(٦) نبيح بن عبد الله، العنزي الكوفي، عن جابر، وابن عباس، وابن عمر، وعنه الأسود بن قيس وجماعة، وثقه أبو زرعة. ينظر: «الخلاصة» (٣/ ١٠٤) .." (١)

"وقوله سبحانه: ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه، جاء الخطاب لجميع المؤمنين، وإن كانت الأمور التي عاتبهم سبحانه عليها، لم يقع فيها جميعهم ولذلك وجوه من الفصاحة، منها: وعظ الجميع، وزجره إذ من لم يفعل معد أن يفعل إن لم يزجر، **ومنها: الستر والإبقاء** على من فعل، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد وعد المؤمنين النصر يومئذ على خبر الله إن صبروا وجدوا، فصدقهم الله وعده وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم صاف المشركين يومئذ، ورتب الرماة، على ما قد ذكرناه قبل هذا، واشتعلت نار الحرب، وأبلى حمزة بن عبد المطلب، وأبو دجانة «١» ، وعلي، وعاصم بن أبي الأقلح «٢» ، وغيرهم، وانهزم المشركون، وقتل منهم اثنان وعشرون رجلا، فهذا معنى قوله عز وجل: إذ تحسونهم بإذنه، والحس: القتل الذريع، يقال: حسهم إذا استأصلهم قتلا، وحس البرد النبات.

وقوله سبحانه: حتى إذا فشلتم، يحتمل أن تكون «حتى» غاية كأنه قال: إلى أن فشلتم، والأظهر الأقوى أن «إذا» على بابها تحتاج إلى الجواب، ومذهب الخليل، وسيبويه، وفرسان الصناعة أن الجواب محذوف يدل عليه المعنى، تقديره: انهزمتم، ونحوه، والفشل: استشعار العجز، وترك الجد، والتنازع هو الذي وقع بين الرماة، وعصيتم: عبارة عن ذهاب من ذهب من الرماة، وتأمل (رحمك الله) ما يوجبه الركون إلى الدنيا، وما ينشأ عنها من الضرر، وإذا كان مثل هؤلاء السادة على رفعتهم وعظيم منزلتهم، حصل لهم بسببها ما حصل من الفشل والهزيمة، فكيف بأمثالنا، وقد حذر الله عز وجل ونبيه- عليه السلام- من الدنيا وآفاتها

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١/٥٢٥

بما لا يخفى على ذي لب، وقد ذكرنا في هذا «المختصر» جملة كافية لمن وفقه الله، وشرح صدره، وقد خرج البغوي في «المسند المنتخب» له، عن النبي صلى الله عليه وسلم/ أنه قال: «لا تفتح الدنيا على أحد إلا ألقت بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة» «٣» . انتهى من »الكوكب الدري» .

---

(١) أبو دجانة الأنصاري: اسمه سماك بن خرشة، وقيل: ابن أوس بن خرشة، متفق على شهوده بدرا.
وقال علي: إنه استشهد باليمامة، وأسند ابن إسحاق من طريق يزيد بن السكن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما التحم القتال ذب عنه مصعب بن عمير (يعني يوم أحد) ، حتى قتل، وأبو دجانة سماك بن خرشة حتى كثرت فيه الجراحة. وقيل: إنه ممن شارك في قتل مسيلمة. ينظر: «الإصابة» (٧/ ٩٩- ١٠٠) .
(٢) عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، واسم أبي الأقلح: قيس بن عصمة بن النعمان بن مالك بن أمية بن صبيعة بن زيد بن مالك بن عمرو بن عوف، الأنصاري، جد عاصم بن عمرو بن الخطاب لأمه، من السابقين الأولين من الأنصار. ينظر: «الإصابة» (٣/ ٤٦٠) .
(٣) أخرجه أحمد (١/ ١٦) ، والبزار (٣٦٠٩- كشف) من حديث عمر بن الخطاب مرفوعا.
وقال المنذري في «الترغيب» (٤/ ٨٣) ، رواه أحمد بإسناد حسن، والبزار، وأبو يعلى.
وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٣٦) : رواه أحمد، والبزار، وأبو يعلى في «الكبير» ، وإسناده حسن.." (١)

"المستقبل، وقراءة الجمهور أمكن.

ثم أمر سبحانه الجميع بالتعاون على البر والتقوى، قال قوم: هما لفظان بمعنى، وفي هذا تسامح، والعرف في دلالة هذين أن البر يتناول الواجب والمندوب، والتقوى:
رعاية الواجب، فإن جعل أحدهما بدل الآخر، فبتجوز.
قلت: قال أحمد بن نصر الداودي: قال ابن عباس: البر ما أمرت به، والتقوى ما نهيت عنه «١» . انتهى، وقد ذكرنا في غير هذا الموضع أن لفظ التقوى يطلق على معان، وقد بيناها في آخر «سورة النور» ، وفي الحديث الصحيح: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه» «٢» ، قال ابن الفاكهاني، عند شرحه لهذا الحديث: وقد روينا في بعض الأحاديث: «من سعى في حاجة أخيه المسلم، قضيت له أو لم تقض- غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وكتب له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق» «٣» ،

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ١٢٣/٢

انتهى من «شرح الأربعين» حديثا.

ثم نهى تعالى عن التعاون على الإثم والعدوان، ثم أمر بالتقوى، وتوعد توعدا

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٤٠٦) .

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٧٤) ، كتاب «الذكر والدعاء» ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، حديث (٣٨/ ٢٦٩٩) ، والترمذي (٤/ ٢٦) كتاب «الحدود» ، باب ما جاء في الستر على المسلم، حديث (١٤٢٥) ، (٤/ ٢٨٧- ٢٨٨) كتاب البر والصلة» ، باب ما جاء في الستر على المسلم، حديث (١٩٣٠) ، وأبو داود (٢/ ٧٠٤) كتاب «الأدب» ، باب في المعونة للمسلم، حديث (٤٩٤٦) ، وابن ماجة (١/ ٨٢) المقدمة: باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، حديث (٢٢٥) ، وأحمد (٢/ ٢٠٢) ، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١١٩) ، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٢١- بتحقيقنا) كلهم من طريق الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعا.

قال النووي في «شرح مسلم» (٩/ ٢٨) .

ومعنى (نفس الكربة) : أزالها.

وفيه: فضل قضاء حوائج المسلمين، ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة وغير ذلك، وفضل الستر على المسلمين، وقد سبق تفصيله، وفضل إنظار المعسر، وفضل المشي في طلب العلم، ويلزم من ذلك الاشتغال بالعلم الشرعي، بشرط أن يقصد به وجه الله تعالى، وإن كان هذا شرطا في كل عبادة، لكن عادة العلماء يقيدون هذه المسألة به لكونه قد يتساهل فيه بعض الناس، ويغفل عنه بعض المبتدئين ونحوهم.

(٣) ذكره ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (٢/ ١٤٣) ، وعزاه للمنذري في «جزء غفران الذنوب» من حديث ابن عباس وقال: فيه أحمد بن بكار المصيصي، قال الحافظ في «اللسان» : عندي أنه أحمد بن بكر البالسي خبطوا في نسبه، والحديث موضوع.." (١)

"قال الجمهور: سببها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش، أو لم عليها ودعا الناس، فلما طعموا، قعد نفر في طائفة من البيت يتحدثون، فثقل على النبي صلى الله عليه وسلم مكانهم، فخرج ليخرجوا بخروجه، ومر على حجر نسائه، ثم عاد فوجدهم في مكانهم، وزينب في البيت معهم، فلما

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٣٣٩/٢

دخل وراءهم انصرف، فخرجوا عند ذلك، قال أنس بن مالك: فأعلم أو «١» أعلمته بانصرافهم، فجاء، فلما وصل الحجرة، أرخى الستر بيني وبينه ودخل، ونزلت آية الحجاب بسبب ذلك «٢» .

قال إسماعيل بن أبي حكيم: هذا أدب أدب الله به الثقلاء، وقالت عائشة وجماعة:

سبب الحجاب: كلام عمر للنبي صلى الله عليه وسلم مرارا في أن يحجب نساءه «٣» ، وناظرين معناه: منتظرين، وإناه: مصدر «أنى» الشيء يأني أني، إذا فرغ وحان، ولفظ البخاري: يقال:

إناه: إدراكه أنى يأنى إناءة، انتهى.

وقوله تعالى: والله لا يستحيي من الحق معناه: لا يقع منه ترك الحق، ولما كان ذلك يقع من البشر لعلة الاستحياء نفى عنه تعالى العلة الموجبة لذلك في البشر، وعن ثوبان، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث لا يحل لأحد أن يفعلهن لا يؤم رجل قوما ٧٦ ب فيخص نفسه بالدعاء دونهم فإن فعل، فقد خانهم، ولا ينظر في قعر بيت/ قبل أن يستأذن فإن فعل، فقد خان، ولا يصلي وهو حاقن حتى يتخفف» «٤» . رواه أبو داود

---

(١) في ج: و.

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٣٨٧) كتاب التفسير: باب لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم، حديث (٤٧٩١، ٤٧٩٢، ٤٧٩٣، ٤٧٩٤) ، وفي (٩/ ١٣٤) كتاب النكاح: باب الهدية للعروس، حديث (٥١٦٣) ، وفي (٩/ ١٣٧- ١٣٨) كتاب النكاح: باب الوليمة حق، حديث (٥١٦٦) ، وفي (١١/ ٢٤) كتاب الاستئذان: باب آية الحجاب، حديث (٦٢٣٨، ٦٢٣٩) ، ومسلم (٢/ ١٠٥٠- ١٠٥٢) كتاب النكاح: باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب، حديث (٩٣، ٩٤/ ١٤٢٨) ، والنسائي في «التفسير» (٤٤٠) ، والطبري في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٣- ٣٢٤) رقم (٢٨٦٠٥- ٢٨٦٠٨) ، والبيهقي (٧/ ٨٧) كتاب النكاح: باب سبب نزول آية الحجاب، كلهم من حديث أنس.

وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٠١) ، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

(٣) أخرجه الطبري (١٠/ ٣٢٦) (٢٨٦١٩) ، وذكره البغوي (٣/ ٥٤٠) ، وابن عطية (٤/ ٣٩٥) ، وابن كثير في «تفسيره» (٥٠٥١٣) بنحوه، والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٤٠٣) ، وعزاه لابن جرير عن عائشة رضي الله عنها بنحوه.

(٤) أخرجه أبو داود (١/ ٧٠) كتاب الطهارة: باب أيصلي الرجل وهو حاقن، حديث (٩٠) ، والترمذي (٢/ ١٨٩) كتاب الصلاة: باب ما جاء في كراهية أن يخص الإمام نفسه بالدعاء، حديث (٣٥٧) ، وابن ماجه (١/ ٢٠٢) كتاب الطهارة: باب ما جاء في النهي للحاقن أن يصلي، حديث (٦١٩) ، وأحمد (٥/ ٢٨٠) -[.....]." [1]

"الإيمان، إن البذاذة من الإيمان» «١» قال أبو داود: يعني: التقحل، وفسر أبو عمر بن عبد البر: «البذاذة» برث الهيئة، ذكر ذلك في «التمهيد» ، وكذلك فسرها غيره، انتهى، وروى ابن المبارك في «رقائقه» من طريق الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه خرج في أصحابه إلى بقيع الغرقد، فقال: «السلام عليكم يا أهل القبور، لو تعلمون ما نجاكم الله منه مما هو كائن بعدكم! ثم أقبل على أصحابه، فقال: هؤلاء خير منكم قالوا: يا رسول الله، إخواننا، أسلمنا كما أسلموا، وهاجرنا كما هاجروا، وجاهدنا كما جاهدوا، وأتوا على آجالهم فمضوا فيها وبقينا في آجالنا، فما يجعلهم خيرا منا؟! قال: هؤلاء خرجوا من الدنيا لم يأكلوا من أجورهم شيئا، وخرجوا وأنا الشهيد عليهم، وإنكم قد أكلتم من أجوركم، ولا أدري ما تحدثون من بعدي؟ قال: فلما سمعها القوم عقلوها وانتفعوا بها، وقالوا: إنا لمحاسبون بما/ أصبنا من الدنيا، و إنه لمنتقص به من أجورنا» «٢» انتهى،، ومنها حديث ثوبان في «سنن أبي داود» : قال ثوبان: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر كان آخر عهده بإنسان من أهله فاطمة، وأول من يدخل عليها فاطمة، فقدم من غزاة، وقد علقت مسحا أو سترا على بابها، وحلت الحسن والحسين قلبين من فضة، فلم يدخل، فظنت أنما منعه أن يدخل ما رأى فهتكت الستر، وفكت القلبين عن الصبيين وقطعتهما عنهما، فانطلقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكيان، فأخذهما منهما، وقال: يا ثوبان، اذهب بهما إلى آل فلان إن هؤلاء أهلي أكره أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا، يا ثوبان، اشتر لفاطمة قلادة من عصب وسوارين من عاج» انتهى «٣» ، - ص-: قرأ الجمهور: «أذهبتم» على الخبر، أي: فيقال لهم: أذهبتم طيباتكم، وابن كثير بهمزة بعدها مدة مطولة، وابن عامر بهمزتين حققها ابن ذكوان، ولين الثانية هشام وابن كثير في رواية «٤» ، والاستفهام هنا على معنى التوبيخ والتقرير، فهو خبر في المعنى، ولهذا حسنت الفاء في قوله: فاليوم، ولو كان استفهاما محضا لما دخلت الفاء، انتهى، وعذاب الهون هو الذي اقترن به هوان، فالهون والهوان بمعنى.

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٣٥٦/٤

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٤٧٤) كتاب «الترجل» باب: (١) (٤١٦١) ، والحميدي (١/ ١٧٣) (٣٥٧) ، وابن ماجه (٢/ ١٣٧٩) كتاب «الزهد» باب: من لا يؤبه له (٤١١٨) ، والحاكم (١/ ٩) .
(٢) أخرجه ابن المبارك (١/ ١٧١) برقم: (٤٩٨) . [.....]
(٣) أخرجه أبو داود (٢/ ٤٨٦- ٤٨٧) كتاب «الترجل» باب: ما جاء في الانتفاع بالعاج، (٤٢١٣) ، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٣) ، وعزاه إلى أحمد، والبيهقي في «شعب الإيمان» .
(٤) ينظر: «الحجة» (٦/ ١٨٨) ، و «إعراب القراءات» (٢/ ٣٢٠) ، و «معاني القراءات» (٢/ ٣٨١) ، و «العنوان» (١٧٥) ، و «حجة القراءات» (٦٦٥) ، و «إتحاف» (٢/ ٤٧٢) .." [1]

"وقوله عز وجل: ألم نهلك الأولين ثم نتبعهم الآخرين ... الآية، قرأ الجمهور: «نتبعهم» - بضم العين- على استئناف الخبر، وروي عن أبي «١» عمرو: «نتبعهم» بجزم العين عطفا على «نهلك» وهي قراءة الأعرج، فمن قرأ الأولى جعل الأولين الأمم التي تقدمت قريشا بأجمعها، ثم أخبر أنه يتبع الآخرين من قريش وغيرهم سنن أولئك إذا كفروا وسلكوا سبيلهم، ومن قرأ الثانية جعل الأولين قوم نوح وإبراهيم ومن كان معهم، والآخرين قوم فرعون وكل من تأخر وقرب من مدة النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: كذلك نفعل بالمجرمين أي: في المستقبل، فيدخل هنا قريش وغيرها، وأما تكرار قوله تعالى: ويل يومئذ للمكذبين في هذه السورة فقيل: ذلك لمعنى التأكيد فقط، وقيل: بل في كل آية منها ما يقتضي التصديق، فجاء الوعيد على التكذيب بذلك الذي في الآية، والماء المهين:

معناه الضعيف، والقرار المكين: الرحم وبطن المرأة، والقدر «٢» المعلوم: هو وقت الولادة [ومعناه] معلوم عند الله، وقرأ نافع والكسائي: «فقدرنا» - بتشديد الدال-، والباقون بتخفيفها، وهما بمعنى من القدرة والقدر ومن التقدير والتوقيت.

ت: وفي كلام ع: تلفيف، وقال غيره: فقدرنا بالتشديد من التقدير وبالتخفيف من القدرة، وهو حسن.

وقوله: القادرون يرجح قراءة الجماعة إلا أن ابن مسعود روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه فسر «القادرون» بالمقدرين، **والكفات: الستر والوعاء** الجامع للشيء بإجماع تقول: كفت الرجل شعره إذا جمعه بخرقة، والأرض تكفت الأحياء على ظهرها، وتكفت الأموات في بطنها، وخرج الشعبي إلى جنازة فنظر إلى الجبانة فقال: هذه كفات الموتى، ثم نظر إلى البيوت فقال: وهذه كفات الأحياء.

قال/ ع «٣» : ولما كان القبر كفاتا كالبيت، قطع من سرق منه، والرواسي:

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٥/٢٢١

الجبال، والشوامخ: المرتفعة، والفرات: الصافي العذب، والضمير في قوله: انطلقوا

---

(١) وقرأ بها الأعرج كما في «المحتسب» (٢/ ٣٤٦) .

وينظر: «مختصر الشواذ» ص: (١٦٧) ، و «المحرر الوجيز» (٥/ ٤١٨) ، و «البحر المحيط» (٨/ ٣٩٧) ، و «الدر المصون» (٦/ ٤٥٦) .

(٢) ينظر: «السبعة» (٦٦٦) ، و «الحجة» (٦/ ٣٦٥) ، و «إعراب القراءات» (٢/ ٤٢٨) ، و «شرح الطيبة» (٦/ ٩٣) ، و «العنوان» (٢٠٢) ، و «حجة القراءات» (٧٤٣) ، و «شرح شعلة» (٦١٧) ، و «إتحاف» (٢/ ٥٨١) .

(٣) ينظر: «المحرر الوجيز» (٥/ ٤١٩) . [.....]."[١]

"(وامرأته) سارة، (قآئمة) **وراء الستر أو** قائمة بخدمتهم، (فضحكت) سرورا بالأمن أو تعجبا، وقالت: يا عجبا بأضيافنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة وهم لا يأكلون طعامنا أو تعجبا من خوف إبراهيم من رجال قلائل وهو بين خدمه وحشمه، أو ضحكت بمعنى حاضت، (فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب) بشروها بأن لها ولدا يكون له عقب ونسل فإن يعقوب ولد إسحاق ونصب يعقوب لأنه في تقدير وهبناها من وراء إسحاق يعقوب، أو بحذف حرف الجر وإيصال الفعل، ومن قرأ بالرفع فهو مبتدأ، أي: ويعقوب مولود من بعده، (قالت يا ويلتى) أي: يا عجبا، (أألد وأنا عجوز) ابنة تسعين أو تسع وتسعين، (وهذا بعلي): زوجي، (شيخا) ابن مائة وعشرين أو مائة [ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الإشارة]، (إن هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله) قدرته، (رحمت الله وبركاته عليكم) فتخصيصكم بمزيد الكرامات لا عجب، (أهل البيت) أي: أهل بيت إبراهيم وهو خبر من الملائكة أو دعاء

---

(١) لعل في هذا الموضع سقطا والله أعلم.، وما بين المعقوفتين زيادة من تفسير البيضاوي. اهـ (مصحح النسخة الإلكترونية).." [٢]

"(كلا)، ردع عن طلب الفرار، (لا وزر): لا ملجأ، (إلى ربك): وحده، (يومئذ المستقر): استقرار العباد، (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر): بأعمال أوائل عمره وأواخره، أو بما عمله وما تركه، أو بأعمال

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٥٣٨/٥

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ١٨٧/٢

عملها، وبأعمال أخرها فعمل بها كسنة حسنة وسيئة، (بل الإنسان على نفسه بصيرة): حجة بينة تشهد جوارحه عليه نحو: لما جاءت آياتنا مبصرة أو عين بصيرة يعني لا يحتاج إلى الإنباء، (ولو ألقى معاذيره): ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه جمع معذار، وهو العذر، أي: لا ينفعه عذره؛ لأن من نفسه من يكذبه، وعن بعض: ولو ألقى الستور وأخفى الذنب كل الإخفاء، وأهل اليمن يسمون الستر معذارا، (لا تحرك): يا محمد، (به): بالقرآن، (لسانك لتعجل به): لتأخذه على عجلة قد صح عن ابن عباس - رضي الله عنهما - وغيره: إنه إذا نزل جبريل بالوحي قرأ النبي - عليه السلام - قبل فراغه مسارعة إلى الحفظ، وخوفا من الانفلات. فنزل: (إن علينا جمعه): في صدرك، (وقرآنه): إثبات قراءته في لسانك، (فإذا قرأناه): بلسان الملك عليك، وأصغيته، (فاتبع قرآنه): فاتبع قراءته، وكن مقفيا له فيه، (ثم إن علينا بيانه): بيان ما أشكل عليك، (كلا)، ردع لإلقاء المعاذير، (بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة): تختارون الدنيا على العقبى، ولا تعملون للعقبى، والخطاب لجنس الإنسان؛ لأن فيهم من." (١)

"﴿إن الذين كفروا﴾ كلام مستأنف سيق لشرح أحوال الكفرة الغواة المردة العتاة إثر بيان أحوال أضدادهم المتصفين بنعوت الكمال الفائزين بمباغيهم في الحال والمآل وإنما ترك العاطف بينهما ولم يسلك به مسلك قوله تعالى ﴿إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم﴾ لما بينهما من التنافي في الأسلوب والتباين في الغرض فإن الأولى مسوقة لبيان رفعة شأن الكتاب في باب الهداية والإرشاد وأما التعرض لأحوال المهتدين به فإنما هو بطريق الاستطراد سواء جعل الموصول موصولا بما قبله أو مفصولا عنه فإن الاستئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام المتقدم فهو من مستتبعاته لا محالة وأما الثانية فمسوقة لبيان أحوال الكفرة أصالة وترامي أمرهم في الغواية والضلال إلى حيث لا يجديهم الإنذار والتبشير ولا يؤثر فيهم العظة والتذكير فهم ناكبون في تيه الغي والفساد عن منهاج العقول وراكبون في مسلك المكابرة والعناد متن كل صعب وذلول وإنما أوثرت هذه الطريقة ولم يؤسس الكلام على بيان أن الكتاب هاد للأولين وغير مجد للآخرين لأن العنوان الأخير ليس مما يورثه كمالا حتى يتعرض له في أثناء تعداد كمالاته وإن من الحروف التي تشابه الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم الأسماء ودخول نون الوقاية عليها كإنني ولعلني ونظائرهما وإعطاء معانيه والمتعدى خاصة في الدخول على اسمين ولذلك أعملت عمله الفرعي وهو نصب الأول ورفع الثاني إيذانا بكونه فرعا في العمل دخيلا فيه وعند الكوفيين لا عمل لها في الخبر بل هو باق على حاله بقضية الاستصحاب وأجيب بأن ارتفاع الخبر مشروط بالتجرد عن العوامل وإلا لما انتصب خبر كان

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ٤١٢/٤

وقد زال بدخولها فتعين إعمال الحرف وأثرها تأكيد النسبة وتحقيقها ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الأجوبة ويؤتى بها في مواقع الشك والإنكار لدفعه ورده قال المبرد قولك عبد الله قائم إخبار عن قيامه وإن عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه شاك فيه وإن عبد الله القائم جواب منكر لقيامه وتعريف الموصول إما للعهد والمراد به ناس بأعيانهم كأبي لهب وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم وأحبار اليهود أو للجنس وقد خص منه غير المصرين بما أسند إليه من قوله تعالى سواء عليهم الخ والكفر في اللغة ستر النعمة وأصله الكفر بالفتح **أي الستر ومنه** قيل للزراع والليل كافر قال تعالى ﴿كمثل غيث أعجب الكفار نباته﴾ وعليه قول لبيد ... في ليلة كفر النجوم غمامها ... ومنه المتكفر بسلاحه وهو الشاكي الذي غطى السلاح بدنه وفي الشريعة إنكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم به وإنما عد لبس الغيار وشد الزنار بغير اضطرار ونظائرهما كفرا لدلالته على التكذيب فإن من صدق النبي صلى الله عليه وسلم لا يكاد يجترئ على أمثال ذلك إذ لا داعي إليه كالزنى وشرب الخمر واحتجت المعتزلة على حدوث القرآن بما جاء فيه بلفظ الماضي على وجه الإخبار." (١)

"﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ تواردت في شأن الخمر أربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فطفق المسلمون بشربونها ثم إن عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين قالوا أفتنا يا رسول الله في الخمر فإنها مذهبة للعقل فنزلت هذه الآية فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا فسكروا فأقام أحدهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى الآية فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن أبي وقاص في نفر فلما سكروا تفاخروا وتناشدوا حتى أنشد سعد شعرا فيه هجاء الأنصار فضربه أنصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت إنما الخمر والميسر إلى قوله تعالى فهل أنتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة منها في بئر فبنيت في مكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف فنبت فيه الكلأ لم أرعه وعن ابن عمر رضي الله عنهما لو أدخلت أصبعي فيها لم تتبعني وهذا هو الإيمان والتقى حقا رضوان الله تعالى عليهم أجمعين والخمر مصدر خمره أي ستره سمي به من عصير العنب ما غلى واشتد وقذف بالزبد لتغطيتها العقل والتمييز كأنها **نفس الستر كما** سميت سكرا لأنها تسكرهما أي تحجزهما والميسر مصدر ميمي من يسر كالموعد والمرجع يقال يسرته إذا قمرته

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٣٥/١

واشتقاقه إما من اليسر لأنه أخذ المال بيسر من غير كد وإما من اليسار لأنه سلب له وصفته أنه كانت لهم عشرة أقداح هي الأزلام زالاقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها عشرة أجزاء وقيل ثمانية وعشرين إلا الثلاثة هي المنيح والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوأم." (١)

"كلمة من متعلقة بمحذوف وقع حالا من ربائبكم او من ضميرها المستكن في الظرف لأنه لما وقع صلة تحمل ضميرا أي وربائبكم اللاتي استقررن في حجوركم كائنات من نسائكم الخ ولا مساغ لجعله حالا من أمهات أو مما أضيفت هي إليه خاصة وهو بين لا سترة به ولا مع ما ذكر أولا ضرورة أن حاليته من ربائبكم أو من ضمير ما تقتضي كون كلمة من ابتدائية وحاليته من أمهات أو من نسائكم تستدعي كونها بيانية وادعاء كونها اتصالية منتظمة لمعنى الابتداء والبيان او جعل الموصول صفة للنساء مع اختلاف عامليهما مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن أمثاله مع أنه سعي في إسكات ما نطق به النبي صلى الله عليه وسلم واتفق عليه الجمهور حسبما ذكر فيما قبل وأما ما نقل من القراءة فضعيفة الرواية وعلى تقدير الصحة محمولة على النسخ ومعنى الدخول بهن إدخالهن الستر والباء للتعدية وهي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب وفي حكمه اللمس ونظائرها كما مر

﴿فإن لم تكونوا﴾ أي فيما فبل

﴿دخلتم بهن﴾ أصلا

﴿فلا جناح عليكم﴾ أي في نكاح الربائب وهو تصريح بما أشعر به ما قبله والفاء الأولى لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن بيان حكم الدخول مستتبع لبيان حكم عدمه

﴿وحلائل أبنائكم﴾ أي زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها للزوج أو لحلولها في محله وقيل لحل كل منهما إزار صاحبه وفي حكمهن مزنياتهم ومن يجرين مجراهن من الممسوسات ونظائرهن وقوله تعالى

﴿الذين من أصلابكم﴾ لإخراج الأدعياء دون أبناء الأولاد والأبناء من الرضاع فإنهم وإن سفلوا في حكم الأنباء الصلبية

﴿وأن تجمعوا بين الاختين﴾ في حيز الرفع عطفا على ما قبله من المحرمات والمراد به جمعهما في النكاح لا في ملك اليمن وأما جمعهما في الوطء بملك اليمن فملحق به بطريق الدلالة لاتحادهما في المدار ولقوله عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجمعن ماءه في رحم أختين بخلاف نفس

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢١٨/١

ملك اليمين فإنه ليس في معنى النكاح في الأفضاء إلى الوطء ولا مستلزما له ولذلك يصح شراء المجوسية دون نكاحها حتى لو وطئهما لايحل له وطء إحداهما حتى يحرم عليه وطء الأخرى بسبب من الأسباب وكذا لو تزوج أخت أمته الموطوءة لا يحل له وطء إحداهما حتى يحرم عليه الأخرى لأن المنكوحة موطوءة حكما فكأنه جمعهما وطأ وإسناد الحرمة إلى جمعهما لا إلى الثانية منهما بأن يقال وأخوات نسائكم للاحتراز عن إفادة الحرمة المؤبدة كما في المحرمات السابقة ولكونه بمعزل من الدلالة على حرمة الجمع بينهما على سبيل المعية ويشترك في هذا الحكم الجمع بين المرأة وعمتها ونظائرها بل أولى فإن العمة والخالة بمنزلة الأم فقوله عليه السلام لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها ولا على ابنة أخيها ولا على ابنة أختها من قبيل بيان التفسير لابيان التغيير وقيل هو مشهور يجوز به الزيادة على الكتاب

﴿إلا ما قد سلف﴾ استثناء منقطع أي لكن ما قد مضى لاتؤاخذون به ولا سبيل إلى جعله متصلا بقصد التأكيد والمبالغة كما مر فيما سلف لأن قوله تعالى

﴿إن الله كان غفورا رحيما﴾ تعليل لما أفاده الاستثناء فيتحتم الانقطاع وقال عطاء والسدي معناه إلا ما كان من يعقوب عليه السلام فإنه قد جمع بين ليا أم يهوذا وبين راحيل أم يوسف عليه الصلاة والسلام ولا يساعده التعليل لأن ما فعله يعقوب عليه السلام كان حلالا في شريعته وقال ابن عباس رضي الله عنهما أهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله." (١)

"﴿ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا﴾ على أن الضمير الأول للنذير المفهوم من فحوى الكلام بمعونة المقام وإنما لم يجعل للملك المذكور قبله بأن يعكس ترتيب المفعولين ويقال لو جعلناه نذيرا لجعلناه رجلا مع فهم المراد منه أيضا لتحقيق أن مناط إبراز الجعل الأول في معرض الفرض والتقدير ومدار استلزامه للثاني إنما هو ملكية النذير لا ذيرية الململك وذلك لأن الجعل حقه أن يكون مفعوله الأول مبتدأ والثاني خبرا لكونه بمعنى التصيير المنقول من صار الداخل على المبتدأ والخبر ولا ريب في أن مصب الفائدة ومدار اللزوم بين الشرطية هو محمول المقدم لا موضوعه فحيث كانت امتناعية أريد بها بيان انتفاء الجعل الأول لاستلزامه المحذور الذي هو الجعل الثاني وجب أن يجعل مدار الاستلزام في الأول مفعولا ثانيا لا محالة ولذلك جعل مقابله في الجعل الثاني كذلك إبانة لكمال التنافي بينهما الموجب لانتفاء الملزوم والضمير الثاني للملك لا لما رجع إليه الأول والمعنى لو جعلنا النذير الذي اقترحوه ملكا لمثلنا ذلك الملك رجلا لما مر من عدم استطاعة الآحاد لمعاينة الملك على هيكله وفي إيثار رجلا على بشرا إيذان بأن الجعل

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٦٢/٢

بطريق التمثيل لا بطريق قلب الحقيقة وتعيين لما يقع به التمثيل وقوله تعالى ﴿وللبسنا عليهم﴾ عطف على جواب لو مبني على الجواب الأول وقرىء بحذف لام الجواب اكتفاء بما في المعطوف عليه يقال لبست الأمر على القوم ألبسه إذا شبهته وجعلته مشكلا **وأصله الستر بالثوب** وقرىء الفعلان بالتشديد للمبالغة أي ولخلطنا عليهم بتمثيله رجلا ﴿ما يلبسون﴾ على أنفسهم حينئذ بأن يقولوا له إنما أنت بشر ولست بملك ولو استدل على ملكيته بالقرآن المعجز الناطق بها أو بمعجزات أخر غير ملجئة إلى التصديق لكذبوه كما كذبوا النبي عليه الصلاة والسلام ولو أظهر لهم صورته الأصلية لزم الأمر الأول والتعبير عن تمثيله تعالى رجلا باللبس إما لكونه في سوء اللبس." (١)

"﴿وامرأته قائمة﴾ **وراء الستر بحيث** تسمع محاورتهم أو على رءوسهم للخدمة حسبما هو المعتاد والجملة حال من ضمير قالوا أي قالوه وهي قائمة تسمع مقالتهم

﴿فضحكت﴾ سرورا بزوال الخوف أو بهلاك أهل الفساد أو بهما جميعا وقيل بوقوع الأمر حسبما كانت تقول فيما سلف فإنها كانت تقول لإبراهيم اضمم إليك لوطا فإني أرى أن العذاب نازلا بهؤلاء القوم وقيل ضحكت حاضت ومنه ضحكت الشجرة إذا سال صمغها وهو بعيد وقرىء بفتح الحاء

﴿فبشرناها بإسحاق﴾ أي عقبنا سرورها بسرور أتم منه على ألسنة رسلنا

﴿ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ بالنصب على أنه مفعول لما دل عليه قوله بشرناها أي ووهبنا لها من وراء إسحق يعقوب وقرىء بالرفع على الابتداء خبره الظرف أي من بعد إسحق يعقوب مولود أو موجود وكلا الاسمين داخل في البشارة كيحي أو واقع في الحكاية بعد أن ولدا فسميا بذلك وتوجيه البشارة ههنا إليها مع أن الأصل في ذلك إبراهيم عليه الصلاة والسلام وقد وجهت إليه حيث قيل وبشرناه بغلام حليم وبشرناه بغلام عليم للإيذان بأن ما بشر به يكون منهما ولكونها عقيمة حريصة على الولد." (٢)

"(الذين يستحبون الحياة الدنيا) أي يؤثرونها استفعال من المحبة فإن المؤثر للشيء على غيره كأنه يطلب من نفسه أن يكون أحب إليها وأفضل عندها من غيره (على الأخرة) أي الحياة الآخرة الأبدية (ويصدون) الناس (عن سبيل الله) التي بين شأنها والاقتصار على الإضافة إلى الاسم الجليل المنطوي على كل وصف جميل لروم الاختصار وهو من صده صدا وقرىء يصدون من أصد المنقول من صد صدودا إذا نكب وهو غير فصيح كأوقف فإن في صده ووقفه لمندوحة عن تكلف النقل (ويبغونها) أي يبغون لها

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١١٣/٣

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٢٥/٤

فحذف الجار وأوصل الفعل إلى الضمير أي يطلبون لها (عوجا) أي زيغا واعوجاجا وهي أبعد شيء من ذلك أي يقولون لمن يريدون صده وإضلاله إنها سبيل ناكبة وزائغة غير مستقيمة ومحل موصول هذه الصلات الجر على أنه بدل من الكافرين أو صفة له فيعتبر كل وصف من اوصافهم بإزار ما يناسبه من المعاني المعتبرة في الصراط فالكفر المنبيء **عن الستر بإزاء** كونه نورا واستحباب الحياة الدنيا الفانية المفصحة عن وخامة العاقبة بمقابلة كون سلوكه محمود العاقبة والصد عنه بإزاء كونه مأمونا وفيه من الدلالة على تماديهم في الغي مالا يخفى أو النصب على الذم أو الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى ﴿أولئك فى ضلال بعيد﴾ وعلى الأول جملة مستأنفة وقعت معللة لما سبق من لحوق الويل بهم تأكيدا لما شعر به بناء الحكم على الموصول أي أولئك الموصوفون بالقبائح المذكورة من استحباب الحياة الدنيا على الآخرة وصد الناس عن سبيل الله المستقيمة ووصفها بالاعوجاج وهي منه بنزه في ضلال عن طريق الحق بعيد بالغ في ذلك غاية الغايات القاصية والبعد وإن كان من أحوال الضال إلا أنه قد وصف به وصفه مجازا للمبالغة كجد جده وداهية دهياء ويجوز أن يكون المعنى في ضلال ذي بعد أو فيه بعد فإن الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وقد يضل بعيدا وفي جعل الضلال محيطا بهم إحاطة الظرف بما فيه ما لا يخفى من المبالغة." (١)

"﴿قل للمؤمنين﴾ شروع في بيان أحكام كلية شاملة للمؤمنين كافة يندرج فيها حكم المستأذنين عند خولهم البيوت اندراجا أوليا وتلوين الخطاب وتوجيهه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفويض ما في حيزه من الأوامر والنواهي إلى رأيه صلى الله عليه وسلم لأنها تكاليف متعلقة بأمور جزئية كثيرة الوقوع حقيقة بأن يكون الأمر بهار المتصدي لتدبيرها حافظا ومهيمنا عليهم ومفعول الأمر أمر آخر قد حذف تعويلا على دلالة جوابه عليه أي قل لهم غضوا ﴿يغضوا من أبصارهم﴾ عما يحرم ويقتصر به على ما يحل ﴿ويحفظوا فروجهم﴾ إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم وتقييد الغض بمن التبعيضية دون الحفظ لما في أمر النظر من السعة وقيل المراد بالحفظ ههنا خاصة **هو الستر** ﴿ذلك﴾ أي ما ذكر من الغض والحفظ ﴿أزكى لهم﴾ أي طهر لهم من دنس الريبة ﴿إن الله خبير بما يصنعون﴾ لا يخفى عليه شيء مما يصدر عنهم من الأفاعيل التي من جملتها جالة النظر واستعمال سائر الحواس وتحريك." (٢)

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٣١/٥

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ١٦٩/٦

"﴿يا أيها النبي﴾ بعدما بين سوء حال المؤذين زجرا لهم عن الإيذاء امر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يأمر بعض المتأذنين منهم بما يدفع إيذاءهم في الجملة **من الستر والتميز** عن مواقع الإيذاء فقيل ﴿قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ الجلباب ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء تلوبه المراة على راسها وتقي منه ما لرسله على صدرها وقيل هي الملحفة وكل ما يتستر به أي يغطين بها وجوههن وأبدانهن إذا برزن لداعية من الدواعي ومن للتبغيض لما مر من أن المعهود التلفع ببعضها وإرخاء بعضها وعن السدي تغطي إحدى عينيها وجبهتها والشق الآخر إلا العين ﴿ذلك﴾ أي ما ذكر من التغطي ﴿أدنى﴾ أقرب ﴿أن يعرفن﴾ ويميزن عن الإماء والقينات اللاتي هن مواقع تعرضهم وإيذائهم ﴿فلا يؤذين﴾ من جهة اهل الريبة بالتعرض لهن ﴿وكان الله غفورا﴾ لما سلف منهن من التفريط ﴿رحيما﴾ بعباده حيث يراعي من مصالحهم أمثال هاتيك الجزئيات." (١)

"﴿غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول﴾ إما صفات أخر لتحقيق ما فيها من الترغيب والترهيب والحث على ما هو المقصود والإضافة فيها حقيقية على أنه لم يرد بها زمان مخصوص وأريد بشديد العقاب مشدده أو الشديد عقابه بحذف اللام للازدواج وأمن الالتباس أو إبدال وجعله وحده بدلا كما فعله الزجاج مشوش للنظم وتوسيط الواو بين الأولين لإفادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة أو تغاير الوصفين إذ ربما يتوهم الاتحاد أو تغاير موقع الفعلين لأن الغفر **هو الستر مع** بقاء الذنب وذلك لمن لم يتب فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل هو جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب مغمورة بصفات الرحمة دليل سبقها." (٢)

"ولو ألقى معاذيره أي ولو جاء بكل معذرة يمكن أن يعتذر بها عن نفسه حال من المستكن في بصيرة أو من مرفوع ينبأ أي هو بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو اعتذر بكل معذرة أو ينبأ بأعماله ولو اعتذر الخ والمعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل هو جمع معذار **وهو الستر أي** ولو أرخى ستوره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لقن الوحي نازع جبريل عليه السلام القراءة ولم يصبر إلى أن يتمها مسارعة إلى الحفظ وخوفا من أن ينفلت فأمر عليه الصلاة والسلام

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٧/١١٥

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٧/٢٦٥

بأن يستنصت له ملقيا إليه قلبه وسمعه حتى يقضى إليه الوحي ثم يقضى إليه الوحي ثم يقفيه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه فقيل." (١)

"عليهن أربعة منكم، أي: من عدول المؤمنين يرونهما كالمرود في المكحلة، وإنما جعلوا أربعة مبالغة في الستر على المؤمن، أو ليكون على كل واحد اثنان، فإن شهدوا عليهن بذلك فأمسكوهن في البيوت، واجعلوه سجنا لهن حتى يتوفاهن الموت أي: يستوفي أجلهن الموت، أو يتوفاهن ملك الموت، أو يجعل الله لهن سبيلا كتعيين الحد المخلص من السجن، وكان هذا في أول الإسلام ثم نسخ بما في سورة النور من الحدود، ويحتمل أن يراد التوصية بإمساكهن بعد أن يجلدن كي لا يعدن إلى الزنى بسبب الخروج والتعرض للرجال.

واكتفى بذكر حدهن، بما في سورة النور، وهذا الإمساك كان خاصا بالنساء بدليل قوله والذان يأتيانها منكم أي: الزاني والزانية منكم، (فآذوهما) بالتوبيخ والتقريع- (فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما) أي: اقطعوا عنهما الأذى، أو أعرضوا عنهما بالإغماض عن ذكر مساوئهما.

قيل: إن هذه الآية سابقة على الأولى نزولا، وكان عقوبة الزنى الأذى ثم الحبس ثم الجلد، وقيل، الحبس في المساحقات، والإيذاء في اللواطين، وما في سورة النور في الزناة. والذي يظهر. أن الحكم كان في أول الإسلام في الزنا: الإمساك للنساء في البيوت بعد الإيذاء بالتوبيخ، فتمسك في بيتها حتى تموت، أو يجعل الله لها سبيلا بالتزوج بمن يعفها عنه. والإيذاء للرجال بالتعيير والتقريع والتحجيم حتى تتحقق توبته، ثم نسخ ذلك كله بالحدود، وهو جلد البكر مائة وتغريبة عاما ورجم المحصن. والله تعالى أعلم.

الإشارة: ينبغي للعبد، إذا طغت عليه نفسه، وأرادت ارتكاب الفواحش، أن يستشهد عليها الحفظة، الذين يحفظون عليه تلك المعاصي، فإن لم تستح، فليعاقبها بالحبس في سجن الجوع والخلوة والصمت، حتى تموت عن تلك الشهوات، أو يجعل الله لها طريقا بالوصول إلى شيخ يغيبه عنها، أو بوارد قوي من خوف مزعج أو شوق مقلق، فإن تابت وأصلحت، أعرض عنها واشتغل بذكر الله، ثم يغيب عما سواه. وبالله التوفيق.

ثم ذكر الحق تعالى وقت التوبة التي تقبل، فقال:

[سورة النساء (٤) : الآيات ١٧ الى ١٨]

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٦٦/٩

إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما (١٧) وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما (١٨)." (١)

"وهذا تعليل لخذلانهم وتحقيق لضلالتهم، ويحسبون أي: يظنون أنهم مهتدون فهم على جهل مركب، وفيه دليل على أن الكافر المخطئ والمعاند: سواء في الذم واستحقاق العذاب إذ لا يعذر بالخطأ في أمر التوحيد.

الإشارة: تقليد الآباء في المساوىء من أقبح المساوىء، واحتجاج العبد بتخليته مع هواه هو ممن اتخذ إلهه هواه، إن الله لا يأمر بالفحشاء، فإذا قال العبد- في حال انهماكه: هكذا أحبني ربي، فهو خطأ في الاحتجاج بل يجاهد نفسه في الإقلاع، ويتضرع إلى مولاه في التوفيق فإن الحق تعالى إنما يأمر بالعدل والإحسان، ودوام الطاعة والإذعان، والخضوع لله في كل زمان ومكان، والتحقق بالإخلاص في كل أوان، وإفراد المحبة والولاية للكريم المنان. وبالله التوفيق.

ثم أمرهم بستر العورة فى الصلاة والطواف، فقال:

[سورة الأعراف (٧) : آية ٣١]

يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين (٣١)

يقول الحق جل جلاله: يا بني آدم خذوا زينتكم أي: ثيابكم التي تستر عورتكم، عند كل مسجد لطواف أو صلاة، واحتج به من أوجب ستر العورة في الصلاة، ومن السنة أن يأخذ الرجل أحسن ثيابه للصلاة، وقيل: المراد بالزينة: زيادة على الستر، كالتجمل للجمعة بأحسن الثياب وبالسواك والطيب، وكلوا واشربوا أمر إباحة لما روي أن بني عامر، في أيام الحج، كانوا لا يأكلون من الطعام إلا قوتا، ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم، وهم المسلمون بذلك، فنزلت.

ولا تسرفوا بتحريم الحلال، أو بالتقدم إلى الحرام، أو بإفراط الطعام والشره إليه، وقد عد في الإحياء من المهلكات: شره الطعام، وشره الوقاع، أي: الجماع. إنه لا يحب المسرفين لا يرتضي فعلهم. وعن ابن عباس رضى الله عنه: (كل ما شئت، والبس ما شئت، ما أخطأتك خصلتان: سرف ومخيلة) «١» أي: تكبر. وقال علي بن الحسين بن واقد: جمع الله الطب في نصف آية فقال: كلوا واشربوا ولا تسرفوا.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٧٩/١

الإشارة: إنما أمر الحق- جل جلاله- بالتزين للصلاة والطواف لأن فيهما الوقوف بين يدي ملك الملوك، وقد جرت عادة الناس في ملاقاة الملوك: التهيؤ لذلك بما يقدرون عليه من حسن الهيئة لأن ذلك زيادة تعظيم

---

(١) أخرجه ابن أبى شبية فى المصنف (الأدب واللباس) موقوفا على ابن عباس رضى الله عنه. وأخرجه مرفوعا النسائي فى (الزكاة، باب الاختيال فى الصدقة) وابن ماجه فى (اللباس، باب البس ما شئت ما أخطأك سرف أو مخيلة) وأحمد فى المسند ٢/ ١٨١ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا ما لم يخالطه إسراف أو مخيلة» .." (١)

"قلت: مفعول (نبأ) الثاني: محذوف، أي: نبأنا جملة من أخباركم، و (جزاء) : مصدر لمحذوف، أي: يجازون جزاء، أو علة، أي: للجزاء بما كسبوا.

يقول الحق جل جلاله: يعتذرون إليكم يعني: المنافقين، إذا رجعتم إليهم من تبوك، قل لهم: لا تعتذروا بالمعاذير الكاذبة لأنه لن نؤمن لكم أي: لن نصدقكم فيها لأنه قد نبأنا الله من أخباركم أعلمنا بالوحي، على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، ببعض أخباركم، وهو ما فى ضمائركم من الشر والفساد.

وسيرى الله عملكم ورسوله: هل تتوبون من الكفر، أم تثبتون عليه؟ وكأنه استتابة وإمهال للتوبة، ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة وهو الله، والأصل: ثم تردون إليه فوضع هذا الوصف موضع الضمير للدلالة على أنه مطلع على سرهم وعلانيتهم، لا يعزب عن علمه شيء من ضمائرهم وأعمالهم، فينبئكم أي: يخبركم بما كنتم تعملون بالتوبيخ والعقاب عليه.

سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم من غزوكم لتعرضوا عنهم أي: عن عتابهم، فأعرضوا عنهم لا توبخوهم إنهم رجس لخبث قلوبهم لا ينفع فيهم التأنيب، فإن المقصود من العتاب: التطهير بالحمل على الإنابة، وهؤلاء أرجاس لا تقبل التطهير، فهو علة للإعراض وترك المعاتبة، ومأواهم جهنم أي: منقلبهم إليها، والمعنى: أن النار كفتهم عتابا، فلا تتكلفوا عتابهم، وذلك جزاء بما كانوا يكسبون من الكفر والنفاق.

يحلفون لكم لترضوا عنهم بحلفهم، فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم **من الستر والإرفاق**، وإشراكهم في الغنائم، فإن ترضوا عنهم بذلك فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين

أي: فإن رضاكم لا يستلزم رضى الله، ورضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا كانوا في سخط الله وبصدد عقابه، أو

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/ ٢١٠

إن أمكنهم أن يلبسوا عليكم لا يمكنهم أن يلبسوا على الله فإنه يهتك سترهم وينزل الهوان بهم. والمقصود من الآية: النهي عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم، بعد الأمر بالإعراض عنهم وعدم الالتفات نحوهم. قاله البيضاوي.

الإشارة: قد يظهر لهذه الطائفة منافقون، إذا ظهر على أهل الله عز أو نصر جاءوا يعتذرون عن تخلفهم عنه، ويحلفون أنهم على محبتهم فلا ينبغي الاغترار بشأنهم، ولا مواجهتهم بالعتاب بل الواجب الإعراض عنهم والغيبة في الله عنهم، فسيرى الله عملهم ورسوله، ثم يردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبؤهم بما كانوا يعملون.." (١)

"ليستأذنكم لأن الأطفال غير مخاطبين ولا متعبدين. هـ. قلت: فالمخاطبون في الأولى هم الأولياء بتعليمهم الاستئذان وإيصائهم به، وهنا صاروا بالغين، فأمرهم بالاستئذان كما استأذن الذين من قبلهم أي: الذين بلغوا الحلم من قبلهم، وهم الرجال المذكورون في قوله: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم ... «١»

الآية. والمعنى: أن الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير إذن، إلا في العورات الثلاث، فإذا اعتاد الأطفال ذلك ثم بلغوا الحلم وجب أن يفطموا عن تلك العادة، ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الأوقات، كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلا بإذن.

والناس عن هذه غافلون. عن ابن عباس رضي الله عنه: ثلاث آيات جحدهن الناس: الإذن كله، وقوله: إن أكرمكم عند الله أتقاكم «٢» ، وقوله: وإذا حضر القسمة.. «٣» . وعن سعيد بن جبير: (يقولون: إنها منسوخة، والله ما هي بمنسوخة) «٤» . وعن ابن عباس أيضا قال: إنما أمروا بها حين لم يكن للبيوت الستر، فلما وجدوا ذلك استغنوا عن الاستئذان. وعن أبي محمد مكي: هذا الأمر إنما كان من الله للمؤمنين إذ كانت البيوت بغير أبواب. قلت: أما باعتبار الأجانب فالأبواب تكفي، وأما باعتبار المماليك والأطفال الذين يلجون الدار من غير حجر فلا تكفي الأبواب في حقهم، فلا بد من الاستئذان كما في الآية.

كذلك أي: مثل ذلك البيان العجيب يبين الله لكم آياته. قال ابن عرفة: قال قبل هذه وبعدها:

الآيات، وفي هذه: آياته لوجهين، الأول: هذه خاصة بالأطفال، وما قبلها عامة في العبيد والأطفال، فأطلقت الآية، ولم تقيد بالإضافة، وهذه خاصة، فعبر عنها بلفظ خاص. الثاني: أن الخطاب بما هنا للبالغين، فأسند فيه الحكم إلى الله تعالى، تخويفا لهم وتشديدا عليهم. هـ. والمتبادر أنه تفنن. قاله المحشي الفاسي. والله

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٤١٩

عليم حكيم فيما أمر ودبر.

الإشارة: إنما أمر ا\له بالاستئذان لئلا يكشف السر إلى غير أهله غيرة منه تعالى على كشف أسرار عباده، وإذا كان غار على كشف سر عبده، فغيرته على كشف أسرار ذاته أولى وأحرى، فيجب كتم أسرار الذات عن غير أهله، وكل من خصه الله بسر وجب كتمه إلا على من هو أهل له، وهو من أعطى نفسه وماله، وباعهما لله تعالى.

وكل من أطلع على سر من سرار الله أو قضاء من قضائه، ثم استشرف أن يعلم الناس بذلك فهو كذاب. وفي الحكم:

«استشرافك أن يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم صدقك في عبوديتك» . وبالله التوفيق.

---

(١) الآية ٢٧ من سورة النور.

(٢) الآية ١٣ من سورة الحجرات.

(٣) الآية ٨ من سورة النساء. والخبر عزاه ابن كثير فى التفسير (٣/ ٣٠٣) لابن أبى حاتم.

(٤) أخرجه الطبري (١٨/ ١٦٣) .." (١)

"في الأذواق والكشوفات، يتجدد له في كل يوم وساعة، حلاوة وكشف لم تكن عنده قبل، بخلاف الملائكة، فإنما يترقى كل واحد في كشف أسرار مقامه، ويجد حلاوة في ذلك المقام لم تكن له قبل، ولا ينتقل عنه، فمن كان من أهل الخدمة زاده الله حلاوتها. ومن كان من أهل المراقبة فكذلك. ومن كان من أهل المشاهدة غلب عليه السكر و؟؟؟ ان، ولا يزيد على ذلك. وهم الطبقة العليا، فلا منافاة بين كلام القوت وكلام البيضاوي لأن الترقي إنما هو في الأذواق والكشوفات، لا في العلوم الغيبية، ولا في الكمالات النفسية. فتأمله.

وقال القشيري: الملائكة لا يتخطون مقامهم، ولا يتعدون حدهم، والأولياء مقامهم مستور بينهم وبين الله، لا يطلع عليه أحد، والأنبياء- عليهم السلام- لهم مقام مشهور، مؤيد بالمعجزات الظاهرة لأنهم للخلق قدوة، فأمرهم على الشهرة، وأمر الأولياء على الستر. هـ. وقال الورتجبي: أهل البدايات في مقام الط ا عات، والأوساط في المقامات، مثل التوكل والرضا، والتسليم، والمحبون في مقامات الحالات والمواجيد، وأهل المعرفة في مقام معارف، ينقلون في المشاهدة من مقام إلى مقام، ولا يبقى المقام للموحدين، فإنهم

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/٦٥

مستغرقون في بحار الذات والصفات، فليس لهم مقام معلوم لأن هناك لم يكن لهم وقوف، حيث أفناهم قهر الجلال، والجمال، والعظمة، والكبرياء، عن كل ما وجدوا من الحق، فيبقوا في الفناء إلى الأبد. هـ. قلت: ما ذكر من الطبقات الثلاث هم العباد، والزهاد، وأرباب الأحوال، وحالهم كحال الملائكة، يمدون في مقامهم، ولا ينتقلون منه، فلكل واحدة قوة في مقامه، لا يطيقها العارف، لكنه فاتهم بالترقي عنهم إلى مشاهدة الذات، والترقي فيها أبدا.

ثم قال الورتجبي في قوله تعالى: وإنا لنحن الصافون: لما كانوا من أهل المقامات المعلومات افتخروا بمقاماتهم في العبودية، من الصلاة والتسبيح، ولو كانوا من أهل الحقائق في المعرفة لفنوا عن ملاحظة طاعتهم، من استيلاء أنوار مشاهدة الحق عليهم، والاستغراق في بحار من الألوهية. قال بعضهم: لذلك قطعت بهم مقاماتهم عن ملاحظة المنة، حتى قالوا بالتفخيم: إنا لنحن، فلما أظهروا سرائرهم عارضوا إظهار أفعال الربوبية بالمعارضة، حتى قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها. هـ. وكلامنا كله مع عامة الملائكة، وأما المقربون فالأدب الإمساك عنهم- صلوات الله وسلامه عليهم.

ثم رجع إلى الكلام مع قريش، فقال:

[سورة الصافات (٣٧) : الآيات ١٦٧ الى ١٨٢]

وإن كانوا ليقولون (١٦٧) لو أن عندنا ذكرا من الأولين (١٦٨) لكنا عباد الله المخلصين (١٦٩) فكفروا به فسوف يعلمون (١٧٠) ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين (١٧١)

إنهم لهم المنصورون (١٧٢) وإن جندنا لهم الغالبون (١٧٣) فتول عنهم حتى حين (١٧٤) وأبصرهم فسوف يبصرون (١٧٥) أفبعذابنا يستعجلون (١٧٦)

فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين (٧٧١) وتول عنهم حتى حين (١٧٨) وأبصر فسوف يبصرون (١٧٩) سبحان ربك رب العزة عما يصفون (١٨٠) وسلام على المرسلين (١٨١)

والحمد لله رب العالمين (١٨٢)." (١)

"لا مهرب من قضاء الله، " إلى ربك يومئذ المستقر "، أي: لا محيد عن حكمه. هـ. والمفر: مصدر، وقرأ الحسن بكسر الفاء، فيحتمل المكان أو المصدر.



(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤/٦٢٦

كلا﴾ ؛ ردع عن طلب المفر وتمنيه، ﴿لا وزر﴾ ؛ لا ملجأ ولا حصن، وأصل الوزر: الجبل الذي يمتنع فيه. قال السدي: كانوا إذا فزعوا تحصنوا في الجبال، فقال تعالى: لا جبل يعصمكم يومئذ مني، ﴿إلى ربك يومئذ المستقر﴾ أي: إليه خاصة استقرار العباد، ومنتهى سيرهم، أو: إلى حكمه استقرار أمرهم، أو: إلى مشيئته موضع قرارهم، يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار، ﴿ينبأ الإنسان يومئذ﴾ أي: يخبر كل امرىء، برا كان أو فاجرا، عند وزن الأعمال ﴿بما قدم﴾ من عمله خيرا كان أو شرا، فيثاب على الأول، ويعاقب على الثاني، ﴿وما أخر﴾ أي: لم يعمله خيرا كان أو شرا، فيعاقب بالأول ويثاب على الثاني، أو: بما قدم من حسنة أو سيئة قبل موته، وبما أخر من حسنة أو سيئة سنها فعمل بها بعد موته، أو: بما قدم في أول عمره، وأخر عمله في آخر عمره، أو: بما قدم من أمواله أمامه، وأخر آخره لورثته، نظيره. ﴿علمت نفس ما قدمت وأخرت﴾ [الانفطار: ٥] .

﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة﴾ أي: شاهد بما صدر عنه من الأعمال السيئة، كما يعرب عنه التعبير بـ " على " وما سيأتي من الجملة الحالية، والتاء للمبالغة، كعلامة، أو: أنثه لأنه أراد به جوارحه؛ إذ هي التي تشهد عليه، أو: هو حجة على نفسه، والبصيرة: الحجة، قال الله تعالى: ﴿قد جآءكم بصآئر من ربكم﴾ [الأنعام: ١٠٤] وتقول لغيرك: أنت حجة على نفسك. ومعنى " بل ": الترقي، أي: ينبأ الإنسان بأعماله، بل هو يومئذ عالم بتفاصيل أحواله، شاهد على نفسه، لأن جوارحه تنطق بذلك. و " بصيرة ": مبتدأ، و " على نفسه ": خبر مقدم، والجملة: خبر " الإنسان "، ﴿ولو ألقى معاذيره﴾ : حال من الضمير في " بصيرة "، أو: من مرفوع (ينبأ) أي: ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه أي: هو بصيرة على نفسه، تشهد عليه جوارحه، ويعمل بشهادتها، ولو اعتذر بكل معذرة، أو ينبأ بأعماله ولو اعتذر..الخ. والمعاذير: اسم جمع للمعذرة، كالمناكير اسم جمع للمنكر، لا جمع؛ لأن جمعها معاذر بالقصر، وقيل: جمع " معذار " وهو: الستر، أي: ولو أرخى ستوره. وقيل: الجملة استئنافية، أي: لو ألقى معاذيره ما قبلت منه، لأن عليه من يكذب عذره، وهي جوارحه. والله تعالى أعلم.

الإشارة: قد قرن الله تعالى قسمه بالنفس اللوامة بقسمه بيوم القيامة، لمشاركتها له في التعظيم، بل النفس اللوامة أعظم رتبة عند الله، لأنها تكون لوامة تلوم صاحبها على القبائح، ثم تكون لهامة تلهمه الخيرات والعلوم اللدنية، ثم تكون مطمئنة، حين تطمئن بشهود الحق بلا واسطة، بل تستدل بالله على غيره، فلا

ترى سواه، فحينئذ ترجع إلى أصلها، وترجع الأشياء كلها إلى أصولها، وهو القدم والأبد، فيتلاشى الحادث ويبقى." (١)

"فمن ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه (في كتاب الصلاة) ، قال: (باب إن صلى في ثوب مصلب، أو تصاوير: هل يفسد صلاته؟ وما ينهى عن ذلك، حدثنا أبو معمر عبد الله بن عمرو، قال: حدثنا عبد الوارث، قال: حدثنا عبد العزيز بن صهيب، عن أنس: كان قرام لعائشة سترت به جانب بيتها، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: " أميطي عنا قرامك هذا ؛ إنه لا تزال تصاويره تعرض في صلاتي ".

وقال البخاري أيضا (في كتاب اللباس، باب كراهية اللباس في التصاوير) : حدثنا عمران بن ميسرة، حدثنا عبد الوارث، حدثنا عبد العزيز بن صهيب، عن أنس – رضي الله عنه –، قال: كان قرام لعائشة سترت به جانب بيتها، فقال لها النبي – صلى الله عليه وسلم –: " أميطي عني ؛ فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي ".

وقال مسلم في صحيحه: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عبد الرحمن بن القاسم، قال: سمعت القاسم يحدث عن عائشة: أنه كان لها ثوب فيه تصاوير ممدود إلى سهوة، فكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يصلي إليه، فقال: " أخريه عني "، قالت: فأخرته فجعلته وسائد.

والثوب في هذه الرواية هو القرام المذكور، والقرام – بالكسر –: ستر فيه رقم ونقوش، **أو الستر الرقيق**، ومنه قول لبيد في معلقته يصف الهودج:

من كل محفوف يظل عصيه ... زوج عليه كلة وقرامها

وقول الآخر يصف دارا:

على ظهر جرعاء العجوز كأنها ... دوائر رقم في سراة قرام

والكلة في بيت لبيد: هي القرام إذا خيط فصار كالبيت.

فهذه النصوص الصحيحة تدل على أنه لا تجوز الصلاة إلى التماثيل. ومما يدل لذلك ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما من حديث عائشة – رضي الله عنها –: أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة، فيها تصاوير لرسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات، بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٨٧/٧

الله يوم القيامة ". اهـ. هذا لفظ مسلم، ولفظ البخاري قريب منه. اهـ.

أما بطلان صلاة من صلى إلى التماثيل، ففيه اختلاف بين العلماء، وقد أشار له." (١)

"المذكورة، فكانت وسوسة الشيطان سببا للأكل من تلك الشجرة. وكان الأكل منها سببا لبدو سوءاتهما. وقد تقرر في الأصول في مسلك (الإيماء، والتنبيه) : أن الفاء تدل على التعليل كقولهم: سها فسجد، أي: لعلة سهوه. سرق فقطعت يده، أي: لعلة سرقته. كما قدمناه مرارا. وكذلك قوله هنا: فوسوس إليه الشيطان قال ياآدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلا منها [٢٠ \ ١٢٠ - ١٢١] ، أي: بسبب تلك الوسوسة فبدت لهما سوءاتهما، أي: بسبب ذلك الأكل، ففي الآية ذكر السبب وما دلت عليه الفاء هنا كما بينا من أن وسوسة الشيطان هي سبب ما وقع من آدم وحواء جاء مبينا في مواضع من كتاب الله، كقوله تعالى: فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه [٢ \ ٣٦] ، فصرح بأن الشيطان هو الذي أزلهما. وفي القراءة الأخرى «فأزالهما» وأنه هو الذي أخرجهما مما كانا فيه، أي: من نعيم الجنة، وقوله تعالى: يابني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة الآية [٧ \ ٢٧] وقوله: فدلاهما بغرور [٧ \ ٢٢] ، إلى غير ذلك من الآيات.

وما ذكره جل وعلا في آية «طه» هذه من ترتب بدو سوءاتهما على أكلهما من تلك الشجرة أوضحه في غير هذا الموضع، كقوله في «الأعراف» : فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما [٧ \ ٢٢] ، وقوله فيها أيضا: كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما [٧ \ ٢٧] .

وقد دلت الآيات المذكورة على أن آدم وحواء كانا في ستر من الله يستر به سوءاتهما، وأنهما لما أكلا من الشجرة التي نهاهما ربهما عنها انكشف **ذلك الستر بسبب** تلك الزلة. فبدت سوءاتهما أي: عوراتهما. وسميت العورة سوءة لأن انكشافها يسوء صاحبها، وصارا يحاولان ستر العورة بورق شجر الجنة، كما قال هنا: وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة [٢٠ \ ١٢١] ، وقال في «الأعراف» : فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة [٧ \ ٢٧] ،.

وقوله وطفقا أي: شرعا. فهي من أفعال الشروع، ولا يكون خبر أفعال الشروع إلا فعلا مضارعا غير مقترن بـ «أن» وإلى ذلك أشار في الخلاصة بقوله:

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٢/٣٠٧

. . . . وترك أن مع ذي الشروع وجبا

كأنشأ السائق يحدو وطفق ... وكذا جعلت وأخذت وعلق." (١)

"فمعنى قوله وطفقا يخصفان أي: شرعا يلزقان عليهما من ورق الجنة بعضه ببعض ليسترا به عوراتهما. والعرب تقول: خصف النعل يخصفها: إذا خرزها: وخصف الورق على بدنه: إذا ألزقها وأطبقها عليه ورقة ورقة. وكثير من المفسرين يقولون: إن ورق الجنة التي طفق آدم وحواء يخصفان عليهما منه إنه ورق التين. والله تعالى أعلم.

واعلم **أن الستر الذي** كان على آدم وحواء، وانكشف عنهما لما ذاقا الشجرة اختلف العلماء في تعيينه، فقالت جماعة من أهل العلم: كان عليهما لباس من جنس الظفر. فلما أكلا من الشجرة أزاله الله عنهما إلا ما أبقى على رءوس الأصابع. وقال بعض أهل العلم: كان لباسهما نورا يستر الله به سوءاتهما. وقيل: لباس من ياقوت، إلى غير ذلك من الأقوال. وهو من الاختلاف الذي لا طائل تحته، ولا دليل على الواقع فيه كما قدمنا كثيرا من أمثلة ذلك في سورة «الكهف» . وغاية ما دل عليه القرآن: أنهما كان عليهما لباس يسترهما الله به. فلما أكلا من الشجرة نزع عنهما فبدت لهما سوءاتهما. ويمكن أن يكون اللباس المذكور الظفر أو النور، أو لباس التقوى، أو غير ذلك من الأقوال المذكورة فيه.

وأسند جل وعلا إبداء ما ووري عنهما من سوءاتهما إلى الشيطان قوله: ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما [٧ \ ٢٠] ، كما أسند له نزع اللباس عنهما في قوله تعالى: كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما [٧ \ ٢٧] ، لأنه هو المتسبب في ذلك بوسوسته وتزيينه كما قدمناه قريبا.

وفي هذه الآية الكريمة سؤال معروف، وهو أن يقال: كيف جعل سبب الزلة في هذه الآية وهو وسوسة الشيطان مختصا بآدم دون حواء قوله: فوسوس إليه الشيطان مع أنه ذكر أن تلك الوسوسة سببت الزلة لهما معا كما أوضحناه.

والجواب ظاهر، وهو أنه بين في «الأعراف» أنه وسوس لحواء أيضا مع آدم في القصة بعينها في قوله: فوسوس لهما الشيطان [٧ \ ٢٠] ، فبينت آية «الأعراف» ما لم تبينه آية «طه» كما ترى، والعلم عند الله تعالى.

مسألة

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ١١٣/٤

أخذ بعض أهل العلم من هذه الآية الكريمة: وجوب ستر العورة، لأن قوله: وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة يدل على قبح انكشاف العورة، وأنه ينبغي بذل." (١)

"الجهد في سترها. قال القرطبي في تفسيره في سورة «الأعراف» ما نصه: وفي الآية دليل على قبح كشف العورة، وأن الله أوجب عليهما الستر، ولذلك ابتدرا إلى سترها، ولا يمتنع أن يؤمرا بذلك في الجنة كما قيل لهما حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة [٧ \ ١٩] . وقد حكى صاحب البيان عن الشافعي: أن من لم يجد ما يستر به عورته إلا ورق الشجر لزمه أن يستقر بذلك. لأنه سترة ظاهرة، عليه التستر بها كما فعل آدم في الجنة. والله أعلم. انتهى كلام القرطبي.

ووجوب ستر العورة في الصلاة مجمع عليه بين المسلمين. وقد دلت عليه نصوص من الكتاب، والسنة، كقوله تعالى: يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد الآية [٧ \ ٣١] وكبعثه - صلى الله عليه وسلم - من ينادي عام حج أبي بكر بالناس عام تسع: «ألا يحج بعد هذا العام مشرك، وألا يطوف بالبيت عريان» . وكذلك لا خلاف بين العلماء في منع كشف العورة أمام الناس. وسيأتي بعض ما يتعلق بهذا إن شاء الله في سورة «النور» .

فإن قيل: لم جمع السوءات في قوله سوآتهما مع أنهما سوأتان فقط؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن آدم وحواء كل واحد منهما له سوءتان: القبل، والدبر، فهي أربع، فكل منهما يرى قبل نفسه وقبل الآخر، ودبره. وعلى هذا فلا إشكال في الجمع.

الوجه الثاني: أن المثنى إذا أضيف إليه شيئان هما جزآه جاز في ذلك المضاف الذي هو شيئان الجمع، والتثنية، والإفراد، وأفصحها الجمع، فالإفراد، فالتثنية على الأصح، سواء كانت الإضافة لفظا أو معنى. ومثال اللفظ: شويت رءوس الكبشين أو رأسهما، أو رأسيهما. ومثال المعنى: قطعت من الكبشين الرءوس، أو الرأس، أو الرأسين. فإن فرق المثنى المضاف إليه فالمختار في المضاف الإفراد، نحو: على لسان داود وعيسى ابن مريم.

ومثال جمع المثنى المضاف المذكور الذي هو الأفصح قوله تعالى فقد صغت قلوبكما [٦٦ \ ٤] ، وقوله تعالى: والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما [٥ \ ٣٨] ، ومثال الإفراد قول الشاعر:

حمامة بطن الواديين ترنمي ... سقاك من الغر الغوادي مطيرها

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ١١٤/٤

ومثال التثنية قول الراجز:

ومهمهين قذفين مرتين ... ظهراهما مثل ظهور الترسين." (١)

"أما لبس الرجل القفازين، فلم يخالف في منعه أحد، وعند الشافعية: إذا طلى المحرم رأسه بطين، أو حناء أو مرهم ونحو ذلك، فإن كان رقيقا لا يستر فلا فدية، وإن كان ثخينا ساترا فوجهان، أصحهما: وجوب الفدية.

والثاني: لا تجب لأن ذلك لا يعد ساترا ولو توسد وسادة، أو وضع يده على رأسه، أو انغمس في ماء أو استظل بمحمل، أو هودج، فذلك عند الشافعية: جائز، ولا شيء فيه، سواء مس المحمل رأسه أم لا، وفيه قول ضعيف: أنه إن مس المحمل رأسه، وجبت الفدية.

وضابط ما تجب به الفدية عندهم هو: أن يستر من رأسه قدرا يقصد ستره، لغرض كشد عصابة وإلصاق لصوق لشجة ونحوها، والصحيح عندهم: أنه إن شد خيطا على رأسه لم يضره، ولا فدية عليه، ولو جرح المحرم فشد على جرحه خرقة، فإن كان الجرح في غير الرأس فلا فدية، وإن كان في الرأس، لزمته الفدية ولا إثم عليه.

وقد قدمنا أن إحرام المرأة في وجهها فلا يجوز لها ستره بما يعد ساترا، ولها ستر وجهها عن الرجال، والأظهر في ذلك: أن تسدل الثوب على وجهها متجافيا عنه لا لاصقا به، والله أعلم.

ويجوز عند الشافعية: أن يعقد الإزار ويشد عليه خيطان، وأن يجعل له مثل الحجزة، ويدخل فيها التكة ؛ لأن ذلك من مصلحة الإزار، لا يستمسك إلا بنحو ذلك، وقيل: لا يجوز له جعل حجزة في الإزار، وإدخال التكة فيها ؛ لأنه حينئذ يصير كالسراويل، والصحيح عندهم الأول، والأخير ضعيف عندهم، وكذلك القول بمنع عقد الإزار ضعيف عندهم. أما عقد الرداء فهو حرام عندهم، وكذلك عندهم خله بخلال، وربط طرفه إلى طرفه الآخر بخيط، كل ذلك لا يجوز عندهم، وفيه الفدية، وفيه خلاف ضعيف عندهم. ووجه تفريقهم بين الإزار والرداء أن الإزار يحتاج إلى العقد، بخلاف الرداء، ولو حمل المحرم على رأسه زنبيلا، أو حملا، ففي ذلك عند الشافعية طريقان أصحهما: أن ذلك جائز، ولا فدية فيه ؛ لأنه لا يقصد **به الستر كما** لا يمنع المحدث من حمل المصحف في متاع، اهـ.

ومذهب الإمام أحمد في جواز عقد الإزار، ومنع عقد الرداء كمذهب الشافعي. ويجوز عند الإمام أحمد

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤/١١٥

أن يشد في وسطه منديلا أو عمامة أو حبلا ونحو ذلك، إذا لم يعقده فإن عقده منع ذلك عنده، وإنما يجوز إذا أدخل بعض ذلك الذي شد على وسطه في بعضه.." (١)

"شهادتهم، هذا هو الظاهر لنا من عموم الأدلة، وإن كان مخالفا لمذهب مالك، وأبي حنيفة، وأحمد، والعلم عند الله تعالى.

تنبيه.

اعلم أن مالكا وأصحابه يشترط عندهم زيادة على أداء شهود الزنى شهادتهم في وقت واحد، أن يكونوا شاهدين على فعل واحد، فلو اجتمعوا ونظر واحد بعد واحد، لم تصح شهادتهم على الأصح من مذهب مالك ؛ لاحتمال تعدد الوطء وأن يكون الزاني نزع فرجه من فرجها بعد رؤية الأول، ورأى الثاني إيلاجا آخر غير الإيلاج الذي رآه من قبله ؛ لأن الأفعال لا يضم بعضها إلى بعض في الشهادة عندهم، ومتى لم تقبل شهادتهم حدوا حد القذف، ومشهور مذهب مالك أيضا: وجوب تفرقتهم، أعني شهود الزنى خاصة، دون غيرهم من سائر الشهود.

ومعناه عندهم: أنه لا بد من إتيانهم مجتمعين، فإذا جاءوا مجتمعين فرق بينهم عند أداء الشهادة فيسأل كل واحد منهم دون حضرة الآخرين، ويشهد كل واحد منهم، أنه رآه أدخل فرجه في فرجها، أو أولجه فيه، ولا بد عندهم من زيادة كالمرود في المكحلة ونحوه، ويجوز للشهود النظر إلى عورة الزانيين، ليمكنهم أن يؤدوا الشهادة على وجهها، ولا إثم عليهم في ذلك، ولا يقدح في شهادتهم ؛ لأنه وسيلة إقامة حد من حدود الله، ومحل هذا إن كانوا أربعة، فإن كانوا أقل من أربعة لم يجز لهم النظر إلى عورة الزاني إذ لا فائدة في شهادتهم ؛ ولأنهم يجلدون حد القذف.

وقال بعض المالكية: لا يجوز لهم النظر إلى عورات الزناة، ولو كانوا أربعة، لما نبه عليه الشرع من استحسان الستر، ويندب للحاكم عند المالكية سؤال الشهود في الزنى عما ليس شرطا في صحة الشهادة، كأن يقول لكل واحد من الشهود بانفراده دون حضرة الآخرين: على أي حال رأيتهما وقت زناهما، وهل كانت المرأة على جنبها الأيمن، أو الأيسر، أو على بطنها، أو على قفاها، وفي أي جوانب البيت ونحو ذلك، فإن اختلفوا بأن قال أحدهم: كانت على قفاها، وقال الآخر: كانت على جنبها الأيمن ونحو ذلك بطلت

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٥/٥٢

شهادتهم ؛ لدلالة اختلافهم على كذبهم، وكذلك إن اختلفوا في جانب البيت الذي وقع فيه الزنى.
ولا شك أن مثل هذا السؤال أحوط في الدفع عن أعراض المسلمين ؛ لأنهم إن كانوا." (١)

"المقذوف قبل بلوغ الإمام، فإن بلغ الإمام، فلا يسقطه عفوه إلا إذا ادعى أنه يريد **بالعفو الستر على** نفسه.

قال مقيده – عفا الله عنه وغفر له –: الظاهر أن القذف حق للآدمي وكل حق لآدمي فيه حق لله.

وإيضاحه: أن حد القذف حق للآدمي من حيث كونه شرع للزجر عن فعله، ولدفع معرة القذف عنه، فإذا تجرأ عليه القاذف انتهك حرمة عرض المسلم، وأن للمسلم عليه حقا بانتهاك حرمة عرضه، وانتهك أيضا حرمة نهي الله عن فعله في عرض مسلم، فكان لله حق على القاذف بانتهاكه حرمة نهيه، وعدم امتثاله، فهو عاص لله مستحق لعقوبته، فحق الله يسقط بالتوبة النصوح، وحق المسلم يسقط بإقامة الحد، أو بالتحلل منه.

والذي يظهر على هذا التفصيل أن المقذوف إذا عفا وسقط الحد بعفوه أن للإمام تعزير القاذف لحق الله، والله – جل وعلا – أعلم.

المسألة الحادية عشرة: قال القرطبي: إن تمت الشهادة على الزاني بالزنا ولكن الشهود لم يعدلوا، فكان الحسن البصري، والشعبي يريان ألا حد على الشهود، ولا على المشهود عليه، وبه قال أحمد، والنعمان، ومحمد بن الحسن.

وقال مالك: وإذا شهد عليه أربعة بالزنا وكان أحدهم مسخوطا عليه أو عبدا يجلدون جميعا، وقال سفيان الثوري، وأحمد، وإسحاق في أربعة عميان يشهدون على امرأة بالزنى: يضربون، فإن رجع أحد الشهود، وقد رجم المشهود عليه في الزنى، فقالت طائفة: يغرم ربع الدية، ولا شيء على الآخرين، وكذلك قال قتادة، وحماد، وعكرمة، وأبو هاشم، ومالك، وأحمد، وأصحاب الرأي، وقال الشافعي: إن قال عمدت ليقتل، فالأولياء بالخيار إن شاءوا قتلوا، وإن شاءوا عفوا، وأخذوا ربع الدية وعليه الحد، وقال الحسن البصري: يقتل وعلى الآخرين ثلاثة أرباع الدية، وقال ابن سيرين: إذا قال أخطأت وأردت غيره، فعليه الدية كاملة، وإن قال تعمدت قتل، وبه قال ابن شبرمة، اهـ كلام القرطبي، وقد قدمنا بعضه.

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٥/٣٧٨

وأظهر الأقوال عندي: أنهم إن لم يعدلوا حدوا كلهم ؛ لأن من أتى بمجهول غير معروف العدالة، كمن لم يأت بشيء، وأنه إن أقر بأنه تعمد الشهادة عليه ؛ لأجل أن يقتل." (١)

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤٤٢/٥